القدس عبر عصور التاريخ

حصاد ١٨

ندوة عقدها

اتحاد المؤرخين العرب

بمقره بالقاهرة

١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

هـــذا العـــدد

١ ــ هذا العـــدد خاص بالندوة السنوية لاتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، تصدر عن اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة.

٢ ــ يستهدف العدد إظهار الحقيقة التاريخية لموضوع محدد صافية نقية، بعيدة عن أي تيارات سياسية أو عقائدية.

٣ ــ البحوث التي تنشر فيها محكمة، تعبر عن وجهة نظر أصحابها، وهيئة التحرير غير مسئولة عما يرد من آراء علمية.

٤ ــ تصدر مؤقتاً سنوياً في أكتوبر من كل عام، على أن تصلها البحوث المقدمة للنشر في كل عدد في موعد غايته نهاية شهر فبراير من نفس العام.

٥ ــ لا يزيد البحث المقدم للنشر عن خمسة وعشرون صفحة، مكتوب على الكمبيوتر ويقدم من نسختين ورقيتين ونسخة أخري علي الاسطوانة CD.

٦ ــ تعد الخرائط والرسوم وغيرها من الإيضاحات بالحبر الصيني على ورق الرسم، قابلة للاستنساخ المباشر.

٧ ــ يشترط ألا يكون العمل المقدم قد سبق نشره، أو قدم للنشر في أية جهة أخرى، ويكتب الباحث تعهداً بعدم تقديمه للنشر في أي جهة أخرى بعد قبوله للنشر بالمجلة.

٨ ــ لا ترد أصول الأعمال المقدمة سواء قبلت للنشر أو لم تقبل.

٩ ــ يرد عنوان البحث في رأس الصفحة الأولى، متبوعاً باسم المؤلف مقروناً بوظيفته وجهة عمله.

١٠ ــ ترتب الهوامش والتعقيبات التفصيلية بترقيم موحد في نهاية العمل.

١١ ــ يراعى في إعداد قائمة المراجع ما يلي :

(أ) تسجيل أسماء المؤلفين أو المحققين أو المترجمين أو المراجعين، متبوعة بعنوان الكتاب ثم مكان النشر ثم اسم الناشر، ثم تاريخ النشر، مع بيان الطبعة.

(ب) مقالات الدوريات تبدأ باسم صاحب المقال، ثم عنوان المقال، ثم اسم الدورية، ثم رقم المجلد والعدد والمجلة وتاريخه، ثم أرقام الصفحات التي يقع فيها المقال.

(جـ) الرسائل الجامعية يتم تسجيل اسم صاحب الرسالة، وعنوانها ، والجامعة التي أجازتها، واسم المشرف، وتاريخ الإجازة.

لقطات سريعة من النـــدوة

المحتويـــات

كلمة الافتتاح ٧

برنامج الندوة ٩

الرواد المكرمون ١٢

أ.د. شوقي عطا الله الجمل

دحض ادعاءات الصهيونية الخاصة بالقدس. ١٣

أ.د. حسنين محمد ربيع

دحض افتراءات الصهيونية الخاصة بتاريخ تأسيس مدينة القدس. ٢٧

أ.د. علاء عبد المحسن شاهين

القدس في المصادر النصية المصرية لنهاية الألف الأول قبل الميلاد. ٣١

د. علي أحمد الشريف

القدس في الوثائق المصرية القديمة (دراسة تاريخية تعكس الأهمية المكانية والروحية في الألف الأول قبل الميلاد). ٤٩

أ.د. محمد عيسى العريني

الفتح الإلهي لبيت المقدس. ٦٩

د. داليا عبد الهادي طلبه

القدس في كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين. ٧٥

د. مبارك رمضان أبو زيد

مدينة القدس في ضوء كتابات ناصر خسرو. ٩٧

د. نجلاء مصطفى شيحة

المزارات المسيحية في القدس من خلال كتابات الرحالة الأوربيين. ١٤٣

أ.د. حياة ناصر الحجي

القدس والمدن الشامية في ميزان الحضارة الإسلامية في القرن ٨هـ / ١٤م. ١٧٧

د. منال محمد السيد عبد المجيد

تسليم القدس الشريف للصليبيين وفق اتفاقية يافا ١٢٢٩م. ٢٠٥

د. إبراهيم محمد علي مرجونة
الدور الحضاري للأمير علاء الدين أيدغدي الأعسر في القدس والخليل (٦٦١ - ٦٩٣ هـ /١٢٦٣ - ١٢٩٤ م). ٢٣٣

أ.د. علي السيد علي محمود
الأسرة في مدينة بيت المقدس عصر سلاطين المماليك "دراسة وثائقية". ٢٦٥

د. أمال حامد زيان غانم
التواصل العلمي بين مصر والقدس الشريف في عصر سلاطين المماليك "أسرة القلقشندي نموذجاً". ٢٩٩

أ.د. علي أحمد محمد السيد
يهود القدس أواخر العصر المملوكي في ضوء خطابات عوبديا البرتنوري ١٤٨٧-١٤٩٠م ٣٣١

د. فايزة محمد علوك
الأوقاف المصرية على القدس في العصر العثماني. ٣٧٩

د. سعدية سعيد علي البيشي
ترميمات السلطان العثماني سليم الثالث لقنوات مياه القدس في عام ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م من خلال الوثائق العثمانية. ٤٢١

أ.د. عبد اللطيف بن دهيش
الحقوق العربية والإسلامية وموقف المملكة العربية السعودية من القدس وفلسطين. ٤٦٧

أ.د. صلاح أحمد هريدي علي
التعليم في القدس في القرن السادس عشر الميلادي. ٤٩٣

أ.د. صلاح حسن يوسف عاشور
الممارسات الإسرائيلية لتهويد القدس وتصفية الفلسطيني. ٥١٧

أ.د. محمد بهجت قبيسي
القدس في الآثار والكتابات (المصرية والكنعانية والآرامية). ٥٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الافتتاح

للأستاذ الدكتور حسنين محمد ربيع
رئيس اتحاد المؤرخين العرب

القدس، أو أورشليم، أو مدينة السلام، أو يبوس، أو إيلياء، هي مجتلى عين موسى ومهوى قلب عيسى، ومعمري ومعراج نبينا محمد عليه الصلاة والسلام. وهي قدس الأديان الثلاثة، وقبلة الإسلام الأولى، ومهد الشرق والغرب، وأروع مدن العرب الكنعانيين، ورمز وحدة دين الله الواحد القهار.

بوركت وبورك ما حولها. كانت متألقة في تاريخ العرب والمسلمين عبر العصور وكانت زهرة المدائن وما تزال.

وتبوأت القدس مكانة خاصة في قلوب العالمين من العرب والمسلمين؛ فبالنسبة للمسلمين هي موطن ثاني القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وهي بالنسبة للعرب ليست مجرد مدينة تتميز بموقعها الجغرافي ودورها التاريخي، وإنما هي رمز لمعنى كبير، استقر في أعماق قلوبهم، بحكم المكان والمكانة، ولهذا لم يكن عجيباً أن تتعلق بها الأبصار، وبتغني بها الشعراء والمنشدون على مر العصور. وربما لم تظفر مدينة من المدن، بمثل ما ظفرت به مدينة القدس من كتابات المؤرخين والجغرافيين، وإبداعات الأدباء والفنانين. فقد حق لها أن تشد انتباه المؤلفين والمبدعين في مختلف العصور، بما لها من مكانة روحية وحضارية وجغرافية واستراتيجية، إذ كانت دائماً مركز الدائرة، ومصدر الإلهام. ولاشك أن هذا التراث الكبير من المؤلفات التاريخية التي تناولت هذه المدينة عبر تاريخها كله، جدير بأن يصبح موضوعات خصبة لمؤتمرات علمية عديدة.

وكان من الواجب على اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة – الذي يضم أكثر من ألف مؤرخ وباحث من المشتغلين بالدراسات التاريخية من أبناء الأمة العربية – أن يسعى لتحقيق الأهداف الرئيسية التي وردت في المادة (٢) من النظام الأساسي للذي أقرته الجمعية العمومية لاتحاد المؤرخين للعرب، في اجتماعها بالقاهرة في جمادي الآخر عام

١٤١٢هـ/ديسمبر ١٩٩١م وأهمها: دراسة تاريخ الأمة العربية وفق منهج علمي موضوعي، وإبراز العناصر التي أسهم بها العرب والمسلمون في بناء صرح الحضارة البشرية، والتصدي بالأدلة العلمية والتاريخية للدفاع عن القضايا العربية وبخاصة قضية فلسطين، وتنقية التاريخ العربي مما لحق به من شوائب علي مر العصور، والارتفاع بمستوي الدراسات التاريخية، والعناية بالتراث التاريخي، والحفاظ علي الهوية العربية.

وعلى هدى من هذا: عقدت ندوة (القدس عبر عصور التاريخ) في يومي ٢٤-٢٥ ذو الحجة عام ١٤٣١هـ/٣٠ نوفمبر- ١ ديسمبر ٢٠١٠م. وشارك في فعاليات وأنشطة الندوة حوالي ٤٤٠ عضواً من أعضاء الاتحاد، قدموا من مختلف أنحاء الوطن العربي، وتم عرض ٢٨ بحثاً في ست جلسات، عدا الجلسة الأولي والجلسة الختامية. وفي أعقاب كل جلسة دارت مناقشات ومداخلات وتعليقات من الأساتذة المشاركين، أثمرت أيضاً الثمرات العلمية، مع إلقاء أضواء كاشفة علي تاريخ القدس ومصادره، وبخاصة الوثائق والمخطوطات المحفوظة في دور المحفوظات العربية و الأوربية والمكتبات، فضلاً عن النقوش والمسكوكات والحوليات وكتب الرحالة، وغير ذلك من مصادر تاريخ القدس.

ويحتوي هذا العدد من الحصاد علي مجموعة منتقاة من البحوث والدراسات العلمية التي ألقيت في الندوة وتمت مناقشتها، وأجازها الأساتذة المحكمون، وكانت محل نقاش علمي جاد، وبخاصة تلك التي تدحض ادعاءات الصهيونية الخاصة بتاريخ القدس، ومحاولات تشويه الحقائق التاريخية الخاصة به.

وهاهو اتحاد المؤرخين العرب في القاهرة، ينشر حصاد هذه الندوة في كتاب، كعادته كل عام، ليكون الحصاد الثامن عشر في سلسلة ندواته السنوية، ولعله يبوأ مكانة متميزة في المكتبة التاريخية العربية.

وفقنا الله جميعاً لما فيه رفعة أمتنا العربية، وكذلك رفع شأن الدراسات التاريخية في الوطن العربي. والله من وراء القصد إنه نعم المولي ونعم النصير.

أ.د. حسنين محمد ربيع

رئيس اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة

أستاذ بكلية الآداب جامعة القاهرة

عضو مجمع اللغة العربية والمجمع العلمي المصري

برنامج ندوة القدس عبر عصور التاريخ

اليوم الأول الثلاثاء ٢٤ ذو الحجة ١٤٣١هـ = ٣٠ نوفمبر ٢٠١٠م

الجلسة الأولي : ١٠ر٠٠ صباحاً – ١٢ر٣٠ ظهراً

- كلمة أ.د. حسنين محمد ربيع — رئيس الاتحاد ورئيس الندوة
- كلمة أ.د. عبد الله بن يوسف الشبل — نائب رئيس الاتحاد
- كلمة أ.د. حامد زيدان قاسم — أمين الصندوق

* التقرير المالي وإقرار الميزانية المعدلة والحساب الختامي وتعيين مراقب الحسابات.
* تكريم نخبة من نواهج المؤرخين العرب.
* انتخاب ٥ أعضاء لعضوية مجلس الإدارة (ثلاثة أعضاء من الرجال العرب وعضوان من الزملاء المصريين)

استراحة وتناول الشاي ١٢ر٣٠ – ١ر٠٠ ظهراً

الجلسة الثانية: ١ر٠٠ – ٣ر٠٠ عصراً رئيس الجلسة : أ.د. أحمد بن عمر الزيلعي

أ.د. شوقي عطا الله الجمل	دحض ادعاءات الصهيونية الخاصة بالقدس
أ.د. حسنين محمد ربيع	دحض افتراءات الصهيونية الخاصة بتاريخ حفر عين القدس
أ.د. محمد عيسي الدريوي	الفتح الإسلامي لبيت المقدس
د. إبراهيم أبو القاسم	القدس وتراث المخطوطات العربية ، دراسة وتقنية
د. سعدية سعيد علي	ترميمات السلطان العثماني سليم الثاني لقبة الصخرة المشرفة في عام ١٤١٦هـ/١٨-١٩م من خلال الوثائق العثمانية
أ.د. عبد اللطيف بن دحيش	الحقوق العربية والإسلامية وموقف المملكة العربية السعودية من القدس وفلسطين

دعـــوة الفـــداء ٣ر٠٠ – ٤ر٠٠ عصراً

الجلسة الثالثة : ٤ر٠٠ – ٥ر٣٠ مساء رئيس الجلسة : أ.د. زبيدة محمد عطا

أ.د. علاء عبد الحسن شاهين	القدس في العناصر النحتية المصرية لمعابد الألف الأول قبل الميلاد
د. عصرو عبد العزيز منير	القدس بين كتابات الرحالة والمؤرخ الشعبي منذ الفتح الإسلامي حتى العهد العثماني
د. داليا عبد الهادي	القدس في كتابات الرحالة المغاربة و الأندلسيين
د. مبارك رمضان أبو زيد	مدينة القدس في ضوء كتابات ناصر خسرو
د. مجدلاء مصطفى سيحة	المزارات المسيحية في القدس من خلال كتابات الرحالة الأوربيين
أ.د. محمد بهجت قبيسي	القدس في الآثار والكتابات (المصرية والكنعانية والآرامية) وتفنيد المزاعم الصهيونية
أ.د. مجاهد توفيق الجندي	طلاب ويتبوع لواء القدس يرافق الصيام بالأزهر الشريف دراسة وثائقية

اليوم الثاني الأربعاء ٢٥ ذو الحجة ١٤٣١هـ ١ ديسمبر ٢٠١٠م

الجلسة الرابعة : ١٠ر٠٠ صباحاً – ١٢ر٠٠ ظهراً رئيس الجلسة : أ.د. محمد ابراهيم بكر

أ.د. حياة ناصر الحجي	القدس وأهل الشام في ميزان الحضارة الإسلامية في القرن ٨هـ / ١٤م
أ.د. علي أحمد محمد السيد	يهود القدس تواخر العصر المملوكي في ضوء كتابات موسيا البرتنوري ١٤٥٧-١٤٩٠م
د. منتصب حسين القباعي	لسواق مدينة القدس في العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)
د. عطا علي محمد	أضواء على النشاط الحرفي والتجاري ببيت المقدس في العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م)
د. آمال حامد زيان	التواصل العلمي بين مصر والقدس الشريف في عصر سلاطين المماليك " أسرة قلاقشندي نموذجا "
د.إبراهيم محمد علي مرجونة	الدور الحضاري للأمير علاء الدين البندقداري الأعسر في القدس والخليل (٦٦١-٦٩٣هـ/١٢٦٣-١٢٩٤م)
أ.د. أحمد ابراهيم دياب	فشل البعثة في الأراضي المقدسة (مذكرة الدول العربية إلى وفود هيئة الأمم المتحدة)

استراحة وتناول الشاي ١٠ر١٢ – ٣٠ر١٢ ظهراً

الجلسة الخامسة : ٣٠ر١٢ – ٣٠ر٢ ظهراً رئيس الجلسة: أ.د. حياة ناصر الحجي

أ.د. سلامة محمد الغرف البلوي	المؤسسات التعليمية في القدس (العصور التاريخية – الواقع – التحديات)
د. علي أحمد الشريف	القدس في الوثائق العثمانية القديمة (دراسة تاريخية تحكي تأهيمية المكانة والروحية في الألف الأول قبل الميلاد)
أ.د. السيفي العنصري محمد	العلم العربي الإسلامي ومستقبل القدس
د.هيا عبدالمحسن محمد الباطين	موقف العرب والإسرائيليين من حرب ١٩٤٨م
د. ناهد عبدالكريم آل عبدالكريم	القدس والقضية الفلسطينية في الصحافة العربية العثمانية في (أخبار عامي ١٩٢٨ - ١٩٣٩صحيفة الشرق نموذجا)

دعوة الغداء ٣٠ر٢ – ٣٠ر٣ عصراً

الجلسة السادسة : ٣٠ر٣ – ٣٠ر٤ مساء رئيس الجلسة : أ.د. محمد بهجت القبيسي

أ.د. عبدالله عبدالرحمن الربيعي	سياسة الملك الظاهر بيبرس إزاء القدس حكما وسكانا ١٠٩-١٢٠٠م
د. فايزة محمد عكوك	الأوقاف المصرية على القدس في العصر العثماني
د. عبد الحكيم الذنيبات	موقف السلطان عبد الحميد الثاني من المحاولات الصهيونية لتهويد القدس

الجلسة الختامية : ٣٠ر٤ – ٣٠ر٥ مساء رئيس الجلسة : أ.د. حسنين محمد ربيع

- توصيات الندوة.
- اقتراح موضوع الندوة القادمة.
- مقترحات أعضاء الاقتصاد.

الرواد المكرمون من نوابغ المؤرخين
في احتفالية إتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة

(يوم الثلاثاء ٢٤ ذو القعدة ١٤٣١هـ = ٣٠ نوفمبر ٢٠١٠م)

١- أ.د. عبد الهادي محمد التازي — الجنسية : مغربي

عضو أكاديمية المملكة المغربية بالرباط

٢- أ.د. إبراهيم بن محمد المزيني — الجنسية : سعودي

أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية العلوم الاجتماعية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

٣- أ.د. عبد الله بن إبراهيم العسكر — الجنسية : سعودي

أستاذ بجامعة الملك سعود بالرياض وعضو مجلس الشورى السعودي

٤- أ.د. عادل حسن خليم — الجنسية : مصري

أستاذ بكلية الآداب جامعة عين شمس ورئيس مجلس إدارة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية.

٥- أ.د. زبيدة محمد عطا — الجنسية : مصرية

أستاذ تاريخ العصور الوسطى وعميد كلية الآداب جامعة حلوان سابقا

دحض إدعاءات اليهود بخصوص القدس

د. شوقي عطا الله الجمل (*)

مقدمة

يكتسب موضوع الندوة أهمية خاصة بسبب تمسك اليهود بمدينة القدس وإدعائهم بأنها عاصمة دولتهم، وأن الله وعدهم في كتبهم المقدسة بذلك، وأنهم شعب الله المختار. وتصدى كل المحاولات لحل مشكلة النزاع العربي — الإسرائيلي لهذه الإدعاءات الإسرائيلية .

والبحث يرد على هذه الادعاءات كلها مستنداً على ما جاء في التوراة والإنجيل، والقرآن الكريم وعلى ما كتبه المؤرخون اليهود أنفسهم .

ونتمنى أن يفتح البحث المجال لأبحاث أخرى أشمل وأوسع لمدينة القدس، فهي بحق المحور الرئيسي للصراع العربي — الإسرائيلي، وهو من أشد وأطول الصراعات التي شهدها العالم — ولم ينته إلى اليوم بسبب القصف الإسرائيلي وبسبب مساندة الدول الكبرى لهذه المواقف الإسرائيلية الظالمة، والتي لا تخرج عن كونها أطماعا استعمارية تقوم على البطش والعنف والاستغلال .

تمهيد

عرفت مدينة (القدس) عبر عصور التاريخ بعدة أسماء، وقد ذكر بعض الاخباريين أن الذي بناها هو(سام بن نوح).

وقد جاء ذكر المدينة في ألواح تل العمارنة التي عثر عليها في مصر في سنة ١٨٨٧ باسم (أورشليم)[1]

(*) أستاذ متفرغ بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية جامعة القاهرة.

(1) دائرة معارف البستاني مجلد ٤ (بيروت ١٨٨٠) ، ص ٦٣٣ — رسائل تل العمارنة — يرجع تاريخها للقرن ١٤ ق.م — وهي رسائل متبادلة بين ملك أورشليم وأخناتون ملك مصر

Marmorosl : Old and new Places in Palestine P .5

وقد ذكرها ياقوت الحموي في معجمه باسم (أورشليم)[2]

لما في الوقت الحاضر فنطلق عليها اسم (القدس) أو (بيت المقدس) .

المعالم الجغرافية للمدينة :

تقع مدينة القدس على هضبة على ارتفاع ٧٥٩م فوق سطح البحر المتوسط وعلى بعد ٣٣ ميلا من البحر، وبعد بناتها حصنّوها وأقاموا حولها سوراً لحمايتها من أي محاولة للهجوم عليها من الخارج .

ولخذت المدينة في الاتساع، وشُيدت عدة مبانٍ جميلة على التلال المحيطة بها خارج أسوار المدينة. وكانت مساحة المدينة داخل الأسوار ٨٩٨ دونم، أي ما يساوي ٨٦٨,٠٠٠م٢ — لكن بعد التوسعات التي أضيفت لها جاوزت ١٩,٣٣١ دونم.

السكان :

بدأ العرب يتدفقون على المدينة منذ إنشائها، وقد كان العرب قبل حرب فلسطين ١٩٤٨ يمثلون أكثر من ٨٨% من سكانها — كما كانت بها عدة مؤسسات عربية منها أكثر من ٢٠٠ مدرسة لمراحل تعليمية متعددة و٤٩ مكتبة عامة، وأنشئ في عام ١٩٣٨ متحف للآثار الإسلامية، وقبل حرب فلسطين ١٩٤٨ كان بها نشاط ضخم فقد كانت بها شركات صناعية، وبنوك، وغير ذلك من المرافق الحيوية[3]

لكن كثير من هذه المرافق أصابه الدمار والتخريب من آثار حرب ١٩٤٨ وما بعدها .

المراحل الهامة في تاريخ القدس :

شهدت المدينة المقدسة عدة تطورات على مر التاريخ منها :-

١- الهجرات العربية :

منذ نهاية العصر الجليدي الرابع حوالي ٢٥,٠٠٠ ق.م حل جفاف كبير بالمناطق المسكونة في شبة جزيرة العرب والمناطق الأخرى القريبة من القدس .

(2) أورشليم (بسكر اللام) ياقوت : معجم البلدان ص٤٢١ .

(3) للمزيد عن الأوضاع القدس قبل عام ١٩٤٨ يرجع إلى عن قضية فلسطين — مكتبة الهيئة المصرية العليا (القاهرة١٩٥٧) ص ٢٤٠ وما بعدها .

وقد عثر بالقدس على جمجمة، موجودة حاليا بمتحف القدس، ترجع إلى هذا العصر، ودلت الأبحاث التي أجريت على هذه الجمجمة وغيرها من الآثار — على أن الإنسان الفلسطيني الذي عاش في هذه المناطق كان يعمل بتربية الحيوانات على نطاق واسع — لكنه أيضا كان قد بدأ يمارس الأعمال الزراعية بعد أن استقر بهذه المناطق.على أن الهجرات استمرت بعد ذلك من شبه جزيرة العرب، وتعددت هذه الهجرات العربية إلى القدس، وزادت أعداد العرب الذين استقروا بالمدينة المقدسة .

٢- حكم الفراعنة للقدس :

تدل رسائل تل العمارنة — التي أشرنا إليها سابقا — على أن الفراعنة مدوا نفوذهم للقدس — كان لم نستطع أن نحدد تاريخا معينا لهذه الأحداث — ولكننا نستنتج من تحاليل رسائل تل العمارنة أن مدينة أورشليم كانت خاضعة لفرعون مصر ايام امنحتب الثالث (١٤١٣ق.م) وأنها ظلت خاضعة لفرعون مصر اخناتون، ثم توت عنخ امون، ورمسيس الاول ومرنبتاح[4]

وكان الفراعنة يعينون ولاة من قبلهم لحكم فلسطين، ولما تعرضت منطقة فلسطين لهجوم الحثيين نجح الفراعنة في التصدي لهم .

٣- نزوح الإسرائيليين[5] إلى أرض فلسطين

يرجع مجئ العبرانيين إلى أرض فلسطين إلى (إبراهيم الخليل) الذي جاء إلى فلسطين مع ابن أخيه لوط ولن عاشوا غرباء وسط الكنعانيين — وفي القرن ١٧ ق.م هاجر الإسرائيليون من فلسطين إلى مصر تلبية لدعوة سيدنا يوسف وزير البلاط الملكي فاستقروا في (أرض جاسان) بمحافظة الشرقية وكان مجموعهم سبعين شخصا فقط — لكنهم بقوا في مصر ٤٠٣ عاما حتى خرجوا منها في عهد رمسيس الثاني — كما ترجع عدة مراجع وكان عددهم قد بلغ ١٠,٣٥٥ شخص .

وقد اقترن خروج بني إسرائيل من مصر باسم (موسى) الذي كان قد تربى في قصر فرعون وقد نهذب موسى بكل حكمة المصريين .

(4) المصدر السابق ص :٥١

(5) أطلقت كلمة إسرائيل على (يعقوب) أبو يوسف ثم أصبحت بعد ذلك تطلق على اسباط يعقوب الإثني عشر .

ومع ذلك فقد اختلط موسى بالعرب، و خاصة بعد زواجه من ابنه كاهن مدين يثرون الذى يرى البعض ــ خطأ ــ أنه النبى شعيب .

وقد حاول القائد اليهودي ــ يشوع بن نون خليفة موسى النبى ــ الاستيلاء على القدس ــ لكن المدينة كانت محصنة فظلت في يد الكنعانيين حتى استولى عليها داود الملك سنة ١٠٠٢ ق.م واتخذ منها عاصمة للمملكة التى أراد تكوينها .

وقام سليمان بن داود ببناء سور حول القدس لحمايتها من الأعداء الخارجيين ــ وكان الإسرائيليون يقيمون شعائرهم الدينية في خيمة تفك وتركب فأي مكان ــ فرأى سليمان الاستعاضة عنها بمبنى يبني بالحجارة، واختار مكانا على جبل في جنوب شرق القدس القديمة فبني هيكله وبجواره بنى قصره .

وقد تهدم هذا الهيكل عدة مرات آخرها سنة ٧٠م. وقد دام حكم داود وسليمان ٧٣ عاما وتميزت هذه السنوات بكثرة الحروب .

انقسام المملكة بعد سليمان :

انقسمت المملكة بعد سليمان إلى قسمين : إحداهما في الشمال ــ حيث عشرة أسباط إسرائيليين وكانت عاصمتها (السامرة) ، والثانية في الجنوب ــ أطلق عليها اسم المملكة يهوذا وضمت سبطين فقط ــ وكانت عاصمتها (أورشليم) .

وقد نجح الفرعون المصري في فتح أورشليم، وقد جاء انتصاره هذا على رسم بمعبد أمون ــ كما نجحت جيوش الأشوريين في عام ٧٢٢ ق.م في غزة المملكة الشمالية .

وهكذا كانت نهاية الدولة اليهودية ــ على أيدي المصريين والأشوريين .

٤ – القدس بين البابليين والفرس :

حاصر الملك البابلي نبوخذ نصر القدس في عام ٥٩٣ ق.م واستولى عليها ــ كما استولى على الذهب الموجود بالهيكل، كما جمع مهرة الصياغ وعاد بهم إلى العاصمة البابلية في العراق .

ويرجع التلمود بسبب الهزائم اليهود أمام البابليين إلى أنه كان نتيجة طبيعية لتفاقم شرهم وزيادة تحررهم[6] .

---

(6) The Latino : Transtuted By Piano

وذكر أن نبوخذ نصر بعد انتصاره، واستيلائه على المدينة، أحرق الهيكل بعد استيلائه على محتوياته، وأنه ترك البنيان لجنوده فعاثوا في المدينة فسادا وذبحوا الكبار والأطفال، وأقتادوا المحاربين مكبلين بالسلاسل إلى بابل .

وقد قامت ثورات متعددة في أورشليم ضد الحكم البابلي ــ لكن البابليين نجحوا في إخماد هذه الثورات واستخدموا العنف ضد الثوار اليهود وحطموا أسوار المدينة وهدموا العديد من بيوتها ــ ويذكر المؤرخون أنه بعد السبي البابلي أنهى الوجود اليهودي في فلسطين فلم يتمكنوا من استعادة كيانهم السياسي وعاشوا كمجرد طائفة دينية[7] ويذكر المؤرخ (Wells) أن اليهود في حقيقة الأمر لم يكن لهم في يوم من الأيام في فلسطين مملكة يعتد بها، وأن هيكل سليمان، برغم ما أضفته عليه الأساطير لم يكن أكثر من معبد صغير لا يمكن مقارنته بحال من الأحوال بالمعابد الضخم البابلية أو المصرية القديمة. فالقدس لم تخضع في الواقع للحكم اليهودي إلا بضع سنوات[8]

الفرس :

فتح كورش الفارسي القدس في عام ٥٣٩ ق.م وسمح لليهود بالعودة إلى القدس، فعاد عدد قليل منهم ــ وقد أمر (نحميا)، الذي عينه الفرس حاكما على المدينة المقدسة، بإعادة بناء السور الذي تهدم حول المدينة، وظلت المدينة في يد الفرس حتى هزمهم اسكندر المقدوني سنة ٣٣٤ ق.م .

ولما اقتسم قواد الإسكندر إمبراطوريته بعد وفاته دخلت فلسطين منذ عام ٣١٢ق.م تحت حكم البطالمة في مصر، وظلت كذلك نحو قرن من الزمان حتى استولى عليها انتيوخس الخامس والي سوريا سنة ١٩٨ق.م . وقد أدت ثورة اليهود عليه إلى قتاله لهم، فقتل أكثر من ٤٠,٠٠٠ منهم، وهدم جزءا من الهيكل لبناء مذبح للإله جوبيتر، وأقام بالقدس حامية يونانية كبيرة، وقد تدفق على القدس عدد كبير من اليونانيين وامتزجوا بسكانها .

وقد حكم المكابيون القدس فترة امتدت من ١٦٨ ق.م حتى ٦٣ ق.م ــ وهي فترة انتشرت فيها الفوضى. وظل الوضع كذلك حتى دخل (بومبي) المدينة في عام ٦٣ فخضعت لحكم الرومان .

٥– القدس في العهد الروماني :

---

(7) برستيد : انتصار الحضارة ــ ترجمة أحمد فخري ص ١٠١ .

(8) Wells, H, G, : ShortHistory of the World p. 85 .

فتح (بومبي) القائد الروماني فلسطين وعين على القدس والياً رومانياً، وتلى الولاة الرومان القدس، فحكمها هيرودس الكبير في عام ٣٧ ق.م وظل حاكماً عليها مدة طويلة، وفي آخر سني حكمه ولد السيد المسيح في مدينة(بيت لحم)جنوب القدس، وأعاد هيرودس بناء سور مدينة القدس المنهدم، وأقام لنفسه قصراً على قمة جبل صهيون ــ وقد كان هيرودس سفاكاً للدماء ــ فلما وصل لعلمه خبر ميلاد المسيح في مدينة بيت لحم وأنه سيكون ملكاً عظيماً، ولم يستطع التعرف عليه، أمر بقتل جميع أطفال بيت لحم من ابن سنتين فما دون، ليتمكن من قتله مع هؤلاء الأطفال (9).

وفي عهد خلفائه نقلت عاصمة فلسطين إلى مدينة (قيصرية) على البحر المتوسط.

وفي عهد (بيلاطس البنطي) بدأت خدمة المسيح ــ وكانت أورشليم القدس قد وصلت لدرجة كبيرة من التدهور، وكان اليهود بها قد وصلوا لدرجة كبيرة من الانحلال، ودب الخصام بين طوائفهم.

وقد أعلن المسيح كما جاء في الكتاب المقدس خراب أورشليم وتشتت اليهود في العالم كله جزاء ما اقترفوا من سيئات(10).

وتحقق هذا حين حاصر القائد الروماني (تيطس) القدس ودخلها أخيراً ــ وقد ذكر المؤرخ اليهودي يوسيفوس الذي حضر هذه الأحداث فقال " إن الجوع اشتد على اليهود أثناء الحصار حتى اضطر بعضهم إلى تناول الجيف وجلود البهائم، وأكلوا الفئران والكلاب والحشرات"(11) .

وقد حاول اليهود بعد ذلك أكثر من مرة ــ إعادة بناء الهيكل ــ دون جدوى.

ولما أعلن الإمبراطور قسطنطين (٢٧٤ ــ ٣٣٧م) في عام ٣١٣م المسيحية ديانة شرعية في الإمبراطورية الرومانية ــ ناصب اليهود المسيحيين العداء .

٦- القدس تحت الحكم العربي :

فتح العرب الأراضي المقدسة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وكان على رأس جيشه أبو عبيدة الجراح، وخالد بن الوليد ــ وقد فتحت المدينة أبوابها للجيش

---

(9) الكتاب المقدس متى ٢ : ٢٩ .

(10) الكتاب المقدس لوقا : ٢١ : ٢٠ .

(11) Hosephus, Wars : p . 8 .

العربي في عام ٦٣٨م ، وقرر بطريرك القدس ــ بعد حصار المدينة أن يسلمها لأحد المؤمنين شخصياً، فوافق أبو عبيدة وأوقف القتال ريثما يأتي الخليفة ــ وفتحت له المدينة أبوابها سنة ٦٣٨م دون أن يدمر أي شئ منها، وتسلم الخليفة مفاتيحها من البطريرك .

وكتب عمر للبطريرك ما عرف (بالعهدة العمرية) على رق من الجلد(12) .

وقد أعطى فيها عمر الأمان لسكان القدس لهم ولكنائسهم، وأعلن عمر نظام لإصلاح القدس، وأمر بإنشاء الدواوين للحكومية لإدارة فلسطين، ووضع نظاما قضائيا وإداريا لها، ورتب شئون البريد، وأقام للشرطة، وأسس بالمدينة داراً للإشراف على المكاييل والموازين وتنظيف الشوارع ــ وكان أول الولاة العرب على القدس (يزيد أبي سفيان) .

وفي عهد الخليفة عبد الملك بن مروان بدأ بناء مسجدي الصخرة، والمسجد الأقصى بالقدس ــ وقد تم بناء المسجد الأقصى وافتتح للصلاة في عام ٧٠٥م .

٧- الخطر الصهيوني على الأراضي المقدسة :

بعد أن تشتت اليهود في مختلف أرجاء العالم عاشوا كجماعات تشتغل بالتجارة والصياغة، وحاولوا مراراً أن يحصلوا من الدولة العثمانية على حق العودة إلى فلسطين، وقد سمح لعدد منهم بسكنى القدس بالقرب من السور الجنوبي، وأن يقيموا الصلوات عند حائط المبكى .

لكن أطماع اليهود في الأراضي المقدسة ــ أخذت تزداد وخاصة بعد المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقده (تيودور هرتزل) اليهودي النمساوي في مدينة بازل بسويسرا سنة ١٨٩٧، فقيه وضعت أسس ول حركة سياسية يهودية عرفت بالصهيونية (Zionism)، وهدفها طرد العرب من فلسطين وتجميع اليهود المشتتين في أنحاء العالم فيها .

---

(12) العهدة العمرية لا تزال محفوظة إلى الآن بالبطريركية اليونانية الأرثوذكسية بالقدس وهي مؤرخة في شهر ربيع الأول سنة ١٥هـ / ٦٣٨م ونصها ذكر في : شفولا خوري: خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية (طبعة القدس ٢٥ ص٢٥ ــ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ١ ص ٢٤٥ .

٨- القدس في الكتب المقدسة :

لا يمكن أن تكتمل صورة القدس وتاريخها دون الرجوع لما جاء عنها في الكتب المقدسة. وحين دخل السيد المسيح المدينة (مدينة القدس) لآخر مرة وأعلن نهاية ولاية اليهود عليها، وأوضح كيف أنهم اقترفوا الخطايا بحيث استحقوا العقاب الذي حل بهم والخراب الذي حل بمدينتهم، فقد جاء في الإنجيل قول السيد المسيح " يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء والمرسلين إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة أفراخها تحت جناحيها ولم تريدوا هوذا بيتكم يترك لكم خرابا "[13] . وهكذا تنبأ السيد المسيح بالخراب الذي حل بمدينة أورشليم (القدس) بعد تلك بسبعين عاما .

دحض الإدعاءات الصهيونية الخاصة بالقدس

زعم اليهود إنهم جاءوا لفلسطين باعتبار أنهم من نسل إبراهيم الخليل، ولهم قومية خاصة بهم، وأن فلسطين هي أرض الموعد، وأنهم شعب الله المختار. واستندوا على القوة الغاشمة، وتأييد الدول الكبرى لهم، لتهويد المدينة المقدسة وترويع سكانها العرب وتغيير معالم المدينة .

وسنحاول الرد على هذه المزاعم كلها :

أولاً : بخصوص أنهم من نسل إبراهيم الخليل :

الزعم بأن اليهود في فلسطين من نسل إبراهيم والاستناد على ذلك لخلق مبرر لإقامة دولة يهودية على أساس أنهم من عنصر يهودي نقي – زعم باطل، فاليهود اختلطوا بالشعوب الأخرى وتزوجوا منهم – فقد تزوج موسى النبي من امرأة كوشية (حبشية)، ومن ابنة كاهن مديان العربية، وتزوج يوسف الصديق من ابنة كاهن مصري.

كما أن اليهود أثناء الأسر البابلي – اتخذوا زوجات من الشعوب الأخرى واختلطوا بشعوب الأرض .

وقد تزوج داود من امرأة حبشية، وسليمان من ابنة فرعون مصر، وتزوجت أستير اليهودية من الملك الفارسي (أحشويرش) .

وقد سخر عالم الأجناس اليهودي هرز (Herz) من القول بأن اليهود سلالة نقية ترجع للعبرانيين(14) .

---

(13) متى ٢٣ .

(14) Herz. Friedith : Race and Civlization P. 313 .

كذلك عالم الأجناس ريبلي (Ripley) يذكر أن معظم اليهود اليوم لا يمتو لليهود الأولين بأية صلة، بل هم مزيج من عدة أجناس(15) .

والجنس من الناحية العلمية – لم يعد أساسا لمعرفة الشعوب – والمجتم اليهودي اليوم في فلسطين يعاني من التنافر، فقد جاءوا من دول مختلفة وعلى فتر متتالية، وتسود الطبقية بأعنف مظاهرها العلاقات الاجتماعية بينهم .

وهذا يؤكد حقيقة أن (اليهودية) دين وليست جنساً أو سلالة بشرية – اعتنق على مر العصور أشتات من البشر ينتمون لأجناس وسلالات مختلفة ومتعددة .

ثانياً : بخصوص إدعاء اليهود بأن فلسطين هي أرض الموعد :

في هذا الادعاء مغالطة واضحة – فلو رجعنا إلى التوراة نجد أن الله أعط لبني إسرائيل وعداً مشروطاً بمساعدتهم طالما ظلوا حافظين وصاياه – وإلا إيا وشتتهم بين شعوب العالم،وقد نفذ الله وعده – لكنهم تركوه وعبدوا الأوثان .

وقد أوردت الكتب المقدسة قائمة بشرورهم ولذا فقد رفضهم الله .

فقد جاء في الكتاب المقدس " هكذا أكسر هذا الشعب وهذه المدينة (القدس) يكسر وعاء للفخار بحيث لا يمكن جبره بعد "[16] .

فقد تنحى عنهم الله – فينكر " إنكم لستم شعبي، ولا أنا أكون لكم إلهاً " وف الكتب المقدسة إشارات صريحة " إن غضب الله قد حل عليهم إلى النهاية " .

ولذا فقد سمح الله للبابليين أن يسبوهم وسمح الله بأن يتشتتوا في العالم أج وقال لهم المسيح كما جاء في الكتاب المقدس " إن ملكوت الله ينزع منك ويعطى لأ تعطي أثماره " .

لقد كان وعد الله لهم مشروطاً فلما تحللوا منه – حل عليهم عقابه .

ثالثاً : زعم إسرائيل أنها شعب الله المختار :

لقد ضل بنو إسرائيل وتمردوا على الله وعصوا وصاياه فصاروا أعداء وجروا معهم أبنائهم وأحفادهم في تحمل مسئولية ما صنعوا ، ولذا فقد جاء القوا الإنجيل لليهود " إن ملكوت الله سينزع منكم ويعطي أمة تؤدي ثماره "[17] .

Ripley. W . Z. . : Races of Europe P.3.

(16) الكتاب المقدس : سفر أرميا ١٩: ١١ .

وهكذا قد سقط وعد الله لهم لأنهم صاروا غير أهل له ، بسبب عنادهم وتعنتهم وقساوة قلوبهم — ولذا فقد سقطت دعوى اليهود وادعاؤهم بأنهم شعب الله المختار ، وأنهم أصحاب الأرض المقدسة .

ويترتب على هذا أن تصير فلسطين لعرب فلسطين — سكانها الأصليون قبل أن يسكنها اليهود بالآف السنين .

رابعاً : زعم إسرائيل أنها ستبني الهيكل :

لقد زال الهيكل نهائياً — وقد جاء في الكتاب المقدس قول المسيح " هوذا بيتكم (أي هيكلكم) يترك لكم خراباً لن يترك فيه ... حجر على حجر لا يهدم " وقد تم ذلك حرفياً — وحتى لو نجح اليهود في وقت ما في أن يبنوا بناءاً يسمونه الهيكل فلن يكون هذا البناء هو الهيكل المقدس — فقد دنسوا الهيكل المقدس — " بيتي بيت الصلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة للصوص "(18).

خامساً : تزعم إسرائيل أنها تتبع ديانة النبي موسى :

هذا الزعم غير صحيح فاليهودية غير الموسوية — اليهودية الآن هي ديانة الذين رفضوا الرسالة السماوية ، لقد اعتقد اليهود أنهم هم وحدهم شعب الله المختار وفي ضوء ذلك آذوا كل من لم يكن يهودياً .

ولما جاءت المسيحية تنادي أن جميع الناس أخوة لا فرق بين يهودي وأممي — وقفوا منها موقف العداء، مع أن الموسوية الحقيقية لا تدعو للتفرقة بين الشعوب حسب ديانتهم .

سادساً : تزعم إسرائيل أنها تنتظر إلى المسيح الحقيقي :

لقد وقع اليهود تحت غضب الله — وكما جاء في العهد القديم : " أعطاهم الله روح سبات وعيوناً لا يبصرون بها وآذاناً لا يسمعون بها إلى هذا اليوم " .

ولقد أشار الإنجيل إلى أن المسيح حين اقترب من مدينة أورشليم بكى عليها قائلاً " لو علمت أنت أيضا في يومك هذا ما هو لسلامتك — لكن الآن قد أخفي عن عينيك — أنها ستأتي عليك أيام يحيط بك فيها أعداؤك بمترسة ، ويحاصرونك

---

(17) الكتاب المقدس — إنجيل متى ١٢ : ٣٣ .

(18) نفس الإنجيل ٢١ : ٢-٥ .

ويضيقون عليك من كل جهة ، ويهدمونك وبنيك فيك ولا يتركون فيك حجراً على حجر ، لأنك لم تعرف زمان افتقادك " .

وهذا يعني تخلي الله عن اليهود المتمردين الذين استحقوا العقاب لأجل تمردهم وعصيانهم .

خاتمـــة

أوضحت الدراسة عدة حقائق نذكر منها :

١- أن القدس سميت بأسماء مختلفة ، وقد جاء ذكرها لأول مرة في التوراة في سفر التكوين .

٢- ذكر أن سام بن نوح هو الذي بناها . وقد عمرها اليبوسيّون وبنوا سوراً حولها . وكان العرب قبل حروب فلسطين الأخيرة — يملكون أكثر من ٨٨% من مساحة المدينة .

٣- تعددت هجرات العرب القدماء من سبه الجزيرة العربية للقدس (هجرات الأموريين ، والكنعانيين بفئات) .

٤- حكم الفراعنة للقدس فترة من الزمن .

٥- نزح العبرانيون إلى أرض فلسطين أيام إبراهيم الخليل وعاشوا غرباء وسط شعبها من الكنعانيين — لكنهم هاجروا لمصر بناءاً على دعوة سيدنا يوسف الوزير في البلاط المصري يومئذ — لكنهم خرجوا من مصر بعد ما يقرب من ٤٣٠ عاما قضوها فيها ، واقترن خروجهم من مصر باسم موسى .

٦- حاول الإسرائيليون الاستيلاء على القدس مراراً — لكن لم يتم لهم ذلك إلا في عهد داود الملك سنة ١٠٠٦ ق.م .

٧- وفي عهد سليمان بن داود بني الهيكل — وقد تهدم الهيكل مراراً . وقد انقسمت مملكة إسرائيل إلى مملكة شمالية عاصمتها (السامرة) ، ومملكة يهوذا جنوبية عاصمتها (أورشليم) .

٨- كانت نهاية الدولة اليهودية على يد الأشوريين والمصريين .

٩- احتاج البابليون المنطقة واستولوا على القدس في عام ٥٩٣ ق.م ، وقد فتح الفرس القدس في عام ٥٢٦ ق.م .

١٠- دخلت فلسطين تحت حكم البطالمة فترة من الزمن .

١١- خضعت فلسطين لحكم الرومان بعد فتح بومبي لها .

بعض ادعاءات اليهود بخصوص القدس :

١- أعلنت الكتب المقدسة خراب أورشليم وتشتيت اليهود في العالم كله بسبب ما اقترفوا من سيئات .

٢- فتح العرب الأراضي المقدسة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، فأمنوا سكانها وكنائسهم وعمروا المدينة .

٣- بنى المسجد الأقصى في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان .

٤- بدأ الخطر الصهيوني على القدس بعد المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقدة (تيودور هرتزل) بسويسرا سنة ١٨٩٧ .

٥- تدحض التوراة والإنجيل والقرآن ادعاءات الصهيونية الخاصة بالقدس ،

- بخصوص أنهم جنس نقي من نسل إبراهيم الخليل ــ فهذا غير صحيح ، فالكتب المقدسة توضح أنهم اختلطوا بشعوب عديد وتزوجوا معهم ــ والمجتمع اليهودي في فلسطين يعاني من التنافر والطبقية .

- وبخصوص ادعاء اليهود أنهم شعب الله المختار وأن فلسطين أرض الموعد ؛ تشير أسفار التوراة بوضوح إلى رفض الله لهم لكثرة شرورهم وأن الله تخلى عنهم.

- وقد أشارت الكتب السماوية ، في أكثر من موضع إلى أن ملكوت الله قد نزع منهم وأعطى لأمم أخرى تعطي ثمارا طيبة .

مكتبة البحث

أولا : مصادر أصلية :

- الكتب المقدسة ــ التوراة والإنجيل والقرآن .

ثانياً : مراجع باللغة العربية أو المصرية

١- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج١ .

٢- أبن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج٤ ، ج٥ .

٣- أرنولد ، توينبي : الدعوة للإسلام (ترجمة د. حسن إبراهيم حسن) .

٤- أقلاديوس إبراهيم : أورشليم مدينة الملك العظيم (١٩٩٣) .

٥- القلقشندي : صبح الأعشى ج٤ .

٦- المقريزي : الخطط ج١ .

٧- المسعودي : التنبيه والإشراف .

٨- الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج١ .

٩- برستيد : فجر الضمير (ترجمة د.أحمد فخري) .

١٠- ديورانت ول : قصة الحضارة (ترجمة محمد بدران) ج١ .

١١- عارف باشا العارف : تاريخ القدس ج١ .

١٢- (الأب) غوريغوريوس : القدس المسيحية منذ العهد القديم (١٩٩٢) .

١٣- فيليب رفله : جغرافية الوطن العربي (د.ت) .

١٤- لبيب يعقوب : الجغرافية الاجتماعية للكتاب المقدس (١٩٤٠) .

١٥- (الأب) متى المسكين : تاريخ إسرائيل (١٩٩٧) .

١٦- محمد صبيح : المعتدون قيهود من عهد موسى إلى عهد ديان .

١٧- مراد كامل : إسرائيل في التوراة والإنجيل .

١٨- نبيل نجيب سلامة : أورشليم القدس وأهم الآثار الموجودة بها(١٩٩٤) .

١٩- نجيب ميخائيل إبراهيم (دكتور) : مصر و الشرق الأدنى القديم ج٣ .

٢٠ – ياقوت الحموي : معجم البلدان .

ثالثاً : مراجع باللغات الأجنبية :

1- Breasted: History of the Ancient Egyptians (London 1920) .

2- Gibbon : Decline and Fall of the Roman Empire Vol.I .

3- Hayter, Lewis : The Holy Places of Jerusalem .

4- Harnsworth's Universal Encyclop .

5- Josephus , Flavius : The works of filvavius Josphus (Trans. By Whiston) (Massacheusette 1987) .

6- Josephus , F .: W ars .

7- Landskut, S: Jewish communities in Moslem Countries of the middle East (1974) .

8- Marmoroseh : Old and new places in Palestine .

9- Milman : The History of the Jews Vol.I .

10- Oesterley , W.O.E. and Robinson Th : A History of Israel Vol.2 (Oxford 1982)

11- Ripley , W.Z : Races of Europe .

12- Sahurer , E. The History of the Jewish people in the Age of Jesus Christ (Trans,1973) 3 Vols .

دحض افتراءات الصهيونية الخاصة بتاريخ تأسيس مدينة القدس

د. حسنين محمد ربيع (*)

نشر اليهود الأكاذيب، وزيفوا الحقائق، وحاولوا إقناع العالم – زوراً وبهتاناً – بأنهم هم الذين أنشأوا وشيدوا مدينة القدس. وأقاموا مؤتمرات واحتفالات بمناسبة مرور ثلاثة آلاف عام على إنشائهم لها. وتهدف هذه الدراسة إلى كشف أكاذيب الصهيونية وادعاءاتها الباطلة في ضوء المصادر التاريخية والأثرية القديمة. والأدلة على ذلك كثيرة منها :

أولاً: في النصف الثاني من القرن العشرين حدث أخطر كشف أثري في سوريا، على بعد حوالي ٥٠ كم جنوب مدينة حلب مساحته حوالي ١٤٠ فدانا في حفائر تل مرديخ (إبلا القديمة). حيث عملت هناك بعثة إيطالية منذ سنة ١٩٦٤، فاكتشفت القصر الملكي وأرشيفه الذي يحوى ١٤ ألف لوحة طينية مكتوبة. وفي سنة ١٩٧٤ نشرت نتائج الحفائر، حيث تبين أن هذه النصوص مكتوبة باللغة السامية الغربية التي كان يتحدث بها أهل الشام. وقد صنفت هذه اللغة على أنها الكنعانية القديمة أو ما قبل الكنعانية. وورد في هذه النصوص ذكر مدينة إبلا، التي كانت تذكر ولا يعرف مكانها، كما وردت أسماء إسماعيل وإسرائيل وميكائيل وداود. وذكرت هذه النصوص مدناً مثل مجدو وغزة وعسقلان وأورشليم.(*)

وبما أن هذه النصوص ترجع إلى القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد، فمعنى ذلك أن هذه المدن ومنها أورشليم كانت موجودة قبل التاريخ الذي يذكره اليهود بألف عام على الأقل.

ثانياً : وجدت مجموعة من النصوص من القرن التاسع عشر قبل الميلاد، أطلق عليها علماء المصريات اسم نصوص اللعنة Execration،وترجع هذه النصوص إلى أيام الملك سنوسرت الثالث (١٨٧٨-١٨٤٣ق.م.) تقريباً.

(*) أستاذ بقسم التاريخ كلية الآداب جامعة القاهرة وعضو بمجمع اللغة العربية والمجمع العلمي المصري.

ونصوص اللعنة هذه عبارة عن دعوات كتبها الكهنة بالمداد الأحمر على قدور من الفخار، وعلى تماثيل من الصلصال، وصبوا اللعنة فيها على عدد كبير من حكام القبائل والمدن في جنوب الشام. وجرت العادة أن يجمع الكهنة هذه القدور والتماثيل الصغيرة بأسمائها الملعونة، ويتلون عليها قراءات سحرية، ثم يحطمونها في حفل خاص أملاً في أن يؤدي تحطيمها إلى تحطيم عزائم المذكورين عليها. وفي هذه النصوص- التي توجد منها مجموعتان : إحداهما في متحف برلين، والأخرى في متحف بروكسل- ورد اسم مدينة أوشاميم (أورشليم) حيث يذكر النص : "حاكم أوشاميم يافقار عامو (عليه اللعنة)".

ثالثاً : ورد في سفر التكوين أن أبا الأنبياء إبراهيم عليه السلام هاجر إلى شمال العراق، ثم نزل إلى أرض فلسطين ففي الأصحاح(١٤) الآية (١٨) " وملكي صادق ملك شاليم (تصغير أورشليم) أخرج خبزاً وخمراً، وكان كاهناً لله العلي (آية ١٩)، وباركه وقال مبارك أبرام من الله العلي مالك السموات والأرض ". فمهما كان السياق التاريخي لسيدنا إبراهيم عليه السلام حوالي القرن التاسع عشر والثامن عشر ق.م.، تكون مدينة القدس قد وجدت بالفعل منذ القرن التاسع عشر ق.م.

رابعاً : ورد اسم أورشليم في مجموعة الرسائل المكتوبة بالخط المسماري، التي كشف عنها في القرن التاسع عشر الميلادي، ويطلق عليها علماء المصريات اسم " رسائل العمارنة " وعثر على هذه الرسائل في أطلال قرية تل العمارنة على الضفة الشرقية للنيل، شمال أسيوط. ومن هذه الرسائل خطابات من "عبدو خيبا" حاكم أورشليم إلى الملك اخناتون (١٣٦٧-١٣٥٠ق.م) تقريباً؛ أي أن هذه الرسائل ترجع إلى القرن الرابع عشر ق.م. وتحتوي رسائل العمارنة على إشارات تلقي الضوء على الأحوال السياسية والاقتصادية والحربية في أورشليم. وفي إحدى هذه الرسائل يقول "عبدو خيبا" : " حقاً، هذه أرض أورشليم، لا لبي ولا لأمي أعطانيها، لكن اليد الجبارة للفرعون هي التي وهبتنيها".

خامساً : هناك إشارات في التوراة إلى أن اليهود لم تكن لهم أدنى علاقة بنشأة القدس، وأنهم كانوا يرون أنفسهم غرباء عنها؛ ففي نحو سنة ١١٥٠ ق.م. كان رجل يهودي وامرأته وغلامه مسافرين ذات يوم، فأدركهم الليل. وهنا تقول التوراة ما نصه : " وفيما هم عند القدس، والنهار قد انحدر جداً قال الغلام لسيده، تعال نميل إلى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت فيها. فقال له سيده لا نميل إلى مدينة غريبة لا أحد فيها من بني إسرائيل".

يضاف إلى ذلك أن أسفار اليهود أنفسهم تعترف صراحة بغربة فلسطين؛ ففي سفر يشوع وسفر التثنية ورد "اذكروا يا بني إسرائيل، ولا تنسوا كيف أغظتم الرب بتيهكم في البرية .. ولا تزالون تتمردون على الرب".

وخلاصة القول هنا أن ما ورد عن مدينة القدس في نصوص تل مرنيخ (إيبلا القديمة) من القرن الرابع والعشرين ق.م.، وذكر اسم أورشليم في نصوص اللعنة من القرن التاسع عشر ق.م. وفي رسائل تل العمارنة من القرن الرابع عشر ق.م.، وما ورد عنها في التوراة وأسفار اليهود يؤكد كذب ادعاءات اليهود الصهاينة بأنهم شيدوا مدينة القدس منذ ثلاثة آلاف عام.

والذي تؤكده المصادر القديمة أن مدينة القدس مدينة عربية خالصة، أنشأها العرب الكنعانيون منذ آلاف السنين، وكانوا يسمونها "أورشليم" أي "مدينة السلام". وقد وفد الكنعانيون من شبه الجزيرة العربية في الألف الرابع قبل الميلاد.

وكلمة كنعان في العربية القديمة تعني خشونة الأرض، ومن ثم صلابة أهلها وبأسهم. وتفرع عن الكنعانيين بطون عدة من عموريين ويبوسيين وآراميين وفينيقيين وغيرهم.

وعندما خرج بنو إسرائيل – ربما في عهد الملك مرنبتاح (١٢٢٤-١٢٠٤ ق.م.) من مصر قاصدين أرض فلسطين، كانت هذه قبلاً عامرة بالسكان القساميين العرب. وكانت قبيلة يبوس واحدة من هذه القبائل العربية. وقد استوطن هؤلاء اليبوسيون مدينة أورشليم إلى أن تمكن داوود عليه السلام (حوالي ١٠٠٤-٩٦٣ ق.م.) من انتزاع حصن أورشليم منهم واتخذ المدينة عاصمة لمملكته.

وورث سليمان داوود (حوالي ٩٦٣-٩٢٣ ق.م.) ووصلت مملكة يهوذا العبرية في عهده الذروة. فقد استعان سليمان بالمعماريين الفينيقيين في بناء قصر مشيد استغرق بناؤه ثلاثة عشر عاماً. كما شيد سليمان هيكلاً ليكون معبداً ملكياً ملحقاً بالقصر، استغرق بناؤه سبع سنين. وعلى الرغم من الجهد وطول الوقت اللذين بذلا في تشييد القصر والهيكل فإنه لم يبق منهما حجر واحد. وحاول بعض الباحثين المتعصبين أن يحدد موقع الهيكل في مكان الحرم القدسي الشريف دون أي دليل علمي صحيح سوى شيء من بعض الظن، وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً.

ولم تستمر مملكة سليمان طويلاً إذ انقسمت إلى مملكتين سميت الشمالية مملكة إسرائيل، وسميت الجنوبية مملكة يهوذا، واستمرت أورشليم عاصمة لمملكة يهوذا ولم يلبث فرعون مصر شاشانق أن هاجم أورشليم، ونهم كنوزها حوالي عام ٩٢٠ ق.م. أما مملكة إسرائيل فقد تلقت ضربة قاضية على يد الآشوريين حيث استولى

عليها سرجون الثاني بين عامي ٧٢٢-٧٢١ ق.م.، وسبى ٢٧,٧٢٢ شخصا نقلهم إلي ميديا، وتلاشت مملكة إسرائيل إلي الأبد.

وفي سنة ٦١٢ ق.م. انهارت الإمبراطورية الأشورية علي أيدي البابليين. وعندما تمردت أورشليم عاصمة مملكة يهوذا علي حكام بابل، استولي نبوخذنصر (نبوختنصر) علي مدينة أورشليم عام ٥٩٧ ق.م.، وأسر الملك كما أسر الآلاف من رؤساء المدينة ومن الصناع المهرة، وأرسلهم إلي المنفي في بابل (الأسر البابلي). وعندما عادت أورشليم إلي التمرد مرة أخري، عادت جيوش بابل في عام ٥٨٦ ق.م. ولفت علي الأخضر واليابس، وأحرقت الهيكل. وبعد شهر من سقوط المدينة، أرسل نبوختنصر أحد قادته إلي أورشليم ومعه تعليمات لمحوها، فجعلها قاعا صفصفا. وسبي كل القادرين علي العمل في المدينة وعددهم خمسون ألفا (السبي الثاني). وفر البعض إلي مصر، وكان من بينهم النبي أرميا. وهكذا سقطت يهوذا وأورشليم، وتم القضاء علي العهد، وأصبحت أورشليم مدينة موحشة.

القدس في المصادر النصية والأثرية الي الألف الأول قبل الميلاد

د. علاء الدين عبد المحسن شاهين(*)

تمهيد: طبوغرافية فلسطين

يعتبر سهل غزة الساحلي الجزء الجنوبي من السهل الساحلي الفلسطيني، أخ مناطق فلسطين وأكثرها إنتاجية وكثافة سكانية علي مر العصور. ويتصح السه الساحلي الفلسطيني بشكل ملحوظ كلما اتجهنا جنوبا، ولذلك فإن منطقة غزة كان مأهولة دائما. ويتراوح ارتفاع سهل غزة بين ٤٠ و٧٠ مترا عن سطح البحر ويتصف الساحل هنا بكثبانة الرملية المتحركة التي أجبرت الطريق التجاري القد علي التوغل إلي الداخل، وكانت عاملا سلبيا آخر في عدم نشأة مرافئ علي الساح الفلسطيني فيما عدا عكا استثناء.(١) ولذلك فإن المدن الرئيسية في المنطقة، بما فيه غزة، لم تقم مباشرة علي الشاطئ، ولكن نشأت علي طول الطريق التجاري القد علي بعد بضعة كيلوات نحو الشرق.

يحد الضفة الغربية من الشرق نهر الأردن والبحر الميت، ومن الشمال سه مرج ابن عامر، ومن الجنوب صحراء النقب ومن الغرب يفصلها عن إسرائيل خ هدنة غير منتظم، تم ترسيمه في معاهدات الهدنة بين الدول العربية وإسرائيل ع ١٩٤٩م، يعرف بالخط الأخضر. ويمكن تقسيم الضفة بشكل طولي إلي ثلاث مناط جغرافية متميزة، فيما يعرف بسلسلة الجبال الوسطي والمنحدرات الشرقية ، بر القدس أو صحراء يهودا، وأخيرا ما يعرف باسم غور الأردن.(٢) وتقطع فلسط سلسلة من الجبال الوسطي تمتد من أقاصي الشمال الي أقصي جنوبي الضفة، وتشت جبال نابلس والقدس والخليل. أما فيما يرتبط بالمنحدرات الشرقية، برية القدس صحراء يهودا، فتبدأ هذه المنحدرات شرقي القدس علي ارتفاع ٨٠٠م فوق سط البحر، ثم تنحدر بشدة شرقا نحو البحر الميت، حيث تصل الي أكثر من ٤٠٠م ت سطح البحر. وبعكس المرتفعات الوسطي فإن الأمطار في هذه المنطقة نادرة، وبالتا فهي شبه صحراوية جرداء بفعل عوامل التعرية، وتعرف تلك المنطقة محليا با برية القدس. ولم تقم في هذه المنطقة في الماضي أية مدن أو قري لشح المياه ولقسوة مناخها(٣).

(*) أستاذ بكلية الآثار جامعة القاهرة.

وفيما يتعلق بغور الأردن فهو سهل خصيب تبلغ مساحته حوالي ٤٠٠كم٢ ويبدأ من سفوح برية القدس ممتدا الي الأردن والبحر الميت، وتعتبر أريحا أهم مدنه.(٤)

الإطار التاريخي للقدس الي القرن الثالث قبل الميلاد:

الأهمية الدينية لمدينة القدس في الديانات السماوية :

تعتبر القدس مدينة مقدسة بالنسبة للديانات التوحيدية الثلاث: الإسلام، المسيحية، اليهودية، لاشتمالها علي المسجد الأقصي ثالث أقدس مسجد عند المسلمين وأولى القبلتين قبل الصلاة باتجاه الكعبة، وعلي كنيسة القيامة، وكانت أورشليم مدينة مقدسة لليهود منذ القرن الرابع قبل الميلاد، حسب تقديرات بعض المؤرخين، أو من القرن التاسع قبل الميلاد حسب المعتقد اليهودي الشائع. وتذكر في تاريخ اليهود والمسيحيين باعتبارها المركز الملكي والديني لمملكة يهوذا التاريخية، حيث تذكر في الكتاب المقدس، وفي مصادر أخرى مثل كتب يوسيفوس فلافيوس : أنه فيها أو بجوارها أقيم هيكل سليمان.

القدس في المصادر النصية :

تتمثل الصعوبة في تناول القدس، في المراحل التاريخية المبكرة، في ندرة المصادر النصية المؤكدة خلال الفترة المبكرة المعروفة اصطلاحا بإسم العصور البرونزية (الألف الثالث قبل الميلاد الي الألف الأول قبل الميلاد) الا فيما ندر من إشارات نصية تكاد تكون محدودة. وتغير الوضع قليلا خلال مرحلتي العصر الحديدي بدوريه الأول والثاني في النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد ومماثلي من مرحلة السيادة الاخمينية (الإيرانية) وبدايات السيادة البطلمية من بعد من القرن الثالث قبل الميلاد.

أولا: المصادر الشفهية عن القدس الي نهاية الألف الأول قبل الميلاد :

من المرجح أن أول اسم ارتبط بمدينة القدس هو (أورسالم) قبل خمسة آلاف عام. ويعني الاسم المكون من مقطعين: أور بمعني أسس وسالم أو شالمانو الاله الأموري بغرب آسيا،(٥) أو تعني: أسسها سالم؛ القالد الكنعاني الذي أمر ببنائها. وقيل أيضا أنها تعني: مدينة السلام. ثم ما لبثت تلك المدينة أن أخذت اسم يبوس نسبة إلى اليبوسيين المتفرعين من الكنعانيين، وقد بنوا قلعتها والتي تعني بالكنعانية مرتفع. وتذكر مصادر عن الملك اليبوسي (ملكي صادق) أنه هو أول من بنى يبوس أو القدس، وكان محبا للسلام، حتى أطلق عليه ملك السلام . وقد قيل أنه هو من سماها بأورسالم أي (مدينة سالم). ولكن السؤال يثار هنا حول مدي اعتبار شخصية

ملكي صادق هذا حقيقية لشخص عاش بالفعل في وقت من الأوقات، وهل منح ابراهيم بركته حقا خاصة أنه لا يوجد وجود لاسم ملكي صادق في أي سجل أثري.(٦) ولكن عدم وجود دلائل أثرية علي مدينة القدس في الألف الثالث قبل الميلاد لاينفي وجوده المطلق .

ثانيا: المصادر النصية عن القدس الي نهاية الألف الأول قبل الميلاد :

١) المصادر النصية من الحضارة المصرية :

حفظت لنا المصادر المصرية تسميات محتملة لفلسطين خلال العص البرونزي المبكر كما يلي: حريو شع (سكان الرمال)، للمونتيو، الاونتيو وه الأسماء التي ظهرت الي الأسرة الخامسة المصرية. ثم تسمية عامو بدءا من عص الأسرة السادسة ربما بصلة ربط الجغرافي مع الأموريين (٧). وجادل بعد الباحثين في الربط بين التسمية المحتملة لفلسطين في ألواح (الملك الكبي الأوجاريتية أنها تسمي مريام Mrym أو موريا، وما قد يستنبط من ذلك من ربط ب موريا وآمور أو آموريا (بلاد الأموريين)، وأن جبل (موريا) الذي تقوم عليه با الحرم القدسي الشريف في مدينة القدس مازال يحتفظ باسم فلسطين القديم: ودل ذلك علي استيطان بشري آموري مبكر في القدس. وعكست النصوص المصر علاقات مصرية لملوك الدولة القديمة وشرق حوض البحر المتوسط، من بين سنفرو وبيبي الأول وحملات موظفه "ونـي" ضد موقع شرت جحس Srt ghs أ الرنج ربما يكون متطابقا مع جبل الكرمل الحالي، وذلك ضد المجموعات الشعو المسماة عامو حريو شع C3mw hryw-sc البدو الآسيويون.(٨)

ويرد أول ذكر لتجمع بشري في موقع بالقدس في نصوص اللعنة الفرعونية Execration Texts، من القرن ال١٨ قبل الميلاد، من عصر الدولة الوسط الموازي للعصر البرونزي الوسيط ، والتي تشتمل علي أسماء العديد من الحكام بلغ ٣٠ إسما، وما يقرب من ٢٠ مدينة في سوريا وفلسطين،من بينها موقع القدس باس "أشملم" 3ws3mm كأحد تجمعات العدو الذي يجب لعنه كي لا يضر بالجيو المصرية،(٩)، أو تقرأ روشاليموم.(١٠)

وقد حفظت لنا النصوص اسم أورسالم Urshalim واثنين من أمرائها. ترجيح لأصل لغوي عموري.(١١)

وكانت تلك النصوص التي اشتراها شيفر Schaefer من مدينة الأقصر، ١٩٢٥، بلغت في مجموعها ٢٥١ كسرة فخرية، وقد نشر معظمها "كورت زيته" ال اللغوي المتخصص في اللغة المصرية.(١٢) وكانت نصوص اللعنة عبارة عن دع

كتبها الكهنة المحرة بالمداد الأحمر علي قدور صغيرة من الفخار الأحمر، وتماثيل من الصلصال، وصبوا اللعنة فيها علي أفراد من البلاط الفرعوني، ونفر من حكام النوبة، وعدد من الشيوخ الليبيين، وعدد من حكام القبائل الآمورية في جنوب بلاد الشام.(١٣)

وفي فترة الانتقال الثاني من التاريخ المصري القديم، أو ما يعرف اصطلاحا أحيانا بعصر الهكسوس، لا يبدو أي دليل أثري علي وجود نظام دفاعي للهكسوس في مدينة القدس، وهو الأمر الذي كان سينطوي علي دلالة أكيدة علي احتلال الهكسوس لمدينة القدس. كما أنه لا توجد أي دلالة علي وجود أنواع من الخزف من العصر البرونزي، بين خرائب القدس، يمكن تأريخها باطمئنان لفترة الهكسوس.(١٤)

وفي عصر الدولة الحديثة، فيما يوازي العصر البرونزي المتأخر (الحديث) في القرن السرابع عشر ق.م. تضمنت المصادر النصية المصرية ما يشير الي موقع مدينة كنعانية حصينة يرد اسمها كـ"رشلمم"، راشاليم و يورسالم، وفي رسائل تل العمارنة المكتوبة باللغة الأكادية كـ"أورسليم" Urusalim ضمن تلك المراسلات، من حاكمها تحت السيادة المصرية عبدي خيبا، الي أمنحتب الرابع (اخناتون) مستنجدا به من التقدم الحيثي ضد مناطق النفوذ المصري في الجزء الآسيوي من الامبراطورية آنذاك، وتداخلات المجموعات البشرية المسماه العابيرو / الخابيـــرو(١٥). وكان عدد الرسائل التي أرسلها حاكم القدس عبدي خيبا الي اخناتون ست رسائل تحمل الأرقام من ٢٨٩- ٢٩٤، تؤكد التحالف للمكان (أرض القدس)(*mat Urusalim*) مع مصر.(١٦)

واشتملت بعض نصوص رسائل تل العمارنة علي إشارة للمكان، وخاصة ست رسائل من تلك كتبها عبدي خيبا ملك/ حاكم أورسالم [القدس]، وفي غيرها ذكرت أوروسالم. ومن هذه الرسائل يمكن أن نستنتج أن فلسطين كانت مقسمة الي ممالك مدن صغيرة (دويلات مدن) لم يكن يوحد بينها إلا القوة التي يمارسها المصريون في البلاد (١٧). ويبدو أن المنطقة التي ملكها ملك أورسالم كانت كبيرة نسبيا، لأنها امتدت الي حدود جزر Gezer في الغرب وشكيم في الشمال. ويبدو أن المكان هنا يشير الي مدينة ملكية مشيدة علي الجبل المعروف عند الغربيين بجبل أوفل Ophel.

واشتملت بعض نصوص تلك الرسائل من عبد خيبا، حاكم القدس تحت السيادة المصرية في عصر الامبراطورية من فترة اخناتون علي ما يلي:

"ان هذه الأرض، أرض أوروسالم، لم يعطني لياها أبي و لا أمي ، ولكن ليدي الملك القوية هي التي ثبتني في دار آبائي وأجدادي، ولم أكن أميرا بل جنديا للملك وراعيا تابعا للملك.

"لقد وضع الملك اسمه علي أرض أورشليم الي الأبد حتي أنني لا أستطيع ترك أورشليم.

"انهم (أي الأعداء) الآن يحاولون الاستيلاء علي أورشليم، وإذا كانت هذه الأرض ملكا للملك،،، هل تترك أورشليم تسقط؟

وقد يكون أوفل اسما قديما يفسر علي أنه الجبل المحصن أو قلعة مدم أويكون استخدم من قبل للإشارة للقلعة اليبوسيه. كما أنه من الملاحظ أن مصد كنعان، في الوثائق المصرية تحديدا، ظهر عام ١٢٨٠ ق.م.

وارتبط بتلك الفترة من العصر البرونزي المتأخر (الحديث) خروج بني إسر من مصر، في عهد رمسيس الثاني في عام ١٢٥٠ قبل الميلاد، بقيادة موسى ع السلام عبر: قادش بارنيا، عصيون جابر، ووادي عربه. ولما وصلوا إلى مشا القدس رفضوا المحاربة مع موسى ودخولها كما هو مذكورٌ في القرآن الكريم مرا سورة البقرة، الآيه٤٩-٥٢؛ آيات ٢٤٦-٢٥٢؛ سورة المائدة ، آيه ٢٤)، ا عقابهم هو التيه في صحراء سيناء أربعين عاما.(١٨) وقد ارتبط بقصة الخر اليهودي من مصر وما تلي من عهد مرنبتاح (١٢٢٤- ١٢١٤ ق.م) تلك الإ في نصوصه الملكية ضمن ما يعرف اصطلاحا باسم لوح اسرائيل (المحفوظ ب بالمتحف المصري رقم ٥٩٩) الي كلمة اسرائيل " التي أبيدت بذرتها"(١٩) والتي تظهر من بعد في النصوص الا حوالي ٨٤٢ ق.م، ضمن نصوص لوح ميشع موآب، إحدي التقسيمات السياسية الناشئة في شرق نهر الأردن في الألف الأول الميلاد.(٢٠)

وبعد وفاة نبي الله موسي عليه السلام جاء من بعده يوشع، وقاد إسرائيل لاحتلال أريحا عام ١١٨٩ قبل الميلاد، ولكنه لم يستطع احتلال يبوس. وفاة يوشع زحفوا إليها من جديد بقيادة يهوذا واستطاعوا احتلالها، ومن ثم د يبوس في حكم داوود عام ١٠٤٩ قبل الميلاد، ومن ثم دخلت تاليا في سليمان.(٢١)

وحفظ لنا الكتاب المقدس اسمين لملكين : أدوني بازق (سيدي هو بازق أدوني صادق (سيدي هو صادق). والأخير كان ملكا علي القدس، والأول كان ذهب الي القدس ليموت فيها. وقد ظن أن الاسمين يشيران الي ملك واحد، لكن الممكن أن أدوني بازق مرتبط بمدينة بازق بين شكيم وبيسان. وكان أدوني ص ملكا علي القدس في زمن يشوع (سفر يشوع ١٠: ١-١٥). وقد نظم تحالفا خمسة ملوك لممالك المدن الصغيرة وهزمه الاسرائيليون. ويبدومن النص أن ا صادق هذا لم يفقد القدس مطلقا في تلك المناسبة.

ومن عصر الانتقال الثالث، فيما يوازي العصر الحديدي بدوريه الأول والثاني في النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد نعلم عن شاشانق – الملك المنتصر عن أصول ليبية من الأسرة الثانية والعشرين المصرية – نشاطا عسكريا له ضد القدس بعد وفاة سليمان عليه السلام، وانقسام مملكته بين ولديه يربعام ورحبعام، فيما عرف بمملكتي يهودا والسامرة، حيث خرج بجيشه حوالي ٩٢٤ ق.م ودمر أورشليم ونهم كنوز داوود وسليمان من بينها ٢٠٠ درع ، ٣٠٠ ترس من الذهب المطروق أو كما روت أسفار الغوراه (الملوك الأول ١٢: ١٦-٢٠)([٢٢])، وان لم تعكس نصوص ومناظر نقش النشاط العسكري، من وجهة النظر المصرية، مثل ذلك التدمير والنهب، وأن شاشانق أشار لحصاره لمدينة القدس فقط، ولم يعكس انتصارا عليها أو فتحا (غزوا) لها. وقد اشتمل نقش شاشانق قائمة طبوغرافية طويلة، مدونة على الجدار من معبد الكرنك، على ما يعكس الهدف الرئيسي من تلك الحملة، وأنه لم تكن يهودا والقدس، ولكن مملكة اسرائيل من جهة ونقب يهودا من جهة أخري، وانقسمت قائمة الأسماء الطبوغرافية الي ثلاث مجموعات اشتملت (الأرقام ١-٦٥) علي المدن في وسط فلسطين ومن (٦٦-١٥٠) المستوطنات البشرية في النقب، والمجموعة الثالثة والأخيرة اشتملت علي حوالي ٣٠ اسما، حفظ منها فقط خمسة أسماء ترتبط بتلك المدن في الإقليم الساحلي الجنوبي.([٢٣])

كما عاقب نيكاو /نيخاو – من الأسرة السادسة والعشرين الصاوية في بداية العصر المتأخر من الحضارة المصرية – اورشليم حيث عزل حاكمها وعين بديلا عنه: يهوياقيم ليكون تابعا له، وألزمه بدفع الجزية، مثلما حفظته لنا أيضا أسفار التوراه (سفر الملوك الثاني: ٢٣-٢٥؛ سفر الأيام الثاني ٣٦: ٣-٤)([٢٤]):

"وأسره فرعون نخو في ريبله في أرض حماه لئلا يملك في أورشليم، وغرم الأرض مئة وزنة من الفضة ووزنة من الذهب. وملك فرعون نخو الياقيم بن يوشيا عوضا عن يوشيا أبيه وغير اسمه الى يهوياقيم".

٢) المصادر النصية من حضارة بلاد الرافدين (ميزوبوتاميا) :

من المعلوم أن سرجون الثاني (٧٢١- ٧٠٥ ق.م) قام بترحيل ٢٧،٢١ ألف من الاسرائيلين الي بابل وميديا وفقا لنصوص التوراة. الملوك الثاني، وأحل محلهم آخرون كنتيجة تلقائية لانتصاره علي المكان ولإحكام سيطرته عليه (الملوك الثاني١٧-١٨)([٢٥]).

إضافة لذلك فقد حفظت لنا المصادر النصية، من بلاد الرافدين، سقوط أورشليم تحت الضغط الآشوري في عهد سنخريب الذي حاصر أورشليم عام ٧٠١ ق.م، وإن لم تسقط بين يدي جيشه آنذاك، وذلك عندما حاول حزقيا ملك يهودا (٧١٥- ٦٨٧ ق.م) إعلان الاستقلال عن النفوذ الآشوري، ولكنه اضطر لدفع الجزية (الملوك الثاني، ١٨-٢٠) وذلك في ارتباط بذلك التحالف لدويلات مدن سوريا وفلسطين حيث انضم اليها. وظهرت القدس بشكل "سليمو" أو "سالم".([٢٦]) أو "اوروسليمو Uruslimmu".([٢٧]) وقد اشتمل هذا التحالف، إضافة لحزقيا، أمراء ادوم وموآب وعمون ومصر، مما دفع سنخريب الي مهاجمة المدن الساحلية في فلسطين، وصولا للقدس التي استعصي عليه فتحها كما سلف القول، وطال حصاره لها، وما ارتبط بأحداث انتشار مرض الطاعون بين جنوده خلال هذا الحصار تردد صداه في سفر الملوك، الأصحاح ١٨ من معجزة للآلة المعبود يهوه لدي اليهود، أو الاله بتاح لدي المصريين، حينما حل ملك الموت بالجنود الآشوريين مما دفع الملك سنخريب إلي بقفل راجعا الي عاصمته نينوي.([٢٨])

وقد أوضحت المصادر النصية أيضا أن نبوخذ نصر الكلداني شن هجوما على فلسطين عام ٥٩٧ ق.م، واستولى على القدس عاصمة يهوذا. وعكست نصوص العهد القديم تلك الأحداث (الملوك الثاني: ٢٤:١-٤)؛ أرسل ضده جيشا مؤلفا من كلدانيين وسوريين وموآبيين وعمونيين، وقتل اليهودي وسبى قومه في عام ٥٩٧ ق.م، وعين نبوخذنصر صدقيـــا ملكا علي أورشليم.([٢٩])

في أيامه صعد نبوخذ نأصر ملك بابل فكان له يهوياقيم عبدا ثلاث سنين ثم عاد فتمرد عليه. فأرسل الرب عليه غزاة الكلدانيين وغزاة الأراميين وغزاة الموآبيين وغزاة بني عمون وأرسلهم على يهودا ليبيدها حسب كلام الرب الذي تكلم به عن يد عبيده الأنبياء.

وفي عام ٥٨٦ ق.م دمر نبوخذ نصر القدس ثانية، وسبي اليهود إلى أرض بابل. وانعكست تلك الأحداث في نبوءة أرميا من أن ملك مصر سوف يعود للبلاد، وأن البابليين سوف يستولون على أورشليم ويحرقونها، وأنه يجب وضع أعناق الأمة تحت نير ملك بابل بأمر الرب أيضا (أرميا١:٢٨؛ الاصحاح ٣٧: ١-٥):([٣٠]) وتحقق تنبؤ أرميا حيث دمر البابليون أورشليم عام ٥٨٥ ق.م وشاءت الأقدار أن ينسوا صديقهم حليف مدمر وأتباعه، بينما يلوذ عدوها أرميا برحابها ثم لا يحمد صنيعها، ولا يشفع لملكها أن قبل بعض اليهود مرتزقة في جيشه وانما بواصل نعيبه قائلا: هكذا قال الرب لسوف أوقع الفرعون هوفرا بين يدي أعدائه الذي يطلبون حياته (الملوك الثاني: ٢٥ : ٢٥- ٢٦؛ أرميا ٤٤: ٣).([٣١])

١) المصادر التوراتيـــة :

تسمى المدينة في الترجمة العربية للنصوص القديمة من الإنجيل والعهد القديم باسم أورشليم أو يروشليم. ويرى البعض أن اسم المدينة تعريب للاسم الكنعاني والعبري "يروشلايم" (ירושלים) (Yerushalem)([٣٢]) الذي معناه غير واضح، وقد يشير كما سلف القول في التفسيرات اللغوية للاسم إلى إله كنعاني قديم اسمه "شاليم"، أو إلى العبارة "بلد (مدينة) السلام" بالعبرية أو باللغة السريانية تقلب السين إلى شين فتصبح أورشالم. وقد ورد أول ذكر لاسم سالم (شالم) في الكتاب المقدس في سفر التكوين ١٤ : ١٨ في الموضع الذي ذكر فيه اسم ملكي صادق ملك سالم:

فخرج ملك سدوم لاستقباله بعد رجوعه من كسرة كدرلعومر والملوك الذين معه الى عمق شوى الذي هو عمق الملك.وملكي صادق ملك شاليم اخرج خبزا وخمرا . وكان كاهنا لله العلي

وليس من المؤكد أبدا أن كلمة سالم هنا هي اختصار لـــ أور سالم. وإن اعتبر الاسمان اسما واحدا لأول مرة في النصوص اللاهوتية في المزامير (٢ :٧٦):

الله معروف في يهودا اسمه عظيم في اسرائيل.

كانت في سالِيم مظلته ومسكنه في صهيون.

وعلى الرغم من أن كثيرا من العلماء يقبلون اعتبار سالم وأورسالم شيئا واحدا، إلا أنه ليس هناك برهان قطعي على ذلك.([٣٣]) وقد ورد اسم فلسطين على أنها أرض كنعان في التوراة في سفر العدد ٣٤، ٣٥، وباسم بلاد الكنعانيين في سفر الخروج ٣:٧.

وبناء على نصوص سفر الملوك الثاني فإن القدس كانت تعرف بـــ "يبوس" نسبة إلى اليبوسيين وفي روايةٍ أخرى من التوراة أيضا، جاء ما يثبت ملكية القدس لليبوسيين ويبين أنهم (أي بني إسرائيل) كانوا غرباء عنها:

"وفيما هم عند يبوس والنهار قد انحدر جدا، قال الغلام لسيده تعال نميل إلى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت فيها، فقال له سيده لا نميل إلى مدينةٍ غريبةٍ لا أحد فيها من بني إسرائيل" .وبهذا يتبين لنا أنه لا حق لليهود في فلسطين ولا في القدس بأي وجهٍ من الوجوه، بحسب كافة القوانين والشرائع السماوية منها والوضعية من قبل البشر..

ويعتقد أن اليبوسيين متفرعين من الكنعانيين والذين يشار لهم بأنهم عرب الأصول، ثم قام النبي داوود بالسيطرة على المنطقة والقدس، وذلك في عام ١٠٠٤ قبل الميلاد.([٣٤]) وقد أشار للكتاب المقدس بوضوح إلى الربط بين اليبوسيين الكنعانيين تمييزا لهم عن الكنعانيين (سفر التكوين ١٠: ١٦) الذين سكنوا المدينة في العصر البرونزي الوسيط

وتضمنت نصوص سفر القضاء ١: ٢١ مع ما قد يعكس الربط بين يبوس والقدس في الإشارة الى وضع كان يعيش فيه البنيامينيون واليبوسيون جنبا إلى جنب : "وبنو بنيامين لم يطردوا اليبوسيين سكان أورشليم فسكن اليبوسيون مع بني بنيامين في أورشليم الى هذا اليوم". وفي سفر القضاة نفسه العدد ٨ ذكر أن بني يهوذا حاربوا أورشليم وأخذوها وضربوها بحد السيف وأشعلوا المدينة بالنار. و كان العدد ٢١ يوحي بأن قبيلة بنيامين لم تتمكن من أخذ المدينة، وإنما اختلطت بالسكان الأصليين فحسب، فإن القول الوارد في العدد ٨ لا يعكس حقيقة تاريخية إن المدينة لم تسقط في يد الاسرائيليين الا عندما استولى الملك داوود عليها.([٣٥]) وحسب المكتوب في التوراة/العهد القديم كانت تسمى في ذلك الحين "يبوس" نسبة لشعب اليبوسيين الذي سكنها (مثلاً في سفر القضاة، أصحاح ١٩، ١٠). كما حفظت لنا المصادر النصية بعض المسميات الأخرى المرتبطة بالقدس مثل تسمية "مدينة يهودا" (أخبار الأيام الثاني ٢٥:٢٨)، وتردد صدى لذلك أيضا في الحوليات البابلية باعتبارها عاصمة لمملكة يهودا، وتحت اسم "المدينة" مثلما حفظته لنا نصوص رأس شمرا نخيش.([٣٦])

وفي عام ٥٣٨ ق.م فتح الفرس (الاخمينيون) بابل منهين بذلك حكم الأسرة الكلدانية في تاريخ بلاد الرافدين، وسمح قورش في مرسوم له عام ٥٣٨ لليهود في المنفى بالعودة الى أرض فلسطين وبناء الهيكل المقدس من جديد(الهيكل الثاني) في أورشليم(عزرا١١:١-٦١٣: ٣-٥):([٣٧])

"وفي السنة الأولى لكورش ملك فارس عند تمام كلام الرب بفم ارميا نبه الرب روح كورش ملك فارس فاطلق نداء في كل مملكته وبالكتابة أيضا قائلا هكذا قال قورش ملك فارس جميع ممالك الأرض دفعها لي الرب اله السماء وهو أوصاني أن أبني له بيتا في أورشليم التي في يهودا. من منكم من كل شعبه ليكن الهه معه ويصعد الى اورشليم التي في يهودا فيبنى بيت الرب اله اسرائيل هو الاله . الذي في أورشليم."

ثالثا: الاطار الأثري للقدس الي الألف الأول قبل الميلاد :

أجمعت الدراسات والحفريات الأثرية، العربية والعالمية، على أن العرب اليبوسيين هم أول من سكن القدس، ولقد أتى اليهود إلى مدينة القدس حوالي عام ١٠٠٠ قبل الميلاد أي بعد ٣٠٠٠ آلاف عام من إنشائها على يد اليبوسيين العرب ،وقد حاولوا اغتصابها منهم مرارا ولم يفلحوا في ذلك، إلى أن توصلوا بما عرف عنهم من المكر والخداع، بمساعدة بعض الخونة، إلى الطرق السرية التي تصل بين النبع خارج المدينة وبين قلبها ومن ثم احتلالها.

ومن المعلوم أن أعمال الحفر الأثري المنتظم، في نطاق مدينة القدس، تم تنفيذها بدءا من قبل مؤسسة تمويل الكشف الأثري الفلسطيني Palestine Exploration Fund فيما بين ١٨٦٤ و ١٨٦٧م من قبل وارن C. Warren، وخاصة ما ارتبط بحفر مجموعة من الآبار والأنفاق، والكشف عن أسوار المدينة القديمة والمعبد.([٢٠]) وقد فشلت جميع الحفريات التي جرت من قبل السلطات الأجنبية، سواءً أكانت الأمريكية منها أم البريطانية، من العثور على آثار إسرائيلية أصيلة في القدس بهدف إضفاء صفة الشرعية على احتلالها وتوطين اليهود فيها وتهويدها لاحقا. وقد فشلت حتى الآن في العثور على أثر واحد للهيكل المزعوم، أو ما يسمى بهيكل سليمان والذي يعتبره الإسرائيليون الدليل المادي على أحقيتهم في المدينة المقدسة. وبإطلاق لم تكشف النقوش عن اسم الملك، في الألف الثالث قبل الميلاد وما قبله، الذي ارتبط بالقدس في الوقت المبكر، ومن المؤكد أن مصدر المياه في المنطقة اجتذب دائما الصيادين وغيرهم من جامعي الغذاء في العصور المبكرة والمزارعين والرعاة، وأن مرحلة العصر البرونزي مازالت آثارها لدينا بها مشكلة، وإن لم يمنع هذا من وجود متقطع للمجموعات البشرية بالمكان من الكنعانيين أو العابرين خلال المكان، في ربط بحركة التبادل التجاري المحلي أو الدولي، من العثور أحيانا على كسرات فخارية قليلة من العصر البرونزي المبكر، وبعض كسرات الفخار القبرصي (المستورد) من العصر البرونزي الوسيط .([٢١])

العصر البرونزي المبكر ٣٢٠٠- ٢٠٠٠ ق.م :

يبدو أن العصر البرونزي المبكر يقدم لنا ثقافة أمورية/كنعانية متميزة بدأت بزراعة الحبوب والأشجار وتربية الحيوان، وانتهت ببناء المدن الكبيرة ومنها القدس. وتكونت المدن البرونزية الأولى بطابع أموري، وثقافة تغلب عليها الزراعة وتشكل التجارة هامشا. وقد عثر على آثار العصر البرونزي المبكر في الطبقة الأثرية ٢٠، بما يعني أن مدينة القدس قد بنيت مع بداية العصر البرونزي المبكر، أي قبل مجئ

الكنعانيين واليبوسيين أو بنائهم للمدينة كما هو شائع جدا، وأن القدس بالتالي على وجه الأرجح ذات هوية أمورية.

ولعل ما يلفت النظر بناءً على الحفائر ما يعكس مرحلة الانتهاء للمواقع الأثرية في نهاية العصر البرونزي المبكر في دوره الثالث، والفقدة للدور الرابع وخاصة من مقابر تل السلطان (أريحا) ربما في ربط مع تلك القبائل العمورية وما حفظته لنا نصوص "ونى" على سبيل المثال من المصادر المصرية، وعثر على أحد عشر قبر من تلك الفترة المبكرة من العصر البرونزي المبكر في دوره الرابع EBIVA-C، من خلال أعمال كاثلين كينيون، من منطقةجبل الزيتون (الطور) بالقدس، وإن لم يعثر على كسر من هذه الفترة على جبل أوفل.([٢٢])

العصر البرونزي الوسيط ٢٠٠٠- ١٥٥٠ ق.م :

عثرت كينيون سنة ١٩٦١م على مبان لا شك أنها لمدينة من العصر البرونزي الأوسط، في أسفل السفح الشرقي لجبل أوفل Ophel ([٢٣]). ومن اللافت للنظر أن كلا من أعمال كاثلين كينيون وشيلوح لم يعثربهنا على فخار يمكن تاريخه من القرن السابع عشر حتى القرن الخامس عشر ق.م.([٢٤])

وعثرت كنيون عام ١٩٦١م على آثار تعود للعصر البرونزي الوسيط في القدس أسفل الجبل الشرقي لجبل أوفل: (الطبقات ١٧، ١٨، ١٩)، وأن التوسع الشرقي للمدينة جعل نبع جيحون (نفق وارن Warren) داخل حدود مدينة القدس على العكس مما سبق، حيث كان السكان يضطرون إلى الذهاب خارج السور لجلب المياه وكان يحيط بالقدس الكنعانية سور من الطين والحجر يبلغ سمكه حوالي المترين وأمامه خندق بعرض أحد عشر مترا([٢٥]). ورجح تأريخا لهذا السور من قبل كينيون في ١٨٠٠ ق.م. وكانت عين روجل المعروفة أيضا باسم بئر أيوب المصدر المائي الثاني لسكان القدس خلال تلك الفترة الزمنية.

العصر البرونزي المتأخر (الحديث) ١٥٥٠-١٢٠٠ ق.م :

تعتمد دراستنا لفهم تاريخ فلسطين عموما، وتاريخ القدس خصوصا، في فترة العصر البرونزي المتأخر، من خلال المصادر النصية والأثرية المرتبطة بتأثير الإمبراطورية المصرية التي اشتملت على فلسطين في قطاعها الآسيوي، ولعل رسائل تل العمارنة – السالف الإشارة لها- ما يعكس ولاء بعض حكام قدس تحت السيادة المصرية لحاكم مصر آنذاك : امنحتب الثالث ومن بعده ابنه أمنحت

الرابع (اخناتون)، والتي أشارت إلى القدس باسم راشاليم و يوروساليم.([٤٢]) وكانت القدس مثلها في ذلك شكيم وجزر ولخيش وحاصور، متضمنة في نصوص المراسلات الملكية المعروفة اصطلاحا باسم رسائل تل العمارنة، واذا كانت الدلائل الباقية أثريا غير كافية من القدس، فإنها وفيرة من مواقع المدن الأخري ، وتعكس مدي الثراء الاقتصادي لها في القرن الرابع عشر قبل الميلاد.([٤٣])

العصر الحديدي بدوريه الأول والثاني :

سيطر الملك داود علي مدينة القدس نحو ١٠٠٠ ق.م. بعد أن احتلها من اليبوسيين (سفر صموئيل الثاني، أصحاح ٥: ٦-٨)، وجعل منها عاصمة لمملكته،([٤٤]) وذلك من خلال نجاحه في دخول المدينة عبر نفق المياه ([٤٥]):

> وأخذ داود حصن صهيون-هي مدينة داود. وقال داود في ذلك اليوم كل الذي يضرب اليبوسيين ويبلغ الى القناة..... وأقام داود في الحصن وسماه مدينة داود. وبني داود مستديرا من القلعة فداخلا"

وجاء من بعده نبي الله سليمان عليه السلام حيث شيد بها هيكله الشهير (سفر الملوك الأول، أصحاح ٩-١٠) وبدأ امتداد الحائط الشرقي عند حافة قمة الهضبة حيث عثر على الدلائل عما عرف بذلك النمط المعماري المشيد به الجدران Casemate Wall، وأصبحت تسمى بالمدينة المقدسة في عام ٩٧٥ ق.م (شكلي رقمي١- ٢).([٤٦]) وكانت تلك الفترة التي حكم فيها داود وسليمان عليهما السلام الفترة التي كانت فيها الدولة موحدة فقط في فلسطين والمرجح لها الفترة ما بين ١٠٠٥- ٩٢٦ ق.م.([٤٧])

وبعد وفاة سليمان عام ٩٧٠ ق.م انقسمت المملكة إلى قسمين شمالي وجنوبي، وذلك بعد تمرد الأسباط العبرية الشمالية بسبط يهوذا الجنوبي الذي كان بيت داود ينتمي إليه. سمي القسم الجنوبي بـ"مملكة يهوذا في الجنوب وعاصمتها القدس، بقيادة رحبعام بن سليمان.([٤٨]) وسمي القسم الشمالي بمملكة إسرائيل في الشمال أو "مملكة إفرايم" (نسبة إلى أكبر سبط فيها) وعاصمتها كانت يبوس، كما ذكرنا مسبقا، مدينة ذات حضارة وعمران، اقتبسها العبرانيون من أصحابها الأصليين اليبوسيين. وبقيت الدولتان في حالة من الفوضى والنزاع إلى أن جاء نبوخذ نصر عام ٥٨٧ ق. م وقضى على كلا الدولتين ونفى العبرانيين إلى بابل.([٤٩])

وكان إنشاء المعبد الكبير في أورشليم وإعادة تحصين أسوار مدينة القدس وتشييد القصر الملكي مقر الحكم، أشهر ما قام به سليمان من أعمال عامة. وضم هذا العمل الفخم عناصر فنية كنعانية فينيقية وغير فينيقية، وكذلك من مصر وبلاد الرافدين (الملوك الأول ٩: ١٥؛ ٢٤).([٥٠]) وبإطلاق، فيما يتعلق بالفن المعماري الديني، نجد أن ما تورده التوراة من وصف مفصل لمعبد سليمان يفوض نقص المعلومات الأثرية، حيث تضمن أن باب المعبد يحف به من الجانبين عمودان من النحاس ويؤدي لقاعة أمامية تؤدي بدورها الى القاعة الوسطي مربعة الشكل تشتمل علي مذبح البخور والمائدة التي عليها "خبز الوجه". ومن هذه القاعة يؤدي مدخل مغطي بالستائر الى قدس الأقداس، بهيئة غرفة مظلمة تحوي تابوت العهد وفي القناء الذي يقع أمام المعبد مذبح المحرقة والرحضة النحاسية الكبيرة (شكل رقم٣).([٥١])

ومن نهاية القرن الثامن ق.م ينتمي نقش منحوت نحتا جميلا في الصخر عند مدخل نفق سلوام، الذي قطعه حزقيا في التل تحت مدينة القدس القديمة ، والذي عثر عليه عام ١٨٨٠م وهو مدون بالخط العبري الكلاسيكي الأنيق، ويصف إتمام العمل في النفق بنجاح (أخبار الأيام الثاني ٣٠: ٣٢؛ الملوك الثاني ٢٠: ٢٠).([٥٢])

> "وحزقيا هذا سد مخرج مياه جيحون الأعلي وأجراها تحت الأرض الي الجهة الغربية من مدينة داود. وأفلح حزقيا في عمله".

وبالنظر الي ما سبق تناوله من مصادر نصية متعددة، وبعض الدلائل الأثرية يمكن القول بأن القدس مدينة وموقعا وارتباطا بشريا تالا لها، لا يرتبط بصفة مؤكدة بتاريخ ما عرف تاليا في العصر الحديدي بحضارة مملكة اسرائيل خلال حضار العصور البرونزية بأدوارها الثلاث الرئيسية : المبكر والوسيط والمتأخر، وأن الربط السياسي للمكان وعصر المملكة المتحدة لإسرائيل لم يبدأ الا مع فترة داوود عليه السلام، مع بداية العصر الحديدي عندما اتخذ منها عاصمة سياسية لمملكته الناشئة وأن المكان ضمن الإطار السياسي لمرحلة ما بعد عصر المملكة المتحدة، وانقسامها الى مملكتي يهوذا والسامرة (اسرائيل)، عانى الكثير من النشاط الحربي العدائي ضده سواء من مصر الفرعونية برغم الضعف العسكري والسياسي لها أو من خلال القوة الناشئة الجديدة علي المسرح السياسي الدولي آنذاك، فيما عرف بالآشوريين والكلدانيين، ودورها في تدمير القدس ذاتها وتخريب ما عرف اصطلاحا بهيكل الرب/المعبد المقدس الذي احتوى عقائديا بداخله علي تابوت العهد.

بعد ذلك، ظهر المكابيون واستولوا على القدس عام ٥٦٣ قبل الميلاد، وهم أيضاً من العبرانيين، ولكنهم إختلفوا فيما بينهم أيضاً وقام بينهم القائد الروماني يوجي واحتل القدس منهم في نفس العام وقضى عليهم وعلى الوجود اليهودي في القدس تماما ... وفي عام ٥٣٨ قبل الميلاد، احتل الفرس القدس وكانت تسمى حينها أورسالم واستطاع اليهود العودة إليها بعد أن إستطاعت فتاتية اليهودية الحسناء إستر عشيقة ملك بابل من استخراج قرار يسمح لليهود بالعودة إلى بيت المقدس، وظلت اورسالم تابعةً للفرس ويسكنها اليهود حتى أحتلها الإسكندر المقدوني عام ٣٣٢ قبل الميلاد . ثم دخلت هيروسليما في حوزة الرومان على يد بومبي عام ٦٣ قبل الميلاد، ومن حكامهم كان هيرودست الذي ولد المسيح عليه السلام في آخر حكمه، وصلب شبيهه في عهد بيلاطس بونيتوس، ويقال أنه أكره على صلب المسيح كما يعتقدون ولا نعتقد على يد اليهود، ومن ثم جاء القائد تيطس عام ٧٠ للميلاد وحاصر القدس طويلاً حتى سقطت في يده، فأسر من اليهود من أسر وقتل منهم من قتل، وبيع بقيتهم في سوق فرقيق..ومنذ ذلك الوقت إنقطعت صلة اليهود ببيت المقدس وحكمها الرومان حتى عام ٦٣٧ للميلاد حين فُتحت القدس على يد المسلمين وسُلمت المدينة إلى عمر بن الخطاب دون أن تسفك قطرة دم.

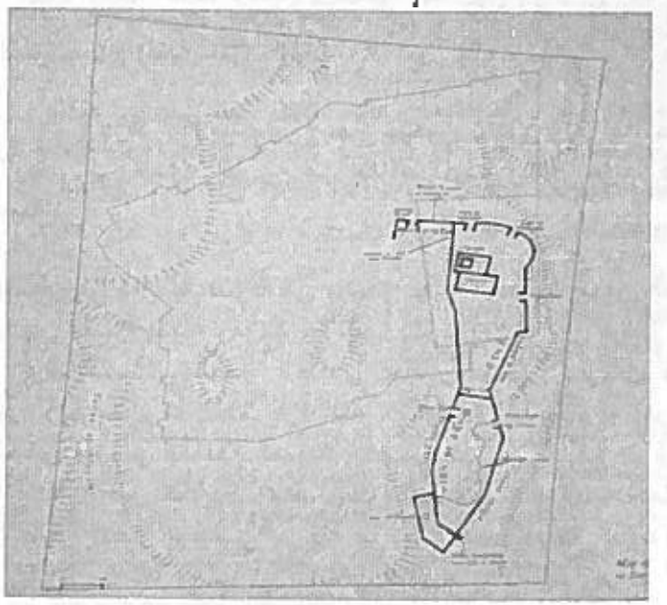

شكل رقم (١) : تخطيط القدس القديمة

هوامش البحث

- Aharoni, Y. The Land of the Bible: A Historical Geography. A Revised and Enlarged Edition, The Westminister Press, Philadelphia, 1979, p. 17; p. 21.
- Hayes, J.H. Introduction to the Bible. The Westminster Press, Philadelphia, 1971, pp.35-41
- Oxford Bible Atlas, 3rd Edition. Edited by H.G.May, Oxford University Press, 1984, p. 48.
- Oxford Bible Atlas, p. 48.
- Archaeological Encyclopedia of the Holy Land . Edited by A. Negev. The Jerusalem Publishing House, 1972, p. 166.

٦ فراتكن، هـ .ي. القدس في العصر البرونزي ٣٠٠٠- ١٠٠٠ق.م، القدس التاريخ ، ترجمة وتحرير كامل جميل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية ، عم البحث العلمي، ١٩٩٢م، ص ٢١-٢٢.

٧ - شاهين (علاء الدين)، التاريخ السياسي والحضاري لمصر الفرعونية ، الطبعة الأو مزيدة ومنقحة،القاهرة٢٠٠٦م، ص ص ٥٤: ٥٨ - ٦١.

٨ - شاهين (علاء الدين)، المرجع السابق، ص ٦١.

- Archaeological Encyclopedia of the Holy Land, p. 105; p. 166.
- Mazar, B."Jerusalem in the Biblical Period," Encyclopedia of Archaeological Excavations in the Holy Land. wol. II, Edited by M. Avi-Yonah, Ptintice- Hall, Inc., 1976, p.580

١١ - فراتكن ، هـ. المرجع السابق، ص ٢٦؛ موسكاتي (سبيو)، الحضارات السامية ترجمة د. السيد يعقوب، سلسلة الألف كتاب الثاني رقم ٣٠٧، الهيئة المصرية العا للكتاب، القاهرة ، ١٩٧٧، ص ص ٩٣؛ ص ص ٩٧؛ أوليرايت (وليم). آ فلسطين ، ترجمة د.زكي اسكندر ود. محمد عبد القادرمحمد ومراجعة د. سـ ماهر، المجلس الأعلي للشئون الاسلامية، الكتاب الحادي عشر، ١٣٩١هـ ١٩٧١م، ص ٨٥ .

١٢ - موسكاتي (سبيو)، الحضارات السامية ، ترجمة د. السيد يعقوب، سلسلة الألف كـ الثاني ، رقم ٣٠٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م، ص ١٩٣ ص ٧ أوليرايت (وليم)، آثار فلسطين، ترجمة د. زكي اسكندر ود. محمد عبد القا ومراجعة د. سعاد ماهر، المجلس الأعلي للشئون الإسلامية، الكتاب الحادي عشـ ١٣٩١هـ / ١٩٧١م، ص ٨٥.

١٣ - Posner, G. Princes et Pays d□sie et du Nubie, 1940

١٤ - فراتكن، هـ. المرجع السابق، ص ٣٢.

15 – Redford, D. B. Akhenaten, the Heretic King, Princeton University Press,1984, p.199; Weinstain,J.M.The Egyptian Empire in Palestine: a Reassessment. 'BASOR 241 (Winter 1981), pp. 15- 16; Mazar,B. Op. cit., p. 580.

16 – Archaeological Encyclopedia of the Holy Land, p. 166; Mazar, B. Op. cit., p. 585 .

17 –فرانكن، هـ. المرجع السابق، ص ٢٨؛ موسكاتي (سبيو)، المرجع السابق، ص ١٩٨؛ Oxford Bible Atlas, p. 55 .

18– Oxford Bible Atlas, p. 56; p. 58.

19 – Steindorff, G. and K.C.Seele, When Egypt Ruled the East, The University of Chicago Press, 1957, p.252 .

20 – شاهين (علاء الدين)،دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (٣٣): حضارات الشرق الأدنى القديم، ملامح من حضارات بلاد الشام، بلاد الرافدين والخليج العربي، الطبعة الثانية ، القاهرة ٢٠١٠م، ص ١٦٠ شكل رقم ١٤.

21 – موسكاتي (سبيو)، المرجع السابق، ص ١١٢؛ Oxford Bible Atlas, p. 64.

22 – صالح (عبد العزيز)، الشرق الأدنى القديم، مصر والعراق، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٦٧،ص٣٦١؛ Aharoni, Y. Op.cit., p. 323

2323 – Aharoni, Y. Op .cit., pp. 323-325

24 –صالح (عبد العزيز)، المرجع السابق، ص ٢٧٧؛ شاهين (علاء الدين)، التاريخ السياسي والحضاري لمصر الفرعونية، الطبعة الأولى مزيدة ومنقحة، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ١٦٦.

25 – Oxford Bible Atlas, p. 70

26 –موسكاتي (سبيو)، المرجع السابق، ص ١١٨؛ Rhymer, J. Atlas of the Biblical World. Greenwich House, New York, 1982, p.59; p. 73; Oxford Bible Atlas, p. 28.

27 – Mazar, B. Op. cit., p. 580

28 – أبو بكر (عبد المنعم)، " العراق القديم، تاريخه وحضارته"، حضارة مصر والشرق القديم تأليف إبراهيم رزقانه وآخرون، مكتبة مصر، د.ت، ص ٢٣٢.

29 – صالح (عبد العزيز)، المرجع السابق، ص ٢٧٧.

30 – Rhymer, J. Op. cit.,p. 109؛ صالح (عبد العزيز)، المرجع السابق، ص ٢٧٩؛ موسكاتي (سبيو)، المرجع السابق، ص ١١٨.

31 – صالح (عبد العزيز)، المرجع السابق، ٢٧٩.

32 – Mazar, B. Op. cit., p. 580.

33 – فرانكن ، هـ. المرجع السابق، ص ٢٦-٢٧.

34 – موسكاتي (سبيو)، المرجع السابق، ص ١١٥.

35 – فرانكن، هـ. المرجع السابق، ص ٣٣؛ Mazar, B. Op. cit., p. 580

36 – Mazar, B. Op. cit., p. 580; p. 583

موسكاتي (سبيو)، المرجع السابق، ص ١١٩ ص ١٢٥؛ Rhymer, J. Op. cit., p. 118 ؛Oxford Bible Atlas, pp. 30- 31; Archaeological Encyclopedia of the Holy Land, p. 168.

من المعلوم ايضا أن الرومان بقيادة مطتيوس تمروا القدس عام ٧٠م ثم ا: بنائها في عهد الإمبراطور هادريان وأطلق عليها اسم ايليا كابيتولينا عام ١٣٥ أحرقها الفرس العام ٦١٤م وأشترك اليهود في تدميرها مع الفرس وقتلوا مايزيد : ٩٠٠٠٠ من أهلها.

– Kenyon, K. "History of Excavation" ,Encyclopedia of Archaeological Excavations in the Holy Land, Vol. II, Edited by M. Avi-Yonah, Prentic-Hall, Inc. 1967,p. 591.

– Mazar, B. Op. cit., p. 583

40 – فرانكن،هـ. المرجع السابق، ص ٣٦.

– فرانكن ، هـ. المرجع السابق، ص ٣٦؛ Kenyon,K.M. Archaeology in the Holy Land, 4th Edition, London, 1979,p. 102.

– Kenyon, K Archaeology in the Holy Land., p. 188.

– Mazar, B. Op. cit., p. 583

– Kenyon, K. Op.cit..pl192.

– Kenyon, K. Op. cit., p.195; Mazar, B. Op. cit., p. 585.

– Mazar, B. Op. cit., p. 580; pl.588.

– Oxford Bible Atlas,p.80; Hayes, J. H. Op. cit., p. 109

– Oxford Bible Atlas, p. 80 and plan on p. 81; Hayes, J. Op. cit., pp . 119- 120.

موسكاتي (سبيو)، المرجع السابق، ص ١١٥– ١١٧.

– Rhymer, J.O. Op. cit., p. 80; Oxford Bible Atlas, p. 16.

– Rhymer, J. Op. cit., p. 80.

Rhymer, J. Op. cit., p. 80

52 – موسكاتي(سبيو)،المرجع السابق، ص ١١٦؛محمود (حسن أحمد)، " الشام القدماء"، حضارة مصر والشرق القديم، مكتبة مصر، د.ت، ص ٣٦٩؛ yes, J.

Op. cit., pp. 119-120; figure of the temple on page 120;Archaeological Encyclopedia of the Holy Land, p. 167 and plan on page 168; Mazar, B. Op. cit., p.588.

53 - موسكاتي (سبيو)، المرجع السابق، ص ١١٥؛ Rhymer, J. Op.cit., p. 59; p.73;Hayes,J.H. Op.cit., p. 1121; Oxford Bible Atlas.p.64.

54 - أولبرايت (وليم)، المرجع السابق، ص ١٢٣؛ Aharoni, Y. Op. cit., p. 387; Hayes, J. Op. cit., pp. 184- 85

القـدس في الوثائق المصرية القديمة

(دراسة تاريخية تعكس الأهمية المكانية والروحية في الألف الأول قبل الميلاد.

د. علي أحمد محمد الشريف (*)

مقدمـــــة

تفسر "القدس" لفظياً، أنها المدينة التي من صنع الإله، وهذا ينطبـق عل
المدن الدينية القديمة في الشرق الأدني، مثل : البـدوس bDw [1] و"منـف" nfr
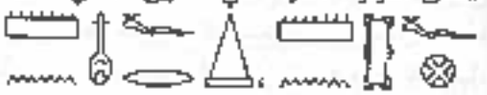
[2] في مصر الفرعونية، و"آكد" في بـ
العراق القديم[3]، و"مكة" أو "بكة" في المملكة العربية السعودية[4] ؛ و"القدس" في فلسـ
وربما أسس " رشاليموم" الإله السوري القديم "شالم " [5].

ويقصد باللفظة "مقدس " مرتبط بتجربـة عميقـة أعـادت تـشكيل حيا
أوبشخص يمثل لنا اهمية خاصة؛ وبذلك ربما تمثل القدس (أورشليموم)، حقل القر

[6] للأديان الثلاثة (اليهودية، المـسيحية، الإسـ
ومن هنا تأتي الأهمية الروحية لموقع مدينة القدس، أهـم مـدن فلـسطين المحـ
وأقدسها؛ والتي تفسر جغرافياً بأنها منطقة مرتفعات من الصعب استيطانها، كما أنـ
تقع على مسار الطرق التجارية القديمة، باستثناء وادى بزرعيل الخصيب، والنقب،
تمام المصريين القدماء بإنشاء محطات تجارية فيها.وتستدل من الكتابـات التاريخ
على أن القدس كانت قرية فلسطينية صغيرة، وزءا من أرض سوريا القديمـة ، ا
كانت تحت السيطرة المصرية ؛ في غرب آسيا، منذ عصر الدولة الحديثة. وقـد تم
على قائمة تحتمس الثالث في الكرنك (رقم ٦٤) اسم بلاد فلسطين "رتنو" [7].

(*) أستاذ مساعد بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر.

rwtnw

ثم ورد اسم واحد غير معروف في فلسطين تحت هذا النقش [٨]

rwtn

وعندما يتعامل المؤرخ مع موضوع القدس الشريف، اومدينة أورشليموم او أرض الميعاد، ويجد انه امام تسميات عديدة لهذه البقعة الطاهرة من فلسطين ؛ كما أنه لا يستطيع أن يغفل المصادر الأصلية التي تناولت هذا الموضوع ،وأولها القرآن الكريم: كتاب أحكمت آياته، لايأتيه الباطل ابدا، وهو شريعة المسلمين. وثان هذه المصادر اللاهوتية: التوراة التي اعتمدت كثير من الدراسات في هذا الموضوع عليها، وهي شريعة المؤمنين بها .

وتجدر الإشارة إلى أن البحث التاريخي، في العالم الغربي وأمريكا ، يقع تحت تأثير المرويات التوراتية ينهل منها، ومن هنا كانت الفجوة الكبيرة في عدم تفهم وجهة نظر الطرف الآخر. ومن أمثلة ذلك ما ذكره "توماس.م. بولن"[٩]:أن القصص التوراتية حول تأسيس القدس كتبت في العصر الهلينى؛ بغرض تدعيم وجهة نظر ثلة من اليهود لمكانة اورشليموم؛ ومن ثم استخدمت وصف أورشاليم القديمة في الدعاية السياسية ، مركزة على فكر المنفي والحنين، كعملية مماهاة بين دولة إسرائيل المزعومة واليهودية العالمية"[١٠].ويتساءل الباحث: هل كلمة القدس لفظة معنوية أم اسم مكان؟ الواقع ذكرت القدس في قول الحق :

" ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده الرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون ."[١١]ويتضح من سياق الآية الكريمة أن القدس لفظة معنوية من- سمات "الله"-. ولكن عندما يصير اللفظ المعنوي مقترنا باسم مكان فيعني ذلك قمة القدسية لهذا المكان ، ويصبح المكان، طبقا لعقيدة سكان الشرق الأدنى القديم، من صنع الآلهة.

ويناقش الباحث موضوع القدس في محاور ثلاث:

- التأسيس للمكان والتسميات في الكتب السماوية.
- السكان الذين عمروا الأرض لأول مرة، ثم صراع الإمبراطوريات القديمة حول القدس الشريف.
- الصراع بين الفلسطينيين واتباع موسى على القدس وأسبابه.

أولا: التأسيس للمكان والتسميات في الوثائق القديمة:

١-الموقع:

هضبة القدس والجليل، جزء من السلسلة الجبلية الوسطى في أرض فلسط وتمتد هذه المرتفعات الجبلية ما بين مرج ابن عامر شمالا، ومنطقة بئر السبع جنو وتقدر مساحتها، بما فيها جبل الكرمل، بنحو ٥٢٩ كيلومترا [١٠]، كذلك تمتد هذه الهض من منتصف المسافة بين نابلس والقدس (قرية بيتين) شمالا إلى وادي بير الس جنوبا، بطول قدره نحو ٩٠ كيلومترا. وتنحصر الهضبة ما بين وادي الأردن الأد والبحر الميت شرقا، والسهل الساحلي الجنوبي غربا، وبتراوح عرضها ما بين ٢٠ ـ ٥٠ كيلومترا، بما فيها الهضبة المطلة على البحر الميت ومنحدراتها الغربية المش على السهل الساحلي.

وتتألف الهضبة من صخور كلسية أساساً، وتستخرج من هذه الصخور بعـ الأنواع الجيدة من حجر البناء، وبخاصة في منطقة القدس. وقد تعرضت الهضـ بمرور الزمن، إلى إذابة بعض التكوينات الكلسية، بفعل مياه الامطار ومسيول الأو الجافة، فتقطعت إلى مجموعات من التلال والسلاسل الجبلية التي تفصل بينها الخوا وتكونت الكهوف والأشكال الأرضية الوعرة .

وتمثل الجبال أعلاها مستديرة فوق هضبة واسعة، تعرضت إلى الارتـ والالتواء على شكل قوسين جبليين محدبين؛ يعرف أحدهما بقوس الخليل – بيت ل ويعرف الثاني بقوس القدس – رام الله ، وتفصل بين القوسين عقبة منخفضة نسبيـ منطقة القدس. كما تعرضت الهضبة إلى التصدع في أطرافها، وبخاصة في المنحـ الشرقية التي تهبط في مستويات سلمية على شكل جروف وعرة شديدة الانحدار ن على البحر الميت.

أما المنحدرات الغربية فإنها تهبط نحو السهل الساحلي ببطء، وتنتهي على أش فتقدم للتلال المتوغلة في السهل الساحلي، والمتقطعة من جراء الأودية الع والفصلية، كوادي علي (باب الواد) ، ووادي الصرار، ووادي الخليل، أما الأو المنحدرة شرقا فأهمها وادي العوجا، ووادي القلط المنتهيان في نهر الأردن ، و قنار ووادي الزويرة، المنتهيان في البحر الميت.

وأرتفاعات جبال القدس كالتالي: تل العاصور (١٠١٦م) وجبل النبي ص (٨٨٥م) وجبل المشارف (٨١٩م) وجبل الطور أو جبل الزيتون (٨٢٦م) و المكبر (٧٩٥ م)، وأهم جبال الخليل جبل خلة بطرخ (١٠٢٠م) وجبل حل (١٠١٣م) وجبل سعير (١٠١٨م) وجبل بني نعيم (٩٥١م) وجبل دورا (٨' وتنتهي المنطقة الجبلية على بعد نحو ٢٤ كيلومترا جنوبي الخليل، وذلك بالقرب قرية الظاهرية، حيث تبدأ هضبة الصحراء الفلسطينية.[١١]

ومن العرض الجغرافي السابق يتضح أن مدينة القدس تأسست في منطقة جبلية، كما سبقت الإشارة، ويفصلها عن البحر الميت مسافة ١٨ ميلا شرقاً، ويقع البحر المتوسط غرب القدس، والمسافة بينهما تقدر بحوالي ٣٢ ميلا، على مكان غير بعيد من جبل "الطور" المطل على قرية "سلوان" إلى الجنوب الشرقي من الحرم الشريف و المسجد الأقصى (خريطة ١) و يبلغ محيط سور القدس القديمة ميلين و نصف للميل، و طوله من الشمال ٣٩٣٠ قدما، ومن الشرق ٢٧٥٤ قدما، من الجنوب ٣٢٤٥ قدما، والجدار الغربي ٢٠٨٦ قدما. وأما ارتفاعه فيتراوح ما بين ٣٨ قدما و ٤٠ قدما. وعلى مرور العصور هجر هذا الموقع، لتقوم القدس على تلال تقع إلى الشمال من الموقع الأول، بين بابي الساهرة وحطة، وبين مرتفع ساحة الحرم الشريف في الشرق (جبل موريا)، و مرتفع صهيون في الجنوب الغربي، وهي المرتفعات التي تقع داخل السور فيما يعرف اليوم بالقدس القديمة.

٣-التسميات في الوثائق القديمة:

وردت لفظة القدس في لغات الشرق الأدنى القديم تحت مسميات كثيرة كالتالي:

*أورشليم أو أورسالم : والتسمية مؤلفة من أور "و تعني بالبابلية" مدينة، "سالم" هو إله السلام عند الكنعانيين. وربما تعني التسمية المدينة التي أسسها سالم. وورد الاسم في نصوص اللعن المصرية، التي تؤرخ بنهاية عصر الدولة الوسطى، ضمن أسماء البلدان والمدن والحكام من أعداء مصر،(وكانت العادة هي كتابة أسماء الأعداء على الأواني الفخارية ثم تحطيمها في أحد طقوس السحر التأثيري، أي الذي يرمي إلى التسبب في سقوط الأتباع العصاة)، وثبت أن تاريخ تلك الأواني يرجع إلى فترة حكم الفرعون "سنوسرت الثالث (١٨٧٨-١٨٤٢) ق.م"، وكانت كلها أسماءا تسع عشرة مدينة كنعانية من بينها اورسالم.[١٣]

وعندما اداروها قبيلة يبوس الكنعانية، في نهاية الألف الثانية قبل الميلاد، حملت نفس الأسم "يبوس". وبلغة التوراة (سفر العلوك الثاني) فإن القدس كانت تعرف بنفس الاسم عند اليبوسيين، وهم فرع من الكنعانيين العرب ،وقد بناها مؤسسها "ملكي صادق"، الذي عاصره إبراهيم أبو الأنبياء، ثم قام النبي داوود بالسيطرة على المنطقة بما فيها القدس، وذلك في عام ١٠٠٤ ق.م.

وفي هذه الفترة أخذ اسم"يبوس [١٤] و"اليبوسيين" يظهر في الكتابات الهيروغليفية، ويبدو أن اليبوسيين قد تلوا الأموريين في سكني المدينة، خلال النصف

الأول من الألف الثاني ق.م، وأطلق على القدس اسم "يبوس" وهو الاسم الثاني لمدينة القدس بعد أورشاليم .

كما وورد الاسم على ألواح تل العمارنة، ضمن الرسائل التي بعث بها "عبد خيبا" – ملك أوروسالم في القرن الرابع عشر ق.م – إلى فرعون مصر"أمنحتب الرابع "اخناتون"، يشكو فيها من الخطر الذي تتعرض له مدينته من جراء هجمات ما يعرف بالعبيرو.[١٥]

كما أن "سليمو أو سالم" ذكرت في سجلات "سنحاريب" ملك أشور، في عد المدن التي تدفع له الجزية[١٦]. وقد ظل اسم أورشليم شائعاً منذ ذلك العهد إلى يومنا هذ ومنه جاء الاسم الإفرنجي "جيروزاليم" .

*هيروسليما : بعد دخول الإسكندر بلاد الشام، أطلق اليونان على القدس هذ الاسم، و منه أخذت الأمم الأوروبية "جيروسليم" Jerusalem" وتذكر بعض الآث معرفتها باسم "انطيوخت- أورشليم" نسبة للملك أنطيوخوس الرابع(١٧٥-١٦٤) ق حيث تأضرقت المدينة تماماً.[١٧]

*إيليا كابتيولينا : ومعناها في الرومانية بيت الله المقدس، أطلقه الإمبراطور الروماني هادريان (٧٩-١٢٨م)على القدس، التي اصبحت مستعمرة رومانية، بعد علي اليهود دخولها، بسبب خيانتهم وتمردهم. واستمرت هذه التسمية إلى أن حررها العرب المسلمون في القرن السابع الميلادي [١٨].

وإذا كان اليونانيون سموها – هروسوليما- فإن "هيرودوتس أطلق عليها "قاديتس"، كما سمعها من سكانها العرب المعاصرين له، ولم يذكر في تاريخه المشو اسم [أورشليم]، ولكنه ذكر مدينة كبيرة في فلسطين وسماها (قاديتس) مرتين، ف الجزء بين الثاني والثالث من تاريخه[١٩].

ويستطرد الاستاذ الدكتور حسن ظاظا ليقول: [ويقول المستشرق اليهو الفرنسي (اسانومون مونك في كتابه فلسطين: إنّ هذا الاسم على الأرجح هو الق ....) وحتى لليهود في الكتاب المقدس قد أطلقوا عليها أحياناً اسم "مدينة القدس" وجبل القدس [٢٠].

ونود أن نؤكد على عروبة القدس منذ بناها اليبوسيون العرب وشهد شاهد أهل العجم، حيث تضيف الدكتورة "كنيون" فتقول في بعض الكلام عن حفرياتها ف القدس (١٩٦١-١٩٦٧م) "لا أثر لأية أبنية يمكن أن يقال إنها بقية مما سمي مدين داود". وتضيف أيضا "إن الأدلة الأثرية والأدبية التي توفرت لدينا، إلى الآن، تشير إ

أن داود استولى على المدينة اليبوسية ثم اتخذها عاصمة له، و لكنه لم يضف إليها شيئا، بل اكتفى بأن يجبي الضرائب، تاركا الإدارة لليبوسيين[٢٢].

ويؤكد يوسف النتشة، خبير الآثار الفلسطيني: أن جميع الحفريات الإسرائيلية في القدس، وحول المسجد الأقصى، لم تصل إلى أي دليل على وجود الهيكل الذي دمره الرومان عام ٧٠ ميلادية . ويشرح أسباب فشل الإسرائيليين في العثور على الهيكل فيقول: إن الثابت تاريخيا أن منطقة المسجد الأقصى، عندما دخل العرب مدينة القدس عام ٦٣٧ قبل الميلاد. ، كانت منطقة خراب و ركام، بدليل أن الخليفة عمر بن الخطاب قام بتنظيفها[٢٣].

وتذكر الأمريكية، وف أوليرايت[٢٤]، في مصنفه عن آثارية فلسطين: أن الحفريات التي يرجع تاريخها إلى عشرة آلاف عام مضت، تنطبق عليها المواصفات الدقيقة للهيكل العظمي وشكل الجمجمة المميزين للقبائل الحامية والسامية، فيما أصبح من الثابت الآن أن منطقة شبه الجزيرة العربية كانت المخزن البشري الذي انطلقت منه الهجرات المتعاقبة باتجاه الشمال ، وتحديدا إلى المنطقة التي تعرف بالهلال الخصيب .

وعن موجات الانتقال البشري اللاحقة لموجات ٢٣٠٠ قبل الميلاد، يقول مؤرخون أوروبيون محدثون، مثل جيمز منتجمري: إن قبائل المديانيين، والعمالقة، وبني قديم، التي ورد ذكرها بالتوراة ، قد هاجرت إلى فلسطين في القرن الحادي عشر قبل الميلاد، وأنهم كانوا عربا؛ ويذهب بعض الباحثين العرب، مثل جواد علي، في كتابه : " تاريخ العرب قبل الإسلام "، إلى أن العماليق، تحديدا، كانوا من الطبقة الأولى من طبقات العرب، وأنهم سكنوا فلسطين الوسطى والجنوبية، وطور سينين، قبل هجرة العبرانيين إلى فلسطين[٢٥].

وبالإضافة إلى ذلك، فإن الأنباط الذين زاحموا الأدوميين، في الأراضي الواقعة بين جنوبي كنعان من البحر الميت إلى الخليج الشرقي للبحر الأحمر، كانوا عربا هاجروا أصلا في حوالي عام ٥٠٠ قبل الميلاد، من أواسط شبه الجزيرة العربية ، و استوطنوا المنطقة الواقعة بين الشام وبلاد العرب، وتمتد من نهر الفرات إلى البحر الأحمر[٢٦]وهكذا نجد أن موجات الانتقال البشري، في عموم تلك المنطقة في العصور القديمة، كانت موجات عربية، وان هذه الحركة البشرية العربية تؤكد الطابع العربي للمدن التي نشأت في تلك المناطق. وهذا ما تؤكده أيضا الأدوات التي عثر عليها الأثريون المنقبون، بما فيها أوتاد الطهي والسهام، والتي تشير جميعها إلى الأصول العربية للحياة والبشر في هذه المنطقة . ولهذا نجد الأستاذ / آب – توماس ، من جامعة بانجور في ويلز، يقول أن مدينة القدس وما حولها كانت مأهولة منذ التاريخ الموغل في القدم، وأن الشواهد تدل على أن العموريين ، وهم اليبوسيون أجداد العرب، هم الذي قطنوها في العصر البرونزي. وتأسيسا على ذلك، يكون التواجد العربي في مدينة القدس و ما حولها أسبق بألفين أو ثلاثة آلاف عام من ظهور العبرانيين فيها

.. وعلى ذلك أيضا يتبين أن دخول العرب سلميا، إلى مدينة القدس في عام الميلادي لم يكن بالقطع أول ظهور عربي في المدينة، لأن العرب كانوا هم بناة الم وأهلوها، ومحصنوها.. وأهل القدس، عندما طالبهم عمر بن الخطاب ، كانوا ي ينطقون باللغة العربية، أي أن عروبة المدينة كانت قائمة راسخة قبل الدخول الـ العمري بأمد طويل. وإضافة إلى ما تقدم، فان الأثريين وجدوا آثارا تؤكد عروبة ا مثل: عين أم الدرج – عين أم العذراء – أسفل شمالي شرق المدينة. والبئر التي ا اليبوسيون للوصول إلى نبع الماء، كما عثروا على أجزاء كبيرة من الأس والاستحكامات اليبوسية القديمة[٢٧] .

كما ورد بالوثائق المنقوشة ذكر القدس باسمها القديم (أورشليم) في نص مصرية فرعونية ترجع إلى الأسرة الثانية عشرة (١٩٩١ قبل الميلاد.)، ومن النصوص ما يؤكد أن القدس كانت عاصمة لمملكة تحت إمرة حاكم عربي، إما كنعا عموري، وله صلة بالفرعون إخناتون (أمنحوتب الرابع) ووالده (أمنحوتب الثال وهذه النقوش بالخط المسماري ومدونة باللغة الآرامية، عثر عليها في تل العمارنة ١٨٨٧ ، وبلغ عددها ثلاثمئة لوحة[٢٨].

وفيما يتعلق بالأدلة اللغوية؛ فإن اسم (أورشليم) ليس عبريا ولا مشتقا من عبري . فأصل التسمية كنعانية (أور سالم) والتي تعني الموقع المقدس (معبد ا سالم) أي أن "سالم" رب كنعاني يبوسي قديم[٢٩].

أي أن اسم القدس هو اسم عربي كنعاني قديم، منذ الألف الثاني قبل الم على أقل تقدير. وإذا كان نشوء القدس في القرن السابع الميلادي، كما تشير إلى مرغريت شتاينر، وأن هيرودوت وثقها في القرن الخامس، فهذا لا يقف دليلا انتفاء تسميتها بالقدس منذ تأسيسها.

بعد هذا التقديم، وهذا النقد لقراءة بعض النقوش الهامة من الناحية الم واللغوية والأثرية، وبيان زيفها وتضليلها؛ فإن هذا البحث يعتبر لبنة في الما الشائعة: أن التاريخ القديم كتب حسب الفكر التوراتي والفكر الإغريقي.

ثانيا-الشعوب التي أثرت في تاريخ القدس:

١-استيطان الفلسطينيين في القدس.

ومع بداية عصر الإمبراطورية المصرية (١٥٥٠) ق.م. تقريبا – حيث القضاء على الهكسوس وطردهم من مصر، ودخول فلسطين تحت سيطرة الم المصري، ثم القضاء على هجمات شعوب البحر – سمح الفرعون المصري رمس الثالث باستيطان مجموعات مهاجرة من مناطق مختلفة، أبرزها التي جاءت من

آسيا ومن جزر بحر إيجه (كريت وغيرها) ولذن لها أن تستقر في الجزء الجنوبي من فلسطين، وورد في النقوش الآشورية اسمها "ب ل س ت". ومنها جاءت تسميتهم "فلسطيون" عندما زيدت النون إلى اسمهم (ربما على اعتبار الجمع). وقد أقام الفلسطيون خمس ممالك هي: مدن غزة، وأشدود، وجت، وعقرون، وعسقلان، وهي مدن المرجح أنها كنعانية قديمة، غير أنهم وسعوها ونظموها، ثم أنشأوا مدينتين جديدتين هما: اللد وصفلغ، واستولوا على بقية الساحل حتى جبل الكرمل، كما استولوا على مرج ابن عامر. وسرعان ما اندمج الفلسطيون بالكنعانيين واستعملوا لغتهم وعبدوا آلهتهم الآسيوية (داجون وبعل وعشتار)[٢٠].

٢-العبريون[٢١]

نستمد مصادر معلوماتنا عن تاريخ العبريين، من الإشارات العابرة في كتابات الأقوام الذين احتكوا بهم، وكذلك من أسفار التوراة الخمسة (العهد القديم).

وتذكر لنا ثلاث حقائق أساسية:

أ- يذكر سفر التكوين هجرة إبراهيم أبي الأنبياء من "أور" الـ Ur السومارية بـبلاد العراق ووصوله إلى حران في سوريا، ثم فلسطين، ويوافق ذلك تحركات الهكسوس في شرق البحر المتوسط في القرن الثامن عشر قبل الميلاد[٢٢].

ب- إقامة العبريين (أتباع النبي موسى) في مصر، وخروجهم معه عليه السلام على يد فرعون مصر، ويوافق ذلك هجرة الآريين سنة ١٤٠٠ قبل الميلاد[٢٣].

ت- الرحلة من مصر إلى جنوب شرق فلسطين، في أواخر سنة ١٣٠٠ قبل الميلاد، بعد جولة ليست بالقصيرة في شبه جزيرة سيناء، وخلالها كلم موسى ربه، وعرف الأجداد إلههم "يهوه" الذي جدد العهد بينه وبين ذرية إبراهيم وأعلن الشريعة[٢٤].

وتشير بعض الآراء إلى أن العبريين نزحوا من شبه الجزيرة العربية إلى سوريا، عن طريق كنعان، في نفس الوقت الذي وصل فيه الآريون إلى سوريا، وبينما تركز الأموريون في الشمال والمنطقة الداخلية لسوريا، والكنعانيون و الفينيقيين على الساحل، نجد العبرانيين في الجنوب، لذلك تأثروا بالثقافة الكنعانية العربية، واتخذوا اللغة الكنعانية بدلا من لغتهم، وفي نظر المؤرخين هم ورثة الكنعانيين[٢٥].

ويذكر التاريخ أن "يعقوب" (ابن اسحق) حفيد سيدنا إبراهيم، قد عاش عدة سنوات في مدائن آرام، ثم انتقل إلى مصر (ويتفق ذلك مع الهجرة الثانية السابق الإشارة إليها)، وعندما استقر الأمر لإبن إسحاق غير اسمه إلى إسرائيل، كما غير أخوه "عيسو" اسمه إلى "أدوم" وورثته هم الأدوميون. ومن أبناء يعقوب كان سيدنا يوسف الذي وصل إلى مكانة مرموقة في مصر، ويحتمل أن الذي قرب يوسف إليه كان أحد ملوك الهكسوس، باعتباره من أصل سوري مثله، وربما يتفق ذلك مع الهجرة الثانية أيضاً[٢٦]. والجدير بالإشارة هروب موسى من مصر بعد ان قتل مصرياً، وخشي على نفسه من فرعون وبطشه، وفي خلالها تزوج سيدنا موسى من إبنة كاهن مدين شمال

شرقي سيناء، وكان يدين بالوحدانية ويعبد "يهوه" أحد آلهة العرب الشماليين، وربما تأثر موسى أثناء إقامته في مدين بعقيدة صهره، وعندما رجع إلى مصر ودعا فرعون للإيمان وعبادة الله، طرد شرطردة، ومعه اتباعه من نسل يعقوب، وهذه كانت هجرتهم الأخيرة.وربما يبدأ التاريخ الحقيقي لبني إسرائيل منذ ذلك الوقت ، يعرف تاريخ هذه الهجرة ، ثم مكث اليهود جنوب شرق الأردن استعداداً لدخول فلسطين، حيث مات موسى هناك، وترك فتحها لخليفته "يشوع". وتصور الرواية تقلقل العبريين في فلسطين وتجمعهم حول منطقة البحر الميت، وربما حدث ذلك بعد أن طردهم فرعون مصر وكان عددهم يتراوح مابين ٦٠٠٠ و ٧٠٠٠ فرد، مروا بدويلات صغيرة لم يهاجموها في جنوب وشمال وشرق البحر الميت، ولكنهم حاربوا إمارة "سيحون" الأمورية في شرق الأردن وانتصروا عليهم، كما انتصروا على "باشان" وكان ملكها "عوج بن عنق ووصفته التوراة بأنه من العمالقة، واستولوا على بعض المدن الكنعانية المحصنة في فلسطين، ولحرقوها وقتلوا أهلها حتى الأطفال، واستعصت عليهم بعض المدن مثل "جزر" و"أورشليم"، ونبيت شأن" ولم تسقط في أيديهم إلا بعد سنة ١٠٠٠ ق.م[٢٧].

ويرى البعض أن أول ذكر لإسرائيل على الآثار المصرية جاء على لوح مرنبتاح" ابن رمسيس الثاني، ويؤرخ بحوالي ١٢١٣ق.م[٢٨]. ويحتفظ به المتحف المصري بالقاهرة. وفي السطر السابع والعشرون منه يفتخر مرنبتاح بأنه فتح بعض المدن الفلسطينية وأهلك إسرائيل،(وهناك تشكيك في حقيقة هذا الاسم المنقوش على النص المذكور) وتتساءل هل يقصد بإسرائيل الأسباط أو القبائل الإثني عشر، الذين ذكرهم القرآن الكريم أم هم جماعة أقدم تسمي إسرائيل ثم أطلق هذا الاسم لمناسبة تاريخية مجهولة على إسرائيل التي نعرفها ولا توجد إجابة قاطعة في هذا الأمر.

والواقع ترى أنفسنا أمام اكثر من تاريخ لظهور بني اسرائيل ، والتاريخ الأول للتسمية، إسرائيل عندما غير يعقوب بن اسحق حفيد ابراهيم اسمه إلى اسرائيل.

والتاريخ الثاني، ربما يواكب طردهم من مصر مع زعيمهم موسى ونص مرنبتاح يذكر اسم اسرائيل (ولكن شك في هذه التسمية التي ظهرت على نص مرنبتاح بعض علماء اللغة المصرية القديمة).

والتاريخ الثالث لظهور التسمية إسرائيل، كان في عهد يربعام بن سليمان .

وإذا جاز لنا التعبير، فإن ظهور هذه التسمية كان في عهد يربعام بن سليمان حيث اتفق الأسباط العشرة على هذه التسمية في مقابل السبطين الآخرين المنشقين واللذين أطلقا على أنفسهم يهودا. وقد ظلت الخلافات بين إسرائيل ويهودا حتي انهيار الإمارتين من الوجود. وليس من المعقول ثانياً أن تكون التسمية إسرائيل أطلقها على نفسه يعقوب لأن حتي هذا الوقت لم تحدد الأسباط الاثنا عشر اتباع موسى عليه السلام

ويظهر من الدلائل التاريخية المقارنة أن موسى عليه السلام قاد بني إسرائيل باتجاه الأرض المقدسة في النصف الأخير من القرن ١٣ ق.م أي أواخر العصر

البرونزي المتأخر، الذي شهد هو وبداية العصر الحديدي بداية الدخول اليهودي إلى فلسطين، ثم قيام مملكة داود وسليمان عليهما السلام (١٠٠٤ – ٩٢٣) ق.م التي انقسمت إلى مملكة إسرائيل (٩٢٣ – ٧٢٢) ق.م ومملكة يهودا(٩٢٣ – ٥٨٦) ق.م والتي حكمت كل منها جزءا محدودا من أرض فلسطين. ومنذ ٧٣٠ ق.م دخلت فلسطين بشكل عام تحت النفوذ الآشوري القادم من العراق حتى ٦٤٥ ق.م ثم ورثهم البابليون في النفوذ حتى ٥٣٩ ق.م، وكان الآشوريون والبابليون يتداولون النفوذ على فلسطين مع مصر. ثم إن الفرس غزوا فلسطين وحكموها(٥٣٩ – ٣٣٢)ق.م. ثم دخلت فلسطين في العصر الهيلينستي اليوناني حيث حكمها البطالمة حتى ١٩٨ ق.م وورثهم السلوقيون حتى ٦٤ق.م عندما جاء الرومان وسيطروا على فلسطين، وبعد انقسام الإمبراطورية الرومانية ظلت فلسطين تتبع الإمبراطورية الرومانية الشرقية "دولة الروم" وعاصمتها القسطنطينية حتى جاء الفتح الإسلامي وأعطاها صبغتها العربية الإسلامية سنة ٦٣٦م[٣٩].

الصراع بين الفلسطينيين والعبريين:

وتروي الأساطير العبرانية عن حروب "شمشون الجبار"(أشهر القضاة عند العبريين) ضد الفلسطينيين، الذين كونوا اتحادا، من مدنهم الخمس بزعامة "أشدود" وهم أشد أعداء العبرانيين. ويشار إليهم باعتبارهم فرع من شعوب البحر التي جاءت من منطقة بحر إيجه أواخر سنة ١٣٠٠ ق.م. ووصلوا إلى سواحل سوريا الجنوبية واستقروا بها ومن اسمهم "بلست" إشتق اسم فلسطين كما سبقت الإشارة وهم الذين حاربهم رمسيس الثالث عندما حاولوا دخول مصر وهزمهم.) وفي حوالي ١٠٠٠ق.م. حاربوا العبرانيين، وانتصروا عليهم وأخذوا منهم تابوت العهد[٤٠] ونقلوه إلى عاصمتهم "أشدود" ورغب العبرانيون في ملك عليهم شأن جيرانهم وصرحوا بذلك إلى زعيمهم الديني "صموايل" فاختار لهم "شاؤول" وكان ممتاً ضعيفا وفي عهده تسلط الفلسطينيين على مدينة بيت شان وهزموا العبرانيون وقتلوا ثلاثة من أبناء شاؤول كما أصيب هو بجراح خطيرة فانتحر[٤١]. وجاء من بعده "داوود" الذي حمل درع شاؤول ويعد المؤسس الحقيقي لمملكة العبرانيين، وبدأ حكمه تحت سيادة الفلسطينيين ولكن تخلص من سلطانهم ووسع مملكته على حسابهم فأخضع مدينة "أدوم" كما اختار حصن أورشليم ليكون عاصمة له وكتب الأدب العبري في عهده، ثم ورث إبنه "سليمان " العرش وكان ملك مستبد واتبع العبرانيون نفس عادته وفي عهده أجمعت الأساطير والقصص على إعلاء شأنه، ولقد بنى هيكله الشهير (معبد ملكي ملحق بالقصر) وتم بنائه في سبع سنوات وأصبح مركز عام للعبرانيين وتجمعت القبائل العبرية حول الهيكل في "شيلون" (خربة سيلون) في منطقة قبيلة "أفرايم" ، ونقل إلى هيكلها "تابوت العهد"، ولا تعلم أسباب إختيارها كمركز ديني للقبائل العبرية، وبقي هذا التابوت إلى أن وقع في يد الفلسطينيين الذين هدموا المدينة والهيكل معا في سنة ١٠٠٠ق.م. تقريبا[٤٢]. وتوحي

بعض الوثائق التاريخية بأن فلسطين في تلك الآونة كانت تحت السيادة المصرية، وق تزوج سليمان من ابنة الفرعون المصري (ربما بسوسنس الثاني آخر ملوك الأس الحادية والعشرين)، وعندما استولى الفرعون على حصن جزر الكنعاني أعطاها مه لإبنته زوجة سليمان.[٤٣] وبعد وفاة سليمان اجتمع الأسباط الإثني عشر لتنصيب ابن رحبعام" ملكا عليهم، ولكن لم يخفف عنهم عبء الضرائب كما طلبوا فلم تعترف ب عشرة قبائل وانتخب "يربعام" بدلا منه وعرفت مملكة يربعام بمملكة إسرائيل (وه تاريخ آخر لذكر ظهور التسمية إسرائيل). أما القبيلتين الأخيرتين فكونت يزعام "رحبعام" مملكة يهودا وظل النزاع سجلا بين المملكتين إسرائيل ويهودا وتم الأم بانهيارهما[٤٤].

صراع الإمبراطوريات القديمة حول القدس:

ومع مطلع القرن التاسع ق.م.، شهدت منطقة الشرق الأدنى القديم تغيير جوهرية في جغرافيتها السياسية، نتيجة عدة عوامل منها تحرك القبائل في الصحد السورية كالسوتيين والأحلامو ثم إتحاد القبائل الآرامية، وكذلك سقوط الدولة الحيثي والذي ولد فراغا سياسيا كبيرا في منطقة الإقليم السوري القديم نتج عنه تكو مجموعة كبيرة من الممالك والإمارات الصغيرة. ومن العوامل التي ولدت هذا الفر السياسي أيضا انهيار المركزية في مصر والذي ترتب عليه تقلص الإمبراطورية المصرية وقيام جماعات من العبرانيين جاءت من صحراء سيناء مستغلين حالة الفو في المنطقة السورية واحتلوا مساحة كبيرة على جانبي نهر الأردن. ويمكن تتبع اله العبرانيين لهذه البلاد المعروفة ببلاد كنعان من أخبار الكتاب المقدس، كذلك شهد بدا القرن التاسع قبل الميلاد ازدهار إمارات آرامية سكنت السواحل اللبنانية حتى جب زاجروس، كما شاركت شعوب البلست (الفلسطينيين) العبرانيين في تغيير الخريط السياسية والسكن في أرض كنعان[٤٥]. ومن لوحة "سنجرلي" وهي أهم ما تبقى ف نصوص "أسرحدون" الآشوري عثر عليها في عام ١٨٨٨ م في قلعة "سنجرلي" ع "قرقميش" شمال شرق حلب على نهر الفرات في سوريا[٤٦] واللوحة حاليا موجودة ف متحف "برلين" بألمانيا أن "أسرحدون" عبر سوريا ماراً بنفس الطريق الصحر الوعر حيث وصل إلى منطقة "أبكو" أو "أبكا") كما ذكرتها التوراة، وهي تقع في أر "منسا" حاكم "يهوذا"[٤٧].

وفي عصر "شلمنصر الثالث" (٨٥٨–٨٢٤ق.م.)، والذي شكل خطراً كبي على دولتي اسرائيل ويهوذا عقب عبوره نهر الفرات وغزو الشاطئ السوري[٤٨]. و سجل هذا الملك الآشوري أخبار انتصاراته على تحالف في هيئة المسلة السوداء أ "قرقر" (غرب مدينة حماة السورية على نهر الأورانت)، وقد جاء في تصريحاته أ أرغم إثنا عشر ملكا سوريا على دفع الجزية، كما قتل منهم وأخضعها لآشور[٤٩]. و

من بيتهم "أحاب" ملك اسرائيل. وفي عصر تيراري الثالث" ٧٣٨ق.م. أرغم "يواحاز" Joachaz علي دفع الجزية للآشوريين.

ومنذ عصر الإمبراطورية الآشورية الثانية، نجد أن "تيجلات بيليسر الثالث" (٧٤٥ق.م.) بدأ الآشوريون يمارسون سياسة جديدة تجاه زعماء بني اسرائيل، فقتل منهم المعارضون لسياسته مثل "ميتنتي" أمير "عسقلون"[٥]، بينما تمكن "هنو" أمير غزة من الفرار إلي مصر ورضي بعض حكام يهوذا أو بني اسرائيل بالجزية، بينما مال البعض من بني إسرائيل إلي سياسة المداهنة مثل "هوشع" Osee الذي عينه "تيجلات بيليسر الثالث" علي السامرة[٦].

وقد أوردت المراجع عدم تحمل هوشع الممارسات الآشورية، لذلك انتهز موت "تيجلات بيليسر الثالث" وامتنع عن دفع الجزية إلي "شلمناصر الخامس" ملك آشور، الذي حاصر السامرة عاصمة بني اسرائيل ثلاث سنوات ثم سقطت في عصر خليفته "سرجون الثاني" الملقب بالملك الصادق Sharru-Kin (٧٢١-٧٠٥ق.م.)، والذي يذكر في حولياته أن حاصر السامرة وسبي أهلها ويقدر عددهم بـ ٢٧٢٩٠ وسيطر منهم علي مركباتهم وعددها ٥٠ مركبة[٧].

ويشهد التاريخ بفضل مصر علي الإمارات السورية جميعاً، فاهتم الفرعون المصري بتعليم وتربية أمرائهم في قصره، فقد لاذ هؤلاء الأمراء اللجوء إلي فرعون مصر وقت الشدة-خوفاً من فتك آشور بهم- ولذلك نري الأمير "هدد" ثم "يربعام" هربا إلي مصر وقد سبقهم إليها في الهروب الأمير "هنو" أمير غزة، كذلك استنجد هوشع أمير السامرة بفرعون مصر[٨].

وقد استغرق الآشوريون عشر سنوات حتي أزالوا دولة اسرائيل من الوجود في عام ٧١٠ق.م[٩].

حصار أورشليم:

ومن الشجرة السرجونية جاء الملك "سنخريب" ثم "اسرحدون" و"آشور بانيبال". ومهما يكن من أمر، فقد تولي سنخريب الحكم خلفاً لأبيه (٧٠٤-٦٨١) ق.م.، وفي عهده ثارت مدن سوريا وفلسطين ضد الآشوريين، وأرسلت مصر جيشاً لمساعدة الثوار في هذه المنطقة، وكانت من بينها مملكة "يهوذا" في عهد الملك "حزقيا" فبادر سنخريب وضرب الثوار ونصب حكاما جدد محلهم وضيق الخناق علي مملكة يهوذا بشكل خاص حيث حاصر "أورشليم" بقيادة كبير قواده "الرابشاقة" (معناه كبير السقاة)[١٠]، وقد رفض حزقيا بتحريض من النبي "أشعيا" الإستسلام والخضوع للآشوريين، إلا أن الآشوريون فكوا الحصار وارتدوا عن أورشليم، ويعلل ذلك لأمرين؛ الأمر الأول تذكره التوراة بسبب الوباء الذي حل بالجيش الآشوري، والأمر الثاني قد يرجع إلي رفع الجيش الآشوري حصاره عن أورشليم مقابل الجزية. ونجد أن سنخريب يورد في حولياته أنه رفع الحصار عن أورشليم مقابل الجزية المكونة من فضة وذهب ونساء (من بينهم بنات

الملك)، وقد سجل هذا الحدث في حوليات سنخريب[١١]. و ترجع التوراة أن فشل الحملة بسبب التدخل الالهي[١٢]، بينما يروي هيرودوت أن حشودا من الجرذ قضمت الجلود والحبال في سلاح الجيش الآشوري[١٣].

الهوامـــــش

١ – لبيدوس من المراكز الدينية الهامة في مصر، لقن فيها الإله أوزير وهي عاصمة الإقليم الثامن من مصر العليا، تقع على حافة الصحراء الغربية قرب البلينا محافظة سوهاج حالياً،أنظر: Gauthier,H., Dic.,Geo.,I,P.4. كذلك: أدولف ارمان، ديانة مصر القديمة، ترجمة ومراجعة، عبد المنعم أبو بكر ومحمد أنور شكري، القاهرة، ١٩٥٢، ص ٣٠٢. وأيضاً: حسن محمد محي الدين السعدي، حكام الأقاليم في مصر الفرعونية، (دراسة في تاريخ الأقاليم حتى نهاية الدولة الوسطى)، الإسكندرية،١٩٩١، ص ٤٨.

٢– الأسم القديم لمدينة منف هو inb hD معناه "الجدار الأبيض" وقد يعني السور الأبيض أو الأسوار البيضاء وربما لهذا الاسم علاقة بعين حور البيضاء الموجودة في منف والتي كانت موضع قداسة وهي عاصمة الإقليم الأول في مصر السفلى وبها أقدم جبانة لملوك مصر.أنظر:

Gardiner.A., Egyptian grammer.(3rd.ed.) London.1973.p.122..

وكذلك، حسن محمد محي الدين السعدي، المرجع السابق، ص ١٦وما بعدها.

وأيضاً: أدولف ارمان، المرجع السابق، ص ١٠٥ وما بعدها.

٣– محمد أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلىمجئ الأسكندر، بيروت ،١٩٨١، ص ٣٥٦.

4-An introducation to:Saudi Arabian Antiquities,Department of Antiquities and Musehms, Ministry of Education-Kingdom of Saudi Arabia.1395 A.H-1975 A.D.p.37.

٥–يفسر الإسم روشليموم أن شاليم وضع الأساس حيث ساد اعتقاد في عالم الشرق الأدنى القديم أن تخطيط المدن من الأعمال الربانية، أنظر كارين أرمسترونج: القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث ، مترجم، القاهرة ٢٠٠٩م، ص ٢٨.

6- Newberry,P., EL Bersheh,II,p.4o.

7- Gauthier,H., Dic.,Geo., III,P.141. Urk., 18.Dyn.,p.783

8- Gauthier,H., Dic.,Geo., III,P.133.

٩- مصطفي كمال عبد العليم، سيد فرج راشد، اليهود في العالم القديم، دار المريخ، الرياض،٢٠٠٧، ص ٢٣٨.

١٠– سورة البقرة، آية ٨٧.

١١– هشام محمد أبو حاكمة، تاريخ فلسطين قبل الميلاد، ط١، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان،٢٠٠٥ ، ص ٥٥ وما بعدها.

١٢– هشام محمد أبو حاكمة: المرجع السابق، نفس الصفحات.

١٣– الإله سالم إله الكنعانيين العرب، أنظر:مصطفي مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، "في ربوع المقدس" (١)، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٥، ص٥٠. وكذلك: حسين شريف، ج٢ ص ٨١٦ – ٨١٨.

١٤– جاء ذكر اليبوسيين في: سفر التكوين الإصحاح الخامس عشر: ١٨، القضاة (٩: ١٠) تشير إلي ان يبوس هي (أورشاليم)، سفر التكوين ١٤–١٧–١٨.

وكذلك: سفير د. حسين شريف: فلسطين من تدمير الهيكل والشتات الأكبر إلي ظهور الصهيونية ٧٠–١٨٩٧م، ج٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: ٢٠٠٢م، ص٨١٤ ،٨١٥.

١٥– من أبناء سام بن نوح ما عرف بأسم "ارفاخصاديس" (فرفا كشاد في التوراة) وعرفوا القوم الذين حكمهم الأرفاخصاديس وهم الكنعانيون العرب ويذكر يوسيفوس اليهودي "ارفاخصاديس" بن سام هو جد "عابر" ومن اسمه حمل اليهود لقب العبريون. (التكوين ١٠ :٢١)، وكذلك: Thackey ,T.S.H. s.Josephu, L.C .L.IoV.I.pp 143-146.

وأيضاً: مصطفي كمال عبد العليم، سيد فرج راشد، المرجع السابق، ص ٣٣. وهناك رأي آخر يرجع العبيرو إلي اللفظ الأكدي خابيرو Habiru، والسومرية Sa Gas ، وفي النصوص الأكادية صيغة ibbi'ra أبيار ومعناه الهارب، وهي في السومرية Gas ،وتقابلها في الفرنسية Pillards اي غزاة وهكذا فأن اللفظ خابيرو معناه الغزاة، البدو النهابون، القتلة، هشام محمد أبو حاكمة، المرجع السابق، ص ٢٢٨ وما بعدها.

١٦– حسين شريف، ج٢، ص٨١٩.

١٧– عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج٤، دار الشروق القاهرة، ١٩٩٩ ص٢٠٦.

١٨– أطلق هذا الأسم علي القدس عقب القضاء علي ثورة اليهودي"باركوخبا" حيث خرب الأمبراطور الروماني المدينة، وبني علي أنقاضها ايلياء يقول الفرنديق:

وبيتان بيت الله نحن ولاته ومقر بأعلي إيلياء مشرف.

أنظر: كارين أرمسترونج: القدس، مدينة واحدة عقائد ثلاث، ترجمة دكتورة فاطمة نصر، دكتور محمد عناني،القاهرة، ٢٠٠٩، ص ص ٢٧٦–٢٧٧؛

وأيضا: عبد الفتاح حسن أبو علية، القدس، دراسة تاريخية حول المسجد الأقصى والقدس الشريف، دار المريخ، الرياض، ٢٠٠٠م، ص ١٩.

١٩– هيرودوت، التواريخ، الكتاب الثاني، ترجمة للفيكونت فنشهم حبيب أفندي بسترس، بيروت، مطبعة الفنارس جاورجيوس، ١٨٨٧، ص ١٨٢، وفي النسخة الإنكليزية ص ١٦٦.

وللأمانة العلمية، فقد أشار إلي ذلك لفيف من العلماء في كتاباتهم ومنهم الدكتور محمد بهجت قبيصي و الأستاذ الجليل الدكتور حسن ظاظا في مؤلفه [القدس: مدينة الله أم مدينة داوود

حسن ظاظا، القدس: مدينة الله أم مدينة داوود، دار القلم،دمشق، الدار الشامية، بيروت، سلسلة كتب قيمة، رقم ٢٠، طبعة أولى، ١٩٩٨، ص ص ٤٤- ٤٥.

٢٠- إشعيا ٢/٤٨، تحميا ١/١١.

٢١- إشعيا ١٣/٢٧.

٢٢- كارين ارمسترونج: المرجع السابق، ص ٨٤ وما بعدها،يذكر التاريخ تولي داود لحكم بني إسرائيل بعد شاؤل ولن القدس كانت مدينة صغيرة مساحتها ٣٥٠×٦٠٠م ولم تكن تمثل مملكة كبيرة (مملكة اسرائيل المزعومة)، وترى بعض الآراء عدم وضوح لاحتلال داود للقدس، والنص الخاص بأحتلال القدس في سفر صموئيل الثاني مزور، لا يعتد به، انظر سامي سعيد الأحمد، تاريخ فلسطين القديم، بغداد، جامعة بغداد، ١٩٧٩، ص ١٨٤؛ مارغريت شتاينر، القدس اورشليم العصور القديمة، بين التوراة والتاريخ، مركز دراسات الوحدة العربية، عمان، ٢٠٠٢م، ص ١١٥.

٢٣- عبد الفتاح حسن أبو علية، المرجع السابق، ص ١٩.

٢٤- وليم.ف أولبرايت ، آثار فلسطين،ترجمة، زكي اسكندر، محمد عبد القادر محمد، القاهرة،١٩٧١م ، ص ٦٥ وما بعدها.

٢٥- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الأسلام، ط٢، بيروت - بغداد، ١٩٧٦

٢٦- محمد ابو المحاسن عصفور، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور حتى مجئ الأسكندر، بيروت، ١٩٨١، ص٢٧٤ وما بعدها.

٢٧- عز الدين غريبة، فلسطين تاريخها وحضارتها، بدون ، اتحاد المؤرخين العرب، ١٩٨١؛ ابو حلاكمة، المرجع السابق ،ص ١٨٥.

28-. Ahlstrom ،Palestine Ancient History of ،pp. 248-50.

٢٩- استمر حكم اليبوسيين وهم اساتذة في علم الإدارة تعلموا على أيدي رجال البلاط الفرعوني حتى زمن داود الذي تزوج من يبوسية تدعى بثشبع (صموئيل الثاني ٣/١١) ويكتب بثشوع (اخبار الأيام الأول ٥/٣) وكانت زوجة احد الجنود اليبوسيين، ومعنى اسمها "بنت سبعة أرباب" وكان يكتب سبيتي بالصنوبرية ولكنه تحول إلى شبع بالعربية وتعني سبعه واحب داود منها ولداً اسماه "يديديا" (صموئيل الثاني١٢/٢٥) ومعناه محبوب يهود وأطلق أبوه عليه سليمان. أنظر: كارين أرمسترونج: المرجع السابق، ص ٨٣-٨٤.

وكذلك Eliade, Patterns in Comparative Religion, p19.

٣٠- عز الدين غريبة، فلسطين تاريخها وحضارتها، اتحاد المؤرخين العرب،١٩٨١،

وكذلك: هشام محمد أبوحاكمة، المرجع السابق،ص١٨٥.

٣١- سيفالاشارة إليهم فيالحاشية رقم١٥.

٣٢- سفر التكوين ١٢-١٣-١٤؛ تجدر الإشارة إلى ارتباط تحركات الهكسوس بهجرات آسيو الغربية تلك التي تبرز قيمة الأحداث المصرية الخاصة بالهكسوس؛ وقد كشفت الأبحاث الحديثة لمحفوظات الحيثيين في "بوغاز كوي" عن ذلك؛ أنظر: نجيب ميخائيل إبراهيم، مصر والشرق الأدنى القديم، ج١، ط٦، دار المعارف، اسكندرية، ١٩٦٦، ص ٤٠٠ وما بعدها.

وأيضا: Redfor،D.،Egypt،Canaan،Israel and mesAncient ni ،Cairo ni ersityUniv American The،p .98- 100.

٣٣- سبتينو موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، ترجمة السيد يعقوب بكر، بيروت،١٩٨٦، ص ١٣٩؛ وكذلك: Redford،D.،Op.Cit.،p.257-260.

٣٤- سبتينو موسكاتي ، المرجع السابق، ص ١٤٠.

٣٥- نجيب ميخائيل، المرجع السابق، نفس الصفحات.

٣٦- محمد بيومي مهران؛

٣٧- و.ج. دي بورج، تراث العالم القديم، ترجمة، زكي سوس، القاهرة، بدون سنة طبع، ص ٩٩.

٣٨- هشام محمد ابو حلاكمة، المرجع السابق، ص ص ٢٠٦-٢٠٧.

٣٩- يذكر محمد بيجت قبيسي في بحثه بنفس الندوة إن الاسم ليس بإسرائيل ، فقراءته في بازير بار ، أو ياسين بال

بازر = بازور (فلسطين) بار = بارين (لبنان) وليس إسرائيل

٤٠- الباحث.

٤١- صندوق طويل من خشب صنعه موسى عليه السلام وكان به لوحان من الحجر منقوش عليهما الوصايا العشر وكان يوضع في أقدس مكان في المعبد وقبل أن يشيد المعبد كان العبرانيون يحملون معهم تابوتهم في ترحالهم انظر: كارين ارمسترونج، المرجع السابق ص٨٥.

٤٢- صموئيل الأول، الأصحاح الثلاثون ٣/٤.

٤٣- كارين ارمسترونج، المرجع السابق، ص٨٥.

٤٤- سفر الملوك الإصحاح السادس ١-٣٨.

٤٥- وتشير التوراة إلى آثام بني إسرائيل التي استحقوا بسببها سقوط مملكتهم، فتذكر على لسان أشعيا أحد أنبيائهم "ويل للأمة الخاطئة، الشعب الثقيل الآثم، نسل فاعلي الشر، أولاد مفسدين تركوا الرب، استهانوا بقدوس إسرائيل، ارتدوا إلى وراء" سفر أشعيا - الإصحاح الأول، وتقول التوراة "والأرض تدنست تحت سكانها لأنهم تعدوا الشرائع، غيروا الفريضة نكثوا العهد الأبدي" سفر أشعيا - الإصحاح ٢٤ .

٤٦- أ.د. جرني، الحيثيون، ترجمة محمد عبد القادر محمد، مراجعة فيصل الوائلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧، ص ص. ٦٢، ٦٨ ومابعدها.

٤٧- دويلة "سمعل" أو "شمعل" أو "بيت جباري" نسبة إلى إسم مؤسس الأسرة تسمية جاءت متأخراً لأطلقها الآراميين وكانت في الأصل من الإمارات الحيثية القوية وكانت تعرف بإسم "ياصبا" وهي الآن محافظة الشمال سوريا و إسمها إرتبط بلوحة سنجرلي أوزندجرلي. أنظر: أ.د. جرني، المرجع السابق، ص. ٦٥.

48- Elgood, G., Later Dynasties of Egypt. 69.
Oxford. 1951. p. 47-48-
49- BAR. II.233f
Elgood, G., Later Dynasties of Egypt, Oxford, 1951, p. 59. وأيضاً
وكذلك: عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص.٥

50-Pritchard, J., 'Babylonian and Assyrian Historical Texts', ANET, New Jersey, 1950, p. 291. Elgood, G., op. cit. p.59.
وايضاً
وكذلك: محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ج ، مصر، الإسكندرية، ١٩٨٢، ص. ٤٨٦ ومابعدها.

٥١- عسقلان: وردت في النصوص المصرية بإسم عسقون، أو تحت أسم عسقلون

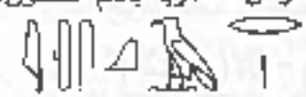

انظر: AEO, 1, No. 262, p. 190 ويري البعض أن موقعها قرب "يافا الحالية" أنظر:
Petrie, F., A History of Egypt, (3), London, 1918, P.297.

٥٢- السامرة: سقطت السامرة مقر هوشع في يد الآشوريين ويتوافق تاريخ سقوطها مع غزو "بعنخي" النوبي لمنف،
Kitchen, A., The Third Intermediate period in Egypt, (1100-650 B.C.), England, 1973, p. 374.
Riesner, G., 'Outline of The Ancient History of The Sudan', IV. The first Kingdom of Ethipia, its Conquest of Egypt and its development into a
kingdom of the Sudan (1100-250 B.C.), SN & R., II. p. 47.

وكذلك: سفر الملوك، الإصحاح السادس عشر، (٩-١١).

53- Pritchard, J.B.,Ancient Near Eastrean Texts, (2nd.ed), 52 -Princeton, 1955, p. 284
Smith, S., The Supremacy of Assyria, (in) CAH, III, p. 46.
وكذلك: عبد الحميد زايد، الشرق الخالد، القاهرة، ١٩٦٦، ص. ٣٩١.

٥٤- اتيين دريوتون وجاك فانديه، مصر، ترجمة عباس بيومي، مراجعة محمد شفيق غربال وعبد الحميد الدواخلي، القاهرة، ١٩٥٠، ص. ٥٧٨.

٥٥- سفر الملوك الثاني، ١٣:١٨، ١٤:١٩، وأيضاً: سفر الأيام الثاني، ٢:٣٢-٢١، وكذلك: سفر أشعيا ١:٣٦-٣٧.

56- A R A B, II, P.240.

٥٧-سفر الملوك الثاني، نفس الإصحاح ونفس الآية.

٥٨- سجل عن هيرودوت: (أطلق المصريون بوحي من ربهم جرذاناً على معسكرات الآشوريين فقطعت أوتار قسيهم وأتلفت جعاب سهامهم وأفسدت سيور دروعهم مما سهل تمزيقهم إرباً، وربط بعض الباحثين بين قصة الجرذان هذه وبين الهلاك الإلهي الذي تحدثت عنه التوراة بأن الجرذان أفشت وباء الطاعون الدملي بين الآشوريين فأهلكت منهم خلقاً كثيراً مما أجبر بقيتهم على الإنسحاب). نقلاً عن: عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص. ٥٢٦ ، هيرودوت يتحدث عن مصر، ترجمة محمد صقر خفاجة، شرح أحمد بدوي، القاهرة، ١٩٦٦، للفصل ١٤١، ص٢٧٠.
وكذلك: Honor,L.,Sennacherib's invasion of Palestine,London, 1926.
أيضاً: طه باقر، المرجع السابق، ص. ٥١٨.

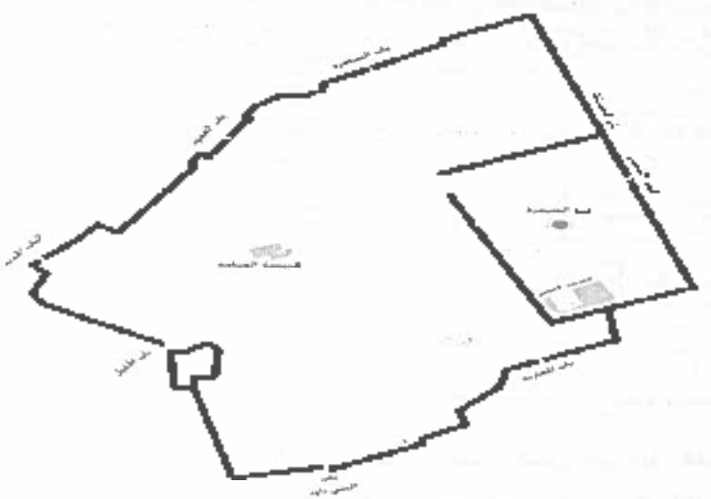

خريطة تخطيطية لمدينة القدس وأبوابها

(شكل ١) دليل مرتبتاح نقش محفوظ بالمتحف المصري بالقاهرة ، ص ٨٥ .

ورد اسم القدس على لسان اليوناني هيرودوت في الكتاب الثاني على انها "كاديس"

بإذن من الزميل ا. د/ محمد بهجت قبيسي حيث عرض النص في محاضرته عن القدس أيضاً

الفتح الإلهي لبيت المقدس

د. محمد عيسى الحريري (*)

بعد إسراء رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من مكة إلى بيت المقدس فتحاً إلهياً روحياً لمدينة القدس، إذ فتحها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في هذه الرحلة العظيمة بالرفع وأخذ مجموعة من البشر عرفهم هذا الكون- إنهم الأنبياء جمعهم الله تعالى في ليلة الإسراء في صعيد واحد فصلى بهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبذلك وضع – عليه الصلاة والسلام – حجر الأساس للوجود الإسلامي في هذه البقعة المباركة المقدسة .

وقد سجل القرآن الكريم هذا الحدث الديني والتاريخي الهام في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء : الآية ١)

وكانت صلاة النبي – صلى الله عليه وسلم – بالأنبياء في القدس إعلاناً إلهياً بتمام الرسالات، وتمام النبوات، وإعلاناً بأن القدس لم تعد محلاً للهرطقات والمزايدات الدينية التي يطرحها أهل الكتاب، وإنما أصبحت تدخل ضمن السياج الإسلامي كمكان مقدس له حرمته، وله إطاره الديني الذي حدده رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعد ذلك عندما قال : " لا تُشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى "، وقال صلى الله عليه وسلم : فضلت الصلاة في المسجد الحرام على غيره بمائة ألف صلاة وفي مسجدي بألف صلاة، وفي مسجد بيت المقدس بخمس مئة صلاة .

وتتابع نصوص القرآن الكريم التي تربط القدس بالإسلام والمسلمين، فبعد انتهاء صلاة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – بالأنبياء بدأت أعظم رحلة في تاريخ البشر حيث عَرَّج برسول الله – صلى الله عليه وسلم – من الأرض من الصخرة المقدسة التي تقع في وسط الحرم الشريف ببيت المقدس إلى السماوات العُلى إلى حيث سدرة المنتهى عندها جنة المأوى فرأى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في سماوات الله من آيات ربه الكبرى، وفي هذا الحدث العظيم نزل قوله تعالى : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى(١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى(٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى(٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى(٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى(٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى(٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى(٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ

(*) أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة بكلية الآداب جامعة المنصورة.

قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (١١) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (١٧) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (١٨) ﴾ (النجم الآيات من ١- ١٨)

ويزيد الله تعالى المسلمين صلة ببيت المقدس والصخرة المباركة فيجعل الله تعالى بيت المقدس وهذه الصخرة القبلة الأولى للمسلمين في صلاتهم وهم في مكة قبل الهجرة وظل بيت المقدس والصخرة المباركة أيضاً بعد الهجرة سبعة عشر شهراً قبلة للمسلمين حتى نزل قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ (سورة البقرة الآية ١٤٤)

هذه النصوص من القرآن الكريم والحديث الشريف التي تقرن بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى في نسق إيماني رائع جعلت خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يعملون على فتح بيت المقدس وضمها إلى حوزة الإسلام، فكان ذلك عندما انطلقت الجيوش الإسلامية تفتح بلاد الشام وفلسطين، وبعد المعارك الكبرى التي كانت بين المسلمين والروم في فحل ودمشق وأجنادين واليرموك .

أرسل أبو عبيدة بن الجراح – القائد العام للجيوش الإسلامية الفاتحة في جبهة الشام – وعلى مدى سبعة أيام متتالية سبعة جيوش كل جيش يتألف من خمسة آلاف جندي، حتى اجتمع عند أسوار القدس خمسة وثلاثون ألف جندي بقيادة عمرو بن العاص، اتخذوا أماكنهم حول المدينة المقدسة وأنظارهم ترمو إلى أرض الإسراء والمعراج وقلوبهم تهفوا إلى المسجد الأقصى والصخرة المباركة، ووفق خطة عسكرية محكمة تم حصار المدينة المقدسة أربعة أشهر كاملة، ورغم القتال الشديد الذي كان يحدث بين الحين والحين، فقد حرص المسلمون على أن يدخلوا المدينة صلحاً، لما لها من مركز القداسة في نفوسهم، وخشية أن يحل بها دمار المعارك، فحسبها ما حدث في معاركها بين الفرس والرومان واليهود والمسيحيين .

وكتب أبو عبيدة بن الجراح كتاباً إلى أهل بيت المقدس يدعوهم إلى الإيمان بالله ورسوله أو الدخول في طاعة المسلمين ودفع الجزية، أو الحرب، وبدأت الاتصالات بين المسلمين والمسيحيين ببيت المقدس، وكان المسيحيون يعانون المتاعب من حكم الرومان، وأحس الأرطيون قائد الروم بهذه الاتصالات تدور حوله فهرب إلى مصر، وطلب المسيحيون في القدس الصلح، وصعد البطريق صفرونيوس ليعلن موافقته على الصلح على شريطة أن يحضر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بنفسه لاستلام المدينة المقدسة وإقرار مبادئ الصلح .

العهدة العمرية :

سافر عمر بن الخطاب من المدينة المنورة إلى الشام لاستلام بيت المقدس وكان يوماً مشهوداً يوم أن وصل عمر بن الخطاب إلى مشارف القدس، وهناك فوق جبل

الزيتون كان لقاؤه مع البطريق صفرونيوس، وقد حضر معه جمع من الأساقفة والقسس في ملابسهم التقليدية، وجمع من الشمامسة يحملون الصلبان، ورحب بهم الخليفة عمر بن الخطاب ترحيباً حاراً، ولم ينكر من هيئتهم شيئاً ولا من تراتيلهم وهم في الطريق إليه يترنمون بصلواتهم. وأملى عمر بن الخطاب عَهْدَهُ المشهورة العُمَرِيَّة على بطريق المدينة المقدسة وهذا نصه :

" بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبد الله أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب) أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها أنه لا تسكن كنائسهم، ولا تهدم، ولا ينتقص منها، ولا من خيرها ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يُخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيليا، من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصليبهم، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وعلى صليبهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان فيها من أهل الأرض، فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم، ومن رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصدوا حصادهم .على ما في الكتاب عهد الله وذمة الخفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم الجزية.

شهد على ذلك خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية ابن أبي سفيان، وكتب وحضر سنة خمس عشرة من الهجرة .

وتحرك موكب عمر بن الخطاب إلى داخل القدس تحف به كوكبة من جنود تعدادها أربعة آلاف، وهم يهللون ويكبرون وسيوفهم مشرعة، ووجوههم مستبشرة وكان أول مكان زاره عمر هو كنيسة القيامة، وحان وقت الظهر وهو في هذه الزيارة فأشار عليه البطريق بأن يصلي مكانه، ولكن عمر أبى أن يصلي داخل الكنيسة حتى يتخذها المسلمون من بعده مسجداً لهم ويصلي خارجها، وغير بعيد منها، في المكان الذي أقيم فيه بعد ذلك مسجد يحمل اسمه، وقد قابل نصارى بيت المقدس عمله هذا بالشكر والعرفان، وأدركوا أن عهداً جديداً سوف يُظلهم، يمارسون فيه عباداتهم بغير تضييق أو إعنات أو اضطهاد بعد سنة قرون من المخاوف والمذابح .

زار عمر بن الخطاب بعد ذلك الصخرة المقدسة فإذا بمكانها قد تحول إلى مزبلة بأمر من حكام الرومان المسيحيين، فراح عمر بن الخطاب يحمل التراب بنفسه، وتبعه الصحابة والجنود، حتى نظفوا المكان، وباتت الصخرة وأمر عمر أن يقام فوقها مسجد فشرع المسلمون في إقامة مسجد من خشب، ثم طاف عمر بن الخطاب بشوارع المدينة وأزقتها، ورأى بنفسه ما خلفته الحروب وآخرها الغزو الفارسي، قبل ربع قرن من هذه الزيارة، وجعل عمر على بيت المقدس يزيد بن أبي سفيان .

وكان بلال بن رباح الصحابي الجليل ومؤذن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حاضراً استلام القدس، وكان قد عزم على ألا يؤذن لأحد بعد رسول الله، – صلى الله عليه وسلم – وفي يوم سفر عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – عائداً إلى المدينة المنورة نودي في الناس للصلاة .

وقال عمر لبلال : يا بلال: ألا تؤذن إذا رحمك الله ، قال بلال:

– يا أمير المؤمنين، والله ما أردت أن أؤذن لأحد بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولكن سأطيعك إذا أمرتني في هذه الصلاة وحدها .

فلما أذن بلال بصوته العميق الخاشع النفاذ إلى مجامع القلوب، حتى تبينه آلاف المسلمين المجتمعين للصلاة، فتذكروا نبيهم، وأيامهم معه، فهطلت الدموع من مآقيهم لجلال الذكرى، ولم يكن أحد أطول بكاء في هذه المناسبة من أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، حتى قال لهما عمر : حسبكما رحمكما الله .

وكان هذا الآذان آخر ما سُمع من بلال – رضي الله عنه – وقد دل ذلك على عظمة المسجد الأقصى وقبة الصخرة، فجمع لذلك أمهر رجال الهندسة والبناء والزخرفة من أنحاء البلاد، وبدأوا فأقاموا نموذجاً لقبة الصخرة، وعرضوه على عبد الملك، فأقره ورصد لهذا العمل الجليل مبالغ طائلة، إذ خصص لبناء القبة والمسجد الأقصى خراج مصر سبع سنوات متوالية، وجعل أحد علماء العصر أميناً على الإنفاق على هذا المشروع الضخم وهو رجاء بن حيوي وأشرف على التنفيذ مهندس من أبناء بيت المقدس وهو يزيد بن سلام، وتوفي عبد الملك سنة (٨٦هـ) فاستكمل ابنه الوليد بن عبد الملك بعض الإضافات للمسجد الأقصى الذي جاء بناؤه غاية في الفخامة والإبداع، فكان له خمسون باباً، وسقف المسجد محمول على ستمائة عمود ، وللمسجد سبعة محاريب .

أما قبة الصخرة فهي أروع أثر معماري إسلامي خلفه المسلمون في التاريخ تناسقاً واتزاناً وزينة وبنياناً، وبناؤها ما زال قائماً راسخاً شامخاً يؤكد وظيفته الدينية الخالدة على مر الأزمان في المحافظة على الصخرة المقدسة من عبث اليهود، ورغبتهم الجامحة في تحطيمها، حيث ثبت لعبد الملك بن مروان أن اليهود كانوا يتطاولون على الصخرة، ويقتطعون منها قطعاً يبيعونها .

إن تاريخ اليهود في فلسطين تاريخ جائر ظالم، وهم لا يستفيدون من عظة التاريخ وعبرته، والقرآن الكريم يعلن صراحة ويسجله عليهم، ويتوعدهم إن هم استمروا في غيهم وفسادهم يقول تعالى في سورة الإسراء : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (٥) ﴾ (سورة الإسراء الآية : ٤ ، ٥)

وتتحدث المصادر التاريخية عن حدوث المرة الأولى أما الثانية فيشير إليه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦) ﴾ (سورة الإسراء الآية : ٦)

وهذا حال اليهود الآن فهم أكثر أموالاً ونفيراً بتأييد الغرب لهم، ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى محذراً لهم : ﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (٧) ﴾ (سورة الإسراء الآية : ٧)

وإذا كانت الأمة العربية قد اتخذت من السلام خياراً استراتيجياً وقبلت مبدأ الأرض مقابل السلام، العدو الإسرائيلي قد جرد هذا الخيار من كل معانيه التي كانت تأمل الشعوب العربية في سلام دائم تعززه مبادئ العدل والإنسانية ولكن نقول للإسرائيليين إن للقدس مناعة لا يعلمها إلا الله، وإن للحق والعدل والقانون حصانة تدركها الشعو وتناضل من أجلها .

المصـــادر والمراجـــع

المصـــادر

- القرآن الكريم.
- ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم(ت٦٣٢ هـ) ، الكامل في التاريخ طبعة دار صادر، بيروت (د.ت) .
- البخاري : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بردزبه الجعفي البخاري (ت ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، طبعة القاهرة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .
- ابن حجر : شهاب الدين أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق : علي محمد البجاوي، نهضة مصر، القاهرة ١٩٧٢م .
- الذهبي : شمس الدين محمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ) سير أعلام النبلاء، تحقيق : شعيب الأرناؤط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت (د.ت) .
- ابن سعد : محمد بن منيع (ت ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، طبعة دار صادر، بيروت (د.ت) .
- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠ هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الرابعة، (د.ت) .
- ابن فضل الله العمري (ابن فضل شهاب الدين أحمد بن يحيى ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م): السيرة النبوية في مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري، دراسة وتحقيق محمد عيسى الحريري، عالم الكتب، بيروت ١٩٩٢م .
- ابن كثير : أبو الفدا (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م .
- ابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن هشام ت ٢١٣هـ) : السيرة النبوية، مصطفى السقا وآخرون، القاهرة، ١٩٣٩م .
- ياقوت : شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، طبعة دار صادر، بيروت (د.ت).

المراجـــع

- أحمد شلبي (دكتور) : م موسوعة التاريخ الإسلامي، ج٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ١٩٨٤. ٧م .
- أحمد أمين : فجر الإسلام، مكتبة النهضة، القاهرة، ط٨ ، د.ت .
- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ط١، ١٩٨٥م.

القدس في رحلات المغاربة والأندلسيين

د. داليا عبد الهادي طلبه (*)

حظيت القدس باهتمام المغاربة والأندلسيين، منذ اعتناقهم الإسلام، لمكانتها الدينية في قلوب المسلمين ، فهي أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين؛ لذا قصدها العديد من العلماء والفقهاء والمؤرخين والرحالة المغاربة والأندلسيين عبر العصور، إما لطلب العلم أو لارتباطها بطريق الحج ، أو لأسباب متعددة ، وقد سجل هؤلاء المغاربة والأندلسيون رحلاتهم . وهذا البحث سيتناول تاريخ مدينة القدس من خلال رؤية خمسة من المغاربة والأندلسيين الذين زاروا القدس خلال فترات مختلفة عبر التاريخ الإسلامي، وكل منهم رصد أحوال القدس من زاوية معينة وهم: ابن العربي، والإدريسي، والعبدري، وابن بطوطة، وعبد الله بن الصباح.

ابن العربي من الأندلسيين الذين زاروا القدس: الفقيه أبو بكر محمد بن العربي (ت٥٤٣هـ/١١٤٨م)[١] ، الذي اعتبره كراتشكوفسكي واضع أساس أدب الرحلات[٢]، وقام ابن العربي برحلته إلى المشرق في عام (٤٨٥هـ/١٠٩٢م) وهو في السادسة عشرة من عمره طلبا للعلم، فطاف بالبلدان والمدن المختلفة ، وسجل رحلته في كتاب اسماه " ترتيب الرحلة للترغيب في العلة" ألف في هجوم الغوغاء على منزله في إشبيلية[٣] ، لكنه استطاع أن يجدد "ما سلم من الرقاع الموجودة على ما حضر من الذكر"[٤] على حد تعبيره ؛ ووضعه في مقدمة كتابه" قانون التأويل"[٥] وكانت مدينة القدس من المدن التي زارها ابن العربي قبيل نهاية عام (٤٨٥هـ/١٠٩٢م) ومكث بها أكثر من ثلاث سنوات[٦] يتلقى خلالها العلم. وكان اهتمام ابن العربي خلال رصده لأحوال المدينة بالحياة العلمية، فرصد شيوخ ومظاهر الحياة العلمية فيها، إضافة إلى وصفه لمعالمها ، وإذا كان وصف القدس قد ضاع مع ما ضاع من كتاب "ترتيب الرحلة"، إلا أن بعض مؤلفاته الأخرى قد حفظت لنا بعض الأوصاف للمعالم الدينية التي ينفرد بها عمن سواه من الرحالة المغاربة والأندلسيين . وسوف اعتمد على ما ذكره ابن العربي في مختصره الذي وضعه في قانون التأويل، إضافة إلى ثلاثة من مؤلفاته الأخرى وهي: "العواصم من القواصم "، "وأحكام القرآن"،"وعارضة الأحوذي بشرح جامع الترمذي".

(*) باحثة حاصلة على درجة الدكتوراه.

الإدريسي ثم يأتي الإدريسي(ت ٥٦٤هـ/١١٦٥)[٧] الذي طاف في الأندلس وشمالي إفريقية وآسيا الصغرى ، ولبى دعوة ملك صقلية روجر الثاني Roger (ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٤م) الذي أراد أن يؤلف له الإدريسي كتابًا شاملاً عن بلاده وسائر البلاد والممالك المعروفة آنذاك ، فأصبح أول جغرافي عربي يعمل في أوربا[٨]. وقد اعتمد الإدريسي في كتابه" نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" على المؤلفات الجغرافية التي اطلع عليها، كما جمع مادته من الجولة والتجار الذين تقابل معهم ، إضافة إلى رحلاته، وخاصة فيما يخص مصر والشام وإيطاليا وأوربا[٩] . ويتميز وصف القدس للإدريسي عن غيره من الرحالة المغاربة والأندلسيين بأنه شاهد عيان لأحوال المدينة تحت الاحتلال الصليبي، كما اهتم بوصف الأماكن المسيحية المقدسة ، وربما يرجع ذلك لأنه وضع كتابه نزهة المشتاق" للملك الصقلي المسيحي روجر الثاني .

العبدري ومن المغاربة الذين زاروا القدس العَبْدَري[١٠]، وذلك خلال رحلته للحج التي قام بها بين عامي (٦٨٨-٦٩١هـ/ ١٢٨٩-١٢٩٢م)؛ حيث خرج بصحبة ابنه في الخامس والعشرين من ذي القعدة عام (٦٨٨هـ/١٢٨٩م) من بلاد المغرب متوجهاً إلى مكة المكرمة عبر الطريق البري، مارًا بالمدن الكبرى في المغرب العربي ثم إلى مصر، حيث انضم إلى قافلة الحج بها ليمر ببلاد الشام، حتى يصل إلى الأراضي المقدسة[١١]. وقد سعى العبدري من خلال رحلته لتحقيق هدفين: الأول ديني، وهو أداء فريضة الحج، والثاني علمي، وهو لقاء العلماء والمشايخ والأخذ عنهم[١٢].

والعبدري في رحلته يتبع من سبقوه من الرحالة المغاربة في الاعتماد على التجربة والاختبار، لا الرواية والنقل، والاهتمام بوصف الجغرافي والعمراني لكل ما رآه في رحلته ، وتتميز رحلته بما تقدمه من وصف دقيق للمواضع والأماكن المختلفة، مع تفاصيل وافية عن الآثار القديمة والسكان وطبائعهم[١٣] والأوضاع الأمنية[١٤]،إضافة إلى تصحيحه للأخطاء الجغرافية لمن سبقه[١٥] .

وقد زار العبدري القدس في طريق عودته من رحلته للحج ومكث بها خمسة أيام[١٦]. وقد انعكست أهداف رحلته على وصفه للمدينة، إذ ركز على وصف الأماكن المقدسة والحياة العلمية بها ، كما اهتم في وصفه للمدينة بوصف جغرافيتها

ابن بطوطة : ابن بطوطة (ت٧٧٩هـ/١٣٦٩م)[١٧] الرحالة المغربي الشهير، الذي يعد من أعظم الرحالة في العصور الوسطى، وقد قام بثلاث رحلات انطلاقاً من المغرب في سنة (٧٢٥هـ/١٣٢٤م) فتوجه لزيارة الأراضي المقدسة عبر الشمال الأفريقي ، وقضى مدة بمصر ودمشق، حيث درس الحديث النبوي

وتلقى إجازات من العلماء[١٨] . وقد زار ابن بطوطة القدس مرتين خلال رحلته الأولى في أعقاب عام(٧٢٦هـ/١٣٢٥) حيث خرج من القاهرة متجهًا إلى الشام ولا نعرف متى زار القدس على وجه التحديد . والزيارة الثانية كانت عام ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، وذلك خلال الوباء الذي عم بلاد العالم المتمدن في ذلك الوقت وعند دخوله المدينة كان الوباء قد ارتفع عنها، ومات أغلب العلماء الذين التقى بهم في زيارته الأولى في ذلك الوباء[١٩]. وقد اشتمل وصف ابن بطوطة للقدس على ثلاثة عناصر هي: وصف المدينة وأسوارها، ووصف المسجد الأقصى، وقبة الصخرة. وتعد رحلة ابن بطوطة من أهم الرحلات التي يعتمد عليها كثير من الباحثين، لما تحتويه من معلومات قيمة عن جغرافية وسكان المناطق التي زارها[٢٠]

ابن الصباح لما خامس الرحلات فهي رحلة الحاج عبد الله بن الصباح وهو مدجن[٢١] أندلسي عاش في أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الهجريين ، ولم تذكر المصادر شيئا عن ترجمته، ولكن يبدو من رحلته : أنه من مدينة شاطبة الأندلسية[٢٢]، وقد خرج في رحلته قاصدًا الحج إلى بيت الله الحرام ، وقد زار القدس في طريق عودته ومكث بها لربعة أعوام[٢٣]. ولطلق على رحلته "نسلب الأخبار وتذكرة الأخيار"، وهي تخلو من أي تاريخ . ويبدو أن صاحب هذه الرحلة صاحب ثقافة عامة واطلع على عدد من المؤلفات التاريخية والجغرافية والفقهية، وكتب رحلته بأسلوب غلب عليه العامية، وكثرت فيه الأخطاء اللغوية والنحوية[٢٤]. ومع ذلك تكتسب رحلته أهميتها من أنه شاهد مدينة القدس في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري، ورصد الحياة الاجتماعية بها ، إضافة إلى وصفه معالمها.

وصف مدينة القدس

وصف كل من هؤلاء المغاربة والأندلسيين مدينة القدس من وجهة نظره فيذكر الإدريسي فيها "مدينة جليلة قديمة البناء لزلية وكانت تسمى إيلياء[٢٥]، وهي على جبل يصعد إليها من كل جانب وهي في ذاتها طويلة، وطولها من المغرب إلى المشرق، وفي طرفها الغربي باب المحراب، وهذا الباب عليه قبة داود عليه السلام وفي طرفها الشرقي باب يسمى باب الرحمة، وهو مغلق لا يفتح إلا في عيد الزيتونة لعمله، ولها من جهة الجنوب باب يسمى صهيون، ومن جهة الشمال باب يسمى عمود الغراب"[٢٦].

بينما يذكر العبدري أن القدس"مدينة منيعة محكمة ، كلها من صخر منحوت على نشز[٢٧] غليظ مقطوع بجهات من الأودية. وسورها مهدوم .... خفية استيلاء الروم عليها ، وامتناعهم بها ، والخراب فيها فاش وليس بها نهر ولا بستان

وحوالیها تلال مشرفة علیها"[٢٨]. وتأتی أهمیة زیارة العبدری من أنها جاءت فی أعقاب الحروب الصلیبیة.

أما ابن بطوطة فیتفق مع من سبقوه فی وصفه للقدس بأنها بلد " کبیرة منیفة بالصخر المنحوت" وأن سورها مهدوم ، ولیس بها نهر. ثم یرصد تغییرا طرأ علی المدینة فی عصره، وهو جلب الماء[٢٩] إلیها علی ید الأمیر سیف الدین تنکز[٣٠] أمیر دمشق. وهو ما انعکست آثاره عند زیارة ابن الصباح لها – فی النصف الثانی من القرن الثامن الهجری – الذی وصف القدس بأنها "بلدة خصیبة من کل شیء کثیرة الفواکه کثیرة ألوان الطعام"[٣١]، وأن حول المسجد الأقصی "من قبلیه وشرقیه وشماله ثلاثة آلاف قریة عامرة کلها جهال حرث ونسل واشجار وزیتون وعنب وعامرة عظیمة"[٣٢]. وهو ما یختلف عما رآه الإدریسی، زمن الاحتلال الصلیبی، بأن شمال المدینة لیس به أی نوع من البناء[٣٣]، وما ذکره العبدری عن خرابها فی القرن السابع الهجری. کما یذکر ابن الصباح أن بالقدس عددا من الرباطات والزوایا والأوقاف المحبسة علی المسجد الأقصی، منها رباط السلطان ، ورباط خازن السلطان، ورباط العجم، وزاویة القرندلیة[٣٤]، وکلها مخصصة لإطعام المجاورین للمسجد[٣٥]. ومن المهم أن نشیر هنا إلی أن نحولا إداریا کبیرا قد حدث فی هذه الفترة، وهو تحول القدس من مدینة تابعة إلی نیابة[٣٦] دمشق إلی نیابة مستقلة تتبع القاهرة مباشرة، وذلک فی عام (٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م) فی عهد السلطان المملوکی الأشرف شعبان بن حسین(٧٦٤–٧٧٨هـ/١٣٦٢–١٣٧٦م)[٣٧]، وهو ما قد یسهم فی التطور العمرانی الذی شهدته القدس خلال القرن الثامن الهجری.

ومن خلال رحلات المغاربة والأندلسیین من القرن الخامس وحتی الثامن الهجریین یتضح أن المدینة کانت شبه خربة خلال فترات الحروب الصلیبیة، ثم تطورت فی القرن الثامن الهجری کما یتضح من وصف ابن بطوطة وابن الصباح حیث تجاوزت ما مر بها من محن وأصبحت مدینة عامرة بالمبانی والبساتین.

معالم القدس الدینیة

کان لاحتضان القدس للدیانات السماویة أثره فی معالمها، إذ حفلت بالعدید من المزارات والأماکن الدینیة المقدسة ، والتی أصبحت هدفا للزیارة من کل صوب ، لذلک کان من الطبیعی أن یصفها الرحالة فی مؤلفاتهم ، وإن کان ترکیزهم قد انصب علی المسجد الأقصی المبارک وقبة الصخرة .

فالمسجد الأقصی أولی القبلتین وثالث المساجد التی تشد إلیها الرحال بعد الحرمین الشریفین. وقد نال اهتمام المسلمین علی مر العصور . وعندما زاره الرحالة المغاربة والأندلسیون؛ حرص کل منهم علی وصفه ومقارنته بما رآه من

مساجد. فالإدریسی یصفه من حیث المساحة بأنه "لیس علی الأرض کلها مسجد علی قدره إلا للمسجد الجامع بقرطبة"[٣٨] . بینما وصفه العبدری بأنه " من المساجد الرائقة العجیبة المنشرحة الفسیحة . وهو متسع جدا طولا وعرضا"[٣٩]،أما ابن بطوطة فذکر أنه "من المساجد العجیبة الرائقة الفائقة الحسن ،ویقال إنه لیس علی وجه الأرض مسجد أکبر منه"[٤٠] ویصفه ابن الصباح بأنه "جنة من جنات الأرض تحت السماء"[٤١] .

أما من حیث شکله ومساحته؛ فاتفق الجمیع علی أن مساحته من الشرق إلی الغرب سبعمئة واثنان وخمسون ذراعا ، ومن الجنوب إلی الشمال أربعمئة وخمسون وثلاثون ذراعا ، ووصفوا المسجد بأنه "کله فضاء غیر مسقف إلا الناحیة الغربیة فهنالک مسجد مسقف فی نهایة الإحکام ، وإتقان العمل، وبه تزویق معه بالذهب، ویقع هذا المسقف فی الرکن الغربی من ناحیة الجنوب، کما یوجد من ناحیة الشرق مواضع مسقفة مع طول الحائط وعلی الأبواب"[٤٢] .

أما بالنسبة لأبواب المسجد؛ الأقصی فلم یبق من وصف ابن العربی سوی وصفه للباب حطة ، وهو الباب الثامن من أبواب المسجد من الجهة القبلیة[٤٣] . کما ذکر أن فی سور المسجد الشرقی باب یقال له باب التوبة والرحمة ، وقد اتفق ابن العربی مع ما ذکره عدد من المفسرین والمؤرخین بأنه الباب الذی باطنه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ، وهو الذی ورد فیه قوله تعالی﴿فضرب بینهم بسور له باب باطنه فیه الرحمة وظاهره من قبله العذاب﴾[٤٤]، ویشرف علی واد یسمی وادی جنهم[٤٥] الذی قیل عنه أنه أرض المحشر[٤٦].وقد ذکر الإدریسی أن باب الرحمة أغلق إبان احتلال الصلیبیین للقدس وبقی باب الأسباط مفتوحا، بینما یذکر العبدری أن للمسجد أبواب کثیرة من الشرق والغرب والشمال، ولا یُعلم له باب قبلی سوی الباب الذی یدخل منه الإمام. وذکر أن بعض الناس قالوا له أن عددها خمسون بابا"[٤٨]. وذکر ابن بطوطة أن للمسجد أبوابا کثیرة فی جهاته الثلاثة، وأما فی جهة القبلة لا یعرف سوی الباب الذی یدخل منه الإمام[٤٩].

کما نالت قبة الصخرة، التی تقع فی وسط المسجد الأقصی، اهتمام الرحالة المغاربة والأندلسیین، فاهتم الإدریسی بوصف شکلها، فیذکر أنها مرصعة بالفص المذهب "وفی وسطها الصخرة المسماة بالواقعة وهو حجر مربع کالدرقة[٥٠] فی وسط القبة، رأسها الواحد مرتفع عن الأرض مقدار نصف قامة أو أسف من ذلک، ورأسها الثانی لاصق بالأرض، وطول هذه الصخرة مقارب لعرضها یکون بضعة عشر ذراعا فی مثلها، وینزل من بلطئها وأسفلها إلی سراب کالبیت المظلم طوله عشرة أذرع فی عرض خمسة، وارتفاع سمکه بسف علی القامة، ولا یدخل إلی هذا

البيت إلا بمصباح يستضاء به، ولهذه القبة أربعة أبواب"[٥١]. وذكر أن الباب القبلي منها كان مسقفا وكان مصلى للمسلمين، وحوله الصليبيون إلى بيوت سكنها الجيل المعروف بالكندولية[٥٢].

ويبدو إعجاب العبدري بقبة الصخرة واضحًا من خلال وصفه لها، حيث يقول: "وفي وسط فضاء المسجد قبة الصخرة من أعجب المباني الموضوعة في الأرض وأتقنها، وأغربها ، قد نالت من كل حسن بديع أوفر حصة، ونالت من الإتقان ظاهره ونصه ، وتجلت في جمالها الرائع كعروس حسناء جليت على منصة . قامت مشرفة متبرجة على بقاع[٥٣] ، تصرح وتلوح بالإعراب والإبداع ، وتفصح بما يشرح عن فضيلة الصناع، حسنها الأول فاستحسنها الآخر واعتقد الإجماع ؛ تنازع الكمال منها الظاهر والباطن ، لما سلما معا من كل عائب وشائن، واجتمعت في كليهما أشتات المحاسن..."[٥٤]

ثم وصف القبة بأنها "مشدة على نشز في وسط المسجد، ويصعد إليها بدرج من رخام قد أحاط بها. ولها أربعة أبواب، والدائر مفروش بالرخام المحكم الصنعة ودلخلها كذلك . وفي ظاهرها وباطنها من أنواع التزويق ما يقصر عنه الوصف . وأما الذهب فما رأيته مبتذلا في شيء كابتذاله في هذه القبة، حتى لقد غشي به أكثرها ظاهراً وباطناً، فهي تتلألأ ساطعة الأنوار، كلمعان برق أو لشتعال نار...."[٥٥].أما ابن بطوطة فيذكر" أنها من أعجب المباني وأتقنها وأغربها شكلا"[٥٦] ثم ذكر ما وصفه الإدريسي والعبدري.

ومن معالم مدينة القدس الدينية : "وادي جنهم في شرقي المدينة على تل مرتفع وهناك بئية يقال إنها مصعد عيسى عليه السلام"[٥٧]، وبه المسجد الذي بناه عمر بن الخطاب عند فتحه للمدينة[٥٨]. كما شاهد ابن الصباح بالقدس سبعة عشر محرابا صلى فيها الأنبياء[٥٩].

أما الأماكن والمزارات المسيحية المقدسة فيأتي على رأسها بيت لحم مسقط رأس عيسى عليه السلام، الذي زاره ابن العربي مرتين الأولى عام (٤٨٥هـ/١٠٩٢م) والثانية عام(٤٩٣هـ/١٠٩٨) حيث يذكر: "دخلت بيت لحم سنة خمس وأربعمائة، فرأيت في متعبدهم غاراً عليه جذع يابس كان رهبانهم يذكرون أنه جذع مريم بإجماع، فلما كان في المحرم سنة إثنتين وتسعين دخلت بيت لحم قبل استيلاء الروم[٦٠] عليه لستة أشهر، فرأيت الغار في المتعبد خالياً من الجذع. فسألت الرهبان به ، فقالوا : نخر وتساقط ، مع أن الخلق كانوا يقطعونه استشفاء حتى فقد[٦١]. بينما يذكر ابن بطوطة، في القرن الثامن الهجري، أنه عندما دخل بيت لحم وجد به "أثر جذع النخلة وعليه عمارة كثيرة، والنصارى يعظمونه أشد التعظيم ويضيفون من نزل به"[٦٢].

أما الإدريسي، فيصف بيت لحم بالتفصيل، فهي "كنيسة حسنة البناء متقنة الوضع فسيحة مزينة إلى أبعد غاية، حتى إنه ما أبصر في جميع الكنائس مثلها بناء، وهي في وطاء الأرض، ولها باب من جهة المغرب، وبها من أعمدة الرخام كل مليحة، وفي ركن الهيكل من جهة الشمال المغارة التي ولد بها السيد المسيح ، وهي تحت الهيكل وداخل المغارة المذود الذي وجد به ، وإذا خرجت من بيت لحم نظرت من الشرق منه كنيسة الملائكة الذين بشروا الرعاة بولادة السيد المسيح"[٦٣].

كما وصف كنيسة القيامة بأنها "الكنيسة العظمى المعروفة بكنيسة القيامة ويسميها المسلمون قمامة"[٦٤]، وهي الكنيسة المحجوج إليها من جميع بلاد الروم التي في مشارق الأرض ومغاربها، فيدخل من باب في غربها فيجد الداخل نفسه وسط القبة التي تشتمل على جميع الكنيسة ، وهي من عجائب الدنيا، والكنيسة أسفل ذلك الباب ولا يمكن النزول إليها من هذه الجهة، ولها باب في جهة الشمال ينزل منه إلى أسفل الكنيسة على ثلاثين درجة ، ويسمى هذا الباب باب شنت مرية . وعند نزول الداخل إلى الكنيسة تلقاه المقبرة المقدسة المعظمة ولها بابان، وعليها قبة معقودة قد أتقن بنيانها وحصن تشييدها وأبدع تنميقها، وهذان البابان أحدهما يقابل الشمال حيث باب شنت مرية، والباب الآخر يقابله من جهة الجنوب، ويسمى باب الصلوبية"[٦٥].

وقد اختلف وصف العبدري لكنيسة القيامة عن وصف الإدريسي الذي ركز على وصفها باعتبارها دار عبادة مسيحية ، بينما ركز العبدري على المظاهر الإسلامية بها فذكر أن كنيسة القيامة معظمة لدى النصارى يحجون إليها كل عام، وذكر أن بها رباطين متقابلين في غاية الإتقان، بهما تجرى الأرزاق على أبناء السبيل والمنقطعين للعبادة، بنى أحدهما الملك المنصور قلاوون (٦٧٨هـ ـ ٦٨٩هـ ـ ١٢٧٩ـ ١٢٩٠م) والثاني الأمير علاء الدين أيدغدي الأعسى[٦٦].

كما وصف الرحالة عدد من الكنائس منها الكنيسة التي تقابل كنيسة القيامة وبها حبس السيد المسيح ومكان الصلب[٦٧]، وأيضا كنيسة السيدة مريم التي بها قبرها وقبور ذرية زكريا عليه السلام، وتقع في وادي جنهم شرقي المدينة[٦٨]. ويذكر ابن الصباح أن تلك الكنيسة بناها الروم وكانت قبل ذلك مغارة ، وقد بعض المسلمون تلك الكنيسة وغصبوها وجعلوا عليها رجالا يفتحونها ويغلقونها، ومزارها يوم الأربعاء[٦٩].

ومن المزارات التي انفرد بوصفها ابن العربي، عن غيره من الرحالة المغاربة والأندلسيين، صخرة المائدة، فيذكر "شاهدت المائدة بطور زيتا مرارا"[٧٠]، وأكلت عليها ليلا ونهارا، وذكرت الله سبحانه فيها سرا وجهارا، وكان ارتفاعها

أسفل من القامة بنحو الشبر، وكان لها درجتان قلبياً وجوفياً، وكانت صخرة صماء لا تؤثر فيها المعاول،... والذي عندي أنها كانت في الأصل صخرة قُطعت من الأرض محلا للساندة النازلة من السماء، وكل ما حولها حجارة منّتها، وكان ما حولها محفوفا بقصور، وقد نحت في ذلك الحجر الصلد بيوت، أبوابها منها، ومجالسها منها مقطوعة فيها، وحنايا في جوانبها،وبيوت خدمتها قد صورت من الحجر، كما من الطين والخشب،فإذا دخلت في قصر من قصورها وردت الباب، وجعلت من وراته صخرة كثمن درهم، لم يفتحه أهل الأرض للصوفه بالأرض؛ فإذا هبت الريح وحثت تحته التراب لم يفتح إلا بعد صب الماء تحته والإكثار منه حتى يسيل بالتراب وينفرج منعرج الباب ، وقد مللت بها قوم بهذه العلة، وقد كنت أخلو فيها كثيرا للدرس، ولكني كنت أكنس حول الباب مخافة مما جرى لغيري فيها"[٧٠].

الأحوال الاجتماعية :

من خلال رحلات المغاربة والأندلسيين تتضح بعض معالم الحياة الاجتماعية، فمن حيث السكان فقد كانوا من المسلمين والنصارى[٧٢]، ولم يرد في كتابات هؤلاء الرحالة ما يشير إلى وجود يهود بالمدينة، أما عن طبائع السكان فيشير ابن العربي إلى : أنهم لم يبالوا بما كان يحدث من صراعات بين الأقليات الحاكمة في المدينة، ويمارسون حياتهم بشكل عادي، فلا تغلق الأسواق، ولا تتوقف الدروس ، ولا يشارك العامة في أحداث هذه الصراعات والفتن، وهو ما اعتبره ابن العربي من الغرائب[٧٣].

كما يبدو أن للظروف القاسية التي مرت بها القدس عبر تاريخها من حروب وقحط وطواعين، قد ألقت بظلالها على سكانها في القرن الثامن الهجري، فصاروا يقنتون في كل صلاة مخافة القحط والعدوان وعدوى الطواعين[٧٤].

ويرصد ابن الصباح مظاهر الاحتفال بشهر رمضان المعظم والعيدين بالقدس، والتي تظهر من خلالها مكانة القدس لدى المسلمين : إذ يفد إليها أعداد كبيرة من المسلمين من أهل مصر والشام والعراق، وغيرها من البلدان، الذين لا يقدرون على حج مكة ، فيأتون إلى القدس يصومون رمضان ويظلون بها حتى وقفة عرفة، وهذا ما دفع بعض علماء الشام والقدس للقول بأن " بيت المقدس حج الضعفاء والمساكين الذين لا يستطيعون الزاد والرحلة والطرق السابلة، فإن حجهم ببيت المقدس للضرورة وعدم الطرق"[٧٥] .

ويصف ابن الصباح لنا أن أبواب المسجد الأقصى تفتح في النصف من رمضان للمجاورين من البقاع المختلفة، فيدخلون بأولادهم ونسائهم ،حيث يصومون

بقية رمضان تحت الزيتون إلى يوم الفطر، وفي ليلة العيد يوقد في بيت المقدس ألف مصباح ، ويوم العيد يصلون صلاة العيد في صحن قبة الصخرة ،الرجال في الأمام وخلفهم النساء وبينهم ستور من كتان أخضر ، والخدام واقفون حتى تنقضي الصلاة، وعلى كل باب من أبواب المسجد الأقصى وقبة الصخرة طاسات من نحاس مبيضة بالقزدير، كأنها من الفضة، مملوءة بماء بارد ومرشوشة بماء الورد[٧٦]. أما في وقفة عرفة فيجتمع أهل القدس مع المجاورين ، ويقفون عند قبة الصخرة متوجهين إلى الكعبة بالدعاء مثل أهل عرفة[٧٧]. وعقب خطبة العيد ينصرف المجاورون إلى أوطانهم[٧٨] .

أما عن شكل مدينة القدس في الأعياد : فتزين الأسواق والحوانيت بحلل الحرير ثلاثة أيام في عيد الفطر، وثمانية أيام في عيد الأضحى، وتظل الحوانيت مفتوحة ليلا ونهارا[٧٩].

الحياة العلمية

كانت الحياة العلمية محل اهتمام الرحالة المغاربة والأندلسيين بحكم تكوينهم وأهداف رحلاتهم، لذلك اهتموا برصدها في القدس ، فابن العربي يرصد ازدهار الحياة بالقدس، واستيعابها للمذاهب والمذاهب المختلفة ، وانتشار حلقات الجدل والنقاش في مختلف العلوم ، فيذكر أنه عندما دخل المدينة وجد بها "ثماني وعشرين حلقة ، ومدرستين إحداهما للشافعية بباب الأسباط والأخرى للحنفية بإزاء قمامة(كنيسة) تعرف بمدرسة أبي عقبة . وكان فيها من رؤوس العلماء على اختلاف طبقاتهم، كثير ، ومن أحبار اليهود والنصارى، والسمرة، جُمَل لا تحصى فأوقفت على المقصد من طريقه ووعيت العلم بتحقيقه ، ونظرت إلى كل طائفة تناظر، وناظرتها"[٨٠] . وقد أبدى ابن العربي إعجابه بما شاهده من مناظرات ومناقشات وعلوم في القدس، مما جعله يقرر البقاء فيها حتى يتعلم ما فيها من علوم[٨١]، وقد درس في القدس علم الكلام وأصول الفقه ومسائل الخلاف[٨٢] .

وقد أيد ابن بطوطة رأي ابن العربي في الحياة العلمية في القدس، حيث أشاد بعلمائها وتلقى فيها التصوف ، وذكر في رحلته أسماء من التقى بهم من العلماء[٨٣].

أما العبدري فيختلف في موقفه من الحياة العلمية في القدس، فيصفها بالتعثر والضعف، فقال :"لم أر في هذا البلد مع شرفه واشتهاره من هو أهل لأخذ العلم عنه ولامعنا به ، إلا شيخا هو قاضي البلد ، يلقب بدر الدين وهو محمد بن إبراهيم بن سعد ابن جماعة[٨٤] له مجلس علم يدرس فيه أول النهار في المسجد ، عند

المحراب ، ومجلس سماع يروى فيه بعد صلاة الجمعة عند قبة الصخرة[٨٥]. ولا شك أن هذا الوصف من جانب العبدرى فاس وفى غير محله ، لأنه أغفل علماء القدس ومدارسها المتعددة[٨٦]، وربما يرجع ذلك لقصر مدة زيارته للمدينة، فخمسة أيام غير كافية للتعرف على أوجه النشاط العلمى بالمدينة ، وربما يرجع ذلك إلى طبيعة العبدرى فى نقده الدائم للعلماء وللحركة العلمية فى كل المدن التى زارها.

خاتمـــة

ويتضح مما سبق أنه على الرغم من اختلاف الفترات الزمنية التى زار فيها الرحالة المغاربة والأندلسيون للقدس ، واختلاف مدد إقامتهم بها، وأهداف زيارتهم، واختلاف رؤاهم، إلا أنهم اتفقوا على الاهتمام بوصف المدينة بشكل عام، والأماكن المقدسة بشكل خاص ، وهو ما يؤكد غلبة الطابع الدينى للمدينة على كتاباتهم، فلم يهتموا بوصف تخطيطها المعمارى ولا بوصف باقى مبانيها المختلفة، من دور ومدارس وأربطة وزوايا ، كما ساهموا فى رسم صورة شبه متكاملة لشكل المدينة ومعالمها، وحياتها الاجتماعية والعلمية عبر العصور، ومن خلالهم أمكن رصد بعض المتغيرات التى طرأت على شكل المدينة أو معالمها، مثل ما حل بها من خراب ودمار، ثم عمرانها الذى بدأ بدخول الماء للمدينة فى النصف الأول من القرن الثامن الهجرى، وظهرت آثاره فى أواخر هذا القرن، من خلال زيارة ابن الصباح، الذى وصف المدينة وما فيها من عمران وازدهار. كما نلاحظ أن المدينة أصبحت فى تلك الفترة آمنة، الأمر الذى أدى إلى وجود مجاورين للمسجد الأقصى، ثم يشير إليهم الرحالة السابقون على ابن الصباح. ومن الجدير بالذكر أن أيا من هؤلاء المغاربة والأندلسيين لم يهتم بوصف الوضع السياسى أو الإدارى للقدس.

كما اتفق هؤلاء المغاربة والأندلسيين على أن التركيب السكانى للقدس اشتمل على المسلمين والنصارى. ولا توجد أية إشارة لوجود سكان أو حجاج من اليهود بالمدينة. والأمر الجدير بالملاحظة، فى كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين، عدم اهتمامهم الكافى بالنواحى الاجتماعية، باستثناء رحلة ابن الصباح ، وإهمالهم لوصف الحياة الاقتصادية، وربما يرجع ذلك لطبيعة رحلاتهم التى يغلب عليها الطابع العلمى، أو لقصر مدة إقامة بعضهم فى المدينة، مثل العبدرى الذى مكث بها خمسة أيام، أو ابن بطوطة الذى مر بها فى طريق الحج .

كما يتضح أن الحياة العلمية ظلت مزدهرة طوال تلك الفترات التى زار فيها الرحالة المغاربة والأندلسيون القدس. وأظهرت كتابات الرحالة سمة من سمات المدينة وهى : استيعابها لجميع الديانات والمذاهب والعلوم، والأجناس الوافدة إليها من كل صوب، دون تعصب أو تمييز.

الحواشـــــي

(1) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد المعافري المعروف بابن العربـي مـن أهـل إشبيلية وأبوه أبو محمد من فقهائها ورؤسائها ، ولد عام (٤٦٨هـ/ ١٠٧٦م) حفـظ القرآن وهو ابن تسع سنين وسمع من شيوخ إشبيلية وفقهائها ثم ارتحل مع أبيه إلى المشرق والتقى بشيوخ مصر والشام والحجاز وبغداد، ثم عاد إلى الأنـدلس وتـولى القضاء لفترة.وقد كان عالماً مشاركاً في الحديث والفقه والأصـول وعلـوم القـرآن والأدب والنحو وعلم الكلام وغير ذلك . وله العديد من المؤلفات في مجالات مختلفـة منها : العواصم من القواصم ،"المتوسط في الاعتقاد"،"الناسخ والمنسـوخ"، ومـراج المريدين،" أحكام القرآن". وتوفي بالمغرب من فاس أثناء توجهه إليها ضـمن الوفـد الإشبيلي الذي جاء لتقديم البيعة إلى عبد المؤمن بن علي صاحب دولة الموحـدين .(القاضي عياض : الغنية، تحقيق ماهر زهير جرار،دار الغـرب الإسـلامي، بيـروت ، ١٩٨٢،ص٦٦ـ٦٨،ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس في ذكر مـن حـل مـن الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط ١٩٧٣ م، جـ١،ص٢٦٠ـ٢٦٢، ترجمة رقم٢٦٨، عمر رضا كحالة: معجم المـؤلفين ،مؤسسة الرسـالة بيـروت . ١٩٩٣،ج٣، ص٤٥٦ـ٤٥٧.

(2) تاريخ الأدب الجغرافي ، ترجمة صلاح الدين عثمان، لجنة التـأليف والترجمة والنشر ،القاهرة ،١٩٥٧م، جـ١،ص٢٩٨.

(3) إشبيلة : بالكسر ثم السكون، وكسر الباء الموحدة ، وياء ساكنة، ولام وباء خفيفـة. مدينة عظيمة ، وكانت تسمى حمص أيضاً ، كانت عاصمة بني عبـاد ، تبعـد عـن قرطبة حوالي ستين ميلا(ياقوت الحمـوي: معجـم البلـدان،دار صـادر ، بيـروت ،١٩٧٧م،جـ١،ص١٩٥). كان ابن العربي شديداً في الحق لا يكاف في الحق لومـة لائم . ويبدو أنه اتخذ عددا من الإجراءات أغضبت عليه الغوغاء فهجموا علـى داره بعد سنة وعدة أشهر من توليه للقضاء (ابن العربي: قانون التأويل ، تحقيق محمـد السليماني، دار الغربة للثقافة الإسلامية جدة ، مؤسسة علوم القرآن، بيـروت،١٩٨٦م ص٩٤ من مقدمة المحقق. وعن هذه الحادثة يروي ابن العربي "ولقـد حكمـت بـين الناس . فألزمتهم الصلاة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حتى لم يكن يـرى في الأرض منكرا، واشتد الخطب على أهل الغضب، وعظم على الفسقة الكرب. فتألبوا وألبوا، وثاروا إلي، واستسلمت لأمر الله، وأمرت كل من حولي ألا يدفعوا عـن دمي، وخرجت على المسطوح بنفسي، فحاشوا علي وأصبت سليب الدار، ولولا ما سبق مـن حسن المقدار، لكنت قتيل الدار"(ابن العربي: العواصم من القواصم، تحقيـق عمـار الطالبي، مكتبة دار التراث : القاهرة، ١٩٧٤م،ص ٢٩٧.

(4) قانون التأويل . ص٤١٤.

(5) وذلك في الصفحات ص٤١٤ـ٤٥٥ ، وقد قام الدكتور سعيد أعراب بتجريد هذا الجزء تحت عنوان "مختصر ترتيب الرحلة للترغيب في العلة" ونـشره ضـمن كتابـه عـن القاضي ابن العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،١٩٧٨م.

(6) قانون التأويل ، ص ٤٣٣: إلا إنه ذكر زيارته لبيت لحم عام(٤٨٥هـ /١٠٩٣م)،ثم عام(٤٩٢هـ/١٠٩٨م)(أحكام القرآن،ج٣ـص٢٥٠)

(7) هو محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس بن يحيى بن علي بن حمود مـن مدينـة سبتة ،ولد بها عام ٤٩٣هـ ينتصل نسبه ببني حمود الأشراف الأدارسة الذين كونـوا بعد انهيار الخلافة الأموية بالأندلس ،إحدى ممالك الطوائف بمدينة مالقة . خرج إلـى طلب العلم والسياحة وهو دون العشرين فزار مدن المغرب والأندلس ومصر والـشام وبعض المدن الأوربية (عبد الله كنون: الشريف الإدريسي أعظم جغرافي أتـى بعـد بطليموس في القرون الوسطى، (مجلة المناهل، العـدد الأول نـوفمبر ١٩٧٤ ص١٣ ـ٢٢)، ص١٣ـ١٤)

(8) Marina Tolmacheva , The Medieval Arabic Geographers and the Beginnings of Modern Orientalism , International Journal of Middle East Studies, Vol. 27, No. 2 (May, 1995), pp. 141-156 ,P141.

(9) الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،عالم الكتب بيروت ،١٩٨٩م، جـ١، ص هـ ـ و من المقدمة ، زكي محمد حسن : الرحالـة المسلمون فـي العصور الوسطى،دار فرانز للعربي ، بيروت ،١٩٨١ ص٦٢ـ ٦٦
Marina Tolmacheva , The Medieval Arabic ,P144.

(10) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن مسعود الحلحي العبدري أصله عربي من قريش ينسب إلى بني عبد الدار من العرب ، وسنفر أسلافه في بلاد حاحـا ببلاد المغرب الأقصى، ولا توجد معلومات عن تاريخ ميلاده أو وفاتـه ، أخـذ عـن جماعة منهم شرف الدين الدمياطي وابن دقيق العيـد(ت٧٠٢هـ/١٣٠٢م)(رحلـة العبدري، تحقيق علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين ،دمشق ،١٩٩٩م ، ص٧ـ٨ من المقدمة للمحقق، ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس جـ١ : ص٢٨٦، ترجمة رقم ٢٩٥، محمد الفاسي :الرحالة الشهير أبو عبد الله محمـد العبـدري(صـحيفة معهـد الدراسات الإسلامية بمدريد ، مج ٩-١٠،ص١-١٤) ص٢، حسين مـؤنس :تـاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢ ،١٩٨٦م،ص٥١٨، ابن سودة: دليل مؤرخ المغـرب الأقـصى،دار الفكـر العربـي ، بيـروت ،١٩٩٧م، ٢٣١،عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ١٩٩٣، جـ٧، ص٧٠٥، خير الدين الزركلي: الأعلام ، دار العلم للملايين ،بيروت ،ط١٥ ،٢٠٠٢م، جـ ٧، ص٣٢.)

(11) العبدري : الرحلة ، ص٤٠، كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافـي ، جـ١، ص ٣٦٧، الفاسي: الرحالة الشهير، ص٥.

(12) العبدري: الرحلة، ص١٠ من مقدمة المحقق.

Amikam Elad, The Description of the Travels of Ibn Ba□□ū□a in Palestine: Is It Original? *The Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland*, No. 2 (1987). pp. 256-272. P256.P259.

(13) كراتشكوفسكي: : تاريخ الأدب الجغرافي، جـ١، ص٣٦٧. حسين مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين، ص٣٢٣.

14) إبراهيم حركات: المدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب للمسلم حتى القرن ٩هـ/١٥م، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ٢٠٠م جـ١ ، ص٣١٤.

15) إبراهيم حركات: المدخل إلى تاريخ العلوم، جـ١، ص٣١٣.

16) العبدري : الرحلة ، ص٤٧٤.

17) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي والمعروف بابن بطوطة ولد بطنجة عام (٧٠٣هـ/ ١٣٠٤) ينتمي إلى بيت معروف بأهله بيت علم وقضاء، زار مصر وقلسطين والأراضي المقدسة والعراق والأناضول وفارس وبلاد الهند والسند والصين، وتولى القضاء في عدد من البلدان التي زارها، استدعاه السلطان أبو عنان وولاه القضاء وأمر بتدوين رحلته، فأملاها على كاتب السلطان ابن جُزَيّ (ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق عبد الهادي التازي ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط ،١٩٩٧م، جـ ١ ص٨٠-٨٤ من مقدمة المحقق،ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي : القاهرة ، ١٩٧٥م، جـ ٣، ص٢٧٣-٢٧٤،، ابن سودة دليل مؤرخ المغرب ، ص٢٢٩ إبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم، جـ١ ص٣٢٤-٣٢٥) .

Amikam Elad, The Description of the Travels of Ibn Bat□ū□a ,p. 256-272. P256

18) إبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم،جـ ١ ص٣٢٤-٣٢٥) .

Amikam Elad, The Description of the Travels of Ibn Bat□ū□a ,P256

(19) ابن بطوطة : تحفة النظار جـ ٤، ص١٧٩.

20) Amikam Elad, The Description of the Travels of Ibn Bat□ū□a (.P266- 267.

(21) مُدَجَّن مشتق من الفعل دَجَنَ بمعنى أقام خاضعاً، وهو اسم أطلقه المسلمون على مسلمي الأندلس الذين ظلوا تحت حكم النصارى بعد استيلائهم على بلادهم (حسين مؤنس :أسنى= =المتاجر في من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر للونشريسي، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، مج ٥، العدد ١-٢، ١٩٥٧م، ص١٤٠).

(22) ابن الصباح :أنساب الأخبار وتذكرة الأخيار(رحلة المدجن الحاج عبد الله بن الصباح ، هذبها وأصلحها محمد بنشريفة دار أبي رقراق، الرباط ،٢٠٠٨م، ص٩-١١) وشاطبة بالطاء المهملة والباء الموحدة شرقي الأندلس وشرقي قرطبة (ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٣، ص٣٠٩)

23) أنساب الأخبار، ص١٨٨.

24) انساب الأخبار ، ص ٤٧-٥٢

25) إيلياء بكسر أوله واللام ، وباء ساكنة، وألف ممدودة، اسم لمدينة بيت المقدس، قيل معناه بيت الله (ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جـ٢: ص٢٩٣،السيوطي: اتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى: تحقيق احمد رمضان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ،١٩٨٠م،جـ ١، ص٩٣.

(26) نزهة المشتاق، جـ ١، ص ٣٥٨.

(27) النشز والنشز المتن المرتفع من الأرض ، وهو أيضًا ما ارتفع عن الوادي من الأرض . وليس بالغليظ. والجمع أنشاز ونشوز ، وقال بعضهم النشز نشوز(ابن منظور : لسان العرب دار صادر، بيروت ، ط٣، ٢٠٠٣م ، جـ١٤، ص٢٥٨، مادة نشز).

28) العبدري : الرحلة ، ص٤٦٨

(29) من الجدير بالذكر أن الأمير تنكز قد أدخل الماء للقدس عن طريق العين التي أجراها وبنى لها حوضا لتجميع قماء سعته حوالي مائتي ذراع وركب في الجبل مجاري ثقب لها في الحجر حتى دخل الماء للقدس في عام(٧٢٨هـ /١٣٢٧م) (المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، دار الكتب المصرية ن القاهرة، د.ت،جـ٢،ق١، ص٣٠٢) ويذكر ابن الصباح أن الماء كان في السابق يدخل إلى المدينة عن طريق جبال الخليل ولكن ضعفت الملوك وخربت المائية ، ويشير بعد ذلك إلى أن الماء في زمنه أصبح يسير في أجباب كثيرة من ماء الشتاء والمطر ما يكفي المدينة خمسة أعوام (أنساب الأخبار، ص١٩١) .

(30) هو الأمير سيف الدين تنكز ، ويكنى أبا سعيد نائب الشام ، جلب إلى مصر صغيرا. ونشأ بها. فاشتراه الأمير حسام الدين لاجين ثم صار إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وكان له كثير من الأملاك ، وأنشأ الكثير من المنشآت بالشام، وقد عمر القدس وأدخل بها الماء ولوصله إلى المسجد الأقصى، وأنشأ بها رباطا وحماميز وقيسارية وتوفي عام(٧٤٤هـ/١٣٤٣م). (الصفدي : الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤط، دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،٢٠٠٠م جـ ١٠ ، ص٢٦٠-٢٦٦).

(31) أنساب الأخبار، ص١٩٤

32) أنساب الأخبار، ص١٨٨.

33) نزهة المشتاق ، جـ ١، ص٣٦١.

(34) الزاوية القرندلية نسبة إلى إبراهيم القرندلي الذي قدم إلى القدس وأسس زاويته مع جماعة من الفقراء وكان لها وقف، ولا يُعرف تاريخ إنشائها وقد ذكر مجير الدين أن

ابراهيم هذا كان معاصر للسيدة طنشق بنت عبد الله المظفرية التي كانت تحسن إليه وبنت بهذه الزاوية قبر لأخيها بهادر وعمرت الحوش المجاور لها عام (٧٩٤هـ/١٣٩٢م) ، وقد سقطت هذه الزاوية وخربت عام(٨٩٣هـ/١٤٨٨م) (الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، نسخة مخطوطة مصورة لدى الباحثة عن نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق ،ورقة ١٦٤ـ١٦٥،على منصور نصر شهاب: الحياة في القدس في القرن الثامن الهجري في ضوء كتاب الدرر الكامنة لابن حجر،(حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية الثانية والعشرون، الرسالة ٢٠٠،١٩٦ـ٢٠٠١م،ص٣٣) .

(35) أنساب الأخبار، ص١٩٤.

36) قسم المماليك بلاد الشام إدارياً إلى ستة أقسام كبرى أطلقوا عليها اسم نيابات، لأن على رأس كل منها نائب يتبع السلطان في القاهرة وينوب عنه في حكمها،وقد ظهرت هذه النيابات تدريجيًا وليست في وقت واحد (علي السيد علي : القدس في العصر المملوكي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ،١٩٨٦م، ص٣٣.

(37) القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ،٢٠٠٦م، جـ٤،ص١٩٩، على السيد : القدس في العصر المملوكي، ص٣٣.

38) نزهة المشتاق ، جـ ١، ص٣٥٨.

(39) العبدري "الرحلة ،ص٤٦٩

40) تحفة النظار، جـ١ ،ص ٢٤٦.

41) أنساب الأخبار، ص١٨٨.

(42) الإدريسي: نزهة المشتاق،جـ ١،ص٣٥٩ ـ ٣٦٠ ،العبدري "الرحلة ،ص٤٦٩، تحفة النظار، جـ١ ،ص ٢٤٦.

(43) عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي،دار الكتب العلمية بيروت ،د.ت، جـ١١، ص٧٧ـ٧٨

44) سورة الحديد :آية ١٣

(45) العارضة، جـ٩،ص ٤٦. ذكر الطبري في تفسيره أنه قبل أن ذلك السور المذكور في قوله تعالى هو سور بيت المقدس عند وادي جنهم ثم ذكر عن ابن البرقي عن عمرو بن أبي سلمة سعيد بن عطية بن قيس عن أبي العوام مؤذن بيت المقدس قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول إن السور الذي ذكره الله في القرآن (فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ) هو السور الشرقي في باطنه المسجد وما يليه، وظاهره وادي جنهم. كما نقل ذلك أيضًا عن عبادة بن الصامت وكعب الأحبار(الطبري:جامع البيان عن تأويل القرآن العظيم،دار الفكر العربي ، د.م.د. ت، جـ٢٧، ص٢٢٥) كذلك نقل الحاكم النيسابوري ذلك الكلام عن عبادة ابن الصامت(المستدرك على الصحيحين ويذيله تلخيص أوهام الحاكم التي سكت عليها الذهبي للواد عي،دار الحرمين للطباعة والنشر،القاهرة،١٩٩٧م ،جـ٤، ص٥٦٤. كما نقل الآلوسي هذا الحديث وشكك في صحته(روح المعاني في تفسير القرآن

العظيم:منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية بيروت،٢٠٠١م، جـ١٤،ص١٧٦) بينما نقل ابن كثير هذا الكلام وفسر قول عبادة ابن الصامت وكعب الأحبار أنهم أرادوا تقريب المعنى ،كما ذكر أن قول كعب الأحبار أن الباب المذكور في القرآن هو باب الرحمة الذي هو أحد أبواب المسجد فهذا من إسرائيلياته ونزغاته " تفسير القرآن العظيم، دار مصر للطباعة ،القاهرة ،١٩٨٨م، جـ٤ ، ص٣٠٩) بينما أورد بعض المؤرخين ذلك التفسير دون تفسير أو تأصيل له انظر: ابن الجوزي : فضائل القدس ، تحقيق جبرائيل سليمان جبور: منشورات الآفاق بيروت،ط ٢، ١٩٨٠م،١٣٨، المقدسي: فضائل بيت المقدس، تحقيق محمد مطيع الحافظ، دار الفكر ، دمشق،١٩٨٨م، ص٤٤ـ٤٦، السيوطي: اتحاف الاخصا، جـ ١،ص ١٩٣ـ١٩٤،الفزاري : باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس، تحقيق أحمد عبد الباسط حامد وأحمد عبد الستار عبد الحليم،دار الكتب والوثائق القومية ،القاهرة ،٢٠٠٩م،ص٦١،

(46) وادي جنهم بقع شرقي المدينة (ابن بطوطة: تحفة النظار، جـ ١،ص٢٤٩)

(47) العارضة ، جـ ٩،ص٤٦،جـ١٣،ص٢٧٦ـ٢٧٧ .هناك حديث شريف عن رسول الله صلى عليه وسلم عن أرض المحشر ونصه : "حدثنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرَّقِّيُّ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ عَنْ زِيَادِ بْنِ أَبِي سَوْدَةَ عَنْ أَخِيهِ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي سَوْدَةَ عَنْ مَيْمُونَةَ مَوْلاةِ النَّبِيِّ- صلى الله عليه وسلم- قَالَتْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفْتِنَا فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ. قَالَ « أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَالْمَنْشَرِ ائْتُوهُ فَصَلُّوا فِيهِ فَإِنَّ صَلاةً فِيهِ كَأَلْفِ صَلاةٍ فِي غَيْرِهِ ». قُلْتُ أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَتَحَمَّلَ إِلَيْهِ قَالَ « فَتُهْدِي لَهُ زَيْتًا يُسْرَجُ فِيهِ فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ كَمَنْ أَتَاهُ". (رواه ابن ماجة: سنن ابن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ن المكتبة العلمية بيروت ،د.ت، جـ١ـ ص ٤٥١، حديث رقم ١٤٠٧ باب إقامة الصلاة) . وقد ورد عدد من الروايات تحدد أن= =وادي جنهم هي أرض المحشر منه (ابن العربي :العارضة ،جـ٩،ص٤٦، ابن الجوزي : فضائل القدس، المقدسي: فضائل بيت المقدس: ص٤٤-٤٥،ص١٣٨ ،الفزاري : باعث النفوس،ص٦٨. كما يذكر ابن العربي أنه روى عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أنه عندما فتح القدس وقف على الطور بشرقيه وقال هذه أرض المحشر(العارضة جـ٩،ص٤٦).

48) العبدري "الرحلة ،ص٤٧٠

49) تحفة النظار، جـ١ ،ص ٢٤٦.

50) الدرقة :الحجفة وهي ترس من جلود ليس فيه خشب ولا عقب ، والجمع دَرَق والدراق وبراق (ابن منظور : لسان العرب ،ج٥، ٢٤٧ ، مادة درق) .

51) نزهة المشتاق،جـ ١،ص٣٦٠

52) نزهة المشتاق،جـ ١،ص٣٦٠. الكاوية: هي فرقة من فرق الرهبان التي تأسست بعد استيلاء الصليبيين على القدس وقد عرفت باسم فرسان المعبد ، وجنود السيد المسيح، وهي منظمة حربية مهمتها محاربة المسلمين وحماية طرق الحجاج

قمسيحيين، وقد اكتسبت هذه الهيئة أهمية سياسية وحربية وحصلت على العديد من الإقطاعات والامتيازات (نبيلة إبراهيم مقاس: فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٩٤م،ص١٦-٢٠).

(53) الليقاع : المشرف من الأرض والجبل وقيل هو قطعة منها ،وقيل هو التل المشرف ، وقيل هو ما ارتفع من الأرض(ابن منظور: لسان العرب ، جـ ١٦، ٣٢ ، مادة يفع).

(54) العبدري "الرحلة ،ص ٤٧٠ـ ٤٧١.

(55) العبدري "الرحلة ،ص٤٧١.

56) تحفة النظار، جـ١ ،ص ٢٤٧

57) ابن بطوطة تحفة النظار، جـ١ ،ص ٢٤٩

(58) العارضة ، جـ ١،ص ٤٦ ،جـ١٣ ص٢٧٦ـ٢٧٧

(59) أنساب الأخبار، ص١٨٩.

60) احتل الصليبيون بيت المقدس في الحملة الصليبية في شعبان عام ٤٩٢هـ/١٠٩٩م وقتلوا سبعين ألفا من سكانها، ولمزيد من التفاصيل انظر: (ابن العربي العواصم من القواصم ، ص٣٧٢، الجوزي : فضائل القدس ، ص١٢٥، السيوطي: اتحاف الأخصا، جـ ١،ص ٢٤٧ ، مجير الدين: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل،ورقة ١٠٨، عارف باشا العارف: تاريخ القدس، دار المعارف ، القاهرة، ط٢ ، ١٩٩٤م، ص٧٣)

(61) أحكام القرآن،جـ٣، ص ٢٥٠.

62) تحفة النظار، جـ١ ،ص ٢٤٧

(63) نزهة المشتاق،جـ ١،ص٣٦٢

(64) يقول الزبيدي إن قمامة نصرانية بنت ديرا بالقدس فسمي باسمها ، والصحيح أنها سميت باسم ما يلقى من قمامة البيت ، وذلك أن السلطان صلاح الدين الأيوبي لما فتح بيت المقدس ورأى المسجد الأقصى مهجورا أمر بكنسه وتنظيفه وإخراج قمامته وطرحها في هذا الدير فسمي به لذلك ، وهذه النصرانية اسمها هيلانة وهي أم قسطنطين الملك ، وقد بنت عدة ديور في أيام ملك ولدها، منها الرها وغيرها ، (الزبيدي : تاج العروس ، تحقيق علي الهلالي وآخرون، وزارة الثقافة ، الكويت ،١٩٧٢ـ ٢٠٠٤م،جـ٣٣، ص٢٩٩ . وهيلانة هذه قد بنت كنيسة القيامة عام(٣٣٥م) وأمرت بطرح القمامات والأزبال على الصخرة بعد إزالة ما عليها من بناء (القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ٤ ص١٠١، عارف باشا: تاريخ القدس، ص٣٨) .

65) نزهة المشتاق،جـ ١،ص٣٥٩

66) العبدري: الرحلة ، ص٤٦٩، ذكر مجير الدين أن الرباطين المذكورين كانا بالقرب من المسجد الأقصى من جهة الغرب بباب الناظر وقد أوقف السلطان قلاوون رباطه عام (٦٨١هـ/١٢٨٢م) على الفقراء، بينما أنشأ الأمير علاء الدين البندقداري البصير رباطه

عام(٦٦٦هـ/١٢٦٧م)(الأنس الجليل ورقة ١٥٦، عارف باشا : تاريخ القدس،ص ٨٨، علي منصور الحياة العلمية في القدس، ص ٢٩).

67) الإدريسي: نزهة المشتاق،جـ ١،ص٣٥٩

(68) العبدري :الرحلة ، ص٤٦٩

(69) أنساب الأخبار، ص١٨٨.

(70) طور زيتا جبل بقرب رأس عين عند قنطرة الخليور. على رأسه شجرة زيتون يسقيها المطر : لذلك سمي طور زيتا وهو مشرف على المسجد، وفيما بينهما وادي جلهم ، ومنه رفع عيسى عليه السلام وفيه قبور الأنبياء(ياقوت الحموي:معجم البلدان،جـ ٤، ص٤٧ـ ٤٨).

(71) أحكام القرآن ،جـ ٢، ص٤ـ٥

72) ابن الصباح: أنساب الأخبار، ص١٨٨.

73) الأحكام ،جـ٤ ،ص٧

(74) أنساب الأخبار، ص١٨٩

(75) أنساب الأخبار، ص١٩٢

76) أنساب الأخبار، ص١٩٢ـ ١٩٣.

77) أنساب الأخبار، ص١٩٢

78) أنساب الأخبار، ص١٩٣

(79) أنساب الأخبار، ص١٩٥

80) ابن العربي: العواصم من القواصم ، ص٤٥.

81) ابن العربي : قانون التأويل ، ص٤٣٤.

82) ابن العربي : قانون التأويل ، ص٤٣٨.

83) تحفة النظار،جـ١ ، ص٢٤٩.

(84) هو بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة بن حازم بن صخر، قاضي القضاة الحموي الشافعي ، ولد بحماة سنة(٦٣٩ هـ/١٢٤١م) وسمع عن عدد من الشيوخ بمصر ودمشق وكان قوي المشاركة في علوم الحديث والفقه والأصول والتفسير ، له تصانيف كثيرة وأفتى ونقل إلى خطابة القدس ثم تولى قضاء مصر ، كما تولى الخطابة والقضاء في دمشق وتوفي بالقاهرة عام (٧٣٣هـ/١٣٣٢م) (الصفدي الوافي بالوفيات ،جـ٣ ، ص١٥ـ١٦)

85) العبدري "الرحلة ،ص٤٧٣

(86) من الجدير بالذكر أن بالقدس، في تلك الفترة، عدداً من المدارس المختلفة فقد أنشأ الأيوبيون تسع مدارس بالقدس منها : المدرسة الصلاحية التي أنشئت عام(٥٨٨هـ/١١٩٢م) والمدرسة الأفضلية التي أنشئت عام (٥٨٩هـ/١١٩٣م) والمدرسة البدرية(٦١٠هـ/١٢١٣). وقد واصل المماليك الاهتمام ببناء المدارس في القدس حتى بلغ عددها سبعاً وأربعين مدرسة، منها ما بني قبل زيارة العبدري للقدس، مثل المدرسة الأيلخانية التي أنشئت عام (٦٦٦هـ/١٢٦٧م)(عارف باشا : تاريخ القدس ، ص٨٢ـ٨٥، ٨٨، علي منصور :الحياة العلمية في القدس، ص١٥ـ١٦).

المصادر والمراجع

أولا : المصـــادر:

- القران الكريم
- الإدريسي(أبو عبد الله محمد بن محمد بن إدريس ، ت ٥٦٤هـ/١١٦٥م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،عالم الكتب بيروت ،١٩٨٩م
- الألوسي(شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ت١٢٧٠ه/١٨٥٣م): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم،منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية،بيروت،٢٠٠١م.
- ابن بطوطة محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي ت٧٧٩هـ/١٣٦٩م): رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق عبد الهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط ،١٩٩٧م.
- ابن الجوزي(أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م : فضائل القدس : تحقيق جبرائيل سليمان جبور، منشورات الآفاق ، بيروت ط ٢، ١٩٨٠م
- ابن الخطيب لسان الدين ابو عبد الله محمد بن سعيد السلماني ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م): الإحاطة في أخبار غرناطة ،تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي ، القاهرة . ١٩٧٥م
- الزبيدي (محب الدين الحنفي الحسني ت ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م) : تاج العروس ، تحقيق علي الهلالي وآخرون، وزارة الثقافة ، الكويت ،١٩٧٢م- ٢٠٠٤م.
- السيوطي (أبو عبد الله شهاب الدين أحمد المنهاجي ت٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م) :اتحاف الاخصا بفضائل المسجد الاقصى ، تحقيق أحمد رمضان أحمد ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ـ١٩٨٠م
- ابن الصباح(الحاج عبدالله بن الصباح أواخر القرن الثامن الهجري) :أنساب الأخبار وتذكرة الأخيار(رحلة المدجن الحاج عبد الله بن الصباح ، هذبها واصلحها محمد بنشريفة ، دار أبي رقراق، الرباط ،٢٠٠٨م.
- الصفدي(صلاح الدين خليل بن أيبك ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م): الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الارناؤط، دار إحياء التراث العربي بيروت ،٢٠٠٠م.
- الطبري (محمد بن جرير ت ٣١٠هـ/٩٢٢م): جامع البيان عن تأويل القرآن العظيم، دار للفكر العربي ، د.م، د. ت.
- العبدري(أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد ت بعد٦٩٩هـ/١٢٩٣م):رحلة العبدري، تحقيق علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين دمشق ،١٩٩٩م
- ابن العربي(أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ت٥٤٣هـ/١١٤٨م):

- العواصم من القواصم، تحقيق عمار الطالبي، مكتبة دار التراث ، القاهرة ١٩٧٤م.
- قانون التأويل ، تحقيق محمد السليماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية جدة مؤسسة علوم القرآن، بيروت،١٩٨٦م
- أحكام القرآن ، راجعه محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ،بيروت، د.ت.
- الفزاري (برهان الدين ابن الفركاح الفزاري ت٧٢٩هـ/١٣٢٨م) : باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس،تحقيق أحمد عبد الباسط حامد وأحمد عبد الستار عبد الحليم، دار الكتب والوثائق القومية ،القاهرة ،٢٠٠٩م.
- القاضي عياض (أبو الفضل عياض اليحصبي، ت ٥٥٤هـ/ ١١٥٩م): الغنية تحقيق ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ١٩٨٢
- ابن القاضي المكناسي(أحمد بن محمد بن أبي العافية ،ت ١٠٢٥هـ /١٧٩٠م جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة الرباط ١٩٧٣ م.
- القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي، ت ٨٢١هـ/ ١٤١٤م):صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ،٢٠٠٦م.
- ابن كثير(أبي الفداء إسماعيل بن كثير ت٧٧٤ه/١٣٧٢م): تفسير القرآن العظيم دار مصر للطباعة ،القاهرة ،١٩٨٨م
- ابن ماجة(أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ت٢٧٥هـ/٨٨٨م) : سنن ابن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ن المكتبة العلمية بيروت د.ت،
- مجير الدين (مجير الدين الحنبلي ت ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، نسخة مخطوطة مصورة لدى الباحثة عن نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق.
- المقدسي (ضياء الدين محمد عبد الواحد ت ٦٤٣هـ/١٢٤٥م):فضائل بيت المقدس، تحقيق محمد مطيع الحافظ ،دار الفكر ،دمشق،١٩٨٨م
- المقريزي (تقي الدين احمد بن علي ت٨٤٥هـ/١٤٤١): السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، دار الكتب المصرية ، القاهرة،د.ت
- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ،ت ٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، دار صادر، بيروت . ط٣، ٢٠٠٣م .
- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ، ت ٦٢٠هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان ، دار صادر بيروت ،١٩٨٤م.

ثانيا : المراجـــــع:

- إبراهيم حركات: المدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن ٩هـ/١٥، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ٢٠٠٠م.
- حسين مؤنس :تاريخ الجغرافية والجغرافيين فـي الأنـدلس ،مكتبـة مـدبولي، القاهرة، ط١،١٩٨٦
- خير الدين الزركلي: الأعلام ، دار العلم للملايين بيروت ،ط١٥ ،٢٠٠٢م.
- زكي محمد حسن : الرحالة المسلمون في العصور الوسطى،دار الرائد العربـي ، بيروت ،١٩٨١.
- سعيد أعراب : مع القاضي ابن عربي،دار الغرب الإسلامي،بيروت،١٩٩٨م.
- ابن سودة: دليل مؤرخ المغرب الأقصى،دار الفكر العربي ، بيروت ،١٩٩٧م.
- عارف باشا العارف: تاريخ القدس، دار المعارف ، القاهرة، ط٢ ، ١٩٩٤م.
- عبد الله كنون: الشريف الإدريسي أعظم جغرافي أتى بعد بطليموس في القـرون الوسطى، (مجلة المناهل، العدد الأول نوفمبر ١٩٧٤ ص١٣ ــ٢٢)
- علي السيد علي : القدس في العصر المملوكي، دار الفكـر للدراسـات والنـشر والتوزيع، القاهرة ،١٩٨٦م.
- علي منصور نصر شهاب: الحياة في القدس في القرن الثامن الهجري في ضـوء كتاب الدرر الكامنة لابن حجر،حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية الثانية والعشرون، الرسالة ٢٠٠،١٩٦ــ٢٠٠١م.
- عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين ،مؤسسة الرسالة بيروت ، ١٩٩٣.
- كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي . تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ترجمة صلاح الدين عثمان، لجنة التأليف والترجمة والنشر ،القاهرة ،١٩٥٧م
- محمد الفاسي : الرحالة الشهير أبو عبد الله محمـد العبـدري(صـحيفة معهـد الدراسات الإسلامية بمدريد ، مج ٩-١٠،ص١-١٤).
- نبيلة إبراهيم سقاس: فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام فـي القـرنين الثـاني عشر والثالث عشر، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٩٤م.

ثالثا : المراجع الأجنبية

- Amikam Elad, The Description of the Travels of Ibn Ba□□u□a In Palestine: Is It Original? . *The Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland*, No. 2 (1987), pp. 256-272. P256.
- Marina Tolmacheva , The Medieval Arabic Geographers and the Beginnings of Modern Orientalism , International Journal of Middle East Studies, Vol. 27, No. 2 (May, 1995), pp. 141-156

القدس في ضوء كتابات ناصر خسرو

د. مبارك رمضان أبو زيد (*)

مقدمـــــة

عَرَفَ الفُرس – مثلهم مثل غيرهم من الأمم- الرحلة وجالوا في الأرض بهد التجارة، وكان ذلك قبل الإسلام، وبعد ظهور الإسلام ظهرت بواعث جديدة للرحلة منـ للدعوة إلى الإسلام والجهاد في سبيل الله، وطلب العلم والحج والعمرة، وزيارة المسا الثلاثة : المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى. وكتب الرحالة كتباً يصف فيها ما شاهدوه، ويدونون ما ينقلونه عن الرواة والثقافات للتعرف على البلد والمجتمعات. وقد استأثرت القدس باهتمام معظم الرحالة الجغرافيين- ومنها ر سفرنامة- لناصر خسرو(ت٤٨١هـ/١٠٨٨م) والتي نستكشف من خلالها صو المدينة في زمنه، وتُعد بذلك وثيقة حافلة بمعلومات قيِّمة، لا يمكن إغفالها، عن الحـ في بيت المقدس.

أما ناصر خسرو هذا فهو: الحكيم حميد الدين أبو معين ناصر بن حا القبادياني البلخي المروزي، أحد الشعراء و الكتاب البارزين في القرن الخام للهجرى/الحادى عشر الميلادى، ولد في عام ٣٩٤هـ/١٠٠٣-١٠٠٤م، في مد قباديان قرب بلخ[١] بإقليم خراسان[٢]، واشتغل في شبابه بتحصيل العلوم والبحث الأديان والعقائد... فزار الهند وأفغانستان وتركستان[٣]، وهو من أسرة متوسطة الـ واسع الاطلاع، التحق بخدمة الغزنويين؛ ومن هنا نشأ نشأة سُنِّية، ثم التحق بخـ السلاجقة، وكان حائراً في المذهب الذي يتبعه، أيكون شيعياً أم سُنِّياً؟ فإذا وُفق، فرقة من الفرق العديدة يتبع؟[٤]. فرحل إلى مصر حيث المذهب الفاطمي، لعله يجد ما تصبو إليه نفسه من معرفة للحقيقة[٥].

لعل السبب الأول الذي دفعه على السفر كان الرغبة في الاطلاع وتحقيق أحـ الأمم وعقائدهم[٦]، ويضاف أن هناك دوافع دينية، وهو ما قرأه في القرآن الكريم سورة محمد ﷺ قوله تعالى ﷻ "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا"[٧]. و ناصر خسرو في منامه ذات ليلة مُحدثاً أشار عليه بزيارة القبلة، ولذا يمكن القول

(*) باحث حاصل على درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي.

رحلته كانت دينية في المقام الأول، وتأثير ذلك واضح في وصفة للأماكن الدينية،وصفاً عجيباً، ومن ضمنها القدس.وبدأ تلك الرحلات التي امتدت سبع سنوات منذ عام ٤٣٧هـ/١٠٤٧م، رحل إلى الحجاز وآسيا الصغرى وسوريا ومصر،وأقام في عدد من المدن والحواضر من أهمها بيت المقدس، وقد تفاوتت مدة إقامته بين مدينة وأخرى[٨].

ولعل أول ما يلفت النظر في رحلته: دقة الوصف واهتمامه بالتفاصيل مهما صغرت، وخاصة النواحي العمرانية في الحواضر والمدن التي زارها، كمسجد بيت المقدس[٩]. والواقع أن أسلوب المبالغة يسود الكتاب أحياناً، فهو يتحدث عن حصير إبراهيم فيقول: "إنه لم ير مثلها في مكان قط"، وعن كنيسة القيامة يقول "إنه ليس لها نظير في أي جهة من العالم"، وحسب كلام ناصر خسرو أنه كان يسجل ما يشاهده وما يسمعه يومياً، وفي كثير من الأحيان لايكتفي بالمشاهدة، فمثلاً عندما يسمع بعض المعلومات من بعض العوام يقوم بتجربتها، ويتضح ذلك عندما ذكر أهالي بيت المقدس رواية عن وادي جهنم، فنجده يذهب للتحقيق من هذا الأمر. ونجده يمتحص ما يصادفه من أمور وعادات ومواقف حسنة[١٠]. وفي الحقيقة استرعت رحلته اهتمام الباحثين، ومما شجعهم على ذلك هو ترجمة الكتاب للغة العربية.

الأوضاع السياسية لمدينة القدس قبيل الرحلة:

أصدر الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢١م) إلى والي مدينة القدس "بارختكين" والمقيم في الرملة[١١] عاصمة جند فلسطين عام ٣٩٩هـ/١٠٠٩م أمراً بالتوجه إلى القدس وهدم كنيسة القيامة، فاستجاب الوالي للأمر[١٢]، ولجأ الخليفة إلى سياسة تضييق الخناق تجاه سكان القدس من النصارى، فاضطروا إلى الهجرة إلى المناطق الحدودية في الشمال من بلاد الشام، والتي كانت تخضع لنفوذ الدولة البيزنطية آنذاك[١٣]، وأصبحت تصرفاته نموذجاً لتصرفات الحكام الطاغية المجنون[١٤].

هذا في الوقت الذي ضَعُفَ فيه نفوذ الفاطميين في كل بلاد الشام الجنوبية، بعد سيطرة آل الجراح الطائيين[١٥] على فلسطين، من الفرما عند حدود مصر جنوباً وحتى طبرية في الشمال[١٦]. وأصدر حسان بن مفرج الطائي أمير آل الجراح وصاحب الأمر في مدينة القدس، أوامره بتنصيب بطريرك للنصارى فيها، كما سمح لهم بإعادة بناء كنيسة القيامة، بل وساهم ابنه الجراح بنفقات إعادة البناء[١٧].

لكن سرعان ما تمكن الحاكم بأمر الله من استرضاء آل الجراح، وعادت القدس وجميع فلسطين للنفوذ الفاطمي، في الوقت الذي أرسل فيه الإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني (٣٦٥-٤١٦هـ/٩٧٦-١٠٢٥م) سفارة إلى القاهرة عام ٤٠٥هـ/١٠١٤-١٠١٥م، للخليفة الفاطمي يطلب وده؛ مما اضطر الخليفة إلى اتباع سياسة جديدة تجاه النصارى. إذ سمح لهم بالعودة إلى بلادهم، وألغى جميع الإجراءات التي أصدرها من

قبل[١٨]، وترتب عليه أن تحسنت العلاقات بين الخلافة الفاطمية والإمبراطو البيزنطية، بعد وفاة الحاكم بأمرالله عام٤١١هـ/١٠٢١م، وتم الاتفاق على عقد اتف بينهما عام ٤١٨هـ/١٠٢٨م، ونص في أحد بنودها على إعادة فتح كنيسة القيا والسماح بترميم بنائها[١٩].

غير أن المفاوضات توقفت بين الجانبين، وخاصةً بعد أن طلب ملك الـ الإمبراطور قسطنطين الثامن (٤١٦-٤١٩هـ/١٠٢٥-١٠٢٨م) من الخليفة الفاط الظاهر (٤١١-٤٢٧هـ/١٠٢١-١٠٣٦) السماح له بإعادة بناء كنيسة القيامة نفقته الخاصة، وإعادة بناء بقية الكنائس التي هدمت في مصر والشام، وأن يُعين ال بطريركاً للقدس، في مقابل إطلاق سراح جميع الأسرى المسلمين، لدى البيزنطي الذين أُسروا خلال فترة حكمه، وفترة حكم الإمبراطور البيزنطي السابق له، لكن الخ الظاهر لم يوافق على هذه الاقتراحات[٢٠].

لكن حدث أن عاد الطرفان إلى المفاوضات، وتوصلوا أخيراً إلى شروط ا عليها الطرفان عام ٤٢٧هـ/١٠٣٥م، وعُقدت اتفاقية وهدنة مدتها عشر سنوات وبعد وفاة الخليفة الفاطمي الظاهر؛ اتبع المستنصر بالله (٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٥-١٠٩٤م) سياسة والده تجاه الدولة البيزنطية وقام بالمصادقة على الاتفاقية، السماح للإمبراطور البيزنطي ميخائيل الرابع (٤٢٦-٤٣٣هـ/١٠٣٤-١٠٤١م) بإعادة بناء كنيسة القيامة مقابل إطلاق سراح خمسة آلاف أسير من أ المسلمين[٢١]. لكن البيزنطيين نقضوا شروط الاتفاقية قبل نهاية المدة ففي ٤٣٣هـ/١٠٤٢م قاد البيزنطيين حملة على حدود بلاد الشام الشمالية التي كانت السيادة الفاطمية آنذاك، مستغلين وفاة الوالي الفاطمي "أنوشتكين الدزبري"[٢٢]، فرد الدولة الفاطمية على الهجوم، ولم تتخذ أي إجراء مضاد تجاه كنيسة القيام نصارى بيت المقدس، حتى عام ٤٣٧هـ/١٠٤٦م، وفيه استؤنفت الاتصالات الجانبين لإعادة العلاقات بينهما، وأرسل كل من الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الت (٤٣٣-٤٤٦هـ/١٠٤٢-١٠٥٤م) والخليفة الفاطمي السفراء والرسائل وتبادلوا الـ فيما بينهم[٢١]. وفي رمضان ٤٣٨هـ/مارس ١٠٤٧م كان ناصر خسرو قد وصل مدينة القدس في طريقه إلى القاهرة مقر الخلافة الفاطمية، ومكث مدة لزيارة أم المقدسة ومعالمها الأخرى[٢٤]، وقدم لنا الرحالة وصفاً يدل على ازدهار المدينة في الفترة وكثرة النشاط بها، وخاصة في وصفه لكنيسة القيامة، مما يدل على تنفيذ الاتفاقية الخاصة بها[٢٦].

الأوضاع الاقتصادية لمدينة القدس في ضوء كتابات ناصر خسرو.

تحدث ناصر خسرو عن الحياة الاقتصادية عند وصفه لمدينة القدس[٢٧]، و عدم وجود موارد طبيعية كبيرة. ووقوعها في وديان غير ذات زرع[٢٨]، ومن

وصف الرحالة "أن المدينة تقع على قمة جبل وأن أرضها غير مستوية[٢٩]، وكان لطبيعتها الصخرية وارتفاع سطحها من الأرض[٣٠]، وتعرضها للرياح، أثره الواضح في المناخ وكمية الأمطار[٣١]. ويضاف إلى ذلك تأثير العوامل الطبيعية على الناحية الاقتصادية وخاصة الزراعة مثل قلة المياه، والمدينة ليس بها ماء غير الأمطار[٣٢]، ويصل معدل سقوط الأمطار الشتوي إلى حوالي ٦٠٠ مليمتر، وتكاد تكون قليلة بالنسبة للزراعة[٣٣]، ولذلك قام الأهالي في المدينة بتسوية الجهات الجبلية والمرتفعات، بحيث تغسل الأرض وتنظف حين ينزل المطر. وفي موضع آخر محاولة الأهالي الاستفادة من مياه الأمطار[٣٤]، وهذا يعني أن المدينة بوجه عام كانت ذات أرض مجدبة وفقيرة المياه.

لكن الرحالة لا يغفل عن تتبع مصادر المياه في مدينة القدس والقرى المجاورة[٣٥]، إذ يشير إلى سوار ورسانيق[٣٦] بيت المقدس بأنها ذات عيون وآبار يُسقى منها، أولها عين سلوان وهي على مسافة نصف فرسخ جنوب المدينة في وادي جهنم[٣٧]، وثانيهما عين ماء تقع في قرية مطلون يتفجر ماؤها من بين الصخر، وهو ينقل من مسافة بعيدة بواسطة قناة إلى خارج القرية، حيث تم إنشاء حوض يصب فيه الماء ليلتقط به أهل القرية وغيرهم من الزائرين[٣٨].

أشار الرحالة إلى أنه وُجد في أطراف المدينة وحولها كثير من التلال والقرى، بما تختزنها من موارد المياه التي يسرت لها العديد من المناطق الزراعية، التي أمدت المدينة بحاجة سكانها من حبوب وفاكهة، وهو ما شاهده الرحالة بنفسه عندما زارها عام ٤٣٨هـ/١٠٤٧م حيث يقول: "والخيرات بها كثيرة ورخيصة..." ويشير إلى عين سلوان، وقد أقيمت عندها عمارات كثيرة، وغرسوا بها البساتين[٣٩].

ووصف ناصر خسرو المنطقة الممتدة ما بين بيت المقدس والخليل[٤٠]، والتي تُقدر بستة فراسخ[٤١]، عن طريق جنوبي به قرى كثيرة وزروع وحدائق وأشجار وموارد مياه[٤٢]. ولنا أن نتصور كبر حجم تلك المنطقة، حيث كان المسافر يقطع تلك المسافة في تلك الأزمنة في يوم كامل حسب رواية ابن عبدالحق[٤٣]. وعلى بعد فرسخين جنوب بيت المقدس أربع قرى بها عين وحدائق وبساتين كثيرة تسمى الفرادیس لجمال موقعها[٤٤]، أما أهل الخليل فقد اعتمدوا على الزراعة في كسب قوتهم، متميزين في ذلك عن غيرهم من سكان المسجد الأقصى، طبقاً لما أشار إليه ناصر خسرو من قبل[٤٥].

لا يخلو ما كتبه ناصر خسرو عن مدينة القدس، والأراضي المحيطة بها، من إشارات عن إنتاجها الزراعي، وخاصة الأشجار المثمرة[٤٦]، مثل أشجار الزيتون المنتشرة على سفوح المدينة وحوافها وعلى جانبي التلال الصخرية، وعلى طول الوادي الممتد ما بين القدس والخليل، وتكثر زراعته في قرية الخليل والقرى المجاورة

للمدينة[٤٧]. ومن الأشجار المثمرة الكروم والتي اختصت مدينة القدس بزراعتها امتداد الوادي ما بين القدس والخليل، وكذلك زراعة التين والعناب[٤٨]. أما المحاصيل الزراعية فكان الشعير هو الأكثر انتشاراً في الأراضي المرتفعة، وكذ زراعة القمح تنتشر حول القرى المحيطة بالقدس، إلا أنه كان قليلاً في الوادي الم من بيت المقدس إلى الخليل[٤٩]. وتكاد تكون رحلة ناصر خسرو خالية عن نظم الزر والآلات المستخدمة في ذلك العصر، ولكن يبدو أن الأرض في القدس كانت تزرع با المقاسمة[٥٠]، إحدى مميزات النظام الإقطاعي الزراعي الذي ساد في ذلك العصر، و الزراع يستعينون بالدواليب التي تدور باستخدام الحيوانات، لرفع المياه إلى الأر المرتفعة عن مستوى مصدرها في بلاد الشام، فقد ذكر ناصر خسرو أنه رأى كثيرا الدواقي في بلاد الشام، وخاصة على نهر العاصي بحماه، ولم يتوقف استخدامها العصر العباسي[٥١]، أما عن الحيوانات المستخدمة فقد كان الأهالي كغيرهم يستخد فيلان والثيران لطحن الدقيق[٥٢].

من إشارات الرحالة المتناثرة عن الصناعة يتضح لنا : أن عدداً من سكان الق والمناطق المجاورة اشتغلوا بصناعة عصر واستخراج زيت الزيتون، حيث أشجاره[٥٣]. وهي تمثل أحد مصادر الدخل الرئيسية، ويشير إلى أن بعض العائلات ب الواحد منهم خمسين ألف مَنّ[٥٤] من زيت الزيتون، ولكثرته كانوا يحفظونه الصهاريج والآبار والأحواض[٥٥]. واشتهرت مدينة القدس بإنتاج أنواع من الق يسمى ثياب المنيرة والبلعيسية، منذ أواخر القرن الرابع الهجري. وكانت صناعة ال والفواكه المجففة من أشهر الصناعات في مدينة القدس، وكانت المرايا والق والقناديل والإبر والحبال مما تنتجه القدس أيضا. [٥٦]

وعلى الرغم من أن الرحالة أشار إلى وجود الصناع وأسواقهم، إلا أن ما يُعد تحذرات، فعلى سبيل المثال: عندما وصف مدينة القدس بأن بها نشاطا عم هائلاً، هذا النشاط الذي يحتاج إلى الصناع المهرة لإصلاح وبناء المساجد والأ والشوارع والكنيسة، وعمارة قنوات المياه، حيث يتم استخدام كثير من أصحاب الم المختلفة. ويضاف إلى ذلك أن الحركة العمرانية كان يلزمها الإشارة إلى عملية الأحجار من المحاجر التي وجدت في القدس[٥٧]، وهذا ما أكدته لنا المصادر الإسلا عن وجود تلك المحاجر، وبخاصة عندما فتح صلاح الدين الأيوبي المدينة عام ٨٣ /١١٨٧م وأمر بعمارة سور المدينة، فقد كان يركب بنفسه ويأتي بتلك الأحجار ومما يؤخذ على ناصر خسرو أيضا، أنه لم يُشر إلى أن اقتصاد القدس كان على الأ لا يعتمد على الزراعة وما يرتبط بها، وإنما يعتمد على الحرف اليدوية التي يكثر للحجاج الزائرين عليها، والخدمات المختلفة التي يتطلبها الحجاج والزوار الذين يأ إلى المدينة كل سنة، في موسم الحج والزيارة من كل أنحاء العالم[٥٩]، وكل ما أشار ناصر خسرو هو: صناعة استخراج زيت الزيتون وحفظها[٦٠]، والطواحين الكثيرة ال

الدقيق والتي تدار بواسطة البغال والثيران[٦٩]. ويذكر البعض أن طائفة اليهود بالقدس كانوا يعملون بحرفة صناعة الأقمشة ودبغ الجلود[٧٠].

شهدت مدينة القدس حالة من الاستقرار لم تنعم بها منذ فترة طويلة، وكان ذلك عند وصول ناصر خسرو. ولأن زيارة المسجد الأقصى وغير سيدنا إبراهيم الخليل من الأمور الهامة التي كان الحجاج المسلمين يحرصون على أدائها، فقد ترتب عليها تدفق أعدادا كبيرة من المسلمين للزيارة في موسم الحج، ممن لا يستطيع الذهاب إلى مكة من أهل هذه الولايات، مثلما كان يحدث من قبل، وقد يصل عددهم إلى أكثر من عشرين ألف شخص في أوائل ذي الحجة ومعهم أبناؤهم[٧٢]، هذا بالإضافة إلى قدوم أعداد من الحجاج المسيحيين[٧٣]، وكان من الطبيعي أن يصحب ذلك رواج اقتصادي ويتم تبادل السلع[٧٤]. وكان أهل مدينة القدس يعتمدون على الزراعة في معاشهم، ولاشك أنهم كانوا يتبادلون مع أولئك الحجاج السلع فيوفرون بذلك ما ينقصهم، فيؤجرون لهم الجمال ويبيعون لهم اللبن والماء والحطب وغير ذلك مما يحتاجونه[٧٥]. ومما يلفت النظر أن الرحالة لم يشر إلى الرواج الاقتصادي آنذاك، ولم يشر كذلك إلى أهم المتاجر التي اشتغل بها أهل القدس، على الرغم من وجود ارتباط بين الحالة التجارية وبين نواحي الحياة المختلفة، من زراعة وصناعة وأمن لارتباط وثيق.

ويمكن القول عن أهم المتاجر، التي اشتغل بها سكان القدس في تلك الفترة، أنها تركزت بصفة أساسية في تجارة المحاصلات الزراعية، من زيت الزيتون والعنب والقمح والشعير، إلى جانب بعض الصناعات الصغيرة والتي تحدثنا عنها، وكانت للقدس تستورد ما تحتاج إليه من البضائع والسلع، مما لا ينتج في القدس أو في المناطق القريبة منها، فيذكر ناصر خسرو أنها كانت تستورد الصناديق من مدن الشام والعراق.[٧٦]

أبدى الرحالة إعجابه بأسواق مدينة القدس والتي تقع شرق المدينة، وبابنيتها العالية والصناعات العديدة. وكان لكل طائفة سوق[٧٧]، كما كان هناك حرفيون مهرة، وبضائع كثيرة رخيصة الثمن، أما سكان المدينة الذين يعملون في الحرف والمهن، فكان مكان عملهم عادة في الأسواق، حيث كان يتجمع أصحاب كل مهنة أو حرفة معينة في سوق أو منطقة خاصة بهم. وقد وجدت أسواق للطباخين وصرافي النقود من الأوربيين والمورين المحليين، والحدادين وأصحاب صناعة الجلود والدباغين والقطانين وغيرهم، كما وجدت أسواق للحبوب والماشية[٧٨]. ومن المعروف أن أسواق المدن الإسلامية في العصور الوسطى كانت متخصصة فكل سوق اختص بسلعة معينة[٧٩]، وكان لتجمع أصحاب كل مهنة أو حرفة معينة في سوق أو منطقة خاصة بهم، أن سهل عمل المحتسب وأعوانه المشرفين والمفتشين[٨٠].

وكان يحيط بمدينة القدس منطقة خصبة واسعة، تقوم بتزويدها بكل حاجاتها من الفواكه والحبوب. ويمكن القول بوجود تبادل إقليمي بين القدس والقرى المحيطة بها سواء أكان ذلك بطريقة مباشرة أو بواسطة الأسواق الموجودة في المدن[٨١]، فمثلا: يشير الرحالة إلى وجود" عرصة الغلال" التي تقع بالقرب من باب الخليل، وهي ساحة ميدان ويبدو أن الفلاحين والقرويين كانوا يجلبون إليها غلاتهم الزراعية لبيعها التجار والأهالي[٨٢]، وكان جل اهتمامه بالناحية الشكلية بالأسواق حيث البناء والأرض فقط وليس فيما يورده من معلومات عن طبيعة تلك الأسواق أو تخطيطها أو السلع ال كانت تباع فيها، ولا يذكر تعددها ولا يوضح أنواع الأسواق. على الرغم من أن الم التي قضاها ناصر خسرو في المدينة لم تكن قليلة حتى تمنعه من ملاحظة هذه الظواه

الحياة الاجتماعية لمدينة القدس كما تبدو في الرحلة

كان سكان مدينة القدس يعيشون معاً، في ظل حكم الفاطميين لهم[٨٣] وخلا عهود الاستقرار- وقت زيارة ناصر خسرو لها- حيث يعيش المسلمون والنصارى[٨٤] واليهود[٨٥] بمساكن متجاورة دون تمييز أو تركيز في أحياء خاصة بـ ووصل عدد السكان في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، الى ٠٠٠ نسمة[٨٦]. وتحدث ناصر خسرو عن رواق[٨٧] المغاربة[٨٨] في القدس، وعن وجـ الدنانير المغربية[٨٩] بالقدس والخليل، وعن الحصير المغربي الذي كان يفوق الديباج حسناً[٩٠].

ويعطي الرحالة تفاصيل قليلة جداً عن عامة الناس في مدينة القدس، وأشار أنهم كانوا يتكونون من الصوفيين وكبار التجار الذين كانوا يشكلون القيادة الفك العامة، وحلقة الوصل بينها وبين الفئات الخاصة، وأصحاب المهن والحرف المخت الرفيعة منها أو الوضيعة، كما يظهر ذلك واضحاً من الأسواق المتخصصة بأنواع مـ من السلع والمنتجات والأعمال التي يذكرها ناصر خسرو في رحلته، وغير ذلك من فـ العامة الذين كانوا يقدمون الخدمات المختلفة التي كان سكان المدينة يحتاجونها[٩١] وتحدث عن جماعة المجاورين الذين يقيمون في بيت الصخرة للتعبد.[٩٢]

وشاهد ناصر خسرو أن سكان مدينة القدس والولايات المجاورة – يحجون القدس عندما لاتتيسر لهم ظروف الحج إلى مكة، وهناك يؤدون مناسك الحج، ويـ عدد الحجاج في بعض السنين إلى أكثر من عشرين ألف شخص ومعهم أطفالهم. و أن مدينة القدس تعد من المدن المقدسة عند المسيحيين، بقدر ما هي مقدسة المسلمين، فإننا نجد ناصر خسرو يتحدث عن وجود النصارى بها، كما يقصدها أعـ كبيرة من النصارى من ديار الروم لزيارة الكنيسة[٩٣]. وعلى بعد فرسخ واحد من ا المقدس يقع بيت لحم، وهو المكان الذي يعظمه كثير من النصارى ويقيم بجـ مجاورون، ويحجون إليه، ويقصده الحجاج من بلاد الروم. وفي موضع آخر يشير

أن أعداداً كثيرة من القسس والرهبان، الذين سكنوا الكنيسة، يقرؤون الإنجيل ويُصلُّون ويشتغلون بالعبادة ليل نهار في مدينة القدس وبيت لحم. حيث يوجد بهما عدد من الكنائس أكبرها كنيسة القيامة التي كانت تتسع لثمانية آلاف شخص[٨٧]. وأشار الرحالة إلى أنهم قد حظوا بالتسامح والمعاملة الحسنة من قبل المسلمين، فمارسوا طقوسهم الدينية في حرية تامة[٨٨].

وعندما تحدث ناصر خسرو عن القدس، بصفة عامة، أشار إلى أنها كانت بحالة جيدة، ولم يحدث بها تغير في توزيع السكان داخل المدينة ولا في أسوارها، خاصة وأن الخليفة الفاطمي الظاهر أمر الأهالي والمسئولين عنها ببناء أسوار مدينتهم دون تمييز، ويبدو أن عملية البناء هذه قد بدأت مباشرة، ولكنها توقفت نتيجة لهذه الهزة الأرضية القوية التي وقعت في فلسطين عام ٤٢٥هـ/١٠٣٤م، وتهدم نصف مدينة الرملة وأجزاء من سورها، وخراب معظم مدينتي أريحا ونابلس وقراهما وجزء من المسجد الأقصى[٨٩].

ومن خلال كتابات الرحالة نقف على حقيقة تاريخية تهمنا في الموضوع، تلك هي الوجود اليهودي في القدس. مادًا عن عدد اليهود؟، نلاحظ أن الرحالة عندما تحدث عن الحضور الإسلامي إلى جانب الحضور المسيحي، لم يرد ذكر لليهود في مدينة القدس إلا من خلال أنه يأتي لزيارة بيت المقدس: من ديار الروم، كثير من النصارى واليهود لزيارة الكنيسة والكنيش[٩٠] هناك[٩١]، ويُفهم أن اليهود كانوا قلة، يأتون للزيارة من أنحاء متفرقة من العالم[٩٢]، ويبدو أن البعض منهم سكنوا في مدينة القدس، إذا أن مجير الدين الحنبلي يذكر أنهم سكنوا في حارة خاصة بهم أطلق عليها حارة اليهود[٩٣].

تحدث ناصر خسرو عند وصوله إلى مدينة الخليل، عن عادات اختص بها أهلها دون غيرهم من سكان القدس، وخاصة كرم الضيافة، فهو عندهم متوارث منذ عهد سيدنا إبراهيم عليه السلام[٩٤]. وكان يقصد الخليل العديد من الزوار فيعدون لهم احتياجهم من الطعام ينفق عليه من الأوقاف المخصصة لها من القرى ومستغلات[٩٥] لبيت المقدس[٩٦]. وتحدث ناصر خسرو عن وجود حجرات للضيوف والزائرين، كما تحدث عن المضيفة وقال : إن عليها خادمات يقمن بخبز العيش طوال اليوم، وقد يصل عدد الزوار في بعض الأيام إلى خمسمئة، فتعد لهم الضيافة[٩٧]. وأشار أحد الباحثين إلى أن الأهالي في مدينة القدس والولايات المجاورة، عندما كانوا يحجون إلى القدس، كانوا يصطحبون معهم أولادهم ليختنوهم بين جدران بيت المقدس وبالقرب من مساجدها[٩٨].

ومن مظاهر الحياة العامة في مدينة القدس كثرة الاحتفالات الدينية والأعياد، ومن الجدير بالذكر انه كان لمدينة القدس أهمية دينية لكونها تضم فئات بشرية تمثل أتباع الديانات السماوية الثلاث : المسلمين[٩٩] والمسيحيين[١٠٠] واليهود[١٠١]، وقد أوجد هذا الاختلاف بين سكان المدينة نشاطات دينية واجتماعية مميزة. وعلى الرغم من ذلك فإن الرحالة لم يعط أي إشارات إلى الأعياد أو الاحتفالات الدينية وقت زيارته للمدينة[١٠٢].

الحياة العلمية لمدينة القدس كما تبدو في الرحلة:

لم يُشر الرحالة، ولو بتفاصيل قليلة، إلى الإبداع أو الفكر الثقافي في مدينة القدس أثناء زيارته لها، ولعل ذلك يرجع إلى أنه قصد برحلته زيارة الأماكن المقدسة، ولم يقصد طلب العلم، واكتفى بالإشارة إلى وجود المستشفى[١٠٣] الفاطمي - نعته الأول في مدينة القدس- يُقدم خدماته للمرضى، وبه أطباء يأخذون مرتباتهم من الوقف[١٠٤]. ولم يُشر الرحالة إلى دار العلم[١٠٥] عدا أنه يذكر عند وصفه لمسجد قبة الصخرة أنه شاهد صومعتين للصوفية[١٠٦] أقيمتا بجانب المسجد، حيث كان الصوفيون يعيشون ويتعبدون، وكانت جماعة من المتصوفين قد اتخذت مصلى صغيراً في الرواق الواقع إلى الجانب الغربي للحرم[١٠٧]. هذا في الوقت الذي لا يذكر فيه الحنبلي أي شخصية علمية بارزة أو من الرجال المشهورين في السنوات ٣٤١-٤٨٠هـ / ٩٥٢-١٠٨٧م[١٠٨] ومن المرجح أن لقاءاته بأهل العلم في مدينة القدس لقاءات غير مقصودة لذاتها.

لم يكشف لنا ناصر خسرو عن تأثير أي المذاهب الدينية في مدينة القدس، على الرغم من أنه كان شيعيا، ولم يذكر الصراعات المذهبية، أو على الأقل لم ينتبه لها ولعل تلك الصراعات لم تكن ظاهرة بدرجة كبيرة[١٠٩]. بينما تحدث المقدسي من قبل عن سكان فلسطين بصفة عامة فقال: "مذاهبهم مستقيمة أهل جماعة وسنة،... وببيت المقدس خلق من الكرامية لهم خوانق ومجالس ولا ترى به مالكيا ولا داوديا، والفقها شفعوية وأقل قصبة أو بلد ليس فيه حنفي"، وقال: "لا مجلس نظر ولا تدريس، وخا المسجد من الجماعات والمجالس... وفي موضع آخر يكشف المقدسي عن تأثير للمذهب الفاطمي بقوله عن رسوم العبادة" اليوم أكثر العمل على مذاهب الفاطمي ولأن النام ينكرونها."[١١٠] إلا أنه لم يعش إلى الربع الأول من القرن الخامس الهجري/ الحاد عشر الميلادي، ليشهد تفرع الفرقة الفاطمية الدرزية، التي نمت قبل ٤٠٨هـ/١٠١٧ في مصر، ثم انتقلت بعد انتهاء خلافة الحاكم بأمرالله، عام٤١١هـ/١٠٢٠م إلى شما فلسطين وجنوب لبنان[١١١].

مدينة بيت المقدس كما تبدو في الرحلة:

وصل ناصر خسرو إلى مدينة الرملة، ووصف ما شاهده من البيوت المبنية ب الأحجار والمزينة بالرخام، كما يشير إلى الآثار المدمرة للزلزال الذي ضرب المدينة ع ٤٢٥هـ/١٠٣٣م، وبترك الرحالة مدينة الرملة في اليوم الثالث من رمضان، ووص إلى مدينة القدس في اليوم الخامس من رمضان ٤٣٨هـ/١٦مارس ١٠٤٧م[١١٢] وبلغ المسافة بين بلخ والقدس بستة وسبعين وثمنمائة فرسخ. واستغرق في ذلك ستة شمسية[١١٣]. ويبدأ الرحالة بذكر اسم المدينة وآراء أهل الشام، موضحا قرمتها المعتو ومرتبتها المقدسة[١١٤] لدى المسلمين والمسيحيين واليهود، ويصف ما يتمتع به بي المقدس من الموارد الاقتصادية، وقد لفت انتباهه كثرة الزيتون وزيته، حيث يصدرو

إلى كافة أنحاء العالم. ويحاول الرحالة إثبات بعض المعتقدات السائدة في المدينة، وهو ما يؤمن به أهل الشام أنه: "يُقال لا يحدث قحط في بلاد الشام."[١١٥]

واهتم الرحالة، في الصورة التي رسمها لمدينة بيت المقدس، بنواحٍ معينة من أهمها: المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة، والدكة[١١٦] التي بوسط ساحة المسجد، والصخرة التي كانت قبلة الإسلام، والعرائس المؤدية إلى الدكة الموجودة بساحة المسجد، ووصف قبر الخليل، وكنيسة بيعة القمامة[١١٧]. وبيت المقدس، كما يصفه الرحالة، هو أول بناء يقع عليه نظره من جهة الرملة، وهي مرتفعة وشامخة[١١٨]، على قمة جبل، وأرضها غير مستوية، ولذلك قام الأهالي بتسوية الجهات الجبلية والمرتفعة ليسهل الاستفادة من مياه الأمطار، والمدينة كبيرة في ذلك الوقت يسكنها عشرون ألف رجل[١١٩]، وأبدى الرحالة إعجابه بأسواق المدينة ومبانيها المرتفعة[١٢٠].

وشرق المدينة يقع مسجد الجامع، على حافة وادي جهنم، وسوره هو سورها الشرقي[١٢١]، وهنا يشير إلى ما يؤمن به بعض الأهالي من معتقدات في وصفهم لبعض الأماكن، فيصف سهل الساهرة والقرافة الكبيرة الواقعة على حافة السهل، حيث قبور الصالحين الكثيرة، ويذكر حديثاً عنه: "أنه سيكون ساحة للقيامة والحشر، ولهذا يمضي إليه خلق كثير، ويقيمون به حتى يموتوا، فإذا جاء وعد الله كانوا بأرض الميعاد"، ويقول "يصلى بها الناس ويرفعون بالدعاء أيديهم فيقضي الله حاجتهم، اللهم تقبل حاجتنا"[١٢٢].

ووصف الرحالة المنطقة الواقعة ما بين الجامع وسهل الساهرة بأنها وادٍ شديد الانخفاض، يُعرف باسم وادي جهنم، مشيراً إلى الأبنية القديمة، ويذكر لنا سبب تسميته بذلك. ومن المؤسسات الاجتماعية على حافة الوادي المشفى، ووصفه الرحالة بأنه عظيم، يصرف لمرضاه الدواء، وله أوقاف كثيرة يأخذ الأطباء مرتباتهم منها[١٢٣]، وعلى مسافة نصف فرسخ جنوب المدينة ، يصف لنا الرحالة عين ماء تنبع من بين الصخر تسمى "عين سلوان"، ووصف القرية التي يمر بها ماء هذه العين وما بها من بساتين، و عنها "يُقال أن من يستحم من ماء هذه العين يُشفى مما ألمَّ به من الأمراض المزمنة[١٢٤]، ويشير إلى أن لهذه العين أوقافاً، ينفق منها على نظافتها والعناية بها[١٢٥].

مسجد قبة الصخرة[١٢٦] كما يبدو في الرحلة:

انصب اهتمام الرحالة في وصفه لبيت المقدس حول التفاصيل العمرانية للمسجد الواقع شرق المدينة، بداية من السور الشرقي المطل على وادي جهنم، ويبلغ ارتفاعه مائة ذراع[١٢٧]، ويذكرنا الرحالة بأهمية مسجد الصخرة وسبب بنائه في هذا المكان هو وجود الصخرة[١٢٨] التي أمر الله ﷻ سيدنا موسى عليه السلام أن يتخذها قبلة، وظلت حتى عهد سيدنا محمد ﷺ، إلى أن جاء أمر الله بتحويل القبلة شطر الكعبة[١٢٩]. وأراد الرحالة أن يقوم بوصف دقيق للمسجد وأروقته، وأخذ فترة من الزمن لمعن النظر فيه،

أن يقوم بوصف دقيق للمسجد وأروقته، وأخذ فترة من الزمن لمعن النظر فيه، فرأى عند الجانب الشمالي من المسجد طاقاً[١٣٠] مكتوب على حجر منه: طول المسجد أربع وخمسون وسبعمئة ذراع، وعرضه خمس وخمسون وأربعمئة ذراع، بذراع الملك المسمى في خراسان كزشايكان[١٣١]، ويبدأ الرحالة بوصف أرضية المسجد المغطاة بالحجارة، ووصف عمارة الأروقة والأبواب والواجهات المزينة بالفسيفساء والمنقوشة بالمينا[١٣٢] والنحاس الدمشقي اللامع، بطريقة هندسية تبهر النظر وقد كتب لقب سلطان مصر[١٣٣].

كما نلاحظ أن الرحالة مهتم بذكر أبواب المسجد والنقوش وما عليها من كتابات، ويظهر في أوصافه تصرفات وسلوك الزوار من الناحية العاطفية والاعتقادية، فيصف لنا بابين: الأول باب الرحمة والثاني باب التوبة، ويقال إنه الباب الذي قبل الله تعالى توبة داود عليه السلام عنده فاتخذه مقاماً، وفي عرض المسجد يشير الرحالة إلى صومعتين للصوفية، والمصليات والمحاريب الجميلة التي يقيم فيها جماعة يصلون ويتعبدون، ولا يذهبون للمسجد إلا يوم الجمعة، لأنهم لا يسمعون التكبير، دلالة على سعة وكبر حجم المسجد، واعتكافهم للعلم والصلاة[١٣٤].

ووصف الرحالة ما شاهده من المساجد والمحاريب الصغيرة، فيشير إلى مسجد داود في وسط الجامع، يذهب إليه المصلون ويطلبون التقرب إلى الله ويأملون مغفرته. ووصف ناصر خسرو مسجداً بهيئة السرداب يعرف بـ"مهد عيسى" ينزل إليه بدرجات كثيرة، ويذكر طوله وعرضه، ويقال إنه وُلد بهذا المسجد وفيه أمضى طفولته ومنه كلّم الناس. وفي الأماكن المسيحية المقدسة كثيراً ما توجد آثار تركها الأفراد والمقدسيون خلفهم، فيصف الرحالة أنه على حجر من عُمُده نقش لإصبعين، وكأن شخصاً أمسكه، ويُقال إن مريم أمسكته بإصبعيها وهي تلد[١٣٥]. وفي المسجد مكان المحراب، وفي الجانب الشرقي منه يقع محراب مريم ومحراب زكريا عليهما السلام، ويذكر الرحالة الآيات القرآنية التي نزلت في حقهما[١٣٦]. ومن الواضح أن ناصر خسرو كان في وصفه متأملاً ومسترجعاً تعبد ونضال الأنبياء.

المسجد الأقصى[١٣٧] في ضوء كتابات ناصر خسرو:

قدّم ناصر خسرو في رحلته هذه وصفاً دقيقاً للمسجد الأقصى، يتميز بدقة وثراء تفاصيله، ويسهل من خلاله تكوين صورة ذهنية واضحة لما كان عليه المسجد الأقصى عندما شاهده، بل يمكن أن يكون قاعدة بيانات لرسم مخطط المسجد الأقصى آنذاك، وخاصةً فيما يتعلق بطوله وعرضه وعدد أعمدته، وأروقته وموقع المحاريب.... ونشير هنا إلى أن البناء الذي شاهده الرحالة كان بناء التوسعة الخامسة، التي أمر بها الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله، عام ٤٢٧هـ/١٠٤٦م وقد توالت يد التجديد والترميم للمسجد الأقصى بعد العصر الفاطمي[١٣٨]. والمسجد الأقصى، كما يصفه الرحالة في

الزاوية الشرقية، والذي أسرى به الله ﷻ بسيدنا محمد ﷺ ليلاً، وعرج به إلى السماء من هناك، كما ذكر في القرآن الكريم، وقد أقيمت بالمسجد أبنية وزينت وفرشت بالسجاد الفاخر، وخصص له الخدم يعملون به دواماً[١٣٩].

ويذكرنا الرحالة بأهمية المسجد الأقصى وقيمة الصلاة فيه، فهو ثالث بيوت الله سبحانه وتعالى[١٤٠]، ويصف الرحالة الجزء المسقوف من المسجد والمغطى بالخشب[١٤١] المنقوش ويذكر طوله وعرضه[١٤٢]، وفي وسط الحائط الجنوبي مقصورة، وقد فرشت بالحصير المغربي، وهذا دليل على جودتها، وعليها قبة غاية في الروعة، نقشت بالعبنا[١٤٣]، وبالمقصورة محراب كبير زُين بالعبنا، وعلى يمين ذلك المحراب يصف لنا الرحالة محراب معاوية، وعلى اليسار محراب عمر ﷺ، وشاهد الأروقة وعددها خمسة عشر، والأبواب المطلة على المقصورة مزينة[١٤٤]، وعلى أحد الأبواب كتابة نقشت بالفضة، وكتب عليه اسم الخليفة المأمون، ويقال إنه هو الذي أرسله من بغداد[١٤٥]. ويتحدث الرحالة عن بعض عناصر السكان والمعروفين بالمجاورين، الذين يجلسون على صناديق حول حَرَم المسجد الأقصى، كما هو الحال في المسجد الحرام بمكة[١٤٦].

وشاهد ناصر خسرو في حرم المسجد المسقوف تحت الأرض حوضا لتجمع فيه مياه الأمطار، ويصف لنا الرحالة مبضأة و بابا يخرج منه للوضوء لمن يرغب في تجديد وضوئه، وشاهد الرحالة بنفسه باقي الأحواض والصهاريج[١٤٧] الكثيرة التي حُفرت في أرض المسجد بقصد الاستفادة من مياه المطر، وبعد فحص الأحواض الموجودة بالمسجد بدقة وعناية؛ تبين أنها لا تحتاج إلى عمارة أبدا، لأنها مصنوعة من الحجر الصلب، وإذا حدث بها شق أو ثقب يتم إصلاحه حتى لا تتخرب. ويؤكد الرحالة على عذوبة ماء مدينة القدس، وأنه أفضل من مياه جميع الأماكن الأخرى ولنظف منها[١٤٨]، ولا يغفل الرحالة عن وصف الميازيب[١٤٩] بدقة، والمصنوعة من الرصاص، ينزل منها ماء المطر إلى أحواض حجرية تحتها، وقد ثُقبت هذه الأحواض ليخرج منها الماء ويصب في الصهاريج، من خلال قنوات بينها[١٥٠]. وعن طبوغرافية المدينة يصف الرحالة أن المنازل جميعها في بيت المقدس يوجد بها أحواض لتجميع مياه المطر، والاستفادة منها، خاصة وأن بيت المقدس يقع على قمة جبل[١٥١].

ووصف الرحالة أرضية بيت المقدس وهي غير مستوية، أما أرضية المسجد فمستوية، ولتسهيل الوصول إلى المسجد قام سكان المدينة، عند الجهات المنخفضة من المدينة بفتح أبواب في المسجد، وكأنها نقب تؤدي لساحة المسجد، تتفاوت حسب المكان، ومن هذه الأبواب "باب النبي" ﷺ وهو بجانب القبلة، وبالقرب من الباب شاهد الرحالة نقشا على حجر لمجن كبير، يقال إن سيدنا حمزة بن عبدالمطلب، عم الرسول ﷺ ، جلس هناك وعلى كتفه درع واستند إلى الحائط، وذلك النقش هو أثر الدرع على

الحائط[١٥٢]، ويسرد الرحالة وصف الأبواب الموجودة في عرض المسجد ومنها : باب العين، و باب الحطة، وهنا يشير ناصر خسرو إلى أعمال الناس ومناسكهم، ويشير إلى باب آخر يسمونه "باب المكينة" ويجمع ما سبق وصفه لأبواب بيت المقدس[١٥٣] ما تحت الأرض وما فوقها بتسعة أبواب[١٥٤] ومن الملاحظ أن الرحالة أورد بعض المسائل الهامة التي تهم المتخصصين في العمارة الإسلامية ما أسماه . وصف المصطبة – الدكة – التي أقيمت بوسط ساحة المسجد، وما عليها من قباب أكبرها قبة الصخرة[١٥٥].

قبة الصخرة[١٥٦] كما تبدو في الرحلة:

ولعل ما يلفت النظر هنا اهتمام الرحالة بالتفاصيل، في وصفه للنواحي المعمارية لقبة الصخرة وآثارها، دون بقية القباب الثلاث، وهي أكبر القباب في المسجد، وهي على شكل بيت مثمن منظم له ثمانية أضلاع، ويذكر الرحالة ارتفاعه وأبوابه الأربعة التي تواجه الجهات الأصلية[١٥٧]، وجميع حوائطه من الحجر المنحوت[١٥٨]، والصخرة في وسط القبة، ويذكر الرحالة ارتفاعها ومحيطها ويصفها بأنها غير منتظمة الشكل، وشاهد الرحالة آثار سبعة أقدام يُقال أنها لسيدنا إسماعيل ﷺ عندما كان صغيراً فمشى عليها، وقد أحيطت الصخرة بسياج من الرخام حتى لا تصل إليها يد أحد، ووصف الرحالة بدقة تفاصيل بناء القبة وما بها من دعائم وأعمدة وديجان، والقبة مرتكزة على هذه الدعامات المحيطة بالصخرة، ولذلك يشبهر من يشاهدها على بُعد فرسخ، فتظهر وكأنها على قمة جبل، وأشار الرحالة إلى ارتفاع القبة والأعمدة والدعامات التي تستند عليها، وإلى البيت الذي بُنيت عليه وارتفاعه وسقفه[١٥٩] هذه الدكة[١٦٠].

ويسرد الرحالة في وصف ما بداخل بيت الصخرة، أنه شاهد جماعة من المجاورين والعابدين، وفي وسط البيت قنديل مصنوع من الفضة ومعلق بسلسلة فضية[١٦١] فوق الصخرة، بالإضافة إلى مجموعة أخرى من القناديل كُتب عليها وزنها واسم سلطان مصر الذي أمر بصنعها، وقد قدّر ناصر خسرو ما بداخل بيت الصخرة من فضة بألف مَنّ، وشاهد الرحالة شمعة كبيرة طولها سبعة أذرع، وقطرها ثلاثة أشبار مخلوطة بالعنبر، ويذكر لنا الرحالة أن سلطان مصر كان يرسل كل سنة عددا من الشمع، ويكتب على كل واحدة اسمه بالذهب[١٦٢].

ينتقل الرحالة بعد ذلك إلى وصف بقية القباب وعمارتها، ولكن يبدو أنها صغيرة لاتكلف فيها ولا زخرفة، ومنها قبة السلسلة[١٦٣] . وقبة جبريل ﷺ وعندها أعد البراق ليركبه النبي ﷺ ليلة المعراج، كما يصف لنا الرحالة قبة الرسول ﷺ ويذكر سبب تعظيمها وإجلالها، وهو أن الرسول ﷺ صلى ليلة المعراج في قبة الصخرة أولاً، ثم وضع يده الشريفة على الصخرة[١٦٤] ومنها ذهب إلى القبة وركب البراق. ووصف الرحالة الغار الكبير[١٦٥] وهو تحت الصخرة، ويضاء له الشمع[١٦٦]، وهنا يمكن أن

نستنتج أنه كان يسعى دائماً لاكتشاف العلاقة بين الأماكن وتاريخ الأنبياء وصدر الإسلام.

صفة المراقي المؤدية إلى الدكة التي بساحة الجامع:

وصف ناصر خسرو الطرق المؤدية إلى الدكة التي بساحة وسط المسجد، من خلال ستة مواضع وبالاتجاهات الأصلية، وكتب بخط جميل بالذهب على ظهر طاق : "أمر به الأمير ليث الدولة نوشتكين الغوري"، وكان نائباً لسلطان مصر، وهو الذي أنشأ هذه المراقي، ويقدر الرحالة بأنهم أنفقوا على هذه الطرق مئة ألف دينار، ويختتم الرحالة ما شاهده في بيت المقدس بشجرة الحور والتي تعد من النوادر في رحلته هذه[١٦٧].

مدينة الخليل في ضوء كتابات ناصر خسرو:

انتقل ناصر خسرو إلى جنوب بيت المقدس لزيارة مشهد سيدنا إبراهيم عليه السلام وقبور أنبيائه الكرام وقبور لزواجهم، والمسافة من بيت المقدس إلى الخليل ستة فراسخ[١٦٨]، وقرب دخول الخليل على بُعد فرسخين، وصف الرحالة أربع قرى تسمى الفراديس لجمال موقعها. ووصف في طريقه مدينة بيت لحم[١٦٩]، وهي على بعد فرسخ من بيت المقدس، وهو المكان الذي يُعظمه كثير من النصارى... ويقيم بجانبه مجاورون ويحج إليه النصارى من بلاد الروم، ويمضي ناصر خسرو ليلة في بيت لحم.

وأشار الرحالة إلى أن أهل الشام وبيت المقدس أطلقوا على المشهد اسم الخليل نسبة إلى الخليل إبراهيم عليه السلام، ولأهمية المشهد الدينية وُقفت القرية مع قرى أخرى للإنفاق عليه[١٧٠]، ووصف الرحالة هيئة المشهد وطوله وعرضه وحوائطه، ولذا يمكن تقدير مساحته آنذاك، وبداخله مقصورة[١٧١]، وحجرات للضيوف الزائرين يُنفق عليها من الأوقاف التي خصصت لها، ويوجد بالمقصورة عدة محاريب جميلة استخدمت للصلاة على الأخص، وبها قبران ناحية القبلة الأيمن هما : قبر سيدنا إسحق بن إبراهيم عليهما السلام[١٧٢]، وعلى اليسار قبر زوجته السيدة رفقة[١٧٣] وبينهما عشرة أذرع، وفرشت أرضية المشهد وزينت جدرانه بالسجاجيد القيّمة والحصر المغربية ، وشاهد ناصر خسرو حصيرا للصلاة على غاية من الروعة والجمال لم ير مثيلها أبداً، قيل أرسلها أمير الجيوش، ويقدرها بثلاثين ديناراً من الذهب المغربي، وفي ذلك دليل على جودتها[١٧٤].

وفي وسط المشهد وصف ناصر خسرو قبرين أمام القبلة، الأول ناحية اليمين وبه قبر سيدنا إبراهيم عليه السلام، والثاني يقع على يسار القبلة وبه قبر السيدة سارة زوجة سيدنا إبراهيم عليه السلام، وشاهد الرحالة قبرين متجاورين، بالقرب من المشهد الأيمن قبر النبي يعقوب عليه السلام والأيسر قبر زوجته ليئة[١٧٥]، ولم يكن للمشهد باب وكان دخوله مستحيلا،

ولذلك أمر الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي(٢٩٧-٣٢٢هـ /٩٠٩-٩٣٣م) بفتح باب في وسط الجدار الشمالي، وكان الصعود إليه من جانب، والنزول من الجانب الآخر لتسهيل حركة الدخول والخروج، وذكر الرحالة أن الخليفة المهدي أصدر أوامره بتجديد وإصلاح مشهد الخليل، وقام بتزيينه وفرشه بالسجاجيد القيّمة[١٧٦].

ويشير ناصر خسرو لست قبور إشارات عابرة تكاد تنحصر في ذكر عددها، وربما لم يكن في بنائها ما يثير الانتباه، ويرجح أن عدم اهتمام ناصر خسرو بوصف تلك القبور أنه لم يزرها ولعل ذلك لكونها تقع خارج المشهد، وهذا ما يمكن استشفافه من خلال حديثه عنها. وانتقل الرحالة إلى خارج المشهد ليصف هيئة بعض القبور، ومنها قبر سيدنا يوسف بن يعقوب عليهما السلام، والقرافة الكبيرة لدفن الموتى، والقرى المجاورة[١٧٧]. وعن طبوغرافية القرية تحدث الرحالة عن عين ماء يستفاد من مياهها بواسطة قناة تتصل بحوض، وتحدث عن الزراعة أهم الحرف التي اعتمد عليها سكان أهل المشهد[١٧٨].

ويعود الرحالة من زيارته لمشهد الخليل إلى بيت المقدس، ويعقد العزم على زيارة بيت الله الحرام، ويصل خلال عشرة أيام، وهناك يشير إلى عدم وصول القوافل من أي بلد، وقلة الطعام، والرعب بين الحجاج من العرب في هذا العام[١٧٩]، ثم يعود إلى بيت المقدس، بعد أداء مناسك الحج وقضاء يومين بمكة عن طريق الشام[١٨٠].

كنيسة بيعة القيامة في ضوء كتابات ناصر خسرو:

بعد وصف الرحالة للكنيسة ذا أهمية بالغة، تنبع من كونه يُعطي تصوراً دقيقاً لما كانت عليه الكنيسة قبل هدمها سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م، وذلك بعد مرور ما يقرب من ثمانية وثلاثين عاماً على رحلة ناصر خسرو، إذ يعد هذا الوصف – كما سيتبين من خلال الرحلات المقبلة – مرجعاً هاماً لا غنى عنه لعقد المقارنات في هذا المجال[١٨١].

والكنيسة يسمونها "بيعة القمامة"، وهي بناء كبير يتسع لثمانية آلاف شخص، بُنيت بأيدي أمهر الصناع، وزُينت بالرخام الملون والصور[١٨٢] والنقوش الجميلة والنفيسة، وللكنيسة مكانة عظيمة عند النصارى يحجون إليها من جميع بلاد الروم شرقاً وغرباً[١٨٣]. وزُينت من الداخل بالديباج الرومي والصور، وطلاء من الذهب، وبداخل الكنيسة ينبهر الرحالة لما شاهده من صور وفسيفساء تصور سيدنا عيسى عليه السلام في أماكن متعددة، مرسومة بزيت السندوس. وللمحافظة على الصور من التلف تم وضع إطارات زجاجية شفافة على سطح كل صورة حسب مساحتها، حتى لا يحجب منها شيء، بالإضافة إلى قيام بعض الخدم على نظافة زجاج الكنيسة يومياً[١٨٤].

ووصف الرحالة أيضاً اللوحة الموجودة بداخل الكنيسة، والتي تصور يوم الحساب، وهي مقسمة إلى قسمين، قسم يصور الجنة وأهلها، والآخر يصور النار

وأهلها، ويجزم أنه عندما شاهد الكنيسة يقول: "وليس لهذه الكنيسة نظير في أي جهة من العالم"، وهي فوق كل وصف وجمال"[١٨٨]، كما أشار إلى أنه يقيم بها كثير من الرهبان والقساوسة، يقرؤون الإنجيل ويصلّون ويشتغلون بالعبادة ليل نهار. وكما نلاحظ أن الرحالة مهتم بما في داخل الكنيسة لا بالأسوار ولا جدرانها وارتفاعها، ولا بذكر مادة بنائها، ولا طول كل سور، بحيث يمكن تقدير مساحة الكنيسة آنذاك. ويبدو أنه لم يرَ في الكنيسة إلا ما لفت نظره واسترعى اهتمامه بتدوينه مثل: الرخام الملون والنقوش والديباج الرومي والصور[١٨٩].

ويتم الوصف الذي أورده الرحالة عن جملة من الأشياء أولها: الدقة في الوصف العميق الذي تجلى في أكثر من مشاهدة في الكنيسة، إذ لم يصادف وصفاً جميلاً إلا واستحسنه.

ثانيهما: أن ناصر خسرو مُدرك تماماً لدقة ما ذكر عن مشاهد الكنيسة وآثارها، لذا يعتذر في آخر ما يورده عنها قائلاً: "وهناك عدا ذلك عدة مواضع أخرى كنتُ مزينة، ولو وصفتها لطالت كتاباتي"، مما يدل على أن ما شاهده كان على جهة الاختصار.

الهوامش

(1) بلخ: من أجلّ مدن خراسان وأكثرها خيراً، بحدها من الغرب الجوزجان، ومن الشرق طخارستان، وهي قصبة للإقليم المعروف باسمها. ياقوت الحموي: معجم البلدان، د صادر، بيروت ١٩٧٧، ج١: ص٤٧٩-٤٨٠.

(2) إدورد براون: تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي، ترجمه: إبراهيم أمين الشواربي، القاهرة ١٩٥٤م، ص٢٧٠.

(3) رضا زاده شفيق: تاريخ الأدب الفارسي، ترجمه: محمد موسى هنداوي، دار الفكر العربي القاهرة (د ت)، ص٨٠.

(4) ناصر خسرو: سفر نامة (كتاب السفر)، ترجمة يحيى الخشاب، القاهرة ١٩٩٣م، ص٥-١٨.

(5) ناصر خسرو: سفر نامة، ص١٩.

(6) رضا زاده شفيق: تاريخ الأدب الفارسي، ص٨٠.

(7) قرآن كريم: سورة محمد، الآية رقم (٢٤)؛ ناصر خسرو: سفر نامة، ص١٩.

(8) ناصر خسرو: سفر نامة، ص٢١؛ رضا زاده شفيق: تاريخ الأدب الفارسي، ص٨٠-٨١.

(9) ناصر خسرو: سفر نامة، ص٢٥، ٢٣؛ براون: تاريخ الأدب في إيران، ص٢٧١

(10) ناصر خسرو: سفر نامة، ص٨٤.

(11) الرملة: مدينة قديمة بينها وبين بيت المقدس ثمانية عشر ميلاً، نالت اهتمام الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك، واتخذها حاضرة لجنده ومصرها وكان أول من بنى فيها قصره ودار ومسجداً وأذن للناس في البناء فيها. وقد أطنب المؤرخون العرب في وصف محاسنها وجمالها واتساع مسجدها، وبأنها ذات تجارة رائجة. ابن الفقيه الهمذاني: كتاب البلدان، حققه: يوسف الهادي، عالم الكتب، ١٩٩٥م، ص١٥٢؛ الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (د ت)، مج١، ص٣٥٦؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص ٦٩.

(12) يحيى بن سعيد: تاريخ يحيى بن سعيد، تحقيق: لويس شيخو، بيروت ١٩٠٩، ص٩٥-١٩٦؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: جمال الدين الشيال، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ١٩٧١م، ج٢ ص٨١.

(13) خالد محمد غازي: سيرة مدينة القدس، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩٨م، ص٤٣٠-٤٣٣

(14) أنظر بعض سيرة الحاكم وتصرفاته. ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩٨م، ج١٥، ص٥٨٢-٥٨٦.

(15) ينسب بنو الجراح لقبائل طيىء اليمنية، وهم ينسبون إلى جدهم حوط بن عمر بن خالد بن عدي بن أفلت الطائي. وبنو طيىء نسبة إلى طيىء بن أودين بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، وكانوا يسكنون بلاد اليمن، وخرجوا منها إلى الحجاز بعد انهيار سد مأرب، وليطون طيىء أفخاذ عديدة مثل بني جديلة، وبني جدعان والثعالبة، وبني قروفل وبني سنبس وبني بولان وبني صيفي وبني حارثة، ومنها آل ربيعة بن حازم بن

علي بن مفرج بن دغفل بن الجراح.ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣م، ص٣٩٨؛ ابن خلدون:العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت (د ت)، ج٦، ص١٠-١١؛ القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت١٩٨٤م، ص٣٢٦؛ القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٢٠م، ج٤، ص٢٠٣؛ عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٥م، ج١، ص١٧٨. والمزيد عن نسب بني الجراح وعلاقتهم بالخلافة الفاطمية، راجع: إبراهيم علي السيد القملا: بنو الجراح في فلسطين خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين / العاشر والحادي عشر الميلاديين، مجلة المؤرخ العربي، العدد الخامس عشر، مارس ٢٠٠٧م، ص ١٧١-١٧٩.

(16) المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٠٧-١٠٨.

(17) يحيى بن سعيد: تاريخه، ص٢٠١.

(18) المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٠٧-١٠٨.

(19) المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٧٦.

(20) يحيى بن سعيد: تاريخه، ص٢٦٩-٢٧١.

(21) المقريزي: اتعاظ الحنفا،ج٢، ص١٨٢.

(22) المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٨٧.

(23) الأمير ثيث الدولة توشتكين الغوري: هو أتوشتكين بن عبدالله أبومنصور الملقب بعضد الدولة، وُلد في بلاد ما وراء النهر بمدينة ختل، سبي وبيع وتنقل من كاشغر إلى بخارى في الخدمة حتى وصل إلى دمشق سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م، فاشتراه القائد دزبرين بسن لوسمنم (أوسيم) الديلمي، ثم انتقل إلى ملكية الحاكم بأمرالله سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م، وصار يترقى حتى سيّره مع سديد الدولة إلى الشام سنة ٤٠٦هـ/١٠١٥م، ثم تولى بعلبك وفيصرية، ثم تنقل في الوظائف حتى انتهى إلى ولاية دمشق، وحكم (٤١١-٤٢١هـ/ ١٠٢٠-١٠٣٠م) وظل عليها حتى فسد ما بينه وبين كبار الجيش، فهرب منها سنة ٤٣٣هـ/١٠٤١م، وذهب إلى حلب، فقضى بها ثلاثة أشهر ثم مات. ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٠٨م. ص٧١-٧٢؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٣م، ج٤، ص٦٨.

(24) المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٩٤.

(25) ناصر خسرو: سفر نامة، ص٦٦.

(26) ناصر خسرو: سفر نامة، ص٨٨-٨٩.

(27) كانت أهم ملامح فلسطين في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، أنه تتالى عليها من الزلازل والأوبئة ما دمر جهود أهلها من التراث العمراني، وتدهورت الأوضاع الاقتصادية في العصر الفاطمي، وتصورة الزاهية التي رسمها المقدسي عام ٣٧٠هـ/٩٨٠م لفلسطين لم يستطع ناصر خسرو أن يعطينا مثلها حين زار البلاد. بل عبر عن خوفه من قطاع الطرق تارة واقتصر على الإسهاب في وصف الأماكن المقدسة تارة أخرى، وتحدث بين هذا وذاك عن أشجار الزيتون والتين في القدس والخليل، ... شاكر

مصطفى: فلسطين في العصور العربية الإسلامية، الندوة العالمية الأولى للآثار الفلسطينية بعنوان دراسات في تاريخ وآثار فلسطين، الطبعة الأولى، دمشق ٢٠٠١م، مج ٢، ص٢٢٩-٢٣٣.

(28) أشار ياقوت الحموي إلى طبيعة المنطقة الصخرية لمدينة القدس بقوله: "إن أرضها وفضاءها كل جبال شامخة، وليس حولها ولا بالقرب منها أرض وطيئة البتة، وأما تلك المدينة فهي على فضاء في وسط الجبال، وأرضها كلها من حجر الجبال التي هي عليها" ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص١٦٨.

(29) ناصر خسرو: سفر نامة، ص٧٦. أقيمت القدس على أربعة جبال هي: جبل موريا وعليه المسجد الأقصى ومسجد الصخرة، وجبل صهيون ويعرف بجبل النبي داود، وجبل أكرا حيث توجد كنيسة القيامة، وجبل بزيتا والذي يقع بالقرب من باب الساهرة ويحيط بالمدينة جبال مثل جبل أبو عمار، وجبل الزيتون، وجبل المشارف، وجبل المنطار وترتفع القدس حوالي ٨٩٢ مترا عن سطح البحر. عبدالحميد زايد: القدس الخالدة، القاهرة ١٩٧٤م، ص١٣-١٥.

Amiry: Jerusalem, Arab Originand Heritage, London. (1948). P. 8

(30) أشار ابن شاهين إلى أن بيت المقدس أعلى من جميع بقاع الأرض بأربعين ذراعا، و جميع المياه التي في الدنيا تنبع من تحت صخرة بيت المقدس.ابن شاهين: كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تصحيح: بولس راويس، باريس ١٨٩٤م، ص٢٠.

(31) ناصر خسرو: سفرنامة، ص٦٧، ٧٤ - ٧٥.

(32) ناصر خسرو: سفر نامة، ص٦٧. اعتمد الأهالي في القدس على مياه الأمطار في الزراعة بحيث كانت تجمع في صهاريج، وكانت أغلبها رديئة وأكثرها يجمع من الدروب، وقد كان الولاة جعلوا بركتين تجتمع إليها السيول في الشتاء، وقد شق منهما قناة إلى البلد تسد إليها العباد وقت الربيع فتدخل صهاريج الجامع وغيره، ويبدو أن مساحة الأرض الزراعية التي اعتمدت على الأمطار محدودة، وخاصة وأنها تقع على أرض مرتفعة من الصعب وصول الماء إليها، وحفر بها الأقدمون بركاً، وأهتم المسلمون بتزويد هذه البرك بالميا المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الطبعة الثانية، مطبعة بريل، ليدن ١٨٧٧ ص١٦٧؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص١٦٨-١٦٩؛ عارف باشا العارف: تاريخ القدس، دار المعارف، الطبعة الثانية (د ت)، ص١٧٦-١٧٨.

(33) Amiry: Jerusalem, P. 8.

(34) ناصر خسرو: سفر نامة، ص٧٥،٦٧.

(35) كانت القرى الواقعة حول مدينة القدس لديها من موارد المياه ما يفي إحتياجاتها من الزراعة، فهناك عين ماء العذراء، وهي المنطقة المنخفضة من وادي القرون والتي تسمى بئر أيوب، وهناك عين أم الدرج والتي تسمى عين مريم أو بئر مريم، وكذلك عين اللوز والبركة الخنثانية (بركة الحمراء)، يتفجر بها الماء في فصل الشتاء وهي بالقرب من عين سلوان وعين اللوزة، وهي على بعد خمسمئة متر من بئر أيوب إلى الجنوب، وغيرها من عيون الماء والآبار التي وفرت لتلك المناطق حاجاتها من المياه فالعزمة، والعروب قرية القدس بها عينان كبيرتان. ومن الغريب أن ناصر خسرو لم ينتبه إلى ذلك رغم أنها تعد

المصدر الرئيسي للمياه في القدس. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤ ص ٣١٢؛ عارف باشا: تاريخ القدس، ص١٧٦. عبدالحميد زايد: القدس الخالدة، ص١١٧.

(36) رستاقيق: مفردها رستاق:فارسي – معرب ويُقال رستاق أيضا وهي السواد وتُنزل موضع به مزارع وقرى، ولم يكن لفظ رستاق يطلق على المدن الكبرى كالبصرة وبغداد، وإنما يجوز إطلاقه على نواحي المدن الصغيرة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٤٠؛ الرازي: مختار الصحاح، ترتيب محمود خاطر، القاهرة ١٩٨٦م، ص٢٦٣.

(37) ناصر خسرو: سفر نامة. ص٦٧–٦٨. وعين سلوان تنبع منها كمية كبيرة من المياه، وبالقرب منها بئر أيوب، ويسقى من ماءها طوال العام، ولكن يزداد في فصل الشتاء حتى يسيح على الأرض لمسافة بعيدة، وتدور عليه أرحيه تطحن الدقيق، وتستمر هذه الزيادة في المياه لمدة شهر تقريبا. مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل، طبعة المحتسب، عمان ١٩٧٣م، ج٢، ص٥٧–٥٩؛ عبدالحميد زايد: القدس الخالدة، ص١٥.

(38) ناصر خسرو: سفر نامة، ص٨٤ – ٨٥.

(39) ناصر خسرو: سفر نامة، ص٦٧ – ٦٨.

(40) الخليل: بلدة فيها حصن وعمارة وسوق بقرب بيت المقدس، بينهما مسيرة يوم، وفيها قبر الخليل، وهناك مشهد وزوار في الموضع وضيافة للزوار، والخليل يقع في قرية حبرون، وقد غلب اسم الخليل على اسم القرية. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٢١٢، ٣٨٧.

(41) الفرسخ: هو المسافة قطعومة من الأرض، وهو فارسي معرب، ويساوي ثلاثة أميال، والميل ثلاثة آلاف ذراع، فالفرسخ اثنا عشر ألف ذراع. والعيل الواحد يساوي حوالي٢كم، وعليه فإن الفرسخ يساوي ٦كم، وقيل الفرسخ سبعة آلاف خطوة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٣٥–٣٦؛ فالتر هنتز: المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي،عمان ١٩٧٠م، ص٩٣.

(42) ناصر خسرو: سفرنامة، ص٨٣ – ٨٤.

(43) مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، حققه يونبول وغال. ليدن، ١٨٥٠–١٨٦٢م، ج١، ص٤٨.

(44) ناصر خسرو: سفر نامة، ص٨٣ – ٨٤. والفراديس:جمع فردوس وأصله رومي وعُرّب وهو البستان، وقيل أن الفردوس تعرفه العرب وتسمي الموضع الذي فيه الكروم فردوسا، وأهل الشام يسمونه الكروم واليمانين الفراديس. ياقوت الحموي معجم البلدان، ج٤: ص٢٤٢

(45) ناصر خسرو: سفر نامة، ص٨٦.

(46) وصف المقدسي فاكهة بيت المقدس بقوله "جمع الله فيها فواكه الأغوار والسهل والجبل والأشياء المتضادة كالأترج والموز والرطب والجوز واللّيمون واللوز، هذه الفاكهة التي يقول عنها كارولا إنها أكبر من أي فاكهة رآها في بلاده"، كذلك اشتهرت مدينة القدس بإنتاجها الوفير من قصب السكر منذ القرن العاشر الميلادي وطوال العصور الوسطى. المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. ص١٦٦. Conder: The City of Jerusalem,London.1909 P. 264

(47) ناصر خسرو: سفر نامة، ص٦٧، ٨٣–٨٤،٨٦. ويشير الاصطخري إلى ذ بقوله:"والمدينة في وهده بين جبال كثيرة كثيفة الأشجار، وأشجار هذه الجبال وما فلسطين وسهلها زيتون وتين وجميز وعنب وسائر الفواكه..." الاصطخري: المس والممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العال الحيني وآخرون، الهيئة العامة لقصور الثقا للقاهرة ٢٠٠٤م، ص٤٤.

(48) ناصر خسرو: سفر نامة، ص٦٧، ٨٤، ٨٦. والسماق نوع من الأشجار مهده الأ منطقة المتوسط، تستعمل بذوره توابل وأوراقه دباغة. ابن العديم: الوصلة إلى الحبيب وصف للطيبات والقطيب، حققه: سليمى مخجوب وآخرون، حلب ١٩٨٦م، ص٢٩٠.

(49) ناصر خسرو: سفر نامة، ص٨٦.

(50) كان جميع ملاك أراضي فلسطين خاصة، وبلاد الشام عامة قبل الحروب الصليبية، المسلمين، وبعد احتلال الصليبيين للقدس، أسكنوا أتباعهم في أراضي المسلمين، ومن من المسلمين بأرضهم عمل بالزراعة لدى قصتيبين ويدفع لهم نسبة من المحصول. ص عبد اللطيف عبدالله الحورتاني الدباسي: القضاء والمراكز القضية في بيت المقدس خ القرون الستة الأولى من الهجرة، رسالة دكتوراه غير منشورة، بغداد ٢٠٠١م، ص٥٤

(51) ناصر خسرو: سفر نامة، ص ٥٧؛ أ.أشتور: التاريخ الإقتصادي والاجتماعي للـ الأوسط في العصور الوسطى، ترجمة: عبد الهادي عبله، دار قتيبة، دمشق ٨٥ ص٥٩.

(52) ناصر خسرو: سفر نامة، ص٨٦.

(53) ناصر خسرو: سفر نامة، ص٦٧ – ٨٤.

(54) المَنّ الذي يوزن به والجمع أمناء، والمَنّ كيل أو ميزان والجمع أمنان وهو يساوي رطلين. كل رطل ١٢٠ درهما، وكان وزن المَنّ الواحد في الشام يعادل ٨١٩جراما؛ وا الرحالة يقصد أن المن في بلاده يعادل ١٩٢٠ جراما.ابن منظور: لسان العرب، تحق عبدالله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٩م، ج٢٦، ص٤٢٧٩؛ ف هنتز: المكاييل والأوزان الإسلامية، ص٦٤–٤٧،٩٣؛مصطفى شاكر: فلسطين في الع العربية الإسلامية، ص٢٣٣.

(55) ناصر خسرو: سفرنامة، ص٦٧. وكان زيت الزيتون والصابون المستخرج منه يصد للبلدان المجاورة مثل الشام، مصر، الحجاز، وأطراف العالم.يوسف درويش غوانمه: تجارة بيت المقدس في العصر المملوكي، الأردن ١٩٨٢م ص٧٧.

(56) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٨٠.

(57) من المعروف أنه كان يستخرج من هذه المحاجر أنواع كثيرة من الحجارة ذات الأل المختلفة، والمعروف أن حجارة القدس من أحسن الحجارة وأجملها وأقواها، ولاسيما المعروف بالحجر الملزي الصلب ومن اللون الأحمر، ويقول المقدسي واصفا المدينة "ي حجر لا ترى أحسن منه ولا أنفس منه... : أما الألماني فيودتش فيقول بعد أن حج ال في القرن الثاني عشر الميلادي" بلاد القدس جبلية ويبلغ أقصى ارتفاعها حول المد المقدسة وهذه الجبال صخرية لكن صخورها جميلة فيها الأبيض والأحمر والرخام المل الألوان وكلها صالحة لأخذ حجارة البناء" عارف العارف: تاريخ القدس، ص١٢٢٩ ل

حامد: المعالم التاريخية والحضارية في مدينة القدس، الندوة العالمية حول القدس وتراثها الثقافي، الرباط، ١٩٩٣م، ص٣٧٦-٣٧٧.

(58) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبدالله القاضي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧م، ج١٠، ص١١٥٨؛ أبوشامة: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، القاهرة ١٢٨٧هـ، ج٢، ص١٩٥.

(59) مصطفى الحيارى: القدس في زمن الفاطميين والفرنجة، عمان ١٩٩٤م، ص٥٥.

(60) ناصر خسرو: سفر نامة، ص٨٤،٦٧.

(61) ناصر خسرو: سفر نامة، ص٨٧.

(62) كارين أرمسترونج: القدس مدينة واحدة، عقائد ثلاث، ترجمة: فاطمة نصر وآخرون: القاهرة ١٩٩٨م، ص٤٣٣-٤٣٤.

(63) ناصر خسرو: سفر نامة، ص٦٧.

(64) بدأ التجار في المدن الإيطالية في الاتجار مع الشرق، ونظراً لأن الأمالفيين كانوا يلعبون دوراً رئيسياً في التجارة الفاطمية فقد شرعت الدولة البيزنطية في بناء دير في القدس عام ٤١١هـ/١٠١٢م، وأقتضى الموقف إجراء مفاوضات مع الخلافة الفاطمية بمصر، فأسفرت عن منح أرض بمنطقة الحي النصراني والتي شيد عليها دير "مارى دى لاتينى" Marie de Latian وكان الغرض من ذلك إيجاد مأوى لكل القادمين من مدينة أمالفى سواء كانوا حجاجاً أم تجاراً، وربما وافق الخليفة الفاطمي الظاهر على منح الأرض لبيزنطة كونها مخصصة لأهالى أمالفى والتى ترتبط بعلاقات طيبة مع الفاطميين. وكان تجار مدينة أمالفى الايطالية يجلبون المنسوجات الحريرية من مصر والشام، فضلاً عن امتلاكهم للكثير من الفنادق خصوصاً في مدينة الإسكندرية.راشد البراوى: حقبة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة١٩٨٤م، ص١٢١٥ محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦٧م، ص٢٤٩؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والإجتماعى، القاهرة ١٩٨٣،ج٤، ص٤٠٨.

(65) ناصر خسرو: سفر نامة، ص٦٧.كان الحجاج المسيحيون الغربيون يقصدون بيت المقدس لزيارة الاراضى المقدسة، وعند العودة كانوا يقومون بشراء بعض السلع منها السبح المصنوعة من أخشاب الزيتون، أو المصنوعة من العاج والحلى الصغيرة كالخواتم المصنوعة فى القدس.نعيم زكى: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، القاهرة ١٩٧٣م، ص٦٩.

(66) من الواضح أن للحج أهمية كبيرة عند سكان القدس سواء من الناحية الاقتصادية أو من الناحية الاجتماعية فالملاحظ أن هناك مصادر للدخل فى القدس ترتبط جميعها بالحج وتعتمد عليها الحياة الاقتصادية في القدس والتي بدورها تؤثر على الحياة الاجتماعية مثل:

١- الضرائب والرسوم التى تجبى من الحجاج والتجار وما ينفقه الحجاج فى موسم الحج.

٢- التجارة وخاصة ما ينفق فيها فى موسم الحج. ٣- الهبات والصدقات.

(67) ناصر خسرو: سفرنامة، ص٧٤.

(68) ناصر خسرو: سفر نامة، ص٦٧. "أسواق بيت المقدس كثيرة من جملتها ثلاث قصبات على صف واحد بها عشائر حسنة، لا يؤخذ بها شيء من المكوس، بخلاف المدن، ولكن تضرائب على الفنادق الموجودة فى الأسواق وعلى ما يباع فيها، ونظام الحسبة قائم لمراقبة الموزونين والمكاييل والتجار ومنع الغش، وعلى الأبواب أعوان يفرضون ضرائب ثقيلة، فلا يمكن لأحد أن يبيع شيئا مما يرتفق به الناس إلا بها مع اليسار. المقدسى: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ص١٦٧؛ ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٥، ص١٦٨-١٦٩؛ ابن شاهين: كتاب زبدة كشف الممالك، ص٢١؛ الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص٥٠؛ عارف العارف: تاريخ القدس، ص٤٩.

(69) مصطفى الحيارى: القدس فى زمن الفاطميين والفرنجة، ص٦٧.

(70) كانت أسواق مدينة القدس زاخرة بصنوف السلع المختلفة وقيل إنه لم يكن بغالب البلاد نظيرها، منها سوق القطانين ويجاور باب المسجد الأقصى- لا مثيل له في كثير من البلاد- ثم هناك أسواق ثلاثة تقع قرب باب الخليل تمتد من الشمال إلى الجنوب، وتتصل معه بواسطة بعض المنافذ وهي مسقوفة، وفي أعلاها فتحات لدخول النور والشمس، فالغربي منها هو سوق العطارين، وكان صلاح الدين فيما بعد قد وقف هذا السوق على المدرسة الصلاحية، ثم سوق الخضر، أما الثالث فهو سوق القماش، وقد وقفهما صلاح الدين الأيوبي على مصالح المسجد الأقصى. ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص٢٢ - ٢٣؛ الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص٥٠. وللمزيد عن الأسواق بمدينة القدس راجع: الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص٤١-٥٠.

(71) مصطفى الحيارى: القدس فى زمن الفاطميين والفرنجة، ص٦٧. كان أعضاء الجهاز الإدارى الفاطمى قد استمروا فى عملهم مثل القاضى والمحتسب وصاحب الشرطة وقت زيارة ناصر خسرو للقدس، وحتى بعد نهاية الفترة الفاطمية والتركمانية فيذكر أن المحتسب كان موجوداً فى الإدارة الفرنجية فى القدس والذى استخدم لفظ Methessep. مصطفى الحيارى: القدس فى زمن الفاطميين والفرنجة، حاشية (١)، ص٦٠،٣٢.

(72) بالإضافة إلى أنه كانت تتم عمليات البيع والشراء والمبادلة التجارية فى هذه الأسواق، فقد كانت أيضا مراكز لبعض الصناعات. نقولا زيادة: لمحات من تاريخ العرب، بيروت١٩٦١م، ص٢٤٩.

(73) ناصر خسرو: سفرنامة، حاشية رقم (١)، ص٨٧.الحنبلى: الأنس الجليل،ج٢، ص٥٣.

(74) كان مجتمع القدس في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي يتكون من فئتين رئيسيتين هما فئة الخاصة وفئة العامة، أما فئة الخاصة التي لم يشر إليها ناصر خسرو والتي كانت تدير شئون المدينة فقد كانت تتكون من الوالي- ممثل الخليفة الفاطمي- الذي كان على الأغلب قائد الحامية العسكرية وكبار رجال الإدارة في المدينة وأفراد الحامية العسكرية الفاطمية، وكان يساعد الوالي في إدارة المدينة موظفون خاصون يمثلون الدواوين المركزية الرئيسية، وكان القاضي أبرز هؤلاء الموظفين، ويتبعه الشهود والكتاب وكان القاضي يدير شئون القضاء في المدينة والمناطق التي حددها عهد ولايته طبقاً لأحكام الشريعة الإسلامية- الفقه الشيعي الاسماعيلي بالنسبة لقضاء الدولة الفاطمية- ويساعده الشرطة والحسبة ولكل صاحبها الخاص بها أو ربما جمعت مع بعض، والقاضي وأعوانه تابعين له ورجال بعدد مناسب للقيام بإدارة الشئون الخاصة بهم في المدينة، ويذكر أنه كان

يخضع للقاضي كل المسلمين في المدينة وما يقع من خصومات بينهم، ما عدا المظالم التي كانت من اختصاصات الوالي الذي كان يقوم بحثها على الأخص في مجالس خاصة تعقد بحضور القاضي ليسترشد الوالي برأيه عند الحاجة، أما أهل الكتاب من النصارى واليهود فقد كانت تحكمهم تشريعات خاصة بهم ومن قبل قضاتهم، ما عدا الأمور التي يكون أحد المسلمين طرفا فيها مع أحد أهل الكتاب، فترجع القضية عندئذ إلى القاضي المسلم، ويذكر أن القاضي إبراهيم بن العباس بن الحسن (ت ٤٥٤هـ) متولي القضاء في بلاد الشام، ومنها بلاد القدس، والخطابة في أيام الخليفة المستنصر بالله نيابة عن قاضي قضاته أبي محمد القاسم بن عبدالعزيز بن النعمان، ثم عزل بأبي الحسين يحيى ابن الزيدي ثم أعيد إلى القضاء. ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت ١٩٩٥م، ص٤٥١-١٤٥٢؛ مصطفى الحياري: القدس في زمن الفاطميين والفرنجة، ص٥٩-٦٠.

(75) تطور الوضع السكاني لفلسطين في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي ، فقد أضيفت إليه عناصر بشرية جديدة، مثل المد البدوي العربي (الفرامطة – قبائل طيء – بعض القيسيين) ومحاولة نشر الفكر الشيعي الفاطمي. شاكر مصطفى: فلسطين في العصور العربية الإسلامية، ص٢٢٩-٢٣٣.

(76) لم يتحدث الرحالة عن معظم طوائف المجتمع خلال زيارته للقدس، فعلى سبيل المثال لا الحصر لم يشر إلى الأحياش الذين تنصروا خلال القرن الرابع الميلادي، وجاءوا إلى القدس لزيارتها والعيش فيها منذ ذلك الحين، وكانت لهم فيها كنائس وأديرة كثيرة، لم يبق منها سوى دير الحبش، وهو ملاصق لكنيسة القيامة، و كان نصارى بيت المقدس معظمهم من أصل عربي، بجانب عدد من نصارى الفرنج من دول أوربا المختلفة، ووجدت في القدس حارة سميت بحارة النصارى بجانب باب الخليل، ويذكر أحد المستشرقين أن الأرمن ضمن المسيحيين الذين كانوا يأتون لزيارة المدينة منذ القرن الرابع الميلادي مثل الأوربيين، ويذكر أن الراهب الجورجي بروستور prochore كان قد بنى كنيسة جديدة هناك على جبل صهيون Sion في ثلاثينات القرن الخامس الهجري/ القرن الحادي عشر الميلادي، وكان كثير من الأرمن يمكثون هناك رهبانا ونساكا، وخصص لهم مبنى في الحي الأرمني وأصبحوا يعرفون باسم الكاغاكاتس Kaghakats أو سكان القدس، وخصصت لهم كنيسة للملائكة العلوية المقدسية Hirstagabed، وظلوا مميزين عرقيا. ناصر خسرو: سفر نامة، ص٦٧،٧٠؛ القنبلي: الأنس الجليل، ج٢، ص١٥٣؛ كارين أرمسترونج: القدس مدينة واحدة، ص٤٤١-١٤٤٢؛ عارف العارف: تاريخ القدس، ص٢٥٤؛ ميخائيل مكس اسكندر: القدس عبر التاريخ، دراسة جغرافية تاريخية أثرية للمدينة المقدسة، القاهرة ١٩٧٢م، ص١٢٤.

(77) سكن اليهود في بيت المقدس في حارة خاصة بهم أطلق عليها حارة اليهود. الحنبلي: الأنس الجليل، ج٢، ص٥٢، ٥٦.

(78) ناصر خسرو: سفرنامة ، ص٦٧، ٨٨ – ٨٩.

(79) رواق: الجمع أروقة، ممر محصور بين جدار مبني ما وعقود تقوم على أعمدة (بائكة) مسافة بين بائكتين. عبدالرحيم غالب: موسوعة العمارة الإسلامية، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٨م، ص٢٠٧.

(80) تعود هجرة المغاربة إلى الشرق إلى قيام الدولة الفاطمية حيث انتقلت قبائل من المغرب، وانتشرت في الجهة الغربية، وربما اتجهت بعض القبائل إلى القدس، والتي تخضع للنفوذ الفاطميين في مصر آنذاك؛ ويضاف إلى ذلك أن المغاربة في أقصى غرب العالم الإسلامي كانوا يمرون بالقدس لزيارة مكان مسرى الرسول ﷺ، بعد رجوعهم من الحج، كما كانوا يرحلون إليها في أوقات السلم طلبا للعلم، ولا يترددون في المشاركة في الجهاد دفاعا عنها، والتبرع بأموالهم للحفاظ عليها، وقد كان لهذه الأسباب الأثر البالغ في تكوين الوجود المغربي بالقدس منذ العصور الوسطى، واشتمل على حارة خاصة سميت على المغاربة تضمنت بدورها أماكن لإقامة شعائر الدين الإسلامي، ومحلات وعقارات أصبحت منذ العقود الأولى ملكا للمغاربة وكونت ما يسمى بأوقاف المغاربة بالقدس ولذلك تنبه المغاربة منذ وقت مبكر لما يهدد بيت المقدس من غزو، فلا تستغرب عن الحضور المغربي بكثافة في القدس وشتيل، وقد حفظت لنا كتب الأدب والتاريخ أسماء العشرات من رجال العلم والدين والأدب الذين رحلوا من المغرب إلى المشرق طلبا للعلم والثقافة، وقد تولى كثير من المغاربة مناصب رفيعة في المشرق بوجه عام، وفي بيت المقدس بوجه خاص كالقضاء وغيره. نقولا زيادة: لمحات من تاريخ العرب، ص١٧١ – ١١٧٢ علي السيد علي: القدس في العصر المملوكي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٦م، ص٧٧؛ عبد الهادي التازي: القدس والخليل في الرحلات المغربية، رحلة ابن عثمان نموذجا، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط ١٩٩٧م، ص٣٤؛ عبد القادر اليوخاري: أوقاف المغاربة في القدس، الندوة العالمية حول القدس وتراثها الثقافي، الرباط ١٩٩٣م، ص٣٢٧.

(81) لم يكن الدينار المغربي هو العملة السائدة في بيت المقدس فقط، بل أصبح الدينار المغربي المرابطي نقدا دوليا، ويتضح ذلك من خلال تعامل التجار به وانتشاره في العالم الإسلامي، وتمتعت العملة المرابطية بثقة كبيرة في مجال المبادلات الخارجية، وأصبح الدينار المرابطي عملة طلب كبير في أسواق مصر والمشرق وأصبح لجودته يكتسب صفة العالمية، وقد شاهد ناصر خسرو استخدام العملة المغربية المرابطية في مصر، و يشير ابن الأثير إلى أن الخليفة العباسي أمر في عام ٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م بترك التعامل بالدنانير المغربية، وفي موضع آخر يشير إلى أنه في عام ٤٧٧هـ/١٠٥٥م كان بمكة غلاء شديد وبلغ الخبز عشرة أرطال بدينار مغربي.ناصر خسرو: سفر نامة، ص٨٥، ٩٢، ١٠١؛ ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٢٢٢، ٣٢٥؛ حسن خضيري أحمد: علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب العربي، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩٦م، ص١٢٦.

(82) الديباج: وهو أجناس منه ما يحتاج للباس ومنه ما يحتاج للنطيق والفرش، ويقول عنه الثعالبي هو الثوب الذي سداه ولحمته حرير، وهو ثوب رفيق حسن الصنعة. ويعرف اليوم عند العراقيين بـ"القنوبر". الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٥م، ص٢٧٤؛ الدمشقي: الإشارة إلى محاسن التجارة، مطبعة المؤيد، القاهرة ١٣١٨هـ، ص٢٥.

(83) ناصر خسرو: سفرنامة، ص٧٥، ٨٥.

(84) ناصر خسرو: سفرنامة، ص٦٩- ٨٩؛ مصطفى الحياري: القدس في زمن الفاطميين، ص٥٩-٦٠

(٨٥) ناصر خسرو: سفرنامة، ص٦٨.

(٨٦) ناصر خسرو: سفرنامة، ص٦٧. زاد توافد الحجاج على القدس أثناء القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي خاصة من أوربا الغربية حيث كان المصلحون من رهبان دير كلوني Cluny في برجندي يحرسون للحج وسيلة لتلقين العامة مبادئ المسيحية فحقد، ويذكر راؤول جلبر Raoul Glaber مؤرخ برجندي أنه في عام ١٠٠٠م رحل عدد لا يحصى من النبلاء والعامة، وكانوا من إيطاليا وبلاد الغال والمجر وألمانيا وكانوا يعتقدون أنه قبل نهاية الزمان سيتوج إمبراطور من الغرب بحارب المسيح للدجال هناك، وهكذا تجمع الحجاج في القدس ليشهدوا المقدم الثاني للمسيح، وحينما لم تقع الآخرة بدا الناس يفكرون أن عام ١٠٣٣م هو عام أكثر ملاءمة لظهوره، وهو نفس العام الذي أصيبت فيه أوربا بمجاعة كبرى، وتخيل الكثيرون أن تلك النكبة نذير الآخرة، ولذا بدأ الفلاحون، ثم الطبقات المستقرة من المجتمع وتلاهم النبلاء والأغنياء في التدفق متوجهين إلى قبر المخلص في القدس، وشهدت المدينة حشودا بشرية لم تشهدها من قبل، واقتنع الحجاج أن ذلك كان لا ينذر بشيء سوى قدوم "ضد المسيح" البائس والذي هو نهاية العالم، وتهافتت مسيحية أوربا الغربية حينئذ حالة يأس حيث كان الناس يأملون الخروج من فوضى بربرية استمرت لأمد طويل، بالاتجاه إلى أورشليم رمز الخلاص. كارين ارمسترونج: القدس مدينة واحدة ثلاث عقائد، ص٤٢٢-٤٤٣.

(٨٧) ناصر خسرو: سفر نامة، ص٨٤، ٨٩.

(٨٨) وقد أشار ناصر خسرو إلى ذلك عندما تحدث عن كنيسة القيامة بقوله: "يزورها ملك الروم متخفيا حتى لا يعرفه الناس..." فأرسل إليه أحد حراسه وقال له: "الحاكم أرسلني إليك ويقول: لا تحسبني أجهل أمرك، ولكن كن آمنا فإن قصدك بسوء". ناصر خسرو: سفرنامة، ص٨٤، ٨٨. ويبدو أنهم كانوا أعدادا وفيرة وخاصة أنهم طلبوا من السلطان صلاح الدين الأيوبي أن يمكنهم من المقام في مساكنهم ويأخذ منهم الجزية فأجابهم إلى ذلك. ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص١٥٤-١٥٦.

(٨٩) يحيى بن سعيد: تاريخه، ص٢٧٢؛ ناصر خسرو: سفرنامة، ص٦٥-٨٩، ٦٧.

(٩٠) الكنيش: الأصل (الكنيس) ولا يستقيم بها المعنى. والكنيس: متعبد اليهود: ويذكر صاحب خطط الشام أنه بقدوم الصليبيين إلى بيت المقدس فإنهم لم يبقوا بها يهوديا واحدا على قيد الحياة، فقد جمعوا اليهود في الكنيس الخاص بهم (المعبد) وأشعلوا النيران فيه بمن فيه.كرد علي محمد: خطط الشام، دمشق ١٩٢٥م، ج١، ص١٢٨٢؛ المعجم الوجيز، القاهرة ١٩٩١-١٩٩٢م، ص٥٤٢.

(٩١) ناصر خسرو: سفرنامة، ص٦٧. أشارت الدراسات الحديثة إلى أنه لا توجد معالم تاريخية خاصة باليهود، أما الهيكل فروايات الكتب المقدسة لا تشير إلى موقع المبنى، ففي التوراة جاء وصف هيكل سليمان عليه السلام والبيت الذي بناه سليمان للرب طوله ستون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وسمكه ثلاثون ذراعا، وهذه الأبعاد لا تكفي هندسيا لتغطية الصخرة الشريفة، بالإضافة إلى اختلاف أوصاف الصخرة التي وردت بالتلمود، والتناقضات فيما يتعلق بالهيكل والصخرة اليهودية. نواف حامد: المعالم التاريخية والحضارية في القدس، ص٣٨٢.

(٩٢) ناصر خسرو: سفرنامة، ص٦٧. ظلت القدس محرمة على اليهود منذ عصر الإمبراطور الروماني Vespaslanus عقب نزاعه مع اليهود الذي انتهى بهزيمتهم، وتخريب أورشليم، وكان ذلك عام ٧٠م وتم إجلاء جميع اليهود، واستمر هذا الوضع بعد استيلاء جيوش عمر بن الخطاب رضي الله عنه على القدس عام ١٥هـ/٦٣٧م، ويبدو أن الحكام المسلمين كانوا يتجاهلون تطبيق هذا البند من شروط الصلح لأن موقف الإسلام واضح فيما يتعلق بأهل الكتاب، ويذكر المقدسي بأن بيت المقدس كان يضم أعدادا كبيرة من النصارى واليهود في ظل الإسلام: وكانت عسقلان من المدن المشهورة بتجمع اليهود بها عهد الفاطميين، وكان حاكم المدينة يغدق عليهم الأموال، ولكن يبدو أن كلام المقدسي فيه شيء من المبالغة حول عدد اليهود، فهذه القاعدة لا تنطبق على بلاد الشام في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي لأن السياسة التي جرى عليها الفواد الصليبيين إزاء اليهود كانت تغني الطائفة اليهودية. ويقدر ربي بنيامين وهو رحالة سافر عام ١١٦٥م عدد سكان الحي الخاص باليهود في القدس بأربعة آنفس، وفي موضع آخر يذكر أن عددهم مئتان وذلك في مخطوط واحد، ويذكر أحد الباحثين أنه في فترة الاحتلال الصليبي لبيت المقدس تعرض اليهود لتصفية الفرنج، فهجروا المدينة المقدسة ومعظم أنحاء فلسطين. المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ، ص١١٦٧؛ السيوطي: إتحاف الأخصا بفضائل الأقصى، تحقيق: أحمد رمضان أحمد، القاهرة ١٩٨٤، ق٢، ص١٩٥؛ الحنبلي: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، الطبعة الأولى، النجف ١٩٦٦م-ج١، ص٢٨١؛ آدم ميتز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبدالهادي أبوريده، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩٩، ج١، ص٥٩، حاشية رقم (٧)؛ ص٥٩: يوسف درويش غوانمة: تاريخ نوابة بيت المقدس في العصر المملوكي، ص١٢٢.

Jacob Mann. M.A., D.Lrr. (Lond.): The Jews in Egypt and in Palestine under The Fatimid Caliphs. Oxford University Press. 1920, V. I, P. 169.

(٩٣) الحنبلي: الأنس الجليل، ج٢، ص٥٢، ٥٦. تحدث أحد المستشرقين عن وضع اليهود السيئ في فلسطين فيذكر أنه في عام ١٠١١م تم رجم اليهود في الفسطاط أثناء سيرهم في موكب جنائزي. كما تم تدنيس المعبد اليهودي في القدس وحرق بعض نفائس المخطوطات، وفي عام ١٠٢٣م ساءت أحوال فلسطين بعد قيام بدو الجراح بالثورة على الفاطميين واستولوا عليها، وكان وضع اليهود سيئا بوجه خاص، فقد حدث أن تزايد عدد أفراد الطائفة اليهودية قليلا في القدس أثناء القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي حينما استوطنها اليهود اللاجئون الهاربون من أعمال العنف التي تفجرت في بغداد وشمال إفريقيا في أربعينات ذلك القرن، وفضل معظم اللاجئون الجدد الإقامة في رام الله وطبرية، ووجد بعضهم أن القدس تأتيها الإمدادات من أماكن بعيدة، ومصادر العيش فيها محدودة، ويفد إليها الكثير من الأغنياء ليصبحوا فقراء تعساء، وكان المسيحيون يحتلون معظم المواقع ذات العائد الوفير، أما اليهود فكانوا يعملون في تداول النقود والصباغة ودبغ الجلود، وبرغم هذا فلم يكن هناك سوى النذر القليل من تلك الأعمال، وعلى الرغم من ذلك فقد قسم اليهود ينقل مجموعتهم الحاكمة إلى القدس أثناء القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، واستمر اليهود يؤيدون بقوة الحكم الفاطمي برغم معاناتهم في ظل خلافة الحاكم. كما

فرضت عليهم الضرائب الباهظة عام ٤٤٠هـ لولائهم للفاطميين أثناء ثورة البدو، والقى بيهود كثيرين في السجون لعدم استطاعتهم سداد ديونهم، وواجههوا المجاعة والإملاق وتوفي الكثيرون منهم، وكما كتب سولمون جلاد كوهن كبير مجلسهم، فقد كان هناك آخرون عرايا بؤساء وفقراء، ولم يبق للرجل شيء في منزله، ولا حتى ثوب له، أو أدوات للمنزل. كارين أرمسترونج: القدس مدينة واحدة، ص٤٣١- ٤٣٤.

[٩٤] روى ابن عساكر عن عكرمة أنه قال: "كان إبراهيم عليه السلام كني أبا الضيفان" لكرمه. ابن كثير: قصص الأنبياء، السعودية: (د ت)، ص١٣٠- ١٣١.

[٩٥] المستغلات: وهي موارد جديدة للدولة إلى جانب الخراج، وتشمل إيرادات الأراضي المملوكة للدولة، وما يقام عليها من أبنية وحوانيت وطواحين ونحو ذلك، وفي عهد الوليد بن عبدالملك أنشئ ديوان جديد هو "ديوان المستغلات". الجهشياري: الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، الطبعة الأولى، مصر ١٩٣٨م، ص١٤٧؛ جرجي زيدان: تاريخ التمدن الاسلامي، مطبعة الهلال بالفجالة، مصر١٩٢٦م، ج٢، ص٨٩.

[٩٦] ناصر خسرو: سفرنامة، ص٨٦.

[٩٧] ناصر خسرو: سفرنامة ، ص٨٦ – ٨٧. وأشارت المصادر التاريخية إلى "سماط إبراهيم" أو الدشيشة، ويُقال إن سيدنا إبراهيم عليه السلام كان يخرج كل يوم ليأتي بالضيوف. وكان أهل الخليل يضربون الطبل كل يوم بعد صلاة العصر لتفرقة السماط عند باب المطبخ حين يوزع الطعام وهو من أعجب ما في قدنيا، ويقال أن السبب في دق الطبلخانه كل يوم لأن الأصل في ذلك أن سيدنا إبراهيم عليه السلام لما كانت تأتيه الضيوف ويضع لهم ما يأكلون ويكونون جماعة متفرقين في المنازل التي أنزلهم فيها، فإذا قصد إطعامهم دق لهم الطبل ليعلموا أنه هيأ لهم الطعام فإذا سمعوا بادروا واجتمعوا لأكل سماطه، فصارت سنة بعده تعمل في كل يوم عند تفرقة السماط، ويشترك السكان مع الزوار في هذه الوجبات، ويذكر أن الخبز كان يوزع ثلاث مرات في اليوم، صباحاً للفقراء وغيرهم، وظهراً للسكان، وبعد العصر لهم ولمن يأتي من الزوار والمجاورين، وعند الباب حيث يدق الطبل توجد المطابخ التي تحتوي على ثلاثة أفران وست طواحين، وعلى مسافة من هذا مخازن للغلال، وعلو هذا المكان ورؤيته بعد من العجائب فإنه يدخل إليه بالقمح فلا يخرج منه إلا وقد صار خبزاً، ومقدار ما يعمل فيه من الخبز يومياً أربعة عشر ألف رغيف ويبلغ إلى خمسة عشر ألف رغيف. ناصر خسرو: سفرنامة: حاشية (١)، ص١٨٧؛ الحنبلي: الأنس الجليل، ج١، ص٦٣.

[٩٨] عارف العارف: تاريخ القدس، ص٦٤.

[٩٩] شعر السكان المحليون لمدينة القدس أن مكة والقدس تتقاسمان نفس القدسية، ويبدو أنه أثناء القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي كان يحدث أن يتجمع المسلمون الذين لم يتح لهم أداء الشعيرة في مكة خلال أيام الحج في القدس، وكانت حشود من الأرياف وأهل القدس يتجمعون عند الحرم وفي المسجد الأقصى ليلة وقوف الحجيج بعرفة، وتستمر الحشود واقفة طوال الليل تدعو بأصوات مرتفعة كما لو كانت في عرفات، وفي يوم عيد الأضحى كان الأفراد يقومون بذبح الأضاحي في الحرم، كما لو كانوا في مكة. وكان بعض الحجاج يجمعون بين الحج إلى مكة وزيارة ورعة للقدس وهم يرتدون ملابس الإحرام التقليدية ويؤدون الشعائر المتطابقة على الرغم من اعتراض بعض المسلمين على تلك البدعة. كارين أرمسترونج: القدس مدينة واحدة، ص٤٣٦.

[١٠٠] كانت كثرة الاحتفالات الدينية والأعياد وغيرها من المناسبات من أهم مظاهر الحياة الاجتماعية عند سكان القدس التي كانت تشارك بها أعداد كثيرة من الناس والحجاج القادمون من مختلف أنحاء العالم. وكانت للنصارى احتفالات دينية ، فعلى سبيل المثال بعد الاحتفال بعيد الفصح للمسيح أهم الاحتفالات، وهو احتفال قديم لكنه استمر أثناء حكم الفاطميين لها، وذكر المقريزي: "أن النصارى الأقباط في مصر كانوا يخرجون كل سنة في موسم الحج بأعداد كبيرة، ويتجمل عظيم، والقيام باحتفالاته بكنيسة القيامة بالقدس"، وكان من عادة نصارى القدس في كل سنة أن يحملوا في أحد الشعانين شجرة زيتون في احتفال كبير يبدأ من كنيسة الغازارية في ضواحي القدس إلى كنيسة القيامة، حيث يمرون في شوارع المدينة رافعين الصليب عالياً، ويصلون ويترنمون بالأناشيد الدينية، وكان الوالي يركب مع رجاله معهم ليمنع الناس من التعرض لهم بأي. يحيى بن سعيد الأنطاكي: تاريخه، ص١٩٤؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٧٤– ٧٥.

[١٠١] استمر الحجاج اليهود في الزيارة للقدس خاصة في شهر تشري للاحتفال بعيد المظال واسمه بالعبرية سُكوت Sukkoth الذي كانوا يأتون من أجله من مناطق نائية مثل خراسان، وقاموا بتطوير طقوسهم الخاصة بذلك الاحتفال المسيائي، فكان اليهود يبدءون بالطواف حول أسوار المدينة، ويقومون بالصلاة عند بوابات الحرم كما كانوا يفعلون في القدم، ثم يقومون بتسلق جبل الزيتون وهم يرتلون المزامير أثناء صعودهم. وكما كتب الجاون Goan سليمان بن يهودا فقد كانوا يقفون "متوجهين نحو معبد الإله في أيام عطلتهم" أي نحو مكان الحضور المقدس وقونه وسند قدميه، ورغم المظهر الحزين للمعبد وهو مغطى بالمباني الإسلامية؛ فقد كانت المعبرات اليهودية العلوية على جبل الزيتون مرحة، وكانوا يحيون التجمع حول حجر كبير على الجبل واعتقدوا أن الحضور الإلهي "شكينتاه" قد توقف عنده قبل مغادرته للمدينة، وهناك كان الجاون يلقي موعظته السنوية، ولسوء الحظ فقد خيمت سحابة العداء المذهبي على ذلك الجمع، فقد كان الجاون يخرج لفافة من التوراة ويقوم بإعلان كفر القرائين الذين كانوا يعسكرون في مواجهة الربانيين على الجبل، وكان ذلك التكفير غالباً ما يؤدي إلى معارك خطيرة وأحياناً إلى شجار غير لائق، ولذا أراد الجاون سليمان إلغاء ذلك التقليد، هذا بالإضافة إلى أن السلطات المسلمة أصرت على وقف عملية التكفير من منطلق أن لكل من الربانيين والقرائيين الحق في ممارسة عقائدهم بالشكل الذي يرونه مناسباً.كارين أرمسترونج: القدس مدينة واحدة، ص٤٤٤– ٤٤٥.

[١٠٢] ناصر خسرو: سفر نامة، ص٦٧– ٨٥.

[١٠٣] ازدهرت بعض العلوم العقلية في القدس ولاسيما الطب، وكان لاهتمام الفاطميين أن أقاموا البيمارستان الفاطمي في القدس عام ٣٩٥هـ/١٠٠٤م على حافة وادي جهنم، وكانت هذه المراكز بمثابة معاهد علمية فيها المكتبات، وتنظم فيها المحاضرات وتلقى على طلبة العلم. ناصر خسرو: سفر نامة، ص٦٨؛ ابن أبي اصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ،(د ت)، ص٤٧.

[١٠٤] ناصر خسرو: سفرنامة، ص٦٨.

[١٠٥] كان مع بداية السيطرة الفاطمية على بلاد الشام أن حظيت مدينة القدس باهتمام فاطمي لأسباب دينية واستراتيجية، وخاصة شئون العلم ومؤسساته ولذا أنشأوا دار العلم التي لم

بيت المقدس وانعكاساتها على الحياة العلمية والثقافية بدمشق فترة الحروب الصليبية، ندوة اتحاد المؤرخين العرب بعنوان "المراكز الثقافية والعلمية في العالم العربي عبر العصور، القاهرة ٢٠٠١م، ص٣٨٢.

(١٥٥) كانت الدولة الفاطمية قد ترصدت للحركات المعادية لها في بلاد الأمر وحاولت القضاء عليها تماما. فيذكر أنه عند دخول الفاطميين فلسطين لقي أبوبكر محمد بن أحمد بن سهل الرملي الفاسي، أحد علماء مدينة الرملة باهمية مقتلة الفاطميين على قتال الروم بقوله: "لو كان معي عشرة أسهم لرميت الروم سهما ورميت بني عبيد بتسعة"، ويذكر أنه قتل وسلخ من قبل الفاطميين عام ٣٦٣هـ/٩٧٣م. ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٣٤٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص٢٨٤.

(١٥٤) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٧٩-١٨٠؛ كان نشر الفكر الشيعي الفاطمي من سياسة الفاطميين الأساسية في كل البلاد التي حكموها ومنها فلسطين، وقد أنشأوا لذلك "دار العلم" في القدس كما أشرنا وجعلوا شريعة الحكم على مذهبهم في البلاد، وكان لهم فيها داعية للمذهب الشيعي، ولكن الدعوة الفاطمية لقيت على ما يظهر المقاومة الشديدة وإن حققت بعض النجاح في المدن الساحلية، لكن المذهب الفاطمي ظل سطحي الانتشار بين الناس.شاكر مصطفى: فلسطين في العصور العربية الإسلامية، ص٢٣١.

(١٥٣) شاكر مصطفى: فلسطين في العصور العربية الإسلامية، ص٢٢٣.

(١٥٢) بدأ ناصر خسرو رحلته في ربيع الآخر ٤٣٧هـ / اكتوبر ١٠٤٥م، ووصل القدس في الخامس رمضان ٤٣٨هـ/ ١٦مارس١٠٤٧م، واستغرقت الرحلة سنة كاملة. ويعني ذلك أن زيارة ناصر خسرو للقدس كانت في العصر الفاطمي وتحديدا على عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي (٤٢٧ - ٤٨٧هـ / ١٠٢١ - ١٠٩٤م) بينما أشارت بعض الدراسات إلى أن ناصر خسرو زار القدس على عهد الدولة الاخشيدية عهد أبي القاسم محمد الملقب أنوجور (٣٣٤-٣٤٩هـ). السيوطي: إتحاف الأخصا بفضائل الأقصى، ج٢، ص١٩٦؛ عارف العارف: تاريخ القدس، ص٦٠.

(١٥٣) ناصر خسرو: سفرنامة، ص٦٥-٦٦. والسنة الشمسية: وهي تساوي ٣٦٥ يوماً و١/٥ ساعة، وبذلك فيكون من كل ١/٤ فيوم في كل ١٢٠سنة شهرا كاملا، ومن ١/٥ في نفس المدة يوما واحدا، أي ٣١ يوما، وفي كل ١١٦سنة يكون لديهم ٣٠ يوما وهي تختلف عن التقويم الفارسي على أساس أن السنة ٣٦٠ يوما، كل شهر ثلاثون يوما كاملة، ويضيفون إليها خمسة أيام من الشهرين الثامن والتاسع من سنتهم، فيكون مجموع الأيام كل حول ٣٦٥ يوما. محمد ضياء الدين الريس: الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، الطبعة الخامسة، القاهرة ١٩٨٥م، ص٥١١؛ صبحي الصالح: النظم الإسلامية، نشأتها وتطورها، الطبعة السادسة، بيروت١٩٨٢م، ص ٣٩١.

(١٥٤) هناك آيات ذكرها الله في ذكر بيت المقدس والأرض المقدسة فقال تعالى: ﴿ وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية﴾، وقيل هذه القرية هي البيت المقدس، وقوله تعالى: ﴿ ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة﴾، وقوله تعالى: ﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم﴾ القرآن كريم: سورة البقرة، الآية ٥٨؛ ابن شاهين: كتاب زبدة كشف الممالك، ص١٦- ١٧

(١٥٥) ناصر خسرو: سفر نامة، ص٦٧.

يشير إليها ناصر خسرو وهي فرع لدار الحكمة التي أسست في القاهرة عام ٣٩٥هـ/١٠٠٤م تعمل على نشر مذهبهم في القدس وفلسطين، ويرى أحد الباحثين أن وجود تلك المدارس في بلاد الشام والقدس يعني أنها قدم ما يقارب القرن الثالث الهجري وبذلك تكون بلاد الشام قد عرفت المدارس قبل نظام الملك بقرن من الزمان، وكانت هذه المدارس قبلة العلماء والفقهاء من جميع أنحاء الدولة العربية الإسلامية. السيوطي: إتحاف الاخصا بفضائل الأقصى، ق٢، ص١٩٧؛ عارف العارف:تاريخ القدس، ص٦٣؛ نعمان محمد جبران: المؤسسات التعليمية في القدس والحركة الثقافية، ندوة جامعة البتراء بعنوان القدس بين الماضي والحاضر" الأردن ٢٠٠١م. ص٦١-٦٢؛ صبيح عبداللطيف النابلسي: القضاء والمراكز العلمية في بيت المقدس، ص٢١٠-٢١١.

(١٥٦) شاع التصوف في القدس في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي وكان المقدسي قد تحدث عن سكان المدينة ومجالس الذكر الحنيفية، وإلى مجالس الكرامية الصوفية نسبة إلى محمد بن كرام (ت٢٥٥هـ)، وكان أتباعه في القدس وإليهم مجلس في المسجد الأقصى وقد أشار إليهم الرحالة أثناء زيارته، ويبدو أن أصحابه قد استمروا حتى الغزو الصليبي للقدس، وكان عبدالله بن محمد الأوري (ت٥٢٩هـ) ممن تفقهوا في القدس وكان زاهدا متصوفا، وصنف كتاب (منهاج العابدين) بالقدس عام ٤١٥هـ. المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٧٩-١٨٠؛ السمعاني: الأنساب، تحقيق: الشيخ عبد الرحمن بن يحيى، بيروت، (د ت)، ج٥، ص٢٦٢.

(١٥٧) ناصر خسرو: سفرنامة، ص٧١. ساهمت بعض المؤسسات التعليمية كالمساجد والخوانق في ازدهار بعض العلوم في القدس، ولاسيما في فترة البحث، كالعلوم الدينية وعلوم اللغة وبعض العلوم العقلية، ومنها العلوم الدينية مثل علوم القراءات، وكان أبو الغانم محمد بن محمد بن الفراء المقرئ (ت٤٦٢هـ) من أهل البصرة قرأ في القدس وتوفي بها، وكانت مدينة القدس إحدى المراكز المهمة في العالم الإسلامي لدراسة الحديث وعلومه، ومنها خرج الكثير من المحدثين، كما كانت في نفس الوقت قبلة للراغبين في دراسة الحديث وروايته من شتى بقاع العالم الإسلامي وكان أبوعثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني (ت٤٤٩هـ) ممن برعوا في علوم الحديث، وكان أبونصر أحمد عبدالباقي الربعي الكيراني المقدسي (ت٤٥٩هـ) ممن برعوا في تدريس علوم الحديث. السمعاني: الأنساب، ج١، ص٢٢٠، ج٥، ص٢٣٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، بيروت ١٩٩٧م، ج١٨، ص٢٣٨. ومن الجدير بالذكر هنا أن الدولة الفاطمية قد أتاحت للسكان النصارى إقامة مؤسسات خاصة بهم، كان لها بلا شك دور في ازدهار الحياة الثقافية في القدس المتنوعة بتنوع سكانها، ومن ذلك ما منح لتجار أمالفي من قطعة أرض أقيم عليها دير القديسة مارى اللاتينية، ودير القديسة مريم المجدلية ومأوى وكنيسة الفديين يوحنا. نعمان محمد جبران: المؤسسات التعليمية في القدس، ص٦٢.

(١٥٨) الحنبلي: الأنس الجليل، ج١، ص٢٩٧-٣٠٣.كان لهيمنة الفاطميين على بيت المقدس أن عزف عنها العلماء وطلاب الإسلام المناهضين للفكر الشيعي الذي كانت ترعاه الدولة الفاطمية أثناء سيطرتها على القدس، لكن بعد خلاصها من أيدي الفاطميين الشيعة قصدها العلماء من مشرق العالم الإسلامي وغربه، فيما يشبه أن يكون محاولة لإزالة ما قد يكون قد علق فيها من المذهب الفاطمي الشيعي. يوسف إبراهيم الزاملي: الأوضاع السياسية في

(116) فدكة: مفرد مبني ثابت كالمصطبة يقام أحياناً في البيوت والأماكن العامة والآبنية العظيمة، وتكون عادة طويلة قليلة العرض من حجر أو رخام. عبدالرحيم غالب: موسوعة العمارة الإسلامية، ص١٩٠.

(117) ناصر خسرو: سفر نامة ، ص٦٧ - ٨٩.

(118) لم يشر ناصر خسرو إلى قلعة بيت المقدس وهي قلعة حصينة وكبيرة، وهي بناء مستطيل مبني من الحجر، والقادم إلى القدس من جهة قرمتة تكون القلعة أول بناء يقع نظره عليه. فهي مرتفعة وشامخة وتقع في الجهة الغربية ضمن أسوار المدينة، فوق باب الخليل مباشرة، وقد بنيت كي تدافع عن أحد المداخل الرئيسية للمدينة المقدسة، وظلت تؤدي دورها في العصور المختلفة. يوسف درويش عواملة: تاريخ نيابة بيت المقدس، ص٤٠. ولكن يبدو أن الرحالة ناصر خسرو لم ير في سور المدينة والقلعة من غريب العمارة وبديعها ما لفت نظره، واستدعى اهتمامه بتدوينه.

(119) من المرجح أن عدد سكان المدينة بصفة عامة كانوا أكثر من ذلك.

(120) ناصر خسرو: سفر نامة، ص٦٦- ٦٧.

(121) لم يشر ناصر خسرو إلى أسوار المدينة والتي تعد من معالم المدينة البارزة، وهي أول ما يواجه الزائر عند قدومه إلى المدينة، ويعود بناء هذه الأسوار إلى عدة فترات من تاريخ المدينة المقدسة، كالفترة الرومانية مثلا وكذلك الفترة الأموية، وقد عمل صلاح الدين وخلفاؤه على إعادة بناء الأسوار وتحصينها. مروان أبو خلف: المعالم الحضارية في مدينة القدس، الندوة العالمية حول القدس وتراثها الثقافي، الرباط ١٩٩٣م، ص٣٢٠.

(122) ناصر خسرو: سفر نامة، ص٦٨. وروى عن ميمونة بنت سعد مولاة رسول الله ﷺ أنها قالت: "يا رسول الله افتنا في بيت المقدس. فقال: أرض المحشر والمنشر ائتوه فصلوا فيه فإن كل صلاة فيه كألف صلاة. قلنا يا رسول الله فمن لم يستطع أن يصل إليه. قال فمن لم يستطع أن يأتيه فليهد إليه زيتاً يسرج في قناديله فإن من أهدى إليه زيتاً كان كمن أتاه. صدق رسول الله ﷺ. الحنبلي: الأنس الجليل، ج١، ص٢٣٣؛ السمهودي: وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، حققه: محمد محي الدين عبدالحميد، القاهرة ١٩٥٥م، ج٢، ص٤١٦.

(123) ناصر خسرو: سفرنامة: ص٦٨.

(124) أشار ابن الجوزي في حديثه عن فضل عين سلوان أنه قال: عن أم عبدالله (زوجة الإمام أحمد بن حنبل) عن أبيها أنه قال: "من أتى بيت المقدس، فليأت مهراب داود فليصل فيه، وليمسح في عين سلوان فإنها من الجنة". ابن الجوزي: فضائل القدس، حققه: جبرائيل سليمان جبور، الطبعة الثانية، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٨٠م، ص٩٧- ٩٨.

(125) ناصر خسرو: سفر نامة، ص٦٨.

(126) كانت مآثر الأمويين في بيت المقدس قد تجلت في الأبنية التي شيدوها في ساحة الحرم الشريف ومنها مسجد قبة الصخرة، وقد امتاز البناء بروعة الهندسة العربية الممتزجة بالطراز الفارسي والأسلوب البيزنطي، ويرى البعض أن عبدالملك بناه ليكون للمسلمين مسجداً يضاهي في بهائه وسحره ما لكنائس النصارى من الروعة ولاسيما كنيسة القيامة، وقد تعرض المسجد لكثير من الأضرار بسبب الزلازل والعواصف والأمطار، وما من حاكم عربي حكم القدس إلا وكان له شرف ترميمه، ومن هؤلاء الوليد بن عبدالملك عام ٨٦ هـ/ ٧٠٥م والخليفة المأمون عام ٨٣٦م. مصطفى الدباغ: بيت المقدس، ج١، ص١٩٩؛

عبدالفتاح حسن أبو علية: القدس دراسة تاريخية حول المسجد الأقصى والقدس الشريف، دار المريخ للنشر، السعودية ٢٠٠٠م، ص٦٩؛ عارف العارف: تاريخ القدس، ص٢٨٩.

(127) ناصر خسرو: سفر نامة، ص٦٩.وقدراع: هو بسط اليد ومدها، وأصله من الذراع وهو ساعد، وهو ما بين طرف المرفق إلى طرف الإصبع الوسطى، وهو نوعان: الذراع الشرعي والذراع الأصفهاني، والذارع الشرعي يتطابق مع الذراع الشرعية العربية التي تساوي ٤٩.٨٧٥سم، ويرى البعض أن الفرسخ الواحد اثنا عشر ألف ذراع شرعي والذراع ثلاثة أشبار. وقشير ست وثلاثون إصبعا، والأصبع ست حبات شعير مصفوفة بطون بعضها إلى بعض. المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٤٩٧؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١: ص٣٥-٣٦؛ هنتز: المكاييل والأوزان الإسلامية، ص٨٣-٩٣؛ محمد ضياء الدين الريس: الخراج والنظم المالية لدولة الإسلامية، ص٢٨٧، ٢٨٩-٢٩٠. والذراع الشرعية عند الريس ٤٦.٢سم، وقال هو الذراع الأصلي والمرسلة والهاشمية ١.٦سم وهو ذراع المساحة، ومقدار الذراع عند الحنفية ٤٦.٣٧٥سم: وعند المالكية ٣سم، وعند الشافعية والحنابلة ١.٨٣٤سم. علي جمعة محمد: المكاييل والموازين، الطبعة الثانية، القاهرة ٢٠٠١م، ص٥٠.

(128) ذكرت هذه الصخرة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ صدق الله العظيم، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا ﴾ صدق الله العظيم، والقبلة في الآيتين المراد بها الصخرة. قرآن كريم، سورة البقرة الآية ١٤٢؛ ذكر ابن الجوزي عن النبي ﷺ أن جبريل عليه السلام أتى به إلى الصخرة وقال "من ها هنا عرج ربك إلى السماء"، وروى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: "صخرة بيت المقدس من صخور الجنة" وعن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: "سيد البقاع بيت المقدس، وسيد الصخور صخرة بيت المقدس" ابن الجوزي: فضائل القدس، ص١٤٥؛ السيوطي: إتحاف الأخصا بفضائل الأقصى، ق١، ص٩٥؛ الحنبلي: الأنس الجليل، ج١،ص٢٣٥-٢٣٦.

(129) ناصر خسرو: سفر نامة ، ص٦٩.وعن تاريخ تحويل القبلة قال سعيد بن المسيب قال: صلى رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس سبعة عشر شهرا، وصرفت القبلة قبل بدر بشهرين، وفي مسلم عن البراء بن عازب: قال: صليت مع النبي ﷺ إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا حتى نزلت الآية ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ فنزلت بعدما صلى النبي ﷺ. السمهودي: وفاء الوفا، ج١، ص٣١١. وللمزيد عن تاريخ تحويل القبلة راجع السمهودي: وفاء الوفا، ج١، ص٣٥٩-٣٦٤.

(130) طاقا: الجمع طيقان، وهو بناء مستطيل وتبنى بالآجر أصلاً لقلة الشجر والحجر، وقد تطلق للفظة على نافذة أو على رواق أو محراب المسجد المجوف المقوس لأعلى. عبد الرحيم غالب: موسوعة العمارة الإسلامية، ص٢٦٠.

(131) ناصر خسرو: سفرنامة، ص٦٩-٧٠.وكزشايكان: كز: (چيز) Gaz: اسم فارسي للذراع التي كثيرا ما يطلق عليها في بلاد المشرق، وكان يساوي في المعدل حوالي ٩٥سم في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وطول كل ذراع (كز) أربعة وعشرون إصبعا من أصابع اليد توضع بالعرض جنبا إلى جنب وهي ست قبضات. حصة عبدالرحمن الخير: النقود والموازين والمكاييل وقياس الأطوال والمسافة في بلاد المشرق الإسلامي

إقليم الجبال وخراسان وسجستان نموذجاً، مجلة المؤرخ العربي، العدد (١٥) مارس ٢٠٠١م، ص٤٣٦.

(132) المينا: مادة صلبة زجاجية يُطلى بها الخزف المشوي ثم يعاد إلى الفرن مرة ثانية بحرارة أقل ارتفاعاً من الأولى ليبدو مزججاً لامعاً. عبدالرحيم غالب: موسوعة العمارة الإسلامية، ص٤١٤.

(133) ناصر خسرو: سفر نامة، ص٧٠.

(134) ناصر خسرو: سفر نامة، ص٦٩-٧٢.

(135) تأمل ناصر خسرو الأثر الذي تركته السيدة مريم حينما أمسكت بالأعمدة الرخامية عندما كانت تلد، لما القرآن الكريم فيذكر أن السيدة مريم جاءها المخاض وهي مستندة بجوار نخلة فيقول الله ﷻ بسم الله الرحمن الرحيم" فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًا، فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًا" ﷻ، سورة مريم، الآية رقم (٢٢- ٢٣)، وهكذا فلم تكن هناك أعمدة رخامية تمسك بها مريم. كارين أرمسترونج: القدس مدينة واحدة، ص ٤٣٨.

(136) ناصر خسرو: سفر نامة، ص٧٢- ٧٣.

(137) المسجد الأقصى: اسم شامل لكل ما يعرف في وقتنا الحاضر باسم المسجد القدسي الشريف، وهو يتألف من المسجد الكبير أو ما يعرف بالمسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة وما بينهما، وما حولهما من منشآت مثل السبل والبرك وأماكن الوضوء وغيرها؛ أي كل البقعة المقدسة التي يحيط بها سور المسجد الأقصى، وتوصل الأثري الفرنسي "دي سولسي" في كتابه "تاريخ الفن اليهودي" إلى مساحة المسجد الأقصى أكبر من ضعف مساحة مسجد النبي سليمان ﷺ؛ لأن السور الذي أحيط بمسجد سيدنا سليمان ﷺ قد قام على جبل موريا كان أشبه بسور يحيط ببقعة مربعة الشكل، ومن أبرز المعالم التي تميز بها شكل مساحة المسجد الأقصى كانت تشبه مستطيلا يأخذ اتجاهه من الشمال إلى الجنوب اتجاه القبلة، على خلاف هيكل سليمان بالرغم من استطالته فهو يأخذ الاتجاه من الغرب إلى الشرق، وهذا ينفي نفيا قاطعا الرأي القائل بأن هيكل سليمان يقوم مقام الحرم الإسلامي الشريف، وفي هذه الأيام يطلق اسم المسجد الأقصى على المسجد الواقع جنوبي قبة الصخرة من الحرم القدسي ويبلغ طوله ٨٠ مترا وعرضه ٥٥ مترا ويقوم على ٢٣ عمودا من الرخام و ٤٩ سارية مربعة الشكل. عبدالفتاح حسن أبو علية: القدس دراسة تاريخية حول المسجد الأقصى، ص٢٧؛ عبدالحميد زايد: القدس الخالدة، ص١٨١؛ عارف العارف: تاريخ القدس، ص٢٩٤؛ صبيح عبداللطيف:القضاء والدوائر العلمية في بيت المقدس، ص٩٧

(138) شهد بناء المسجد الأقصى عدة تغيرات وإضافات عبر أحداث التاريخ وقد تعرض المسجد لزلزال في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور عام ١٣٨هـ / ٧٥٤ - ٧٥٥م، فهدمت أركانه الشرقية والغربية، فأمر المنصور بترميمه، لكنه حدث أن بنوه أخلط صناعة مما كانت عليه. وتعرض المسجد لزلزال آخر على عهد الخليفة المهدي (١٥٨-١٦٩هـ) فهدم ما كان بني، فأمر بإعادة بناء المسجد عام ١٦٣هـ/٧٧٩م إلا أنهم أنقصوا من طوله وزادوا في عرضه، وجعل له قبة صغيرة مزينة بفصوص الذهب؛ وتعرض المسجد لهزة أرضية ثالثة زمن الخليفة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ)، خربت أجزاء من المسجد وبعضا من

قبة الصخرة، فأمر المأمون بإصلاحها حين زار القدس عام ٢١٦هـ/٨٣١م، وفي العصر الفاطمي تعرض المسجد الأقصى وكذا قبة الصخرة لزلزال شديد فهدمت أجزاء كثيرة منها، وكان ذلك على عهد الحاكم بأمر الله عام ٤٠٦ هـ/١٠١٦م، ولما تولى الخليفة الظاهر بعد وفاة والده عام ٤١١هـ/١٠٢١م أمر وزيره علي بن أحمد بإصلاح وترميم ما تصدع بالمسجد الأقصى، كما أمر بتجديد المسجد بعد الزلزال الذي حدث عام ٤٢٥هـ/ ١٠٣٣م، فعمره الخليفة الظاهر عام ٤٢٦هـ/١٠٣٤م حافظاً أربعة أروقة من كل جانب، وإن القبة الحالية والأبواب السبعة التي في شمال المسجد من صنع الظاهر، وهناك كتابة بالخط الكوفي وبالفسيفساء المذهبة والمنقوشة تشير إلى ما فعله الظاهر في ذلك التاريخ، كما يثبت ذلك شريط الكتابة الموجود بالواجهة الشمالية لمربع القبة والذي جاء فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم" قد جدد المسجد الأقصى سيد الأنام الأمير علي أبوالحسن الإمام الظاهر لإعزاز دين الله أمير المؤمنين ابن الحاكم بأمر الله وذلك عام ٤٢٧هـ/١٠٤٦م.وقد أثبتت الدراسات المعمارية التي أجريت للمسجد الأقصى في العصر الحديث أن البناء الموجود حاليا، إنما يرجع الجزء القديم منه إلى عهد الخليفة المهدي العباسي (١٦٣هـ / ٧٧٩م) وأن ما أجري له في العهد الفاطمي هو بإضافة رواقين من الجانبين فأصبح المسجد يحتوي على سبعة أروقة، وهو ما عليه المسجد حالياً. السيوطي: إتحاف الأخصا بفضائل الأقصى، ق٢، ص١٨١- ١٨٣؛ عارف العارف: تاريخ القدس، ص٢٩٥؛ شاكر مصطفى: فلسطين في العصور العربية الإسلامية، ص٢١٩؛ مروان أبو خلف: المعالم الحضارية في مدينة القدس، ص٣٢٢.

(139) ناصر خسرو: سفر نامة، ص٧٣.

(140) ناصر خسرو: سفر نامة، ص٨٠. وذكر ابن الجوزي في كتابه في الباب السابع (فضل الصلاة في بيت المقدس) حديثًا عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ:"صلاة الرجل في بيته بصلاة واحدة، وصلاته في مسجد القبائل بمئة وعشرين، وصلاته في المسجد الذي يجمع فيه بخمسمئة صلاة، وصلاة في المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة، وصلاته في المسجد الحرام بمئة ألف صلاة. ابن الجوزي: فضائل القدس، ص٨٨-٨٩.

(141) يبدو أنه من الآثار والفنون التي صلمت من العبث مجموعة من الجسور الخشبية أو الدعائم المزخرفة التي أقامها الفاطميون عندما تم تجديد السقف أيام الخليفة الحاكم بأمرالله في مطلع القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي ابن شاهين: كتاب زبدة كشف الممالك، ص٤٢٠؛ صفوان خلف التل: الفنون الإسلامية المبكرة في فلسطين، الندوة العالمية الأولى الآثار الفلسطينية، "بعنوان دراسات في تاريخ وآثار فلسطين"، الطبعة الأولى، دمشق ٢٠٠١م، ص٣٩.

(142) يذكر ابن الفقيه الهمذاني أن طول مسجد بيت المقدس ألف ذراع، وعرضه سبع مئة ذراع؛ وذكر الحافظ بن عساكر أن طول المسجد الأقصى سبعمئة ذراع وخمسة وخمسون ذراعا بذراع الملك وعرضه أربعمائة ذراع وخمسة وخمسون ذراعا، ويرى أحد المستشرقين أن الزلزال الذي ضرب فلسطين عام ٤٢٥هـ/١٠٣٣م قد أصاب سور المدينة والمسجد الأقصى بالضرر الشامل، ومن ثم فقد أمر الظاهر بإصلاح ما دمر في المسجد، وحينما زار ناصر خسرو القدس عام ٤٣٧هـ/١٠٤٧م كان قد تم إصلاح ما دمر، لكن أصبح عرض المسجد أقل بكثير من سابقه، وتم إنشاء صرة أو صحن مكان الممرات

الخمسة عشر التي دمرت شمالي القبة. ابن الفقيه الهمذاني: كتاب البلدان، ص١٥٠؛ ابن شاهين: كتاب زبدة كشف الممالك: ص٢٠-٢١؛ تادرين أرمسترونج: القدس مدينة واحدة، ص٤٣٦-٤٣٧.

(143) نقش في سقف المسجد الأقصى ما صورته: "بسم الله الرحمن الرحيم. سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، الذي باركنا حوله: نصر من الله لعبده ووليه أبي الحسن علي الإمام الظاهر لإعزاز دين الله أمير المؤمنين، صلوات الله عليه، وعلى آبائه الطاهرين، وأبنائه الأكرمين" أمر بعمل هذه القبة وإذهابها سيدنا الوزير الأجل صفي أمير المؤمنين وخالصه أبوالقاسم علي بن أحمد، أيده الله ونصره، وكمل جميع ذلك إلى سلخ ذي القعدة عام ٤٢٦هـ. صنعه عبدالله بن الحسن المصري المزوق"، ويستدرك ان جميع الكتابة والأوراق بالفص المذهب، وجميع ما على الأبواب من آيات القرآن العزيز، ولسائر الخلفاء لم تغيره الفرنج. الهروي: الإشارات إلى معرفة الزيارات، حققه علي عمر، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٢م، ص٣٢.

(144) ناصر خسرو: سفرنامة، ص٧٣-٧٤.

(145) ناصر خسرو: سفر نامة، ص٧٤. يتفق هذا الوصف مع ما ذكره المقدسي وهو يقول: إن الذي بنى هذه الأروقة الخمسة عشر هو أبوالعباس عبدالله بن طاهر الذي كان يثق به المأمون، وولاه مصر والشام، وقد توفي في مرو عام ٢٣٠هـ/٨٤٤م. ناصر خسرو: سفرنامة، حاشية رقم (١)، ص٧٤.

(146) ناصر خسرو: سفرنامة، ص٧٤.

(147) الصهاريج: مفردها صهريج وهو حوض يُجمع فيه الماء، وقد يكون تحت الأرض أو على وجه الأرض. عبدالرحيم غالب: موسوعة العمارة الإسلامية، ص٢٥٤.

(148) ناصر خسرو: سفرنامة، ص٧٥.

(149) الميازيب: جمع ومفردها ميزاب (فارسية) وهو أنبوب أو مجرى من معدن أو حجر ناتئ من أعلى البناء، يثبت أحد طرفيه عمودياً على الجدار، ويميل الطرف الآخر قليلاً إلى أسفل ويخرج منه ماء المطر الذي يتساقط على السطح. ويجب أن يكون اتجاه الميزاب، كي يسهل عملية تصريف المياه. عبدالرحيم غالب: موسوعة العمارة الإسلامية، ص٤١٣.

(150) ناصر خسرو: سفرنامة، ص٧٥-٧٦.

(151) ناصر خسرو: سفرنامة، ص٦٧، ٧٥.

(152) ناصر خسرو: سفرنامة، ص٧٦.

(153) أبواب مدينة القدس عديدة وهي من معالم المدينة، وعددها غير معروف على وجه التحديد، إلا أن هناك بقايا لبعض أبواب المدينة بكاملها عام ١٣٥م، وفي عام ١٨٩٦م تم العثور على خريطة مأدبا والتي تعود في تاريخها إلى القرن السادس الميلادي، والتي تم كشفها عند بناء كنيسة جديدة للروم الأرثوذكس في مأدبا، وتظهر القدس على الخارطة محاطة بسور مرتفع عليه أربعة أبواب، ولكن يبدو وأن عدد الأبواب كان أكثر من ذلك، فهناك العديد من الأبواب التي تظهر مغلقة خاصة على الجهة الشرقية من سور الحرم كباب الجنائز وباب الرحمة، وعلى الجهة الجنوبية كباب النبي، وبعضها بني على أسس سابقة كباب العمود (باب دمشق)، والأبواب الحالية كما تظهر على سور المدينة وقدرها سبعة

وهي: باب المغاربة، باب العامود، باب الأسباط باب الجديد، باب الخليل، باب صهيون، المغاربة، وجميعها وقد أعيد بناؤه في عهد السلطان العثماني سليمان القانوني ١٥٤٠م. مروان أبوخلف: المعالم الحضارية في مدينة القدس، ص٣٢١.

(154) ناصر خسرو: سفرنامة، ص٧٧.

(155) ناصر خسرو: سفرنامة، ص٧٩،٨٠.

(156) ظلت قبة الصخرة وما تزال موضع التقدير والتعظيم من جميع الخلفاء المسلمين، يسارعون في ترميمها أو صيانتها، وقد شهد بناء قبة الصخرة عدة تغيرات وإضافات أحدث التاريخ، ولمساس البناء أموي يعود تاريخه إلى عهد الخليفة عبدالملك بن مر الأموي (٦٥-٨٦هـ/٦٨٥-٧٠٥م)، وقد نقش اسمه على شريط من الكتابة الكو بأعلى المثمن الداخلي الذي يبلغ طوله نحو ٢٤٠ متراً بالفص المذهب على أرضية زر داكنة من الفسيفساء الزجاجية، وقوام الكتابة قرآنية كما تضم عبارة تشير إلى تـ الإنشاء ونصها " بنى هذه القبة عبدالله الإمام المأمون أمير المؤمنين في سنة ق وسبعين"، ولكن اسم الخليفة المأمون وألقابه مكتوبة بخط ضيق يخالف الخط المستعم سائر أجزاء الكتابة، فضلاً عن أن عام ٧٢هـ/٦٩١م لا يقع في حكم الخليفة المأمون، هو في حكم عبدالملك بن مروان، ويتبين من ذلك أن تغيراً قد حدث في هذه الكتابة في المأمون ولكن الصانع فاته أن يغير التاريخ بعد أن غير الاسم. شاكر مصطفى: فلسطين العصور العربية الإسلامية، ص٢١٩؛ خالد محمد غازي: سيرة مدينة، ص١٢٨. وللم عن قبة الصخرة، راجع: صفوان خلف التل، العمارة والفنون في القدس الإسلامية قبل فرنجة، ندوة جامعة اليرموك، الأردن ٢٠٠١م، ص٤٦١-٤٦٧.

(157) ومن تلك الأبواب الباب الشرقي إلى جانب قبة السلسلة، وعليه عدة مكتوب عليه القائم بأمر الله أمير المؤمنين، وسورة الإخلاص وتمجيد وتمجيد وعلى سائر الأبواب ولم تغيره الفرنج. الهروي: الإشارات إلى معرفة الزيارات، ص٣١.

(158) لم يتحدث ناصر خسرو عن الفنون والزخارف الجدارية المصنوعة من الفسيفساء د بناء قبة الصخرة والذي يعد من الأمثلة الفريدة لأصول فن الزخرفة في العمارة الإسـ ذات منطلق إسلامي يتفق مع الإسلام ونهج الرسول الكريم ﷺ، وأدرك المهندسين الق المعنوية لهذا البناء، لذا كان لا بد من الحيطة والحذر لكي لا يقع خطأ ما يتنافى مع ا الإسلامية. وكانت جدران بناء قبة الصخرة الداخلية هي المكان المناسب لتطبيق الأ والأساليب الفنية الأولى. صفوان خلف التل: الفنون الإسلامية المبكرة في القـ ص٣٨٤- ٣٨٥.

(159) زار الهروي مدينة القدس وقرأ كتابة في سقف هذه القبة ما صورته: "لا إلـ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ..." الآية وا بالفص المذهب. الهروي: الإشارات إلى معرفة الزيارات، ص٣١.

(160) ناصر خسرو: سفرنامة، ص٧٩.

(161) يقال أنها تحدد موقع حركة الأرض وكانت جزءاً من عمارة القبة في عصر الظاهر الفاطمي، وكان يتدلى من هذه السلسلة شمعدان فضي كبير يزن طناً في ١٠١٠م، لكنه سقط في الزلزال الذي ضرب المدينة. خالد محمد غازي: سيرة م القدس، ص١٣٤.

[162] ناصر خسرو: سفرنامة. ص٨٠.اهتم الخلفاء الفاطميون بالمكانة الدينية للقدس، ولذلك أهدوها الكثير من قناديل الفضة لقبة الصخرة والمسجد الأقصى، وكانت عليها النقوش بأسمائهم وبأوزانها، التي كانت تزيد في مجموعها عن ألف مَنّ، وكانوا يرسلون إليها الشمع الكثير للإنارة كل سنة، وعليها اسم الخليفة. شاكر مصطفى: فلسطين في العصور العربية الإسلامية، ص٢٣٤.

[163] وهي السلسلة التي علقها سيدنا داود عليه السلام من السماء إلى الأرض ليبين الحق من المبطل، فالحق ينالها والمبطل لا ينالها. وقال ابن الجوزي أنها تعد من العجائب وقد سماها اليهود بمحكمة داود؛ ويذكر الحنبلي حديثا آخر عن السلسلة أن سيدنا سليمان عليه السلام جعل تحت الأرض بركة وجعل فيها ماءً وجعل على وجه ذلك الماء بساطا ومجلس رجل جليل أو قاض جليل فمن كان على الباطل إذا وقع في ذلك الماء غرق ومن على الحق لم يغرق. ناصر خسرو: سفرنامة، ص١٨٠؛ ابن الجوزي: فضائل القدس، ص٨٣؛ الحنبلي: الأنس الجليل، ج١، ص٢٤.

[164] روى أن ذا القرنين المصري وجد على صخرة بيت المقدس سطورا مكتوبا عليها "كل خلق مستوحش، وكل مطيع مستأنس، وكل خائف هارب، وكل راج طالب، وكل قانع غني، وكل محب ذليل". ابن شاهين: كتاب زبدة كشف الممالك، ص٢١.

[165] اشتراه سيدنا إبراهيم عليه السلام من رجل من بني حث يقال له "عفرون بن صخره" وذكره الهروي باسم "عفرون بن صوحار الحثي" – بأربعمئة مثقال وكانت السيدة سارة أول من دفن فيها. الهروي: الإشارات إلى معرفة الزيارات، ص٣٥؛ ابن كثير: قصص الأنبياء، ص١٨٩.

[166] ناصر خسرو: سفر نامة، ص٨١.

[167] ناصر خسرو: سفرنامة، ص٨١-٨٢،٨٣.

[168] في الطريق قبر السيدة راحيل أم سيدنا يوسف الصديق عليه السلام عن يمين الطريق. الهروي: الإشارات إلى معرفة الزيارات، ص٣٤.

[169] بيت لحم هي مولد سيدنا عيسى عليه السلام بناها الملك قسطنطين على محل مولد المسيح، ويقال إن في كنيسة منها قطعة من النخلة التي أكلت منها السيدة مريم وهي مرفوعة عندهم يصونونها، وموضع النخلة مذكور في القرآن الكريم، ويقال إن قبور سيدنا داود وسليمان عليهما السلام فيها، ولهذه الكنيسة آثار وعمارة عجيبة من الرخام والنقص المذهب والعمد، وتاريخ عمارتها يزيد على ألف ومئتي سنة، ولم تتغير وقت زيارة الهروي لها حتى عام ٥٦٩هـ/١١٧٣م .الإصطخري: مسالك الممالك، ص٤٤؛ الهروي: الإشارات إلى معرفة الزيارات، ص٣٤.

[170] ناصر خسرو: سفرنامة، ص٨٤– ٨٥.

[171] مقصورة: الجمع مقاصير. حجرة من حجر دار كبيرة محصنة بالحيطان، وهي أيضاً من عناصر المسجد تقام قرب المحراب من خشب. عبدالرحيم غالب: موسوعة العمارة الإسلامية، ص٤٠٤.

[172] إسحق بن إبراهيم وأمه السيدة سارة بنت عم الخليل، بُشر به أبوه بعد مئة سنة وولدته السيدة سارة ولها من العمر تسعون سنة، أرسله الله إلى قومه وظل عمراً طويلاً يدعوهم إلى الله ويعلمهم أحكام الشريعة التي جاء بها سيدنا إبراهيم عليه السلام حتى لقي ربه، ودفن في

الغار حيث دفن إبراهيم وزوجته سارة ورفقة امرأته. ابن كثير: قصص الأنبياء، ص١٦٨ ؛١٩١؛ محمد بكر إسماعيل: قصص القرآن، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٩٧م، ص٩٩.

[173] رفقة بنت بتوئيل وولدت له عيسو ويعقوب في بطن واحدة. محمد بكر إسماعيل: قصص القرآن، ص٩١.

[174] ناصر خسرو: سفرنامة، ص٨٥–٨٦.

[175] ناصر خسرو: سفرنامة، ص٨٥–٨٦ .ولينة (ليا) بنت لابان وكانت ضعيفة العينين وأنجبت له ستة، ثم تزوج من بلهة (بلهى) جارية راحيل، ثم تزوج من زلفة جارية ليا، ثم تزوج زوجه خالة من راحيل وهي أخت لينة وهي أحب الناس إليه فلجتمعا عنده معا، وأنجبت له الأخيرة يوسف وبنيامين، وكان الجمع بين الأختين جائزا في شريعتهم. ابن كثير: قصص الأنبياء، ص٢٢٤؛ محمد إسماعيل بكر: قصص القرآن، ص٩٢.

[176] ناصر خسرو: سفرنامة، ص٨٧.

[177] ناصر خسرو: سفرنامة، ص٨٦–٨٧.

[178] ناصر خسرو: سفرنامة، ٨٤–٨٥، ٨٦.

[179] كان عدم وصول القوافل وقلة قطعها وقرعب بين الحجاج لعدة أسباب.أولها: أن الحجاز قد مرت في أيام شكر بن أبي الفتوح الحسن بن جعفر الحسيني (٤٣٠-٤٥٣هـ/١٠٣٨-١٠٦١م) – الملقب بتاج المعالي– حاكم مكة بضائقة اقتصادية شديدة استمرت مدة عامين ابتداءً من عام ٤٣٩-٤٤٠هـ/١٠٤٧-١٠٤٨م)، ولم يتوان الخليفة الفاطمي المستنصر بالله عن مساعدتهم في هذه المحنة، لكنه منع المصريين من تأدية فريضة الحج عام ٤٣٩هـ/١٠٤٧م وهو العام الذي زار فيه ناصر خسرو مكة، خوفاً من السلب والنهب وأصدر مرسوما بذلك، ولهذا السبب اشتد القحط بمكة وارتفعت الأسعار فهاجر المجاورون منها وكثير من أهلها وفتحه بعضهم صوب مصر وقد أحصى ناصر خسرو عددهم خمسة وثلاثين ألفا، وكساهم الخليفة المستنصر بالله، وأجرى عليهم الرزق سنة كاملة، وأغدق عليهم الصلات، ثم أمر بترحيلهم إلى بلادهم معززين مكرمين.

ثانيا: كان لظهور الأعراب وسكان البادية حول المدينة المنورة ومكة شوكة بسبب تسلطهم على قوافل الحجاج والمسافرين، وعجز الدولة عن تأمين الطرق، وقد أثر ذلك على حركة القادمين إليها وقلل عدد زوارها وخاصة في موسم الحج، ومنهم الحجاج المصريين، كما كان حجاج العراق يعانون من هجمات الأعراب والقرامطة على قوافلهم، وقد حاول القادر بأمر الله العباسي عام٤٢٤هـ/١٠٣٢م أن يؤمن طريق الحج ولكنه عجز عن التصدي للأعراب لضعف جهاز الدولة وتشتيت أمرها بين القادة المتنازعين وضعف بني بويه المتسلطين على بغداد آنذاك، ومن ناحية أخرى كان الحل الخاطئ الذي بدأه الفاطميون تعميقاً للمشكلة وجعلها مستعصية، فقد عمد الفاطميون إلى دفع مبالغ مرضية للقبائل المساكنة على طريق الحج، كي لا يتعرضوا للمحمل المصري وقوافل الحجيج، وهذا يغري الأعراب بمعاودة الكرة، وظلوا على امتداد السنين مصدر خطر دائم على الحجاج وعلى القرى والمدن من جهة أخرى.

ثالثا: اضطراب الأحوال السياسية في مكة بعد محاربة الأمير شكر بن أبي الفتوح الحسني أمير مكة بني الحسين أصحاب المدينة عندما أرادوا الخروج عن طاعته فانتصر عليهم وملك المدينة وجمع بين الحرمين الشريفين تحت إمرته مدة ثلاث وعشرين سنة، وظل

على ولائه وصلاته الطيبة بالفاطميين طوال عهده وانصرافه عن تأديب البدو للعرب. ناصر خسرو: سفر نامة، ص١٢٥-١٢٧؛ الصباغ: تحصيل المرام فى أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها للفخام، الطبعة الأولى، مكة المكرمة ٢٠٠٤م، ج١: ص٧٣١-٧٣٢؛ عبدالباسط بدر: التاريخ الشامل للمدينة المنورة، الطبعة الأولى، المدينة المنورة ١٩٩٣م، ج٢: ص١٥١-١٥٧؛ صبحى عبدالمنعم: العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأيوبيين، القاهرة ١٩٩٣م، ص١٠٠-١٠١؛ ك: سنوك هورخرونيه: صفحات من تاريخ مكة المكرمة، ترجمه: عودة الشيخ، علق عليه: محمد محمود السرياني وآخرون، الرياض ١٩٩٩م، ج١، ص١٥٢-١٥٣.

[180] ناصر خسرو: سفرنامة، ص٨٧- ٨٨.

[181] ناصر خسرو: سفرنامة: ص٨٨ - ٨٩. كانت زيارة ناصر خسرو لكنيسة القيامة عام ٤٣٩هـ/ ١٠٤٧م والتى كان فصل قد انتهى بها بأموال تبرع بها الإمبراطور قسطنطين التاسع مونوماركوس، وكان مبنى الشهداء مجرد ساحة ملونة بالحجارة والأعمدة المتكسرة والأنقاض، وكانت الكنيسة التى تحيط بالصخرة قد شيدت على أنقاض الكاتدرائية الدائرية Rotunda وكانت قد نجت من فريق الدمار الذى أرسله الحاكم بأمر الله، وغير مبنى مونوماركوس الجديد معالم الضريح الرومانى السابق فقد أضاف البناءون طابقا علويا وجزءا ناقصا نصف دائرى متصلا (بالروتاندا) بواسطة قوس، وكان هناك دقما قدام أمام كنيسة القيامة، واتسع هذا الفناء فى الخطة الجديدة ليحوى بقايا الجلجثة فى الركن الجنوبى الغربى، ومصلى آدم خلفها، وبنيت كنائس صغيرة جديدة كرست للقديس يوحنا والثالوث والقديس يعقوب وألحقت بجناح بيت المعمودية، وفى جانب الجلجثة من الفناء أقيمت كنائس صغيرة لها صلة بالأحداث المختلفة لآلام المسيح. كارين أرمسترونج: القدس مدينة واحدة، ص١٣٨-١٣٩.

[182] تمكن قرحالة من النجول بحرية وشعر بأقلة بالغة إزاء صور الأنبياء الذين عرفهم مثل سيدنا إبراهيم وإسحق وعيسى ويعقوب لكنه لم يذكرهم فى رحلته. كارين أرمسترونج، القدس مدينة واحدة، عقائد ثلاث، ص١٣٩.

[183] زادت أهميتها لاعتقاد النصارى بوجود قبر المسيح فيها ويسمى القبر المقدس، ويعتقد أن فيه المسيح قد صلب هناك وقد تسلل هذا الاعتقاد منذ زمن الملكة هيلانة والدة الملك قسطنطين، بعد أن بحثت عن قبر المسيح فى القدس فوجدت الصليب وبنت كنيستين هناك عام ٣٣٦م. ميخائيل مكس: القدس عبر التاريخ، ص٤٢-٤٤؛ مروان أبو خلف: المعالم الحضارية فى مدينة القدس، ص٣٢١.

[184] ناصر خسرو: سفرنامة، ص٨٩.

[185] من الواضح أن ناصر خسرو غير معتاد على رؤية الفن التشكيلى فى أماكن العبادة الإسلامية، كارين أرمسترونج، القدس مدينة واحدة، عقائد ثلاث، ص١٣٩.

[186] ناصر خسرو: سفرنامة، ص٨٩.

المصادر والمراجع

أولا: المصادر العربية والمعربة:

القرآن الكريم:

ابن الأثير: أبوالحسن على بن أبى الكرم محمد بن عبدالكريم الجزري (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م): الكامل فى التاريخ، عشرة أجزاء، تحقيق أبى الفداء عبدالله القاضى، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧م.

الإدريسى: أبو عبد الله محمد بن إدريس الحسينى المعروف بالشريف الإدريسى(ت ٥٦٠هـ /١١٦٤م): نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (د ت)، المجلد الأول.

الإصطخرى: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى الإصطخرى المعروف بالكرخى (المتوفى فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى): المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العال الحينى، راجعه: محمد شفيق غربال. تقديم: عبد العال عبد المنعم الشامى، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر (١١٩)، القاهرة ٢٠٠٤م.

ابن أبى أصيبعة: موفق الدين أبى العباس أحمد بن القاسم الخزرجى (ت ٦٦٨هـ): عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٥م.

ابن تغري بردي: جمال الدين أبوالمحاسن يوسف بن تغري بردي: (٨٧٤هـ/١٤٦٩م) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. القاهرة ١٩٦٣م، ج٤، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٢٩-١٩٣٥م، ج٥.

الثعالبي: أبومنصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م): ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف القاهرة ١٩٨٥م.

جهشياري: أبو عبدالله محمد بن عبدوس (ت٣٣١هـ/٩٤٢م): الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، الطبعة الأولى، مصطفى البابى الحلبى، مصر ١٩٣٨م.

ابن الجوزي: أبوالفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م): فضائل القدس حققه وقدم له د/ جبرائيل سليمان جبور، الطبعة الثانية، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٨٠م، ج١.

ابن حزم: أبو محمد على بن أحمد بن سعيد (ت٣٨٤-٤٥٦هـ/٩٩٤-١٠٦٤م): جمهرة أنساب العرب، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

الحنبلي: أبواليمن (٩٠١هـ/١٤٩٦م): الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، جزءان، الطبعة الأولى، منشورات المكتبة الحيدرية، (النجف ١٩٦٦م)، ج١؛ طبعة المحتسب، عمان ١٩٧٣م، ج٢

ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة الإعلمي للمطبوعات، بيروت، (بدون تاريخ)، ج٦.

الدمشقي: أبوالفضل جعفر بن علي الدمشقي (من علماء القرن السادس الهجري): الإشارة إلى محاسن التجارة، مطبعة المؤيد، القاهرة ١٣١٨هـ.

الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ): سير أعلام النبلاء، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت ١٩٩٧م.

الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر(ت ٦٦٦هـ): مختار الصحاح، ترتيب محمود خاطر، القاهرة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

السمعاني: أبي سعيد عبدالكريم بن محمد (ت٥٦٢هـ/١١٦٦م): كتاب الأنساب، تقديم وتعليق عبدالله عمر البارودي، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، دار الجنان ١٩٨٨م.

السمهودي: نورالدين علي بن أحمد السمهودي (ت٩١١هـ): وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محي الدين عبدالحميد، القاهرة، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.

السيوطي: شمس الدين أبي عبدالله محمد بن شهاب الدين أحمد بن علي بن عبدالخالق المنهاجي: (٨١٣هـ/٨٨٠هـ): إتحاف الأخصا بفضائل الأقصى، تحقيق أحمد رمضان أحمد، الهيئة العامة للكتاب، ق١، القاهرة ١٩٨٢م، ق٢، ١٩٨٤م.

أبو شامه: شهاب الدين عبد الرحمن إسماعيل: (٦٦٥هـ/١٢٨٧م): الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، القاهرة ١٢٨٧م، ج٢.

ابن شاهين: غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري (ت٨٧٣هـ): كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، صححه بولس راويس، باريس ١٩٨٤م.

ابن شداد: عزالدين محمد بن علي بن إبراهيم (ت٦٨٤هـ/١٢٨٥م): الأعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة، تاريخ لبنان والأردن وفلسطين، ٢جزء، بيروت ١٩٥٣-١٩٦٣م.

ابن عبدالحق: صفي الدين عبدالمؤمن (ت٧٣٩هـ / ١٣٣٨م): مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، حققه يوتيول وغال طبعة ليدن، ١٨٥٠-١٨٦٢م، ج١.

ابن العديم: (ت٥٨٨-٦٦٠هـ): فوصلة إلى الحبيب في وصف الطيبات والطيب، حققه: سليمى محجوب، دربة الخطيب، حلب ١٩٨٦م.

ابن عساكر: أبوالقاسم علي بن الحسن بن هبةالله بن عبد الله الشافعي (ت٥٧١هـ): تاريخ مدينة دمشق، تحقيق عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت ١٩٩٥م.

ابن الفقية: أبو عبد الله أحمد بن إسحاق الهمذاني المعروف بابن الفقية (ت٣١٨هـ): كتاب البلدان، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب ١٩٩٥م.

ابن القلانسي: أبو يعلى حمزة بن سعدالدين علي بن محمد (ت٥٥٥هـ/ ١١٦٠م): ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٠٨م.

القلقشندي: أبوالعباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ / ١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب العربية، القاهرة، ١٩٢٠م، ج٤.

ـــــــ: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٤م.

ابن كثير: عمادالدين أبوالفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٣م): "البداية والنهاية"، تحقيق د/ عبدالله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، الطبعة الأولى للقاهرة ١٩٩٨م، ج١٥.

ـــــــ: قصص الأنبياء، السعودية، (بدون تاريخ).

المقدسي: شمس الدين أبوعبدالله محمد بن أحمد المعروف بالبشاري (ت٣٧٨هـ/٩٨٨م) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، نشر دي خويه، مطبعة بريل، الطبعة الثانية، ليدن ١٨٧٧م.

المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م): اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحيا التراث الإسلامي، ج٢، القاهرة ١٩٧١-١٩٧٣م.

المكي: محمد بن أحمد بن محمد المالكي المكي المعروف بالصباغ (١٣٢١هـ): تحصيل المرا في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام، الطبعة الأولى مكة المكرمة ٢٠٠٢م، ج١.

ابن منظور: أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/١٣١١م): "لسان العرب"، تحقيق عبدالله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهر ١٩٧٩م.

ناصر خسرو: أبومعين القبادياني المروزي العلوي (ت٤٨١هـ/١٠٨٨م): سفرنامة (كتاب السفر)، ترجمه عن الفارسية: يحيى الخشاب، تقديم: عبدالوهاب عزام، سلسلة الألف كتاب، القاهرة ١٩٩٣م.

الهروي: أبي الحسن علي بن أبوبكر الهروي (ت٦١١هـ/١٢١١م): الإشارات إلى معرفة الزيارات، حققه علي عمر، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٢م.

ياقوت الحموي: أبوعبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان، خمسة أجزاء، دار صادر، بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

يحيى بن سعيد الأنطاكي: (ت٤٥٨هـ/١٠٦٦م): تاريخ يحيى بن سعيد، نشر مع كتاب التاريخ المجموع لسعيد بن البطريق، تحقيق لويس شيخو، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٠٩م.

ثانيا: المراجع العربية والمعربة:

آدم ميتز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمه إلى العربية د. محمد عبدالهادي أبوريده، جزءان في مجلد واحد، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩٩م.

آ.أشتور: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ترجمة: عبد الهادي عبله، مراجعة: أحمد فخمان مبالو، دار قتيبة، دمشق ١٩٨٥.

إدوارد جرانفيل براون: تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي، ترجمه إلى العربية: إبراهيم أمين الشواربي، القاهرة ١٩٥٤م.

جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، مطبعة الهلال بالفجالة، مصر ١٩٢٦م، ج٢.

حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، القاهرة ١٩٨٢م.

حسن خضيري أحمد: علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب العربي، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩٦م.

خالد محمد غازي: سيرة مدينة القدس، دار الفتح للتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩٨م.

راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٨٤م.

رضا زادة شفيق: تاريخ الأدب الفارسي، ترجمه إلى العربية: محمد موسى هنداوي، دار الفكر العربي، القاهرة، (بدون تاريخ).

صبحي الصالح: النظم الإسلامية، نشأتها وتطورها، الطبعة السادسة، بيروت ١٩٨٢م.

صبحي عبد المنعم: العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأيوبيين، القاهرة ١٩٩٣م

عارف باشا العارف: تاريخ القدس، الطبعة الثانية، دار المعارف، بدون تاريخ.

عبدالباسط بدر: التاريخ الشامل للمدينة المنورة، الطبعة الأولى، المدينة المنورة، ١٩٩٣م، ج٢.

عبدالحميد زايد: القدس الخالدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٧٤م.

عبدالرحيم غالب: موسوعة العمارة الإسلامية(عربي- فرنسي- إنجليزي) الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٨م.

عبدالفتاح حسن أبوعلية: القدس دراسة تاريخية حول المسجد الأقصى والقدس الشريف، دار المريخ للنشر، السعودية ٢٠٠٠م.

عبدالهادي التازي: القدس والخليل في الرحلات المغربية، رحلة ابن عثمان نموذجاً، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة. إيسيسكو، الرباط ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

علي السيد علي: القدس في العصر المملوكي، الطبعة الأولى، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٨٦م.

علي جمعة محمد: المكاييل والموازين، الطبعة الثانية، القاهرة ٢٠٠١م.

عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٥م.

فالتر هنتز: المكاييل والموازين الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، عمان ١٩٧٠م.

كارين أرمسترونج: القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث، ترجمة: فاطمة نصر، محمد عناني، القاهرة ١٩٩٨م.

ك. منتوك هورخرونيه: صفحات من تاريخ مكة المكرمة، ترجمه إلى العربية: علي عودة الشيوخ وعلق عليه: محمد محمود السرياني، معراج نوابه مراز. الرياض ١٩٩٩م، جزءان.

كرد علي محمد: خطط الشام، دمشق ١٩٢٥م، ج١.

محمد بكر إسماعيل: قصص القرآن، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٩٧م

محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦٧م.

محمد ضياء الدين الريس: الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، الطبعة الخامسة، القاهرة ١٩٨٥م.

مصطفى الحياري: القدس في زمن الفاطميين والفرنجة، عمان، الأردن ١٩٩٤م.

المعجم الوجيز: القاهرة ١٩٩١-١٩٩٢م

ميخائيل مكس إسكندر:القدس عبر التاريخ، دراسة جغرافية تاريخية لمدينة المقدسة، محلاة بالرسوم والصور والخرائط، مراجعة وتقديم الأب غريغوريوس، القاهرة ١٩٧٢م.

نعيم زكي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، القاهرة ١٩٧٣م.

نقولا زيادة: نفحات من تاريخ العرب، بيروت ١٩٦١م.

يوسف درويش غوانمة: تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي، الأردن ١٩٨٢م.

ثانيا: الدوريات والرسائل الجامعية

إبراهيم علي السيد القلا:بنو الجراح في فلسطين من خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين/العاشر والحادي عشر الميلاديين، مجلة المؤرخ العربي، العدد الخامس عشر، مارس ٢٠٠٧م.

حصة عبدالرحمن الخير: النقود والموازين والمكاييل وقياس الأطوال والمسافة في بلاد الشرق الإسلامي، إقليم الجبال وخراسان وسجستان نموذجاً، مجلة المؤرخ العربي، العدد ١٥، مارس ٢٠٠٧م.

شاكر مصطفى: فلسطين في العصور العربية الإسلامية، الندوة العالمية الأولى للآثار الفلسطينية، المجلد الرابع، بعنوان دراسات في تاريخ وآثار فلسطين، الطبعة الأولى، دمشق ٢٠٠١م.

صبيح عبد اللطيف عبد الله العورتاني النابلسي: القضاء والمراكز العلمية في بيت المقدس خلال القرون الستة الأولى من الهجرة، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي لدراسات العليا، بغداد ٢٠٠١م.

صفوان خلف فائق: العمارة والفنون في القدس الإسلامية قبل غزو الفرنجة، ندوة " القدس بين الماضي والحاضر"، جامعة اليرموك: الأردن ٢٠٠١م.

ـــــ: الفنون الإسلامية المبكرة في فلسطين،الندوة العالمية الأولى للآثار الفلسطينية، بعنوان دراسات في تاريخ وآثار فلسطين، الطبعة الأولى، دمشق ٢٠٠١م، المجلد الرابع.

عبدالقادر البوخاري: أوقاف المغاربة في القدس، بحوث الندوة العالمية حول القدس وتراثها الثقافي (في إطار الحوار الإسلامي- المسيحي)، الرباط ١٩٩٣م.

عبدالله محمد أبوعزة: الحضارة العربية في المشرق في عهد السلاجقة (٤٤٧-٥٦٧هـ/١٠٥٥-١١٧١م)، بيروت ١٩٦٩م.

مروان أبو خلف: المعالم الحضارية في مدينة القدس، الندوة العالمية حول القدس وتراثها الثقافي، (في إطار الحوار الإسلامي- المسيحي)، الرباط ١٩٩٣م.
نعمان محمد جبران:المؤسسات التعليمية في القدس والحركة الثقافية، ندوة " القدس بين الماضي والحاضر، بحوث ندوة جامعة البترا، الأردن ٢٠٠١م.
نواف حامد: المعالم التاريخية والحضارية في مدينة القدس، الندوة العالمية حول القدس وتراثها الثقافي (في إطار الحوار الإسلامي- المسيحي)، الرباط، ١٩٩٣م.
يوسف إبراهيم الزاملي:الأوضاع السياسية في بيت المقدس وانعكاساتها على الحياة العلمية والثقافية بدمشق في فترة الحروب الصليبية، ندوة اتحاد المؤرخين العرب بعنوان "المراكز الثقافية والعلمية في العالم العربي عبر العصور، حصاد (٩)، القاهرة ٢٠٠١م.

رابعاً: المراجع الأجنبية:

- Amiry (M.A): Jerusalem, Arab origin and Heritage, London. 1948.
- Couder:The City of Jerusalem, London, 1909
- Jacob Mann, M.A., D.Lrr. (Lond.): The Jews in Egypt and in Palestine under The Fatimid Caliphs, Oxford University Press, 1920, V. I.

المزارات المسيحية في القدس من خلال كتابات الرحالة الأوربيين

د. نجلاء مصطفي شيحة (*)

مقدمـــــة:

منذ انتشار المسيحية في العالم على يد تلاميذ السيد المسيح الاثنى عشر، والسبعين رسولا، وازدياد المؤمنين بها في كافة أرجاء المعمورة؛ فإن أحد الطقوس الدينية التي كانت تهفو إليها نفوسهم هو: زيارة الأماكن التي شهدت حياة السيد المسيح عليه السلام ووقعة صلبه ووفاته – بحسب المعتقد المسيحي – بالقدس الشريف[١]، باعتبار أن تلك الأماكن قد تقدست وتشرفت به، واستعادة العظات والعبرات لجميع المراحل التي مر بها عليه السلام في دعوته للدين، والآلام التي تعرض لها. كل هذا لم يكن له أي جزاء أو ثواب تنص عليه الكنيسة المسيحية صراحة في فجر تاريخها. إنما كان الفرد يقوم به من تلقاء نفسه، في بادئ الأمر، اعتقادا منه أنه بذلك إنما يكفر عن آثامه ويقرب نفسه إلى الله. وبتوالي السنين أصبحت الزيارة جزءا مهما من شعائر الدين المسيحي[٢].

وكان للحج في العصور الوسطى نظمه وأصوله وتقاليده الخاصة به، وهذه النظم والأصول والتقاليد لم تظهر فجأة، إنما استغرقت وقتا طويلا حتى استقرت على الوضع الذي بدت عليه في القرنين أو الثلاثة قرون الأخيرة، فبالنسبة لقيام الحركة الصليبية عام ١٠٩٥ م (٤٩٠هـ)، حتى اتخذت تلك المزارات، و الرغبة في أداء تلك الطقوس، ذريعة لشن الحروب الصليبية بعد سيادة الدولة الإسلامية عليها. ومع اندفاع الحجاج والرحالة الأوربيين صوبها؛ حازت المنصب الأوفر من تسجيل وقائع تلك الزيارات ورحلات الحج، فسجلوا كل ما يتعلق بالمدينة ذاتها أو الأماكن الدينية المقدسة ، بالإضافة إلى ما كان يطرأ على تلك المزارات من تعديل بالبناء أو الهدم، ومن ثم نقلت كتاباتهم وصف المدينة والمزارات.

(*) مدرس بكلية الآداب جامعة بني سويف.

القـــدس:

وصفها الرحالة الرومي "دانيال" بأنها مدينة كبيرة محاطة بأسوار متينة، بنيت على شكل مربع إذ تتساوى أطرافها، ويحيط بها الوديان الوعرة و الجبال، ولا يجرى بها أنهار، و لم تتفجر بها ينابيع سوى بركة سلوان [٣]، و أحوازها وفيرة الأشجار[٤]. في حين يذكرها "ثيودريك" بأنها مدينة مستطيلة ولها خمس زوايا، القسم الأطول من الشمال إلى الجنوب[٥]، و الأعرض من الجنوب إلى الشرق، وهى محصنة بالأسوار ويحيط بها خندق أمام الأسوار التى زودت بفتحات للرماية ، و للمدينة عدة أبواب منها الذى يفتح يوميا ويغلق من المساء و حتى الصباح ومنها ما هو مغلق بجدار ولا يفتح إلا يومى أحد السعف و تمجيد الصليب ، وشوارع المدينة مبلطة بالحجارة و ذات سقوف مقنطرة بها فتحات لنوافذ الإضاءة [٥].

الباب الأول : باب داود [٦] الموجود من الجهة الغربية لجبل صهيون، مقابل برج داود، والثانى الباب القديم : أو باب القضاء، حيث كانت أحكام القضاء تنفذ خارجه والثالث : باب افرايم فالطريق إلى جبل افرايم من خلاله، و الرابع : فى الشرق ويسمى باب الزاوية أو بنيامين، لأنه يمر إلى ديار سبط بنيامين و الباب الخامس : ناحية الجنوب واسمه باب الروث. و يؤدى إلى الصحراء، والباب السادس : إلى الجنوب من الخامس، وكان يسمى باب الضأن، لأن أغنام قربان الهيكل كانت تساق من خلاله إلى المدينة، كما عرف أيضا باسم باب الوادى، حيث يمر من خلاله الطريق إلى وادى شعفاط ، و الباب السابع : جنوب الباب السابق، ويعرف بالباب الذهبى، وهو يعد بابا للهيكل، أما الباب الثامن : فيقع جنوب الباب السابق، ويسمى باب نبع سلوان أو باب الماء [٧]. ويقيم في المدينة طوائف من المسيحيين الفرنجة ويدعون باللاتين، لأنهم يستخدمون اللغة اللاتينية، وجميعهم من الكاثوليك، وهؤلاء ينقسمون إلى عدة أمم : من الألمان و الأسبان والغالليين واللطليان وسائر أمم أوربا،ثم الإغريق وهم الروم الأرثوذكس،ثم السريان ويستخدمون الأبجدية العربية، والأرمن ولهم لغة خاصة بهم، وكذلك الكرج ويدعون الجورجيين ولهم لغة خاصة بهم، ثم هناك النساقبة ويستخدمون الأبجدية الكلدانية، و كذلك النسطورة الذين يستخدمون ذات الأبجدية [٨].

وبان النجاح، بعد عودة السيادة الإسلامية على القدس، ويتبوأ فى الشمال القدس يوحنا [٩] وهو القصر الذى كان يسكنه بلدان الاحتلال فرسان القديس يوحنا، وهو كبير الحجم. وكانت الإقامة مقابل بنسين بندقيين للحاج، أما كانت مدة إقامته طالت أم قصرت [١٠] ، كما كان البعض الآخر يقيم فى دير الفرنسيسكان على جبل صهيون، ويتولى خدمة الحجاج بالمشفى مسلمون ويهود ومسيحيون شرقيون[١١].

وكانت بالمدينة طائفتان دينيتان فى القدس إبان الاحتلال الصليبى وهما : الداوية والاسبتارية، ويحصلان على موارد مالية من كل جزء من أوربا [١٢].

وبداخل القدس، من ناحية باب القلاورات، كنيسة للمسيحيين الأثيوبيين قائمة فوق بيت مريم أم يوحنا ، كما وجدت كنيسة مكان بيت القديسين جيمس و جون(يعقوب ويوحنا) أبناء زبدى[١٣] . وكذلك كان هناك بيت يسكنه مسيحيون شرقيون، كانوا يقولون إن المسيح ظهر عند صهريجه للقديس توما [١٤]، حيث أخبره أن عليه الذهاب إلى الهند [١٥].

كنيسة القيامة[١٦] :

المزار الأهم بين المقدسات المسيحية فى القدس والعالم أجمع، إذ تحوى قبر السيد المسيح – حسب المعتقد المسيحي – وتضم داخلها مجموعة من الكنائس الصغيرة و البقاع المقدسة، تمثل كل بقعة حدثا فى الفترة ما بين تنفيذ حكم الصلب على السيد المسيح وحتى قيامته، فهى تضم : كنيسة الضريح المقدس، وكنيسة الجمجمة، أو الجلجثة فوق النقطة التى قيل عنها إنها مركز العالم، والكنيستان معا سميتا بكنيسة البعث أو القيامة [١٧]، وهى المكان الأقدس لدى المسيحيين حيث يحجون إليها من شتى بقاع الأرض، وتعد من عجائب الدنيا [١٨].

وتقع هذه الكنيسة عند سفح جبل عكرة (أكرا)[١٩]، وهو فى الحقيقة ليس جبلا بالمعنى الذى يتبادر إلى الذهن، و إنما هو صخرة أو جرف مرتفع بعض الشئ عن الأرض[٢٠]. وكانت الصلاة تقام فى كافة أرجاء الكنيسة، والمزارات الواقعة داخلها، بالإنشاد والغناء والاستغفار[٢١]. ويقبل الولوج إلى داخل الكنيسة؛ هناك ساحة صغيرة خارج أبوابها، مبلطة مكسوة بالرخام، يتوسطها صخرة جرى تقديسها، باعتبار أن السيد المسيح قد استراح عليها فى طريقه إلى المحكمة [٢٢] – كما أورد ثابرى أن إحدى السيدات أخبرته بأنه قد جرى إنزال المسيح من على الصليب، ووضع على هذه الصخرة ليجرى تكفينه وتحنيطه [٢٣] – وخارج هذه الساحة كانت تقع بيعة الثالوث المقدس وهى فسيحة، وتتم بها مراسم زواج نساء المدينة، وبها يعمد الأطفال، وكانت ملاصقة للضريح، حتى إنه كان بها باب يعد مدخلا للكنيسة [٢٤].

وكانت الكنيسة، إبان الحكم الصليبى للمدينة، تتألف من اثنى عشر عمودا ضخما[٢٥]، وقال ثيودريك : من سلسلة من عشرة أعمدة تم وصلها بعضها مع بعض بواسطة أقواس لتشكل ساحة دائرية معلقة ، وسقفها مكون من ألواح من النحاس والذهب، بها فتحة دائرية يقف حولها أعمدة تحمل أقبية صغيرة، و فوقها سقف على شكل كأس، و فوق الكأس صليب مذهب، ومن فوق الصليب حمامة مذهبة، و مزودة بمصباحين بين كل الأعمدة حول الدائرة [٢٦]. ثم قيل إن السقف أصبح بعد ذلك مطليا بالفضة. وذكر "يوحنا فورزبرج" أن عدد الأعمدة وترتيبها قد عدل بسبب بناء الكنيسة

الجديدة [٢٧] ، وازدانت الكنيسة بالرخام والفسيفساء والرسوم[٢٨]، إلا أنه مع تهدم جزء منها لم يسمح المماليك – بعد عودة السيادة على المدينة للمسلمين – بإعادتها إلى ما كانت عليه، على الرغم من حصول الطوائف المسيحية على تصريح من السلطان بذلك. ومن ثم أصبحت القبة منخفضة، وبها فتحة كبيرة من الوسط ينفذ من خلالها ضوء الشمس لينير المعبد بكامله [٢٩]. والهيكل الرئيسي للكنيسة قيل إنه معاصر البناء [٣٠] – كما ورد أنه لم يكن دائرة كاملة، و إنما كان به جداران منخفضان في جزء من محيطه، يلتقيان جدارا ثالثا، وبالجدارين ثلاثة أبواب عرضها ثلاثة أقدام وارتفاعها سبعة أقدام [٣١]. وترتفع قبتها على ثلاثة أعمدة فطرها بين الأعمدة وسبعون قدما، والثنان وثلاثين قدما من النتوءات الخارجية [٣٢] . وذكر البعض أنه ثلاثة وسبعين قدما، بالإضافة إلى ثلاثين قدما أخرى من النتوءات الخارجية حول السور[٣٣].

وبعد القبة الرئيسية فوق الضريح؛ وجدت قبتان أخريان أعلى منها، تمثلان جسد الكنيسة وبداية المعبد مع المذبح الرئيسي ، وهو محاط بسور باستثناء الجزء المواجه للضريح، حيث ينخفض فيه الحائط [٣٤]. وقيل في اتساعها أنها تتسع لثمانية آلاف رجل [٣٥].

والكنيسة على عهد الأيوبيين و المماليك كان لها بابان وسط المبنى باتجاه الغرب[٣٦]، أحدهما مغلق بحائط و آخر مفتوح ، والباب المفتوح به شروخ يمكن أن يدخل من خلالها أي شئ – ويقع على يمين الباب من الخارج برج جرس جميل البناء [٣٧].

وكانت مفاتيح الكنيسة من الخارج بأيدي المسلمين[٣٨]، فكانوا يسمحون بالدخول إليها نهارا والخروج ليلا، ثم تبدلت المواعيد ليصير الدخول ليلا ثم الخروج في الصباح[٣٩]. حيث يتم إحصاء الحجاج الداخلين إلى الكنيسة [٤٠]. وفي بعض الأحيان كانت تسجل أسماؤهم[٤١] لتحصل منهم رسوم الزيارة، وقدرها خمس دوكيات[٤٢]عن الفرد الواحد. وبعد انتهاء الحج الجماعي؛ توصل بعض الحجاج إلى اتفاق مع حراس الكنيسة على أن يكون الدخول مقابل خمس دوكيات لجميع الباقين، حيث إن عددهم صغير. كما تفتح الكنيسة مرتين في العام مجانا، من الجمعة الحزينة حتى الثنين الفسح ومن ليلة اكتشاف الصليب حتى العشاء الاخير وتكون الكنيسة مزدحمة بالرجال والنساء من جميع أنحاء العالم [٤٣]. فإذا انتهت تلك الإجراءات دخل الحجاج ساحة الكنيسة ليغلق الحراس الأبواب عليهم من الخارج[٤٤].

أما مفاتيح بيعة الضريح – الكنيسة المقامة فوق الضريح – فتناوبت عليها الطوائف المسيحية، إذ بينما أورد هنا بولنير، الذي زار القدس عام ١٤٢١م، أنها بأيدي الجورجيين[٤٥]، كتب فابري الذي زار المدينة عام ١٤٨٠ - ١٤٨٣م، أنها

كانت بأيدي الرهبان اللاتين الفرنسيسكان، ولهم غرف لمعيشتهم خلف كنيسة الضريح [٤٦]

وعند الحديث عن القبر المقدس؛ ينبغي التفرقة بين الأبدة والضريح اللذان وردتا في كتابات الرحالة ،فالأبدة هي الكهف أو الصخرة المجوفة كلها، أما الضريح فهو التابوت الحجري الذي وضع داخله الجثمان وهو منحوت داخل الصخرة[٤٧]. والكهف يرتفع عن الأرض أربعة أشبار و نصف وثلاثة أصابع، و سمك الجدار ثلاثة أشبار، أما ارتفاع الكهف كله فوق الأرض، مع القنطرة أعلاه، فيبلغ باعين كبيرين و نصف الباع، وهو في الحقيقة عبارة عن كهفين من داخل بعضهما حتى أنهما ليبدوان كأنهما كهف واحد، حيث يمر الداخل بالكهف الأول ثم يدلف منه إلى الكهف الثاني، حيث يقع القبر المقدس إلى اليمين [٤٨] داخل صخرة، ويبلغ عرض صخرة القبر أربعة أشبار وثلاثة أصابع، و يرتفع عن الأرض ثلاثة أشبار وأربعة أصابع، حتى قيل إنه يمكن إقامة الصلاة فوقه[٤٩]. والضريح كله في وسط الكنيسة، و كأنه معبد صغير مغطى بالصخور، به فتحة صغيرة ليس لها باب، بحيث يدخل الزائر منحنيا جدا[٥٠].

وكان النظام على عهد الحكم الصليبي للمدينة، يقوم على وجود حارس لكل باب من أبواب دخول القبر المقدس ، بحيث لا يسمح إلا بدخول عدد معين من الحجاج، لا يقل عن ستة أشخاص و لا يزيد عن ثمانية نظرا لضيق الموضع الذي لا يمكنه استيعاب أكثر من ذلك داخله[٥١]. وفي بعض الأحيان لم يكن يسمح بدخول الضريح سوى للنبلاء فقط ، أما باقي الحجاج فكانوا يكتفون بتقبيل الصخرة التي تغلق باب الضريح [٥٢]. ونظرا لأن الضريح مغلق من جميع النواحي فإن الضوء لم يكن يصل إليه، فكان يضاء بمصابيح مشتعلة دائما، يبلغ عددها تسعة مصابيح[٥٣] وقيل خمسة مصابيح زيتية تحترق ليل نهار[٥٤]، وقيل أنها بلغت ثمانية وثلاثين مصباحا[٥٥] ، في حين كانت هناك أوقات أخرى تقتصر فيها الإضاءة على ما يحمله الحجاج من الشموع[٥٦]. ويبدو أن السبب في ذلك هو تلك الترسبات التي كانت تسببها تلك المصابيح وهو ما حول الرخام المغطى به الضريح من اللون الأبيض إلى اللون الأسود في بعض الأوقات[٥٧]. وأمام مدخل الضريح توجد صخرة يقال إن ملاكا جلس عليها ليخبر ثلاث نساء اسمهن مريم؛ أن السيد المسيح قد صعد إلى السماء [٥٨].

وأمام الضريح، داخل الساحة الكبرى لكنيسة القيامة، وجدت أربع كنائس تقع أولها إلى ناحية اليسار وتسمى: كنيسة مريم العذراء و يوحنا المبشر و تخص الهنود، والثانية لجميع الملائكة، وسميت بهذا الاسم اعتقادا بأن الملائكة تحرس القبر المقدس[٥٩] – وتخص اليعاقبة، أما الثالثة فهي كنيسة القديس يوحنا المعمدان، وتخص الجورجيين وتقع بجوار برج الناقوس، وكان بها دير للراهبات تهدم ،

والرابعة هى كنيسة مريم المجدلية وتخص اليونانيين[٦٠] – كما يقع خارج الساحة قصر ملك القدس، الذى يسكنه الحجاج الإغريق [٦١].

وداخل الساحة جزء من الصليب المقدس الذى عثرت عليه هيلانة [٦٢]، وضع فى نافذة داخل الحائط بحيث يمكن رؤيته دون لمسه، على الجانب الآخر جزء من العامود الذى جلد عليه السيد المسيح ومازال عليه علامات وإشارات ولا يمكن لمسه أيضا[٦٣]. وخارج نطاق كنيسة الضريح كان يقوم سكن للرهبان اللاتين الذين يعتنون بالضريح ويقال إن الفضل فى بنائه يعود للقديسة هيلانه[٦٤].

ومن باب الكنيسة يمكن الولوج إلى الكهف المقدس، حيث عثرت القديسة هيلانه على الصليب المقدس الحقيقى[٦٥]. وقد أقيمت فوقه كنيسة[٦٦] كانت مخصصه للإغريق، وجدت بها صورة للسيدة مريم وهى تتحدث إلى مريم المصرية [٦٧]. ثم الصعود على جبل عكرة (أكرا) فى موقع الجمجمة بمقدار ثمان عشرة درجة[٦٨]، ليجد الزائر المكان الذى تمّ الحفر فيه ليوضع الصليب معلقا به السيد المسيح، وقد أقيم هيكل على هذا الموضع. وأخير الرحالة أنه يمكن مشاهدة الحفرة التى نصب داخلها الصليب، وآثار تساقط قدماء لدى وفاة السيد المسيح– حسب المعتقد المسيحى – وأقيمت على هذا الجبل كنيسة غطيت بالرخام، عدا موضع حفرة الصلب و الصخرة المشقوقة عن دماء المسيح [٦٩]، وسمى هذا الجبل بالجمجمة لاكتشاف جمجمة آدم من دون شعر. وقد بنيت هذه الكنيسة بناءا مقنطرا، شيد على عامود من الرخام فى الوسط، وبها رسوم لداود عليه السلام ورسم لتضحية إبراهيم بإسحق من الفسيفساء رائعة الجمال [٧٠].

وعند النزول من جبل عكرة (أكرا) توجد كنيسة أخرى، قيل عنها أنها مركز العالم – كما قال عنها المسيح لحواريه – أو نصف الدنيا و تسمى كذلك كنيسة الجُلْجُثة[٧١]، وكانت بها صورة تمثل تحنيط السيد المسيح، و تظهر بالصورة السيدة مريم العذراء و المريمات الثلاث، والصورة مصنوعة من الفسيفساء[٧٢]، ويقع بالكنيسة شرفة المرتلين الذين يتلون الصلوات، وبين تلك الكنيسة و الضريح مذبح يقوم الإغريق بالإنشاد عنده[٧٣].

وأسفل الجبل (جبل الجمجمة) تقع كنيسة بنيت على الطراز البيزنطى، قيل إن بداخلها رأس آدم عليه السلام، يمكن رؤيتها من الصخرة المشقوقة. ومدفون بتلك الكنيسة الملك جودفيرى وأخوه بلدوين[٧٤] .

ومن داخل هذه الكنيسة يمكن المرور إلى كنيستين أخريين أصغر، إحداهما جرى فيها تسعير المسيح إلى الصليب، وفى الأخرى جرى تحنيط السيد المسيح [٧٥]، وبعد الخروج من كنيسة الجلجلة تصير العودة مرة أخرى إلى كنيسة الضريح المقدس، حيث يمكن رؤية الموضع الذى وقفت عنده المريمات الثلاث تنظرن إلى

حجر القبر المقدس وقد تدحرج عنه[٧٦]، كما يوجد بها المكان الذى قسمت فيه ملابس السيد المسيح[٧٧].

أما عن الطوائف المسيحية داخل كنيسة القيامة : فكانت تتألف من اللاتين، وكانت لهم السيادة على الضريح المقدس، و موضع ظهور المسيح لأمه، وكنيسة جبل الجمجمة ، والمارونيين و اليونانيين، ويخصهم الجوقة الكبيرة بالمعبد وسجن المسيح، والأثيوبيين أو الأحباش والأقباط حيث خصص لهم مكان على جبل الجمجمة، فى المكان الذى وقفت فيه السيدة العذراء تنظر إلى المسيح وهو معلق على الصليب، أما اليعاقبة فكان لهم قصر خلف الضريح، ثم الجورجيين ولهم كهف الصليب وجبل الصلب والأرمن حيث يقع مذبحهم بجوار الأحباش[٧٨].

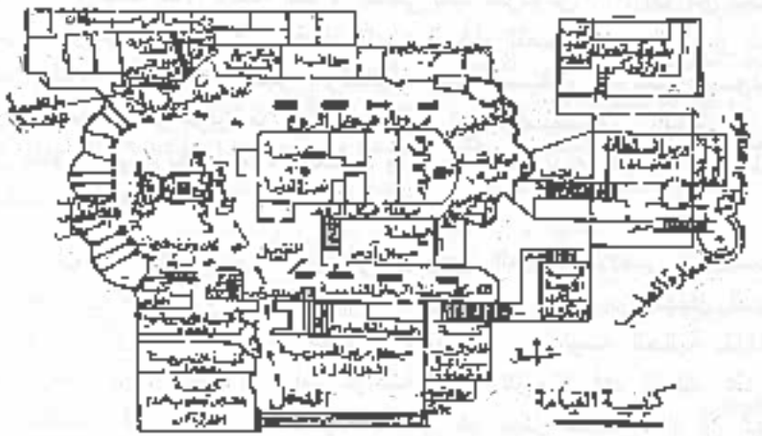

مخطط لكنيسة القيامة

المصدر : القدس عبر التاريخ ، ميخائيل مكسى

المسجد الأقصى[٧٩] "هيكل الرب" :

كان أحد المزارات المسيحية خلال فترة استيلاء الصليبيين على القدس، إذ قاموا بتحويل المسجد الأقصى إلى كنيسة، كما أقاموا على أطرافه بيوتا لفرقتى الداوية والاسبتارية. ويقع على رابية كانت تسمى قديما باسم موريا [٨٠]، و هو فى الزاوية القصوى للمدينة باتجاه وادى سلوان ، كان يجرى فيه تقديم أول الأولاد الذكور ولادة، وفيه جرى تقديم المسيح لختانه[٨١].

يطلق عليه المسيحيون غير المتعلمين هيكل سليمان، ويسميه المسيحيون المتعلمون بيت ايل Bethel[٨٤] ، ومعنى أيضا بيت الدعاء[٨٣] ، كنيسة قدس الأقداس[٨٤] ، ويقع على الجانب الشرقي من الضريح المقدس على بعد رميتي سهم ، صحنه طويل وعريض وله أبواب كثيرة[٨٥] ، وقبل دخول الهيكل هناك ساحة واسعة طولها رمية سهم وعرضها رمية حجر، ويقع عند الباب من ناحية اليمين هيكل سليمان وفيه يعيش رهبان الداوية، وعلى يسار هذه الساحة سكنى راعي الدير و الكهنة النظاميين، ثم تصعد درجات إلى الهيكل[٨٦] ، وقدرت هذه الدرجات باثنين وعشرين درجة[٨٧]. والكنيسة لها أربعة مداخل متصالبة[٨٨]، واثنان وعشرون بابا[٨٩] وقيل اثنا عشر بابا[٩٠] : الباب الرئيسي يسمى الباب الجميل لإتقان صنعته وألوانه ، وعند هذا الباب شفى بطرس الشخص المقعد، عندما كان ذاهبا للصلاة الساعة التاسعة[٩١] . والباب الذي ناحية الشرق يسمى باب الفرنوس[٩٢]. أما عن شكل البناء فهو دائري ، والجدران والأرض مغطاة بألواح الرخام الثمين وتحت الإطار الدائري اثنا عشر عمودا ضخما من الحجر ، وثمانية أعمدة أصغر، وأربعة أبواب من النحاس المذهب ، وهو مزين من الداخل بشكل رائع بالفسيفساء[٩٣]،أما شرفة جوقة المرتلين فتقوم على أربعة أعمدة أساسية، وثمانية أعمدة تدعم الجدار الداخلي مع سقف مقنطر مرتفع[٩٤].

على أن من الحجاج من تشكك في أن يكون المسجد الأقصى هو نفسه هيكل سليمان، حيث إن بناء هذه الكنيسة دمر بالكامل ولم يبق شئ من الهيكل الذي أقامه سليمان، والأثر الوحيد الباقي هو الصخرة والمغارة. والكنيسة الحالية بناها خليفة المسلمين (عمر بن الخطاب)[٩٥]،أما الرحالة "بيرو كازولا" فقد تشكك عند وصفه للأرض المقدسة، في أن يكون المسجد الأقصى هو هيكل سليمان، إذ إن الهيكل قد دمر بالكامل عدة مرات، وبعد أن قام تيتوس بتدميره نهائيا وتسويته بالأرض لم يُعد بناؤه مرة أخرى[٩٦].

أما قبة الصخرة فإن شكل البناء ثماني من الأسفل على ثمانية أعمدة ، ومن الأعلى دائرة ضيقة ترتفع فوق أقواس، والسقف من الرصاص وفي قمته كرة كبيرة يعلوها صليب مذهب ، والقبة مغطاة من الخارج بنحاس مذهب، وتحت القبة مغارة من الصخر. وذهب يعقوب إلى هناك بناء على أوامر الرب، وعندما نام رأى السلم الذي يصعد منه الملائكة إلى السماء[٩٧] .

وينزلون بجانب كنيسة الهيكل توجد بيعة للقديس جيمس (الصغرى) وهي المكان الذي استشهد فيه حين رماه اليهود من أعلى للهيكل[٩٨]، حيث دفن أولا بوادي شعفاط ثم نقل إلى تلك البيعة، وهي ممستديرة واسعة من الأسفل، ضيقة من الأعلى، ومزينة باللوحات المرسومة[٩٩].

وإلى اليسار نزولا من الساحة، هناك كنيسة المهد، حيث يوجد المهد الذي عاش فيه السيد المسيح خلال طفولته [١٠٠]، وتسمى كذلك كنيسة الحمام ، ينزل إليها الإنسان بخمسين درجة، ويظهر في جانبها الجنوبي الجزء الحجري الذي استحم فيه السيد المسيح وهو طفل، والسرير الذي أرضعته عليه السيدة مريم العذراء. والكنيسة قائمة مكان بيت سمعان العادل [١٠١].

وخلف أحد أبواب كنيسة الهيكل؛ يوجد السرداب الذي عاش فيه المسيح عن المرأة الخاطئة ، أقيمت فيه كنيسة مؤلفة من طابقين، بالأعلى أربع عشرة نافذة، وبالأسفل ست وثلاثون نافذة، وهي مكرسة للقديسة مريم (يبدو أنها مريم المجدلية) يقال إنها بنيت من قبل القديسة هيلانة وابنها قسطنطين، وأورد ثيودريك أن الهيكل الحالي بنته هيلانه. وتم أثناء رحلة ثيودريك بناء كنيسة جديدة للداوية، بجانب الساحة الكبيرة للهيكل [١٠٢].

وبعد استرداد المسلمين للقدس (عام ١١٨٧م/٥٨٣هـ) أعادوا المسجد مرة أخرى[١٠٣] وأصبح محظورا على غير المسلمين الاقتراب منه ، ومن يقترب أو يحاول الدخول يتعرض للعقاب واكتفى الرحالة بوصفه من الخارج – فأصبح الصليب أعلى – والساحة مبلطة برخام أبيض مصقول. للدرجة التي لو وقف إنسان على جبل الزيتون ونظر إلى تلك الساحة لظنها بركة من الماء النقي، وله سقف رصاصي، و محراب متجه إلى الجنوب وفق طريقة المسلمين، و عشرون نافذة على كل جانب. وعند الناحية الجنوبية حديقة زرعت بالزيتون، لتلبية احتياجات مصابيح الهيكل من الزيت[١٠٤].

جبل صهيون[١٠٥]:

جبل مرتفع [١٠٦] ورحب، يقع عند باب الماء أو باب نبع سلوان، حيث يحيط به مجرى السيل من كل جانب [١٠٧] وكان يسمى قديما صخرة داود أو مدينة داوود [١٠٨]. و قد أورد الرحالة بولينير تعريفا لمعنى جبل صهيون بأنه برج المراقبة، و يمتد من برج داود و حتى كنيسة القديسة مريم، وهو أقل ارتفاعا من جبل الزيتون، إلا أنه أعلى من جبل موريا [١٠٩].

واحتوت كتابات الرحالة و الحجاج على ذكر لعدة كنائس كانت تقع على هذا الجبل، فقد كانت تقع به كنيسة عظيمة تألفت من ثلاث طوابق، تراوحت ما بين قبو تحت الأرض و كنيسة فوق الأرض، و القاعة العلوية المزينة وبها المذبح العالي.

وقد نسب بعض الرحالة بناءها إلى سليمان [١١٠]، وسميت بكنيسة جبل صهيون[١١١]أو الرهبان[١١٢] أو نوتردام [١١٣]. وقد أشار الرحالة إلى أن هذه الكنيسة تحوي عدة مواضع، إذ كانت عبارة عن الغرفة العلية التي تناول فيها السيد المسيح

للعشاء الأخير مع تلاميذه [١١٤]، و ذكرها بولفير باسم قاعة العشاء الأخير [١١٥]، حيث أعطى المسيح دمه وجسده لتلاميذه بعد العشاء- حسب المعتقد المسيحي – و عليه فقد سمي هذا المكان أيضا باسم المذبح العالي [١١٦] ؛ ويضم إلى جانبه المكان الذي غسل فيه المسيح أقدام حواريه بالماء الساخن [١١٧] ،إذ كانت هناك بركة تضح منها السيد المسيح الماء، ويشرب منها الحجاج المسيحيون للتقوى و الإيمان [١١٨]. وكانت الكنيسة مربعة من الأسفل ومستديرة من الأعلى [١١٩]، وذات سقف مقنطر من أربعة أقواس وقبة وأبواب جميلة [١٢٠] ؛ وأحصنت جيدا بالأسوار والسواتر الدفاعية، لحمايتها من هجمات المسلمين أثناء الحروب الصليبية [١٢١]، وحوت هذه الكنيسة متعلقات نفيسة لتزيين السدة أثناء الصلوات، عند وجود حجاج من ذوي المكانة الرفيعة [١٢٢].

وورد بأن المكان الذي غسل فيه المسيح أقدام حواريه يقع تحته قبو طوله سبع خطوات، مدفون فيه داود وسليمان، و له نافذتان صغيرتان إلى الجهة الشرقية [١٢٣]. ثم ذكر فليكس فابري أن هذا المكان تحول إلى مسجد، فأغلق المسلمون الباب المؤدي من الدير إلى البيعة . وأزالوا المذابح والتماثيل والصور وفتحوا بابا إلى الخارج ، وأزالوا البيعة التي فوقه ذات السقف المقنطر – حتى لا يمر المسيحيون أعلى سقف المسجد – كما كان اليهود يحاولون الحصول على هذا الموضع من السلطان بأي ثمن [١٢٤].

وبهذا الجبل يقع دير صهيون، حيث أورد "سوخم" أنه كان يسكنه رهبان موارنة – ويتوافر لديهم جميع الضروريات اللازمة للعيش، حيث كانت تزودهم بها "تانيا" زوجة الملك روبرت [١٢٥]. وكان رهبان هذا الدير هم المسئولون عن استقبال الحجاج المسيحيين وترتيب إقامتهم، وإرشادهم إلى المزارات الدينية، وإقامة الصلوات لهم [١٢٦]. وذكر فابري أن مدخل هذا الدير صغير ومنخفض، ولا يمكن لإنسان أن يمر منه دون أن ينحني، مفسرا سبب ذلك بالخوف من غضب المسلمين واقتحامهم الدير [١٢٧].

ويمرر الحجاج في تلك البقعة على هيئة مجموعات صغيرة، يرتلون التراتيم و المزامير الواردة بكتيبات صغيرة، معدة للقراءة في تلك المواضع [١٢٨]، و إلى اليمين من هذا الموضع، يصل الحجاج والزائرون إلى الموضع الذي وقف فيه الحواريون انتظارا لنزول روح القدس عليهم [١٢٩] – حيث ظهر لهم السيد المسيح [١٣٠] – ، وأسفل ذلك نزولا أقيم معبد صغير حيث وضع القديس توما يده على جنب المسيح وهو يقرف بعد طعنه ؛ و قد أورد فابري موضعا آخر عدد من الأماكن المقدسة للزيارة، وهي الحجرة التي انتقل إليها السيد المسيح مع تلاميذه بعد العشاء بعدما أخبرهم بأنه سيتعرض للخيانة، ودلخل تلك القاعة جزء من العامود الذي جلد عليه

السيد المسيح ، إذ قيد العامود إلى الحائط بسلاسل حديدية. و أشار الرحالة فليكس فابري إلى أنه لمس هذا العامود بيده [١٣١] ، وقد وصف غطاء هيكل تلك الكنيسة بأنه كبير وضخم، و يماثل غطاء كنيسة القيامة [١٣٢].

وكنيسة القديس المخلص تلك: تقع أسفل جبل صهيون، و بها الصخرة التي دحرجها الملاك [١٣٣] ، ورفع بين الكنيستين، بأعلى الجبل وأسفله، صخرتان اعتاد السيد المسيح الجلوس على إحداهما ليعظ تلاميذه، بينما كانت السيدة مريم العذراء تجلس على الصخرة المقابلة [١٣٤] .

ويقع في سفح هذا الجبل المكان الذي سخر فيه اليهود من السيد المسيح، ومن ثم حبسوه – بعد القبض عليه – حتى الصباح ، وهو المكان الذي عرف لدى المسيحيين باسم سجن الرب [١٣٥]، وأصبح هذا المكان ديرا للمسيحيين الأرمن، و تقع خارجه الصخرة التي جلست عليها السيدة مريم العذراء انتظارا لخروج ابنها من السجن للاطمئنان عليه [١٣٦]. وعلى جبل صهيون عاشت السيدة مريم العذراء داخل بيت يوحنا الإنجيلي [١٣٧] حتى وفاتها، ثم حمل الحواريون الجثمان لدفنه بوادي شعفاط [١٣٨]. ثم ينحدر الطريق إلى كنيسة الملائكة، الواقعة مكان منزل السيدة حنة والدة السيدة مريم العذراء [١٣٩] – قد تكون هي الكنيسة التي وصفها جون بولنير بأنها كنيسة مستديرة و لها أسوار قوية وأقبية حصينة، وبها أعمدة مربعة من الوسط، وليس بها سوى نافذة واحدة وبها ثلاثمائة مصباح كان منها مئة وعشرون مصباحا مشتعلة دائما داخل شمعدان واحد [١٤٠] – وبجانب تلك الكنيسة توجد مساكن للراهبات – وهي تخص المسيحيين الأرمن – التي تقع في الطريق من جبل صهيون وحتى كنيسة القيامة [١٤١].

كما يقع في جبل صهيون أيضا قاعة محكمة بيلاطس [١٤٢] عند حافته، حيث يقع مكان الحبس إلى الشرق منها [١٤٣]، وفيه أيضا الكهف الذي عاد إليه بطرس، و يعرف باسم مكان صياح الديك، وهو الموضع الذي وقف به القديس بطرس [١٤٤] عندما صاح الديك. و بنيت عنده بيعة تعرف باسم الجليلية [١٤٥]، و الجليلية هي المكان الذي ظهر فيه المسيح لسمعان (بطرس) والنساء [١٤٦]، وكانت تلك البيعة بأيدي الأرمن، وكان بها رسم للقديس وهو جالس و رأسه فوق يديه، وهو يبكي بسبب آلام معلمه وإنكاره، بينما الديك يصيح [١٤٧]. وعلى جبل صهيون جرى انتخاب القديس متى رسولا [١٤٨] بواسطة حواريي السيد المسيح في اليوم التالي لصعوده، وفيه أيضا انتخب جيمس الأصغر [١٤٩] ليكون أول أسقف للقدس [١٥٠].

جبل الزيتون [١٥١].

يطل هذا الجبل على بيت المقدس، فيمكن للواقف أعلى قمته رؤية جميع معالم المدينة، فهو أعلى الجبال حولها [١٥٢] ، ويظهر ارتفاعه عند النظر له من جهة

الأردن وبيت عنيا[١٥٣]، وهو ملئ بجميع أنواع الفواكه [١٥٤] ؛ وسمى بهذا الاسم لكثرة أشجار الزيتون النابتة فوقه ، كما أطلق عليه فى بعض الأحيان : جبل الضياء لأن ضياء الهيكل تظهر من فوقه [١٥٥].

وبعد مقصدا هاما للزيارة من قبل الرحالة و الحجاج المسيحيين، فأعلى هذا الجبل صعودا بمقدار عشرين درجة كبيرة [١٥٦]، توجد رابية صخرية ناحية الشرق، وهى الموضع الذى صعد منه السيد المسيح إلى السماء، من على صخرة مستديرة ترتفع عن الأرض بما يزيد قليلا عن ركبة الإنسان، والموضع محاط ببناء دائرى الشكل، و يحيط به غرف ذات قباب، وبنيت داخله كنيسة صغيرة على هيئة دائرة دون سقف، تحوى داخلها تلك الصخرة التى صعد من فوقها المسيح إلى السماء[١٥٧]،ومزينة برخام بارومى ورخام أزرق [١٥٨]. وذكر الرحالة "جون بولنير" أنه نظهر على الصخرة علامة قدم السيد المسيح اليسرى، ويبلغ طولها شبرا وإصبعين ملتصقين بالإصبع الأوسط[١٥٩] فى حين ذكر "فليكس فابرى" أنه يمكن رؤية أثر القدمين مع وضوح أثر القدم اليمنى أكثر[١٦٠]، وقيل فى سبب عدم بناء سقف لهذه الكنيسة : أنه من غير المتصور وضع سقف على مكان صعود السيد المسيح إلى السماء[١٦١]، ومحيط الكنيسة الصغيرة ست عشرة خطوة[١٦٢]، وبها رهبان نظاميون، وحصنت بشكل كبير خوفا من هجمات المسلمين عليها، خلال فترة الحروب الصليبية، إذ أقيم حولها الأبراج و الشرفات، وسيرت دوريات الحراسة ليلا [١٦٣]ـ لكن وصف تلك الكنيسة بعد استرداد المسلمين لبيت المقدس، لم يدل على أعمال عنف ضد ذلك المزار المهم لدى المسيحيين إذ ظل قائما مفتوحا للزيارة ـ وأورد الرحالة "سنيور دى أنجلبور" أن الكنيسة تظهر من الخارج كقصر قديم بدون حراسة مشددة [١٦٤]، بل ورد أن باب الكنيسة كتب عليه بالعربية بخط أحمر عبارة "انا باب الرحمة "، و سميت هذه الكنيسة فى بعض الأوقات باسم كنيسة القديس المخلص[١٦٥]، فى حين ذكر فابرى أنه عند زيارته لهذا الموضع كانت الكنيسة نصف مهدمة، وكانت الزيارة لها تتم خلسة، واعتاد الحجاج تقبيل موضع أثر قدم السيد المسيح، حيث جلس أمامها أحد المسلمين ليفرض على زائريها رسما يقدر بمدنوس (كل خمسة عشرين مدنوسا تساوى دوقية)، إلا أن الحجاج المسيحيين عرضوا أمره على حاكم القدس المسلم فأخبرهم أنه لا يتوجب عليهم دفع أى رسوم[١٦٦]. وعلى هذا الجبل أيضا الصخرة التى جلس عليها المسيح، قبل صعوده إلى السماء، ليعظ حواريه و يعلمهم الأشكال السبعة لذروح القدس[١٦٧].

وإلى الغرب من الجبل، فى الطريق إلى بيت عنيا، كنيسة مقدسة قائمة فى المكان الذى علم فيه المسيح حواريه الصلاة بعبارة " أبانا الذى فى السماء"، وقيل إن المسيح كتبها بيده على صخرة أسفل منبح الكنيسة، فلذلك يقوم الحجاج بتقبيلها [١٦٨] ـ وتسمى هذه الكنيسة لدى البعض بكنيسة الصلاة الربانية[١٦٩] ـ كما يقع وسط هذه

الكنيسة كهف تحت الأرض بحوالى ثلاثين درجة، جلس فيه المسيح يعلم حواريه. ومن كنيسة الصعود، نزولا بمقدار عشرين درجة، يوجد كهف تحت الأرض به كنيسة القديسة بيلاجيا[١٧٠]. حيث أمضت فى هذا الموضع حياتها داخله تاركة نفسها للعبادة [١٧١] ، وقد وضع جسدها داخل نعش حجرى [١٧٢]، و وقف أمام الكنيسة أحد المسلمين لجمع المال نظير الدخول [١٧٣].

كما بنيت كنيسة فوق المكان الذى وقف عنده السيد المسيح يبكى عندما رأى القدس[١٧٤]، وسار فى الطريق الصاعد إليه راكبا يوم أحد [١٧٥] ، وعليه مكان صلاة السيد المسيح مع ثلاثة من تلاميذه [١٧٦]. ومن مكان بكاء المسيح أعلى الجبل، وعلى مسافة مئة وخمس وتسعين خطوة، نزل الملاك جبريل إلى السيدة مريم العذراء، حاملا سعف النخيل، لينبئها برحيلها إلى السماء[١٧٧].

ومن المزارات فوق هذا الجبل كنيسة سان مارك (القديس مرقس) حيث يقع قبر جيمس الصغير أسقف القدس، وهو المكان الذى عاش فيه وظهر له المسيح بعد القيامة[١٧٨]. وتقع على الجبل قرية صغيرة تسمى الجليلية لقام فيها الحواريون [١٧٩]، ويلاحظ أن اسم الجليلية استخدمه أحد الحجاج المجهولين كاسم لأحد الكنائس بجبل صهيون، فى المكان الذى سمع فيه بطرس صياح الديك [١٨٠].

وعند سفح هذا الجبل كهف مستدير من الداخل تحت الصخور ـ كانت جدرانه مطلية فى بعض الأوقات ـ أقام فيه السيد المسيح الصلاة ثلاث مرات، وتصبب منه العرق على هيئة الدم من الألم، فظهر له الملاك ليشد من أزره . ويوجد تحت الصخرة التى وقف عليها الملاك منبح ، وقيل إنه كان يمكن رؤية آثار جسد المسيح على جدران الكهف ، إلا أن تصرفات الحجاج، وإقتطاع حجارة الكهف للذكرى، أدى إلى اختفاء تلك الآثار. ويضاء الكهف من خلال الضوء الذى ينفذ إليه من مدخله ومن شق واسع على الجانب الأيسر[١٨١].

وبالقرب منه صخرة صلبة أخرى تقع إلى الجنوب، وقف عليها ثلاثة من الحواريين حيث مرّ عليهم السيد المسيح وهم نائمون ، وعلى بعد ثمان خطوات منها تقع حديقة الزهور، حيث قبض على السيد المسيح ثم أخذوه منها إلى السجن [١٨٢]. وفى أسفل هذا الجبل المكان الذى أعلن فيه الرسل عقيدتهم [١٨٣]، حيث وجدت كنيسة عرفت باسم مرقص الانجيلى [١٨٤].

وادى شعفاط :

هو واد يفصل جبل الزيتون عن بيت المقدس من ناحية الشرق، ويوجد به قبر للسيدة مريم العذراء، وتوجد به عدة كنائس : الأولى إلى اليسار فى موضع منخفض تحت الأرض وبداخلها ضريح العذراء ذاته [١٨٥]، وهى طويلة جدا ولها سقف نصف

مقوس، والقبر في وسط الكنيسة وهو من الحجر على شكل مبنى من أربعة أقواس، والجهة الشرقية منه تغلبه القرائن، و مزين برخام أبيض، ويقال إن الملائكة هي التي بنت المنبح [١٨٦]، ومساحة الضريح لا تتسع لأكثر من ثمانية أشخاص ويماثل في شكله ضريح السيد المسيح، وقد زين الضريح بمصابيح وشمعدانات عديدة فائقة للجمال ، حتى قيل في أحد الأوقات إنها أجمل و أكثر عددا من تلك الموجودة عند الضريح المقدس [١٨٧]. وفي الكنيسة رائحة طيبة قديمة الوجود، يذكر أنه ليس في مقدور الرجال شمها، وإنما ذلك قاصر على النساء العذارى المخلصات النقيات[١٨٨].

والكنيسة قائمة على عمق ستين درجة تحت الأرض[١٨٩]، وهي رطبة جدا، حيث يمر أسفلها وادي قدرون ، وتضاء الكنيسة من الداخل من خلال نوافذ باتجاه الشرق تطل على جبل الزيتون[١٩٠] ، وبهذه الكنيسة عدة مذابح : الأول بجانب الضريح بأيدي الأرمن، و الثاني أسفل القنطرة بأيدي الجرجيين، و الثالث تحت نافذة في الشرق بأيدي الجورجيين، والرابع في الشمال بأيدي الرهبان الفرنسيسكان، والخامس ناحية اليسار بأول درجة للسلم بأيدي اليعاقبة، وفي ذات المكان مذبح للهنود [١٩١]. وبها دير للرهبان النمود، وهو قائم باتجاه الشرق بين جبل الزيتون وجبل صهيون [١٩٢] . وعند سلم هذه الكنيسة يقع قبر الملكة ميليسانت [١٩٣] التي أمرت ببناء هذه الكنيسة [١٩٤]، وكانت تحصل رسوم عند هذه الكنيسة، إلا أن الرحالة "بيترو كازولا" لم يورد مقدارها في رحلته حيث دفعها نيابة عنه قبطان الرحلة[١٩٥].

وقد قيل إن وادي شعفاط يعرف أيضا باسم جيمسانى [١٩٦]، و قيل أنه هو أيضا جدول قدرون[١٩٧].كما قيل بان جيمسانى هي قرية صغيرة بجوار وادي شعفاط، وفيها جرى القبض على السيد المسيح، حيث يذكر البعض أن بالإمكان رؤية آثار أصابعه فوق الجدار [١٩٨]. وتقع بجيمسانى كنيسة على بعد خمسين قدما من باب بيعة كنيسة السيدة مريم العذراء، قائمة على طرف جبل الزيتون، وتقع مكان الحديقة التي دخل إليها المسيح مع حواريه [١٩٩]، وقد دعيت هذه الكنيسة باسم كنيسة المنقذ [٢٠٠].

وفوقها كنيسة داخل كهف كان يصلي فيه السيد المسيح، أما الثالثة فتقع عند سفح جبل الزيتون في الموضع الذي لام فيه المسيح حواريه على نومهم أثناء الصلاة [٢٠١] ؛ وخلف جيمسانى يقع قبر الملك شعفاط الذي نال الوادي اسمه منه و شعفاط هو ملك لليهوديه، وقبره يقع بوسط الوادي الذي يحمل اسمه، ويقيم حوله عدد من النساك تحت رعاية دير الكنيسة مريم[٢٠٢]،وقيل إنه أبسالوم ابن داوود. وذكر البعض الآخر أنه قبر ابنة فرعون التي أحبها سليمان [٢٠٣] . وهو مرتفع قدر رمحين، وله شكل رباعي متدرج هرمي من القاعدة إلى القمة وبه راهب أبيري يعيش حياة عزلة. وخلف هذا الموضع هضبة كبيرة بها كهوف اصطناعية تحمل اسم

العذراء، يعيش فيها عدد ضئيل من الرهبان الأرثوذكس، وعدد كبير من الرهبان الأرمن واليعاقبة [٢٠٤].

تأتي بعد ذلك بركة سلوان، وهذه البركة أرسل إليها السيد المسيح رجلا أعمى ليغسل عينيه بمائها وبالفعل رد إليه بصره [٢٠٥]. ولذلك فإن سلوان يطلق عليها اسم المرسل[٢٠٦] والمنبع محاط ومزين بأقواس وعدد كبير من الأعمدة [٢٠٧].

بيت عنيا :

وتقع على مسافة ميلين من القدس باتجاه الشرق، على الجانب الآخر لجبل الزيتون[٢٠٨]، وفيها يقع بيت سمعان المجذوم والعازر وأختيه مريم ومرثا، وفيها كنيسة العازر (لازاروس)، وفي هذا المكان أحيا السيد المسيح العازر من الموت وأقيمت فيه كنيسة مزدوجة إحداها بها ضريح العازر والأخرى مكرسة لآثار أختيه مريم ومرثا[٢٠٩]، ويقع بداخلها ضريح عدد كبير من أساقفة القدس، وأسفل منبح كنيسة لازاروس المكان الذي غسلت فيه مريم المجدلية قدمي السيد المسيح بدموعها ومسحتهما بشعرها، وبللت قدميه ودهنتهما بالدهون[٢١٠]، في حين ذكر "سوخم" أن المكان الذي فعلت فيه مريم المجدلية ذلك يقع في بيت سمعان المجذوم[٢١١]، وهو ما ذكره أيضا جون بولونير، كما ذكر بان بيت مريم المجدلية كان يقع على الجنوب من بيت عنيا وقد بنيت فوقه كنيسة إلا أنها تهدمت[٢١٢].

بيت فاجي :

تقع في منتصف الطريق من بيت عنيا إلى جبل الزيتون وقد قيل في معناها أنها "بيت الفم" أو"بيت الفك"[٢١٣]، انطلق إليها السيد المسيح يوم أحد الشعف ، ومن هناك أرسل اثنين من حواريه ليحضرا له دابة يركبها إلى القدس فأحضروا له أتانه[٢١٤]، وبنيت في هذا الموضع كنيسة جميلة على شرفه[٢١٥]، كما كانت هناك كنيسة كبيرة في وسط البلدة تتجه نحو الشرق، وعلى مسافة فرسخ من بيت عنيا يوجد برج، حيث التقى السيد المسيح بمرثا، ومنه أيضا ركب المسيح دابة بعد أن أحيا العازر[٢١٦]. ونظرا لقرب المسافة من بيت عنيا وحتى بيت فاجي، فقد أورد بعض الرحالة مثل "سوخم" كنيسة العازر وبيت سمعان المجذوم على أنهما يقعان في بيت فاجي[٢١٧].

الخاتمة والنتائج :

من خلال عرض هذا البحث يتضح لنا أن الارتحال لزيارة المقدسات المسيحية بالقدس لم ينقطع في أي وقت من الأوقات، سواء أكانت السيادة على المدينة للمسلمين أو للغرب ؛ وأن الدولة الإسلامية راعت المناسبات الدينية، بفتح الأبواب المغلقة بالمدينة أيام تلك المناسبات، كما أنها لم تكن تحصل على رسوم الزيارة خلال تلك الأعياد، وأن خدمة الحجاج لم تقتصر على المسيحيين وحدهم بل كان هناك من

المسلمين من يعينهم على قضاء حوائجهم، و كانوا يستطيعون تقديم شكاواهم إلى الحاكم، كلما كانت العلاقات بينه وبين الرهبان جيدة، في حين أنه - أثناء الاحتلال الصليبي - ذكرت بعض كتابات الرحالة أن دخول الضريح المقدس كان قاصرا على النبلاء فقط.

وأن رحلات الحج شملت النبلاء والعامة، كما شملت الرجال والسيدات، ولن الحجاج المسيحيين لم يكونوا متماثلين بالطبع في مشاعرهم أثناء الزيارة، حيث وجد منهم من كانت تعلوه مشاعر الإيمان والتقوى والاحترام لتلك الأماكن، و منهم من كان غرضه النزهة والتجارة، حتى وصل الأمر إلى جمع أحجار المزارات المقدسة لبيعها عند العودة للوطن ، وانشغل البعض بتخليد اسمه بكتابته على أحجار المزارات.

وأظهرت تلك الكتابات : حرص جميع الأمم و الطوائف المسيحية على أن يكون لها موضع خاص بها في تلك المزارات سواء بامتلاك دير أو كنيسة أو حتى مذبح داخل كنيسة ؛ كما يظهر لنا جليا أن تلك المزارات لم تكن على ذات الحال دائما، بل كانت عرضة للتعديل على مر الزمن سواء بالإضافة أو الهدم بفعل العوامل الطبيعية أو حتى العامل البشري ، وأنه كان هناك اختلاف بين الحجاج الذين سجلوا رحلاتهم حول بعض أماكن الأحداث التي ارتبطت برحلة الحج والزيارة، وكذلك دقة الوصف لتلك الأماكن وتحديد الاتجاهات.

فعلى سبيل المثال: ذكر الرحالة جون بولنير، الذي زار القدس عام ١٤٢١م، أنه تظهر على الصخرة أعلى جبل الزيتون علامة قدم السيد المسيح اليسرى، في حين ذكر فليكس فابري، الذي زار المدينة عام١٤٨٠- ١٤٨٣م، أنه يمكن رؤية أثر القدمين مع وضوح أثر القدم اليمنى أكثر.

كذلك تدلنا الكتابات أن مفاتيح بيعة الضريح - الكنيسة المقامة فوق الضريح - تناوبت عليها الطوائف المسيحية، إذ بينما أورد جون بولنير أنها كانت في أيدي الجورجيين، أورد فابري أنها كانت في أيدي الرهبان اللاتين الفرنسيسكان. وكانت رحلات الحجاج تمثل للفرصة لرهبان الأراضي المقدسة في جمع التبرعات منهم، للإنفاق على الأديرة والكنائس.

في حين كان الخلاف بين هؤلاء الحجاج والمسلمين هو الرسوم التي تدفع لدخول المزارات المسيحية، وهو ما كان يصيبهم بالضجر، كذلك رغبتهم في دخول المسجد الأقصى الذي أعتبره غالب الحجاج جزءا من المزارات المقدسة لديهم، بل إنه تحول إلى كنيسة خلال فترة الاحتلال الصليبي للمدينة، وبالتالي استطاعوا دخوله وزيارته ووصفه بكل يسر وسهولة، إلا أنه بعد استعادة المسلمين للمدينة حرم عليهم دخوله أو حتى الاقتراب منه.

الهوامـــــش

١ - هي مدينة عربية مذ حوالي ستة آلاف سنة ، فقد سكنها اليبوسيون وهم فرع من الكنعانيين ، ويعد هؤلاء أول من أسس المدينة المقدسة وسموها يبوس في حوالي عام الفين وخمسمائة قبل الميلاد. وقد أعاد الامبراطور هارديان ((١١٧-١٣٨ م)) بناء أورشليم التي دعيت باسم هليا (إليا) ووسع المدينة حتى برج داود وأعاد تسمية المدينة باسم إيليا، و الذي فسر على أنه بيت الإله ؛ وباعتراف الإمبراطور قسطنطين (٣٢٣-٣٣٧م) صارت أورشليم (القدس) مقدسة لدى المسيحيين في القرن الرابع الميلادي ، ويقول البعض أن جستنيان هو من أعاد بناء المدينة ؛ هذا وكانت المدينة تسمى لدى العرب بيت المقدس أو البيت المقدس أو القدس ويرجعها البعض إلى أصل سرياني وهو بيت مقداش، أو عبري وه بيت هامقداش، وكذلك عبر هاقدش وهي القدس. كما استخدم الجغرافيون العرب اسم إيليا باعتباره أحد أسماء القدس قبل اسمها العربي كما أوردوا إسم أورشليم كاسم عبري لها باعتبار معناه مدينة للسلام وفسره البعض الآخر بأن معناه نور وسلام . وتمزيد من التفاصيل انظر:

- ابن نعيم المقدسي : منير الغرام إلى زيارة القدس والشام ، تحقيق أحمد الخطيبي ، بيروت ١٩٩٤، ص ١١.
- سيولف: رحلة حج سيولف إلى القدس، ١١٠٢-١١٠٣م (٤٩٦- ٤٩٧ هـ)، ترجمة د. سهيل زكار ، الموسوعة الشامية للحروب الصليبية ، الجزء الحادي والثلاثون ، دمشق س ١٩٩٨ ، ص ٢٣٣ .
- حسنين محمد ربيع : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، القاهرة ١٩٨٢م ، ص ١٥-١٧ .
- عبد الله الحلو : تحقيقات تاريخية لغوية في الأسماء الجغرافية السورية استنادا الجغرافيين العرب ، بيروت ، ١٩٩٩ ، ص ٨٨ ، ٤٤٢.

٢ - لمزيد من المعلومات عن تطور الحج المسيحي انظر:

- جوزيف نسيم يوسف، في تاريخ الحركة الصليبية، الإسكندرية١٩٨٩، ص٣١-٤٢

3 - سلوان لفظ عربي صرف ، و تقع العين بظاهر المقدس الشريف من جهة القبلة بالوادي ويشرف عليها السور القبلي للمسجد الأقصى - ويروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال أن النبي عليه الصلاة والسلام قال " فيهما عينان تجريان " هما عين بيسان وعين سلوان ؛ وعن خالد بن معدان أنه قال زمزم وعين سلوان التي بيت المقدس من الجنة ، ويروى أن تحتها بئر أيوب ويزعمون أن ماء زمزم يزور ماء هذه العين ليلة عرفه.

- مجير الدين الحنبلي الطيمي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، تحقيق : عدنان يونس عبد المجيد ، عمان ،١٩٩٩ ، جزءان ، الجزء الثاني ص ٥٧ ،

- المقدسي البشاري : أحسن التقاسيم لمعرفة الأقاليم ، نسخة الكترونية من موقع مكتبة المصطفى الالكترونية ، ص ٧٩ .
- وانظر أيضا :
- ياقوت الحموي : معجم البلدان، سبعة أجزاء، ط بيروت بدون تاريخ، الجزء (٣)، ص ٢٤١ .
- عبد الله الحلو: تحقيقات تاريخية لغوية، ص ٤١٢.

4 - دانيال : رحلة حج قراهب فروسي دانيال (١١٠٦ – ١١٠٧ م / ٥٠٠ – ٥٠١هـ)، ترجمة د. سهيل زكار ، الموسوعة الشامية للحروب الصليبية ، الجزء الحادي والثلاثون ص ص ٣٦١– ٣٣٦ ، ط دمشق س ١٩٩٨ ، ص ٢٨٩ .

5 - ثيودريك: وصف الأماكن المقدسة (بين ١١٧١ م إلى ١١٧٣م / ٥٦٧– ٥٦٩هـ) ، ترجمة د. سهيل زكار ، الموسوعة الشامية للحروب الصليبية ، الجزء الرابع والثلاثون من ص ٢٠١–٢٧٤ ، دمشق ١٩٩٨ ، ص٢١٣ .

6 - سمي أيضا بباب السمك حيث يمر الطريق من خلاله إلى ساحل البحر .
– جون بولنير : وصف الأرض المقدسة (١٤٢١ م / ٨٢٤ هـ) ، ترجمة د . سهيل زكار ، الموسوعة الشامية للحروب الصليبية ، الجزء الثامن والثلاثون، القسم الأول ص ص ٤٩–٩٦، دمشق ٢٠٠٠، ص ٥٤.

7 - بورتشارد : وصف الأرض المقدسة (بعد ١٢٧١ م وقبل ١٢٩١م / ٦٧٠–٦٩٠ هـ)، ترجمة د . سهيل زكار ، الموسوعة الشامية للحروب الصليبية ، الجزء السابع والثلاثون، ص ص ١٣٥– ٢٤١، دمشق، ص ٢١٧– ٢١٩.

8 - حاج مجهول : رحلات غربية – ٥ (قبل سنة ١١٨٧م/٥٨٣ هـ)، قبل سنة ١١٨٧ ، ترجمة سهيل زكار ، الموسوعة الشامية في الحروب الصليبية ، ص ص ٣١– ٤٥ الجزء ٣٧ ،ص ٣٥–٣٨.

9 - لمزيد من التفاصيل عن دور مستشفى القديس يوحنا انظر :
– نبيلة إبراهيم مقامي : فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، القاهرة ١٩٩٤م ، ص ١١–١٢ .

10 - لودولف فون سوخم : وصف الأرض المقدسة (١٣٥٠م / ٧٥١ هـ)، ترجمة د . سهيل زكار ، الموسوعة الشامية للحروب الصليبية ، الجزء السابع والثلاثون ، ص ص ٢٥١–٢٩٠ ، دمشق ١٩٩٩ ، ص ٣٦٠ .

11 - فيلكس فابري: جولات الراهب فيلكس فابري ورحلاته (جولة ١٤٨٠– ١٤٨٣م/ ٨٨٥–٨٨٨هـ) ، ترجمة سهيل زكار – الموسوعة الشامية للحروب الصليبية ، الجزء الثامن والثلاثون ، أقسام ١ ، ٢ ، ٣ ص ص ٩٧ – ١٤٨٤ ، دمشق ، س ٢٠٠٠ ، ص ٣٩٧ – ٣٩٨ .

12 - حاج مجهول - رحلات غربية _ ٥ ، ص ٣٨ .

13 - هما أبنا زبدى ، ولد الإثنان في بيت صيدا على بحيرة طبرية وكانا يعملان مع والدهما في صيد السمك واختارهما السيد المسيح للتلمذة بعد بطرس وأندراوس وسبعة من الحواريين الاثنى عشر، وكان المسيح عليه السلام يطلعهما على مهام وأسرار خاصة ، ثم عهد إلى يوحنا بخدمة السيد العذراء .

الأسقف إيسيدوروس : الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة ، إعداد وتعليق د. ميخائيل مكسي ، ط القاهرة ٢٠٠٢ ، ص ٣١–٣٢.

14 - القديس توما هو أحد تلاميذ المسيح الاثنى عشر وينتمي إلى أحد مدن الجليل ، وقد تولى نشر المسيحية في بلاد فارس والهند .

الأسقف إيسيدوروس : المرجع السابق : ص ٣٨ ، ٣٩ .

15 - فابري : جولاته ، ص ٩١٢ – ٩١٣ .

16 - أول بناء لهذه الكنيسة كان على يد الملكة هيلانة أم الملك قسطنطين سنة ٣٣٥ م في الموضع الذي عثرت فيه على الصليب وأحرقها الفرس عام ٦١٤ م مع باقي كنائس القدس وأعاد بناءها عام ٦٣١ م الراهب موجستوس رئيس دير العينيين ثم جرى ترميمها في عهد الخليفة العباسي المأمون ، حتى احترقت الكنيسة وسقطت القبة عام ٩٦٥ م في عهد الإخشيد ثم عمرت في عهد البطريرك يوسف الثاني سنة ٩٨٠ م ثم أمر الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله بهدمها فهدمت عام ١٠٠٩ م إلا أنه سمح للمسيحيين بإعادة بنائها ، فلم يتمكنوا سوى من بناء كنيسة للقبر المقدس فقط و شيدت على غير هيئتها الأصلية ، ثم سمح لهم الخليفة المستنصر بإعادة بنائها فتم البناء عام ١٠٤٨م.
– ويذكر ياقوت الحموي أن اسمها قمامة ووصفها بأنها أعظم كنيسة للنصارى بالبيت المقدس و هي في وسط البلد يحيط بها السور و لهم فيها مقبرة يسمونها القيامة لاعتقادهم أن المسيح قامت قيامته منها و الصحيح (كما يذكر الحموي) أن اسمها قمامة لأنها كانت مزبلة أهل البلد و كان ظاهر المدينة يقطع به أيدي المفسدين و يصلب بها اللصوص فلما صلب فيها المسيح عظموها.
– كما يذكر أيضا وجود دير يسمى قمامة بأرض المقدس الشريف و أنه منسوب إلى امرأة نصرانية يقال لها قمامة و هي التي بنت القدير و أقامت فيه مع رواهب لها ، ولما ماتت دفنت فيه .
انظر
– ناصر خسرو علوي : سفرنامة ، ترجمة د. يحي الخشاب ، القاهرة ١٩٩٣ ، ص ٨٨ / ٨٩ .
ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٩٦.

ياقوت الحموى : الخزل و الدال (بين الدور و الدارات و الديرة) جزءان – الجزء الثانى تحقيق يحى زكريا عبارة و محمد أديب جمران ، طبعة دمشق ١٩٩٨ ، ص ١٥٩ .

عارف العارف : المفصل فى تاريخ القدس ، الجزء الأول ، ط ٥ ، القدس من ١٩٩٩ ، ص٥١٧، ٥١٨.

17 – فيلكس فابرى : جولاته ، ص ٥١٧ .

– فى سنة ١١٤٠ م قام الصليبيين بتوصيل كل معابد القيامة فى كنيسة واحدة و بنو شرقى القبر المقدس كنيسة باسم نصف الدنيا أشيع أنه مركز العالم القديم .

ميخائيل مكسى : القدس عبر التاريخ ، ص ١٣١ .

18 – الادريسى : نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق — نسخة الكترونية – من مكتبة المصطفى الالكترونية – ص ١٦٦ .

19 – لودولف فون سوخم : وصف الأرض المقدسة ، ص ٢٥١.

20 – فابرى : جولاته ، ص ٤٨٦ .

21– Canon Pietro Casola: Pilgrimmage to Jerusalem. In the year 1494 (900) . by .M. Margaret Newett B.A. Manchester. 1907 p 26

22 – Canon Casola: Pilgrimmage. p 258.

23 – لورد فليكس فابرى بعد ذلك موقعا آخر جرت فيه واقعة التخبيط سيأتى ذكره فيما بعد.

فابرى: جولاته ، ص ٤٦٥ .

24 – أرنول : مدينة القدس (١٢٢٠م/ ٦١٧هـ)، ترجمة د. سهيل زكار ، الموسوعة الشامية فى الحروب الصليبية ، الجزء السابع والثلاثون ص ص ٨٧ – ١٣٤ ، دمشق ١٩٩٩ ، ص ٩٣.

25 – دانيال : رحلة حج ، ص ٢٧٨ .

26 – ثيودريك: وصف الأماكن المقدسة ، ص ٣١٦، ٣١٧

– هذا النوع من التخطيط المعتمد على الشكل الدائرى المغطى كله بقبة واحدة أو عدد من القباب يعرف بالتخطيطات المعمارية ذات الأسلوب الصليبى ، ولمزيد من التفاصيل انظر :

– مصطفى شيحة : المقدسات والمآثر الإسلامية فى القدس ، بحث مقدم ضمن أعمال الندوة العالمية حول القدس وتراثها الثقافى فى إطار الحوار الإسلامى – المسيحى ، الرباط ١٩٩٣م ، ص ١٨ .

27 – يوحنا فورزبرج: وصف الأراضى المقدسة فى فلسطين (ما بين ١١٦٠ – ١١٧٠م / ٥٥٦ – ٥٦٦ هـ) ، ترجمة د. سعيد عبد الله البيشاوى ، الأردن، عمان: سنة ١٩٩٧، ص ٦٧ ، ٦٨ .

28 – لودولف سوخم : وصف الأرض المقدسة ، ص ٢٥٦.

29 – Canon Casola : Pilgrimmage . p 276.

30 – بورنشارد : وصف الأرض المقدسة ، ص ٢١٢.

31 – ثيودريك: وصف الأماكن المقدسة ، ص ٣١٥.

32 – حاج مجهول : رحلات غربية –٤ (خلال القرن الثانى عشر)، الموسوعة الشامية فى الحروب الصليبية الجزء السابع والثلاثين ، ترجمة سهيل زكار ، ص ص ٢٦ – ٣٠ ، دمشق من ١٩٩٩ ، ص ٢٩.

33 – بورنشارد : وصف الأرض المقدسة ، ص٢١٢.

34 – Canon Casola: Pilgrimmage. p 278.

35 – ناصر خسرو : سفرنامة. ص ٨٩ .

36 – يذكر الادريسى أن الدخول من باب غربيها فيجد الداخل نفسه فى وسط القبة التى تشمل على جميع الكنيسة وهى من عجائب الدنيا و الكنيسة أسفل ذلك القباب و لا يمكن النزول إليها من هذه الجهة و لها باب فى جهة الشمال ينزل إلى أسفل الكنيسة على ثلاثين درجة و يسمى باب شنت مرية و عند نزول الداخل على الكنيسة تلقاه المغارة المقدسة المعظمة و لها بابان و عليها قبة معقودة أتقن بنيانها و حصن تشييدها و أبدع تنسيقها و هذان القبابان أحدهما يقابل الشمال حيث باب شنت مرية والآخر يقابله من جهة الجنوب و يسمى باب الصلوبية

– الادريسى : نزهة المشتاق ، ص ١٦٦ .

37 – Canon Casola : Pilgrimmage . p 275 – 258

38 – لمزيد من المعلومات حول تولى المسلمين حراسة كنيسة القيامة ومفاتيحها انظر:

عارف العارف : المفصل فى تاريخ القدس ، ص ٥٢١، ٥٢٣.

39 – فابرى: جولاته ، ص ٥٥٣.

40 – Canon Casola: Pilgrimmage. p 259.

41– Martin Baumgarten: The Travels of Martin Baumgarten A nobleman Of Germany through Egypt, Arbia, Palestine, And Syria(1507) . Volt 3. p 461.

42 – جمع دوكة هى عملة بندقية ظهرت فى ٣١ أكتوبر لعام ١٢٨٤م بأمر من الدوناتو البندقى، وعرفت بالدوكة نسبة إلى دوج البندقية،

رأفت النبراوى : السكة الإسلامية فى مصر عصر دولة المماليك الجراكسة ، القاهرة ١٩٩٣م ، ص ٧٥.

43 – فابرى : السابق ، ص ٥٥٢– ٥٥٣ ، ٩١١.

44 – فابرى: السابق، ص ٤٦٣.

45 – جون بولفير : وصف الأرض المقدسة ، ص ٥٦ .

46 – فابرى : جولاته ، ص٤٧٢.

47 – فابرى: السابق ، ص ٥٢٥.

48 – حاج مجهول: رحلات غربية –٤، ص ٢٩ – ٣٠.

49 – فابرى: جولاته ، ص ٥٢٨

50 – Canon Casola: Pilgrimmage, p 277.

51 – ثيودريك: وصف الأماكن المقدسة ، ص ٣١٦.

52 – Johann Schiltberger : The Bondage And travels Of Johann Schiltberger A native Of Bavaria> In Europe . Asia And Africa 1396 –1427 (799– 831) . Trns prof : Karl Frieddrich . In 1859– London MDCCCLXXIX, p 57.

53 – حاج مجهول: رحلات غربية – ٤، ص ٣٠.

– يذكر الإدريسي أن سقف الكنيسة الرئيسية للكنيسة كانت توجد به ثلاثة قناديل من الذهب .

الإدريسي : نزهة المشتاق ، ص ١٦٦.

54 – دانيال : رحلة حج ، ص ٢٧٩.

55– Martin Baumgarten: The Travels of Martin Baumgarten, Volt 3. p 461.

56 – لودولف سوخم : وصف الأرض المقدسة ، ص ٣٥٨ .

57 – فابري : جولاته ، ص ٥٣٠.

58 – Canon Casola: Pilgrimmage, p 277.

59 – فابري : جولاته ، ص ٥١٢ .

60 – جون بولونير : وصف الأراضي المقدسة : ص ٥٦.

61 – فابري: جولاته ، ص ٥١٧ ، ٥١٨.

62 – ولدت هيلانة سنة ٢٤٧م بمدينة الرها من أبوين مسيحيين وكانت حسنة الصورة جميلة المنظر فسمع بها قسطنطين ملك بوزنطة حين نزل الرها فتزوجها وأنجبت منه قسطنطين الذي خلفه في الملك ، وذهبت إلى بيت المقدس بعد رؤية رأتها حيث عثرت على الصليب ، وكانت سيرتها حسنة ورثيت أوقافا كثيرة للفقراء و الكنائس والأديرة وتوفيت سنة ٣٢٧ عن ثمانين عاما.

– الأنبا بطرس الجميل وآخرين : المستكسار الجامع لأخبار الأنبياء والرسل والشهداء والقديسين ، القاهرة ١٩٧٣ ، الجزء الثاني ، ص ١٦٢ – ١٦٣ .

63 – Canon Casola: Pilgrimmage, p 259.

64 – Canon Casola: Pilgrimmage, p 278.

65 – فابري : جولاته : ص ٤٨٢.

66 – يوانس فوقاس: رحلة في الأراضي المقدسة (١١٨٥م / ٥٨١ هـ) ، ترجمة د. سهيل زكار ، الموسوعة الشامية للحروب الصليبية ، الجزء الرابع والثلاثون ص ص ٣٧٥–٤٠٤، دمشق ١٩٩٨، ص ٣٩٠.

67 – أرنول : مدينة القدس ، ص ١١٣.

– مريم المصرية ولدت بمدينة الإسكندرية سنة ٣٤٥ م من أبوين مسيحيين و كانت امرأة آثمة لمت من الإسكندرية سنة ٣٧٣ مع الحجاج المصريين بالمستخفاف ولما دخول كنيسة القيامة فأحست كأن يدا غير منظورة تمنعها من الدخول فظلت وعاشت في قفار الأردن سبعة وأربعين عاما (وقيل ثمانية وأربعين) ثم زهد ونقشف وعبادة وتوفيت عن عمر بلغ ستة وسبعين عاما.

– الأنبا بطرس الجميل وآخرين : المستكسار ، ص ٩٦ – ٩٨ .

– ولمزيد من التفاصيل عن قصة حياتها انظر :

– طارق منصور محمد : قطوف الفكر البيزنطي ، الجزء الأول ، الأدب ، القاهرة ٢٠٠١ ، ص ٤٦– ٦٥.

وانظر أيضا : ميخائيل ماكس : ص ١٣٢ .

68 – فابري : جولاته ، ص ٤٨٦.

69 – seigneur d' Anglure :Le saint voyage De Jherrsalem (1395 / 798) / pub. Par Francois Bonnardot & Auguste Longnon; Paris, 1878. p 26.

70 – فابري : السابق ، ص ٤٧١، ٤٨٦ ، ٤٨٨.

71 – فابري: السابق ، ص ٤٩٧.

72 – ثيودريك: وصف الأماكن المقدسة ، ص ٣١٥– ٣١٦ .

73 – أرنول : مدينة القدس ، ص ٩٤ ، ١١٢.

74 – جودفري : الابن الثاني للكونت أوسطاش الثاني البيوني ، ويلقب بالملتحي أو البيوني ، ولد عام ١٠٦٠ م وتولى إمارة لوتارنجيا وبويون تقريبا وخرج بأول حملة صليبية متجهة إلى الشرق عام ١٠٩٦ م ، وتم انتخابه عام ١٠٩٩ حاربا للأراضي التي استولت عليها الحملة في الأرض المقدسة ورفض أن يلقب بالملك مكتفيا بلقب دوق أو قيم على الأرض المقدسة .وقد توفي في ١١٠٠ م.

– بلدوين : أخو جودفري ولد بين عامي ١٠٦١ و ١٠٧٠ م وتبع أخاه في الحملة الصليبية ، وبعد موت أخيه جودفري توج في بيت لحم كأول ملك على مملكة لاتينية في الشرق ، وحولها إلى مملكة قوية حتى توفي في ١١١٨م.

– سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية، جزءان، ط ٤ القاهرة ١٩٨٦: الجزء الأول، ص ١١١ وما بعدها.

– ميشيل بالار : الحملات الصليبية والشرق اللاتيني ، من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر ، ترجمة بشير السباعي ، القاهرة ط١ من ٢٠٠٣ ، ص ٧٣– ٧٤ ، ٧٦–٧٧.

75 – فابري : السابق ، ص٤٩٢ ، ٤٩٦ .

76 – حاج مجهول : رحلات غربية – ٤ ، ص ٣٠ .

77– Canon Casola: Pilgrimmage, p 260.

78 – Thenaud (jean) : Le Voyage d'outre' – Mer de Jean Thenaoud .. Schefer (c) Paris.1884 – p 95-104 .

79 – بعد فتح بيت المقدس صلحا عام ٦٣٦ من الهجرة سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن موضع مسجد داوود فدلوه على الصخرة وكانت مغطاة بالأقذار فجعل ينظفها بيده فائتدى به المسلمون فزفت في الحال ولمر ببناء المسجد بعد ثلاث مرات تمطر فيها السماء فبنى ولم يتن ذلك بإتقان عظيم وبقي إلى أن اتقن بناءه عبد الملك بن مروان خامس خلفاء بني أمية ؛ ولمزيد من التفاصيل حول بناء هذ المسجد وتاريخه انظر: ابن تميم المقدسي : منير الغرام ، ص ١٦٥ وما بعدها.

80 – ثيودريك: وصف الأماكن المقدسة، ص ٣٣٨ .

81 – جون بوتلير : وصف الأرض المقدسة، ص ٥٩ .

82 – فابري: جولاته ، ص ١٠٣٥.

83 – بيد العزيف : رواية بيد عن الأرض المقدسة (خلال القرن الثاني عشر) ، المومسوعة الشامية في الحروب الصليبية الجزء السابع والثلاثين ، ترجمة سهيل زكار ، ص ص ٤٦-٧٦ . دمشق س ١٩٩٩، ص ٧١ .

84 – دانيال : رحلة حج ، ص ٢٨٤.

85 – سيولف: رحلة حج سيولف، ص ٢٣٦.

86 – أرنول : مدينة القدس ٩٦ ، ٩٧

87 – ثيودريك: وصف الأماكن المقدسة ، ص ٣٣٠ .

88 – أرنول : مدينة القدس ، ص ٩٨ .

89 – حاج مجهول : رحلات غربية ٥، ص ٣٢ .

90 – حاج مجهول : وصف الأرض المقدسة (خلال القرن الثاني عشر)، الموسوعة الشامية في الحروب الصليبية الجزء السابع والثلاثين رحلات غربية ص ص ٧٧-٨٢ ، ترجمة سهيل زكار ، ، دمشق س ١٩٩٩ ، ص ٧٨.

91 – سيولف : رحلة حج سيولف، ص ٢٣٦ .

92 – حاج مجهول: رحلات غربية –٥، ص ٣٢.

93 – دانيال : رحلة حج ، ص ٢٨٤.

94 – ثيودريك: وصف الأماكن المقدسة، ص ٣٣٢ .

95 – دانيال : رحلة حج ، ص ٢٨٥ .

96 – Canon Casola: Pilgrimmage, p 253.

97 – ثيودريك: وصف الأماكن المقدسة، ص ٣٣١ – ٣٣٢

98 – أرنول : مدينة القدس : ص ٩٧ .

99 – ثيودريك: وصف الأماكن المقدسة، ص ٣٣٤.

100 – أرنول : مدينة القدس ، ص ٩٨ .

101 – ثيودريك: وصف الأماكن المقدسة، ص ٣٣٨ .

102 – ثيودريك: المصدر السابق ، ص ٣٣٥ – ٣٣٦.

103 – العماد الكاتب الإصفهاني : الفتح القسي في الفتح القدسي ، تحقيق محمد محمود صبح ، القاهرة ٢٠٠٢ م ، ص ١٣٧، ١٤٤ .

104 – فابري : جولاته، ص ١٠٣٦– ١٠٣٨ .

– على الرغم من استياء فابري لسيادة المسلمين على القدس و المسجد الأقصى إلا أنه عند الحديث عن المسجد ذكر أن المسلمون يعاملون الهيكل باحترام عظيم ويحفظونه منظما ونظيفا حتى أنهم يغسلونه يوميا من الداخل والخارج.

فابري : جولاته ، ص ١٠٤١ .

105 – صهيون بكسر أوله ثم السكون وياء مثناة من تحت مفتوحة وواو ساكنة وآخره نون ، قيل هي الروم وقيل بيت المقدس ، وهو موضع معروف بالبيت المقدس محلة فيها كنيسة للنصارى .

الحموي : معجم البلدان ، ص ٤٣٦ .

106 – Canon Casola: Pilgrimmage. p254.

107 – بورشارد : وصف الأرض المقدسة ، ص ٢٠٣ – ٢٠٤.

108 – Canon Casola: Pilgrimmage, p254.

109 – ثيودريك: وصف الأماكن المقدسة ، ص٣١٤ .

110 – حاج مجهول: بداية وصف الأماكن المقدسة(أول القرن الحادي عشر الميلادي) : الموسوعة الشامية في الحروب الصليبية الجزء السابع والثلاثين رحلات غربية ص ص ١١ – ١٤، ترجمة سهيل زكار ، ، دمشق ١٩٩٩، ص ١٣ .

111 – جون بوتلير : وصف الأرض المقدسة ، ص ٦٦ .

112 – Canon Casola: Pilgrimmage. p – 254

113 – seigneur d' Anglure : Le saint voyage , p 21.

114 – Canon Casola: Pilgrimmage, p 254 .

115 – جون بوتلير : وصف الأرض المقدسة ص ٦٧.

116 – فابري: جولاته ، ص ٤٠١.

117 – seigneur d' Anglure : Le saint voyage , p21.

118 – فابري: جولاته ، ص ٤١١.

119 – ثيودريك: وصف الأماكن المقدسة ، ص ٣٤١ .

120 – يوانس فوقاس: رحلة في الأراضي المقدسة، ص ٣٨٨ .

121 – ثيودريك : وصف الأماكن المقدسة ، ص٣٤١.

122 – فابري: جولاته : ص ٣٩٨.

123 – جون بوتلير : وصف الأرض المقدسة : ص ٦٧.

124 – وقد ذكر فابري أن اليهود كانوا يذهبون إلى هناك ليلا للصلاة وسرقة أصل المسجد.

فابري : السابق ، ص ١٢، ٤١٥–٤١٦.

125 – ثيودولف سوخم : وصف الأرض المقدسة ، ص ٣٥٥.

- نائبا هي زوجة الملك روبرت ذاتجو ملك صقلية ، زارت مع زوجها السلطان محمد الناصر بمصر ودفعا له اثنان وعشرين ألف دوقة ثمنا للأرض المحيطة بالعلية على جبل صهيون بما فيها من آثار ووهباها لكرسي روما بشرط أن تترك في يد رهبان الأخوة الأصاغر إلى الأبد ووافق البابا اكليمنضس السادس على هذا الشرط وأيده بمنشوره المسمى Nuper carissimi المؤرخ في ١٣٤٢/٢/٢١م ، فجدد الرهبان بناء العلية.

125 - ميخائيل مكسي : القدس عبر التاريخ ، ص ١٥١ .

126 - فابري: جولاته ، ص ٣٩٨ .

127 - فابري: المصدر السابق ، ص ٤١١ .

ورغم ذلك لم تذكر كتابات أي رحالة تعرض الدير للهجوم من المسلمين.

128 - فابري : المصدر السابق ، ص٤٠٣.

129 - Canon Casola: Pilgrimmage, p 255

130 - يوحنا فورزبرج: وصف الأراضي المقدسة ، ص٦١.

131 - فابري : جولاته ، ص ٤٠٧-٤٠٨.

132 - Seigneur d' Anglure: Le saint voyage , p 22.

133 - لودولف سوخم : وصف الأرض المقدسة ، ص ٣٥٥ - ٣٥٦.

134 - seigneur d' Anglure : Le saint voyage , p 22

135 - بورنشارد : وصف الأرض المقدسة، ص ٢١٥.

136 - Von harf (Arnold): The pilgrime Of Arnold Von harf , Trans ;Malcolm , the Hakiut Society . 2nd series, 1946. P 194

137 - جون بولنير : وصف الأرض المقدسة . ص ٦٧ .

- يوحنا الانجيلي: هو يوحنا ابن زبدى وسبق تعريفه انظر حاشية ١١.

138 - حاج مجهول: بداية وصف الأماكن المقدسة، ص ١٣.

139 - Von harf (Arnold): The pilgrime , p195

140 - جون بولنير : وصف الأرض المقدسة :ص ٦٨ .

141 - Far Niccolo Of Poggibonsi : A Voyage Beyond The Seas (1346-1350) (747-751) - Trans By : Fr. T. Bellorini O.F.M And Fr.E hoade O.F.M. Jerusalem, 1945. p 30.

142 - بيلاطس هو الوالي الروماني الذي كان بحكم اليهودية من سنة ٢٦م إلى ٣٦م تقريبا وقد عُزل من منصبه ونفي في نهاية حياته إلى بلاد الغال (فرنسا) وبعض المصادر التاريخية تقول إنه مات منتحرا.

http://www.jesus-nazareth.com

143 - يوحنا فورزبرج: وصف الأراضي المقدسة ، ص٦٠ .

144 - القديس بطرس هو أحد تلاميذ السيد المسيح - عليه السلام - ولد بقرية صيدا على بحيرة طبرية وكان صيادا للسمك ودعى إلى التلمذة فبل جميع الرسل فدعي أول الرسل .

الأسقف إيسوذورس: الخريدة النفيسة ، ص ٢٣ .

145 - حاج مجهول : رحلات غربية- ٥ ، ص ٣٣ .

146 - حاج مجهول: وصف الأرض المقدسة، ص ٧٩.

147 - ثيودريك: وصف الأماكن المقدسة ، ص ٣٤٦ .

148 - القديس متى الرسول كان يدعى " لاوى بن حلفى " وهو من قانا الجليل ، ترك مائه وعمله ليتبع السيد المسيح - عليه السلام - وكتب الإنجيل باللغة الأورشليمية السريانية وقيل أنه ترجمه بنفسه إلى اليونانية .

الأسقف إيسوذورس : الخريدة النفيسة ، ص ٢٧.

149 - جيمس الأصغر هو القديس يعقوب بن حلفى (البار) هو أحد الحواريين الاثنى عشر وهو ابن مريم زوجة كلوبا (حلفى) خالة السيد المسيح - عليه السلام - واختيه الرسل ليكون أول اسقف للقدس .

الأسقف إيسوذورس : الخريدة النفيسة ، ص ٤٠ ، ٤١ .

150 - جون بولنير : وصف الأرض المقدسة ، ص ٦٧ .

151 - هو الجبل الشرقي عند بيت المقدس ويشرف على المسجد الأقصى وورد أن أم المؤمنين صفية زوج النبي عليه الصلاة والسلام لما هدمت بيت المقدس صعدت هذا الجبل وقالت عند طرفه وقالت هنا يتفرق الناس يوم القيامة إلى الجنة والنار، وهذا الجبل صعد من عيسى عليه السلام إلى السماء ويسمى بجبل الخمر. مجير الدين الحنبلي العليمي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، تحقيق : عدنان يونس عبد المجيد ، عمان ،١٩٩٩ ، جزاءين ، الجزء الثاني ، ص ٦٠، ٦١.

152 - دانيال : رحلة حج ، ص ٢٨٩.

153 - يولنس فوقاس: رحلة في الأراضي المقدسة ،ص ٣٩٢.

154 - ثيودريك: وصف الأماكن المقدسة ، ص ٣٤٧.

155 - لودولف سوخم : وصف الأرض المقدسة ، ص ٣٦٦.

- ولمزيد من المعلومات حول أسلوب تسميته بجبل الضياء انظر فابري : جولاته ، ص ٦٢٠ -٦٢٢ .

156 - ثيودريك: وصف الأماكن المقدسة ،ص ٣٤٧.

157 - دانيال : رحلة حج ٢٨٩.

158 - ثيودريك: وصف الأماكن المقدسة ، ص ٣٤٨.

159 - جون بولنير : وصف الأرض المقدسة ، ص٦١- ٦٢ .

160 - فابري : جولاته ، ص ٦١٢ .

161 - لودولف سوخم : وصف الأرض المقدسة ، ص ٣٦٦.

162 - جون بولنير : وصف الأرض المقدسة ، ص٦١.

163 - ثيودريك: وصف الأماكن المقدسة ، ص ٣١٨ .

164 - seigneur d' Anglure : Le saint voyage , p18.

165 - لودولف سوخم : وصف الأرض المقدسة ، ص ٣٦٦.

166 - فابري : جولاته ، ص ٦١٢ ، ٦٠٩ ، ٩٠٩ .

167 - جون بولنير : وصف الأرض المقدسة ، ص ٦٢ .

168 – ثيودريك: وصف الأماكن المقدسة ، ص ٣٤٨ .
169 – لودولف سوخم : وصف الأرض المقدسة ، ص ٣٦٦.
170 – تسمى "المجدلية الثالثة" بعد القديسة مريم المصرية التي دعيت بالمجدلية الثانية عاشت في إنطاكية في القرن الخامس ، وقد تحولت من حياة الشر والدنس إلى حياة التقوى النسكية وتزيّت بزيّ رجل وانطلقت إلى أورشليم تحمل اسم "بيلاجوس". وهناك سكنت في مغارة تمارس حياة الوحدة في جبل قرنطول. توفيت حوالي عام ٤٦٠م.

http://www.senksar.com

171 – ثيودريك: وصف الأماكن المقدسة ص ٣٤٨ .
172 – بوانس فوقاس: رحلة في الأراضي المقدسة ، ص٣٩٢.
173 – فابري : جولاته ، ص ٦٢٥.
174 – لودولف سوخم : وصف الأرض المقدسة ، ص ٣٦٦– ٣٧٧ .
175 – فابري : جولاته ، ص ٦٠٥ .
176 – Canon Casola: Pilgrimmage, p 246.
177 – فابري : جولاته ، ص ٦٠٦ .
178 – seigneur d' Anglure : Le saint voyage , p19.
179 – لودولف سوخم : وصف الأرض المقدسة ، ص ٣٦٧.
180 – حاج مجهول : رحلات غربية – ٥، ص ٣٣ .
181 – فابري : جولاته ، ص ٥٩٦– ٥٩٧.
182 – جون بوانير : وصف الأرض المقدسة ، ص ٨.
183 – seigneur d' Anglure : Le saint voyage , p 19.
184 – فابري : جولاته ، ص ٦٢٦.

للقديس مرقص الانجيلي وولد لأبوين من أثرياء اليهود في مدينة قورينة الليبية وبعد مولده بقليل هاجرت أسرته إلى فلسطين ، وتبع السيد المسيح وكان بيته مركزا للجماعة المسيحية واحتفل السيد المسيح في بيته بعيد الفصح وبعد صعود السيد للمسيح إلى السماء أصبح بيته مكانا لاجتماع التلاميذ .
سمير فوزي : القديس مرقس وتاسيس كنيسة الإسكندرية ، ترجمة نسيم مجلي ، القاهرة ١٩٩٩ م ، ص ٢٦–٢٧.

185 – ذكر البعض أن جسد السيدة العذراء غير موجود بالقبر إذ هناك اعتقاد ديني بأنه عند اليوم الثامن لدفنها نظر في القبر فلم يكن به الجثمان وأنها رفعت إلى السماء.
يوحنا فورزبرج: وصف الأراضي المقدسة ، ص ٨٨.
– حاج مجهول : هذا هو الطريق إلى الأرض المقدسة (خلال القرن الثاني عشر)، الموسوعة الشامية في الحروب الصليبية ، الجزء السابع والثلاثين رحلات غربية ص ص ٢١–٢٥، ترجمة سهيل زكار ، ، دمشق ١٩٩٩ ، ص ٢٤.
187 – لودولف سوخم : وصف الأرض المقدسة ، ص ٣٦٢ .
188 – حاج مجهول هذا هو الطريق إلى الأرض المقدسة ٢٤.
189 – حاج مجهول : رحلات غربية – ٤ ، ص ٢٩.

190 – بورنشارد : وصف الأرض المقدسة ، ص ٢٠٩– ٢١٠.
191 – جون بوانير : وصف الأرض المقدسة، ، ص ١٠ .
192 – أرنول : مدينة القدس ، ص ٩٠.
193 – هي ابنة الملك بلدوين الثاني و كانت زوجة الملك فولك الذي توج ملكا على مملكة بيت المقدس الصليبية عام ١١٣١م/ ٥٢٦ هـ بكنيسة القيامة وعندما توفي عام ١١٤٤م م وتولى ابنه بلدوين الثالث ولكنه كان حدثا فوقع تحت وصاية أمه ميليسانده .
محمد محمد مرسي الشيخ : الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها ١٠٩٧م–١١٤٤م الإسكندرية ١٩٩٠ ، ص ٣٦٨–٣٦٩.
سرور علي عبد المنعم : السياسة الداخلية والخارجية لمملكة بيت المقدس في عهد الملك فولك الأنجوي (١١٣١– ١١٤٣ م / ٥٢٦– ٥٣٨هـ) ، رسالة دكتوراة غير منشورة جامعة عين شمس، كلية البنات ، ٢٠٠٠، ص ٤٠ ، ٤٧.
194 – جون بوانير : وصف الأرض المقدسة ، ص ٦٠
195 – Canon Casola: Pilgrimmage, p 246.
196 – حاج مجهول: رحلات غربية – ٥، ص ٤١.
197 – بورنشارد : وصف الأرض المقدسة ، ص ٢٠٣
198 – حاج مجهول: رحلات غربية – ٥، ص ٣٤.
199 – بورنشارد : وصف الأرض المقدسة ، ص ٢١٠
200 – يوحنا فورزبرج: وصف الأراضي المقدسة ، ص ٥٩.
201 – بوانس فوقاس: رحلة في الأراضي المقدسة ، ص٣٩١ .
202 – ثيودريك: وصف الأماكن المقدسة ، ص ٣٤٢.
203 – جون بوانير : وصف الأرض المقدسة ص ١٢
204 – بوانس فوقاس: رحلة في الأراضي المقدسة ، ص ٣٩٢ .
205 – بيد المزيف: رواية عن الأرض المقدسة، ص ٧٤.
206 – يوحنا فورزبرج: وصف الأراضي المقدسة ، ص ٨٩.
207 – بوانس فوقاس: رحلة في الأراضي المقدسة ، ص٣٩٣ .
208 – سيولف: رحلة حج ، ٢٤٤.
209 – ثيودريك: وصف الأماكن المقدسة ، ص ٣٣٩، ٣٤٩.
210 – سيولف: رحلة حج سيولف، ص ٢٤٤.
211 – لودولف سوخم : وصف الأرض المقدسة ، ص٣٦٧ .
212 – جون بوانير : وصف الأرض المقدسة ، ص ٦٩.
213 – بيد المزيف : رواية عن الأرض المقدسة ، ص ٧٥ .
214 – أرنول : مدينة القدس ، ص١٠٨ .
215 – ثيودريك: وصف الأماكن المقدسة ، ص ٣٣٩–٣٤٠ .
216 – دانيال : رحلة حج الراهب الروسي دانيال : ص ٢٨٦.
217 – لودولف سوخم : وصف الأرض المقدسة ، ص٣٦٧ .

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر الأجنبية

Pilgrimmage to Jerusalem. In the year 1494 (900) . by .M. Margaret Newett B.A. Manchester. 1907.

Canon Pietro Casola

A Voyage Beyond The Seas (1346-1350)(747-751) - Trans By : Fr.T.Bellorini O.F.M And Fr.E hoade O.F.M, Jerusalem. 1945.

Far Niccolo Of Poggibonsi

The Bondage And travels Of Johann Schiltberger A native Of Bavaria, In Europe , Asia And Africa 1396 -1427 (799-831). Tms prof : Karl Frieddrich . In 1859- London MDCCCLXXIX.

Johann Schiltberger

The Travels of Martin Baumgarten A nobleman Of Germany through Egypt. Arbia. Palestine, And Syria(1507).

Martin Baumgarten

:Le saint voyage De Jherrsalem(1395 / 798) / pub. Par Francois Bonnardot & Auguste Longnon; Paris, 1878.

seigneur d' Anglure

Le Voyage d'outre'-Mer de Jean Thenaoud ., Schefer (c) Paris.1884.

Thenaud (jean)

The pilgrime Of Arnold Von harf , Trans ;Malcolm , the Haklut Society , 2nd series, 1946.

Von harf (Arnold)

ثانيا المصادر المترجمة:

رنول:

مدينة القدس (١٢٢٠م/ ٦١٧هـ)، ترجمة د. سهيل زكار ، الموسوعة الشامية في الحروب الصليبية ، الجزء السابع والثلاثون من ص ٨٧ – ١٣٤ ، دمشق ١٩٩٩.

بورتشارد:

وصف الأرض المقدسة (بعد ١٢٧١ م وقبل ١٢٩١م / ٦٧٠-٦٩٠ هـ)، ترجمة د . سهيل زكار، الموسوعة الشامية للحروب الصليبية، الجزء السابع والثلاثون، ص ص ١٣٥- ٢٤٩، دمشق من ١٩٩٩.

بيد المزيف:

رواية بيد عن الأرض المقدسة (خلال القرن الثاني عشر)، الموسوعة الشامية في الحروب الصليبية الجزء السابع والثلاثين ، ترجمة سهيل زكار، ص ص ٤٦-٧٦ ، دمشق سن ١٩٩٩.

ثيودريك:

وصف الأماكن المقدسة (بين ١١٧١ م إلى ١١٧٣م / ٥٦٧- ٥٦٩هـ) ، ترجمة د. سهيل زكار ، الموسوعة الشامية للحروب الصليبية ، الجزء الرابع والثلاثون ص ص ٣٠١-٣٧٤ ، دمشق ١٩٩٨.

جون بولنير:

وصف الأرض المقدسة (١٤٢١ م / ٨٢٤ هـ) ، ترجمة د . سهيل زكار ، الموسوعة الشامية للحروب الصليبية ، الجزء الثامن والثلاثون، القسم الأول ص ص ٤٩-٩٦، دمشق ٢٠٠٠.

حاج مجهول:

بداية وصف الأماكن المقدسة (أول القرن الحادي عشر الميلادي) ، الموسوعة الشامية في الحروب الصليبية الجزء السابع والثلاثين رحلات غربية ص ص ١١ - ١٤، ترجمة سهيل زكار ، ، دمشق سن ١٩٩٩.

حاج مجهول:

رحلات غربية-٤ (خلال القرن الثاني عشر)، الموسوعة الشامية في الحروب الصليبية الجزء السابع والثلاثين ، ترجمة سهيل زكار ، ص ص ٢٦ - ٣٠ ، دمشق سن ١٩٩٩

حاج مجهول:

هذا هو الطريق إلى الأرض المقدسة (خلال القرن الثاني عشر)، الموسوعة الشامية في الحروب الصليبية ، الجزء السابع والثلاثين رحلات غربية ص ص ٢١-٢٥، ترجمة سهيل زكار، دمشق سن ١٩٩٩.

حاج مجهول:

رحلات غربية-٥ (قبل سنة ١١٨٧م/٥٨٣هـ)، ترجمة سهيل زكار، الموسوعة الشامية في الحروب الصليبية ، ص ص ٣١-٤٥ الجزء ٣٧

حاج مجهول:

وصف الأرض المقدسة (خلال القرن الثاني عشر)، الموسوعة الشامية في الحروب الصليبية الجزء السابع والثلاثين رحلات غربية ص ص ٧٧-٨٢ . ترجمة سهيل زكار ، ، دمشق سن ١٩٩٩.

داتيال:

رحلة حج الراهب الروسي داتيال (١١٠٦ – ١١٠٧ م / ٥٠٠ - ٥٠١هـ)، ترجمة د. سهيل زكار، الموسوعة الشامية للحروب الصليبية، الجزء الحادي والثلاثين ص ص ٣٢١- ٣٣٦، ط دمشق سن ١٩٩٨

سيولف:

رحلة حج سيولف إلى القدس، ١١٠٢-١١٠٣م (٤٩٦- ٤٩٧ هـ)، ترجمة د. سهيل زكار، الموسوعة الشامية للحروب الصليبية، الجزء الحادي والثلاثون، دمشق سنة ١٩٩٨.

فيلكس فابري:

جولات الراهب فيلكس فابري ورحلاته (حوالي ١٤٨٠ - ١٤٨٣م / ٨٨٥ - ٨٨٨ هـ)، ترجمة سهيل زكار - الموسوعة الشامية للحروب الصليبية، الجزء الثامن والثلاثون، القسم ١، ٢، ٣ في ص ص ٩٧ - ١٤٨٤، دمشق، سنة ٢٠٠٠.

لودولف فون سوخم:

وصف الأرض المقدسة (١٣٥٠م / ٧٥١هـ)، ترجمة د. سهيل زكار، الموسوعة الشامية للحروب الصليبية، الجزء السابع والثلاثون، ص ص ٢٥١-٢٩٠، دمشق ١٩٩٩.

يوانس فوقاس:

رحلة في الأراضي المقدسة (١١٨٥م / ٥٨١هـ)، ترجمة د. سهيل زكار، الموسوعة الشامية للحروب الصليبية، الجزء الرابع والثلاثون ص ص ٣٧٥-٤٠٤، دمشق ١٩٩٨.

يوحنا فورزبرج:

وصف الأراضي المقدسة في فلسطين (ما بين ١١٦٠ - ١١٧٠م / ٥٥٦ - ٥٦٦ هـ)، ترجمة: د. سعيد عبدالله البيشاوي، الأردن، عمان، سنة ١٩٩٧.

ثالثا: المصادر العربية:

الإدريسي: أبو عبدالله محمد بن عبدالله (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٤م)

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق-نسخة الكترونية-من مكتبة المصطفى الالكترونية.

ابن تميم المقدسي:

شهاب الدين أبي محمود (ت ٧٦٥ هـ)

منير الغرام إلى زيارة القدس والشام، تحقيق أحمد الخطيبي، بيروت ١٩٩٤

مجير الدين الحنبلي العليمي:

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي أبو اليمن مجير الدين العمري (ت ٩٢٨هـ).

الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد، عمان، ١٩٩٩، جزءان.

العماد الكاتب الاصفهاني:

أبو عبدالله محمد بن صفي الدين (ت ٥٩٧هـ)

الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد محمود صبح، القاهرة ٢٠٠٣ م

المقدسي البشاري:

أبو عبدالله محمد (ت ٣٨٧ هـ/٩٩٧م).

أحسن التقاسيم لمعرفة الأقاليم، نسخة الكترونية من موقع مكتبة المصطفى الالكترونية.

ناصر خسرو علوي:

سفرنامة، ترجمة د. يحي الخشاب، القاهرة ١٩٩٣.

ياقوت الحموي:

شهاب الدين أبو عبد الله (٦٢٦هـ/١٢٢٨م).

معجم البلدان، سبعة أجزاء، ط بيروت بدون تاريخ.

الخزرجي و الدلال (بين الدور و الدارات و الديرة) جزءان - الجزء الثاني تحقيق يحي زكريا عبارة و محمد أديب جمران، طبعة دمشق ١٩٩٨.

رابعا: المراجع العربية:

الأسقف فيسودورس، الجريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة، إعداد وتعليق د. ميخائيل مكسي، ط القاهرة ٢٠٠٢.

الآباء بطرس الجميل وآخرون:

السنكسار الجامع لأخبار الأنبياء والرسل الشهداء والقديسين، الجزء الثاني، القاهرة ١٩٧٢.

جوزيف نسيم يوسف:

في تاريخ الحركة الصليبية، الإسكندرية ١٩٨٩.

حسنين محمد ربيع:

دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، القاهرة ١٩٨٢م.

رأفت النبراوي:

السكة الإسلامية في مصر عصر دولة المماليك الجراكسة، القاهرة ١٩٩٣م

سرور علي عبد المنعم:

السياسة الداخلية والخارجية لمملكة بيت المقدس في عهد الملك فولك الأنجوي (١١٣١- ١١٤٣ م / ٥٢٦- ٥٣٨هـ)، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة عين شمس، كلية البنات، ٢٠٠٠.

سعيد عبد الفتاح عاشور:

الحركة الصليبية، جزءان، ط ٤، القاهرة ١٩٨٦، الجزء الأول.

سمير فوزي:

القديس مرقس وتأسيس كنيسة الإسكندرية، ترجمة نسيم مجلي، القاهرة ١٩٩٩ م

طارق منصور محمد:

قطوف الفكر البيزنطي، الجزء الأول، الأدب، القاهرة ٢٠٠١.

عارف العارف:

المفصل في تاريخ القدس، الجزء الأول، ط ٥، القدس سنة ١٩٩٩.

عبد الله الحلو:

تحقيقات تاريخية لغوية في الأسماء الجغرافية السورية استنادا للجغرافيين العرب . بيروت ، ١٩٩٩.

محمد محمد مرسي الشيخ:

الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها ١٠٩٧م-١١٤٤م الإسكندرية ١٩٩٠ : ص ٣٦٨-٣٦٩.

مصطفى شيحة:

المقدسات والمآثر الإسلامية في القدس ، بحث مقدم ضمن أعمال الندوة العالمية حول القدس وتراثها الثقافي في إطار الحوار الإسلامي - المسيحي ، الرباط ١٩٩٣م

ميخائيل مكسي اسكندر:

القدس عبر التاريخ ، القاهرة ، ١٩٧٢.

ميشيل بالار:

الحملات الصليبية والشرق اللاتيني ، من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر ، ترجمة بشير السباعي ، القاهرة ط١ س ٢٠٠٢.

نبيلة إبراهيم مقاسي:

فرق الفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، القاهرة ١٩٩٤م.

القدس والمدن الشامية في ميزان الحضارة الإسلامية خلال القرن ٨ هـ / ١٤ م

د. حياة ناصر الحجي (*)

أولاً : مقدمـــــة

انفردت الحضارة الإسلامية التي شهدها مجتمع سلطنة المماليك في مصر والشام بمميزات خاصة. ولعل السبب في هذا التميز هو الظروف المختلفة التي لحاولت بظهور سلطنة المماليك. ويأتي تأثير الحروب الصليبية التي حمل فيها السلاطين المماليك الأوائل راية الجهاد الإسلامي على رأس الأسباب التي أثرت في اكتساب هذه الحضارة طابعا خاصا. كما أن اختفاء الخلافة العباسية التي انهارت بسقوط بغداد سنة ١٢٥٨م تحت أقدام المغول. أعطى المماليك صبغة شرعية فريدة. علاوة على ذلك كان لهجرة الجماعات الذمية، من المدن العربية والأجنبية، إلى مصر أثر كبير في ظهور تأثيرات حضارية مختلفة في بلاد النيل.

بالإضافة إلى ذلك، يعتبر وجود المماليك في السلطة عنصراً فعالاً في ظهور نمط حضاري مختلف، حيث تلقى هؤلاء تدريبا متفوقا، إضافة إلى تعليم ديني مفصل ومكثف، مما أدى إلى ظهور طبقة من الفرسان المتعلمين. إلى جانب ذلك كان لنظرة الناس إلى المماليك على أنهم طائفة من الأتراك الأجانب رد فعل إيجابي عند المماليك القابضين على مقاليد السلطة، فعمل كل في موقعه على تأكيد انتمائهم الديني الإسلامي، وذلك من خلال العمل على تطبيق مبادئ الشريعة السمحاء قولا وفعلا. ففتحت المدن المصرية مؤسسات لنشر العلم، وتأهيل العلماء، فذاع صيت مدن تدر ذكرها من قبل، مثل "قوص" في مصر العليا، التي أصبحت مركزا تعليميا مشهورا .

كما أسهم رواد هذه الحضارة الإسلامية لأول مرة في تأليف الموسوعات العلمية، مثل "لسان العرب" لابن منظور ، وكذا الأمر مع "مسالك الأبصار" لابن فضل الله العمري.

(*) أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب جامعة الكويت.

وتهاية الأرب" للنويري، تلك الموسوعة الفذة التي قل أن نجد لها نظيراً عند أية حضارة من الحضارات السابقة.

وقد حظي عصر سلاطين المماليك بوجود عدد كبير من العلماء والفقهاء والقضاة والباحثين عن العلم والمعرفة، فتهيأت بذلك أرض خصبة للتفوق الحضاري. وقد نجح السلاطين المماليك في أن يوجدوا رابطة قوية مع تلك الطبقة المثقفة، عن طريق إنشاء المؤسسات الدينية والتعليمية. وكما كانت الثروة الطائفة هي الركيزة الاقتصادية التي قام عليها ذلك البناء الثقافي، كان نظام الوقف هو الأساس الذي ضمن لهذا البناء صفة الدوام والاستمرار.

ونتيجة لهذا كله تشعبت الجهات التي كان للأوقاف إسهام في تمويلها والصرف عليها. ولكي يمكن الإشراف على كافة تلك المجالات الوقفية، اجتهدت السلطنة المملوكية في إيجاد جهاز إداري ووظيفي كامل، تمتد تخصصاته لتشمل كافة جزئيات هذا النظام. وقد شارك سلاطين وأمراء دولة المماليك، والقضاة والعلماء والفقهاء وأغنياء المجتمع، في إنشاء المراكز الدينية والتعليمية والصحية والاجتماعية. وقد نجح السلاطين المماليك من خلال الأوقاف في أن يؤكدوا الصفة الشرعية لحكمهم.

ومن جانب آخر، عزز هذا النشاط الوقفي الكبير في سلطنة المماليك الشعبية التي تمتع بها عدد كبير من السلاطين في ذلك العصر. فالأوقاف في الأصل صدقة لمساعدة الفقير واليتيم والمحتاج، ومن ثم كان جزء كبير من تلك الأوقاف المملوكية يهدف إلى أعمال البر والخير، وإعانة تلك الطبقة الفقيرة، وبخاصة في المناسبات الدينية. كما ساعد نظام الوقف الحكام المماليك على توفير الرعاية الصحية للشعب بمختلف طبقاته دون تمييز، بل تم إنشاء كليات متخصصة في تدريس الطب، كما اجتهد المقتدرون في وقف أسبلة الماء في مختلف البلاد، طلباً للأجر والثواب. كما أنشئت الجوامع والمساجد لأهل الدين لممارسة الشعائر الدينية، والاستفادة فكرياً ومعنوياً من الاجتماع بطبقة الفقهاء والمثقفين دينياً، إلى جانب أن هذه الجوامع والمساجد كانت تؤدي وظيفة المدرسة، حيث يجتمع طلاب العلم بقضاة المذاهب الإسلامية الأربعة.

وكانت الأوقاف هي مصدر الصرف والإنفاق على هذه الجوامع والمساجد، التي كان يبالغ في عمارتها وزخرفتها، ويعنى عناية كبيرة باختيار من يقوم بالتدريس فيها والقيام على خدمتها، وبخاصة الإشراف على خزانة الكتب التي حواها الكثير من الجوامع.

بالإضافة إلى ذلك وفرت الأوقاف ريعاً وافياً وثابتاً للمدارس التي أكثر المماليك من إنشائها، وامتازت بكثرتها وفخامتها وضخامة بنائها، مثل المدرسة

الناصرية. وقد كانت تلك المدارس ذات فائدة عظيمة للشعب، ووثقت تلك الرابط التي جمعت بين أصحاب السلطة وطبقة العلماء والمتعلمين.

كذلك كانت الأوقاف هي مصدر الإنفاق على الخانقاوات والأربطة والزو حيث قامت هذه المراكز الدينية والتعليمية والتهذيبية، فمي المجتمع العملي المنافع الجليلة للشعب بمختلف طبقاته وصفاته. ومن ناحية أخرى كانت هذ المراكز جهازاً قائماً بذاته، محققاً نوعاً من الاكتفاء الذاتي في المعيشة، ونشا حيوياً في مختلف العلوم النظرية والتطبيقية، وعوناً للمحتاجين من مختلف طبق المجتمع.

ومن المؤكد أن وفرة المصادر المخطوطة، التي كتبت في ذلك العص برهان حي على عمق الاهتمام بالتعليم. إلى جانب بروز أعلام في الفكر والعلم مازالت أفكارهم مصدراً لكثير من الدراسات في العصر الحديث، مثل المفكر أحمد عبد الحليم بن تيمية.

كذلك تميزت سلطنة المماليك، خلال هذه الحقبة، بنظام قضائي اخ بتنظيم إداري فريد، ورتب مراكز التدرج في السلم الوظيفي القضائي، وطبق مع تكافؤ الفرص تبعاً لمبدأ الاستحقاق والمقدرة، وجزأ الإدارات وقسمها في كا النواحي والأقاليم والمدن، وخصص أوقاتاً مناسبة للعمل العلمي، والخد الاجتماعية، والعطاء التعليمي على حد سواء، فكان نظاماً شاملاً متكاملاً ومعط بل إن النظام القضائي، في أثناء تلك العهد، انفرد بـ "بروتوكول" خاص يذ توافره في أغلب العصور الإسلامية السابقة. وازدهرت المدن خلال حقبة حك المماليك لازدهاراً كبيراً، مثل القاهرة، والإسكندرية التي وصفها ابن فضل العمري بأنها: "مدينة جميلة ذات طرق معبدة وفاكهة رخيصة"، وقوص الميد الأكثر أهمية في مصر العليا، كما كانت سوقاً مهماً للتجار من عدن، إلى جا دمشق وبيروت وطرابلس في بلاد الشام، حيث نعمت هذه المدن بالرخاء الاقتص والاستقرار الإداري.

بالإضافة إلى ذلك حرص أصحاب السلطة على توطيد علاقتهم بعا الناس، من خلال كثير من الأعمال التي كان لها بالغ الفعالية في تطوير الأوض الداخلية في المجتمع، في ظل الحكم المملوكي. ويأتي على رأس هذه الأعمال: السلطان في توفير الأمان والحماية والسلام لعامة الناس، وبخاصة الطبقات الفا حيث يجتهد في رفع الظلم عنهم، وتوفير المواد الغذائية الرئيسية في الأسواق مدار العام بأسعار معقولة. بالإضافة إلى الحرص على النظر في الشكاوى ال يرفعها المظلومون إلى مجلس دار العدل، مع العمل على الحد من تطاول ك الأمراء المماليك على مصالح الناس وحقوقهم. كما عنى السلاطين المما

بتأسيس المرافق العامة والإنشاءات المهمة لخدمات الري والزراعة والمواصلات مثل الجسور والقنوات والسدود والسواقي والبحيرات الصناعية. إلى جانب عناية بعض السلاطين المماليك بإلغاء العديد من المكوس والضرائب؛ التي كانت تثقل كاهل الطوائف المسحوقة. كذلك حظيت الطبقة المتوسطة، في مصر وبلاد الشام، بحرية كبيرة في البيع والشراء، في الأسواق المختلفة في المدن والثغور، مما كان له بالغ الأثر على تطور أوضاعها المعيشية. فالأوضاع الاقتصادية لهذا المجتمع لعبت دوراً بارزاً في إنعاش كافة مظاهر الحياة، بحيث كان محتماً أن يتطور المجتمع المملوكي في الفترات التي ازدهرت فيها حياته الاقتصادية بكافة جوانبها وفروعها، وبخاصة من خلال تلك العلاقات التجارية التي ربطته بدول العالم المعاصر آنذاك. وكان الهدف الرئيسي، الذي نشط السلاطين المماليك لتحقيقه، يكمن في إغراء تجار الشرق على جلب بضائعهم إلى موانئ وثغور مصر والشام، ثم تشجيع تجار أوروبا على التردد على الأسواق المملوكية لشراء حاصلات الشرق. فحصل التجار الأوروبيون على تسهيلات في كثير من الأمور، حتى زادت أعداد من يأتي إلى الأسواق المملوكية منهم بشكل كبير. وكانت دولة المماليك حريصة على جلب الخشب والحديد والبارود من الأسواق الأوروبية، في حين رغب الأوروبيون في شراء البضائع الشرقية، من توابل وكارم وفلفل وعطور وبخور وحرير، وغير ذلك من البضائع الخفيفة الحمل الغالية الثمن.

وتشيد المكتبات التاريخية التي تتناول طبيعة الأحوال الاقتصادية في سلطنة المماليك، إبان هذا العهد، بالنشاط التجاري الكبير المتبادل بين مملكة أراغون ودولة المماليك، وازدياد تنقل التجار بين أسواق هذه الممالك، وازدهار نشاط التبادل التجاري بشكل واسع.

لقد كانت التجارة مصدر ثروة طائلة للأمراء والسلاطين معاً. أما الأهالي فكانوا ينتفعون من دورهم في التجارة كوسيط في المعاملات التجارية، وبما كانوا يتقاضونه من أجور لاشتغالهم في نقل البضائع، أو استخدام دوابهم، أو تقديم خدمات للتجار في الفنادق وبيع الأطعمة والمشروبات. وأما سلاطين المماليك فكانت خزائنهم تفيض بما كانوا يجنونه من التجارة بمختلف البضائع. ويمكن تقدير قيمة ما كان يعود على مصر من الفوائد المادية من التجارة، إذا علمنا أن البضائع عندما كانت تخرج من الإسكندرية يكون قد بلغ ثمنها ما يقرب من أربعة أمثال ثمنها الأصلي.

لقد كانت ممالك أراغون وقشتالة وصقلية سباقة إلى عقد الاتفاقيات الاقتصادية والمعاهدات الدبلوماسية مع سلطنة المماليك، لتحقيق المكاسب الوفيرة والمصالح السياسية. بل إن الملك شارل الرابع ملك فرنسا؛ سارع إلى تغيير

سياسته الصليبية، واستبدل بها سياسة التقرب إلى سلطنة المماليك. وهكذا توافد السفراء الأوروبيون إلى البلاط المملوكي لتوطيد علاقات الصداقة. وكان على رأس هؤلاء المرسل شخصيات تمثل البابا يوحنا الثاني والعشرين، تؤكد رغبته في علاقات السلام والمودة مع المماليك. وبذلك شهد التاريخ الإسلامي في عصر المماليك عهداً جديداً يتسم بصبغة التبادل الدبلوماسي، والمراسلات الودية بين الدول المسيحية وسلطنة المماليك، التي ظلت حريصة كل الحرص على حماية الأرض الإسلامية جميعها من أي خطر يظهر في الأفق.

ومما زاد هذه العلاقات عمقاً وتأكيداً؛ إيمان السلاطين المماليك في تلك الفترة بأثر علاقات السلام والسفارات الدبلوماسية وروابط المودة في تحقيق فوائد جليلة لكل الأطراف، تفوق كثيراً ما قد تجلبه الحروب وميادين القتال من كروب وهزائم وخسائر جسيمة، مع أملهم في أن تحقق تلك الرغبات الصادقة الكثير من قواعد التعاون الاقتصادي في مختلف الميادين، فكان من نتيجة ذلك ظهور عصر ذهبي من العلاقات الدبلوماسية والسفارات الرسمية بين دول ذلك العصر.

لقد شهد البلاط المملوكي قدوم سفراء الإمبراطورية البيزنطية، ومملكة أراغون، ومملكة قشتالة، ومملكة صقلية، وأرمينيا الصغرى، ومملكة مغول القفجاق، ومملكة مغول فارس، ومملكة النوبة، ومملكة جورجيا، حيث حرص كل هؤلاء على تنمية العلاقات الاقتصادية والسياسية بين ممالكهم وسلطنة المماليك.

ثانياً : نيابة الشام :

ويتفق مؤرخو العصر المملوكي على أنه بعد عودة الناصر محمد من الكرك، كي يتولى زمام حكم دولة المماليك للمرة الثالثة، أصدر مرسوماً بتعيين تنكز الحسامي نائباً للشام عوضاً عن الأمير جمال الدين آقش الأشرم، وذلك في ربيع الثاني سنة ٧١٢هـ/آب ــ أغسطس سنة ١٣١٢م.

وينبغي الإشارة هنا إلى أن المجهودات الكبيرة التي قام بها تنكز الحسامي في بلاد الشام، حيث كان دائم الإحسان إلى الرعايا، كربما مع المختصين، مهتماً بالنهوض بمختلف النشاطات الدينية والتعليمية، منتبهاً للارتقاء بالشئون الإدارية، عفيفاً أميناً، عادلاً في التعامل مع مختلف فئات الشعب، من المسلمين والذميين على حد سواء، إلى جانب عنايته البالغة بعمارة المساجد والمدارس والمرافق العامة. وفي هذا الموضوع يذكر ابن حجر : "وعمر بدمشق جامعاً بحكر السماق في غاية الحسن، وتربة، وداراً، وحماماً، ومسجداً، ومكتبة أيتام، بجوار إمرته بالخواصين ودار بيوان نحو القليجية وبيمارستان بصفد، وربطاً وحمامين بالقدس، وسماق

الماء، إلى المسجد وقيسارية، وجدد القنوات بدمشق، وجدد عامة الزوايا والمدارس والربط ووسع الطرق، وأصلح الرصيف... وفي ولايته أمره الناصر بعمارة قلعة جعبر، فاجتهد في ذلك حتى عمرت في أسرع مدة، وتوجه إليها حتى شاهدها ورتب أمورها."[1]

كما تفانى تنكز الحسامي في عمل كل ما يمكن أن يحقق للمجتمع السكاني الرخاء والاستقرار، والطمأنينة، من ذلك على سبيل المثال — ما يشير إليه ابن حجر من أعمال تنكز الجيدة في خدمة المجتمع "أنه نظر في أوقاف المدارس والجوامع والمساجد والخوانق والزوايا والربط فمنع أن يعرف لأحد جامكية لم يقم شعثها فعمرت كلها في زمانه أحسن عمارة، وأمر بكنس الأوساخ التي في مقاسم المياه التي تحلل الدور، وفتح منافذها وكانت قد سدت، فكان الوباء يحصل بدمشق كثيراً بسبب العفونات، فلما صنع ذلك زال ما كان يعتادهم في كل سنة من كثرة الأمراض، فكثر الدعاء له. وأجرى العين على بيت المقدس بعد أن كان الماء بها قليلاً، وأقاموا في عملها سنة، وبنى لها مصنعاً سعته مائة ذراع، وأكثر من فكاك الأسرى، وأعظم ربح التجار الذين يجلبونها، وجمع للكلاب فألقاها في الخندق، واستراح الناس من أذاهم، وهدم أماكن كثيرة استجدت في أسواق دمشق ضيقت الطرقات من باب جسر الحديد إلى باب الفراديس."[2]

بالإضافة إلى ذلك "هدم أماكن كثيرة كانت استجدت في أسواق دمشق فضاقت بها الطرق فانتفع الناس بذلك"[3] وعدم لأصحابها شيء كثير فلم يتجاسر أحد أن ينكر عليه."[4] وهكذا نجد أن تنكز الحسامي كان مخلصاً في النهوض بأوضاع المجتمع الإسلامي، بذلاً من أجل ذلك العمال والجهد المتواصل لكي يصبح ذلك المجتمع في صورة تتناسب مع الدخل العالي والنشاط الاقتصادي الذي كانت تحظى به بلاد الشام حينذاك.

ويمكننا القول بأن بلاد الشام أصبحت في نيابة تنكز الحسامي ولاية مستقلة بوضعها الإداري، حيث حكم تنكز هذه الولاية بسلطة مطلقة، وصلاحيات واسعة في الإدارة والحكم والعلاقات الداخلية مع بقية الولايات الشامية، فأحسن تنكز استغلال هذه السلطات غير المحدودة إلى أقصى درجة حتى غدت بلاد الشام في السنوات العشر الأخيرة من نيابته ولاية قائمة بذاتها من كافة النواحي الاجتماعية والعسكرية والاقتصادية والإدارية، ولا يربطها بالحكومة المركزية، في القاهرة الناصري، سوى روابط التبعية الرسمية والولاء الصادق، وهنا وحده يكفي إذا ما عرفنا طبيعة شخصية تنكز الحسامي وحرصه البالغ على خدمة هذه الولاية، طالما كانت هذه الخدمة تؤدي في النهاية إلى تدعيم كافة صلاحيات الحكم والسلطة لدى الناصر محمد. ولعل إدراك الناصر محمد لوجود هذا الحرص الصادق عند تنكز، من أجل

تأكيد سلطانه، من أهم الأسباب التي أدت إلى توثيق الروابط بينهما لما فيه مصلحة الهدف المشترك.

ويؤكد المقريزي ما ذكره الصفدي حول سياسته في بلاد الشام وحرصه على العمارة والإصلاح فيقول :

"وكان تنكز رحمه الله في نيابة دمشق قد أزال المظالم وأقام منار الشرع وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، وأزال ما كان بدمشق وأعمالها من الفواحش والخانات والخمارات، وبالغ في العقوبة على ذلك حتى قتل فيه. وأنصف العامة والتجار بخلاص حقوقهم من الأمراء، وحملهم مع أخصامهم إلى الشرع، واحتجب عن الاجتماع بالشاميين وغيرهم، وامتنع من قبول التقادم والهدايا جملة. وتتبع المدارس والمساجد والأوقاف فعمرها جميعاً، ومنع مستحقيها من تناول ريعها حتى كملت عمارتها. وجدد عدة أماكن قد دثرت أوقافها، وأعاد فيها وظائف المعلمات بعدما بطلت. وجدد عمارة الجامع الأموي وعمر أوقافه، وأصلح تقاسيم المياه بعدما كانت فاسدة، ونظف مجاريها ووضح طرقها، وهدم الأملاك التي استجدها الظالمون وضيقوا بها الشوارع والطرق المسلوكة، وألزم والي المدينة أن يعلمه بمن شرب الخمر من الأمراء وأولادهم، فتعذر وجود الخمر في أيامه، ولم يكن يوجد. واستجد ديواناً للزكاة وصرفها للفقراء والمساكين وأرباب البيوت، وانكفت الولاة في أيامه عن الظلم، وأحبته العامة، ومنع الأمراء من تسخير الفلاحين والمزارعين في أعمالهم ومنعهم أيضاً من الاجتماع في الفرج والمتنزهات وغيرها، فصاروا إذا ركبوا في المواكب لا يقدر أحد منهم أن يكلم رفيقه، وإذا صاروا إلى بيوتهم لا يستطيع الواحد أن يجتمع بالآخر، وإذا خرج تنكز إلى سفر لا يتأخر منهم أحد، سواء قال له اخرج أو لم يقل له. ومنع أكابر الأمراء أن تترجل له لو تعشى في خدمته."[5]

بالإضافة إلى ذلك حصل تنكز الحسامي على سلطة الاطلاع والتدخل في طبيعة العلاقات القائمة بين الناصر محمد ونواب الولايات الشامية، بحيث لا يمكن أن يصدر أمر دون مشاورته، أو يرجع في قرار دون مراجعته والأخذ برأيه، مما يدل على مدى الصلاحيات التي تجمعت في يده طوال ثمان وعشرين سنة دون مناقض أو معوقات. إضافة إلى ذلك، أصبح له كل الحق في القبض على من يريد من الأمراء في الشام، وإطلاق سراح المعتقل منهم دون أن يخشى معارضة السلطان الناصر محمد أو رفضه لهذا الأمر أو ذاك، وهذا كله ينبئ عن الثقة المطلقة التي كان الناصر محمد يحملها له، إلى جانب ما كان يكنه له من المعزة والاحترام.

وفي هذا كله تأكيد لعدد من الملاحظات التي تميز بها حكم تنكز لبلاد الشام:

١- النفوذ السياسي الكبير الذي حصل عليه تنكز طوال فترة نيابته في بلاد الشام.

٢- حرص تنكز الحسامي على فرض سلطانه على النواب الآخرين في بلاد الولايات الشامية، مثل : حلب وحماة وغزة وصفد وغيرها.

٣- لتساع المنطقة التي حكمها تنكز بتفويض رسمي من الناصر محمد، حتى امتد نفوذه شمالاً إلى سيس وملطية والقلاع الرومية والأرمينية، فتحولت هذه المناطق إلى إقطاعات زراعية ندر الإنتاج الوفير، وتكون بالتالي مورداً اقتصادياً من موارد الدخل في بلاد الشام.

٤- طموح تنكز الحسامي ليكون الحاكم الأعلى في الشام دون أدنى مناقسة من أي نائب أو أمير، كما كان حريصاً أن يأخذ بهذا الحكم المطلق تفويضاً سلطانياً رسمياً، يعطيه حقوقاً مطلقة في إدارة البلاد دون منازع.

كما شيدت ثلاثة جوامع في دمشق هي : جامع تنكز الحسامي، وجامع كريم الدين الكبير، وجامع شمس الدين غبريال. وكان التجديد والتنظيم في الجوامع والمساجد مستمراً، ولم يقتصر على الهندسة المعمارية، بل شمل أوقاف هذه المؤسسات الدينية وجميع العاملين فيها من علماء وفقهاء.

ثالثاً: القـــدس:

(١) الموقع التاريخي:

يجمع الانتساب إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام بين العرب واليهود، مع إن إبراهيم ذاته لم يكن يهودياً أو مسيحياً، حيث عَبَدَ الله وحدهُ، ثم جاء الإسلام لكي يقدس البقاع الطاهرة في القدس، حيث قبة الصخرة التي تحتل منزلة قدسية عند المسلمين، كونها المكان الذي صعد منه النبي محمد (ص) إلى السماء.

لقد تم فتح القدس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب سنة ١٧هـ/٦٣٨ م، حيث توجه الخليفة عمر بعدها إلى بلاد الشام، ليعقد اتفاقاً مع كبار الشخصيات في القدس ينص على صك جزية، وينم عن خلق كريم : أن يحظى المسيحيون في القدس بحماية كاملة، مع فحرية المطلقة في العبادة في أي مكان وزمان، وأن يدفعوا جزية رمزية أقل بكثير مما كانوا يدفعونه للروم، وبعدها دخل الخليفة عمر إلى القدس، حيث أمر ببناء مسجد الصخرة الشريفة. وهكذا غدت الأماكن الدينية اليهودية والمسيحية تحظى بحماية الحكام المسلمين، بل إن الخلفاء العباسيين أصدروا الكثير من الامتيازات التي حظي بها رجال الدين المسيحيون في القدس[6]. ولكن هذا السلام الداخلي، الذي حظيت به القدس، بدأ بالتراجع مع استحواذ السلاجقة على السلطة في القدس سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م، ثم بعد ذلك السيطرة على دمشق بعد خمسة أعوام، ناهيك عن تعرض القدس للتهديدات الرومية، حتى انتهى

ذلك الوضع بتمكن سلطة التركمان فيها، وحينذاك تعرض أهل المدينة لمعاملة مختلفة لما اعتادوا عليه خلال العهود الإسلامية الأولى، ولكن تلك الفوضى الداخلية انتهت بقدوم الصليبيين[7] والاستيلاء على القدس في شعبان سنة ٤٩٢ هـ / يونيو- تموز سنة ١٠٩٩ م، لكي يتعرض العديد من الرجال والنساء والأطفال المسلمين واليهود، على حد سواء، لمذبحة قاسية قضت عليهم جميعاً[8].

إن التعصب والعنف الذي مارسه الصليبيون في هذه البقاع؛ يختلف كثيراً عما اعتاد عليه سكان بلاد الشام من التعايش السلمي بين جميع الطوائف على مر القرون[9]. وقد انتهى هذا الاحتلال الصليبي بالانتصار الكبير الذي حققه صلاح الدين الأيوبي في حطين سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، ليدخل القدس ويتم هذا الفتح العظيم تحت راية الإسلام. وعلى الرغم من المحاولات الصليبية العديدة من أجل استعادة القدس؛ إلا أن جميع هذه المحاولات فشلت، لتصبح القدس من أجمل نيابات بلاد الشام في العصر المملوكي. وتعد محاولة الملك الفرنسي لويس التاسع[10] الذي استقر أربع سنوات في الساحل السوري، من أكبر المحاولات الصليبية لاستعادة القدس، إلا أنها باءت بالفشل، بل كان فشلها إيذاناً ببدء الفتوحات الإسلامية لمدن بلاد الشام على أيدي المماليك[11]. لقد استطاع السلطان الظاهر بيبرس [٦٥٨ـــ٦٧٧هـــ/١٢٦٠ـــ١٢٧٧م] أن يفتح أنطاكية سنة ٦٥٩هـ/١٢٧٨م[12]، ثم أعقبه نجاح السلطان المنصور قلاوون في فتح طرابلس سنة ٦٨٨هـ/١٢٨٩م[13]، وأخيراً كلل السلطان الأشرف خليل هذه الانتصارات بفتح آخر معقل في "مملكة القدس اللاتينية"، وهو فتح عكا سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م[14].

(٢) الثقل الاجتماعي:

تكمن الأهمية الدينية للقدس عند المسلمين كونها تحتضن الصخرة الشريفة التي صعد منها النبي محمد (ص) إلى السماء، وعند المسيحيين كونها تضم كنيسة القيامة التي تشمل القبر المقدس، كما تحوي كنيسة المهد، حيث نطق النبي عيسى (عليه السلام) بالكلام وهو رضيع في المهد . وعند اليهود كونها تشتمل على مذبح النبي داود (عليه السلام)، وحائط النبي سليمان (عليه السلام)؛ وقد عاش المسيحيون واليهود والمسلمون معاً، على مر القرون، يمارسون عباداتهم في الأماكن المقدسة الخاصة بكل فئة منهم، دون إحساس بالغربة أو الظلم، فالقدس ملتقى الأديان على مر العصور. لقد كانت القدس قبلة المسلمين وظلت كذلك تحت حكم الروم، واستمرت تحت سيطرتهم سنوات بعد تغيير القبلة، حيث الكعبة المشرفة في مكة المكرمة في ١١ صفر سنة ٢هـ/١٢ فبراير ـــ شباط ٦٢٤ م. لقد كان الخليفة الراشد عمر بن الخطاب أول حاكم مسلم يزور القدس بعد فتحها، بل ويدخل

كنيسة للقيامة، تعبيراً عن التسامح الإسلامي تجاه جميع الديانات السماوية، وذلك في عام ١٧هـ/٦٣٨ م. وعلى الرغم من أن المسجد الأقصى، الذي أمر الخليفة عمر بن الخطاب ببنائه[15]، كان متواضعاً، فقد ازدهر هذا المسجد اتساعاً وعمراناً أيام الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان وولده الخليفة الوليد[16]، حيث بنى الخليفة الوليد بن عبد الملك في المسجد الأقصى عدة قباب، وسمى كل واحدة منها باسم وهي: قبة المعراج، وقبة الميزان، وقبة السلسلة، وقبة المحشر[17]. واستمرت القدس تحظى باهتمام الحكام المسلمين، حيث منح الخليفة العباسي هارون الرشيد الكثير من الامتيازات لرجال الدين اللاتي في القدس[18].

وقد تم لصلاح الدين فتح بيت المقدس سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، حيث أقيمت صلاة الجمعة بعد توقف قارب على القرن، وخطب القاضي محي الدين بن الزكي خطبة بليغة، دعا فيها للخليفة العباسي الناصر والسلطان صلاح الدين. وأمر صلاح الدين بترخيم المحراب العمري القديم، وحمل منبر جميل إليها من حلب، حيث نصب بالمسجد الأقصى، وغسلت الصخرة بعدة أحمال ماء ورد وبُخرت وفرشت، ورتب في المسجد من يقوم بوظائفه، وجعلت به مدرسة للفقهاء الشافعية[19]. وبعد هذا الفتح الكبير اجتهد السلطان صلاح الدين في عمارة القدس[20]. علاوة على ذلك أوقف ثلث نابلس لمصالح القدس[21].

وقد حاول الصليبيون مراراً وتكراراً استعادة بيت المقدس، كما حدث في السنوات ٥٩٤هـ/١١٩٧م وسنة ٦٠٠هـ/١٢٠٣م إلا أن جميع محاولاتهم باءت بالفشل الذريع والهزائم المنكرة[22]، وحتى عندما استولى الصليبيون على دمياط سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م في عهد السلطان الكامل الأيوبي، وخشي الحكام المسلمون وقائدهم سقوط القدس في أيدي الصليبيين مرة أخرى، ولكن الماضي لم يتكرر نتيجة لتحد المسلمين، بل إن الفرنجة جميعهم غادروا دمياط بعد سنة واحدة وعشرة أشهر وأربعة وعشرين يوماً[23].

لقد كان انقسام البيت الأيوبي هو السبب الرئيسي وراء موافقة السلطان الكامل على وضع كنيسة القيامة وكنيسة المهد في القدس، وكذلك مدينتي بيت لحم والناصرة تحت الرعاية الدينية لرجال الدين اللاتي في القدس، من خلال اتصالاته الدبلوماسية مع الإمبراطور فردريك الثاني Frederic II [24] عام ٦٢٦هـ/١٢٢٨م[25]. ولكن هيمنة الصليبيين على الأماكن الدينية في القدس لم تستمر طويلاً، حيث دخل القائد الأيوبي الناصر داود القدس سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م لتعود مرة أخرى بكافة مرافقها الدينية والاجتماعية تحت راية الحكم الإسلامي[26].

وقد تكرر هذا الخذلان من بيت الحكم الأيوبي سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٤م، حيث تمكن الفرنجة أو الصليبيون من الاستيلاء على طبرية وعسقلان، وعاثوا بالمسجد

الأقصى، ولكن السلطان الصالح نجم الدين أيوب تمكن، بمساعدة الخوارزمية وبعض القادة المماليك مثل الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري، من تحقيق النصر على العدو واستعادة السيطرة على تلك الأماكن الإسلامية[27]. ويبدو أن فكرة الإعتداءات على القدس أدت إلى خراب سورها، فأمر السلطان الصالح نجم الدين أيوب بإعادة عمارة سور القدس من حصيلة إنتاج القدس الزراعية، ومن خزانة الدولة في مصر، حتى يعود السور إلى مثانته السابقة[28].

وتُعد زيارة السلطان الصالح نجم الدين أيوب إلى بلاد الشام، سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م، من أكثر الزيارات التي عادت على البلاد بالخير، حيث تصدق على المدارس والربط وأصحاب البيوت الدينية، وعلى المحتاجين في دمشق وبعلبك وبصرى والقدس، بآلاف الدنانير[29].

وقد أولى السلاطين المماليك عناية كبيرة بالقدس، ففي سنة ٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م بعث الظاهر بيبرس بالصناع والآلات لعمارة قبة الصخرة بالقدس وكانت قد ضعفت[30]. وفي عام ٦٦١هـ/١٢٦٢م قام السلطان الظاهر بيبرس بزيارة القدس، حيث اطلع على أحوالها وأدرك ما يحتاج إليه المسجد الأقصى من العمارة، كما أحصى الأوقاف وأصدر مرسوما بحمايتها، وخصص مبلغ خمسة آلاف درهم يصرف سنوياً على مصالح المسجد[31].

كما يلاحظ أن الظاهر بيبرس أمر في ذات السنة ٦٦١هـ/١٢٦٢م بإنشاء خان بالقدس الشريف لابن السبيل، وفوض بناءه إلى جمال الدين محمد بن نهار، ونقل إليه من القاهرة بابا كان على بعض القصور [باب العيد]، ولما تم أوقف عددا من البقاع من قرى وأعمال القدس، حيث يمكن أن توفر تلك الأوقاف، لمن ينزل في ذلك الخان من المسافرين المشاة، الأكل ومصروف الجيب مع إصلاح نعالهم، كما بني به طاحونا[32]، وقد قرئ كتاب وقف الخان بمدينة القدس سنة ٦٦٢هـ/١٢٦٣م في مجلس السلطان الظاهر بيبرس بقلعة الجبل، وحضر قاضي القضاة ابن بنت الأعز قراءته، وكتب به عدة نسخ[33]. ثم أوقف الظاهر بيبرس عدة قرى بأعمال الشام والقدس، لصرف ريعها إلى من يرد على هذا الخان بالقدس من المشاة، مع مبلغ من المال كما سبق القول، كذلك أنشأ إلى جانب الطاحون فرنا، وجعل النظر في ذلك كله للأمير جمال الدين محمد نهار[34].

وفي ذي الحجة سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٦م نزحت بئر السقاية التي بالقدس واشتد عطش الناس، فنزل شخص على البئر فإذا قناة مسدودة، فأعلم الأمير علاء الدين الحاج الركني نائب القدس، فأحضر الأمير علاء الدين بنائين وكشف البناء، فأفضى بهم على قناة تحت الصخرة المشرفة، فوجدوا هناك بابا مقنطرا قد سد، ففتحوه فخرج منه ماء كاد يغرقهم، فكتب الأمير علاء الدين إلى السلطان الظاهر

بيبرس، حيث أطلعه على مجريات الوضع، وأن الصناع نقبوا ذلك السد طيلة عشرين يوماً ثم وجدوا سقفاً مكلفت أي: مقوى بألواح خشبية مربوطة بالقمائل والقار، فنقبوا فيه مسافة مئة وعشرين ذراعاً فخرج الماء وملأ القناة[35].

وفي سنة ٦٧١هـ/١٢٧٢م عندما علم السلطان الظاهر بيبرس أن الشيخ خضر بن أبي بكر العدوي المهراني دخل كنيسة القيامة في القدس وذبح قسيسها بيده، بينما نهب تلاميذه ما كان فيها؛ استدعاه الظاهر بيبرس إلى القلعة، حيث تم التحقيق معه في الواقعة وبعدها تم اعتقاله[36]، حيث توفي في حبسه، ولكن الظاهر بيبرس – لمكانة هذا الشيخ في نفسه – قام ببناء زاوية له في القدس[37].

وعندما عقد السلطان المنصور قلاوون اتفاق الهدنة مع حكام عكا وأتباعهم من الصليبيين في ٥ ربيع الأول سنة ٦٨٢هـ/٣ يوليو – تموز سنة ١٢٨٣م، كانت القدس وجميع أعمالها من الأماكن التي حرص المنصور قلاوون على أن يذكرها بين البلاد الواقعة تحت حكمه[38].

لقد حرص السلاطين المماليك دائماً على حسن رعاية أهل الذمة في القدس، سواء من السكان أو من القادمين للحج وزيارة كنيسة القيامة وكنيسة المهد والناصرة وبيت لحم، ولهذا السبب يلاحظ أنه عندما عقد المنصور قلاوون معاهدة الهدنة مع ملك أراغون الفونس الثالث [١٢٨٥هـ/١٢٩١م] وأخيه ملك صقلية جيمي Jaime في يوم الثلاثاء ١٣ ربيع الآخر سنة ٦٨٩هـ/٢٣ أبريل – نيسان سنة ١٢٨٩م، يلاحظ أن المنصور قلاوون حرص على أن تتضمن المعاهدة السماح للحجاج المسيحيين من مملكة أراغون وصقلية وبلاد إخوتهم ومعاهديهم بالقدوم إلى الأراضي المقدسة في القدس، بحيث يكون مع الحاج المسيحي كتاب من ملك أراغون، ويحمل ختمه، إلى نائب السلطان قلاوون بالقدس أو حاكمها الإداري، فيحظى الحاج بالأمان والرعاية حتى عودته إلى بلاده[39]. وكل هذا يؤكد حرص المنصور قلاوون على سلامة سلطنة المماليك وسلامة الأراضي المقدسة في القدس. كما يدل من جانب آخر على التسامح الديني الذي اتصف به السلاطين المماليك، دون تطرف أو تزمت، والذي ينبثق من إيمانهم بحق أصحاب كل عقيدة سماوية بممارسة عباداتهم دون تضييق أو تعنت من أي جانب، بل إن أولويات الحكم، الهادف إلى الاستقرار، هو الإيمان بحق الآخرين في ممارسة عقائدهم وطقوسهم دون أي مضايقة أو إجحاف[40].

ومن اللافت للنظر أنه في نسخة الهدنة التي تمت في وثيقة مكتوبة، أرسلها حاكم جنوة مع رسوله ألبرت لسبينولا إلى السلطان المنصور قلاوون، في مايو – أيار سنة ١٢٩٠م، اعترف حاكم جنوة بأن المنصور قلاوون "سلطان القدس والبلاد المقدسة"[41]. ولعل في هذا اعترافاً ضمنياً بحسن سياسة المنصور

قلاوون في القدس، ولول كان الوضع عكس ذلك لربما استدعى هجمة صليبية أخرى.

بالإضافة إلى ذلك قدم رسل الحبشة إلى مجلس المنصور قلاوون سنة ٦٨٩هـ/١٢٩٠م "لأجل البيت المقدس"[42] حيث حملوا معهم ثوب عمل الحبشة ومائة شمعة للوقود في الهياكل[43] إلى جانب طلب تعيين مطران أو بطريق لكنيسة أو بطركية الحبشة، مما يدل على أواصر متينة مبنية على الثقة بين سلطنة المماليك والحبشة.

ويبلغ من سماحة المنصور قلاوون أن رسل الحبشة استمرت في القدوم لزيارة القدس وكنيسة القيامة فيها حاملين معهم الهدايا وهي : "ثوب أحمر ديباج ومائة شمعة"[44] وأيضاً بعض من ثياب ملك الحبشة وزاره[45] للملكي لكي يذكره القماوسة والرهبان في كنيسة القيامة في صلواتهم فيحظى بالأجر والثواب[46]. وكل هذه المواقف والحوادث تثبت أن كون سلطنة المماليك الحاكم الرسمي والفعلي لشاون القدس؛ جعلها محط أنظار العالم المسيحي في أفريقيا وآسيا وأوروبا.

كذلك بنى للصاحب تاج الدين الصاحب فخر الدين بن سليم المصري [ت٧٠٧ هـ / ١٣٠٣ م] – الذي تولى الوزارة في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون – رباطاً بالقدس[47]. كما بنى الأمير علاء الدين الطنبغا الصالحي العلائي رباطاً جميلاً في القدس وأجرى الماء إلى الحرم القدسي[48]. بالإضافة إلى ذلك اعتنى كبار رجال القرن ٨هـ/١٤م بعمل أعمال البر والمعروف في القدس[49]. وفي عام ٧١٣هـ/١٣١٣م أصدر السلطان الناصر محمد بن قلاوون مرسوماً بجريان الماء من عين بئر الخليل إلى القدس، وبناءً عليه بدئت إجراءات هذا المشروع، حيث وفرت له كل المواد اللازمة لإنجازه بإشراف الأمير علم الدين سنجر الجاولي، الذي باشر العمل باهتمام واجتهاد كبيرين حتى وصل الماء إلى بيت المقدس، واستفاد سكان القدس منه[50]. وبعد سنوات قليلة، وبالذات سنة ٧١٧هـ/١٣١٧م، قام الناصر محمد بن قلاوون بزيارة القدس والخليل[51]، مما يدل على عمق مكانتهما في نفسه. وقد كان في القدس آثار قلعة قديمة أصبحت خراباً، فجددها الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م، وكثرت فيها "المدارس والربط والحمامات والأسواق وغيرها"[52]. وكان بعض علماء سلطنة المماليك يرحلون إلى القدس طلباً للعلم، مثل الشيخ العالم جمال الدين أبو بكر محمد بن أحمد البكري الوائلي الذي توفي سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٦م[53].

ويبدو إن الاستقرار الداخلي، والسلام الذي حظيت به القدس، كان عاملاً مهماً في جذب عدد من علماء العصر المملوكي للاستقرار فيها طلباً للراحة والهدوء، بعد حياة حافلة بطلب العلم والتأليف والتدريس[54].

لقد كانت القدس دائماً، لمكانتها الروحانية العظيمة والسلام الذي يغمرها كونها ملتقى الأديان، الملجأ الأخير الذي يأوي إليه العلماء الزهاد طلباً للسكينة في السنوات الأخيرة من حياتهم[55]. وكان علماء العصر يزورون المسجد الأقصى وقبة الصخرة طلباً للبركة وزيادة في التقوى، حيث زارها المؤرخ الحسن بن عمر بن حبيب[56].

وقد تولى وظيفة الخطابة في المسجد الأقصى في القدس عدد من كبار الشخصيات الفقهية مثل: بدر الدين محمد بن جماعة الذي أصبح فيما بعد قاضي القضاة[57] في مصر، وكذلك قطب الدين عبد المنعم بن يحيى بن إبراهيم القرشي القدسي[58].

لقد اقتنع الحكام المسلمون دائماً بمبدأ احترام الديانات السماوية الأخرى، وحق أهل الذمة نصارى ويهوداً، في ممارسة عباداتهم في حرية وأمان، ولعل هذا السبب الرئيسي الذي جعل الناصر محمد بن قلاوون عام ٧٠٥هـ/١٣٠٥م يستقبل رسول الإمبراطورية البيزنطية، المبعوث من قبل الإمبراطور أندرونيق الثاني باليولوجوس Andronicus II [١٢٨٢- ١٣٢٠ م] ومعه رسول الكرج[59]، حيث حملوا إليه هدايا وكتاباً يتضمن الشفاعة في فتح كنيسة القيامة بالقدس لزيارة الكرج لها، مع الوعد أن الكرج تكون في طاعة السلطان وعوناً له متى احتاج إليهم، فأمر السلطان الناصر محمد بفتح الكنيسة، ففتحت ورجع الرسل إلى بلادهم مكرمين[60].

كذلك عمل الأمير تنكز الحسامي على إجراء عين ماء في القدس سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٨م، حيث اشتغل عليها الصناع سنة كاملة، وبنوا لها حوضاً كبيراً سمكه نحو ماشي ذراع، وركب لها في الجبل مجاري حفرت في الحجر حتى دخل الماء إلى القدس، فكان يوم الانتهاء من العمل بها وبدء الإفادة منها يوماً مشهوداً. بالإضافة إلى ذلك أنشأ تنكز بالقدس أيضاً خانقاه للصوفية وحمامات وقيسارية، فعمرت القدس بهذه المنشآت الاجتماعية[61].

رابعاً. الأهمية الحضارية:

تجدر الإشارة هنا إلى الأهمية الحضارية التي تبوأتها المدن الشامية الأخرى إبان هذه الفترة. ويأتي على رأس هذه المدن الشامية دمشق، وهي مدينة تاريخية عريقة غنية عن التعريف، وذلك لدورها الواضح والمهم في التاريخ السياسي والحضاري في الدولة الإسلامية، ويكتفي هنا بالتركيز على دورها في هذا النشاط التجاري الدولي في سلطنة المماليك، حيث عرفت بثراء تجارها، وتنوع سلعها، وجمال معروضاتها، الأمر الذي أثار دهشة التجار الأوروبيين وإعجابهم. ومن أبرز الصناعات التي تفوقت بها دمشق صناعة الحلوى، والمنسوجات،

والأواني النحاسية المطعمة بالفضة، إلى جانب صناعة الزجاجيات والمطرزات والعطور[62]. وقد كانت دمشق مقصداً للتجار الغربيين من البندقية وجنوا وفلورنسا وبرشلونة وغيرها، وكانوا يقيمون في فنادقهم الخاصة، ومن أشهرها فندق البنادقة[63]. كما كان في دمشق قنصل للبنادقة[64].

أما حلب المدينة الثانية في بلاد الشام من حيث حجمها، وأهميتها العسكرية ونشاطها الاقتصادي، فكانت بمثابة سوق غنية بشتى أنواع البضائع والمنتوجات مثل: الحرير والتوابل والأحجار الكريمة والصابون والزجاج والسكر والقطن، ومن ثم أصبحت مركز جذب للتجار الأوروبيين[65] الذين كانت لهم فنادقهم الخاصة[66]. كما كان في حلب قنصل للبنادقة[67].

وفي الساحل الشامي ازدهرت بيروت وطرابلس، حيث أقبل التجار البنادقة والجنوية على هاتين المدينتين الساحليتين، للحصول على البضائع الثمينة، من الكارم والسكر والأصباغ والحرير والقطن[68]. وقد استفاد التجار الأوروبيون من موضوع إطلاق سراح الأسرى المسلمين في الحصول على تسهيلات في معاملاتهم التجارية، وإجراءات قدومهم إلى الثغور الشامية، فيذكر المقريزي ضمن حوادث سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٧م : "وفي هذه السنة قدم إلى ميناء بيروت من سواحل الشام تجار الفرنج بمائة وأربعين من أسارى المسلمين"[69]. وقد كان للبندقية قنصل في بيروت وآخر في طرابلس[70].

وفي مجال التجارة الداخلية : وجد في سلطنة المماليك ما يمكن أن يطلق عليه "البضائع السلطانية" أي تلك الكميات من بضاعة معينة تجلب من بلاد الشام إلى مصر بناءً على أمر سلطاني شريف مثل : ظاهرة جلب الأغنام من البلاد الشامية إلى مصر بكميات كبيرة، تنفيذاً لأمر الناصر محمد بن قلاوون[71]. وكذلك الثلج كان ينقل في ثلاث مراكب، من دمشق وطرابلس إلى دمياط في عهد الظاهر بيبرس، ثم يحمل من دمياط إلى الشرابخاناه على ظهور البغال السلطانية. وفي عهد الناصر محمد بن قلاوون أصبح الثلج ينقل من دمشق إلى القاهرة براً عبر بيسان، وغزة، والصالحية، وبلبيس إلى القلعة على ظهور الجمال. ولاشك أن أعداداً كبيرة كانت تستفيد من عمليات نقل هذه البضائع السلطانية[72] بين المدن الكبرى في سلطنة المماليك، ويلاحظ أن العلاقات التجارية بين القاهرة ودمشق كانت نشطة إلى درجة كبيرة، فقد ضمت القاهرة أسواقاً خاصة للتجار الشاميين وبضائعهم[73]. إلى جانب الفنادق الفخمة، مثل فندق مسرور الذي كانت تنزله أعيان التجار الشاميين بتجاراتهم[74]. وكذلك "وكالة قوصون"، أي فندق قوصون، التي كان تنزلها التجار ببضائع الشام من الزيت والشيرج والصابون والدبس والفستق والجوز واللوز والخرنوب[75]. وكانت البضائع الشامية تنقل على ظهور المراكب والجمال إلى

مصر[76]. وهكذا شهدت بلاد الشام تكاملاً اقتصادياً له آثاره الإيجابية الواضحة في تاريخ سلطنة المماليك.

خامساً: آراء الرحالة المسلمين والأوروبيين:

وقد أثار هذا البناء الحضاري والتمازج الإنساني اهتمامات الرحالة المسلمين والأوروبيين، فقدموا إلى أقاليم ومدن سلطنة المماليك، حيث سجلوا الكثير من الآراء والملاحظات. ويمكن الإشارة هنا إلى بعض هذه الآراء، منها على سبيل المثال : كتابات الرحالة ابن بطوطة عن زيارته إلى مصر والشام في عهد حكم السلطان الناصر محمد بن قلاوون [٧٠٩ - ٧٤١هـ/١٣٠٩-١٣٤٠م]، حيث ذكر بعض الأعمال التي نفذها الناصر محمد لخدمة الرعية، كما حرص على إبراز تفوق النظام القضائي الذي يعتبر بحق الصفحة البيضاء في تاريخ مصر والشام في ظل حكم المماليك، كذلك أشاد ابن بطوطة بكفاءة علماء العصر البارزين في مصر والشام[77].

علاوة على ذلك سجل هذا الرحالة المغربي انطباعاته الشخصية عن جمال المدن الشامية، مثل مدينة طرابلس في النصف الأول من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي عند زيارته لها، حيث يقول: "وهي إحدى قواعد الشام، وبلدانها الضخام، وتخترقها الأنهار، وتحفها البساتين والأنهار، ويكتنفها البحر بمرافئه العميقة، والبر بخيراته المقيمة، ولها الأسواق العجيبة، والمسارح الخصيبة، والبحر على ميلين منها، وهي حديثة البناء، وأما طرابلس القديمة فكانت على ضفة البحر"[78]. وهكذا توزعت اهتمامات ابن بطوطة بين النظم المتصلة بأمور الرعية وعلمائها وبين جمال المدن الشامية.

ولا يقتصر هذا الاهتمام بجمال المدن على ابن بطوطة وحده، فقد أعجب الرحالة ناصر خسرو بمدينة طرابلس: ووصف المزارع والبساتين التي كانت تحيط بها، وكيف كانت تجود بأفضل أنواع الخضروات[79].

بالإضافة إلى ذلك، حرص الرحالة الأوروبيون على الإشادة بما شاهدوه في مدن سلطنة المماليك، ومن بينهم الرحالة الفرنسي ميشو "Michaud" الذي بين الأهمية الكبيرة لمدينة طرابلس والأنهار التي تجري في أراضيها[80].

كذلك كتب رحالة آخرون عن جمال طرابلس، وحسن منازلها، وعظمة جوامعها، وازدهار أسواقها، وفخامة حاناتها، مع كثرة أعداد سكانها[81].

وبذلك كان رحالة العالم حينذاك هم المرآة التي يعرف منها الناس نوعية المدن في البقاع المختلفة، وميزاتها، والأفضلية بينها، واهتمامات سكانها، وقيمها التاريخية والحضارية.

كذلك من المدن الشامية التي أثارت اهتمامات الرحالة المسلمين : مدينة حماة التي كان لها طابع حضاري جميل متفرد، لم يستطع أولئك الرحالة أن يتجاوزه في كتاباتهم. فيقول عنها ابن بطوطة في رحلته: "إحدى أمهات المدن الشامية الرفيعة، ولها ربض سمي بالمنصورية أعظم من المدينة، فيه الأسواق الحافلة"[82].

أما الرحالة ابن جبير: فيذكر عن حماة أنها حسنة التنظيم، بديعة التقسيم، ولها جامع كبير، وثلاث مدارس وبيمارستان، كما تضم قلعة كبيرة على أحد جانبيها. كذلك كانت كثيرة الصناعات والتجارات[83] . علاوة على ذلك أثارت مدينة حماة اهتمام الرحالة الاصطخري، فأشار في كتابه: "مسالك الممالك" إلى كثرة الماء والزرع في حماة[84] .

وهكذا كان للرحالة المسلمون يتجولون في أقاليم البلاد الإسلامية، فيحسون بمشاعر الانتماء إلى العالم الإسلامي، كما يعيشون واقع الإدراك بالأخوة الإسلامية، وهذا بداية إحساس الإنسان بانتمائه إلى هذا العالم الذي بدأ منذ ذلك الوقت يصغر تدريجيا، وتقترب المسافات، فيشعر الإنسان أينما كان بأنه في بلده وبين أهله ومجتمعه. كما أن التنقل بين الأقطار يعمق الإحساس بالإنسانية، وأهمية تحقيق مبادئ الديانات السماوية في الحرية والعدالة والمساواة، وضرورة العمل الجماعي لما فيه مصلحة البشرية في كل مكان.

ومن جانب آخر يذكر الرحالة الاصطخري عن مدينة حمص : أنه كان بها كنيسة بعضها مسجد جامع وبعضها كنيسة. وهي من أعظم كنائس الشام"[85] وهذا يدل على عمق مشاعر التسامح الديني عند الطوائف المختلفة. كما إنه من المؤكد أن كتابات هؤلاء الرحالة تعد بمثابة شهادات تكشف عن وضع أهل الذمة في المجتمع الإسلامي في ظل حكم المماليك، حيث حظوا بنصيب كبير من الحرية الدينية والعدالة الاجتماعية والأنشطة الاقتصادية.

وهكذا تفاوتت اهتمامات الرحالة وكتاباتهم بين المشاهدات العلمية والآراء الشخصية، في العديد من الموضوعات التي عنوا بتسجيلها. إلى جانب ذلك انفرد هؤلاء الرحالة بالموضوعية، بحكم أن الرحال، سواء أكان مسلما أم غير مسلم، ليس واحدا من أهل البلاد، ومن ثم كان رأيه فيما يرى، ويشاهد، ويلمس موضوعيا مجردا، ليس وراءه مصلحة أو بغية أو ضغينة. وعلى ذلك فإن الباحثين في تاريخ الدول المختلفة عبر العصور؛ يعتدون بآراء هؤلاء الرحالة ويستندون عليها فيما يدونونه من تصورات في كثير من الموضوعات التاريخية والحضارية.

ومن ناحية أخرى عني الحكام في مختلف البلاد باستقبال هؤلاء الرحالة، وحسن وفادتهم، والعمل على راحتهم، فلا يرى الرحالة الضيف إلا ما يسر خاطره ويرضي نفسه، فينعكس ذلك على كتاباته وملاحظاته عن تلك البلاد ومجتمعها.

وبذلك كان هؤلاء الرحالة بمثابة قوة تسجيلية لا يستهان بها في تلك الأزمنة، كما تبقى كتاباتهم محط اهتمام الباحثين في كل زمان ومكان، وعند معالجة العديد من الموضوعات الإنسانية.

المصادر والمراجع

أولا - مصادر ومراجع عربية

أبو شامة : شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت٦٦٥هـ/١٢٦٧م)

الروضتين في أخبار الدولتين، جزءان، نسخة مصورة، دار الجيل، بيروت.

ابن أبي الفضائل : مفضل

النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، ج٢، ٣، تحقيق: أ. بلوشيه، باريس، ١٩٢٨م.

ابن إياس : محمد بن أحمد (ت٩٣٠هـ/١٥٢٤م)

بدائع الزهور في وقائع الدهور، ٣ أجزاء، القاهرة، ١٨٩٣ ــ ١٨٩٦.

ابن بطوطة : محمد بن عبد الله (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م)

تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار "رحلة ابن بطوطة"، تحقيق: د. علي المنتصر الكتاني، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٧٥م.

البلاذري : أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ)

فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، بيروت، مؤسسة المعارف، ١٩٨٧م.

ابن تغري بردي : أبو المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ/١٤٧٠م)

- حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، جزآن، تحقيق: ويليام بوير، لوس أنجلوس، ١٩٣٠-١٩٤٢م.

- المنهل الصافي، والمستوفى بعد الوافي، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٥٦م.

- مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، بإشراف: ج.د. كارليل، طبعة أوروبا، ١٧٩٢م.

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٢ جزءا، القاهرة، ١٩٢٩-١٩٥٦م.

- الدليل الشافي على المنهل الصافي، جزءان، تحقيق: فهيم محمد علوي شلتوت، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٨.

ابن جبير : محمد بن أحمد الأندلسي (ت٦١٤هـ/١٢١٧م)

رحلة ابن جبير، بيروت، ١٩٤٩م.

الحجي : حياة ناصر

- Internal Affairs in Egypt During the Third Reign of Sultan Al-Nasser Mohammad Bin Qalawun 709-741/1309-1341.

(رسالة الدكتوراه، طبعت على حساب جامعة الكويت في عام ١٩٧٨م)، والطبعة الثانية صدرت في عام ١٩٩٥م. والطبعة الثالثة صدرت في عام ٢٠٠٠م.

- العلاقات بين سلطنة المماليك والممالك الأسبانية في القرنين الثامن والتاسع الهجريين/الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، (حائز على جائزة معرض الكتاب المقدمة من مؤسسة الكويت للتقدم العلمي عام ١٩٨١م).

- السلطان الناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف في عهده مع تحقيق ونشر وثيقة وقف سرياقوس، الكويت، ١٩٨٢م.

- السياسة الصليبية للملك الظاهر لودس التاسع، الطبعة الأولى، الكويت، ١٩٨٤م.

- أحوال العامة في حكم المماليك ٦٨٧ـ٧٨٤هـ/١٢٧٩ـ١٣٨٢م دراسة في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، الطبعة الأولى، الكويت، ١٩٨٤م. والطبعة الثانية صدرت عام ١٩٩٤م.

- دراسات في تاريخ سلطنة المماليك في مصر والشام، الطبعة الأولى، الكويت، ١٩٨٦م.

- صور من الحضارة العربية الإسلامية في سلطنة المماليك، الطبعة الأولى، الكويت، ١٩٩٢م.

- أنماط من الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في سلطنة المماليك في القرنين الثامن والتاسع الهجريين/الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، الطبعة الأولى، منشورات جامعة الكويت، الكويت، ١٩٩٥م.

- صفحات من تاريخ الكويت في ظل الاحتلال العراقي [أغسطس ١٩٩٠م ـ فبراير ١٩٩١م دراسة وثائقية تاريخية]، الطبعة الأولى، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ١٩٩٥م.

- السلطة والمجتمع في سلطنة المماليك فترة حكم السلاطين المماليك البحرية من سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م إلى سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م [دراسة تاريخية وثائقية في واقع الممارسات المختلفة السلطانية والأميرية]، الطبعة الأولى، منشورات جامعة الكويت، الكويت، ١٩٩٧م.

ابن حجر : أحمد علي (ت٨٥٢هـ/١٤٤٩م)

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ٥ أجزاء، القاهرة، ١٩٦٦م.

- قضاء الفقر في أثناء العمر، جزءان، حيدر آباد، ١٩٧٦م.

خسرو : ناصر (ت٤٨١هـ/١٠٨٨م)

سفرنامة، ترجمة: يحيى الخشاب، بيروت، ١٩٧٠م.

الدواداري : أبو بكر بن عبد الله بن أيبك (معاصر للناصر محمد بن قلاوون)

كنز الدرر وجامع الغرر:

١ ج٨ الدرة الذكية في أخبار الدولة التركية: تحقيق: و. هارتمان، القاهرة، ١٩٧١م.

٢ ج٩ الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر، تحقيق: هـ. ر. روبمر، القاهرة، ١٩٦٠م.

رنسيمان : ستيفن

تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: الباز العريني، ٣ أجزاء، بيروت، ١٩٦٩م.

زكي النقاش

العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والإفرنج خلال الحروب الصليبية، بيروت، ١٩٥٨م.

زيتير شتين

تاريخ سلاطين المماليك، نشرة كارل ف. زيتير شتين، ليدن، ١٩١٩م.

السخاوي : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ/١٤٩٧م)

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ١٢ جزءاً، القاهرة، ١٣٥٣ـ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٤ـ ١٩٣٦م.

- الشر المسبوك في ذيل السلوك: القاهرة، ١٨٩٦م.

السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)

حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، جزءان، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٦٧ـ١٩٦٨م.

الاصطخري : أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (٤هـ/١٠م)

مسالك الممالك، طبعة ليدن، ١٩٢٧م.

الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)

تاريخ الأمم والملوك تاريخ الطبري، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م.

عاشور : سعيد عبد الفتاح

العصر المماليكي في مصر والشام، القاهرة، ١٩٦٥م.

ابن عبد الظاهر : محيي الدين أبو الفضل عبد الله (ت٦٩٢هـ/١٢٩٢م)

تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق: م. كامل، القاهرة، ١٩٦١م.

علي : عبد الحليم محمود

الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، الطبعة الثانية، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٢م.

ابن العماد : عبد الحي أحمد (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٩م)

شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٨ أجزاء، القاهرة، ١٩٣١ـ١٩٣٢م.

القلقشندي : أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)

- مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ٣ أجزاء، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، الكويت، ١٩٦٤م.

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ١٤ جزءا، القاهرة، ١٩١٣ـ١٩٢٢م.

الكتبي : محمد بن شاكر (ت٧٦٤هـ)

عيون التواريخ، تحقيق: فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود، سلسلة كتب التراث (٩٠)، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٠م.

ماجد : عبد المنعم

العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، بيروت، ١٩٦٦م.

المقريزي : أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤٢م)

- البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق: م. عابدين، القاهرة، ١٩٦١م.

- إغاثة الأمة بكشف الغمة، حمص، ١٩٥٦م.

- الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، القاهرة، ١٨٩٥م.

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار "الخطط المقريزية"، جزءان، القاهرة، ١٨٥٣م.

- كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ٢ تحقيق: محمد مصطفى زيادة، ج٣، ٤ تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، ١٩٣٩ـ١٩٧١م.

- كتاب المقفى الكبير، ٨ أجزاء، تحقيق: محمد اليعلاوي، بيروت، ١٩٩١م.

المسعودي : أبو الحسن (ت٣٤٦هـ)

مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: عبد الأمير علي مهنا، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٩٩١م.

ابن منقذ : أسامة

الإعتبار، حرره: فيليب حتي د.ف.، برنستون، ١٩٣٠م.

النويري : أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٢هـ/١٣٣٢م)

نهاية الأرب في فنون الأدب، ٣٠ جزءا، تحقيق: د. محمد عبد الهادي شعيرة، د. محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٢٣ـ١٩٩٠م.

هايد : فلهام

تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة: أحمد رضا، القاهرة، ١٩٨٥م.

ثانياً - المصادر الأجنبية:

D'ariveux, Laurent,

Voyageurs D'orient, 2 vols., Tom II "MEMOIRES", Introduction, Notes et Index, Par ANTOINE ABDEINOUR, Beyrout, 1982.

Esquisitu, Mario,

Itinerarium Symonis Ab Hybernia Ad Terram Sanctam,Dublin, 1960.

Al-Hajji, Hayat Nasser,

The Internal Affairs in Egypt During the Third Reign of Sultan Al-Nassir Muhammad B. Qalawun 709-741 A.H./1309-1341 A.D., Second Edition, Kuwait, 1995.

P. M. Holt, Ann K. Lambton & Bernard Lewis,

The Cambridge History of Islam, 2 vols, 4 parts, Cambridge University Press, 1970.

Kammerer, A. Albert,

Le Regime et la Status des Estrangers en Egypt, Tom 15, Cairu, 1929.

Poliak, A.N.,

- Feudalism in Egypt, Syria, Palestine and Lebanon, London, 1939.

- Some notes on the Fedal System of the Mamluks, Journal of the Royal Asiatic society, 1937, pp. 97-107.

Lapidus, Ira Marvin,

Muslim Cities in the later Middle Ages, Harvard Univ., Press, Cambridge, Massachusetts, 1967.

Michaud,
Correspondence D'orient (1830-1831), 8 vols., Bruxlles, 1841.

الهوامش

(1) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص ٥٧-٦١ .

(2) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص ٥٩.

(3) المصدر السابق، ص ٥٧.

(4) المصدر ذاته.

(5) المقريزي، السلوك، ج٢، ص ٥٠٩ ــ ٥١١.

(6) لتفاصيل فتح القدس وزيارة الخليفة عمر بن الخطاب انظر: البلاذري، فتوح البلدان؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر؛
Holt and others: The Cambridge History of Islam, vol. 1, part A, pp.44, 62, 118.

(7) لمزيد من التفاصيل انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ.

(8) Holt and others, The Cambridge History of Islam, vol. 1, part A, pp. 194-196.

(9) Ibid, p. 197.

(10) المقريزي، السلوك، ج١، ص ٣٣٥ ــ ٣٦٣.

(11) انظر: الحجي، السياسة الصليبية للملك الفديس لويس التاسع.

(12) النويري، نهاية الأرب، ج٣٠، ص ٤٥.

(13) النويري، المصدر السابق، ج٣١، ص ٤٦.

(14) لمزيد من التفاصيل انظر: النويري، المصدر السابق، ج٣١، ص ١٩٥ــ٢٠٠.

(15) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ١٠١.

(16) المصدر نفسه.

(17) القلقشندي، المصدر السابق، ج٤، ص ١٠٢.

(18) Holt and others, The Cambridge History of Islam, vol. 1, part A, p. 208.

(19) المقريزي، السلوك، ج١، ص ٩٦ــ٩٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ١٠٢.

(20) المقريزي، السلوك، ج١، ص ١٠٨.

(21) المقريزي، المصدر السابق، ج١، ص ١٩٦.

(22) المقريزي، المصدر السابق، ج١، ص ١٤٠ـ١٨٦،١٩٣،١٤١ـ١٨٧.

(23) المقريزي، المصدر السابق، ج١، ص ٢٠٩.

(24) Holt and others, The Cambridge History of Islam, vol. 1, part A, p. 208.

(25) المقريزي، السلوك، ج١، ص ٢٣١.

(26) المقريزي، المصدر السابق، ج١، ص ٢٩١.

(27) المقريزي، المصدر السابق، ج١، ص ٣١٤ ـ ٣١٨.

(28) المقريزي، المصدر السابق، ج١، ص ٣٢٦ـ٣٢٧.

(29) المقريزي، المصدر السابق، ج١، ص ٣٢٦ـ٣٢٧.

(30) المقريزي، المصدر السابق، ج١، ص ٤٤٥.

(31) المقريزي، المصدر السابق، ج١، ص ٤٩١.

(32) الكتبي، عيون التواريخ، ج٢٠، ص ٢٩٤؛ المقريزي، السلوك، ج١، ص ٤٩١.

(33) المقريزي، السلوك، ج١، ص ٥٠٥.

(34) المقريزي، المصدر السابق، ج١، ص ٥٢١.

(35) المقريزي، المصدر السابق، ج١، ص ٥٦٠.

(36) الكتبي، عيون التواريخ، ج٢١، ص ١٣.

(37) الكتبي، المصدر السابق، ج٢١، ص ١٤٨.

(38) ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور، ص ٣٦.

(39) ابن عبد الظاهر، المصدر السابق، ص ١٦١.

(40) لمزيد من التفاصيل انظر: الحجي، العلاقات بين سلطنة المماليك وقممالك الأسبانية في القرنين الثامن والتاسع الهجري/الرابع والخامس عشر الميلادي، ص ٢٣ـ ٥٦.

(41) ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور، ص ١٦٦ـ ١٦٩.

(42) ابن عبد الظاهر، المصدر السابق، ص ١٧٠.

(43) المصدر ذاته.

(44) ابن عبد الظاهر، المصدر السابق، ص ١٧٣.

(45) حزامة.

(46) المصدر ذاته .

(47) ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج١، ص ٢٨٤.

(48) ابن حبيب، المصدر السابق، ج٢، ص ٣٢١.

(49) ابن حبيب، المصدر السابق، ج٢، ص ٣٢٤.

(50) ابن حبيب، المصدر السابق، ج٢، ص ٥٤.

(51) ابن حبيب، المصدر السابق، ج٢، ص ٨٠.

(52) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ١٠١.

(53) ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج١، ص ١٧.

(54) ابن حبيب، المصدر السابق، ج١، ص ٢١٥ـ ٢١٨.

(55) ابن حبيب، المصدر السابق، ج٢، ص ١٣٠، ١٨٣.

(56) المصدر السابق، ج٢، ٢٩٧.

(57) المقريزي، السلوك، ج١، ص ٧٧١ ولمزيد من التفاصيل حول شخصية الشيخ العالم القاضي محمد بن جماعة انظر: الحجي، صور من الحضارة العربية الإسلامية في سلطنة المماليك، ص ٧٣،٧٧ـ٨١، ٨٨ـ٨٩.

(58) المقريزي، السلوك، ج١، ص ١٤٥.

(59) جورجيا.

(60) ابن أبي الفضائل، النهج السديد، ج٣، ص١٩٥؛المقريزي،السلوك، ج٢، ص ١٧،٩٠.

(61) المقريزي، السلوك، ج٢، ص ٣٠٢.

(62) هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى، ج٣، ص ٣٢٣-٣٢٤.

(63) المرجع السابق، ص ٣٢٨.

(64) المرجع السابق، ص ٣٣٩، ٣٤٠.

(65) المرجع السابق، ص ٣٣٤.

(66) المرجع السابق، ص ٣٣٨.

([67]) المرجع السابق: ص ٣٣٩.

([68]) Lapidus, Muslim Cities, p.416؛ هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى، ج٣، ص ٣٣٥.

([69]) المقريزي، السلوك، ج٢، ص ٢٨٩.

([70]) هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى، ج٣، ص ٣٣٩.

([71]) المقريزي، السلوك، ج٢، ص ٨٥٥.

([72]) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٤، ص ٣٩٦-٣٩٧.

([73]) المقريزي، السلوك، ج٢، ص ٤٠٩، ٤٦٣، ٥٢٥.

([74]) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٩٢.

([75]) المصدر السابق، ص ٩٣.

([76]) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٤، ص ٣٩٦-٣٩٧.

([77]) ابن بطوطة، تحفة النظار، ج٢، ص ٢٩-٦٢.

([78]) ابن بطوطة، تحفة النظار، ج١، ص ٨٣-٨٤.

([79]) ناصر خسرون سفرنامة، ص ١٣، ٤٧، ٤٩، ٥٤، ٥٥.

([80]) Michaud Correspondans D'orient, vol. 7, p.157.

([81]) D'arvieux, Voyageurs D'orient, vol. II, "Memoires", p.166 .

([82]) ابن بطوطة، تحفة النظار، ج١، ص ٨٥.

([83]) رحلة ابن جبير، ص ١٨١.

([84]) الاصطخري، مسالك الممالك، ص ٦١.

([85]) الاصطخري، مسالك الممالك، ص ٦١.

تسليم بيت المقدس للصليبيين

(اتفاقية يافا ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)

د. منال محمد السيد (*)

ترتب على زوال خطر الحملة الصليبية الخامسة عام (٦١٨هـ/ ١٢٢١م)[1]، بفضل اتحاد أبناء العادل الأيوبي- وهم الكامل محمد صاحب مصر والمعظم عيسى[2]، صاحب دمشق والأشرف موسى صاحب الجزيرة وخلاط[3] - أن اشترط عقد هذا الاتحاد عام ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م، بسبب طمع وجشع الملك المعظم عيسى في أملاك إخوته[4]، في الوقت الذي تحرك جلال الدين الخوارزمي[5]، على أطراف الجزيرة، مما جعل الأشرف يتناسى الخلاف مع أخيه المعظم ويذهب إلى دمشق طالبا مساعدة المعظم ضد خطر الخوارزمية. إلا أن المعظم استغل هذه الفرصة فقبض على أخيه الأشرف في دمشق، ولم يطلق سراحه إلا بعد أن تعهد له بمساعدته في مهاجمة أخيهما الكامل صاحب مصر[6]، إلا أن الأشرف ما كاد يخرج من دمشق ويتخلص من سيطرة المعظم حتى فر إلى أخيه الكامل وتحالف معه ضد المعظم للتخلص منه وبذلك دخل الأخوة الثلاثة في صراع.

غير أن خطورة ذلك الصراع تكمن في الاستعانة بالقوى الخارجية فها هو المعظم عيسى يتجه ببصره إلى دولة خوارزم شاه لتكون حليفا له فترددت الرسل بين المعظم وجلال الدين خوارزم[7]، الذي تشجع في الإغارة على أملاك الملك الأشرف فقام بحصار مدينة خلاط[8].

ولم يكتف المعظم عيسى بهذا التحالف بل تحالف أيضا مع مظفر الدين صاحب إربل[9]، ضد أخويه الأشرف والكامل[10]، وبذلك بدأت الوحشة بين الأخوة الثلاثة[11].

وهنا نتساءل عن موقف الكامل محمد من تصرفات وأعمال أخيه المعظم عيسى؟ بطبيعة الحال لم يكن على الكامل أن يقف مكتوف الأيدي لعلم تصرفات المعظم، وخاصة عندما أصبحت قصلات وطيدة بين المعظم وجلال الدين الخوارزمي، الأمر الذي يعرض الأشرف موسى والكامل محمد لخطر داهم خاصة أن الكامل اعتقد أن المعظم يعمل من

(*) مدرس بكلية الآداب جامعة بني سويف.

أجل انتزاع مصر منه وفكر الملك الكامل ماذا يفعل فإذا خرج إلي بلاد الشام لقتال أخيه المعظم فربما لا يتمكن من صد جيوش المعظم وجلال الدين الخوارزمي الأمر الذي يؤدي إلي وقوع بلاد الشام في أيدي جلال الدين، وبالتالي تضيع الدولة الأيوبية[١٢]. ولكي يواجه الملك الكامل خطر ذلك التحالف كان عليه أن يستعين بقوة خارجية تكون أكبر من قوة المعظم وجلال الدين فوجد ضالته المنشودة في الإمبراطور فردريك الثاني Friderick II(١٢٢٥-١٢٥٠م)[١٣].

ولكن لماذا اختار الملك الكامل أن يتحالف مع الإمبراطور فردريك الثاني ضد أخيه المعظم دون غيره ؟

أولاً: من الثابت تاريخيا أن الإمبراطور فردريك الثاني منذ أن أصبح إمبراطورا علي الإمبراطورية الرومانية المقدسة ارتبط بعلاقات دبلوماسية ودية مع ملوك البيت الأيوبي، والدليل علي ذلك أن فردريك الثاني أرسل إلي الملك العادل بالقاهرة سنة ١٢١٥م سفارة بقيادة "سيفالو" Cefalu لتجديد المعاهدات التجارية بين الدولتين، كما تشير بذلك الكتابة المنقوشة علي إحدي اللوحات الزيتية في كنيسة "سيفالو" أو بعد تولية الملك الكامل حكم مصر، بأربع سنوات- نيابة عن والده[١٤].

ثانياً: كان موقف فردريك الثاني من الحملة الصليبية الخامسة مرضيا إلي حد كبير بالنسبة للملك الكامل ولن تأخره عن الحضور إلي الشرق ليس معناه عدم حضوره نهائيا ولكنه تحت ضغط البابوية سيأتي بحملته إلي الشرق في أي وقت، من أجل ذلك رأي الكامل أن يبادر بدعوة فردريك إلي الشرق ويستعين به ضد خطر أخوه المعظم عيسي وجلال الدين الخوارزمي[١٥].

ثالثاً: أراد الكامل من استعانته بفردريك أن يشغل سر أخيه المعظم ويجعله يعود إلي طاعته[١٦].

رابعاً: كذلك رأي الكامل أن يكسب صداقة ملك من ملوك الفرنج له مكانته وخطره[١٧].

هذه هي الدوافع التي دفعت الملك الكامل إلي طلب المساعدة من فردريك لكي يأتي إلي الشام ويتسلم بيت المقدس وجميع فتوح صلاح الدين بالساحل[١٨].

وهكذا أصبح الصرح الذي شيده الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي مهددا بالضياع بسبب الانقسام بين أفراد الأسرة الأيوبية واستعانة كل فريق من الفريقين المتنازعين بقوة خارجية[١٩].

وكان علي الكامل محمد أن يختار سفيرا يتمتع بحزم واسع وذكاء مفرط وشخصية قوية، ليكون رسوله إلي الإمبراطور فردريك الثاني، ولم يكن لدي الكامل محمد أفضل من الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ[٢٠]، وهو الذي تنطبق عليه هذه الصفات فهو من بيت علم ومعرفة ودين، وله دراية بالعلوم والمعارف الحكمية ذو شخصية قوية، لذلك اختاره الكامل لتلك المهمة[٢١].

وفي منتصف عام ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م سافر الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ إلي الإمبراطورية الرومانية المقدسة لمقابلة الإمبراطور فردريك الثاني، حيث استقبله فردريك أحسن استقبال بمدينة بالرمو بجزيرة صقلية، وعرض عليه فخر الدين توجيب سيده الكامل بقدوم فردريك الثاني إلي عكا والتنازل له عن بيت المقدس وجميع فتوح صلاح الدين وبالطبع رحب فردريك بهذا العرض منتهزا فرصة الخلافات الناشئة بين الكامل وأخيه المعظم عيسي، كما يحصل علي بيت المقدس بدون حرب[٢٢].

فقد وصلت هذه السفارة إلي الإمبراطور فردريك بعد إصدار قرار الحرمان الكنسي عليه Excommunication من جانب البابا جريجوري التاسع Gregoryi (١٢٢٧- ١٢٤١م / ٦٢٥هـ- ٦٣٩هـ) لذلك تمسك فردريك بهذه الدعوة، لأن فيها ارتباط مستقبله السياسي بأكمله[٢٣].

فتعهد الإمبراطور فردريك الثاني عندما توج في ٢٥ يوليو ١٢١٥م/ ٦١١هـ في آخن A achen بأنه سيخرج مع الحملة الصليبية المزمع قيامها إلي الشرق[٢٤]. وقد استغلت البابوية فرصة إرسالها الحملة الصليبية الخامسة إلي مصر، وطلبت من فردريك تنفيذ وعده، وبالرغم من أن فردريك أخذ يدعو لهذه الحملة إلا أنه لم يتمكن من الخروج مع هذه الحملة المتوجهة إلي مصر عام ٦١٨هـ/ ١٢٢١م لخوفه علي عرش ألمانيا من خصومه، فما كان من البابا هونريوس الثالث Honorius III (٢١٦- ١٢٢٧) إلا أن اكتفي بعتاب فردريك لعدم خروجه علي رأس الحملة[٢٥]. ومنذ الوقت أخذ فردريك في وعوده للبابا دون أن يفي بهذه الوعود[٢٦]، وفي ذلك الوقت توفي البابا هونريوس الثالث عام ١٢٢٧م، وجاء من بعده جريجوري التاسع (١٢٢٧- ١٢٤١) الذي أصر علي رحيل فردريك إلي الشرق والقيام بالحملة الصليبية[٢٧]، فأخذ فردريك يستعد للإبحار إلي بلاد الشام عام ٦٢٤هـ/١٢٢٧م ولكن سرعان ما مرض فردريك الأمر الذي جعله يغادر الأسطول ويؤجل الرحيل إلي الشرق، وأرسل إلي البابا ليشرح له ظروف تخلفه عن الحملة، ولكن البابا لم يقتنع بهذه الأسباب، واعتقد أن فردريك قد عاد إلي المماطلة مرة أخري لذلك أصدر البابا ضد فردريك قرار الحرمان من رحمة الكنيسة عام ١٢٢٧م[٢٨].

ومهما يكن من أمر أدرك الإمبراطور أن مصلحته تستدعي القيام بحملته الصليبية حتى لا يظهر في صورة المسيحي العاق[٢٩]، من أجل ذلك رد الإمبراطور فردريك علي السلطان الكامل محمد بمقارنة مماثلة برنامة الأب برنارد أسقف بالرمو تحمل هدية سنية وتحف غريبة فتلقي الكامل وصول الإمبراطور وهديته بالسرور البالغ وأكرمه إكراما زائدا، كذلك اهتم الكامل بإعداد هدية فاخرة للإمبراطور فيها من تحف الهند واليمن والعراق والشام ومصر والعجم[٣٠].

وأثناء عودة الأب برنارد إلي بلاده أراد التحقق من موقف المعظم عيسي صاحب دمشق وبيت المقدس فوصل إليه وطلب منه البلاد التي فتحها عمه صلاح الدين، فأغلظ له- أي المعظم وقال قل لصاحبك ما أنا مثل الغير وما له عندي سوي السيف-[٣١].

علي كل حال أبحر فردريك من ميناء برنديزي في صيف ١٢٢٨م مع أسطول مكون من ٤٠ سفينة تحت قيادة الأمير هنري[٣٢].

ووصل فردريك إلي عكا بعد أربعة أيام من إبحاره وفي صحبته حرسه الخاص ليتسلم بيت المقدس وفق اتفاقه مع الملك الكامل، غير عابئ بما وقع عليه من حرمان[٣٣]، ولنتساءل هنا عن أحوال بلاد الشام عند وصول الإمبراطور فردريك الثاني؟

فقد تغير الموقف في بلاد الشام علي غير ما كان يتوقعه فردريك الثاني فبالنسبة للصليبيين الموجودين في عكا نلاحظ أنه بمجرد وصول فردريك الثاني استقبله أهل عكا بالحفاوة في بداية الأمر ولكن بعد عدة أيام من وصوله حضر إلي عكا مبعوثين من قبل البابا بأمران بعدم طاعة الإمبراطور المعلون المحروم من الكنيسة، وبذلك انقسم المعسكر الصليبي إلي فريقين متعاديين الفريق الأول من الصقليين، والألمان، والبيازنة، والجنوية، وظلوا علي ولائهم للإمبراطور، أما الفريق الأخر فكان من الإنجليز والفرنسيين، والفلاسوسة، والذين جعلوا هدفهم الأول هو إعاقة الإمبراطور بأي طريقة[٣٤]، ولم يكتف البابا بذلك فقد أرسل رسله سرا إلي بني أيوب والكامل علي نحو خاص لتحريضهم علي عدم تسليم القدس لذلك الإمبراطور[٣٥]، ويعلق الأستاذ الدكتور سعيد عاشور علي ذلك قائلا "لا عجب في ذلك الموقف الذي اتخذته البابوية، إذ كانت المعركة بينهما وبين الإمبراطور في الغرب أهم في نظرها من المعركة بين المسلمين والصليبيين في الشام"[٣٦]، من أجل ذلك رفض الصليبيون ببلاد الشام التعاون مع الإمبراطور المحروم وعلي رأسهم جيرولد Gerold البطريق الكاثوليكي الأسمي لمملكة بيت المقدس (١٢٢٥- ١٢٣٩م) وتبعه في ذلك فرسان الدوية[٣٧]، والاسبتارية[٣٨]، ومما لا شك فيه أن هذا الموقف قد أثر كثيرا علي الوضع العسكري للحملة خاصة بعد أن أبحر عدد كبير من العساكر تحت

قيادة دوق نيمبورج خوفا من غضب البابا عليهم إذا ساندوا إمبراطور محروم من رحمة الكنيسة[٣٩].

أما بالنسبة للملك الكامل فلم يعد يخشي من أخيه المعظم عيسي بعد وفاته في العام السابق ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م، وعلي هذا لم يعد في حاجة إلي مساعدة فردريك الثاني، ولكن في نفس الوقت فإن الكامل لا يستطيع إنكار حق فردريك في بيت المقدس، لما تقدم معه من الاتفاق[٤٠]، علي هذا النحو تحير الملك الكامل ولم يمكنه دفعه ولا محاربته لما كان تقدم بينهما من الاتفاق، فراسله ولاطفه! لط علي حد قول ابن واصل والمقريزي[٤١] وذلك لعدة أمور:

أولا: أنه أحس أنه ليس من مصلحة البيت الأيوبي أن يصطدم بالصليبيين في الشام، في الوقت الذي تعرض فيه الشرق لتهديد الخوارزمية ومن ورائهم المغول[٤٢].

ثانيا: أن الكامل وضع في اعتباره أن أي تساهل مع الصليبيين أو تفريط في حقوق المسلمين، معناه إثارة الرأي العام الإسلامي ضده وخاصة في دمشق التي كانت أكثر تعرضا لخطر الصليبيين[٤٣].

ثالثا: أن الكامل كان علي علم تام بضعف جيش فردريك، وبالعداء بين فردريك وبين البابوية، وضعف شوكته في الغرب وأن الصليبيين في بلاد الشام لن يقبلوا القتال تحت قيادته وهو المحروم من الكنيسة لذلك استمرت الرسل تتردد بين الكامل وفردريك[٤٤].

وقد أراد الكامل أن يكسب الوقت مع الإمبراطور فردريك حتي يتمكن من إسقاط مدينة دمشق الذي كان يحاصرها في ذلك الوقت[٤٥]، لذلك أطال في المفاوضات مع فردريك خوفا من أن يطلب الملك الناصر داود صاحب دمشق مساعدة الإمبراطور فردريك، ضد عمه الملك الكامل محمد[٤٦].

ونلاحظ أن موقف فردريك لم يقل حرجا وحساسية لأنه خرج من بلاده محروما من الكنيسة مغضوبا عليه من البابوية معتمدا علي وعد الكامل له بإعطائه بيت المقدس لإصلاح مركزه في الغرب الأوربي، ولو كان فردريك يعلم أن الكامل سينكث بوعده لما خرج أصلا إلي الشرق أو لاستعد استعدادا جديا لحرب المسلمين، وجلب معه جيشا كبيرا للدفاع عن كيان الصليبيين، ولكن بعد أن جرت الأمور علي ما جرت عليه، ماذا يفعل فردريك بالخمسمائة فارس الذين أحضرهم معه؟ إنه لا يستطيع الاعتماد تماما علي تعاون الصليبيين في بلاد الشام معه، لأن أي مسيحي مخلص يأبي أن يتعاون مع رجل محروم من الكنيسة مطرود من رحمتها، حتي ولو كان هذا الرجل إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة. وإذا هو رجع فاشلا إلي الغرب ماذا سيكون موقفه بعد أن أعطي البابوية سلاحا جديدا للتشهير به والإقلال من شأنه[٤٧].

ففي الواقع أن فترة المفاوضات كانت صعبة جدا على الإمبراطور حتى أنه فكر في العودة إلى بلاده ولكنه فضل البقاء حتى يأخذ بيت المقدس[٤٨]. من أجل ذلك نجد الإمبراطور فردريك يتذلل للسلطان الكامل حتى أنه كان يبكي بكاء مرا في مراحل المفاوضات[٤٩]. والدليل على ذلك الرسالة التي أرسلها الإمبراطور فردريك إلى السلطان الكامل أثناء المفاوضات، والتي جاء فيها على لسان الإمبراطور "أنا مملوكك وعتيقك وليس لي عما تأمره خروج وأنت تعلم أني أكبر ملوك البحر. وقد علم البابا والملوك باهتمامي وطلوعي، فإن رجعت خايبا انكسرت حرمتي بينهم ! وهذا القدس فهي أصل اعتقادهم وضجرهم، فإن رأي السلطان لن ينعم علي بفيضة البلد والزيارة فيكون صدقه منها ويرتفع رأسي بين ملوك البحر"[٥٠].

وأفلح أسلوب الاستعطاف الذي سلكه فردريك الثاني مع الكامل محمد ووافق الكامل على إعطاء بيت المقدس لقمه سائغة لفردريك دون قتال أو حرب.

ولكن ما هي الأسباب التي جعلت الملك الكامل يسلم بيت المقدس إلى الإمبراطور فردريك الثاني بهذه السهولة بالرغم من ضعف موقف الإمبراطور؟

١- الطويح باستخدام القوة، فقد قام الإمبراطور فردريك أثناء المفاوضات بتحصين يافا، مما جعل الكامل يخشى من تحالف فردريك مع بقية القوى الصليبية في الشام للقيام بعمل مشترك ضد المسلمين[٥١]. وقد علق المقريزي على ذلك بقوله إن الكامل "خاف من عاقبته عجزا عن مقاومته"[٥٢].

٢- خوف الكامل من أن يدخل في حرب ضد الصليبيين فيصبح بذلك بين ثلاث قوى معادية وهي: ابن أخيه الناصر داود صاحب دمشق، والصليبيين، والخوارزمية الذين أصبحوا يشكلون خطر على البيت الأيوبي.

٣- أن الملك الكامل لم يرى أي ضرر من وراء إعطاء مدينة بيت المقدس للصليبيين، ما دامت أسوارها ستظل خربة، وطالما أن شعائر الإسلام سوف تقام في حرمها[٥٣].

٤- أراد الكامل أن يكسب صداقة الإمبراطور فردريك وما يتبع ذلك من عدم مجيء فردريك بحملة جديدة إلى الشرق[٥٤].

لهذه الأسباب قبل الملك الكامل تحت تأثير الأمير فخر الدين يوسف- عقد اتفاقية يافا مع الإمبراطور فردريك الثاني في ٢٨من شهر ربيع الأول عام ٦٢٦هـ/ ٢٤ فبراير عام ١٢٢٩م[٥٥]. وتقرر بمقتضى هذه الاتفاقية ما يلي:

أولا: أن يأخذ الصليبيون مدينة بيت المقدس بشرط أن تظل على ما هي عليه من الخراب، ولا يجدد سورها، وبشرط أن تكون منطقة الحرم بما تحويه من قبة الصخرة والمسجد الأقصى بأيدي المسلمين، لا يدخلهما الصليبيون إلا للزيارة ويتولاها

جماعة من المسلمين، وأن تقام فيها الشعائر الإسلامية من آذان وصلاة وإقامة.

ثانيا: أن تكون القرى الواقعة على الطريق بين عكا إلى القدس، ومن عكا إلى يافا في أيدي الصليبيين.

ثالثا: أن يطلق سراح الأسرى من الجانبين وبخاصة الأطفال الذين أسروا في حملة الأطفال ١٢١٢م.

رابعا: أن تكون مدة الصلح بين الطرفين عشر سنوات وأربعين يوما.

خامسا: تعهد فردريك بألا يقدم أي مساعدة للصليبيين سواء في الشرق أم في الغرب ضد المسلمين طول مدة المعاهدة وألا يساعد أي جيش لا بالرجال ولا بالمدد، وأن يمنع أية حملة أوربية من المجيء إلى الشواطئ الأيوبية بمصر والشام[٥٦].

وبهذا نجح فردريك الثاني في الهدف الذي جاء من أجله وهو تسلم بيت المقدس، وعندما أحس بما سببته الاتفاقية من حرج للكامل اعتذر لفخر الدين بعد اتفاقية يافا قائلا "بأنه لولا يخاف انكسار جاهه ما كلف السلطان شيئا من ذلك، ما له غرض من القدس ولا غيره، وإنما قصد حفظ ناموسه عند الفرنج"[٥٧].

من هذا الاتفاق نستطيع أن نلقي الضوء على عدة نقاط هامة وهي:

أولا: من الواضح أن الكامل الأيوبي فضل عدم الدخول في حرب مع الإمبراطور فردريك الثاني بالرغم من أن الوضع السياسي بالنسبة للملك الكامل كان قد تغير تماما إلى الأفضل، عقب وفاة المعظم عيسى، ولم يكن هناك حاجة إلى مساعدة فردريك وتنفيذ الوعد الذي التزم به الكامل مع الإمبراطور فردريك بشأن تسلم القدس[٥٨]، "فلم يعد الكامل يخشى أخاه"[٥٩].

إلا أن فردريك استخدم ذكائه ودبلوماسيته للوصول إلى ما يصبوا إليه والعودة إلى بلاده مرفوع الجبين[٦٠]، فاستعمل الإمبراطور فردريك كافة السبل والحيل فلجأ إلى اللين تارة، بل أحيانا كان يبكي ويزرف العبرات الساخنة تارة والى التلويح بالقوة العسكرية تارة أخرى، من أجل استعطاف الكامل الأيوبي[٦١]. ونجح في ذلك وقد عبر أحد المؤرخين تعبيرا صادقا عن الموقف قائلا: "إن الأمير فردريك كان داهية إلى الحد الذي يستطيع به أن يحقق الكثير بالأسلوب الدبلوماسي"[٦٢].

ثانيا: عدم مقدرة الكامل على التعامل مع الصليبيين سياسيا بدليل أنه كان على استعداد لتقديم القدس على طبق من ذهب للصليبيين قبل قدوم فردريك الثاني، فإذا تتبعنا أحداث الحملة الصليبية المخامسة على دمياط عام (٦١٥- ٦١٨هـ/ ١٢١٨- ١٢٢١م) نجد الملك الكامل يعرض على الصليبيين أكثر من مرة القدس وجميع فتوحات صلاح الدين الأيوبي[٦٣]. هذه الفتوحات التي حارب صلاح الدين الصليبيين

من أجلها بشراسة، ولم يتوقف عن الصراع مع الصليبيين على مدي الأعوام ٥٨٣-٥٨٨هـ/ ١١٨٧- ١١٩٢م فخلال هذه الفترة رفض صلاح الدين أن يحصل الصليبيون على القدس، فكان ذلك دليل على الحنكة السياسية الحقيقية والبطولة الصادقة[١١]، بعكس الملك الكامل الذي لم يكن بالسياسي والعسكري القدير.

ثالثا: وهناك ملاحظة هامة وهي عدم سماع الملك الكامل للآراء الصائبة في هذا الشأن بل نجده يعارضها بقسوة، مثال ذلك أن أحد قادة جيشه ويدعي سيف الدين بن أبي زكري حذره من التفريط في بيت المقدس وحقوق المسلمين، وطالب بمحاربة "الإمبراطور الألماني فردريك" ومن ذلك قوله: "إبعد دمشق علي ابن أخيك الملك الناصر واطلبه واطلب أخاك الملك الأشرف وعسكر حلب ونقاتل هذا العدو فإما لنا وإما علينا، ولا يقال عن السلطان أنه أعطي الفرنج القدس" إلا أن الكامل رفض هذا الرأي الصائب وسجن صاحبه[١٢].

ولا شك أن رأي القائد العسكري ابن أبي زكري كان من الممكن تنفيذه وبسهولة تامة خاصة وأن الإمبراطور فردريك عندما أتي إلي بلاد الشام جاء بقوات قليلة جدا لا تمكنه من الدخول في حرب مع الكامل ولا غيره إلا أن الكامل عارض ذلك الرأي لأنه اعتاد علي التفريط في حقوق المسلمين، والتهاون الذي لا مبرر له. وقد بلغ تفريط الكامل في حق الإسلام والمسلمين أنه عندما دخل الإمبراطور فردريك بيت المقدس أمر القاضي شمس الدين قاضي نابلس أن يأمر المؤذنين ما دام الإمبراطور في القدس، ولا تصعدوا المنبر ولا تؤذنون. فلما سأل فردريك عن سبب منع الأذان أبلغه القاضي شمس الدين أنها أوامر السلطان للكامل، فقال الإمبراطور "أخطأتم يا قاضي تغيرون أنتم شعائركم وشرعكم ودينكم لأجلي فلو كنتم عندي في بلادي هل كنت أبطل ضرب الناقوس لأجلكم، الله لا تفعلوا ما تنقصون عندنا"[١٣]. كذلك أشار ابن واصل إلي موقف فردريك من ذلك بقوله "فلما أصبح قال الملك للقاضي: "لما لم يؤذن المؤذنون علي المنابر؟ فقال له القاضي: "متعهم المملوك إعظاما للملك، واحتراما له". فقال له الإمبراطور: "أخطأت فيما فعلت، والله إنه كان أكثر غرض في المبيت في القدس أن أسمع آذان المسلمين وتسبيحهم بالليل"[١٤].

ولذلك فمن الخطأ أن نصف الملك الكامل بالتسامح مع الصليبيين فالتسامح يعني أن يسمح لهم بالحج والزيارة إلي الأماكن المقدسة في أمن وسلام دون التفريط فيها[١٥]، فمثلا صلاح الدين الأيوبي تسامح مع الصليبيين دون أن يفرط في حقوق المسلمين حيث سمح لهم من خلال صلح الرملة عام ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م بالحج والزيارة، ولكنه في نفس الوقت كان حازما شديدا في حقوق المسلمين[١٦].

رابعا: إن تسليم القدس للصليبيين حدث جديد لم يحدث إلا في عصر الملك الكامل فقط ولم يكن له سابقة تاريخية في عصر الحروب الصليبية فالقدس عربية

إسلامية عاشت في كنف الإسلام خمسة قرون كاملة. وتمتع غير المسلمين فيها بالتسامح الديني وخير مثال علي ذلك تسامح صلاح الدين مع المسيحيين عندما دخل بيت المقدس عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م فقد سمح للبيتاني والشيوخ والأرامل من الصليبيين، بالرحيل دون فداء بل منحهم أيضا مساعدات مالية من ماله الخاص[١٧].

كما سمح للمسيحيين الذين حملوا ما يلكنائس والأديرة من أموال وذهب ونفائس بالخروج بها من بيت المقدس دون أن يتعرض لهم بسوء، وقد عبر الأصفهاني علي ذلك بقوله "فقلت للسلطان هذه أموال وافرة، وأحوال ظاهرة، تبلغ مائتي ألف دينار، والأمان علي أموالهم لا لأموال الكنائس والأديار، فلا تتركها في أيدي هؤلاء الفجار" فقال إذا تأولنا عليهم نسبونا إلي الغدر وهم جاهلون بسر هذا الأمر ونحن نجريهم علي ظاهر الأمان، ولا نتركهم يرمون أهل الإيمان بنكث الأيمان، بل يتحدثون بما أفضناه من الإحسان"[١٨].

خامسا: أن اتفاق الكامل الأيوبي مع الإمبراطور فردريك الثاني، يظهر لنا مدي الفجوة التي حدثت بعد عصر السلطان صلاح الدين الأيوبي ورؤية ملوك بني أيوب للتعامل مع الوجود الصليبي في بلاد الشام. فإذا كان صلاح الدين الأيوبي قام بحركة جهاد كبيرة ضد الوجود الصليبي في بلاد الشام، بينما السلطان العادل الأيوبي اتبع السياسة الدفاعية، أما الملك الكامل فقد اتخذ سياسة التهاون والتفريط فكان الكامل صورة واضحة للهوان الذي لم يحدث قبل عصره أو بعده فكان تسليم القدس لفردريك دليل إدانة في حد ذاتها لا يمكن إنكاره مهما دافع الكامل عن نفسه[٢٠].

سادسا: من الثابت أن الكامل قد فرط في ما لا يملكه بل ما يملكه المسلمين جميعا لأسباب شخصية لا علاقة بها بمصلحة المسلمين حيث فضل أن يرفع راية الإستسلام بتوقيع صلح يافا ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م، وقد علق ابن الأثير علي ذلك بقوله "واستعظم المسلمون ذلك وأكبروه، ووجدوا له من الوهن والتألم ما لا يمكن وصفه، يسر الله فتحه وعوده إلي المسلمين بمنه وكرمه..."[٢١]، كما أشار إلي هذه الكارثة أبو المحاسن بقوله "ووصلت الأخبار بتسليم القدس إلي الإمبراطور فقامت قيامة الناس لذلك"[٢٢]. وقد عبر عن ذلك المؤرخين المسلمين المحدثين مثال ذلك المؤرخ أحمد رمضان عبر بقوله "أفرط الكامل وبدون قتال ولا هزيمة وبدون إراقة قطرة دم واحدة في مناطق لا يحق له أن يدعي أنها ملكا له بل هي ملكا للمسلمين جميعا أراقوا فيها دماءهم تحت راية عمه صلاح الدين الأيوبي في حطين وبعدها في معارك يشهد الله أنها برمتها أسبابا شخصية لا علاقة لها بالإسلام والمسلمين وبدل أن يرفع راية الجهاد بعد صلاح الدين يأتي يرفع راية الاستسلام في قبوله هذه المعاهدة"[٢٣].

أما الأستاذ الدكتور قاسم عبده قاسم فذكر "أما العالم الإسلامي فقد رأي بحق أن الهدنة التي عقدها الكامل الأيوبي كارثة حقيقية. وكان رد الفعل الشعبي عنيفا ضد

السلطان الذي بعث سفراء إلي كل مكان لتبرير فعلته[٧٦].

ورغم هذا كله فإن الإمبراطور فردريك الثاني نجح بالطرق الدبلوماسية أن يحرز من النصر علي المسلمين ما أثار دهشة الكثيرين، فرغم ضآلة قواته فإنه نجح فيما لم تنجح فيه أكبر الحملات الصليبية استعدادا مثل الحملة الصليبية الثالثة عام ٥٧٨-٥٨٨هـ/ ١١٩١- ١١٩٢م) التي تولي قيادتها ريتشارد قلب الأسد Richard Lion Heart (١١٨٠- ١٢٢٣م) وفيليب أوغسطس (١١٨٩- ١١٩٩م)[٧٧]. والحملة الصليبية الخامسة (٦١٨هـ / ١٢٢١م) بقيادة حنا دي برين Jahn Di Berin[٧٨]. الحملة الصليبية السابعة علي مصر(٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م) بقيادة لويس التاسع Loules X ملك فرنسا[٧٩]. وبذلك حصل فردريك علي بيت المقدس دون أن يدخل معركة أو يخسر رجلا واحدا دون إراقة الدماء[٨٠].

ومن الجدير بالذكر أن حملة لفريك الثاني عام ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨ اختلفت تماما عن الحملات الصليبية السابقة في عدة أوجه:

أولا : فقد نعم قادة الحملات الصليبية الأخري برضاء وعطف البابوية والكنيسة بعكس الحملة السادسة التي قادها فردريك الثاني فقد خرجت إلي الشرق وعلي رأسها إمبراطور ملعون من البابوية مطرود من رحمة الكنيسة منبوذ من المجتمع المسيحي صدر ضده قرار الحرمان البابوي[٨١].

ثانيا: حرص زعماء الحملات الصليبية علي الخروج إلي الشرق بجيوش وجموع غفيرة لينزلوا الهزيمة بالمسلمين في الشرق. أما الإمبراطور فردريك الثاني عند خروجه إلي الشرق اصطحب معه حرسه الخاص وحوالي خمسمائة فارس فقط وهي قوة صغيرة لا تكفي لمحاربة أي قوة في الشرق[٨٢].

ثالثا: جاء زعماء الحملات الصليبية إلي الشرق وهم يكنون الكراهية والانتقام من المسلمين في الشرق بعكس حملة فردريك الثاني التي جاءت وعلي رأسها إمبراطور عرف بالتسامح الديني وحبه للمسلمين والإسلام، فقد كان عاشقا للحضارة الإسلامية.

من أجل ذلك كانت حملة فردريك الثاني من أغرب الحملات الصليبية فقد أتي فردريك إلي الشرق ليفاوض لا ليحارب فكانت حملته أشبه بنزهة إلي بلاد الشام[٨٣].

علي أن اتفاقية يافا قوبلت بالسخط الشديد من المسلمين والمسيحيين جميعا. فمن ناحية المسلمين في القدس نجد أن تسليم بيت المقدس علي ذلك النحو للصليبيين وهي المدينة التي استردها صلاح الدين للمسلمين بعد جهاد عنيف، أثار موجة عامة من السخط والأسي في العالم الإسلامي. وقد عبر المؤرخون عن ألم المسلمين لضياع بيت المقدس، وكيف أقيمت المآتم والجنازات في المدن الكبري واشتد بكاء الناس

وصريخهم، فقد وصف المقريزي مدي الأسي الذي حل بالمسلمين لسماع خبر تفريط الكامل في بيت المقدس فيقول "فاشتد البكاء وعظم الصراخ والعويل، وحضر الأئمة والمؤذنون من القدس إلي مخيم الكامل وأتوا علي بابه في غير وقت الأذان فعظم علي أهل الإسلام هذا البلاء"[٨٤]. "فعسر ذلك علي الملك الكامل وأمر أن يؤخذ منهم من المستور والقناديل والفضة وجميع الآلات ويتوجهوا إلي حال سبيلهم" [٨٥]. أما المؤرخ ابن أيبك فعبر عن ذلك بقوله "وصلت الأخبار إلي سائر بلاد الإسلام أن الملك الكامل أعطي القدس للإفرنج، فقامت الدنيا علي ساق واحد، وعظم ذلك علي سائر المسلمين، وأقاموا المآتم"[٨٦].

وكان موقف المسلمين بدمشق من الاتفاقية لا يقل سخطا عليها من موقف أهل القدس، فعندما وصل خبر تسليم القدس إلي الإمبراطور فردريك الثاني أخذ الناصر داود في التشنيع علي عمه الملك الكامل، فطلب من الواعظ شمس الدين يوسف- وكان له قبول عند الناس- أن يجلس في جامع دمشق للوعظ "ويذكر فضائل القدس وما ورد فيه من الأخبار والآثار، وأن يحزن الناس ويذكر ما في تسليمه إلي الكفار من الصغار للمسلمين والعار، وكان قصد الملك الناصر من ذلك إثارة الناس علي عمه الملك الكامل فحضر الناس لاستماع الوعظ، وكان يوما "مشهودا"[٨٧]، فارتفع بكاء الناس وضجيجهم" علي حد قول أبوشامة[٨٨]. كما أنشد قصيدة منها قوله:

علي قبة المعراج والصخرة التي	تفاخر ما في الأرض من صخرات
مدارس آيات خلت من تلاوة	ومنزل وحي مقفر العرصات[٨٩]

وكما تعرض الكامل لتأنيب الفقهاء والعلماء فقد لامه أيضا أخوه الملك الأشرف، فعندما علم بتسليم بيت المقدس للفرنج، "شق ثيابه عليه ولامه. فقال الملك الكامل: ما أحوجني إلي ذلك إلا المعظم"[٩٠].

ولم يجد الكامل إزاء هذا إلا أن أرسل رسله إلي مختلف البلدان لتسكين قلوب الناس وطمأنة خواطرهم بعد انزعاجهم لأخذ الفرنج القدس[٩١]، فقد أحس بأنه تورط مع ملك الفرنج علي حد قول المقريزي[٩٢]، فحاول أن يهون من أمر تسليم بيت المقدس للصليبيين ويبرر ما فعله فقال " إنا لم نسمح لهم إلا بكنائس وآثار خراب، والحرم وما فيه من الصخرة المقدسة وسائر المزارات بأيدي المسلمين علي حاله، وشعار الإسلام قائم علي من كان عليه، ووالي المسلمين متحكم علي وسائقه وأعماله ..."[٩٣].

وكان هذا أقصي ما عند الملك الكامل أن يقوله بشأن وقوف المسلمين ضده، لأنه أصبح في نظر المسلمين خائنا حيث تساهل في ترك أملاكهم، وكانت ضده من الوصمات التي دخلت علي المسلمين [٩٤].

أما عن موقف الخليفة في بغداد، فقد طلب من الكامل أن يقدم له بيانا بشأن هذه الاتفاقية، فأرسل الملك الكامل إليه جمال الدين الكاتب الأشرفي، وكذلك إلى البلاد الشرقية، حتى يسكن قلوب الناس ويطمئنهم من جراء انزعاجهم بسبب الاتفاقية[٩٥].

ويرجع موقف المسلمين هذا إلى عدم تقبلهم فكرة وجود علاقات طيبة وسلمية بينهم وبين الصليبيين، في عصر شهد الكثير من الحملات الصليبية، كما أن أعداء الكامل لعبوا دورا بارزا في إثارة الضجة ضد الكامل في العالم الإسلامي[٩٦].

لم يكن للمسلمين وحدهم هم الذين أظهروا استياءهم من اتفاقية يافا عام ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م بل قابل الصليبيين أيضا تلك الاتفاقية بالغضب والاستياء وفسروا غضبهم بصور شتى، فبعضهم قال إن كرامة المسيحية كانت تتطلب أخذ بيت المقدس بحد السيف لا عن طريق الاستجداء والاستعطاف مثلما فعل فردريك الثاني[٩٧]. وذلك لأن الإمبراطور لم يسترد القدس بقوة السلاح وأدرك آخرون أن القدس بوضعه وأسواره خربة لا يقدم ميزة عسكرية للقوات الصليبية. وتذكر بعضهم عروض الملك الكامل أثناء تواجد الحملة الصليبية الخامسة في مصر عام (٦١٨هـ/ ١٢٢١م) وأنهم رفضوا هذا العرض لأن القدس بدون قلعتي الكرك والشوبك لا يمكن الدفاع عنه خاصة أن الشريط الضيق الذي حصل عليه الإمبراطور ولا يكفي لحمايته[٩٨]، كما أن المسلمين احتفظوا بكثير من حقوقهم فيها، كذلك استبقوا لأنفسهم المسجد الأقصى وقبة الصخرة وهو ما لا يجب أن يكون[٩٩].

أما عن موقف الداوية فقد غضبوا من هذه الاتفاقية لبقاء مقرهم الرئيسي "المسجد الأقصى" في القدس في أيدي المسلمين، وفضم إليهم الاسبتارية، وأعلنوا أنهم لم يتعاونوا مع إمبراطور محروم من رحمة الكنيسة[١٠٠].

وإذا نظرنا إلى الأمراء المسيحيين نجد أنهم نظروا إلى فردريك الثاني بحقد وكراهية عندما أعلن نفسه ملكا على مملكة بيت المقدس الصليبية ووقفوا منه موقفا معاديا، هذا إلى أنهم شاركوا البابوية في الغرب رأيها من أن الصليبي لا ينبغي لهم مصالحة المسلمين بل يجب مقاتلتهم حتى النهاية[١٠١].

فلم يتوقع فردريك الثاني هذا الغضب والاستياء من جانب الصليبيين بعدما أدى للعالم المسيحي هذه الخدمة الكبيرة وأعاد بيت المقدس دون إراقة دماء. فبدل من أن يرفع عنه قرار الحرمان البابوي، قام البطريرك جيروالد Gerold بإصدار قرار الحرمان على القدس نفسها وعلى كل من يستقبل الإمبراطور فيها من السكان المحليين للمسيحيين[١٠٢]، كذلك وصف فردريك بأنه أحمق سمح لنفسه أن يخدعه المسلمون، كما ذكر عدم احتواء المعاهدة على كلمة واحدة بشأن استرداد الكنيسة وممتلكات الدير[١٠٣].

وهكذا لم يعترف أحد بفضل الإمبراطور فردريك الثاني، وتنكر جميع طوائف المسيحيين له، وبقسوة والعمل الكبير الذي أداه لهم باسترداد بيت المقدس دون عناء[١٠٤].

غير أن فردريك لم يهتم بكل ذلك وواصل طريقه لزيارة بيت المقدس حيث رفض بطريرك بيت المقدس أن يتوجه، فدخل الإمبراطور كنيسة القيامة حاملا التاج ووضعه على رأسه[١٠٥]، ليعلن من ذلك المكان العالي أنه لم يتلق التاج الإمبراطوري إلا عن طريق أحد من رجال الدين، وأن الإمبراطور يتسلم سلطانه من الله مباشرة دون وساطة مخلوق[١٠٦].

ولم يقم بالقدس سوى ليلتين قام خلالهما بأفعال غريبة تثير الدهشة، من ذلك ما ذكره المؤرخ المعاصر سبط بن الجوزي في حوادث عام ٦٢٦هـ/١٢٢٩م فيها: "دخل الامبرور فردريك إلى القدس، والحصار على دمشق وجرى له عجائب: أنه لما دخل الصخرة رأي قسيسًا قاعدًا عند المقدم يأخذ من الفرنج القراطيس، فجاء إليه كأنه يطلب منه الدعاء ولكنه لكمه فرماه إلى الأرض، وقال يا خنزير السلطان قد تصدق علينا بزيارة هذا المكان، وتفعلوا فيه هذه الأفاعيل القباح، إن عاد منكم أحد إلى هذا الفعل قتلته".

وحكي صورة الحال قوام الصخرة، وقالوا : ونظر إلى الكتابة التي في القبة وقد : " طهر هذا البيت المقدس صلاح الدين من المشركين ". فقال : " ومن هم المشركين ؟ ". ثم قال للقوام : " هذه الشبابيك التي على أبواب الصخرة من أجل إيش ؟ قالوا لئلا تدخلها العصافير فقال قد أتي الله إليكم الجبارين ".

كذلك رأي قسيسًا وبيده الإنجيل، وهو يريد دخول الأقصي فصاح عليه صيحة منكرة وقال : " ما الذي أتي بك إلي هنا والله لئن عاد أحد منكم يدخل إلي ها هنا بغير إذني ما في عينيه نحن مماليك هذا السلطان الملك الكامل وعبيده، وإنما تصدق علينا وعليكم بهذه الكنائس علي سبيل الإنعام منه، ولا يتعدي أحد منكم طوره " فمضي ذلك القسيس وهو يرعد خيفة منه.

وعاد إلي يافا وخاف من الداوية، لأنهم أرادوا قتله[١٠٧]. واتجه إلي مدينة عكا لوجودها ثائرة عليه حيث استقبله أهل عكا بعدم الرضي والمعارضة الشديدة، لأن أمراء الصليبيين المحليين اعترضوا علي قيام الإمبراطور بعقد معاهدة مع المسلمين دون رضاهم، ولأنه نوج نفسه ملكا علي مملكة بيت المقدس، فأدي هذا الغضب إلي وقوع صدام بين الإمبراطور والقوات الصليبية المحلية[١٠٨].

ولم يمكث فردريك كثيرا في عكا حيث جاءته أخبار من الغرب الأوربي باعتداء البابوية علي ممتلكاته في إيطاليا، لذلك آبحر مسرعا من عكا حيث ودعه الصليبيون

وداعا سيئا خاصة أهالي مدينة عكا الذين قذفوه بالقاذورات ولمعاء الحيوانات والروث[١٠٩]، قاصدا قبرص حيث قضي عدة أيام، ثم توجه إلي إيطاليا فوصلها في ١٠ يونيو عام ١٢٢٩م.

إلا أن البابوية لم تستمر طويلاً في عنادها مع الإمبراطور فردريك الثاني ففي عام ١٢٣٠م ألغي البابا، بموجب صلح سان جرمانو قرار الحرمان عن فردريك الثاني، ووافق في السنة التالية علي معاهداته مع المسلمين[١١٠].

ولا عجب في موقف كل من المسلمين والصليبيين من الثقافية يلفا، لأن هذه العصور كانت تعرف بعصور الإيمان، فالمسلم الحق لا يجب أن تكون له علاقات مع الصليبيين، كما أن العلاقات بين مسلم ومسيحي أوربي في العصور الوسطي كان شيئا غريبا، لأن المسلمين لم يكن لديهم أفكار واضحة عن الحضارة والثقافة الأوربية[١١١].

الهوامش

(١) عن الحملة الصليبية الخامسة ودور أبناء العادل في مواجهتها انظر:
ابن واصل: (جمال الدين محمد بن سالم ت ٦٩٧هـ): مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج٣ تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٥٧، ص٢٥٨، ٢٦١؛ المقريزي: (تقي الدين أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ): السلوك لمعرفةدول الملوك، ٤ أجسزاء، ج١، تحقيق محمد مصطفي زيادة، القاهرة ١٩٣٤، ج١، ق١، ص١٨٨-١٩٨، سعيد عبدالفتاح عاشور: الحركة الصليبية (صفحة مشرفة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطي، جزءان، ج٢، الطبعة الرابعة، القاهرة ١٩٨٦، ص ٧٦٠-٧٧٧، حامد زيان: الحروب الصليبية، د.ط، ص ١٦٧، ١٧٢، جمال الدين الشيال: مجمل تاريخ دمياط سياسيا واقتصاديا، القاهرة، ١٩٤٩، ص٢٠-٢٦.

(٢) المعظم عيسي: وهو شرف الدين المعظم عيسي، بن السلطان الملك العادل صاحب دمشق، كانت مدة ملكه تسع سنين وستة أشهر ومولده بالقاهرة عام ٥٧٦هـ وتوفي سنة ٦٢٤هـ للمزيد من التفاصيل عنه انظر ترجمته في النويري (شهاب الدين أحمد عبد الوهاب ت ٧٣٣هـ): نهاية الإرب في فنون الأدب، ٣٢ جـزء، ج ٢٩. تحقيق محمد ضياء الدين الريس، محمد مصطفي زيادة، القاهرة ١٩٩٣، ص١٤٣- ١٤٧؛ سبط بن الجوزي (أبو المظفر يوسف فزاوغلي، ت ٦٥٤هـ): مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، المجلد الثامن، قسم ١، ٢، طبعة أولـى، حيدر آباد، ١٩٥١، ق٢، ص ٦٤٤، ٦٤٥. الحنبلي (أبي فلاح عبدالحي ١٠٨٩) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٦ أجزاء، بيروت د.ت. ج٥، ص١١٥، ١١٦.

(٣) الأشرف موسي: ولد بالقاهرة وقيل بقلعة الكرك سنة ٥٧٦هـ، كان عفيفا عن المحارم وتوفي عام ٦٣٥هـ، ودفن بدمشق، عن الأشرف موسي بن الملك العادل انظر النويري: نهاية الإرب، ج٢٩، ص ٢١٨- ٢٢٢، الحنبلي: شذرات الذهب، ج٥، ص ١٧٥- ١٧٧.

(٤) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج٢، ص ٧٨٩، الإمبراطور فردريك الثاني والشرق العربي، مقال منشور في مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية مجلد ١١، عام ١٩٦٣، ص ٢٠٠؛
Wiet: L'Egypt Arabe. Paris 1973. p. 350.

(٥) جلال الدين الخوارزمي: وهو السلطان جلال الدين خوارزم شاه منكبرتي بن خوارزم شاه علاء الدين كان يضرب به المثل في الشجاعة والإقدام، فقد حارب التتار وفتح العديد من المدن إلا أنه انهزم من التتار، توفي عام ٦٢٩هـ انظر العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٥، ص ١٣٠، ١٣١.

(٦) أبو الفدا: المختصر، ج٣، ص ١٣٧؛ الحنبلي (الأحمد بن إبراهيم ت ٨٧٩هـ): شفاء

للقلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق مديحة الشرقاوي، د.ت. ص٢٦٦. ٢٦٧.

(٧) النويري: نهاية الإرب، ج ٢٩، ص ١١٤؛ أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، ج٣، ص ١٣٧؛ سعيد عاشور: الإمبراطور فردريك، ص ٢٠١؛ حامد زيان: تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار الثقافة، د.ت. ص ٥١.

(٨) ابن العميد (المكين جرجس ت ٦٧٢هـ) أخبار الأيوبيين، د.ت.ص ١٤. قاسم البلاز: مصر في عصر الأيوبيين، القاهرة، ١٩٦٠، ص ١١٧، ١٩٨؛ ليلي عبدالجواب: تاريخ الأيوبيين والمماليك في مصر والشام، دار الثقافة، ٢٠٠٤، ص ٩٢.

(٩) إربل: بالكسر ثم السكون والباء مكسورة، ثم لام، وهي قلعة حصينة ومدينة كبيرة لها خندق عميق تقع على تل عال، تعد من أعمال الموصل بينهما معسكرة يومين، قام بعمارتها وبناء سورها الأمير مظفر الدين كوكبري بن زين الدين كوجك علي فأقام بها ، وقامت بمقامه بها. للمزيد من التفاصيل عنها انظر ياقوت الحموي (الإمام شهاب الدين أبي عبدالله ت ٦٢٦هـ): معجم البلدان، ٥ أجزاء، تحقيق فريد عبدالعزيز الجندي، بيروت، لبنان، د.ت. ج١، ص ١٦٦- ١٦٩.

(١٠) ابن تغري بردي (جمال الدين أبوالمحاسن يوسف ت ٨٧٤هـ): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٦ جزء، عن طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٣، ج٦، ص ٣٢٨، أبوالفدا: المختصر، ج٣، ص ١٣٦.

(١١) ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص ١٤؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٩، ص ١٤٠، ١٤١؛حامد زيان: تاريخ الأيوبيين، ص ٥٠.

(١٢) عادل عبدالحافظ: العلاقات السياسية بين الدولة الأيوبية والإمبراطورية الرومانية المقدسة زمن الحروب الصليبية، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٢٦٥.

(١٣) فردريك الثاني: اعتلى عرش الإمبراطورية المقدسة في النصف الأول من القرن الثالث عشر، وهو شخصية متميزة، عرف عنه عشقه للحضارة العربية الإسلامية، بعد أن عاش قسما من حياته في صقلية، وقد أجاد عدة لغات، منها الفرنسية والألمانية والإيطالية واللاتينية واليونانية والعربية، واهتم بالديانات الأخرى خاصة الإسلام لنشأته في صقلية، فكان يستقبل الكثير من الشعراء والعلماء العرب والمسلمين ويناقشهم في أمور الدين، كما كان واسع الاطلاع في الفلسفة والعلوم والطب والتاريخ حتى أطلق عليه أعجوبة الدنيا. للمزيد من التفاصيل عن الإمبراطور فردريك انظر:

VAN CLEVE : The Crusa des of Frederick II in setton Ahistory of the Crusades Vol.11. PP. 429-4162.

سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج٢، ص ٧٨٧، ٧٨٨.

(١٤) عادل عبدالحافظ: العلاقات السياسية، ص ٢٦٦- ٢٦٧.

(١٥) عادل عبدالحافظ: العلاقات السياسية، ص ٢٦٧.

(١٦) ابن الوردي (زين الدين عمر ت ٧٥٠هـ): تتمة المختصر في أخبار البشر، تحقيق أحمد

رفعت البدراوي، بيروت ١٩٧٠، ص ٢٢٠؛ الحنبلي: شفاء القلوب، ص ٢٢٦، حامد زيان: الأيوبيين والمماليك، ص ٥٣، السيد الباز: مصر في عصر الأيوبيين، ص ١١٨، ليلي عبدالجواد: تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ٩٢.

(١٧) ليلي عبدالجواد: تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ٩٣.

(١٨) أبوالفدا: المختصر، ج٣، ص ١٣٨؛ النويري: نهاية الإرب، ج٢٩، ص ١٤٠، سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج٢، ص ٧٩٠ ؛

James (A) : the Crusades. London. 1962. P. 190.

(١٩) حامد زيان: الأيوبيين والمماليك، ص ٥٣.

(٢٠) شيخ الشيوخ: وهو أحد الألقاب الذي تعرض معناها للتبديل والتغيير من فترة إلى أخرى والأصل في هذا اللقب أنه يطلق على شيخ طائفة الصوفية. ففي العصر الأيوبي أطلق على شيخ خانقاه سعيد السعداء التي أنشأها صلاح الدين الأيوبي عام ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م، وظل شيخ هذه الخانقاه يطلق عليه شيخ الشيوخ" حتى أنشأ الناصر محمد بن قلاوون خانقاه سرياقوس في عام ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م، فخص شيخها بهذا اللقب فنظر القلقشندي (أبوالعباس أحمد بن علي ت ٨٢١هـ): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج٤، ص ٣٨.

(٢١) للمزيد من التفاصيل عن فخر الدين بن يوسف انظر: حامد زيان: العلماء بين الحرب والسياسة في العصر الأيوبي (أسرة شيخ الشيوخ)، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ٦٧، ٦٨.

(٢٢) ابن واصل : مفرج الكروب، ج٤، تحقيق : حسنين محمد ربيع، دار الكتب،١٩٧٢م، ص٢٠٦، ٢٠٧؛المقريزي: السلوك،ج١، ق١،ص ٢٢١، ٢٢٢،الحنبلي: شفاء القلوب في مناقب بني أيوب،ص٢٦٧؛ JAMES(A):the Crusades.P.190

سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج٢، ص ٧٩٠، ٧٩١، حامد زيان: العلماء، ص ٦٨، الحروب الصليبية، د.ت. ص ١٧٨،

Kantrowicz: Frederick the second, London.1931. P.183.

(٢٣) محمد مؤنس أحمد عوض: الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب في القرنين ١٢- ١٣م، ٦- ٧ هـ، الطبعة الأولي، ١٩٩٩م، ص ٢٩٠،

Duggan (A): The story of the Crusades. (1097-1291) London 1963. P.222.

(٢٤) عادل عبدالحافظ: العلاقات، ص ٢٤٩،

Kantor owiczee): Frederick the second, P.171.

(٢٥) عادل عبدالحافظ: العلاقات، ص ٢٥٠، محمود سعيد عمران: تاريخ الحروب الصليبية ١٠٩٥- ١٢٩١م، الإسكندرية ١٩٩٥م، ص ٧٤، ٧٥،

Kantorowiczce: Frederick. P.171.

(٢٦) عادل عبدالحافظ: العلاقات، ص ٢٥٠، ميشيل بالار : الحملات الصليبية والشرق

للاتيني من القرن الحادي عشر إلي القرن الرابع عشر، ترجمة بشير السباعي، ط١، ٢٠٠٣م، ص٢٢٧.

Kantorowiczce: Frederick. P.172.

(٢٧) منال محمد: القوي البحرية في شرق حوض البحر المتوسط زمن الحروب الصليبية حتي أواخر القرن الثالث عشر الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ٢٠٠١، ص ١٧٥؛ ميشيل بالار : الحملات الصليبية، ص٢٢٧، ٢٣٠.

(٢٨) سعيد عاشور: الإمبراطور فردريك، ص ٢٠١، محمود سعيد عمران: تاريخ الحروب الصليبية، ص ٢٨٨، هلتس ماير: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة عماد الدين غانم، مجمع الفتح للجامعات ١٩٩٠م، ص ٢٣٤.

Kantorowiczce: Frederick. P.176. Grosset: Histdes croisades etdu royaume France de jeru sa lem, 3 vols Paris 1934. vol 3, P.289.

(٢٩) ستيفن رانسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ثلاثة أجزاء، ترجمة السيد الباز العريني، بيروت ١٩٩٧- ١٩٦٩م، ج٣، ص ٣١٧، منال محمد: "القوي البحرية، ص ٧٥.

Duggan (A): The story of the Cr usades, P.222.

سعيد عاشور : الإمبراطور فردريك، ص ٢٠٢، منال محمد: القوي البحرية، ص ٧٩.

Archer (T): The Crusades, London, 1894. P.301.

(٣٠) المقريزي: السلوك، ج١، ق١، ص ٢٢٣، سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج٢، ص٧٩١.

Duggan: The story, P.222.

(٣١) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ق ٢، ص ٦٤٣، حامد زيان: الحروب الصليبية، ص ١٧٩، الأيوبيين والمماليك، ٥٤.

(٣٢) منال محمد: القوي البحرية، ص ٧٧. Kantorowicz: Frederick. P.179.

(٣٣) حامد زيان: الأيوبيين والمماليك، ص ١٥٦

Duggan: The story of the Crusades, P.225.

(٣٤) منال محمد: القوي البحرية، ص ٧٧.

Kantorowicz: Frederick. P.182; Antony : The Crusades, Newyork. 1982. P.276.

(٣٥) مؤنس عوض: الحروب الصليبية، ص ٢٩٦. ليلي عبدالجواد: تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ٩٢، عادل عبدالحافظ: العلاقات، ص ٣٠١.

(٣٦) الإمبراطور فردريك: ص ٢٠٤.

(٣٧) فرسان الداوية: وهم فئة من الفرسان قاموا بحماية الحجاج الذاهبين لزيارة الأماكن المقدسة والدفاع عن بلاد فلسطين. حسن حبشي: الحروب الصليبية الأولي، طبعة

أولي، القاهرة، ١٩٤٧م، ص ٩٧- ٩٨، ستفن رنسيمان: الحروب الصليبية، ج٣، ص ٢٤٩، ٢٥٠.

(٣٨) الاستبارية: ظهرت هذه الطائفة في أواخر القرن الحادي عشر في بلاد الشام نتيجة لاستقرار الصليبي في بلاد الشام، وكان هدفهم في البداية أهداف خيرية وإنسانية: تتمثل في إيواء فقراء الحجاج المسيحيين وعلاج مرضاهم وحراستهم، وبمرور الوقت زاد ثراءها واستقلالها، فأصبحت تمثل دولة داخل الكيان الصليبي ببلاد الشام. للمزيد من التفاصيل، انظر : نبيلة إبراهيم سقلي : فرق فرسان الفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، القاهرة ١٩٩٤م.

(٣٩) محمود سعيد عمران: تاريخ الحروب الصليبية، ص٢٩١ ؛

Antony : The Crusades, P.276.

(٤٠) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج٢، ص ٧٩٤؛ حامد زيان: تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ٥٦، ٥٧.

(٤١) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ٤ أجزاء، ج٤، تحقيق حسنين ربيع ١٩٧٢، ص ٢٣٤- ٢٣٥، السلوك، ج١، ص ٢٢٩، سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج٢، ص ٧٩٦.

(٤٢) المغول: طائفة من التتار عاشت في هضبة منغوليا، استطاع جنكيزخان أن يوحدهم وأخذ يتوسع علي حساب المسلمين. للمزيد من التفاصيل انظر : رجب محمد عبدالحليم: انتشار الإسلام بين المغول، القاهرة د.ت.

(٤٣) سعيد عاشور: الإمبراطور فردريك، ص ٢٠٥، ليلي عبدالجواد، تاريخ الأيوبيين والمماليك،ص ٩٧، ٩٨.

(٤٤) بالرغم من ضعف موقف فردريك إلا أنه فضل القيام بعمل عسكري ليدفع الملك الكامل إلي تنفيذ وعده فقام بالاستيلاء علي صيدا وتحصين يافا، ابن الأثير: الكامل، ج١٢، ص ١٩٧، ابن واصل: مرج الكروب، ج٤، ص ٢٣٥، ابن الوردي: تتمة المختصر، ج١،ص ٢٢٢.

(٤٥) كان الملك الكامل يحاصر مدينة دمشق عندما وصل فردريك إلي بلاد الشام لكي يؤخذها من الناصر داود ابن المعظم عيسي واستقر الأمر علي عقد اتفاقية بينهم في منطقة تل العجول بظاهر غزة للمزيد من التفاصيل عن اتفاقية تل العجول انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٢، ص ٢٢٥، ٢٢٦، المقريزي: السلوك، ج١، ق١، ص ٢٢٥- ٢٢٧، محمود سعيد عمران: الحروب الصليبية، ص ٢٨٥- ٢٨٨، ماير: الحروب الصليبية، ص ٣٣٧، ٣٣٨.

(٤٦) محمود سعيد عمران: تاريخ الحروب الصليبية، ص ٢٩٢.

(٤٧) سعيد عاشور : الحركة الصليبية، ج٢، ص ٧٩٧، الإمبراطور فردريك، ص ٢٠٥، ٢٠٦، ليلي عبدالجواد: تاريخ الأيوبيين، ص ٩٨.

(٤٨) من الجدير بالذكر أن الإمبراطور فردريك لم يكتف بذلك بل جرد نفسه من أسلحته

الشخصية، وأرسلها إلى الملك الكامل وهي عبارة عن الخوذة والسيف ودرع الرأس.

Kantorwicz: Frederick. 185, Michoud: Histoire des croisades, Tome, 3, P.18.

(٤٩) سعيد عاشور: الإمبراطور فردريك، ص ٢٠٧، عادل عبدالحافظ، العلاقات، ص ٣٠٩.

Kantorowicz: Frederick the second, P. 185.

(٥٠) ميخائيل أماري: المكتبة العربية الصقلية، بغداد، ١٨٥٧م، ص ٣٢١، ابن العساكر الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٥، ص ١١٨، سعيد عاشور: الإمبراطور فردريك، ص ٢٠٧، حامد زيان: الحروب الصليبية، ص ١٨٣،

Michoud (J.E.): Historie des croisades, Tome 3, Paris, 1822, P.18.

(٥١) سعيد عاشور: الإمبراطور فردريك، ص ٢٠٧، ليلى عبدالجواد: تاريخ الأيوبيين، ص ٩٩.

(٥٢) المقريزي: ج١، ق١، ص ٢٣٠.

(٥٣) ابن واصل: مفرج الكروب، ج٤، ص ٢٤٣، المقريزي: السلوك، ج١، ق١، ص ٥٩.

(٥٤) حامد زيان: الحروب الصليبية، ص ١٨٤، تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ٥٩، ليلى عبدالجواد، تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ٩٩.

(٥٥) King (E.J): The knights hospitallers in the holyland. London 1931, P.208.

(٥٦) عن بنود اتفاقية يافا انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج٤، ص ٢٤٦، الحنبلي الأنس الجليل، ج١، ص ٤٠٦، الحنبلي: شفاء القلوب، ص ٣٦٧، ابن الأثير، الكامل، ج١٢، ص ١٩٩، ليلى عبدالجواد: تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ١٠٠، ميشيل بالان: الحملات الصليبية، ص ٢٢٨.

Stevenson (W): The crusaders in the EAST, combi 1907. P.309-311, Michoud. histoire des croisades. P.19-21.

الحنبلي (الأحمد بن إبراهيم ت ٨٧٦هـ) شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق مديحة الشرقاوي، ص ٢٦٨.

(٥٧) ابن واصل : مفرج الكروب، ج٤، ص ٢٤٣، المقريزي : السلوك، ج١، ق١، ص ٢٣، محمد سعيد عمران: تاريخ الحروب الصليبية، ص ٢٩٥، ليلى عبدالجواد: تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ١٠٠.

(٥٨) محمد مؤنس: الحروب الصليبية، ص ٢٩٣.

Stevenson (W): The crusaders in the EAST, P. 310.

(٥٩) السيد الباز العريني: مصر في عصر الأيوبيين، ص ١٩٩.

(٦٠) الحنبلي: شفاء القلوب، ص ٣٦٧، ليلى عبدالجواد: تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ٩٨.

(٦١) محمد مؤنس: الحروب الصليبية، ص ٢٩١.

(٦٢) عادل عبدالحافظ: العلاقات، ص ٣١٣، مؤنس: الحروب الصليبية، ص ٩٤.

(٦٣) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج٢، ص ٧٦٩، مؤنس عوض: الحروب الصليبية، ص٢٩٤.

King : The Knights, P. 194.

(٦٤) عن حروب صلاح الدين ضد الصليبيين انظر: الأصفهاني (عماد الدين محمد بن محمد ت ٥٩٧هـ): الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمود صبيح، القاهرة، د.ط، ابن شداد، (القاضي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف، ت ٦٣٢هـ): النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية" المعروف بسيرة صلاح الدين الأيوبي، تحقيق سعد كرم الفقي، الإسكندرية، ١٣٤٦هـ.

(٦٥) ابن شداد (عز الدين محمد بن علي، ت ٦٨٤هـ): الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ج٣، تحقيق يحيى عبارة، دمشق ١٩٧٨، ص ٢٢٤، محمد مؤنس، الحروب الصليبية، ص ٢٩٥.

(٦٦) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ق ٢، ص ٦٥٦، ٦٥٧، ابن أيبك الدواداري (أبوبكر بن عبدالله ت ٧٣٢هـ): كنز الدرر وجامع الغرر، ٩ أجزاء، ج٧، الدرر المطلوب في أخبار بني أيوب، تحقيق سعيد عاشور، القاهرة، ١٩٧٢، ص ٢٩٤، الحنبلي: شفاء القلوب، ص ٣٦٩، ستفن رنسيمان: الحروب الصليبية، ج٣، ص ٣٣٥.

(٦٧) ابن واصل : مفرج الكروب، ج٤، ص٢٤٥.

(٦٨) محمد مؤنس عوض: الحروب الصليبية، ص ٢٩٧.

(٦٩) تم عقد صلح الرملة عام ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م، بين السلطان صلاح الدين الأيوبي وريتشارد ملك إنجلترا. ومن الجدير بالذكر أن صلح الرملة قوبل بالارتياح التام من كلا الجانبين بعد أن ضاق الجميع بتلك الحرب الطويلة، وبعد أن أصبح الطريق إلى الحجاج مفتوحا أمام المسلمين والطريق إلى بيت المقدس مفتوحا أمام المسيحيين وفرح المسلمين والصليبيين لذلك الصلح فرحا كبيرا وكان يوما مشهودا. المقريزي: السلوك، ج١، ق١، ص ١١٠، للمزيد من التفاصيل عن صلح الرملة انظر: ابن واصل مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج٢، ص ٤٠٣، أبوشامة (عبدالرحمن بن إسماعيل ت ٦٦٥هـ): الروضتين في أخبار الدولتين، جزءان، دار الجيل بيروت، د.ت. ج٢، ص ٢٠٢.

(٧٠) سعيد عاشور: الحركة، ج٢، ص٦٤٨.

(٧١) الأصفهاني: الفتح القسي، ص ١٣٥.

(٧٢) محمد مؤنس: الحروب الصليبية، ص ٢٩٩.

(٧٣) الكامل في التاريخ، ١٢ جزء، ج١٢، بيروت ١٩٨٢، ص ٢٣٧.

(٧٤) النجوم الزاهرة، ج٦، ص ١٤٢.

(٧٥) أحمد رمضان: ص ١٧٩.

(٧٦) ما هية الحروب الصليبية، عين للدراسات الإنسانية، ص١١٥.

(٧٧) عن الحملة الصليبية الثالثة انظر: مجهول المؤلف: الحرب الصليبية الثالثة "صلاح الدين وريتشارد" ترجمة حسن حبشي: جزءان، القاهرة، ٢٠٠٠م، زينب عبدالقوي: الإنجليز والحروب الصليبية من ١١٨٩- ١٢٩١م، طبعة أولي، القاهرة، ١٩٩٦. سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج٢، ص ٦٥٨- ٧٠٨.

(٧٨) حنا دي برين: تزوج حنا دي برين ملكا علي بيت المقدس عام ١٢١٠م نتيجة تزواجه من ماري الوريثة الشرعية لمملكة بيت المقدس الصليبية والتي تنافس أمراء الصليبيين علي الزواج منها ولكن فيليب أغسطس ملك فرنسا قام باختيار حنا ليكون زوجا لها. للمزيد من التفاصيل عن دور حنا دي برين في الحملة الصليبية الخامسة انظر: سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج٢، ص ٧٥٩- ٧٧٧، محمود سعيد عمران: الحروب الصليبية، ص ٢٥٩- ٢٧٦.

(٧٩) عن الحملة الصليبية السابعة، انظر: جوانفيل المقدس لويس، حياته وحملاته على مصر والشام: ترجمة حسن حبشي، طبعة أولي، القاهرة ١٩٦٨، جوزيف نسيم: العدوان الصليبي علي مصر هزيمة لويس التاسع في المنصورة وفارسكور طبعة ثانية، الإسكندرية، ١٩٨٩.

(٨٠) سعيد عاشور: الإمبراطور فردريك ص ٢٠٨.

(٨١) سعيد عاشور: الإمبراطور فردريك، ص ٢٠٣، ليلي عبدالجواد: تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ٩٤.

(٨٢) مؤنس عوض: الحروب الصليبية، ص ٢٩٠، ليلي عبدالجواد: تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ٩٥.

(٨٣) سعيد عاشور: الإمبراطور فردريك، ص ٢٠٣، ليلي عبدالجواد: تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ٩٥، ٩٦، أحمد مختار : في التاريخ الأوربي والمملوكي. الإسكندرية ١٩٩٢م، ص٧٩، ٨٠.

(٨٤) السلوك، ج١، ق١، ص ٢٣٠.

(٨٥) النويري:نهاية الإرب، ج٢٩، ص١٥١، ليلي عبدالجواد: تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص١٠١.

Kantorowicz:Frederick,P.188.

(٨٦) الدر المطلوب، ص ٢٩٣.

(٨٧) ابن واصل: مفرج الكروب، ج٤، ص ٢٤٥، ٢٤٦، محمود سعيد عمران: تاريخ الحروب الصليبية، ص ٢٢٩، حامد زيان، الحروب الصليبية، ص ١٨٥، ١٨٦.

(٨٨) المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص ١٤١، ١٤٢.

(٨٩) ابن أيبك: الدر المطلوب، ص ٢٩٥، الحنبلي (أبوالمحاسن عبدالرحمن ت ٩٢٨هـ): الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل قدمه محمد بحر الطوم، جزءان، العراق، ١٩٦٨،

ص٤٧.

(٩٠) النويري: نهاية الإرب، ج٢٩، ص ١٥٢، ابن أيبك: الدر المطلوب، ص ٢٩٢.

(٩١) المقريزي: السلوك، ج١، ق١، ص٢٣٢، ليلي عبدالجواد: تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص١٠٩.

(٩٢) السلوك، ج١، ق١، ص ٢٣٠.

(٩٣) ابن واصل: مفرج الكروب، ج٤، ص٢٤٤،٢٤٣؛ المقريزي: السلوك، ج١، ق١، ص ٢٣٠، السيد الباز: مصر في عصر الأيوبيين، ص ٥٩،

LAMB (H): The crusades, London, 1931, P.262.

(٩٤) أبوشامة (عبدالرحمن بن إسماعيل ت ٦٦٥هـ): "تراجم رجال القرنين السادس والسابع" المعروف بالذيل على الروضتين، تحقيق السيد عزت العطار. طبعة أولي، القاهرة، ١٩٤٧، ص ١٥٤. عادل عبدالحافظ: العلاقات السياسية، ص ٢١٩، عبدالقادر اليوسف: علاقات بين الشرق والغرب القرنين الحادي عشر والخامس عشر، بيروت، ١٩٦٩، ص ١٧٨.

(٩٥) المقريزي: السلوك، ج١، ق١، ص ١٧١، عادل عبدالحافظ: العلاقات السياسية، ص ٢١٩،

Kantorwicz: Frederick, P.188.

(٩٦) حامد زيان: الحروب الصليبية، ص ١٨٥، ليلي عبد الجواد: تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ١٠١.

(٩٧) سعيد عاشور: الإمبراطور فردريك، ص ٢٠٩.

(٩٨) ستفن رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص ٣٣٢، محمود سعيد، عمران: تحقيق الحروب الصليبية، ص ٢٩٥ ؛

Zoe : The Crusades, Transl Ated from The Frech By Anne Carter, New York, p. 199.

(٩٩) سعيد عاشور: الإمبراطور فردريك، ص ٢٠٩، الحركة الصليبية، ج٢، ص ٨٠١.

(١٠٠) مؤنس عوض: الحروب الصليبية، ص ٢٩٢، ٢٩٣، ستفن رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص ٣٣٢،

Kantorwicz: Frederick, P.189.

(١٠١) حامد زيان: الحروب الصليبية، ص١٠، ليلي عبد الجواد: تاريخ الأيوبيين والمماليك ص١٠٢؛

King: The Knights, P. 208.

(١٠٢) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ص ٨٠١، ماير: الحروب الصليبية، ص ٣٣٩.

(١٠٣) عادل عبدالحافظ: العلاقات السياسية، ص ٢٢٢، Kantorwicz: Frederick, P.188.

(١٠٤) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج٢، ص ٨٠١.

(١٠٥) ستفن رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص ٣٣٣، ماير: الحروب الصليبية، ص ٣٣٩، ميخائيل زابوروف: الصليبيون في الشرق، ص ٣٠٣،
Michoud:Histoire des croisades,Tome3,P.20;Zoe:The Crusades,P.200.

(١٠٦) سعيد عاشور: الإمبراطور فردريك، ص ٢١٠، الحركة الصليبية، ج٢، ص ٨٠٢ ،
Kantorwicz: Frederick, P.199.

(١٠٧) عن الأفعال الغريبة التي قام بها فردريك أثناء وجوده في بيت المقدس انظر: ابن أيبك: الدر المطلوب، ص ٢٩٣، ٢٩٤، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ق٢، ص ٦٦٥، ٦٦٦، ابن واصل: مفرج الكروب، ج٤، ص ٢٤٤، ٢٤٥ ؛
Kantorwicz: Frederick, P.190 ; Zoe : The Crusades, P. 201.

(١٠٨) عن الصراع الذي حدث بين الإمبراطور فردريك الثاني والأمراء الصليبيين في عكا انظر ستفن رنسيمان: الحرب الصليبية، ج٣، ص ٣٣٧، محمود سعيد عمران: الحروب الصليبية، ص ٢٩٩.

(١٠٩) ستفن رنسيمان: الحروب الصليبية، ج٣، ص ٣٣٨، محمود سعيد عمران: الحروب الصليبية، ص ٣٠٠.

(١١٠) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج٢، ص ٨٠٤، ميخائيل زابوروف: الصليبيون في الشرق، ص ٣٠٣.

(١١١) ليلى عبدالجواد: تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ١٠٢.

قائمة المصادر :

- ابن الأثير: عز الدين ابن الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) :
  - الكامل في التاريخ، ١٢ جزء، بيروت١٩٧٩م.
- ابن أيبك الدواداري: أبوبكر بن عبدالله (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م).
  - كنزالدرر وجامع الغرر، ٩ أجزاء، ج٧، الدرر المطلوب في أخبار بني أيوب، تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور، القاهرة، ١٩٧٢.
- ابن تغري بردي: جمال الدين أبوالمحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م).
  - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٦ جزء، عن طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٣م.
- ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م).
  - كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المسمى تاريخ ابن خلدون، ٧ أجزاء، طبعة أولى، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٩٢م.
- ابن شداد : عز الدين محمد بن علي (ت ٦٨٤هـ) :
  - الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ج٣: تحقيق : يحيى عمارة، دمشق ١٩٧٨م.
- ابن شداد: بهاء الدين أبو المحاسن (ت ٦٣٢هـ) :
  - النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية المعروف بسيره صلاح الدين، دار صادر، د.ت.
- ابن العماد الحنبلي: أبوالفلاح عبدالحي(ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٩٠م)
  - شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٦ أجزاء، بيروت، د.ت.
- ابن العميد: المكيني جرجس (ت ٦٧٢هـ/ ١٢٧٠م)،
  - أخبار الأيوبيين، القاهرة، د.ت.
- ابن كثير: عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م).
  - البداية والنهاية، ١٤ جزء، طبعة القاهرة، ص٢٠٠٠.
- ابن واصل: جمال الدين أبوعبدالله محمد بن سالم (ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م)
  - مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ٥ أجزاء، ج٤ وج٥، تحقيق : حسنين محمد ربيع، القاهرة، ١٩٦٨.
- ابن الوردي : زين الدين عمر (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م).
  - تتمة المختصر في أخبار البشر جزءان- مجلد واحد، القاهرة ١٢٨٥.
- أبوشامة : عبدالرحمن بن إسماعيل (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م)
  - الروضتين في أخبار الدولتين جزءان- مجلد واحد، دار الجيل بيروت، د.ت.
  - تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين تحقيق السيد عزت العطار، طبعة أولى، القاهرة، ١٩٤٧م.
- أبوالفدا: عماد الدين إسماعيل (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م).

- المختصر في أخبار البشر، ٤ أجزاء، القاهرة، د.ت.

- الأصفهاني: عماد الدين محمد بن محمد (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م)
  - الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق: محمد محمود صبيح، القاهرة، ٢٠٠٣م.

- الحنبلي: أحمد بن إبراهيم (ت ٨٧٦هـ/ ١٤٧١م).
  - شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق ناظم رشيد، بغداد ١٩٧٩م.

- الحنبلي : أبو اليمن الطيبي عبدالرحمن (ت ٩٢٥هـ) :
  - الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل قدمه بحر فطوم، جزاءين، العراق.

- سبط بن الجوزي: شمس الدين أبوالمظفر يوسف قزاوغلي (ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م).
  - مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، المجلد الثامن، ق٢، طبعة أولى، حيدر آباد، ١٩٥١م.

- القلقشندي: أبوالعباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م).
  - صبح الأعشى في صناعة الإنشا ١٤ جزء، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، القاهرة.

- المقريزي : تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م) :
  - السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤ أجزاء، تحقيق : محمد مصطفى زيادة، القاهرة ١٩٣٤م.

- النويري : شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م) :
  - نهاية الارب في فنون الأدب، ج٢٩، تحقيق : محمد ضياء الدين الريس، القاهرة ١٩٩٢م.

- ياقوت الحموي : أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) :
  - معجم البلدان، ٥ أجزاء، تحقيق : فريد عبدالعزيز الجندي، لبنان، د.ت.

قائمة المراجع العربية :

- أحمد رمضان :
  - العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى الحرب الصليبية، د.ت.

- أحمد مختار العبادي :
  - في التاريخ الأيوبي والمملوكي، الإسكندرية ١٩٩٢م.

- جمال الدين سرور :
  - مجمل تاريخ دمياط سياسيًا واقتصاديًا، القاهرة ١٩٤٩م.

- حامد زيان :
  - الحروب الصليبية، د.ت.
  - العلماء بين الحرب والسياسة في العصر الأيوبي (أسرة شيخ الشيوخ)، القاهرة ١٩٧٨م.
  - تاريخ الأيوبيين والمماليك، د.ت.

- حسن حبشي :
  - الحرب الصليبية الأولى، ط١، القاهرة ١٩٤٧م.

- ستفن رانسيمان :
  - تاريخ الحروب الصليبية، ثلاث أجزاء، ترجمة : السيد الباز العريني، بيروت ١٩٦٧، ١٩٦٩م.

- سعيد عاشور :
  - الحركة الصليبية (صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، جزءان، ج٢، ط٤، القاهرة ١٩٨٦م.
  - الإمبراطور فردريك الثاني والشرق العربي، مقال بالمجلة التاريخية المصرية، المجلد ١١، عام ١٩٦٣م.

- السيد الباز العريني :
  - مصر في عصر الأيوبيين، القاهرة، ١٩٦٠م.

- سيد علي الحريري :
  - الأخبار السنية في الحروب الصليبية، ط١، ١٨٩٩م.

- عادل عبدالحافظ :
  - العلاقات السياسية بين الدولة الأيوبية والإمبراطورية الرومانية المقدسة زمن الحروب الصليبية، القاهرة ٢٠٠١م.

- عبدالقادر اليوسف :
  - العلاقات بين الشرق والغرب القرنين الحادي عشر والخامس عشر، بيروت ١٩٦٩م.

- قاسم عبد قاسم :
  - ماهية الحروب الصليبية.
  - في تاريخ الأيوبيين والمماليك، القاهرة ٢٠٠٥م.

- ليلى عبدالجواد :
  - تاريخ الأيوبيين والمماليك في مصر والشام، القاهرة ٢٠٠٥م.

- ماير :
  - تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة : عماد الدين غانم، ١٩٩٠م.

- محمد مؤنس عوض :
  - الحروب الصليبية والعلاقات بين الشرق والغرب في القرنين ١٢-١٣م، ٦-٧هـ، ط١، ١٩٩٩م.

- محمود سعيد عمران :
  - تاريخ الحروب الصليبية ١٠٩٥-١٣٩١م، الإسكندرية ١٩٩٥م.

- منال محمد السيد :
  - القوى البحرية في شرق حوض البحر المتوسط زمن الحروب الصليبية حتى أواخر القرن الثالث عشر الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ٢٠٠١م.

- ميخائيل إسارو :
  - المكتبة الصقلية، بغداد ١٨٥٧م.

- ميخائيل زابوروف :
  - الصليبيون في الشرق، ترجمة : إلياس شاهين، موسكو ١٩٨٦م.
- ميشيل بالار :
  - الحملات الصليبية والشرق اللاتيني في القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر، ترجمة : بشير السباعي، ط١، ٢٠٠٣م.

قائمة المراجع الأجنبية :

- Antony (B) :
  - The Crusades. Ney York,1982.
- Archer (T) :
  - The Crusades. London,1894.
- Duggan (A) :
  - The Story of The Crusades, 1097-1291, London.
- Groussel (R) :
  - Histoire Des Croisades ET DU Rouaume France De Jerusalem, 3 Vols, Paris,1034.
- large :
  - Histore Des Croisa
  - das, Paris,1924.
- James (A) :
  - The Crusades, London,1962.
- Kantorwicz :
  - Frederick The Second. London,1931.
- King (E) :
  - The Knights Hospitallers in The Holy Land. London, 1931.
- Lamb (H) :
  - The Crusades, London,1931.
- Michaud (J) :
  - Histoire Des Croisades, 5 Vols, Paris 1817.
- Steven Son (W) :
  - The Crusaders in The East. Camb 1907.
- Zoe (O) :
  - The Crusades, Translated from The French By Anne Carterm New York.

الدور الحضاري للأمير علاء الدين أيدغدي الأعسى في القدس والخليل (٦٦١- ٦٩٣هـ/ ١٢٦٣ - ١٢٩٤م)

د. إبراهيم محمد علي محمد مرجونة (*)

مقدمـــــة

كانت دولة المماليك بمصر والشام (٦٤٨ - ٩٢٣هـــ/ ١٢٥٠ - ١٥١٧م) بمثابة العصر الذهبي للعالم الإسلامي في معظم فتراتها التاريخية، فبعد أن أفاق المماليك من الصعوبات والمشاكل التي أحاطت بدولتهم منذ البداية، اهتم الظاهر بيبرس (٦٥٩- ٦٧٦هـ/ ١٢٦٠ - ١٢٧٧م) المؤسس الحقيقي لدولة المماليك البحرية بوظيفة ناظر الحرمين الشريفين[١]. ويفسر المقريزي دور هذه الوظيفة بأن صاحبها يتولى النظر في أوقاف الحرمين القدسي والإبراهيمي[٢].

أولت الدولة المملوكية اهتمامًا بالغًا بالشام بصفة عامة، والقدس والخليل بصفة خاصة، منذ اللحظات الأولى لظهور هذه الدولة على مسرح الأحداث السياسية، فبعد النصر في معركة عين جالوت (٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م) تقدم قطز إلى دمشق، فأخذها وجعلها نيابة، والنائب - القائم على أمور الإقليم - وهو ممثل السلطان فيه. والنيابة تضم عددًا من الأقضية، على كل منها وال. وإلى نيابة دمشق ضم قطز الأراضي كلها التي استولى عليها في بلاد الشام بما فيها القدس[٣].

وبعد أن فتح بيبرس صفد عام (٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م)، جعلها نيابة قائمة بذاتها، وقد أوليت صفد أهمية قصوى، نظرًا لموقعها الاستراتيجي، ولأنها ظلت لفترة طويلة مرتكز العمل المملوكي في مواجهة ما تبقى للفرنجة من مواقع على الساحل وخصوصًا عكا. ولذلك جدد ترميم قلعة صفد الكبيرة وتوسيعها. وفي أيام الناصر محمد بن قلاوون، الذي اعتلى الحكم ثلاث مرات متفرقة (الأولى ٦٩٣- ٦٩٤هـ/ ١٢٩٣ - ١٢٩٤م، والثانية ٦٩٨ - ٧٠٨هـ/ ١٢٩٨- ١٣٠٨م، والثالثة ٧٠٩- ٧٤١هـ/١٣٠٩- ١٣٤٠م)، أصبحت غزة نيابة مستقلة عام ٧١١هـــ/ ١٣١١م. ثم جعل السلطان الظاهر برقوق القدس نيابة ثالثة في فلسطين ٧٩٦هـ/

(*) مدرس التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية كلية الآداب جامعة دمنهور.

١٣٩٣م. وبينما تنتقل مركز الثقل السياسي والعسكري والإداري إلى صفد، ظلت القدس المركز الديني والثقافي[١].

كانت نيابة صفد تضم عددًا من الولايات منها: شقيف أرنون وتبنين وصور وعكا وعتليت والناصرة وطبرية والشاغور (الجليل الأسفل) وجنين، وأحيانًا بيسان. أما نيابة غزة، فقد كانت تضم عمومًا: ولاية الداروم (دير البلح) وولاية البر (النقب) وبيت جبرين والرملة ولد والقابون، ونيابة القدس تتبعها ولايتا الخليل ونابلس، وأحيانًا الرملة. وفي قمة هرم النيابة نائب السلطنة، وهو ممثل السلطان، ويكون في العادة بمرتبة "مقدم ألف"، ويليه ولكن بصورة منفصلة عنه نائب القلعة، ومهمته شئون القلعة عدة وعتادًا ورجالاً وإدارة، ويعينه السلطان. وعلى كل مدينة وال، هو بالأساس صاحب الشرطة فيها، ومسؤوليته الحفاظ على الأمن، وفي كل نيابة ناظر لبيت المال، وعدد من الموظفين الكبار لإدارة الشئون المدنية – حجاب وكتاب وغيرهم – وفي الشئون الدينية – نظارة الحرم والخطابة والوقف والقضاء ومشيخة المدارس وغيرها[٢].

وقد أولى الظاهر بيبرس اهتمامه الشديد بنظارة الحرمين الشريفين (القدس والخليل) وأمر بتعيين الأمير علاء الدين أيدغدي الأعمى ناظرًا لهما واستمر فيها ما بين ٦٦١- ٦٩٣هـ/ ١٢٦٣- ١٢٩٤م) [٣].

أولاً: اختصاصات ناظر الحرمين الشريفين والوضع قبل تولي الأمير علاء الدين نظارة الحرمين (القدس والخليل).

وبداية، يجدر بنا التعرف على معنى الوقف لغة واصطلاحًا؛ لأن من مهام ناظر الحرمين الشريفين الإشراف على الأوقاف الخاصة بهما، واستثمار هذه الأوقاف لصالحهما.

فمعنى الوقف لغةً: وقف وقوفًا: قام من جلوس وسكن بعد المشي، ووقف الدار ونحوها: حبسها في سبيل الله، فالوقف بمعنى الحبس عن التصرف مطلقًا، والوقف: حبس للعين على ملك الواقف أو على ملك الله تعالى، ويجوز جمع الوقف على أوقاف ووقوف ويعبر عنه بالحبس تارة وبالتسبيل تارة أخرى[٤].

أما عن الوقف اصطلاحًا : فقد اختلف الفقهاء الأربعة أبو حنيفة النعمان، ومالك بن أنس، ومحمد بن إدريس الشافعي، وأحمد بن حنبل، رضي الله عنهم جميعًا، في تعريف الوقف بحسب اتجاهات كل منهم في القول بلزوم الوقف أو عدم لزومه واستمراريته من عدمها، واشتراط القربة فيه. ومن الممكن استخلاص تعريف جامع مانع للوقف منهم على النحو الآتي: "الوقف هو: حبس عين يمكن الانتفاع بها، وذلك

بمنع التصرف في رقبتها بأي تصرف ناقل للملكية، وتسبيل منفعتها بجعلها لجهة من جهات الخير ابتداءً وانتهاءً[٥].

وبناءً عليه فإن الوقف يخرج العين الموقوفة من ملك الواقف إلى ملك الموقوف عليهم، ويكون ملكهم ملكًا ناقصًا، فلا يجوز لهم التصرف فيها بتصرف ناقل للملكية، مثل البيع والهبة، وإنما ينتفعون بغلتها على وجه اللزوم[٦].

ينقسم الوقف إلى ثلاثة أقسام وهي: الوقف الخيري، والوقف الأهلي، والوقف المشترك، والوقف الخيري هو ما تم وقفه أصلاً على جهة من جهات البر والخير التي لا تنقطع، ويقوم على حبس عين بعينها على ألا تكون ملكًا لأحد من الناس، وجعلها وريعها لجهة من جهات البر لتعم جماعة المسلمين. في حين جعل الوقف الأهلي أول الأمر على معيّن، سواء أكان واحدًا أو أكثر – هم وأعقابهم – إلى الفقراء، ويقوم على أساس حبس العين والتصدق بريعها وثمارها في وجوه الخير في المآل، فإنه يذهب أولاً إلى ذريته، أو غيرهم طبقًا للشروط التي يحددها الواقف، ثم جعل الوقف بعد ذلك على جهة البر والخير، ومن ثم يكون أساس التفرقة بين الوقف الخيري والوقف الأهلي: الجهة الموقوف عليها أول الأمر[٧].

أما القسم الثالث فهو: الوقف المشترك، ويجمع بين الوقف الخيري والوقف الأهلي، وهو الذي تم ابتداءً على الذرية، وعلى جهة من جهات البر في وقت واحد، بمعنى أن الواقف قد جمعهما في وقفه، فجعل لذريته نصيبًا من العين الموقوفة، وللبر نصيبًا محدودًا أو مطلقًا في الباقي أو العكس[٨]. ويلاحظ في هذا الشأن أن الوقف بأنواعه الثلاثة كان موجودًا في العصور الأولى للإسلام، فقد كان يدخل في عموم الصدقة دون أن يُسمى وقفًا[٩].

وبصفة عامة أسهم نظام العمل بالوقف بدور فعال في بناء صرح الحضارة الإسلامية، والمحافظة عليها على مر العصور، حتى غدا قاعدة أساسية من قواعد بناء مؤسسات المجتمع.

ونظرًا لأهمية الأوقاف في النواحي الاقتصادية والاجتماعية، فكان لازمًا على الظاهر بيبرس أن يوليها اهتمامًا خاصًا، وأن يجعل إشراف الدولة على نظام الأوقاف بشكل مباشر، فما كان منه إلا أن جعل النظار يشرفون عليها ويضبطون حساباتها، وفرض عليهم وضع النظم لضبط حركة الإيرادات والمصروفات، وأوجب عليهم صرف ومتابعة ومراقبة رواتب الموظفين العاملين على الأوقاف، وكذلك المحافظة على حقوق الجهات الموقوف عليها[١٠].

كذلك يجدر بنا، في هذا الموضع من الدراسة، أن نتعرف على اختصاصات ومهام ناظر الحرمين (الوظيفة التي تولاها علاء الدين أيدغدي)، فقد كانت هذه

الوظيفة توكل إلى أكابر الأمراء والمشهود لهم بالكفاءة، وكانوا يباشرونها بأنفسهم، ويعملون دائمًا بجد واجتهاد للارتقاء بالحرمين الشريفين ثقافيًا وحضاريًا[١٥].

ولعل أهمية تلك الوظيفة تكمن في ضبطها إيقاع الهيكل الإداري وتحديد المهام والاختصاصات. وساعدت السلطة المركزية في إحكام قبضتها على زمام الأمور؛ لأن متوليها لديه صلاحيات ومهام يجب أن يؤديها، ولذا علا شأنه وذاع صيته، وأضحى هناك تنافس على تولي هذا المنصب منذ بداية ظهوره.

ومن الأهمية أن نشير إلى أن وظيفة ناظر الحرم تعتبر من أقدم الوظائف الكبرى في بيت المقدس، فوجدت في العصر الأيوبي مع الأيام الأولى لتحرير بيت المقدس من جحافل الصليبيين، ٢ أكتوبر ١١٨٧م/ ٢٧ رجب ٥٨٣هـ، وكان على ناظر الحرم الإشراف على حرم بيت المقدس[١٦].

وأورد ابن اليمن الطيم: "أن السلطان صلاح الدين اختار الشيخ موسى بن غانم الأنصاري وعينه ليتولى مشيخة الحرم القدسي والنظر في أوقافه. ثم التقى حكام الأسرة الأيوبية خطى صلاح الدين في هذا الشأن. وعندما قامت دولة المماليك الأولى، وقع اختيار السلطان الظاهر بيبرس على أحد الأمراء الكبار الذين كانوا في جيشه وهو : الأمير علاء الدين أيدغدي بن عبد الله الصالحي النجمي، لتبوأ هذه الوظيفة. واستحدث الظاهر بيبرس مهام جديدة لهذه الوظيفة بحيث يكون متوليها ناظرًا للحرمين الشريفين (حرم بيت المقدس والحرم الإبراهيمي في الخليل) وليس الحرم القدسي فقط، كما كان الحال في عهد الدولة الأيوبية[١٦].

ومن اختصاصات ناظر الحرمين: الإشراف عليهما وبناء وإصلاح ما يحتاج إلى إصلاح، أضف إلى ذلك إشرافه على الأوقاف الخاصة بهما، وتثمير تلك الأوقاف لصالح الحرمين[١٧]، أما أموال الأوقاف الزائدة فكان يحتفظ بها في صندوق للصفرة، وكان بعض السلاطين يعملون على العناية بأوقاف الحرمين، فيرسمون بعمارة ما يحتاج إلى عمارة وترميم وإصلاح ما يحتاج إلى إصلاح من أموال الدولة[١٨].

نال هذا المنصب أهمية خاصة في ظل الدولة المملوكية؛ لأن قيام السياسة المملوكية اتخذت مسارين أساسين: أحدهما عسكري يعتمد على قوة الجيش المملوكي لفرض الأمر الواقع، وثانيهما ديني يستند على قوة دينية عناصرها : الخلافة العباسية في القاهرة، وأهل الحسبة، والمنشآت الدينية، فقد امتزجت الوحشية بالتقوى في عصر سلاطين المماليك بشكل مثير؛ إذ اشتهر أولئك المقاتلون الأكفاء بقسوتهم في التعامل مع خصومهم، ولكنهم خلفوا أيضًا تراثًا رائعًا من المنشآت التي وظفت لأغراض دينية واجتماعية، ما تزال قائمة في مدن مصر والشام تحكي عن عظمة ذلك العصر. وهو ما تعتبره العكلسا للبعدين الديني والعسكري في سياسة هذه الدولة، التي ظلت تقود العالم الإسلامي على مدى أكثر من قرنين ونصف من الزمان[١٩]. وعلى

الرغم من كافة الجهود المضنية التي بذلها السلطان الظاهر بيبرس، على الصعيد السياسي والديني والاجتماعي، لتوطيد سلطته في الداخل، فإن بقاء هذه الدولة التي يجلس على عرشها ظل رهينًا بأدائها الدور التاريخي المنوط بها؛ أي بالقضاء على الأخطار الخارجية وحماية العالم الإسلامي[٢٠].

نجحت الدولة المملوكية الأولى في أداء دورها المنوط بها على أكمل وجه؛ لأنها أحسنت اختيار رجالها، سواء في المناصب السياسية أو المناصب الدينية، فصار الجميع شركاء في إدارة عجلة التقدم والازدهار الحضاري.

أقدم السلطان الظاهر بيبرس على استحداث مهام لمنصب ناظر الحرمين الشريفين بالقدس والخليل؛ واتجه إلى إرساء نُظم مُعينة لإدارة الأوقاف من خلال النظار، وكانت مهمتهم ضبط حسابات الأوقاف الخيرية، من حيث إيراداتها ومصروفاتها من ناحية، ومن ناحية أخرى المحافظة على حقوق الجهات الموقوف عليها، وفي مقدمتها المساجد؛ ومن ناحية ثالثة تنظيم صرف مرتبات موظفي تلك الجهات من خلال دفاتر وقلم محاسبات، وقد استلزم ذلك وضع تقنين ينظم العلاقة بين الناظر بصفته ممثلاً للحكومة وبين الوقف[٢١].

بذلك يكون الظاهر بيبرس قد أضاف مهامًا جديدة إلى ناظر الحرمين، وجعل هذا المنصب يحتل بين طياته صلاحيات عديدة لمن يتولاه، وفي ذلك دلالة على وعي السلطان الظاهر بيبرس وكثرة خبراته ولحنكاته، فصار لديه قدرة فائقة على حسن قراءة الأحداث السياسية بشكل جيد، والتعامل معها بما يناسبها، فساهم هذا المنصب، بدعم السلطان، في دفع العجلة الحضارية والإدارية إلى الأمام، وحقق نوعًا من الاستقرار والتوازن.

يتبين مما سبق أن وظيفة ناظر الحرمين الشريفين شهدت طفرة كبيرة، وتطورًا ملحوظًا، في عهد الظاهر بيبرس، وأضيف إلى متوليها عديد من المهام، ونال كثيرًا من الصلاحيات، حتى أضحت من أبرز وأهم الوظائف في تلك الآونة، وساهمت بشكل مباشر في دفع عجلة التقدم والحضارة إلى الأمام، من خلال الدور الذي كان يقوم به ناظر الحرمين الشريفين.

ثانيًا - دور الأمير علاء الدين أيدغدي الحضاري في القدس والخليل:

يحسن بنا في هذا الموضع أن نتعرف على شخص الأمير علاء الدين أيدغدي، فهو الأمير الكبير: علاء الدين الأعمى الأيدغدي بن عبد الله الصالحي النجمي، كان من أكابر الأمراء، فلما كف بصره أقام بالقدس الشريف، وكان مشهودًا له بالكفاءة وحسن السيرة. ومع بداية عام ٦٦١هـ/ ١٢٦٣م، أمر السلطان الظاهر بيبرس

بتعيين الأمير علاء الدين أيدغدى الأعسى، في وظيفة ناظر الحرمين الشريفين بالقدس والخليل، واستمر فيها ما بين سنتي (٦٦١- ٦٩٣هـ/ ١٢٦٣- ١٢٩٤م) وقد ارتفى هذا الأمير أثناء ولايته بشئون القدس والخليل كثيرًا[٢٢].

أفادت الأوقاف الأمير علاء الدين الأعسى في القيام بدوره على أكمل وجه. ومن أشهر هذه الأوقاف : وقف تميم الداري، فهو الصحابي الجليل تميم بن أوس الداري، كان نصرانيًا من أهل الخليل، ومن علماء أهل الكتاب وأحبارهم، ولديه علم بكثير من الغيبيات التي تحدث بها النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك كان يستشهد به في بعض تلك الأمور المستقبلية، مثل قصة المسيح الدجال. ويُذكر لتميم أيضًا أنه أول صحابي أضاء المسجد النبوي بالسرج، وحكى به قصصًا لم تأت تفاصيلها في القرآن، وأنه روى ثمانية عشر حديثًا عن النبي صلى الله عليه وسلم، كما أهداه فرسًا استخدمها في الغزوات، وكان واحدًا ممن دونوا القرآن، كما كان يقوم مقام النبي صلى الله عليه وسلم في إمامة المسلمين في الصلاة ويصحبه في غزواته[٢٣].

وبعد فتح المسلمين فلسطين (١٦هـ/ ٦٣٧م) على عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) (١٣- ٢٣هـ/ ٦٣٤ - ٦٤٣م) نصب تميم الداري أميرًا على بيت المقدس، وتولى وعظ الناس، باسم عمر[٢٤]، وما من شك أن هذا المنصب جعله خبيرًا بأوضاع القدس والخليل وغيرهما من بلاد فلسطين[٢٥].

تحدثت كتب التراث الإسلامي عن الإقطاع الذي حازه الصحابي تميم الداري، حيث أورد الحافظ ابن عساكر (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م) حديثًا، قام بتخريجه وتصحيحه، منسوبًا إلى تميم جاء فيه "قال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، إن لي جيرة من الروم بفلسطين، لهم قرية يُقال لها: حبري[٢٦] وأخرى يُقال لها: بيت عينون[٢٧]، فإن فتح الله عليك الشام فهبهما لي. قال: هما لك. قال فاكتب لي بذلك كتابًا. فكتب له "بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من محمد رسول الله لتميم بن أوس الداري: أن له قرية حبرى وبيت عينون كلها، سهلها وجبلها، وماءها وحرثها وأنباطها[٢٨] وبقرها[٢٩] ولعقبه من بعده[٣٠] لا يحاقه[٣١] ولا يلجها عليهم أحد بظلم، فمن ظلمهم أو أخذ منهم شيئًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين" وكتب علي ابن أبي طالب. فلما ولي أبو بكر رضي الله عنه (١١- ١٣هـ/ ٦٣٢ - ٦٣٤م) كتب لهم كتابًا نسخته: "هذا كتاب من أبي بكر الذي استخلف في الأرض بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم[٣٢]، كتبه للداريين، أن لا يفسد عليهم مأثرتهم[٣٣]: قرية حبرى وبيت عينون، فمن كان يسمع ويطيع فلا يفسد منهما شيئًا وليقم عمرو بن العاص عليهما، فليمنعهما من المفسدين[٣٤].

وقد خلص المقريزي بعد دراسة مدققة إلى القول بأن: "لما كان زمن عمر رضي الله عنه، وفتح الشام أمضى له ذلك[٣٥]، وهذا بعد الانتصار على الروم في

موقعة أجنادين، جمادى الأولى ١٣هـ يوليو ٦٣٤م[٣٦]، وبذلك سنحت الفرصة أمام الخليفة الثاني فأقدم على تنفيذ وصية الرسول صلى الله عليه وسلم، فوهب الإقطاع لتميم.

ثمة نقطة مهمة حدثت عند تسليم الأراضي المقطعة لتميم الداري وقت التنفيذ، ففي رواية أخرى على لسان تميم أوردها ابن عساكر بسنده يضيف : "فجعل عمر، رضي الله عنه، ثلثها لابن السبيل، وثلثها لعمارتها وثلثها لنا". أي لتميم وأقاربه، وأوردت الرواية كذلك عبارة أخرى لها دلالاتها ونصها: "وقال عمر لتميم: هما قريتان من الشام، ليس لك أن تستخدم أهلها ولا تبيح، ولكن خراجهما لك فلم يزل ذلك لهم"[٣٧]. ولما كان العلماء قد أقروا بعيدًا أن للإمام ولاية عامة، وله أن يتصرف في مصالح المسلمين[٣٨]، فلا شك أن هذا يضفي على عطية أمير المؤمنين عمر الصحة التامة. كذلك نلحظ أن هذه الشواهد تجعل من الإقطاع وقفًا، فضلًا عن صفته الأصلية، ويؤكد المؤرخ المقريزي على ذلك فيما قال: "إنه ليس في شئ من الآثار التصريح بالوقفية: إلا ما في الأثر السابق عن عمر، رضي الله عنه. فإنه شرط أن لا يبيع : (أي تميم) وأن يخرج ثلثًا لأبناء السبيل، وثلثًا في العمارة والذي يتحرر أن ذلك كان أرصادًا له ولذريته إلى آخر الدهر"[٣٩].

ومما نبه إليه المقريزي أيضًا، أن الإقطاع لم يشمل مغارة المكفيلة Makphila[٤٠] "التي فيها قبور الأنبياء عليهم السلام بالخليل فلا يحل لأحد بحكمها فإنها لم تدخل في العطية لكون إبراهيم الخليل عليه السلام. اشتراها لدفن أهله، فإن العطية إنما وقعت على ما لا ملك فيه لمسلم ولا اختصاص. فكيف إذا كان نبي من أنبياء الله تعالى عليهم السلام"[٤١].

بناءً على ما تقدم : يُعد وقف تميم الداري بكورة الأوقاف الإسلامية التي رصد هدف من خلالها سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - إلى سن مجموعة من الأسس والقواعد التي يجب أن تتبع في ممارسة العمل الخيري بين المسلمين، فكانت الأوقاف بالنسبة لهم هي المجال المتميز لكل ما يحقق الأجر والمثوبة عن صدقاتهم الجارية بغية تثقيل موازينهم يوم الحساب. لذلك حرص عامة المسلمين من أصحاب الممتلكات على وقفها لينفق منها على جهات سبل الخير المختلفة، ليجمعوا بين خيري الدنيا والآخرة، أما خير الدنيا فبالمحافظة على العين الموقوفة حيث لا تُباع ولا توهب، وأما خير الآخرة فهو امتداد ثوابها إلى صاحبها بعد موته[٤٢]، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له"[٤٣].

وفي هذا الموضع من الدراسة، نجد من الضروري تفسير إقدام السلطان الظاهر بيبرس على استحداث منصب ناظر الحرمين الشريفين بالقدس والخليل، في

ظل وجود الداريين أصحاب الإدارة الأولين، فإن الأصل في إدارة الأوقاف هو : أنها إدارة أهلية مستقلة، تعمل وفق مبدأ التسيير الذاتي، بعيدًا عن التدخل الحكومي، بحدوها في ذلك المصلحة الشرعية، إلا أن الممارسة الفعلية للوقف الداري، تطلبت في المرحلة التالية تدخل الإدارة الحكومية ممثلة في السلطان، الذي اتجه إلى إرساء نظم معينة لإدارة الأوقاف من خلال النظار أمثال (علاء الدين أيدغدي) وكانت مهمتهم ضبط حسابات الأوقاف الخيرية من حيث الوارد والمنصرف، والمحافظة على حقوق الجهات الموقوف عليها، وفي مقدمتها المساجد، ومن ناحية ثالثة تنظيم صرف مرتبات موظفي تلك الجهات من خلال وضع دفاتر وقلم محاسبات، وقد استلزم ذلك وضع تقنين ينظم العلاقة بين علاء الدين أيدغدي، بصفته الناظر وممثل الحكومة، وبين الوقف[٤٤].

لا ريب في أن وضع الرجل المناسب في المكان المناسب وإسناد الأمر لأهله، أفاد كثيرًا، وأعطى نظارة القدس والخليل دورًا بارزًا تجلى في عدة نواح : معمارية واقتصادية واجتماعية، لاسيما بعد توافر الأموال المطلوبة لمثل هذا الإجراء، من خلال الأوقاف وخزانة الدولة المملوكية.

دور الأمير علاء الدين أيد غدي في النواحي المعمارية بالقدس والخليل: نالت النواحي المعمارية في القدس والخليل اهتمامًا كبيرًا من قبل علاء الدين أيدغدي، مرتكنا إلى الدور الذي لعبه وقف تميم الداري في هذا المضمار، باعتبار أن وقف الداريين غدا جزءًا لا يتجزأ من عمل الناظر، بحكم تداخل دوره مع إشراف الداريين على وقفهم[٤٥].

ويجب في هذا الموضع الإشارة إلى أن تعيين الناظر لم يعن إلغاء إشراف الداريين على وقفهم، إنما كان ذلك بمثابة إحداث طفرة إدارية، تنظم العمل بشكل يتوافق مع تضاعف حجم هذا العمل، في مجاليه المعماري والاجتماعي، حيث أصبحت المتطلبات الحقيقية للحرم أكثر من طاقة ريع الوقف الداري، ولا يمكن تفسير تلك الخطوة إلا بأنها تعبر عن مزيد من الاهتمام بالمزار الإبراهيمي الشريف بالخليل[٤٦].

ويلفت النظر اهتمام سلاطين المماليك وأمرائهم ببناء الأماكن الدينية، والمعاهد التعليمية والمؤسسات الاجتماعية، ويتضح من المصادر أن هؤلاء نظروا إلى رجال الدين والفقهاء والمشايخ، ورجال العلم، نظرة إجلال. ولعل كونهم طبقة عسكرية حاكمة، تملك الكثير من المال والقليل من المعرفة في هذه الحقول، جعلها تعوض هذا النقص بالبذل السخي لإقامة هذه المنشآت، ولقد أكثر المماليك من هذه المباني وأغدقوا عليها الأوقاف، وبذلوا الأموال الوفيرة على تجميل عمارتها وتزيين داخلها وظاهرها، وانتشر ذلك في جميع أنحاء مملكتهم، ونالت القدس قسطًا وافرًا منها. واعتنى المماليك بتزيين المدينة : مداخلها ومساجدها وقبابها، وعمارتها وسبل الماء

فيها ومواقفها. وقد أوكل السلطان الظاهر بيبرس أمر الإشراف على البناء والعمارة إلى الأمير علاء الدين أيدغدي، حيث أشرف على البناء والإصلاح في القدس، وكذلك أشرف على الأوقاف الخاصة، وعمل على تعميرها، وعمر ما يحتاج إلى عمارة وأصلح ورمم ما يحتاج إلى إصلاح[٤٧].

ومعظم أروقة الحرم القدسي الشريف بنيت في أيام المماليك، وتحت رعاية ومسئولية علاء الدين أيدغدي، فقد أشرف على عمارة وترميم المدرستين الصلاحية والمعظمية (اللتين بناهما صلاح الدين والمعظم الأيوبيان)، وأقام المماليك عددًا كبيرًا من المدارس في القدس منها : الدوادارية والوجيهية والسلامية والكريمية والتنكزية والأمينية والملكية والفارسية والخاتونية والباسطية والحسنية والعثمانية والجوهرية والأشرفية والجاولية وبعض هذه المدارس سبق عهد علاء الدين، وبعضها تزامن معه، وبعضها تم بعده، وقد شهدت القدس أيضًا، إبان نظارة علاء الدين أيد غدي، بناء العديد من الزوايا الصوفية والخانات والأسبلة، وكذلك البيمارستانات والأسواق والفنادق[٤٨].

أما بالنسبة لمميزات هذه المدارس، فقد اقتصر التدريس في معظمها على العلوم الدينية، بينما اتسعت بعض المدارس، كالصلاحية والأشرفية والتنكزية، لتدريس علوم دنيوية، واستخدمت المدارس المملوكية لعدة أغراض، فبعضها كان مدفنًا لأصحابها والعلماء المدرسين فيها، وقد كان بناء المدارس المملوكية على الطراز السلجوقي[٤٩].

وقد ضمت الخليل عددًا من المدارس أهمها: القميرية والفخرية، وعيون الماء: عين سارة وعين الحمام، ومن أبرز مقابرها مقبرة البقيع، وكذلك زخرت بالزوايا والخانات والأسبلة والأسواق والفنادق والبيمارستانات[٥٠].

وتتميز واجهة المدارس في القدس والخليل بالتناظر، وبوجود خط رخامي، إما فوق الباب مباشرة، أو باختراق الباب من الوسط، ويعلو الكتابة شباك مربع لحراسة الباب، ويتدلى فوق الباب مباشرة المقرنصات والزخرفات، واتسمت المدارس بالفخامة، وتميز بناء الحجر للواجهة بما يُسمى فن الأبلق، وهو نظام سلجوقي يعتمد على تغيير لون الحجر حسب المدماك، وهذا يعطي الواجهة فخامة وهيبة عمرانية. وكان يوقف على المدرسة أوقاف متنوعة، منها الدكاكين بالأسواق أو الخانات، أو الإنتاج الزراعي لقرية أو أراضٍ أو قرى بأكملها[٥١].

وصارت القدس والخليل إبان نظارة علاء الدين أيد غدي أكثر ازدهارًا، وحفلتا بالعمائر المملوكية التي كانت نموذجًا رائعًا لتطور العمارة الإسلامية[٥٢].

ونمة ملاحظة مهمة، وهي أن النواحي المعمارية في القدس والخليل راجت وازدهرت إبان نظارة علاء الدين أيد غدي، فصارت تعبر عن الهوية والحضارة الإسلامية، فقد حافظ الأمير علاء الدين على المعمار القديم ورممه وأصلحه، واستحدث معمارًا جديدًا متنوعًا يشمل الأبنية الدينية والتعليمية والاجتماعية، فصار المعمار يخدم جميع فئات المجتمع، ويساعد على التقدم والرقي ومواصلة اللحاق بالركب الحضاري.

وتصل علاء الدين اهتماماته المعمارية في القدس، حيث قام بالإشراف على بناء أروقة المسجد الأقصى التي تمتد من باب الحرم حتى باب القوانسة، وعمر السور القبلي عند محراب داود، وجدد عمارة باب القطانين، وعمر قناة السبيل[٤٣] وكذلك ظهرت جهود ناظر الحرمين الشريفين، حيث اهتم بتشييد بناء محكم في الخليل، يضم بعض الغرف بالقرب من الحرم الإبراهيمي، بداخله الأقران والطواحين[٤٤].

وفي إطار اهتمام الأمير علاء الدين بالرباط في القدس والخليل: أوقف رباط علاء الدين البصير تجاه الرباط المنصوري، وقفه في سنة ست وستين وستمائة ولم يظهر له كتاب وقف، فكتب محضرًا بوقفه، وثبت لدى حاكم الشرع الشريف تاريخ المحضر فثبت بوقفه، يوم الخميس ثامن عشر ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة، وهو مدفون بالرباط المذكور[٤٥]. وسمي رباط البصير، لأن الذي أوقفه الأمير علاء الدين أيدغدي الأعمى، فأطلقوا عليه البصير، لكثرة أعماله الخيرية، ولأنه يرى ببصيرته، وكان هناك أيضًا رباط المنصوري، ويقع على يمين الداخل المسجد الأقصى من باب الناظر، أوقفه الملك المنصور قلاوون الصالحي عام ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م استعمل أيام العثمانيين سجنًا للموقوفين، الذين ينتظرون محاكمة، ويسكنه الآن عدد من عائلات التكارنة السودانيين الفقراء[٤٦].

ترتب على نشاط وقف الداريين الخيري – الذي خضع لإدارة وإشراف علاء الدين أيدغدي والداريين من خلفه، وكذلك ما أضيف إليه من أوقاف أخرى – أن ازدهرت أبنية الحرمين الشريفين في القدس والخليل والدور من حولهما إلى حد كبير، مما أهله للقيام بدوره الديني والاجتماعي بشكل أكثر كفاءة. ولكثرة ما أنفق على العمارة، يتبين مدى الثراء الذي انتهى إليه حال الحرمين الشريفين[٤٧].

النواحي الاجتماعية في القدس والخليل أثناء نظارة علاء الدين أيدغدي: رافق عهد علاء الدين أيدغدي انتعاش كبير وازدهار عظيم في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية، لأن نظارته صاحبها نشر الأمن والأمان في نفوس معتنقي كل الأديان، حتى غدا ذلك من مزايا الحكم الإسلامي. كذلك نلحظ تغلب نشاط الأوقاف ولاسيما وقف تميم الداري في الخليل ونظارة الحرم، في مجال خدمة ابن السبيل من خلال ما كانت تقدمه الضيافة من أطعمة ومأوى[٤٨].

وعلى المستوى الرسمي؛ تبرز أمامنا جهود ناظر الحرمين الشريفين "القدس والخليل" الأمير علاء الدين أيدغدي الذي عاصر السلطانين الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون (٦٧٨- ٦٨٩هـ- ١٢٧٩- ١٢٨٩م) حيث اهتم بتشييد بناء محكم ضم بعض الغرف بالقرب من الحرم الإبراهيمي "بداخلة الأقران والطواحين، وهو مكان من العجائب يغلق عليه باب واحد، والحاصل الذي يوضع فيه القمح والشعير عشرة". ويتمكن هذا الأمير من أن يرتفع بالكميات التي كانت الضيافة توزعها من الطعام، من مجرد خمسة كيالج قمحًا وأخرى عدسًا، إلى غرارتين قمحًا "وهذا يعد من حسن سيرته وطيب أيامه"[٤٩]. علمًا أن كيلجة القمح في أخريات العصور الوسطى تعدل حوالي كيلو جرامًا ونصف كيلو[٥٠].

يتبين مما سبق أن كميات القمح التي كانت تُستهلك في الضيافة، أوائل العصر المملوكي، قد تضاعفت عشرات المرات، عما كانت عليه إبان العصر الأيوبي، وفي ذلك دلالة على حسن أداء ناظر الحرمين لمهمته، بجانب حسن سيرته وحبه للخير والإنفاق في سبيل الله.

أحدث ناظر الحرمين نوعًا من التكافل الاجتماعي، وعمل على زوال الأحقاد بين طبقات المجتمع، من خلال حسن الضيافة لابن السبيل والمحتاج والمساكين والفقراء داخل القدس والخليل. وكان وجود ناظر الحرمين بمثابة طفرة إدارية، تنظم العمل بشكل يتوافق مع حجم هذا العمل الاجتماعي، الذي عكس بدوره الوجه الحضاري المشرق للقدس والخليل في العصر المملوكي، ولاسيما إبان ولاية علاء الدين أيدغدي لنظارة الحرمين الشريفين.

كانت الأطعمة والمأوى تُقدم أيضًا في الحرم القدسي من قبل نظارة الحرم، ونال ابن السبيل والفقراء والمساكين حظهم من المأكل والمشرب والمأوى، ولم يتوقف الأمر على الحرم القدسي فقط، بل أنشئ رباط قلاوون" ويسمى أيضًا الرباط المنصوري عام (٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، ووقفه على الفقراء من زوار القدس، ويقع هذا الرباط قبالي الطريق المؤدية إلى الحرم من المغرب عند باب الناظر. وأولى علاء الدين جل اهتمامه لخدمة الفقراء والمساكين وابن السبيل من رواد الحرمين الشريفين[٥١].

وفي إطار اهتمام السلطان بيبرس بشئون الحرمين (القدس والخليل) وضيافتيهما، حرص على وضع الضوابط تنظيمًا وترتيبًا للمزار والزوار، وكان علاء الدين أيدغدي حريصًا على بذل أقصى جهد للحفاظ على هذه الضوابط والتنظيمات، لمزارات القدس التي قصدها المحليون والأجانب، ويأتي على رأسها بيت المقدس والمسجد الأقصى[٥٢].

فقد ورد في الصحيحين "من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع في الأرض أولاً، قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي قال: المسجد الأقصى، قلت كم بينهما قال أربعون عامًا"[١٢].

وكذلك كانت قبة الصخرة من أشهر المزارات، ويروى يزيد بن سلام مولى عبد الملك بن مروان. أن عبد الملك حين همّ ببناء صخرة بيت المقدس والمسجد، قدم من دمشق إلى بيت المقدس، وبعث الكتب في جميع عماله وإلى جميع الأمصار: أن عبد الملك قد أراد بناء قبة على الصخرة، صخرة بيت المقدس، تقي المسلمين من الحر والبرد، وكان ذلك بداية من عام سبعين من الهجرة[١٣].

كانت دار الحديث من أهم وأبرز مزارات القدس، وهي تقع بجوار التربة الجاقمية على طريق باب السلسلة، وقفها الأمير شرف الدين عيسى ابن بدر الدين محمد بن أبي القاسم الهكاري، عام ٦٦٦هـ- ١٢٦٧م، وأشرف على هذا الوقف علاء الدين أيدغدي نظر الحرمين، واهتم بالمزار وبشئون ضيافته، سواء كان الزوار من السكان المحليين أم من الأجانب، وقدم أيضًا علاء الدين الواجبات للمسافرين والمجاورين والفقراء من الناس القاصدين هذا المزار[١٥].

لعله ليس من بين بلدان الدنيا بلد يحق لها أن تفاخر غيرها بما حوته من مقدسات كمدينة بيت المقدس، فهي موطن كثير من الأنبياء والرسل. يقول عنها القزويني: "وهي المدينة المشهورة التي كانت محل الأنبياء وقبلة الشرائط ومهبط الوحي – وما فيه من موضع شبر إلا وصلى فيه نبي أو قام فيه ملك"[١٦] لذا فهي مهوى أفئدة المسلمين وقرة أعينهم. هذه المدينة التي يقدسها المسلمون مقدسة أيضًا عند المسيحيين، ففيها كثير من الأماكن المقدسة التي ترتبط بتراث المسيحيين مثل كنيسة القيامة، حيث يحج إليها المسيحيون من مختلف الأقطار ، بل إن المسيحيين الغربيين كانوا يعتقدون، في العصور الوسطى بوجه خاص، أن زيارة بعض الأماكن بها قد تهب التوبة من الذنوب[١٧].

وما زال اليهود يزعمون نسبة بعض الأماكن بها إلى كثير من أجدادهم الأوائل. وحسب هذه المدينة أن اجتمعت فيها مقدسات الأديان السماوية الثلاثة، وشهدت أرضها آثارًا لموسى وعيسى ومحمد، عليهم جميعًا صلوات الله وسلامه، لذلك حظيت مدينة بيت المقدس بمكانة خاصة في جميع أنحاء العالم قديمه وحديثه، بالرغم من أنه ليس لها كثير من الخواص الطبيعية التي تحالف المدن الكبرى، فهي لا تقع على مجرى مائي عظيم، ولا هي ميناء، ولا هي واقعة على طريق رئيسي، أو عند ملتقى عدة طرق، كما أن أراضيها بركانية فلا يصلح الكثير منها للزراعة التي كانت عنصرًا رئيسيًا في قيام كثير من الحضارات القديمة، ومع هذا فهي تعتبر، من قديم الزمان، ذات مركز ديني أكثر منها ذات وضع سياسي[١٨].

ونتج عن اهتمام علاء الدين، ناظر الحرمين الشريفين، بالمزارات وإصلاحها وترميمها وحسن الرعاية والضيافة للزوار، أن حدثت طفرة داخل المجتمع، حيث صارت معظم المزارات بمثابة مؤسسات اجتماعية، يُقدم من خلالها الرعاية والإنفاق والمأكل والمشرب للمحتاجين والمساكين وابن السبيل، وفي الوقت ذاته كانت مهبطًا للرحالة والزوار من شتى البقاع، مما انعكس على النواحي الحضارية بالإيجاب، حيث الإحتكاك والنقل عن الآخر والتبادل الفكري والثقافي ، وكذلك تبادل المؤثرات في النواحي الاجتماعية، من مأكل وملبس وعادات وتقاليد، وأحدث ذلك كله ازدهارًا ملحوظًا ورواجًا حضاريًا كبيرًا.

أما عن أشهر المزارات في الخليل : فيأتي المسجد الإبراهيمي على رأسها، لاسيما بعدما شهده الحرم الإبراهيمي من إعمار في العصر المملوكي، فقد حدثت تعديلات معمارية عديدة على الحرم الإبراهيمي: حيث زيد في بنائه وملحقاته، واستعاد الحرم ازدهاره العمراني، فقد قام السلطان الظاهر- بيبرس في عامي ٦٦٥- ٦٦٦هـ/ ١٢٦٧- ١٢٦٨م وبمشاركة علاء الدين أيدغدي- بتجديد القبة الرئيسية للمسجد، وتجديد قبر الخليل عليه السلام. وزاد في الرواتب التي كانت تصرف على المقيمين، وعمر مخزن سماط الخليل، ورتب كذلك الأخشاب، والأبواب في المسجد، ودهن ما يحتاج منها إلى الدهان، كما أصلح للمطاهر وأماكن الوضوء[١٩].

وإبان عهد المنصور سيف الدين قلاوون، أمر بتغطية أجزاء واسعة من الحرم بالرخام، في عام ٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م، ووقف علاء الدين أيدغدي بنفسه على الأعمار[٧٠]، ويبدو أن هذه الأعمال كانت كبيرة، إلى حد أنها عُدت بمثابة تجديد الحرم الإبراهيمي[٧١].

اشتهرت الخليل أيضًا بالعديد من قبور ومقامات الأنبياء، والأولياء الصالحين، التي كانت محط أنظار الناس، وفي مقدمتها قبور الآباء: إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، وزوجاتهم، بجانب مقام تميم بن أوس الداري، وقبر يونس عليه السلام، وقبر لوط عليه السلام، ومقام فاطمة بنت الحسين بن علي، وغيرها من المشاهد والقبور التي انتشرت في أرجاء كثيرة من الخليل، وصارت مقصدًا للقاصي والداني[٧٢].

وزخرت مدينة الخليل أيضًا بالزوايا، وأشهرها زاوية " الشيخ علي البكا " في الحارة التي تحمل اسم صاحبها، حارة الشيخ الذي توفي عام ٦٧٠هـ/ ١٢٧١م، وكذلك زاوية القاسمي، وتقع هذه الزاوية في حارة الشيخ علي البكا، وتنسب إلى مؤسسها الشيخ أحمد القاسمي، وزاوية الشيخ خضر في حارة قيطون، بناها الظاهر بيبرس للشيخ خضر عام ٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م، ورتب لها من مال البلد راتبًا يجري على الفقراء المقيمين بها والواردين عليها[٧٣].

ومن الأربطة التي وجدت في الخليل : الرباط المنصوري الذي عمره المنصور قلاوون عام ٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م، لسكنى الزوار والفقراء. وعرفت الخليل أيضًا العديد من المدارس (السلطان حسن – القميرية – الفخرية) والحمامات وقنوات المياه، وتُعد الحمامات من المؤسسات الاجتماعية الهامة في المجتمع الإسلامي، وكانت مركزًا للراحة النفسية لاجتماعات المرحة، وقد كان للحمام دور ديني يتمثل في الطهارة والنظافة التي يحض عليها الإسلام، وكان الناس يقصدون الحمامات والعامة من مختلف الطبقات، رجالاً ونساء للاستحمام. وكانت الحمامات تستعمل كمنشآت صحية للعلاج من الأمراض المختلفة، وفيها موظفون متخصصون في المعالجة وعلى رأسهم: المدلكون، والحلاقون والحجامون. وللحمام منافع كثيرة منها: توسيع مسامات لجسم ومعالجة الإسهال والإمساك، وإذهاب الكحة والجرب وترطيب البدن، وإذهاب الحمى وغيرها. ويُبنيت الحمامات بشكل هندسي وفني جميل ورائع[٧٤].

وقد وجد بالخليل حمام بناه الأمير علاء الدين أيدغدي ورسم أساسه بيده، وخرج بشكل هندسي رائع، وتزود هذا الحمام بالمياه من عين الحمام التي تصب فيه[٧٥].

مما سبق يتبين أن علاء الدين أيدغدي كان بمثابة المهندس المعماري الماهر، الذي أشرف وأصلح ورمم ورسم بيده أروع طرز معمارية وفنية، شهدتها مدينتا القدس والخليل في العصر المملوكي، وفي الوقت ذاته اعتنى عناية فائقة بالنواحي الاجتماعية، حتى أضحى سندًا لكل محتاج أو فقير أو عابر سبيل، وكان راعيًا كريمًا لكل ضيف أو زائر، قاصد القدس والخليل، فكان علاء الدين أيدغدي رجلاً فعليًا يستحق الإشادة والتقدير لما قدمه من انجازات حضارية.

ومن أبرز المنشآت والمزارات، ذات الطابع الاجتماعي، التي أشرف عليها الأمير علاء الدين: سماط الخليل الذي يُطلق عليه اسم مائدة الخليل، والمتمثلة في تقديم الوجبات المجانية لزوار الحرم الإبراهيمي أو للمجاورين، وكذلك للمسافرين والمارين عليه وعابري السبيل وفقراء الناس والمقيمين في الخليل[٧٦]. فهذه المنشأة شملت جميع قاصدي الحرم الخليلي، سواء أكانوا أغنياء أم فقراء، أم عابري سبيل، فهي بمثابة هيئة دولية تقدم المأوى والمسكن والمأكل والمشرب للمحتاجين والزائرين، دون قيد أو شرط، ومارست عملها بإتقان تحت إشراف الأمير علاء الدين أيدغدي.

وفي إطار اهتمام السلطان الظاهر بيبرس بشئون الحرم الخليلي وضيافته، أمر نائب السلطنة عز الدين الحلبي، أن يزور الخليل للوقوف على أخبارها، في الفترة الواقعة بين صفر وربيع الآخر ٦٦٦هـ/ أكتوبر وديسمبر ١٢٦٧م، وتوجه إلى الحرم الإبراهيمي لزيارته، وقد بلغه أن اليهود والنصارى تؤخذ منهم حقوق عن زيارة

الخليل عليه السلام، والنزول إلى المغارة بنجسهم، فأنكر ذلك، وكتب مرسومًا يمنعهم من دخول المقام الشريف، واستمر الأمر على ذلك[٧٧]، ويتأكد من ذلك أن الأوروبيين، سواء أكانوا يهودًا أم نصارى، واصلوا زيارتهم للحرم طوال العقود السبعة الماضية، منذ الوجود الصليبي بالخليل، وبالتالي فإن الضيافة كانت تستقبلهم رغم كونهم أجانب، جنبًا إلى جنب مع المجاورين والزوار المسلمين. كما يلاحظ أن حظر السلطان بيبرس قد اقتصر على منع هؤلاء الأجانب من النزول إلى مغارة الأنبياء، حتى ولو كانوا يقدمون أموالاً في مقابل الزيارة[٧٨].

لقد أفادت ضيافة الحرم الإبراهيمي من وقف تميم الداري، وما أضيف إليه من أوقاف وصدقات، إلى حد دفع المهتمين من المعاصرين إلى الحديث عنها في النهار. وفيما يتعلق بالمسلمين منهم: تشير كتابات الرحالة القزويني، (ت٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م) حين زيارته للخليل، إلى الضيافة وذكر فيها "موضع طيب نزه آثار البركة ظاهرة عليه"[٧٩].

ننتقل في هذا الموضع من الدراسة إلى التعرف على الدور الإداري للأمير علاء الدين أيدغدي في القدس والخليل : وبداية يجب أن نعرف أن أنواع الصلاحيات التي كان يمارسها – كناظر للحرمين الشريفين – صنف معظمها على أنها نواح إدارية متصلة بإدارة الأماكن المقدسة، والمؤسسات الخيرية ذات الطابع الاجتماعي. فكان الناظر هو الذي يتولى الإشراف على أموال الأوقاف التي تُرصد للحرمين والمؤسسات التابعة لهما. وكانت له الصلاحية في تعيين الموظفين للقيام بالمهام ذات الطابع الديني التعبدي. كأئمة المساجد وخطبائها ومؤذنيها، ليس هذا فحسب، بل كانت صلاحيات الناظر تتعدى هذا النطاق، لتشمل أمورا إدارية بعيدة كل البعد عن الأماكن المقدسة، مثل : صلاحية جباية الأموال وفرض الضرائب في بعض الأحيان على أهل ناحيته[٨٠].

كان الأمير علاء الدين أيدغدي يتولى الإشراف على الحرم الإبراهيمي والحرم القدسي، وكان يُسمى أيضًا ناظر القدس والخليل، وهذه المهمة لا يتولاها إلا أمير كبير برتبة طبلخاناة[٨١]، أو أحد العلماء المعروفين بورعهم وصلاحهم، وكان الأمير علاء الدين مختصًا بترتيب الوظائف في القدس والخليل، ورعاية السماط الخليلي والمحافظة على تقديم طعامه للفقراء وزوار الحرم، وكان الناظر يلي وظيفته بمرسوم صادر عن السلطان المملوكي في القاهرة[٨٢].

كان هناك عدة وظائف شارك الأمير علاء الدين أيدغدي، بصفته ناظر الحرمين، في اختيار أصحابها، وفي بعض الوظائف كان لازمًا عليه أن يحضر مراسم التتويج للوظيفة، وكانت هذه الوظائف تتمتع بكونها وظائف دينية[٨٣].

تعتبر وظيفة المشيخة الصلاحية من الوظائف السنية المهمة بدولة الإسلام، وهي قائمة على تدريس المذهب الشافعي في المدرسة الصلاحية ببيت المقدس، ولا يتم توليتها إلا بمرسوم سلطاني من القاهرة، وعند التعيين يدخل شيوخ الصلاحية المدينة، ويشق أسواقها، وقد ارتدى التشريف السلطاني، يحف به العلماء والفقهاء والنائب والناظر، وينتهي إلى المسجد الأقصى، حيث يُقرأ المرسوم السلطاني. وشيخ الصلاحية أحد الثلاثة الكبار الذين يصرفون شئون نيابة بيت المقدس، أما الآخران فهما : نائب السلطنة وناظر الحرمين الشريفين (علاء الدين أيدغدي) [٨٤] وفي أحيان أخرى كان شيخ الصلاحية يتقلد منصب قاضي القضاة الشافعية في بيت المقدس، أو يجمع بين ناظر الحرمين الشريفين ومشيخة الصلاحية[٨٥].

أما عن وظيفة القضاء : فكان قاضي القضاة رأس الهيئة القضائية في نيابة القدس، وفي العصر المملوكي جعل السلطان الظاهر بيبرس القضاء في أربعة قضاة، وقد عمم هذا النظام في معظم النيابات في البلاد الشامية والديار المصرية، أما في بيت المقدس فقد اقتصر الأمة على قاض شافعي، ثم تطور الأمر تدريجيًا حتى أصبحوا أربعة قضاة، فاستحدث منصب قاضي قضاة الحنفية في عام ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م، أما المالكي فظهر في عام ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م، وكان آخرها الحنبلي، حيث أوجد هذا المنصب عام ٨٠٤هـ/ ١٤٠١م، وكان لقاضي القضاة نائب في كل من نابلس والرملة والخليل، وفي أحيان أخرى كانت كل مدينة تنفرد بقاضيها[٨٦].

كان التعيين في منصب قاضي القضاة بمرسوم شريف من السلطان، وكعادة الموظفين الكبار في النيابة، يدخل القاضي المعين مدينة بيت المقدس مرتديًا خلعة السلطان، ويقرأ توقيعه في المسجد الأقصى بحضور النائب والناظر (علاء الدين أيدغدي) وبقية القضاة وأعيان النيابة، ثم صار القضاة يبذلون الأموال للحصول على وظيفة قاضي القضاة في بيت المقدس[٨٧].

كانت مهنة الخطابة من أهم المهن والوظائف الدينية، وتعني بالخطابة، خطابة المسجد الأقصى وقبة الصخرة والمسجد الإبراهيمي في الخليل، والخطابة من أجل الوظائف الدينية في النيابة وأعلاها رتبة، إذ كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم بها بنفسه، ثم حرص الخلفاء الراشدون على أدائها من بعده[٨٨]. ويتم التعيين في إمامة وخطابة الحرمين القدسي والإبراهيمي من قبل قاضي القضاة[٨٩]، ثم من علاء الدين أيدغدي ناظر الحرمين في بيت المقدس، وأخيرًا صار السلطان يتدخل في تعيين إمامة المسجد والصخرة[٩٠]، فيأتي التقليد والمرسوم من القاهرة، فيدخل الإمام وهو لابس خلعة السلطان ، ويقرأ كتاب التقليد في المسجد الأقصى أمام جمهور المصلين والحضور هناك[٩١].

وللافت للنظر: أن حضور علاء الدين أيدغدي بصفته ناظر الحرمين، كان من المراسم الرئيسية في تولي بعض الوظائف العسكرية، مثل : نائب السلطنة ونائب القلعة ووالي المدينة والحاجب والدوادار. وشارك علاء الدين أيدغدي في اختيار بعض الوظائف الدينية مثل : المشيخة الصلاحية والمحتسب والخطباء وناظر البيمارستان، وكذلك الوظائف الديوانية مثل : كاتب السر وناظر بيت المال وناظر الجيش، وقد أدى علاء الدين دوره الإداري على أكمل وجه، ويحسب له أنه دائمًا ما كان يختار الشخص المناسب للوظيفة دون مجاملة أو محاباة[٩٢].

دور علاء الدين أيدغدي في النواحي الاقتصادية: اقتصر دور علاء الدين أيدغدي – كناظر للحرمين الشريفين – على ضبط حسابات الأوقاف الخيرية من حيث إيراداتها ومصروفاتها من ناحية، ومن ناحية ثانية المحافظة على حقوق الجهات الموقوف عليها، وفي مقدمتها المساجد، ومن ناحية ثالثة تنظيم صرف مرتبات موظفي تلك الجهات من خلال وضع دفاتر وقلم محاسبات[٩٣].

يُفهم مما سبق أن الأمير علاء الدين أيدغدي ساهم، بصفته ناظر الحرمين الشريفين: في إرساء نظم معينة لإدارة الأوقاف وضبط الحسابات والمرتبات ووضع الدفاتر، مما انعكس بالإيجاب على النواحي الاقتصادية، فالأصل في إدارة الأوقاف أنها إدارة أهلية مستقلة، ولكن بمتابعة وإشراف الأمير علاء الدين صار لها صفتها الرسمية، وأُخذ من ريعها للإنفاق على المشاريع المعمارية والاجتماعية، وبذلك لم ترهق خزينة الدولة المملوكية، بل صارت مساعدة لها في عمليات الإنفاق.

علاء الدين أيدغدي والحياة العلمية في القدس والخليل: كانت الحياة العلمية في عهده مزدهرة جدًا، حيث نالت اهتمام السلاطين المماليك. فأكثروا من بناء المدارس في القدس والخليل ، وعمل سلاطين المماليك، ومن ورائهم الأمير علاء الدين، على بناء الأماكن الدينية والمعاهد التعليمية والمؤسسات الاجتماعية، وإصلاح وترميم ما يحتاج إلى صيانة [٩٤].

ونظر الأمير علاء الدين إلى رجال الدين والفقهاء والمشايخ ورجال العلم، نظرة إجلال، وصرف لهم الأموال والهبات والعطايا وأعطاهم رواتب من الأوقاف، وكان البذل والعطاء بسخاء[٩٥].

نالت القدس والخليل قسطًا وافرًا من النواحي العلمية، فازدهرت فيها الدراسات القرآنية والفقهية واللغوية والرياضية والطبية، ولاسيما بعد دخول التتار بغداد عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، حيث رحل الكثير من رجال العلم في بغداد إلى القدس وأقاموا فيها، فاستوعبتهم المؤسسات وتبعهم طلاب العلم[٩٦].

كان الأمير علاء الدين يشرف على العملية التعليمية في المدارس، ويقدم الإصلاحات اللازمة لصيانة وضمان تشغيل هذه المؤسسات التعليمية، وأعطى موفور اهتمامه أيضًا إلى المشايخ الصوفية، وتميز الأمير علاء الدين بقدرته الإدارية والتنظيمية والإشرافية، مما سهل عليه القيام بمهمته[٩٧].

على أية حال، تبين أن الأمير علاء الدين أيدغدي ذاع صيته في القدس والخليل، لما أظهره من قدرات معمارية واجتماعية واقتصادية وعلمية، ولحسن درايته بالأمور وقدراته الإدارية، فكان متابعًا جيدًا ومراقبًا متميزًا. ومشرفًا مدققًا، فصارت الأحوال إبان نظارته في أحسن حال، وكان لديه فكر ابتكاري، فلم يتوقف عند حدود مهام وظيفته فقط، بل تخطى هذا وتابع وأشرف على النواحي العلمية والاقتصادية والاجتماعية، فصار يحق أحد أبرز عناصر النجاح داخل الدولة المملوكية.

عاصر الأمير علاء الدين أيدغدي السلطان الظاهر بيبرس(٦٥٨-٦٧٦هـ/ ١٢٦٠- ١٢٧٧م)، والسلطان المنصور سيف الدين قلاوون (٦٧٨- ٦٨٩هـ/ ١٢٧٩- ١٢٩٠م)، والسلطان الأشرف صلاح الدين خليل (٦٨٩- ٦٩٢هـ/ ١٢٩٠- ١٢٩٢م)، و أظهر كفاءة على عهد السلاطين الثلاثة، فظل محتفظًا بمنصبه كناظر للحرمين الشريفين (القدس والخليل) وأدى مهامه على أكمل وجه، برغم كونه ضريرًا، لكنه أثبت للعالم أجمع أن الإعاقة هي إعاقة الإرادة.

أثبتت الدراسة أن أهل القدس والخليل، وكذلك سلاطين الدولة المملوكية، نعتوا الأمير علاء الدين بالبصير، برغم كونه كفيفًا، فقد سموا رباط علاء الدين الذي أوقفه تجاه الرباط المنصور برباط علاء الدين البصير. لأن الأمير علاء الدين كان بصيرًا يرى بقلبه وبصيرته، ويشرف وينجز كل ما هو موكل إليه من أعباء ومهام، فكانت فترته من أنجح الفترات في نظارة القدس والخليل.

وساهم الأمير علاء الدين أيدغدي في إرساء قواعد للنظم الحضارية، وكان صاحب الريادة الحضارية في القدس والخليل، من خلال المقدرات المعمارية التي ظهرت خلال فترة ولايته، وشمل العمار الأبنية الدينية والاجتماعية والتعليمية، وأظهر روح التكافل الاجتماعي وكرم الضيافة، وحسن استقبال الزوار وابن السبيل، وضبط الحسابات والدفاتر والرواتب، ولحسن علاء الدين اختبار الموظفين والمساعدين، وتابع وأشرف على الحركة العلمية، فكان ثمرة يانعة من ثمرات التقدم والحضارة.

لم يقتصر دور الأمير علاء الدين أيدغدي على النواحي الحضارية فقط، بل تعداها إلى النواحي السياسية أيضًا، حيث كان أداة طيعة في أيد سلاطين الدولة

المملوكية، وساعدهم على استتباب الأمن والأمان وإرساء النظم السياسية المملوكية داخل القدس والخليل، فكان منصبه دينيًا سياسيًا يجمع بين القدسية والإدارة.

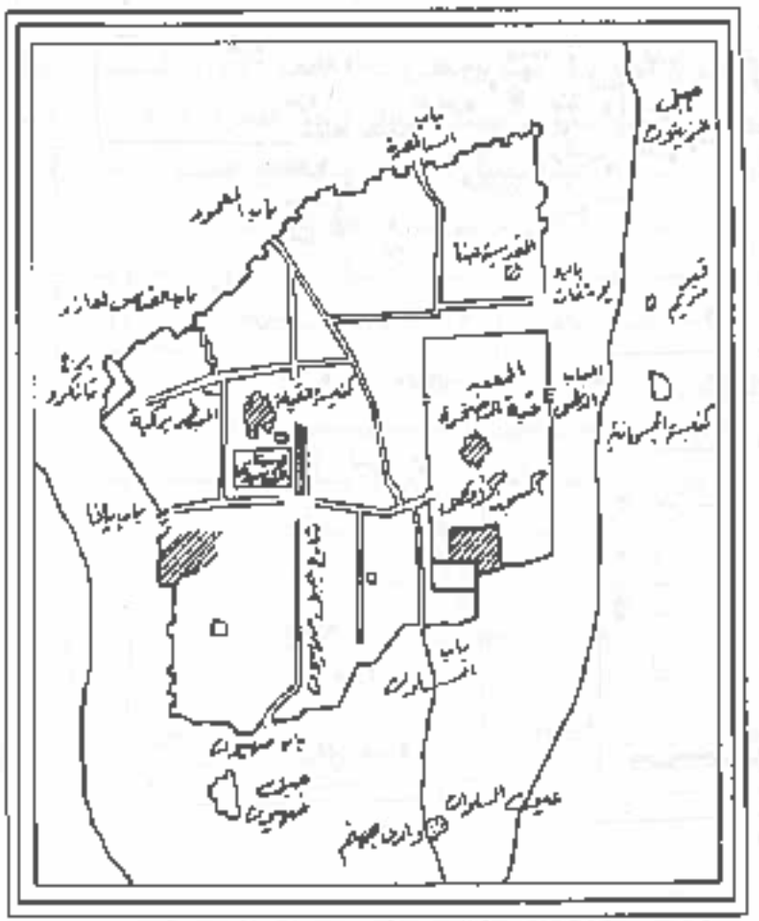

مدينة بيت المقدس في عصر دولة المماليك الأولى نقلاً عن:

د.ماهر محمد أبو السعيد : مدينة القدس تحت حكم اللاتين -رسالة دكتوراه جامعة الإسكندرية-تم مناقشتها عام ٢٠٠٧م

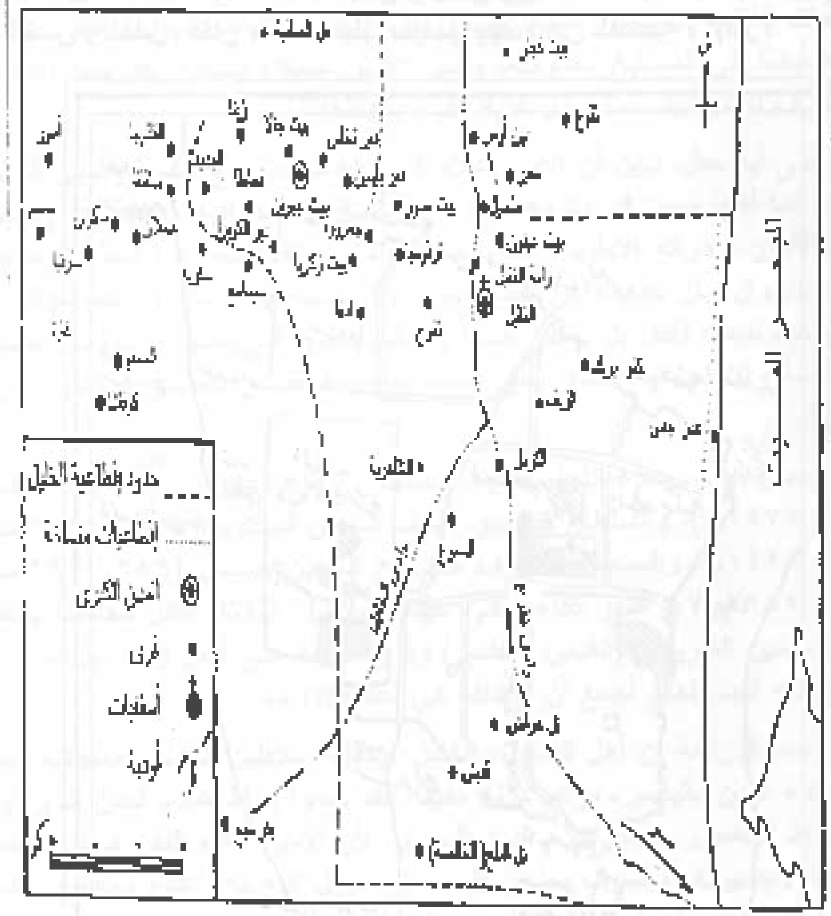

مدينة الخليل في عصر دولة المماليك الأولى نقلا عن:
ا.د علي أحمد السيد:الخليل والحرم الإبراهيمي

مدينة الخليل في عصر دولة المماليك الأولى نقلا عن:
ا.د علي أحمد السيد:الخليل والحرم الإبراهيمي

الهوامـــــــش

(١) المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي) ت٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م: السلوك لمعرفة دول الملوك، ٦ أقسام، تحقيق د. محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٣٦- ١٩٥٨م، الجزء الثالث والرابع، ٦ أقسام، تحقيق د. سعيد عبدالفتاح عاشور، القاهرة، ١٩٧٠- ١٩٧٣م، جـ٤، ق٢، ص٨١؛ ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر القرشي) ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م: البداية والنهاية في التاريخ، المعروف بتاريخ ابن كثير، ١٤ج، طبعة القاهرة، ١٣٥١- ١٣٥٨هـ، جـ١٣، ص٣٣٧.

(٢) المقريزي:- السلوك، جـ٤، ق٢، ص٨١.

(٣) ابن تغري بردى (جمال الدين أبوالمحاسن يوسف) ت٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (١٦ج)، جـ٧، تعليق محمد حسين شمس الدين، ج(١٣- ١٦) تحقيق جمال الدين الشيال، فهيم محمد شلتوت، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢م/ ١٣٩٢هـ، جـ١٥، ص٣٤، ص٥٠٢؛ إلياس شوفاني:- تاريخ فلسطين السياسي، الطبعة الأولى، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م، ص٢٢٩.

(٤) المقريزي: السلوك، جـ٤، ق٢، ص٨١- ١٨٢ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٣، ص٣٣٧- ٣٣٨؛ ايرامارفين لابيدوس: مدن الشام في العصر المملوكي، الطبعة الأولى، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، ترجمة د. سهيل زكار، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص٥٥.

صفد: بالتحريك، والصفد العطاء، وكذلك الوثاق، وصفد مدينة في جبال عاملة المطلة على حمص بالشام وهي من جبال لبنان. راجع: ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي) ت٦٢٦هـ: معجم البلدان، تحقيق فريد عبدالعزيز الجندي، جـ٣، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص٦٨.

(٥) ابن قاضي شهبة (تقي الدين بن أبيب كرين قاضي شهبة الدمشقي) ت٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م: تاريخ ابن قاضي شهبة، مجلد أول، تحقيق: عدنان درويش، دمشق،

١٩٧٧، جـ١، ص٧٧، ١٥٩؛ المقريزي:- السلوك، جـ٢، ق١، ص١٨٨؛ ابن حجر العسقلاني (الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني) ت١٤٤٩م/ ٨٥٣هـ: إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق محمد أحمد دهمان، المجلد الأول، دمشق، ١٣٩٩هـ، ص٣١٣.

شنين: بكسر أوله وتسكين ثانيه، وكسر النون وياء ساكنه ونون أخرى، بلدة في جبال بني عامر المطلة على بلد بانياس بين دمشق وصور. راجع ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٣، ص١٦.

الشاغور: باقين المعجمة محلة بالباب الصغير من دمشق مشهورة وهي في ظاهر المدينة ينسب إليها القبثاني النحوي، راجع ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٣، ص٣٥٢.

(١) المقريزي: السلوك، جـ٤، ق٢، ص٨١.

(٢) لسان العرب: مادة وقف؛ مختار الصحاح: مادة وقف؛ المعجم الوسيط مادة (وقف) ومادة (حبس).

(٣) محمد بن أحمد بن صالح الصالح: الوقف في الشريعة الإسلامية وأثره في تنمية المجتمع، الطبعة الأولى، الرياض، ٢٠٠١م/ ١٤٢٢هـ، ص٢٣.

(٤) مصطفى محمد عرجاوي: الوقف وأثره على الناحيتين الاجتماعية والثقافية، منشور في مجموعة أبحاث ندوة "إحياء دور الوقف في الدول الإسلامية" المنعقدة في بورسعيد ١١ - ١٢ محرم ١٤١٩هـ (٧- ٩ مايو ١٩٩٨م)، ص١٣٣؛ محمد الصالح: الوقف في الشريعة الإسلامية، ص١٢٣ أ. د/ علي أحمد السيد: "وقف تميم الداري بالخليل في العصور الوسطى ودوره في مجالي عمارة الحرم الإبراهيمي وضيافته للأهالي والأجانب"، بحث ألقي في السمينار التاريخ السنوي الذي يعقده قسم الدراسات العربية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة ، في موضوع "استخدامات الأوقاف : مؤسسات ووافقون ومستحقون" في الفترة من ١٧إلى١٩مارس ٢٠٠٥م. وتم نشر هذه البحوث بإصدارات مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية ،إصدار رقم ١٢،العدد ٥٤ لعام ٢٠٠٥م ،ص٣.

(١٠) الخصاف (أبو بكر أحمد بن عمرو الشيباني) ت ٢٦١هـ/ ٨٧٢م: كتاب أحكام الوقف، تحقيق محمد مصطفى شلبي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت)، ص٩٥- ١٩٦؛ محمد الصالح: الوقف في الشريعة الإسلامية، ص٥٣ - ٥٥.

(١١) للخصاف: أحكام الوقف، ص٩٥- ٩٦. لمزيد من التفاصيل عن الوقف وأحكامه وتشريعه وأهميته الاقتصادية راجع :أزهار سيد توفيق :الأوقاف على بيت المقدس عصر المماليك ؛ محمد محمد أمين :الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ١٢٥٠- ١٥١٧-٦٤٨-٩٢٣هـ،دراسة تاريخية وثائقية،الطبعة الاولى نشر الدار النهضة العربية ،القاهرة،١٩٨٠م

(١٢) البهوتي (منصور بن يونس بن إدريس) ت١٠٤٦هـ/ ١٦٣٦م: كشاف القناع عن متن الإقناع، جـ٥، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣م، جـ٤، ص٥٦، ص٢٧٧- ٢٧٨.

(١٣) إبراهيم البيومي غانم: الأوقاف والسياسة في مصر، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨م، ١٤١٩هـ، ص٣٨٦- ٣٨٧.

(١٤) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٣، ص٣٣٧.

(١٥) أبو اليمن العليمي (أبو اليمن عبدالرحمن بن مجير الدين) ت٩٧١هـ/ ١١٧٥م): الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ٢ج في مجلد، بيروت، ١٩٧٣م، جـ٢، ص٢٦٩.

(١٦) نفسه، ص٢٧٠.

(١٧) المقريزي: السلوك، جـ٤، ق١، ص٨١.

(١٨) أبو اليمن العليمي: الأنس الجليل، جـ٢، ص٢٧٥؛ د يوسف درويش غوانمة: تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي، بدعم من جامعة اليرموك، ١٩٨٢، ص٢٧.

(١٩) د/ قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك قتاريخ السياسي والاجتماعي، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٩٤.

(٢٠) نفسه، ٩٥؛

Eracles, L'Estoire d'Eracles Empereur et de Conquest de la Terr d'outre - Mer, en ; R. H. C. H. Occ., Tom II, Paris, 1859, pp.183- 185.

(١١) إبراهيم البيومي غانم: المرجع السابق، ص٣٨٦- ٣٨٧.

(١٢) المقريزي: السلوك، جـ٤، ق٢، ص٨١؛ أبوالمحاسن الحنبلي: الأنس الجليل، جـ٢، ص٦٠٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٣، ص٣٣٧.

(١٣) ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري المكني بأبي عبدالله) ت٢٣٠هـ/ ١٨٤٤م: الطبقات الكبرى (السيرة النبوية الشريفة)، تحقيق: إحسان عباس، جـ٨، بيروت، (د.ت)، جـ١، ص٢٣٤- ٢٤٩، ٢٦٧، جـ٢، ص٣٥٥، جـ٥، ص٢٦، جـ٧، ص٤٠٨؛ علي أحمد السيد: وقف تميم الداري، ص٤.

(١٤) الدمري (اسحق بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن كامل) ت٨٢٣هـ/ ١٤٢٨م: منير الغرام وخلاصة الكلام في فضل زيارة سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام، مخطوط:

History of Prophets, et C. Arabic Manuscript, in: S. O. A. S. un of London, No. 46353.

(١٥) تعد رسالة المقريزي هذه نموذجًا دقيقًا لأسلوب البحث العلمي الذي ينبغي أن يكون منهجًا وموضوعيًا في كل خطوة من خطواته، حيث تحرى في كتابتها الدقة في النقل وإثبات المصدر وتخريج الأحاديث: انظر المقريزي (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م)تضوء الساري في معرفة خبر تميم الداري، تحقيق وتعليق: محمد أحمد عاشور، الطبعة الأولى، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٧٢م/ ١٣٩٢هـ متفرقات؛ راجع أيضًا القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد عبدالله) ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ١٤ج، القاهرة، ١٩١٣- ١٩١٤م، جـ١٣، ص١١٨- ١٢٢.

(١٦) أرحبرون، والواضح أن هذا المسمى لمدينة الخليل قد أخذ عن لفظة Habeer عند العبرانيين التي تعني الصديق الحميم أو الخليل، نعتًا منهم للنبي إبراهيم الخليل عليه السلام راجع:

Vigouroux, F., Hebron, en: Dictionnaire de La Bible, Tome III, Paris 1903, col. 535, cf. also. Encyclopedie de l'Islam, paris, 1990, vol. IV, Art. Al-Khalil.

ومن مشتقات حبرون المستخدمة Cebron- Cebrun- Cefron – Hebron وقد استخدم المسمى المذكور المؤرخون القدامى ومؤرخو العصور الوسطى، للمزيد راجع:

علي أحمد السيد: الخليل والحرم الإبراهيمي عصر الحروب الصليبية، ١٠٩٩- ١١٨٧/ ٤٩٢- ٥٨٣هـ، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، ص٥٩- ٦١.

(١٧) اسم لإحدى القرى الأربع التي تتألف منها مدينة الخليل التي دعيت أصلاً بمسمى قرية لربع أي المدينة الرباعية. انظر العهد القديم، سفر التكوين ٢٣، ٢، يشوع، ٢٠: ٧، ٢١: ١٢، الأعداد ١٣: ٢٢.

وقد أشارت المصادر الإسلامية إلى هذه القرى، فضلاً عن بيت عينون ذكرى حبرون وبيت إبراهيم، انظر ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٢، ص٧٥، جـ٧، ص١٢٩- ١٣٠؛ أما القرية الرابعة "مرطوم" لم تذكر إلا متأخرًا بعض الشئ. انظر ناصر خسرو (أبومعين الدين العلوي) ت٤٥٣هـ/ ١٠٦١: سفر نامه، تحقيق يحيى الخشاب، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٤٣م، ص٥٣؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١٣، ص١١٨- ١٢١؛ حيث أفرد فصلاً طويلاً عن إقطاع تميم الداري، وفي بيت عينون آثار ترجع إلى العصر البيزنطي تدل على نشاطها الديني والعسكري حيث توجد أطلال كنيسة وحصن: انظر:

Guerin, V., Desription Géographique, Historique et Archéologique de la Palestine, Accopagnée de Cartes détaillees. I Judee, 3 vols., Paris, 1868, Tome. I. p.150.

(١٨) الأنباط الآبار

(١٩) الكلمة مأخوذة عن: القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١٣، ص١٢١.

(٢٠) لم يكن لتميم ابنٌ ذكر، إنما كانت له إبنة تدعى رقية، يكنى بها، أما الذين أسلموا بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم فكان عددهم عشرة، جلهم إخوة لتميم أو أبناء عمومته. انظر: الواقدي (أبو عبدالله محمد بن عمر السهمي الأسلمي المدني) ت٢٠٧هـ/ ٨٢٣م: كتاب المغازي، تحقيق مارسدن جونس، ٣ج، نشر: عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٤م، جـ٢، ص٦٥٩.

(٢١) لا يحاقه: لا يخاصمه.

(٢٢) في صبح الأعشى "هذا كتاب من أبي بكر أمين رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي استخلف في الأرض من بعده".

(٣٣) المائدة: المكرمة المتوارثة.

(٣٤) ابن عساكر (الحافظ أبوالقاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله الشافعي) ت٥٧١هـ/ ١١٧٥م: التاريخ الكبير المعروف بتاريخ مدينة دمشق، تحقيق د. صلاح المنجد، ١٠ج، دمشق، ١٣٢٩م/ ٧٣٢هـ، جـ١، ص٤٦٨.

(٣٥) المقريزي: ضوء الساري، ص٦٩.

(٣٦) لبشاذين إحدى بقاع بلاد الخليل إذ تقع فيما بين بلدتي الرملة وتشذيل إلى الغرب منها، مطابقة موقع بيت جبرين انظر:

Dussaud, R., Topographie Historique La Syrie, Antique et Médievale, Paris, 1927, p.402.

(٣٧) ابن عساكر: تاريخ دمشق، جـ١٠، ص٤٦٨، ٤٦٩.

(٣٨) نستقي من القلقشندي مثلاً على ذلك : أن فقيه مصر الليث بن سعد (ت١٧٥هـ/ ٧٨٢م) اشترى أراضي من الدولة حيث بنت فعال "وحبسها على وجوه البر" انظر صبح الأعشى، جـ٢، ص٣٨.

(٣٩) المقريزي: ضوء الساري، ص١١٦- ١١٧.

(٤٠) المكفيلة: اسم سامي يعني مزدوج، وكان النبي إبراهيم عليه السلام قد اشتراها ليدفن فيها، وتوفيت زوجته سارة من قبله فدفنها، ثم تم دفنه أيضًا بها، وكذلك لسحاق ورفقة ويعقوب وليئة، وهذه المغارة تعد جزءًا أساسيًا من مبنى الحرم الإبراهيمي وهي تقع أسفله.

انظر: العهد القديم: سفر التكوين، ٢٥: ٩، ٢٣: ١٩، ٤٩، ٣١، ٥٠: ٣١؛ علي أحمد السيد: وقف تميم الداري، ص٨.

وقد ترسخ هذا المعتقد على مر العصور في الكتابات المصدرية، ومن ذلك راجع: الهروي (أبوالحسن علي بن أبي بكر) ت٦١١هـ/ ١٢١٤م: الإشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠١م/ ١٤٢٢هـ، ص٢٩- ٣١ نشر مورديل، دمشق، ١٩٥٣م، ص٢٩- ٣١؛ انظر أيضًا:

Anonymus., Jerusalem Pilgrimage 1099- 1185, ed Wilkinson, J., and Others, Lodon, 1988, p.89.

(٤١) المقريزي: ضوء الساري، ص١٢٠؛ علي أحمد السيد: وقف تميم الداري، ص٨.

(٤٢) محمد بن أحمد بن صالح الصالح: الوقف في الشريعة الإسلامية، ص١٠

(٤٣) أخرجه مسلم، جـ٣، ص١٢٥٥، حديث رقم (١٦٣١).

(٤٤) الخصاف (أبوبكر أحمد بن عمرو الشيباني) ت٢٦١هـ/ ٨٧٤م: كتاب أحكا الأوقاف، تحقيق: محمد مصطفى شلبي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د. صفحات متفرقة؛ إبراهيم البيومي غانم: الأوقاف والسياسة، ص١٣٨؛ علي أحم السيد: وقف تميم الداري، ص٣٣.

(٤٥) أبو اليمن العليمي: الأنس الجليل، جـ٢، ص٦٠٥- ٦٠٦.

(٤٦) بيبرس المنصوري (الأمير ركن الدين بيبرس المنصوري الدوادار) ت٧٢٥هـ ١٣٢٥م: التحفة الملوكية في الدولة التركية، تحقيق: عبدالحميد صالح حمدان، ١ المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م/ ١٤٠٧هـ، ص٦٧.

(٤٧) المقريزي: السلوك، جـ٤، ق١، ص١٨١؛ أبواليمن العليمي: الأنس الجليل، جـ ص٢٧٥؛ إلياس شوفاني: تاريخ فلسطين السياسي، ص٢٣١.

(٤٨) Cohen Lewis, Poulation and Revenue in the Towns of Palestine in the Sixteenth Century (Princeton 1987, p.9); إلياس شوفاني: تاريخ فلسطين السياسي، ص٢٣١.

(٤٩) أبواليمن العليمي: الأنس الجليل، جـ٢، ص٢٦٩؛ J. Drory., "Jerusalem During the Mamluk Period", in Muslim Literature in the Praise of Jerusalem (Jerusalem 1981), p.92.

(٥٠) Cohen, Lewis, op.cit., pp.9- 10.؛ إلياس شوفاني: تاريخ فلس السياسي، ص٢٣١- ٢٣٢.

(٥١) J. Drory., op.cit., pp.192- 193.

(٥٢) أبواليمن العليمي: الأنس الجليل، جـ٢، ص٢٧٠- ٢٩٢؛ محمد عوض الهزايم القدس في الصراع العربي الصهيوني، جامعة العلوم التطبيقية، دار سراج، عم الأردن، د.ت، ص٢٨- ٢٩.

(٤٢) Cohen, Lewis.. op.cit., p.10; J. Drory.. op.cit., p.193.

(٤٣) أبوالمين الطيمي: الأنس الجليل، جـ٢، ص٦٠٥- ٦٠٦.

(٤٤) نفسه، جـ٢، ص٤٣.

(٤٥) J. Drory., op.cit., pp.191- 192

(٤٦) Isac Ben Joseph Chelo., The Roads from Jerusalem, 1334, A. D., in: J. T. p.135;

محمد محمد الكحلاوي: مقاصير الصلاة في العصر الإسلامي دراسة أثرية معمارية، مجلة كلية الآثار، القاهرة، العدد الثالث، ١٩٨٩م، ص٢٠٧- ٢٢٥.

(٤٧) إبراهيم البيومي غانم: الأوقاف والسياسة، ص٣٨٦- ٣٨٧.

(٤٨) أبوالمين الطيمي: الأنس الجليل، جـ٢، ص٦٠٥.

(٤٩) هنتس فالتر: المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٧٠، ص٦٤- ٧١.

(٥٠) عارف باشا عارف: تاريخ القدس، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥١، ٨٨- ٨٩.

(٥١) بيبرس المنصوري: التحفة الملوكية، ص٦٧؛

Isac Ben Joseph Chelo., op.cit., p.136.

(٥٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري" حديث رقم ٣٤٢٤، جـ٦، ص٤٥٨ كتاب الأنبياء، باب ٤٠؛ جامع الأصول، جـ٧، ص١٧٥.

(٥٣) شهاب الدين المقدسي (شهاب الدين أبي محمود بن تميم المقدسي) ت٧٦٥هـ/ ١٣٦٣م:منتخب الغرام إلى زيارة القدس والشام، تحقيق أحمد الحطيمي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤، ص١٧١.

(٥٤) الصفدي (صلاح الدين خليل أيبك) ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م: تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب، ق٢، تحقيق إحسان خلوصي، زهير حمدان، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٩٢م، ص١٦٨- ١٦٩؛ عارف باشا عارف، تاريخ

القدس، ص٨٧؛ د. يوسف درويش خوالمة: تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي، ص٣٩٤- ٤٤٤.

(٥٥) القزويني (زكريا بن محمد بن محمود) ت١٢٨٣م: آثار البلاد وأخبار العباد، نشر دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م، ص١٥٩- ١٦٠.

(٥٦) ابن الجوزي (الشيخ أبوالفرج) ت٥٩٧هـ: فضائل القدس، نشر دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٠م، ص١١٤؛ بمتيلن رانسمان: تاريخ الحروب الصليبية، ٣ أجزاء، ترجمة السيد الباز العريني، بيروت، ١٩٦٩م، جـ١، ص٧١.

(٥٨) Burchard of mout Soin: Adescriptian of the Holy land 1232 A.D.trans. by Aubrey stewart in p.p.T.S.vol.X11 London 1896 (pp-1-111) P35

د. علي السيد علي: القدس في العصر المملوكي، الطبعة الأولى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦م، ص٩- ١٠.

(٦١) ابن شداد (عز الدين محمد بن علي) ت٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م: الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ٣ أجزاء، تحقيق سامي الدهان، بيروت، المطبعة الكاثوليكية ١٩٦٣م، جـ٢: ص٢٤١؛ ابن عبدالظاهر (محي الدين أبوالفضل عبدالله) ت٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م: الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق. عبدالعزيز الخويطر الرياض، (د.ت)، ١٩٧٦م، ص٢٨٧؛ ١٣٩٤ النويري (شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب) ت٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م: نهاية الأرب في فنون الأدب، ٣١ جزءً، تحقيق سعيد عاشور وآخرون القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥، جـ٣٠ ص١٣٨.

(٦٢) أبوالمين الطيمي: الأنس الجليل، جـ٢، ص٨٩. op.cit., p. 35 Burchard of mout Soin,.

(٦٣) الحريري (أحمد بن علي بن أحمد) ت٩٢٦هـ/ ١٥١٩م: الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على بلاد المسلمين، تحقيق مهدي أحمد، دار الدعوة الإسكندرية، ١٩٨٤م، ص٦٨.

Burchard of mout Soin,. op.cit.,p. 36

(٣٢) أبواليمن الحنبلي: الأنس الجليل، جـ١، ص١٤٣؛ ابن عبد الظاهر (القاضي محي الدين أبوالفضل عبدالله المصري) ت ٦٩٢هـ-١٢٩٢ م: الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق ونشر: عبد العزيز الخويطر، الرياض ١٩٧٦، ص ٢٨٧؛ سعيد محمد سعيد أبو صافي: مدينة الخليل في العصر المملوكي، مكتبة دنديس الإسلامية، الخليل، فلسطين، ١٤١٦- ١٩٩٦م، ص١٥٤- ١٥٨.

(٣٣) ابن طولون (شمس الدين محمد بن علي الصالحي) ت٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م): القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، تحقيق، محمد دهمان، دمشق، ١٩٨٠، ص٢٥؛ سعيد محمد سعيد: مدينة الخليل، ص١٥٩- ١٦٦.

(٣٤) ابن عبد الظاهر: المصدر السابق ص٢٨٧ ؛ كامل جميل العسلي: مقدمة في تاريخ الطب في القدس منذ أقدم الأزمنة حتى سنة ١٩١٨م، عمان، الأردن، ١٩٩٤م، ص١٤٧؛ سعيد محمد سعيد: مدينة الخليل، ص١٦٧.

(٣٥) أبواليمن الحنبلي: الأنس الجليل، جـ٢، ص٨٠؛ ابن عبد الظاهر: المصدر السابق ص٢٨٧-٢٨٨ وللمزيد عن مزارات ومنشآت الخليل راجع: د. علي أحمد السيد: الخليل والحرم الإبراهيمي عصر الحروب الصليبية (١٠٩٩- ١١٨٧م/ ٤٩٢- ٥٨٣هـ)، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة ١٤١٨، ١٩٩٨م، ص٢٨٥، ٣١٤.

(٣٦) المقريزي: السلوك، جـ٣، ص٢٢١- ٢٢٤؛ ابن عبدالزاهر: الروض الظاهر، ص٢٩٤؛ الحريري: الإعلام والتبيين، ص٦٨.

(٣٧) بيبرس المنصوري: التحفة الملوكية، ص٩٧.

(٣٨) علي أحمد السيد: وقف تميم الداري، ص٣٥.

(٣٩) القزويني: آثار البلاد، ص١٨٧.

(٤٠) ابن عبدالظاهر: الروض الزاهر، ص٢٩٤- ٢٩٥؛ الحريري: الإعلام والتبيين، ص٦٨؛ يوسف درويش غوانمة: نيابة بيت المقدس، ص٣٧.

(٤١) أمير الطبلخاناة: يكون تحت إمرتهم دون المئة من المماليك، ويتراوح عدد مماليكه من الأجناد ما بين ثمانين وأربعين. والطبلخاناه هي طبول متعددة معها أبواق وزمر

تختلف أصواتها على إيقاع مخصوص ويكون الحق لأمراء الطبلخانات أن ترافقهم الطبول. انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٤، ص٧- ٨.

(٤٢) الصفدي: تحفة ذوي الألباب، ق٢، ص١٦٨- ١٦٩؛ أبواليمن الحنبلي: الأنس الجليل جـ٢، ص٢٧٠.

(٤٣) يوسف درويش غوانمة: نيابة بيت المقدس، ص٣٧.

(٤٤) أبواليمن الحنبلي: الأنس الجليل، جـ٢، ص٤١، ١١٧، ٢٩٨.

(٤٥) المقريزي: السلوك، جـ٤، ق١، ص٤٤٠، ٤٨٣، ٥٢٥.

(٤٦) أبواليمن الحنبلي: الأنس الجليل، جـ٢، ص٢٨٧، ٣٠٤، ٣١١.

(٤٧) المقريزي: السلوك، جـ٤، ق١، ص١٥٢٥ أبواليمن الحنبلي: الأنس الجليل، جـ٢ ص٢٩٧؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٤، ص١٩٠- ١٩٢.

(٤٨) ابن فضل الله العمري (شهاب الدين أحمد بن يحيى): التعريف بالمصطلح الشريف القاهرة، ١٣١٢هـ، ص١٢٧.

(٤٩) المقريزي: السلوك، جـ٤، ق١، ص٩٨.

(٥٠) ابن تغري بردي (أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٦ جزءًا، القاهرة، ١٩٣٢هـ/ ١٩٧٢م، جـ١٣، ص٩٧.

(٥١) أبواليمن الحنبلي: الأنس الجليل، جـ٢، ص٢٩٢- ٢٩٥.

التشريف: هو الخلعة التي يلبسها السلطان، أو يمنحها لأحد رجال الدولة كي يلبسه عند قراءة التقليد وتسمى هذه الثياب بأسماء تطابق المناسبة التي منحت من أجلها مثل (خلعة التنيابة، خلعة الوزارة، خلعة السفر، خلعة الرضا). ورفض ثوب التشريف يعتبر إساءة خطيرة، والخلعة عادة تكون (كاملية) من الصوف مبطنة بفرو سمور، ثوبًا من الأطلس الأبيض به بنود مطرزة. انظر: ماير: الملابس المملوكية، ترجمة صالح الشيتي، القاهرة، ص١٠٨- ١١١.

الطرحة: وهي عبارة عن وشاح يلبس فوق العمامة ويلتف حول الرقبة ويستقر على الكتفين وكان هذا الزي امتيازًا للطبقة الرفيعة من رجال الدين والموظفين. راجع ماير: الملابس المملوكية، ص٩٣.

(٥٢) يوسف درويش غوانمة: نيابة بيت المقدس، ص٢٩ حتى ص٦٥.

(٩٢) إبراهيم البيومي غانم: الأوقاف والسياسة، ص٣٨٦؛ علي أحمد السيد: وقف تميم الداري، ص٣٣.

(٩٣) إلياس شوفاني: تاريخ فلسطين، ص٢٣٠.

(٩٤) إبراهيم البيومي غانم: الأوقاف والسياسة، ص٣٨٦- ٣٨٧؛ يوسف درويش غوانمة: نيابة بيت المقدس، ص٣٧.

(٩٥) ابن كثير: البداية والنهاية: جـ١٣، ص١٨٦- ١٩٠؛ إلياس شوفاني: تاريخ فلسطين، ص٢٣١.

(٩٦) ابن بطوطة (أبوعبدالله محمد بن إبراهيم اللواتي) ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م: رحلة ابن بطوطة، نشر: كريم البستاني: دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص١٧٧؛ أبو اليمن الطيمي: الأنس الجليل، جـ٢، ص٤٢١- ٤٠٥.

Eracles.. L'Estoire d'Eracles Empereur, pp.184- 185.

الأسرة في مدينة بيت المقدس

د. علي السيد علي محمود (*)

عصر سلاطين المماليك دراسة وثائقية

إن دراسة الوثائق الخاصة بمدينة بيت المقدس من شأنها أن تقدم خدمة كبرى للثقافة العربية بوجه عام، ولتاريخ المدينة المقدسة وقضيتها بوجه خاص، وموضوع دراستنا هذه يعتمد كلية على مجموعة وثائق الحرم القدسي الشريف، والتي تم الكشف عنها ما بين عامي ١٩٧٤، ١٩٧٦م، والتي قام معهد ماكجل بكندا بتصويرها على أشرطة ميكروفيلم. وقام البروفيسور دونالد ليتل بعمل فهرس لها عام ١٩٨٤ باللغة الإنجليزية، ونشر بعض الوثائق منها في بعض المجلات[١]. كما قام المرحوم الدكتور كامل جميل العسلي بنشر بعض الوثائق في كتابه بعنوان: وثائق مقدسية تاريخية، في ثلاثة أجزاء[٢]. كذلك قام الدكتور محمد عيسى صالحية بنشر ودراسة عشر وثائق منها في حولية كلية الآداب بجامعة الكويت[٣].

وقمت بنشر عدة أبحاث عن مجموعة الوثائق هذه، وبيان أهميتها في دراسة التاريخ الاجتماعي، والاقتصادي، والثقافي، وعروبة القدس، وأوقاف فلسطين على الحرمين الشريفين[٤]. وإن شاء الله تعالى سأتابع نشر عدد من الدراسات حول هذه الوثائق وغيرها: وأخص منها سجلات المحكمة الشرعية بالقدس.

والحقيقة أن هذا البحث إضافة جديدة كل الجدة لكتابي الذي تحدثت فيه عن القدس في العصر المملوكي، والمطبوع بالقاهرة ١٩٨٦م، لما تلقيه الوثائق من أضواء جديدة على حياة مجتمع بيت المقدس بشتى طوائفه الدينية، وهي وثائق تتعلق بحياة سكان المدينة بمختلف شرائحهم الاجتماعية، طوال الفترة من ٦٤٨- ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م، أي عصر سلاطين المماليك بدولتيه الأولى والثانية، أو دولة المماليك البحرية، ودولة المماليك الجراكسة. وهي فترة من أخصب فترات تاريخنا الحضاري نتناول بالحديث :

(*) أستاذ بكلية الآداب جامعة الفيوم.

عقود الزواج – المهور – سن الزواج – تعدد الزوجات – معدل الإنجاب – وضعية المرأة – حالات الزواج – سكن العائلة – مكوناته – مواد البناء – ما يحب الزوجان في بعضهما – العلاقات بين الآباء والأبناء – مسئولية الزوج عن أسرته – المشكلات العائلية – وضع الأطفال القصر – توارث الوظائف والحرف في الأسرة الواحدة – الأثاث المنزلي – الأدوات المنزلية.

عقود الزواج:

كان يطلق عليها عقود النكاح أو الإصداقات، وعادةً ما تُستهل بعبارة "أصدق فلان..." أو "هذا ما أصدق فلان..."، يتبع ذكر اسمي العريس والعروس، ومكان إقامتهما، وبالنسبة للعروس فعادة ما يتم ذكر ذلك مع ذكر اسم زوجها السابق، كما يتم تدوين اسم وكيلها في الزواج وأنه أهل لهذه الوكالة. كذلك كان يتم ذكر إجمالي مبلغ الصداق "المهر" مع بيان المقدم منه والمؤخر. وعلى ظهر العقد كان يتم عمل ملحق بحالات الطلاق التي وقعت[٥]. هذا بالنسبة للأحرار من أبناء وبنات بيت المقدس. أما بالنسبة للرقيق، ففي حالة زواج الجارية من أحد عبيد السيد فقد كان يشترط عند كتابة عقد زواجهما، على يد عاقد الأنكحة، أن ينص على : "هذا ما أصدق فلان فلانة مملوكة فلان المقرة لسيدها بالرق والعبودية، عندما خشي على نفسه الفتنة – أي الفجور والزنا – وخاف الوقوع في المحظور لعدم الطول، وأنه في عصمته زوجة أخرى[٦]، ولا يقدر على زواج حرة على ما شهد لديه من يعينه في رسم شهادته صداقا تزوجها به، مبلغه كذا وكذا ووالي تزويجها إياه بذلك، سيدها المذكور بحق ولايته عليها شرعا. كما جاز أن يتولى السيد بنفسه كتابة عقد الزواج، وفي هذه الحالة كانت صيغة العقد على النحو التالي:" هذا كتاب تزويج اكتتبه فلان لعبده فلان أو أمته فلانة المقر له كل منهما بالرق والعبودية، وهو أنه أشهد على نفسه أنه زوج عبده المذكور لأمته المذكورة، تزويجا صحيحا شرعيا، بسؤال كل منهما لسيده المذكور في ذلك، وقبل الزواج من سيده عقد النكاح لنفسه قبولا شرعيا، ولا يعين الصداق..."[٧].

المهور:

من الطبيعي أن تختلف المهور باختلاف أوضاع الناس الاقتصادية والاجتماعية، وباختلاف الزمان كذلك، فأعلى مهر وصداق وصل إلينا في الوثيقة ٤٧ – المؤرخة في ٦ ذي القعدة سنة ٧٧٠ هـ ١٢/يوليو سنة ١٣٦٩ – وهو ٢٤٠٠ درهم فضة، قدمه أحد سكان القدس لزوجته المدعوة خديجة بنت المرحوم بدر الدين بن هندي الشافعي، في عقد زواجه منها، الموقع عليه من قبل القاضي القضاة علم الدين أبي داود سليمان بن شهاب الدين أبي العباس أحمد الحنبلي، خليفة الحكم في القدس[٨]. يليه العقد الذي ورد في سجل المحكمة الشرعية بالقدس

رقم ٢٦٩ وهو لزوجة قاصر، و مقدار الصداق ألف درهم، دفع الزوج منها ٧٠٠ درهم مقدما، والباقي وقدره ٣٠٠ درهم مؤخرا صداق لأقرب الأجلين، وهو مبلغ يتناسب مع مكانة عائلتي الزوج وهي عائلة الحسيني من الإشراف، والزوجة إحدى بنات أسرة البديري، فهي ابنة الشيخ محمد بدير أحد كبار العلماء[٩]. وفي الوثيقة رقم ٢٨٧ المؤرخة في ١٢ صفر سنة ٧٧٨ هـ، كان مؤخر صداق الست المصونة المحجبة فاطمة ابنة المرحوم فخر الدين بن زين الدين، هو عشرون مثقالاً من الذهب أي حوالي ٩٦٠ درهما، فكم كان المقدم ؟[١٠].

أما الوثيقة رقم ٤٤، وهي بتاريخ ١٨ صفر سنة ٧٨٠هـ / ١٦ يونيو ١٣٨٠م، فقد جاء فيها أن الحاج يحيى بن خضر بن نصر الله قد دفع صداقا قدره ٦٥٠ درهما لزوجته زينب بنت خليل بن أبي الفتح، المعروف ولدها بالقاضي. وقد جاء على ظهر نفس الوثيقة، بتاريخ ٢٥ ربيع الأول سنة ٧٨٥هـ / ٢٨ مايو ١٣٨٣م أي بعد حوالي خمس سنوات، أن الزوجة المذكورة تطالب زوجها الحاج يحيى بالطلاق في مقابل أن يسترد الصداق الذي دفعه، وأنه قبل ذلك[١١]. يلي ذلك الصداق المذكور في الوثيقة رقم ٦٥٣ بتاريخ ١٥ ذي الحجة سنة ٧٩٥هـ، وهو ٦٠٠ درهم[١٢]. ثم ما جاء في الوثيقة رقم ٣٢١ من وثائق الحرم القدسي التي توضح لنا مقدار الصداق بين أبناء الطبقات المختلفة، فهي تذكر أن الشيخ شرف الدين يعقوب بن الحاج يوسف بن يعقوب من القدس، يمنح وكيل عروسه فاطمة وهو الشيخ قاسم بن الشيخ موسى بن عمر الغزي، صداقا قدره ٩٠٠ درهم، العاجل منه ٤٥٠ درهما دمشقيا، ثم جاء على ظهر نفس الوثيقة أنه يوم ٢ المحرم سنة ٧٩٥هـ / ٢١ نوفمبر ١٣٩٢م، أن يعقوب، الزوج المذكور في الوثيقة يطلق زوجته فاطمة المذكورة، وأن مؤخر الصداق الذي دفعه كان ١٥٠ درهما، أما الصداق لدى أبناء أهل الذمة فقد كان مقاربا لتلك المبالغ التي سبق ذكرها، فالوثيقة رقم ٣٠٢ المؤرخة في ٢رجب ٧٩٤هـ / ٢٥ مايو ١٣٩٢م – قد جاء فيها أن جمال الدين بن عبد الله بن منصور بن إبراهيم العابد الله، من قرية القلانسوة، يمنح مخطوبته سعيدة بنت نوما بن المتوكل النصرانية صداقا قدره ٤٠ درهم، وجاء على ظهر الوثيقة أنه بتاريخ ٤ صفر سنة ٧٩٥هـ / ٢٠ ديسمبر ١٣٩٢ م، أن "سعدة تسأل زوجها عبد الله أن يطلقها ولن تدفع له ٤٠٠ درهم، وأنه قبل ذلك"[١٣].

وينبغي أن نشير إلى أن المهور تناسبت تماما مع دخل الفرد في ذلك العصر، إذ تشير الوثيقة رقم ٦١٠، و هي بتاريخ ٢ صفر سنة ٧٩٣هـ/ ٩ يناير ١٣٩١م، إلى أن "محمد بن علي بن عثمان الصلخدي النساج بالقدس، دفع لمخطوبته روحة بنت عبد الله، صداقا قدره ستة دنانير ذهبا أي حوالي ١٤٤ درهما. كما أن الوثيقة رقم ٢٩١، المؤرخة في ١٥جماد الأولى سنة ٧٨١هـ/ ٢٩ أغسطس ١٣٧٩م تذكر أن "شمس الدين محمد بن محمد بن يوسف، المعروف

بالمصري، يمنح مخطوبته عروس بنت الحاج أحمد بن حسين النابلسية، صداق قدره ١٥٠ درهما دمشقياً. والوثيقة رقم ٩٤٦، بتاريخ ١٢ صفر سنة ٧٩١هـ / ١٠ فبراير ١٣٨٩م، تذكر أن إبراهيم بن علي بن إبراهيم الدمشقي اللبان الحاضر بالقدس يمنح مخطوبته زمرد بنت عبد الله بن عبد الله، عتاقة الست ستيتة، صداقاً قدره ٣ دنانير ذهباً أي حوالي ٧٢ درهماً. وعلى الظهر من الوثيقة هناك إشهادان: الإشهاد الأول عبارة عن خمسة أسطر وتوقيع شاهدين، بتاريخ ٢٧ جمادى الأولى سنة ٧٩٢هـ / ١٣ مايو ١٣٩٠م، جاء فيه أن إبراهيم المذكور في وجه الوثيقة هناك يطلق زمرد، وإنها أقرت بعدم وجود أية حقوق مالية طرفه. يلي ذلك الإشهاد الثاني من ١٢ سطراً وتوقيع ٣ شهود، وعلامة القاضي في الهامش الأيمن من الوثيقة، بأنها تزوجت من شخص آخر بعد وفاء العدة يدعى صبيح، ومنحها صداقاً قدره ٥ دنانير مصرية ذهبا. وفي ٣ شوال سنة ٧٩٣هـ / ٣ سبتمبر ١٣٩١م هناك إقرار من زمرد بأنها تسلمت مؤخر صداقها من صبيح الذي طلقها[١١]. ومما سبق يتضح لنا أن أعلى صداق كان ٢٤٠٠ درهم بينما أقل صداق كان ٣ دنانير أي حوالي ٢٧ درهما.

سن الزواج :

الحقيقة أن الوثائق التي بين أيدينا، وهي ما بين ١٣٠٠ – ١٥٠٠ وثيقة، ليس بها ذكر لسن الزواج، وكذلك المصادر التقليدية. إلا أننا من خلال دراسة وثائق حصر الإرث المختلفة والتي قاربت ٤٠٠ وثيقة، نستطيع القول بأن نسبة الأبناء القصر الذين خلفهم المتوفون كانت كبيرة، ونستنتج من ذلك أن الزواج في مدينة بيت المقدس كان يتم في سن متأخر نسبياً، وهذا معقول بالنسبة للمعطيات الأخرى المعروفة في المجتمع الزراعي، مثل حرص الأهل على زواج الأبناء في سن مبكرة لأسباب اجتماعية واقتصادية، ولأن سن الزواج كان مرتفعاً بين الرجال. إلى جانب طول أعمار الزوجات بالنسبة للأزواج، وخصوصاً من بقي منهن على قيد الحياة بعد وفاة أزواجهن، مما يدل على مقاومتهن الطبيعية ومناعتهن حين كن صغيرات، فبقين عندئذ على قيد الحياة، أو بعبارة أخرى أن سن الزواج كان مرتفعاً عند الرجال ومنخفضاً عن النساء[١٢].

تعدد الزوجات :

بالرغم مما هو شائع من أفكار عن تعدد الزوجات في المجتمعات الشرقية بوجه عام، والإسلامية بوجه خاص، فإننا من خلال تفحصنا لوثائق حصر الموجودات ضمن مجموعة وثائق الحرم القدسي الشريف – والتي قام بتسجيلها جماعة من الكتبة في حضور الشهود العدول من قبل الحاكم الشرعي للقدس وهو قاضي القضاة الشافعي، أو من ينيبه عنه من ديوان المواريث الحشرية الذي كان

يدخل شريكاً في التركة، وخصوصاً لمن لم يترك ورثة يستغرقون الإرث كله: والتي جاء في معظمها اسم الزوج والزوجة – فإننا لم نعثر سوى على وثيقتين تفيدان أن الشيخ برهان الدين الناصري قارئ الحديث بالمسجد الأقصى، وأحد الصوفية في الخانقاه الصلاحية بالقدس، قد كان له زوجتان، الزوجة الأولى وتدعى شرين بنت عبد الله[١٣]. أما الزوجة الثانية فهي فاطمة ابنة عبد الله بن فهد الخليلية. مما يدل على تدني نسبة تعدد الزوجات، وتماسك الأسرة المقدسية في ذلك العصر[١٤].

معدل الإنجاب:

إن أول ما يسترعي انتباه من يتصفح مجموعة وثائق الحرم، وخصوصاً وثائق حصر الإرث، هو ارتفاع معدل إنجاب الأطفال عند مسلمي القدس بوجه خاص. فالوثيقة رقم ٩١٣ المؤرخة في ١٩ ذي القعدة سنة ٧٩٦هـ/١٣٩٤م، تفيد أن صاحب الوثيقة ويدعى شرف الدين محمود بن شهاب الدين الخوارزمي، قد أنجب من زوجته المرأة الكامل سراملك عتاقة عشرة أولاد[١٥]. بينما تذكر لنا الوثيقة رقم ١٨٤، بتاريخ ٢رمضان سنة ٧٨٩هـ، أن المرحوم ناصر الدين محمد الحموي أنجب أولاداً أربعة هم: "عمر وأبو بكر وسلمى وسارة..."[١٦] وتشير الوثيقة رقم ٧٠٥، المؤرخة في ٢٣جمادى الثاني ٧٩٦هـ/٢٥ أبريل ١٣٩٤م، إلى أن إبراهيم بن محمد بن عبد الله الطيلاوي السمان حدد ورثته بأنهم : زوجته وأطفاله : ستيتة، ومنصور، وناصر، وعبد الله، وسليمان، وسعيد: وعبد الله الحاضرون ببيت المقدس. وأحفاده أحمد، وحامد، وأحمد، وعلي، وإبراهيم، أي أن عدد أولاده سبعة غير أحفاده[١٧] والوثيقة رقم ٦٩٥ المؤرخة في ٢٧ شوال سنة ٧٩٥هـ/٥سبتمبر ١٣٩٣م، تفيد أن عبد الله بن محمد قد أنجب سبعة أولاد هم: خاتم، ومحمد، وأبو بكر، وعلي، وخالد، وفاطمة، وعلية[١٨].

وهناك العديد والعديد من الوثائق التي تؤكد ارتفاع معدل الإنجاب بحيث نقف منها على أن متوسط الإنجاب كان لا يقل عن ثلاثة أطفال أو أربعة، ومن النادر أن تجد من بين المسلمين من لم ينجب أو أنجب طفلا واحداً.

أما بالنسبة لأهل الذمة، فكان معدل الإنجاب قليلاً عندهم. فالوثيقة رقم ٣٨٤ وهي بتاريخ ١٤ ذي القعدة سنة ٧٩٥هـ/٢١سبتمبر ١٣٩٣م، وهي وثيقة حصر موجودات امرأة مسيحية على فراش المرض، تدعى أفروشية بنت التاج إسحاق النصرانية اليعقوبية، والتي تقطن في دير الأقباط في القدس، قد أنجبت بنتا واحدة تدعى فخر النساء بنت سالم. والوثيقة رقم ٤٠٥ المؤرخة في ١٤جمادى الثاني ٧٩٦هـ/٢٩ أبريل ١٣٩٤م، وهي وثيقة حصر موجودات امرأة يهودية ضعيفة على فراش المرض، تدعى قمر بنت إسحاق بن مناحم العبرية أشهدت فيما قاضي القضاة الشافعي أن حفيدها موسى بن صمويل الغائب في دمشق هو وريثها

الوحيد بعد وفاة والده ووحيدها صمويل. كما أن الوثيقة رقم ٥٠٢ وهي بتاريخ ١ ذي القعدة سنة ٧٩٥هـ/١١ سبتمبر ١٣٩٣م، وهي وثيقة حصر موجودات شخص مسيحي مريض يدعى رشيد بن هارون بن سمعان النصراني الشوبكي، أشهد على نفسه أن ورثته هم: زوجته مريم بنت فريح بن شبل النصرانية الشوبكية، وبنتيه ست الأهل وست النظر، وأخاه غانم الغائب في الشوبك[٢٠].

ولعل السبب في ارتفاع معدل الإنجاب راجع لأهمية الأطفال بالنسبة للآباء والأمهات، لأن الأطفال متعة الحياة، ويمدون والديهم بالحافز على الكفاح والمرح، كما أن كثرة الإنجاب هي الحماية الأفضل للأب الكبير في السن، ولأنهم هم العصبة التي تحقق للقوة، سوف يحلون محله في العمل ويحققون تراكم للثروة، وربما يكون الدافع لهم الظروف الصحية التي عاشها الناس في ذلك الزمان، وكثرة الوفيات بالنسبة للمواليد[٢١].

وضعية المرأة الاجتماعية :

تحرص الوثائق حرصًا شديدًا على تحديد وضعية المرأة في المجتمع، فإذا كانت من النساء الحرائر بالوراثة، فعند ذلك غالبًا ما تلقب بلقب "السيدة المصونة" أو "الحرمة" أو "الأصيلة" أو "ست الكل" أو "ست الأهل" أو "ست النظر" أو "ست الحكم"، كما كانت تكنى بإحدى الكنى، وخصوصًا إذا لم تنجب ولدًا فيقال لها مسئلا: "أم الخير"، "أم محمد"، "أم الحسن" وغيرها من الكنى. كما تحرص الوثائق على ذكر أصلها، فإذا كانت أصلا من القدس فتنسب إليها ويقال إنها "المقدسية"، وإذا كانت من غير القدس فيتم ذكر ذلك مثل : "الدمشقية"، و"الحلبية"، و"الحموية"، و"الشوبكية"، و"الرملية"، و"الصفدية"، و"القابلسية"، و"الخليلية"، و"المصرية"، و"المغربية"، و"العجلونية"، و"الصورية"، و"الطرابلسية"، وإلى غير ذلك من النسبة التي تحدد الأصل. ثم يذكر اسم والدها وجدها على الأقل. أما إذا كانت جارية في الأصل وتم عتقها، فيقال لها فلانة عتاقة أو معتوقة فلان أو فلانة. ولأنها مجهولة النسب، ولأن أباها مهما كان هو عبد من عباد الله، فيقال لها بنت عبد الله. وإذا كانت متزوجة حرة أم جارية الأصل، فيتم ذكر اسم زوجها فيقال لها زوجة فلان، أما إذا كانت طلقت منه فيقال لها "مطلقة فلان" ثم يذكر اسم والد الزوج وأحيانًا اسم أبيه وجده، وإذا توفي زوجها فيقال لها "زوجة المرحوم فلان". وغالبًا ما يتم ذكر اسم حرفة الزوج أصلا، زيادة في الاحتياط، كأن يكون نساجًا، حدادًا، خياطًا، تاجرًا، فحامًا، نباتًا، صباغًا، صوفيًا، دلالا، سقاء، بقالا، بناء، وإلى غير ذلك من المهن[٢٢].

حالات الزواج المختلفة:

زواج الرقيق:

تعكس لنا كثير من وثائق الحرم القدسي الشريف حالات الزواج المختلفة، ومنها حالات الزواج التي كانت تتم بين الرقيق بعضهم وبعض، وخصوصًا بعد العتق، وأن العتيقة أو العتيق يظلان يحملان اسم مولاهما. فالوثيقة رقم ٥٧، والمؤرخة في ٢٧ شوال سنة ٧٩٣هـ/ ٢٧سبتمبر سنة ١٣٩١م، تذكر أن جورور بنت عبد الله، عتاقة فاطمة بنت عبد الله الدمشقي، زوجة فرج بن عبد الله، عتاقة مسعود بن إبراهيم من قرية القلندية في إحدى ضواحي بيت المقدس. كذلك الوثيقة رقم ١٢٣، المؤرخة في ١٨ ذي الحجة ٧٩٥هـ/٢٥ نوفمبر ١٣٩٣م، وهي وثيقة حصر موجودات امرأة تدعى "هيفاء عتيقة الست فاطمة بنت أرغون من حماة"، وأن الورثة هم : "زوجها طيبغا المعروف أنه عتاقة سالم الأتكال الحاضر معها في القدس، وأختها الست فاطمة..."[٢٣].

الزواج من الجواري:

تشير بعض الوثائق إلى عدد من الحالات التي قام فيها السيد بعتق جاريته والزواج منها، بل إنه يحبس عليها بعض الأوقاف حتى يضمن لها موردا ماليًا، خشية ألا ينجب منها، أو أن تصادر أملاكه. من ذلك الوثيقة رقم ٤٥٧، المؤرخة في ٤ رمضان سنة ٧٩٦هـ/٣ يونيو ١٣٩٤م، تفيد أن أحد موظفي بيت المقدس، ويدعى علاء الدين علي بن قيران، متولي الليل في القدس، قد أعتق جاريته طغتاي وتزوجها وأوقف عليها دارا في خط أولاد الشرف، أي في الحارة المعروفة بحارة الشرف، والتي كان يطلق عليها أيضا حارة الأكراد. كما كان يعتقها لكي يتزوجها شخصًا آخر من الأحرار، فالوثيقة رقم ٥٥٥ المؤرخة في غرة ذي الحجة سنة ٧٩٥هـ/٨ أكتوبر ١٣٩٣م، وهي وثيقة حصر تركة امرأة متوفاة تدعى "الحاجة لطفية بنت عبد الله، عتاقة علي بن حسن الدلال في سوق الرقيق بحلب، زوجة الحاج علي بن محمد بن محمود الحلبي والتي كانت تقيم في خان باب حطة، وورثتها هم : "زوجها وحفيد معتقها، جمال الدين يوسف الغائب في حلب"، كذلك الوثيقة رقم ٦٧٩ المؤرخة في ١٢ محرم سنة ٧٩٤هـ/١٠ ديسمبر ١٣٩١م، وهي وثيقة حصر موجودات سيدة ضعيفة على فراش المرض تدعى نارنج بنت عبد الله. عتاقة المرحوم سيف الدين سنجوقي، زوجة الشيخ الصالح ناصر الدين بن خواجا على القرمي المقيمة في زاوية الشريف بحارة الأكراد. كما جاء في الوثيقة رقم ٢٩٤ وهي بتاريخ ١٦ رمضان ٧٩٦هـ/١٥يونيو ١٣٩٤م أن الحرمة يلخاتون بنت عبد الله عتاقة سيف الدين بيبغا بن عبد الله بن سيف الدين يلبغا، أقرت وهي على فراش الموت أن الورثة هم زوجها الغائب، ومعتقها، وابنها أحمد

الحاضر معها في القدس. وما جاء في الوثيقة رقم ١٣٠ المؤرخة في ٢٢ ذي القعدة سنة ٧٩٥هـ/٢٩أكتوبر سنة ١٣٩٣م، وهي وثيقة حصر موجودات امرأة على فراش الموت تدعى لوكار بنت عبد الله التركية، عتاقة للست الملك بنت قطلوتمر الناصري، وذكرت أن ورثتها زوجها محمد الصنديدي الصوفي، الغائب في القاهرة وبيت المال، لأنها لم تنجب[٢٦].

الزواج من الأقارب :

هناك بعض الوثائق التي تشير إلى حرص كثيرين من المقادسة على الزواج من الأقارب لما يحققه هذا النوع من الزواج من ترابط أسري، وتراكم للثروة وحصرها داخل الأسرة الواحدة. فالوثيقة رقم ٢٥٤، المؤرخة في ١٢ ذي الحجة سنة ٧٩٥هـ/١٩أكتوبر سنة ١٣٩٣م، تذكر أن أحد أبناء بيت المقدسي ويدعى "الحاج أحمد بن علي بن عمر الحلبي" زوّج ابنته "فاطمة" لابن عمه "محمد"، وعندما توفي الأول دون ولد ذكر كانت ابنته وابن عمه، وهو في نفس الوقت زوجها، ضمن الورثة الشرعيين. والوثيقة رقم ٢٦٣، المؤرخة في ١٢رجب سنة ٧٩٦هـ، تذكر أن عائلة تعيش في بيت المقدس أصلها من حمص بسلاد الشام، تزوج شاب منها يدعى محمد من بنت عمه حديثة، وعندما مات عمه والد زوجته ويدعى أبو بكر بن أحمد بن زيد الحمصي، ورثة هذا الشاب وزوجته ابنة عمه. وتؤكد لنا الوثيقة رقم ٣٩٨، المؤرخة في ١٩ رمضان سنة ٧٩٦هـ/١٨ يوليو ١٣٩٤م، ما ذهبنا إليه من الحرص الدائم على الزواج من أقرب الأقارب، وهي وثيقة حصر تركة امرأة متوفاة تدعى "زهرة ابنة إبراهيم الحلبية زوجة الحاج أحمد بن أبي بكر الحلبي، وهو نفس الوقت ابن عمها"[٢٧].

الزواج من أصول واحدة .

ومما يلفت النظر في أن الزواج من أصول واحدة كان ظاهرة واضحة في سكان بيت المقدس بجميع أصولهم وطبقاتهم الاجتماعية وطوائفهم الدينية. فقد جاء في الوثيقة رقم ١٩٧ بتاريخ ٢٩ صفر سنة ٧٩٥هـ، وهي تتعلق بتركة شخص يهودي يدعى إسحق بن شموئل، فعندما مرض مرض الموت أقر بنفسه أمام مندوب بيت المال، بعد أن تم حصر ممتلكاته، أنه متزوج من "سمحة ابنة يهودا الإفرنجية الحاضرة معه بالقدس، ولها مؤخر صداقها عليه ستين أفلوري ذهب"، وأن ورثته هم "زوجته المذكورة ووالدته دوسا بنت سلتين الإفرنجية الحاضرة معه بالقدس الشريف"، وعلى هذا فهذه الوثيقة تؤكد لنا حرص هذا اليهودي الإفرنجي على الزواج من بنات جنسه. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى حرص كثير من الأزواج على إظهار أن تركته مدينة لزوجته، وخصوصًا إذا لم ينجب منها ولدًا ذكرًا، وبذلك يدخل ديوان المواريث الحشرية شريكًا في التركة، وهذا ما حاول ذلك الشخص

منعه، فعندما تم تقييم موجوداته اتضح أن التركة مدينة لزوجته[٢٨]. أما عند المسلمين فكانت ظاهرة الزواج من أصول واحدة تأتي في المقام الأول. فالوثيقة رقم ٤٥٦، بتاريخ ١٤ رمضان ٧٩٥هـ/٢٤يوليو ١٣٩٣م، جاء فيها أن الزوج هو "محمد بن يوسف بن إبراهيم الدمشقي"، وأن الزوجة هي "الحاجة خاتون بنت محمد بن عبد الله الدمشقية". والوثيقة رقم ٩٢ بتاريخ ٢٨ شوال سنة ٧٩٥هـ/٦سبتمبر ١٣٩٣م، وهي وثيقة حصر موجودات امرأة تدعى "بركة بنت علي المصرية"، وزوجها يدعى "علي بن حسن بن علي المصري الموجود معها". والوثيقة رقم ١٢٦ المؤرخة في ٧ ذي القعدة سنة ٧٩٣هـ/٦ نوفمبر ١٣٩١م، وهي وثيقة حصر موجودات امرأة مغربية ذكرت أن وريثها هو زوجها الحاج سعد الدين بن عثمان بن داود المغربي السقاء الحاضر معها. كما أن الوثيقة رقم ١٦٢ تؤكد لنا أن الزوج والزوجة من عجلون. والوثيقة رقم ١٦٦ تؤكد أن الزوج والزوجة من سنجار. والوثيقة رقم ٣٠٠، بتاريخ أول رمضان ٧٩٧هـ/١٠يونيو ١٣٩٥م، تذكر أن الزوج والزوجة من بغداد. والوثيقة رقم ١٧٢ وهي وثيقة إرث لشخص يدعى "الحاج علي بن أبي بكر سلمان الإسعردي" وزوجته "الحاجة مؤنسة بنت أبي بكر الإسعردية". والوثيقة رقم ٢٣٠، المؤرخة في ١٦ ربيع الأول ٧٩٤هـ/١١فبراير ١٣٩٢م، جاء فيها أن الزوج هو "يعقوب بن موسى بن يعقوب الخليلي" والزوجة "صالحة بنت أحمد بن إبراهيم الخليلية". والوثيقة رقم ٢٥٤ بتاريخ ١٢ ذي الحجة ٧٩٥هـ/١٩ أكتوبر ١٣٩٣م، جاء فيها أن الزوج هو "الحاج أحمد بن علي بن عمر الحلبي" وزوجته هي "الحاجة بشر بنت سالم الحلبية الحاضرة معه". أما الوثيقة رقم ٢٦٢ بتاريخ ٦ رمضان وبدون ذكر السنة، جاء فيها أن الزوج هو "علاء الدين علي بن حسن الحمصي" وأن الزوجة تدعى "فاطمة بنت شهاب أحمد بن طاهر الحمصية" والوثيقة رقم ٣٩٢ جاء فيها أن الزوج والزوجة من مدينة طرابلس بلبنان. والوثيقة رقم ٣٩٤ تذكر أن الزوجين من مدينة عنتاب، بتركيا حاليًا. والوثيقة رقم ٤٠٢ جاء فيها أن الزوجين من الأكراد. هذا الحشد من الوثائق يؤكد أن الزواج من ذوي الأصول الواحدة كان يمثل أغلب حالات الزواج[٢٩].

الزواج من أصول متباعدة .

ثم نأتي إلى حالات الزواج من ذوي الأصول المتباعدة نوعًا ما، فالوثيقة رقم ٤٣٢ بتاريخ ٧ ذي الحجة ٧٩٥هـ/٤أكتوبر ١٣٩٣م، تذكر لنا أن الزوجة وتدعى "حليمة بنت محمد الدمشقية"، وزوجها هو "محمد بن نصر الكركي" أي من مدينة الكرك، بالأردن حاليًا ؟ بينما تذكر الوثيقة رقم ٤٤٤، بتاريخ ٣٠ رمضان ٧٩٥هـ/٩ أغسطس ١٣٩٣م، أن الزوجة وتدعى "مريم بنت سعيد المصرية"، والزوج هو "جمعة بن عبد الله بن سلمان البغدادي". وتذكر الوثيقة رقم ٤٠٤ أن الزوج هو "الحاج محمد بن حسن الحلبي"، والزوجة هي "فاطمة بنت يوسف بن

صالح الدمشقية". بينما تذكر الوثيقة رقم ٤٠٦، في نفس العام، أن الزوج هو "الحاج محمد بن حسن الرحبي" نسبة إلى مدينة الرحبة، بينما الزوجة هي "فاطمة بنت يوسف بن صالح الدمشقية". وهي غير الزوجة المذكورة قبلها. وتذكر الوثيقة رقم ٣٦٢، من نفس العام، أن الزوجة هي "بلخان بنت علاء الدين علي بن خالد بن عبد الله المصرية"، والزوج هو "الحاج عمر بن محمد بن عامر الدمشقي". وتذكر الوثيقة رقم ٢٤١، في سنة ٧٩٣هـ/١٣٩١م، أن الزوج هو "إبراهيم بن محمد المصري"، والزوجة تدعى "سوملك بنت عبد الله الخليلية"، أي من مدينة إسكندرونة، في تركيا حاليًا، بينما الزوجة من مدينة دمشق. وتذكر الوثيقة رقم ١٥٨، في سنة ٧٩٥هـ/١٣٩٣م أن الزوجة من دمشق، بينما زوجها من مدينة بعلبك في لبنان. كما تذكر الوثيقة رقم ١٦٠ من نفس السنة، أن الزوج مدينة الموصل، بينما الزوجة من مدينة دمشق. وتذكر الوثيقة رقم ١٥٦، في نفس السنة أن الزوج من مدينة بغداد، بينما زوجته من مدينة دمشق. كذلك تذكر الوثيقة رقم ٨٣ المؤرخة في ٢٥ شوال سنة ٧٩٣هـ/٢٥سبتمبر ١٣٩١م، وهي وثيقة حصر موجودات شخص مريض ملازم للفراش يدعى "أحمد بن أبي ساول الطرابلسي القطان"، وأن زوجته تدعى "ست الأهل بنت محمد النابلسية "أي أن الزوج من طرابلس الشام بلبنان، والزوجة من نابلس بفلسطين[٣٠].

وقد يتراءى للبعض أن حالات الزواج التي ذكرناها إما من بلاد الشام ومصر، أو من بلاد الشام والعراق. ولكن لدينا بعض حالات الزواج أبعد من تلك التي ذكرناها، وهي إن دلت على شيء فإنما تدل على التوحد وربط أواصر الأخوة بالمصاهرة، وهذا ما نحن الآن في أشد الحاجة إليه. فالوثيقة رقم ٥٢٠ المؤرخة في ١٩ ربيع الأول سنة ٧٩٤هـ/١٤فبراير سنة ١٣٩٢م، وهي وثيقة حصر موجودات شخص مريض وضعيف من تونس، كتبها في حضور مندوبي بيت المال من ديوان المواريث الحشرية، لأنه لم يرزق من زوجته الدمشقية بولد[٣١].

وتنبغي الإشارة إلى أنه قد وردت عدة وثائق لم يتم فيها ذكر أصل الزوج على وجه الخصوص، وتم الاكتفاء بذكر اسمه كاملا ومهنته، وذكر اسم زوجته وأصلها، مما يرجع أن مثل هذه الحالات كانت حالات زواج بين مقدسة وبنات مدن أخرى. من ذلك ما جاء في الوثيقة رقم ٤٨١، وهي من وثائق حصر الموجودات الخاصة برجل مريض طريح الفراش يدعى "أحمد بن علي بن أبي بكر السقاء". وبعد أن تم عمل بيان بحصر موجوداته، ذكر أن من ضمن ورثته "زوجته رحمة بنت إسماعيل بن أبي بكر المصرية، المدعوة أم محمد.." وهي لم تنجب منه لذلك ورثه عمه وأولاد عمه مع زوجته المذكورة[٣٢].

سكن العائلة :

بداية يجب أن نشير إلى أن أفراد المجتمع في بيت المقدس قد اهتموا اهتمامًا شديدًا ببناء منازلهم، لا لتكون مجرد مأوى لأصحابها بل لتوفر لهم سبل الراحة والرفاهية في ذلك العصر، ومن الطبيعي أن تتفاوت تلك المنازل تفاوتًا يتناسب مع مكانة أبناء المدينة، من حيث وضعهم الاجتماعي وحالتهم الاقتصادية[٣٣]. مما أدى إلى اختلاف أحياء أو حارات القدس في مستواها لاختلاف ساكنيها، فقد كانت هناك أحياء راقية يسكنها علية القوم من التجار وكبار أرباب الوظائف الدينية وغيرهم، مثل حارة السعدية، وهي إحدى أرقى حارات القدس السكنية الواقعة داخل الأسوار بين بابي الساهرة والعمود بالقرب من الحرم القدسي الشريف، وحارة الخوالدة بباب حطة[٣٤]. بينما تشير كثير من الوثائق إلى أن حارة بني حارث، وحارة المغاربة التي قامت القوات الإسرائيلية بهدمها، لتوسيع المنطقة المواجهة لحائط البراق، أو المبكى كما يسمونه إلى جانب حارة الريشة، وحارة القصيلة وزقاق الحبشي قرب سوق القطانين، وحارة اليهود، وحارة الشاعلة وحارة المشارقة، وزقاق أولاد كيهام، وحارة صهيون، وسويقة باب حطة، كانت كلها مليئة بالسكان من أرباب الحرف المختلفة، بشتى طوائفهم الدينية.ولم تكن المدينة تعرف التعصب، فقد سكن كثير من أبناء أهل الذمة في منازل يمتلكها المسلمون، وسكن كثير من المسلمين في منازل يمتلكها أبناء أهل الذمة، بل تجاورت بعض المنشآت الدينية المسيحية واليهودية والإسلامية بعضها مع بعض[٣٥].

مكوناته :

وتألف منزل الأسرة من مبنى على شكل مستطيل أو مربع أو شكل غير منتظم واشتمل هذا المبنى على عدد من الغرف أطلق على الواحدة منها مصطلح بيت، هذه الغرفة هي التي أطلقت عليها السجلات العثمانية اسم أوضة، أو أوطة، أو بيت. وقد جرت العادة أن يتم توزيع الغرف على طوابق المنزل المختلفة السفلية والعلوية، بينما كانت الغرف المعدة لاستقبال الضيوف في الطابق السفلي بالنسبة للرجال، والطابق الأوسط بالنسبة للنساء[٣٦].

واشتمل المنزل على ساحة سماوية، هي عبارة عن فراغ معماري بتوسط الدار، وتسمى الصحن أو الساحة، وتسمى سماوية لأنها مكشوفة من الأعلى على السماء. هذه الساحات السماوية كانت ولا تزال موجودة في كثير من منازل مدينة بيت المقدس، وتختلف مساحتها تبعًا لاختلاف مساحة المنزل الذي توجد فيه، إلى جانب الدرج الحجري، وهو عبارة عن سلم من الحجر يكون غالبًا ملتصقًا بجسدار الواجهة الرئيسية للمنزل، ومرفوعًا على قوس نصف دائرية، لها وظيفة إنشائية

تعمل على رفع ثقل الدرج، وإيصاله من أدنى نقطة إلى بيت الراحة، وهو ما يعرف اليوم باسم دورة المياه أو الحمام أو المرحاض، ويوجد في جميع مباني المنازل، وغالبا ما يؤدي إلى الساحة السماوية بالقرب من المطبخ، أو مقابل الغرف. هذا إلى جانب الصهريج، وهو وحدة معمارية ملحقة بالمنزل، تقع في أسفل المنزل، وتسمى أحيانا بئر، وهو معد لجمع مياه الأمطار، نظرًا لحاجة مدينة القدس عبر تاريخها الطويل إلى مياه الأمطار التي هي المصدر الرئيسي لسكان المدينة[٣٧]. أما أرضيات هذه الغرف فكانت تبلط بأنواع مختلفة من الحجارة وهي في غالبها من الحجر الأزرق الملكي الكبير والأملس، ومنها ما كان يبلط على شكل سجادة.

ومن العناصر المعمارية، التي استخدمت في بناء هذه المنازل، القبو المحدب، والذي تميز به كثير من المنازل في القدس، وهو عبارة عن وسيلة معمارية مقوسة حادة الرأس، تعتمد على نقطتي ارتكاز، وتم استخدامه داخل المنازل وفي الغرف[٣٨]. كما عرفت بعض المنازل استخدام المخمس، والذي يتألف من خمس فقرات، أو سقف خماسي الفصوص يتصل بعضها ببعض، وتلتقي حجرتها في وسطها بحجر الغلق.كما شاع في تلك المنازل استخدام القبو المتقاطع، وهو عبارة عن قبو مسقوف على شكل متعامد وفق أربعة فصوص، ويطلق العوام على هذا النمط من الأقبية اسم القبو الصليبي أو القبو المصلب. ووجد بكثرة في غرف المنازل، وخصوصًا ذات الأسقف المنخفضة. وقد استخدمت هذه الأنواع من الأقبية بغرض حمل ثقل الطبقات العلوية وتوزيع ثقلها على الجوانب إلى جانب وظيفتها الزخرفية عندما يتم تزيينها بأشكال هندسية ونباتية[٣٩].

وعن طريقة بناء هذه المنازل، فقد عرفت طريقة استخدام البولنك، جمع بالكة، لما تتيحه من فراغات، وما تقوم به من حمل الأبنية السكنية، ولوقاية المشاة من الأمطار الشديد وأشعة الشمس الحارقة[٤٠]. كما تم استخدام القباب المسطحة الضحلة ذات الرقبة القصيرة، فوق الدور السكنية، وكذا تم استخدامها في تشييد المنازل، بحيث نجد أكثر من قبة في سطح المنزل الواحد. هذه القباب كان يتم تشييدها من الحجر والشيد، وهو مسحوق طبيعي أبيض اللون، مستخرج من الحجر، واستعمل قبل اكتشاف الأسمنت في العمارة، وجرت العادة بأن يتم تزيين هذه القباب برسومات هندسية، مثل المثلثات والأهلة العديدة وغيرها[٤١].

أما عن بناء الأبواب والشبابيك، فقد تم استخدام الأقواس المدببة والأقواس نصف الدائرية، والمزخرفة بأشكال هندسية مختلفة، كما استخدمت القمريات، وهي عبارة عن فتحات دائرية تعلو باب الدار أو المنزل، والغرض منها هو دخول أشعة الشمس، بشكل خافت، إلى صحن الدار. أما واجهات المنازل، فقد تم فيها استخدام الرواشن. ومفردها روشن، وهي كوة أو نافذة تخرج من الطبقات العلوية لبناء

المنزل، وتكون بارزة إلى الخارج، وينخلل الروشن شبابيك أو طاقات مشبكه تطل على الطريق العام. ويتميز الروشن منها بجمال الشكل من الخارج، في حين يكون من الداخل على شكل غرفة داخل غرفة لإدخال أشعة الشمس، وتوفير الإضاءة المناسبة والتهوية. كما تم استخدام الأقاريز، ومفردها إفريز، وهو عبارة عن إطار أو حلية بارزة وغائرة تحيط بعقد خارجي أو داخلي، ويكون الإفريز غالبًا في أعلى الجدار، مما يجعله يخفف من سقوط الأمطار، ويعمل على تثبيت أطراف المشربيات أو الرواشن[٤٢].

مواد البناء :

أما عن مواد البناء التي استخدمت في المنازل، فيأتي في مقدمتها أنواع مختلفة من الأحجار، منها الحجر الملكي، والذي عرف في العصر العثماني بالحجر السلطاني، نسبة إلى السلطان سليمان القانوني الذي بنى سور القدس منه، كما يسمى بالحجر المزي. ويسمى أيضًا بالحجر الأزرق، لميله إلى الاصفرار ثم الازرقاق بعد قطعه من محاجره الكائنة في حي الشيخ جراح، وباب العمود، ومغارة الكتان، وبيت أوتيا. ومن الحجارة المستعملة كذلك حجر الهور الكلسي المستخدم في بناء الواجهات[٤٣]. إلى جانب استخدام الخشب عند صناعة الفوانيس الخاصة بالأقبية والأقواس، أو عند بناء الأبواب والشبابيك، وفي السقوف والجدران الداخلية. وقد أشارت بعض الحجج الشرعية إلى استخدام الأخشاب عند ترميم الأبنية، وكان يتم الحصول على الخشب المستعمل في البناء من الأشجار المزروعة حول القدس، في جبال الزيتون، والمناطق القريبة من القدس، وبها أشجار الزيتون والتفاح والسفرجل والتوت والرمان والليمون والتين وغيرها[٤٤].

كذلك تم استخدام مادة القصارة، وهي عبارة عن خليط من القصرمل، أي الرماد المتخلف عن الحمامات، مع الشيد والرمل والماء، هذا الخليط عرف باسم القصارة البيضاء إلى جانب خلطة أخرى شاعت منذ العصر الأيوبي، ومكونة من الشيد والكتان المشبع بزيت الزيتون والرمل، وغالبًا ما كانت تستخدم كقصارة تكسو الجدران الداخلية للمباني. هذا إلى جانب الكحلة الحمراء، المكونة من الشيد المطبوخ من الحجر الوردي، والتي أفادت بعض الحجج الشرعية استخدامها في تغطية المسامات الفاصلة بين المداميك وعند ترميم المباني[٤٥]. ومن المواد التي تم استخدامها في بعض منازل القدس الرخام، وقد كثر استخدامه في عمل القمقبات وتكسية بعض مداخل الدور وأرضياتها وحوائطها.

وللتغلب على مشكلة رشح الماء أو الرطوبة من الجدران، والتي تظهر في الشتاء بوجه خاص، فقد تم استخدام كسر الفخار، بعد خلطه بالكتان المشبع بزيت الزيتون والشيد، في طلاء الجدران الداخلية، فيعمل كمسوة هذه الجدران بمادة

القصارة، وكذلك لإكساب البناء البرودة الكافية في أيام الصيف[٢٧]. كما كانت أحجار الكلس من المواد المستخدمة في البناء، وهي أحجار جذابة ذات لون وردي وشديدة الصلابة في نفس الوقت، بحيث أضفت على مباني المدينة طابعًا مميزًا، فضلا عن مقاومتها للرطوبة والأمطار، بحيث لا يمكن أن يحدث لألوانها أي تغيير أو لأشكال على طول الزمان[٢٨].

وقد ظلت هذه المواد مستخدمة في العصر العثماني، فعندما زار الرحالة التركي " أوليا جلبي " القدس ووصف بعض حاراتها ومبانيها قال : ومباني هذه المدينة من الحجارة، وليس فيها مبان خشبية مطلقًا. ومع ذلك فالأبواب مصنوعة من الخشب[٢٩].

وينبغي أن نشير إلى أن بعض المنازل، في الأحياء الراقية، قد اشتملت على حواكير، ومفردها حاكورة، وهي غالبًا ما تكون ملاصقة للمنزل من الخارج، وتزرع بالأشجار المثمرة مثل: الكروم والمشمش والتفاح والتين والزيتون والرمان والتوت، وبعض الخضروات : أما الحواكير الكبيرة، فهي غالبًا ما تكون مستقلة عن المنزل التي قد تحيط بها من جهاتها المختلفة، وتحدها من جهة أو أكثر، وتعرف الحاكورة الكبيرة غالبًا باسم واقفها، أو شجرة تميزها أو عائلة ترعى شئونها، أو ولي صالح مدفون بها[٣٠]. وعلاة ما كان يخصص جزء من مساحة المنزل، وخصوصًا منازل الأثرياء، لعمل إسطبل يتسع لعدد من الخيول اللازمة لأفراد الأسرة الواحدة، وغيرها من دواب الحمل، وفي داخل الإسطبل دورة مياه ومطبخ للسياس وحجرة للنوم، فضلا عن مستودع لحفظ الأتبان والأعلاف وآلات الركوب المختلفة. ولحيلنا يخصص جزء من هذا الإسطبل لتربية بعض الطيور، وهو ما عرف في مصطلح ذلك العصر باسم الحضير، وكما سنرى في بعض الوثائق في الصفحات التالية.

وتجب الإشارة إلى أنه نتيجة لارتفاع عدد السكان في العصر المملوكي بوجه خاص، وبعد أن عادت المدينة إلى أحضان الدولة العربية الإسلامية ونعمت بالاستقرار، ازداد الطلب على السكن مع قلة فرص البناء فوق الأراضي داخل المدينة لصغر حجمها، فتوسعت أحياء عديدة خارج السور، هذا إلى جانب اتجاه رجال المعمار إلى البناء فوق القناطر التي تعلو الطرق والشوارع. مما أفضى إلى بناء البالكة المحمولة على قنطرة وأن يعيد المالك بناء مسكنه فيأخذ علو الطريق العام كقنطرة، أو يستأذن من جيرانه أن ترتكز عضادة قنطرة منزله على جدرانهم. وتعطينا الوثيقة رقم ٣٣٦ مثالا لهذه الحالة، والمؤرخة في ٢٢ جمادى الآخرة سنة ٧٨٨هـ، وفيها يأذن الحاج محمد بن أحمد بن محمد البصراوي القصاب بالقدس الشريف، لأحد صوفية الخانقاه الصلاحية وهو برهان الدين الناصري "أن يلصق

بناه إلى مكة من جهة القبلة ومن جهة المغرب على حكم الأرجل القديمة الرومية الملاصقة لملكه.." والمقصود بالأرجل القديمة الرومية الأعمدة الرومانية التي تستند عليها إحدى القناطر[٣١].

كذلك نجم عن ضيق مساحة المدينة، واستخدام القناطر والأعمدة في عمليات البناء فوقها، أن ظهر ما اصطلح على تسميته بحق الاتفاق، ويعني ضرورة مرور الجار من دار جاره، لعدم تمكنه من سلوك الطريق العام، أو أن يكون له حق الاشتراك في بعض المنشآت مع جيرانه، مثل قنوات المياه التي قد تمر من أسفل دور الجيران[٣٢]. واستمر الحال على ذلك طوال العصر العثماني، فلم يحدث أي تغيير يذكر في منازل القدس، وطريقة بنائها، ومكوناتها، فقد جاء في السجل رقم ٢٢٩ من سجلات المحكمة الشرعية، أن إحدى الدور برأس عقبة العولى (عقبة الراهبات) كانت مشتملة على : "علوي وسفلي فالعلوي يشتمل على طباق بها سلالم حجر وأربع بيوت "غرف" بأحدها حمام ومطبخ وساحات، والسفلي يشتمل على لوطتين وإيوان ومرتفق وأربعة صهاريج وإسطبل، ومدفن ومنافع وحقوق شرعية..."[٣٣] كذلك جاء في السجل رقم ٢٩٤، وهو سجل وقفيات القدس، ذكر الدار التي اشتراها أحد أبناء المدينة، ويدعى سليمان حلبي قطنية، "المشتملة" على علوي وسفلي منها يشتمل على طبقة علوية يصعد إليها بسلم من حجر، وحضير بها طاقات وأربعة بيوت بأحدهم حمام، وعلى إيوان ومطبخ ومرتفق لطيف ومرتفق آخر وساحات سماوية، وسفلي يشتمل على لوطتين وإيوان ومرتفق، وأربعة صهاريج لجمع ماء الأشتية، وإسطبل ومدفن ومنافع وحقوق شرعية..."[٣٤].

والأهم من ذلك أن الوثائق تلقي كثيرًا من الأضواء على سكن العائلة، لا من حيث مكوناته، والمواد المستخدمة في بنائه، ومساحته، وعدد طوابقه، وتكسيه جدرانه فحسب، بل ومن حيث نوعيته، فهل هو ملك للأسرة، للزوج أو الزوجة، أو أحد الأبناء، أو هو إيجار، ولنوعية الأفراد الذين يسكونه، ثم هل كان السكن في إحدى المؤسسات الخيرية والدينية أو في منشأة تجارية. ففي حالة السكنى في منزل أحد أفراد العائلة تتم الإشارة إلى ذلك في صراحة، مثلما جاء في الوثيقة رقم ٢٨٨ بتاريخ ٥ رجب ٧٩٦هـ/مايو ١٣٩٤م وهي وثيقة حصر تركة امرأة توفيت في دار ابنها علي بن الحاج حسن بن علي". وقد يكون السكن ملكا للزوجة كما جاء في الوثيقة رقم ٤٥٧، بتاريخ ٤ رمضان ٧٩٦هـ/٣ يوليو ١٣٩٤م، وهي وثيقة حصر موجودات امرأة مريضة وطريحة الفراش تدعى طغاطاى بنت عبد الله زوجة علاء الدين علي بن قيران، تم حصر موجوداتها في "دارها الموقوفة عليها في خط أولاد الشرف" أي في حارة الشرف، والتي كان يطلق عليها كذلك اسم حارة الأكراد. كما قد يكون سكن للعائلة في أسرة الزوج، فقد جاء في الوثيقة رقم ٤٩٣، بتاريخ ٣٠ ذي القعدة سنة ٧٩٥هـ / ٧ أكتوبر سنة ١٣٩٣م، وهي وثيقة حصر

موجودات امرأة تدعى الحاجة فوزات بنت إسماعيل بن علي العجلوني، زوجة الحاج محمد بن أحمد السكندري، المعروف بالثوري، وسكنها في دار الأمير الكبير المجاهد زين الدين غانم الثوري [٣٠].

ومن الأشياء المألوفة أن بعض دور بيت المقدس كان يطلق عليها أسماء ملاكها من النساء فقد جاء في الوثيقة رقم ٤٧٩، المؤرخة في رمضان ٧٧٦هـ / ٦ يوليو ١٣٩٤م، أن إحدى الأسرات كانت تقطن في دار تسمى دار بنت السراج المغربية.. في حارة المغاربة"، والتي تقع في مواجهة حائط البراق، أو حائط المبكى كما يسميه اليهود.

ومن الطريف أن نذكر أن مدينة بيت المقدس قد عرفت ما هو مطبق حاليا في بعض بلدان العالم العربي، وبخاصة في منطقة الخليج، من تخصيص منازل لا يسكنها إلا العائلات، ومنازل أخرى تخصص لسكنى الغرباء، وخصوصا من أرباب الحرف الذين تضطرهم ظروفهم إلى السكنى في مكان واحد، فالوثيقة رقم ٥٢٦، بتاريخ ٢٧ شوال سنة ٧٢٥هـ / ٥ سبتمبر ١٣٩٣م، تشير إلى أنه تم حصر موجودات شخص مريض طريح الفراش يدعى ناصر الدين محمد بن شرف الدين موسى بن يوسف الدمشقي" يسكن في غرفة في "بيت مسكن الخبازين"، وأقر أن ورثته هم : أخواته، مع، خاتون، وسالمة، الغائبات في دمشق، وأمه الحاجة ملك، وبيت المال. بل تشير الوثيقة رقم ٥١٤ إلى وجود حي بأكمله من الحرفيين، ربما كانت منازله من هذا النوع. وقد يكون المسكن عبارة عن غرفة داخل إحدى المنشآت الاجتماعية، فمن الأضواء الجديدة التي تلقيها الوثيقة رقم ٥٢٧، بتاريخ ١٧ ذي القعدة سنة ٧٩٥هـ / ٢٤ سبتمبر ١٣٩٣م، أن بعض الربط، ومفردها رباط، كان ينزل فيها بعض الأسر الصغيرة والفقيرة في نفس الوقت. فهذه الوثيقة تشير إلى امرأة ضعيفة مريضة مرضا يخشى منه الموت، فتم حصر موجوداتها في حضور مندوب عن بيت المال وبعض الشهود العدول، من طرف قاضي القضاة الشافعي الحاكم الشرعي في القدس، وذكرت أن مستحقي إرثها هم : "زوجها محمد بن أحمد بن إبراهيم الكركي النساج الحاضر معها، وأحفادها محمد وأحمد ويلسبن..." أو يكون غرفة داخل إحدى المنشآت التجارية، فالوثيقة رقم ٤٦٤، بتاريخ ٣ رمضان ٧٩٥هـ / ١٣ يوليو ١٣٩٣م، وهي وثيقة حصر موجودات لمرأة مريضة ضعيفة تدعى خديجة بنت الحاج علي التركي، تقطن في غرفة في خان عادار ظاهر القدس الشريف بالمغاربة، وتم الحصر في وجود نائب وكيل بيت المال، نائب الحسبة في نفس الوقت، والشهود العدول من طرف قاضي القضاة الشافعي، وذكرت أن ورثتها هم بناتها: فاطمة، وحليمة، وعائشة الحاضرات معها بالقدس، وبيت المال لأنها لم تنجب ولدا. وجاء في الوثيقة رقم ٤٤٨ بتاريخ ٢٤ ربيع الأول ٧٩٦هـ / ٢٧ يناير ١٣٩٤م، وهي وثيقة حصر تركة شخص متوفي، يدعى الشيخ عمر، في رباط

المرحوم علاء الدين البصير، وأن الورثة هم زوجته وأولاده وبناته. كما قد يكون المسكن عدة غرف في منشأة دينية، فقد جاء في الوثيقة رقم ٤٣٨ بتاريخ ١٣ جمادى الثاني ٧٩٥هـ / ٢٦ أبريل ١٣٩٣م، وهي وثيقة حصر موجودات شخص طريح الفراش يدعى فارس بن عبد الله، عتيقة فرقط المغربي في زاوية الشيخ إبراهيم في حارة المردواوية، وذكر أن ورثته هم: زوجته عائشة بنت محمد بن يحي، ومعتقه، وتم الحصر في حضور نائب السلطنة وناظر الحرمين الشريفين للقدس والشهود العدول من طرف القاضي الحنفي. وما جاء في الوثيقة رقم ٤٢٩ بتاريخ ٢٠ ذي القعدة ٧٩٥هـ / ٢٧ سبتمبر ١٣٩٣م وهي وثيقة حصر موجودات رجل طريح الفراش يدعى الشيخ يعقوب بن غازي التركماني الطباخ في زاوية محمد بك. وقد تم الحصر في حضور نائب بيت المال والشهود العدول من طرف القاضي الشافعي، وأقر أن ورثته هم: زوجته قطلوا بنت عبد الله الحاضرة معه، وأخود البالغ أبو زيد النساخ الغائب في عينتاب. ولم تكن المنشآت الدينية التي حوت منازل استوطنها بعض العائلات المقدسية كلها خاصة بالمسلمين، بل هناك مؤسسات دينية خاصة بالمسيحيين مثال: ذلك ما تذكره الوثيقة رقم ٤٧٤ وهي مكونة من ثلاثة عشر سطرا وعليها توقيع شاهدين، ومؤرخة في ٢٩ ذي الحجة سنة ٧٩٣هـ / ٢٧ نوفمبر ١٣٩١م. وهي وثيقة حصر تركة شخص مسيحي يدعى يعقوب بن يوسف بن مسعود، توفي في أحد الأديرة في حارة النصارى وهو "دير معلقه". أما ورثته فهم: أمه وأخوه مسعدان الحاضران معه في القدس. والوثيقة رقم ٥٠٣ المؤرخة في ٤ ذي القعدة ٧٩٥هـ / ١١ سبتمبر ١٣٩٣م، والخاصة بشخص مسيحي توفي في هذا التاريخ بأحد أديرة بيت المقدس، ويدعى دير العامود، جاء فيها أن ورثته هم: زوجته مريم بنت فريح بن شبل النصرانية الشوبكية، وبناته ست الأهل وست النظر، وأخود غانم الغائب في الشوبك، وعلى الوثيقة إشهاد القاضي الشافعي [٣١].

ومن الحالات النادرة، التي صادفتنا، أن يكون سكن الأسرة في إحدى مدارس القدس، إذ تشير الوثيقة رقم ٦٤٧ بتاريخ ٢٥ جمادى الثاني ٧٩٥هـ/٨ مايو ١٣٩٣م، وهي وثيقة حصر تركة امرأة متوفاة تدعى "فاطمة بنت أحمد بن علي" وقد كان محل إقامتها هي وأسرتها "مسكنها في المدرسة الميمونية". ومن الطريف أيضا أن بعض الأسر المقدسية أطلقت على دورها بعض الأسماء التي تخلد ذكرى وطنية أو تاريخية، فالوثيقة رقم ٧٦٧، المؤرخة في ١٥ شعبان سنة ٧٥٩هـ/٢٦ يوليو ١٣٩٣م، جاء فيها أن منزل إحدى الأسر المقدسية يسمى "دار حطين في خط باب العمود". وكنا نود أن نخرج من دراستنا لمجموعة وثائق الحرم القدسي الشريف، أو وثائق سجلات المحكمة الشرعية بالقدس، عن قيمة الإيجار الذي كان يتم دفعه في المنازل أو الغرف المسكنية، والذي لابد وأن يكون مختلفا من

دار لأخرى، حسب المساحة والموقع والحالة التي عليها الدار، وما إلى ذلك من أمور، وإن كانت هناك إشارات كثيرة في العديد من الوثائق المتعلقة بالإيجار لم تشر إلى قيمة إيجارها، باستثناء الوثيقة رقم ١١٤، والتي جاء فيها أن إيجار الدار المذكورة في هذه الوثيقة، وهي سكن شخص يدعى "الحاج أحمد بن –" عن شهر ربيع الثاني سنة ٧٨٥هـ/يونيو ١٣٨٣م، كان ثمانية دراهم فضة. وقد بخلت علينا الوثيقة بذكر اسم الحي الذي تقع فيه تلك الدار، لتحديد ما إذا كان من الأحياء الراقية أم الشعبية أو أحياء الطبقة الوسطى. كذلك الوثيقة رقم ٩٦، والمؤرخة في ١١ رجب سنة ٧٨٥هـ/ ١٨ سبتمبر ١٣٨٣م، والتي جاء بها أن الدار المؤجرة هي ملك أحد أمراء المماليك، ويدعى الحاج ناصر بن عبد الله بن فروخ وكان مقدمًا للطواشية، وأن داره تقع في حارة المشارقة بالقدس، وإيجارها هو مبلغ ٩٧,٥ درهما شهريًا [٧٧]وقد يرى البعض أن إيجار الدار الأخيرة يبدو مرتفعًا، لكن من خلال إلقاء نظرة على صاحبها، وهو أحد أمراء المماليك، يمكننا القول إنها كانت بلا شك دارًا كبيرة، وفي أحد الأحياء الراقية من القدس، وعلى هذا فقيمة الإيجار المذكورة معقولة. وكنا نود أن نتوصل إلى معرفة هامش الربح الذي وضعه أصحاب الأملاك المؤجرة، والذي يجب أن تحققه الأموال التي دفعوها في شراء تلك الدور. لكن ليس لدينا سوى هذين الرقمين السابقين عن القيمة الإيجارية، مع وجود أسعار شراء العديد من الدور، مثال ذلك: ما جاء في الوثيقة رقم ١٥ بتاريخ ١٦ رمضان سنة ٧٤٣هـ/١٢ فبراير ١٣٤٣م، حيث تذكر لنا أن شخصًا نصرانيًا من أبناء بيت المقدس يدعى "رزق الله بن بولس التاجر" قد قام بشراء دار بحارة النصارى – وهي من الأحياء الشعبية في القدس – بالقرب من دير ياسل، نظير مبلغ وقدره ١٢٠ درهما من صاحبها "الشيخ أبي المحاسن يوسف.." وما جاء في الوثيقة رقم ٣٩ بتاريخ ٢١ ى القعدة سنة ٧٨٠هـ/١٠ مارس ١٣٧٩م. وفيها أن "الشيخ برهان الدين إبراهيم الناصري العقربي في المسجد الأقصى يشترى دارًا بالقرب من قناطر الخضير (حارة في خط الطواحين) بمبلغ ٨٢٥ درهما من محمد بن أحمد بن فرج الزيدى". وما جاء في الوثيقة رقم ٣٥٢ بتاريخ ٢٠ رمضان ٧٦٥هـ/٢١ يونيو ١٣٦٤م من أن "المعلم أحمد بن إدريس السكندري المقيم بالقدس يشترى دارا في خط باب السلسلة في سوق داود، من حسن بن على بن حسن بمبلغ ٤٠٠ درهم. كذلك ما جاء في الوثيقة رقم ٦١٩، المؤرخة في ١٥ ذي القعدة ٧٨٠هـ/٣مارس ١٣٧٩م، أن سعر دار في قناطر الخضير في خط الواحين هو مبلغ ٨٢٠ درهمًا". بينما جاء في الوثيقة رقم ٣٦٧، بتاريخ ٢٦ رمضان ٧٤٣هـ/٢٢ فبراير ١٣٤٣م، أن ثمن منزل متهدم في حارة الخوالدة كان ٣٠ درهمًا [٧٨].

هذا مع اعترافنا بوجود العديد من المنازل الساكنة ولا يدفع لها إيجار، كان تكون موقوفة على من يسكنها ممن تشترط فيهم شروط خاصة، مثال ذلك: ما جاء في الوثيقة رقم ٤٢٣ المؤرخة في ١٣ محرم سنة ٧٩٦هـ/١٢ نوفمبر ١٣٩٣م، وهي وثيقة حصر تركة شخص يدعى "محمد بن سليمان بن مسعود الحسباني"، كان يسكن هو وزوجته "فاطمة بنت أحمد الحسباني" في "دار وقف العميان". وما جاء في الوثيقة رقم ٣٤٣، المؤرخة في ٢٧ شعبان ٧٩٥هـ/٨ يوليو ١٣٩٣م، وهي وثيقة حصر موجودات امرأة طريحة الفراش تدعى حمراء، تسكن في دار في باب حطة، دار وقف للناصر بن الحنيلي، وذكرت أن ورثتها هم زوجها، وبيت المال لأنها لم تنجب منه. وكذلك ما جاء في الوثيقة رقم ٤٨٤. المؤرخة في ٤ ربيع الثاني ٧٩٤هـ/٢٩ فبراير ١٣٩٢م، وهي وثيقة حصر موجودات امرأة طريحة الفراش تدعى "حُسن بنت عبد الله" كانت تسكن في دار وقف المرحوم محمد جوزية في حارة المشارقة، وذكرت أن ورثتها هم أبناها محمد بن إبراهيم الحلبي وابنتها عائشة. وما جاء في الوثيقة رقم ٥٠٤، المؤرخة في ١٧ ذي الحجة ٧٩٣هـ/١٥ نوفمبر ١٣٩١م، وثيقة حصر تركة المتوفى مخلوف بن رضوان بن عبد الواحد حداد، وكان يقيم هو وزوجته في دار وقف للدوادارية في وادي الطواحين. وجاء في حجة الوقف رقم ٨٣٣، بتاريخ ٢٥ ربيع الأول سنة ٧٤٧هـ/ ١٦ يوليو ١٣٤٦م، من أن فاطمة بنت محمد بن على المحسنة المغربية، تقف "جميع عمارتها المستجدة بالقبو الروماني بدارها بحارة المغاربة بالقدس الشريف، حده من القبلة الدرب السالك، ومن الشرق دار الواقفة المذكورة، ومن الشام – أي الشمال – دار الفقراء المغاربة المقيمين بزاوية الشيخ عمر، ومن الغرب الدرب السالك، بحقوق ذلك كله وما عرف به ونسب إليه على من يسكنه من الفقراء العجائز من المغاربة، سكنًا من غير الانتفاع بظهر القبو المذكور فغدى اقترضوا يجرى ذلك مجرى وقف حارة المغاربة المذكور، وقفًا صحيحًا شرعيًا محرمًا بحرمات الله تعالى، لا يباع ولا يوهب ولا يتبادل به..." [٧٩].

وقد يكون الوقف على ذرية المالك فيعيشون في المنزل ولا يدفعون إيجارًا هم ونسلهم من بعدهم ولدينا العديد والعديد من وثائق هذا النوع، إلا إننا سنكتفي بمثال واحد، وهو ما جاء في الوثيقة رقم ٦١٧، المؤرخة في ٢٦ صفر ٧٥٩هـ/ ٧ فبراير ١٣٥٨م، حيث أوقف أحد أبناء مدينة بيت المقدس، ويدعى "الشيخ عثمان بن محمد بن سلمان الغزى دارًا له في الخليل على مصالح أطفاله وذريته ومن بعدهم للفقراء من المسلمين" [٨٠].

وتنبغي الإشارة إلى أنه في بداية حياة الزوجين (العريس والعروس) عادة ما تخرج العروس إلى منزل أهل العريس، وتمكث فيه عند أبناء الطوائف الدينية الثلاث، وفي بعض الحالات كان العريس يشترط على عروسه إلا تطلب منه

الانفصال عن أهله، وإن كانت هناك حالات خرج فيها الابن من منزل أبيه، إذا رغبت هي في ذلك. وفي بعض الأحيان كان يصر والد العروس على أن تبقى ابنته وزوجها معه في داره مدة، إلى أن تتعود ابنته على زوجها، وفي هذه الحالة كان العريس لا يدفع إيجارًا عند المسلمين، وعند اليهود يقوم بدفع إيجار رمزي، وإن كانت هناك بعض وثائق خاصة باليهود، في مجموعة الجنيزة، تنص صراحة على عدم دفع الإيجار [١١].

ما يحبه الزوجان في بعضهما :

كان الزوج وما يزال يحب في زوجته أن تكون صادقة، تحافظ على أسراره، تحفظه في ماله وعرضه في حضوره وفي غيابه، جميلة، مرحة، جذابة، تمشط شعرها جيدًا، وتضع الكحل في عينيها، تعطر جسدها، وأن تكون ولودة. وأن تعامل والديه بكل احترام، بينما كان ينص على ذلك في عقود الزواج عند اليهود، وأن تطيع أوامرهما، وأن تقبل نصحهما [١٢]، وأن ترعى الأطفال وتعطيهم الفرصة للتعليم، لأن المجتمع اهتم بتوفير المصاريف اللازمة للتعليم، وأن تكون على دراية بكل شئون بيتها وزوجها وأطفال، مع الأخ في الاعتبار أن العمل في المنزل لم يكن شاقًا، ويتيح لها قدرًا من الوقت لمزاولة بعض الأنشطة، فالقمح كان يخزن في المنزل، والطاحونة اليدوية "الرحاة" متوفرة لخدمة ربة المنزل، والخبز يمكن شراؤه من الأسواق، وإذا تم إعداده في المنزل فإنه يخبز في فرن قريب، والطعام كان بسيطًا، وبسبب ندرة الخشب وارتفاع أسعاره، كان يفضل الطعام جاهزًا، والغسيل والتنظيف لم يكونا عبئا على المرأة، فهناك القصار الذي يقوم بغسل وتنظيف الملابس، والغزل والنسج قامت به المرأة وندر كره في وثائقنا، باستثناء بعض الأفراد الذين احترفوا تلك المهنة [١٣]. ها إلى جانب أننا ذكرنا في كتاب لنا – عن المرأة المصرية والشامية عصر الحروب الصليبية، المنشور في المجلس الأعلى للثقافة عام ٢٠٠٣ – العديد من الأنشطة التي قامت بها المرأة، في شتى مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، وكانت محل استحسان كل الرجال، بل ولفخر كثيرون من مشاهير كبار رجالات ذلك العصر، بأنهم تعلموا على أيديها. كما أنها تعنت منه ألا يتزوج عليها إلا لضرورة ترضاها، وألا يقيم علاقات جنسية مع جواريه اللاتي يمتلكهن، وكان هذا هو قانون الكنيسة، بل إن عقود الزواج عند اليهود، وبخاصة من طائفة القرائين، كانت تتضمن وعدًا من الزوج ألا يتزوج لمرأة أخرى، وألا يحتفظ بخادمة لا تقبلها الزوجة. وهناك إقرار من الزوج، في حالة ما إذا وقعت زوجته أسيرة، فعليه أن يفتديها بمال ليس من مؤخر صداقها ولكن من مال الخاص، وهذا ما كان يتم عند المسلمين والمسيحيين، دون ذكر ذلك في عقد الزواج [١٤].

ومما كانت تحبه الزوجة في زوجها : أن يشعرها بمسئوليته الكاملة عن الأسرة وألا يخرج في أسفار بعيدة كثيرًا، وإذا خرج فعليه أن يترك لزوجته ولأولاده النفقة المناسبة التي تكفيهم مدة غيابه. وعند اليهود بوجه خاص كان يتم النص على ذلك في عقد الزواج [١٥]. وأن يدرك أن من حقها أن ترى أقاربها وصديقاتها بين الحين والحين، كما كان في مقدورهن أن يلتين لزيارتها من وقت إلى آخر، وربما تم ذلك مرة أو مرتين في الشهر، ولكن بعد إذن من زوجها لها بذلك. وأن يكون رفيقًا، عطوفًا، معتدلاً، يظهر لها الحب والاستحسان، كريم العقل، يقابلها بالإحسان، وأن يكون ذا مروءة، ويحمل لها الهدايا خصوصًا عند عودته من رحلة عمل. وأن يأخذ من يوم الخميس يومًا للمتعة الزوجية فيستحم فيه، ويتعطر صباح الجمعة قبل صلاة الجمعة إذا كان مسلمًا أما إذا كان يهوديًا؛ فيأخذ يوم الجمعة لنفس الغرض، وإذا كان مسيحيًا فيأخذ يوم السبت لنفس الغرض [١٦]. كذلك أحبت المرأة في الرجل أن تتمتع بحياتها وتزور الأسواق، وأن تكون هناك أيام راحة، هي الجمعة – للمسلمات، والسبت –لليهوديات، والأحد – للمسيحيات. فيترك لها الفرصة في أن تتمتع بالاستماع إلى أبيها وهو يقرأ في أحد الكتب المقدسة، أو أن تحضر أحد مجالس العلم والمناقشات، أو الذهاب إلى الحمامات العامة مرة على الأقل كل أسبوع، أو للمشاركة في الاحتفالات العائلية، من زواج، أو زيارات، أو للتهنئة بمولود جديد، وتمضية بعض الوقت مع الصديقات في سرد القصص والحكايات، والحديث عن مشترياتهن، أو غناء بعض القصائد، وربما العلاقة بين الآباء والأبناء :

سبق وأشرنا إلى أن الأطفال متعة وزينة الحياة الدنيا لدى جميع الطوائف الدينية، إلا أنه من الواضح أن الناس في ذلك الزمان لم يتخلصوا من بعض التقاليد المتوارثة عبر أزمان سحيقة، ذلك أن إنجاب البنات، عند الجميع من مسلمين ومسيحيين ويهود، كان غير مستحب، بدليل ما ورد كثيرًا من إشارات عند موت إحدى البنات أن يخلفها ولد، أي أن يرزق الله والديها ولدًا عوضًا عنها، كما جاء في خطاب من مجموعة الجنيزة للعبارة :"إن الصغيرة – يقصد زوجة كاتب الخطاب – بخير، إن الله قد منحها طفلاً بديلاً عن البنت التي ماتت" [١٨]. وليس معنى هذا كراهية البنات، بل هو نوع من التفضيل، وهناك من كان يفضل خلفة البنات. فلدينا بعض أمثلة عن رجال عانوا كثيرًا من أجل مصلحة بناتهم، فهناك أحد النساك من بيزنطة. وقد عاش في بيت المقدس حزينًا في كنيسة جبل صهيون، كتب يقول: إنه ينبغي أن يعود إلى وطنه كي يرعى ابنته الوحيدة. كما جاء في إحدى الوثائق أن رجلاً رزق بمولودة أثناء غيابه فكتب لزوجته يعبر عن فرحته بالطفلة، وأن الزوجة ليست ملامة على إنجابها تلك الطفلة، فيقول:"إنني سعيد بابنتي ! لأنها المولودة الأولى لنا فهل أكرهها ؟ طبعًا لا، إن الله يمنح ذلك. وما أقوله هو : إن الله جعلني

سعيد الحظ، فيها بشير السعد لي ولك....". وهو يعبر بذلك عن أنهما قد تجنبا عين الحسود التي كانت ستصيبهما، ثانيًا فإن تلك الطفلة هي أم صغيرة لأولاد ستلدهم مستقبلاً [٦٩].

أما عن علاقة الأبناء بوالديهم، فمعروف أنه، في تلك العصور، أن الأبناء كانوا يظهرون امتنانهم لوالديهم بتقبيل أيديهم، وربما أيديهم وأرجلهم، على الأقل في خطاباتهم لهم. كما كان من المتوقع من الأبناء أن يقوموا برعاية والديهم، وتقديم كل عون ممكن لهم إذا دعت الحاجة لذلك. مع أن الوثائق التي بين أيدينا لم تتضمن ما يشير إلى نوع العلاقة بين الأبناء والوالدين بشكل مباشر باستثناء الوثيقة رقم ٢١١، وهي بتاريخ أول شوال سنة ٧٨٨هـ، وفيها أقر أحد كبار تجار بيت المقدس وهو "الصدر الأجل ناصر الدين محمد بن المرحوم علاء الدين علي الحموي أحد أعيان السادة التجار بالقدس الشريف، وهو معروف عند شهوده إقرارًا شرعيًا في صحة عقله وتوعك جسمه، أن عنده لولده من الدراهم الفضة، الجارية في المعاملة الشامية، عشرة آلاف درهم نصفها خمسة آلاف وأن ذلك لولده لصلبه شمس الدين محمد المراهق، وبه شهد عليه في يوم الفطر المبارك من شهور سنة ثمان وثمانين وسبعمائة..." ثم شهادة الشهود. وواضح من نص الوثيقة أن هذا التاجر عندما مرض مرضًا يخشى منه الموت كتب هذا الإشهاد على نفسه بهذا المبلغ كشكل من أشكال تراكم الثروة في أفراد الأسرة[٧٠] وكنوع من تأمين مستقبل الابن من قبل والده القادر. وكذلك ما تشير إليه الوثيقة رقم ٢٠٩، بتاريخ ١ شوال ٧٨٨هـ، من أن نفس الشخص سابق الذكر، يقر أمام مجلس القضاء الشرعي بأنه "جهز ابنته الست المصونة فاطمة زوج الفقير إلى الله تعالى كمال الدين أحمد بن المرحوم الشيخ الإمام القدوة سعد الدين محمد العوعاني الأصل بما مبلغه من الدراهم الفضة الجارية في المعاملة الشامية عشرة آلاف درهم نصفها خمسة آلاف وأن ذلك حويج على عادة الجهاز، وبه شهد عليه يوم الفطر المبارك سنة ثمانية وثمانون وسبعمائة" ثم توقيع الشهود واعتماد القاضي الشافعي ذلك [٧١]. وهذا التاجر نفسه الذي رأيناه في الوثيقة السابقة، وبنفس التاريخ، يؤكد لنا حرصه كأب على المساواة في مساعدة أولاده، لا فرق بين ولد أو بنت، فهو كما أمن مستقبل ابنه الذي لم يصل سن الرشد، فقد كان حريصًا على أن يزوج ابنته من زوج من أسرة علمية تتصف بالصلاح والعلم، وأن يدفع لها مبلغًا كبيرًا كهذا في زواجها.

كما أننا عثرنا في مجموعة وثائق الجنيزة على خطاب مرسل من أحد الأبناء، في مدينة المقدس، إلى أخته في مدينة طليطلة في الأندلس، يقول فيه : إن أبانا قد وصل إلى حالة لا نتمناها إلا لأعدائنا فقط، لقد أصبح فعيدًا، كفيفًا، غائب العقل، ويعاني كثيرًا. إن حامل هذا الخطاب إليك سوف يخبرك بمدى رعايتي له، فهو لا ينقصه أي شيء، لأنني أقوم على خدمته خير قيام. ولا أعتمد على أحد

آخر، فأفراشي جعلته ملاصقًا لفراشه، وأقوم بالليل عدة مرات لكي أغطيه وأقلبه، لأنه غير قادر على ذلك بنفسه. الله يلطف به على ما عناه" [٧٢]. كما يبدو أن العلاقة بين الأبناء والأم كانت أقوى مما هي بين الأب وأبنائه، ولم نكن هناك فوارق بين البنين والبنات في ذلك [٧٣].

مسئولية الزوج عن أسرته :

سبقت الإشارة، منذ قليل، إلى إحساس أحد الآباء بمسئوليته نحو ابنه ثم ابنته وتقرأ في وثيقة، محفوظة الآن في متحف جامعة فلادلفيا، عن أحد الآباء ويعمل نساخًا، وهو أب لخمسة أطفال، ولكي يطعم أسرته، فقد قسام أولاد ببيع مجوهرات زوجته وأفضل ما عنده من ملابس وأشاث وكتب، كما اضطر إلى الاقتراض، وعندما ضاقت به الحال، اضطر إلى التوجه إلى دمشق حيث كانت ظروفه عمله هناك أفضل، وعمل بها بعض الوقت، مما مكنه من أن يرسل لأسرته كل ما يقدر عليه "من أجل أولاده". إلا أن الظاعون اجتاح دمشق وتوقف الطلب على نسخ الكتب، فقرر أن يجرب حظه في العاصمة القاهرة، وهاجر إلى مصر، كل هذا بسبب إحساسه بمسئوليته نحو عائلته، ولا نعرف بعد ذلك هل استقر فيها، وطلب من أسرته اللحاق به أم لا ؟[٧٤].

وفي وثائق الحرم القدسي بعض الأمثلة على: أن الزوج إذا نزلت به ضائقة، فإنه يطرق جميع الأبواب ليوفر لأسرته الحاجات الضرورية. من منطلق شعوره بالمسئولية نحو أسرته، نذكر من ذلك، على سبيل المثال لا الحصر، ما جاء في الوثيقة رقم ١٣ بتاريخ أول شهر صفر سنة ٧٧٧هـ، من أن أحد أبناء بيت المقدس، ويدعى إبراهيم الناصري، تقدم بطلب لأحد المسئولين يشرح فيه أنه "في عايلة... وليس له دخل من أي مؤسسة خيرية أو دينية أو اجتماعية، وأنه "من أهل الاستحقاق"... ويطلب صدقة تصرف له من "الرباط المنصوري" نسبة إلى السلطان المنصور قلاوون، وهي عبارة عن رطل خبز في كل يوم" ويدعو للمسئول أن يؤيده الله بمنه وكرمه. وقد جاء في الهامش الأيمن من الوثيقة" لبقرر عوضًا عن المتوفي إلى رحمة الله تعالى، وهو في كل يوم أربعة أرغفة، سابع صفر سنة سبع وسبعين وسبعمائة"[٧٥] وما جاء في الوثيقة رقم ١٠ من أن نفس الشخص المذكور يتقدم بطلب إلى المشرف على الأوقاف، وهو قاضي القضاة الشافعي، يطلب منه مسكنًا في إحدى المنشآت المخصصة لذلك، وينكر أنه من أهل العلم الشريف وحملة كتاب الله تعالى، في حاجة لسكن له ولأسرته، وأن يوافق على إسكانه أسوة بالفقراء الصوفية، وقد جاء رد القاضي على ظهر الوثيقة على النحو التالي: "الحمد لله إن لم يكن استكمل بالرباط العيني لساكنيه بالقدس الشريف عشرون فقيهًا، فيستقر بالرباط المذكور، وإن كان قد استكمل فيها شرط الواقف، فمن توفي منهم

لو توجه لمسكن بغير القدس الشريف، فيستقر عوضه. ويعين له مسكن بالرباط المذكور..." وما جاء في الوثيقة رقم ٢٣٢ وهي عبارة عن قصة "شكوى" مقدمة من أحد أبناء القدس، ويدعى يعقوب، يذكر فيها أنه صاحب عائلة كبيرة وقد أصبح في فاقة، وليس لديه شيء يرهنه أو يبيعه لينفقه على عياله، ويطلب من الحاكم الشرعي، وهو قاضي القضاة الشافعي، أن يأمر بصرف صدقة له من أي جهة كانت، ليستعين بها في الإنفاق عليهم[٧٦].

وإذا اضطر الزوج للسفر بحثًا عن رزقه، فقد كان يتحتم عليه أن يدفع لزوجته ما تواجه به التكاليف اللازمة للحياة اليومية، من طعام وشراب وكسوة وما إلى ذلك. وهذا إشارة، في وثائق الجنيزة، أن رب أسرة دفع لزوجته ثمن ٣ ويبة من القمح وثمن طحنها، وثمن ثلاثة أوقيات شامية من الزيت للطعام والإضاءة، بالإضافة إلى ثمن الحطب اللازم كوقود، وعشرون درهما أسبوعيًا، لشراء لوازم أخرى طوال مدة غيابه[٧٧].

المشكلات العائلية:

المشكلات العائلية من الأمور المألوفة في حياة الناس والمجتمعات، في كل عصر ومكان وزمان، وكثير منها يتم حله عن طريق التفاهم بين الزوج والزوجة، أو عن طريق تدخل بعض الأقارب والأصدقاء للطرفين. والحقيقة التي ينبغي علينا أن نذكرها: أن للرجال بوجه خاص كانوا حريصين كل الحرص على زوجاتهم، سواء في حياتهم أو عندما يشعر الواحد منهم بدنو أجله، فلدينا العشرات والعشرات من وثائق حصر موجودات رجال على فراش الموت، وخصوصًا ممن لم ينجبوا لولدًا ذكورًا، يستغرقون ميراثهم كله مع للزوجات، وفي هذه الحالة وخوفًا من أن يدخل بيت المال شريكًا في الميراث في التركة؛ كان الواحد منهم يذكر أن لزوجته في ذمته مبلغًا كبيرًا كمؤخر صداق، إلى جانب بعض الديون، حتى إذا قومت التركة وتم تجهيزه تلدفن وتسديد ديونه تؤول للتركة كلها للزوجة ولأولاده البنات من بعده، ولا يأخذ بيت المال شيئا. وكان هذا هو حال أبناء الطوائف الدينية المختلفة، من يهود ومسيحيين ومسلمين في القدس.

أما إذا حدث خلاف عميق بين الزوجين واستحالت العشرة بينهما، فقد كان الطلاق هو الحل لمثل هذه الحالات، وإذا تعسف للزوج ولم يطلق زوجته، فقد كان من حقها أن تطلب الخلع، أي أن يطلقها نظير مبلغ تدفعه له، والأهم من هذا هو أنه في هذه الحالة يصبح أمر الزوجة في يديها. ولا يحق للزوج أن يرجعها إلى عصمته في مدة العدة، إلا إذا وافقت هي على ذلك وغالبًا ما كانت تزيد من مبلغ صداقها الأول، وكان من حقها تسجيل قيمة ومقدار الصداق الجديد في عقد زواجها. ولدينا من هذا النوع الوثيقة رقم ٤٧ من وثائق الحرم القدسي، والمؤرخة في ٦

ذي القعدة سنة ٧٧٠هـ، وهي عبارة عن عقد زواج بين المدعو سيف الدين إرمنجي بن عبد الله، وبين مختلعته خديجة بنت المرحوم بدر الدين حسين بن هندي، وكانت قد طلبت منه الخلع مرتين من قبل، ويتبين من هامش الوثيقة الأيمن؛ أن الزوج زاد قيمة الصداق بعد العقد مائتي دينار، فأصبح الصداق ٣٠٠ دينار. وفي آخر الوثيقة شرح يستفاد منه أن خديجة تزوجت من شخص آخر بعد وفاة زوجها إرمنجي، وذلك في سنة ٧٨١، ثم طلقت طلاقًا بائنًا للمرة الأخيرة. وفي آخر عقد الزواج شهادة شاهدين هما : محمد بن محمد بن سليم، وعلي بن أبي بكر بن محمد[٧٨].

كما تشير الوثيقة رقم ٦٥٣، بتاريخ ١٥ ذي الحجة سنة ٧٩٥هـ، إلى أن للزوجة كانت تلجأ إلى القضاء للحصول على حقوقها من زوجها، وخصوصًا إذا فشلت في ذلك بالطرق الودية، فالزوجة هنا وتدعى فاطمة بنت أحمد بن حسن الحلبية الأصل، والمقيمة في القدس، تشكو زوجها المدعو علي بن محمد بن علي الحلبي، الشهير بابن الدمشقي، مغسل الأموات، وتذكر أن زوجها قد طلقها ثلاثًا وأنها تستحق عليه المتعة، أي منعة الطلاق، وهي عبارة عن مبلغ من المال بحسب حالة الزوج المادية بالإضافة إلى للكسوة، فسأل القاضي الزوج عن دخله، ثم حكم لها عليه بمبلغ ثلاثمائة درهم عن الكسوة والمتعة، وهو دون نصف مهرها كما هو مقتضى الشريعة، وهي آخر الوثيقة جاء توقيع للشهود[٧٩].

وتؤكد الوثيقة رقم ٢٨٧، والمؤرخة في ١٢صفر سنة ٧٨٧هـ، أن هناك بعض الخلافات الزوجية التي كان يتم حلها بالطرق الودية، وتحصل الزوجة المطلقة على جميع حقوقها من مؤخر صداق ونفقة ومتعة وكسوة وغيرها. فالزوجة هنا وتدعى فاطمة أقرت "أنها قبضت وتسلمت وصار إليها من يد زوجها، المسمى ناصر الدين محمد، أحد كبار التجار بالقدس الشريف من الذهب الهرجة المصري المسكوك أربعين مثقالاً – دينارًا – نصف ذلك عشرون مثقالاً، وذلك مؤخر صداقها.." وأقرت أيضًا أنها "مواصلة بمسكوتها ونفقتها من زوجها إلى يوم تاريخه"، بل إنها "أقرت أيضًا أن في ذمتها لزوجها المسمي فيه، بطريق القرض الشرعي، من الدراهم الفضة الجارية في المعاملة الشامية مائتي درهم نصفها مائة درهم واحدة..."[٨٠].

وما جاء في الوثيقة رقم ٤٥٨: المؤرخة في ١٨ ربيع الأول سنة ٧٨٣هـ، وهي عبارة عن إقرار بقبض نفقة طفل رضيع، ذلك أن أحد رجال الصوفية ويدعى برهان الدين الناصري، كان قد تزوج أخت الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن فهد الخليلي ثم طلقها، وتدعى فاطمة، وفي هذه الوثيقة يقر الشيخ عبد الرحمن بأنه قبض وتسلم ثمانية وعشرين درهما، عن العدة من العاشر من محرم إلى آخر ربيع الأول من السنة المذكورة، وسلمها لأخته كنفقة للرضيع. ولن الهدف من تدوين مثل هذه الوثائق كنوع من الإثبات لا غير[٨١].

وأخيرًا ينبغي أن نشير إلى أن الخلافات العائلية لم تكن قاصرة على الأزواج والزوجات، إذ نسمع عن وجود خلافات بين الأبناء بعضهم وبعض، وخصوصًا عقب وفاة والدهم الذي يترك لهم بعض الميراث، إلا أنها حالات نادر، فمن بين حوالي ٨٨٠ وثيقة هناك وثيقة واحدة، وهي الوثيقة رقم ٢٧٨، وهي عبارة عن قصة "شكوى" من سيدة تدعى غالية بنت عثمان بن ثعلب، توفي والدها وطمع أخوها في ميراثها، لذا فهي تستعطف قاضي القضاة في القدس لكي ينتخلص لها حقها في وقف أبيه على الذرية، من أجلها للمتولي النظر عليه، وذلك وفق الشرع الشريف. وواضح من كلامها للقاضي وجود خلافات بين الورثة، فأخوها وأختها يقفان في جانب، وهي في جانب آخر[٨٢].

وضع الأطفال القصر في الأسرة :

القاعدة الشرعية أن القاصر لابد أن يوضع تحت تصرف وصي شرعي: الأم، العم أو الخال، فإن لم يوجد وصي من أقاربه يقوم الحاكم الشرعي، في القدس في ذلك العصر، وهو القاضي الشافعي، بوضعه تحت وصاية أحد أعوانه من القضاة، وهو الذي عرف باسم "أمين الحكم" أو "أمين الحكم العزيز". وأن هذا القاصر لا يحق له بيع ولا شراء ولا هبة ولا توكيل، ولا عتق، حتى يبلغ سن الرشد وهي غير سن البلوغ، بدليل ما جاء في الوثيقة رقم ٢٣ من وثائق الحرم القدسي، والمؤرخة في العشر الأخيرة من شهر صفر سنة ٧٩٧هـ، وهي عبارة عن حكم قضائي صادر من القاضي الشافعي للقدس الشريف، يطن فيه بطلان عتق عبدين وجاريتين، لأن العتق صدر من قاصر وصل إلى سن البلوغ، ولكنه لم يكن قد وصل بعد إلى سن الرشد التي تخول له الحق في التصرف[٨٣].

وقد بلغ من حرص بعض الآباء على أبنائهم، تعيين وصي عليهم أثناء حياته، ثقة منهم في الوصي، فالوثيقة رقم ٩١٣، والمؤرخة في ١٩ ذي القعدة سنة ٧٩٦هـ، تذكر لنا أن أحد تجار بيت المقدس، ويدعى شرف الدين محمود بن شهاب الدين أحمد بن محمد الخوارزمي، وهو في مرض جسمه، أسند وصيته إلى زوجته المراة الكامل سراملك وله منها عشرة أولاد، على أن تتصرف لهم في مالهم المخلف لهم التصرف الشرعي. وواضح أن اختياره لها وصية بحيث تكون أهلا لهذه الوصاية[٨٤].

وينبغي أن نشير إلى أن بعض فقهاء المسلمين، وأصحاب الكتب المعاصرة، طالبوا الوصي على الأيتام أن يرعى مصالحهم، ويتيح لهم فرص التعليم، حيث وفر لهم المجتمع كثيرًا من المنشآت التعليمية، وخصوصًا الكتاتيب – والتي عرف الواحد منها باسم "كتاب السبيل" أو "كتاب الأيتام" أو "كتاب الأولاد" – واستثمار أموالهم حتى لا تفقد هذه الأموال قيمتها بمرور الزمن، والتحفظ على أموالهم،

وعدم الإقراض منها. وأن يخرجوا زكاتها إذا حال عليها الحول، وألا يحوج الواحد منهم أم اليتيم إلى التردد إلى بابه طلبًا لنفقات أطفالها اليتامى، ومن فعل ذلك فقد ظلم ظلمًا عظيمًا[٨٥].

توارث الوظائف والحرف في الأسرة :

هناك العديد من الوثائق في هذه المجموعة التي تظهر بوضوح مدى حرص الآباء على توريث وظائفهم وحرفهم لأبنائهم، وإعدادهم منذ صغرهم ليرثوهم في تلك الوظائف والحرف، ونقل خبراتهم بل ونقل "سر المهنة" لهم، لما توفره لهم هذه الوظائف والحرف من دخل مالي، ونفوذ، ومكانة اجتماعية. فمن العائلات المقدسية القديمة، التي ترجع إلى بداية عصر سلاطين المماليك، عائلة الشيخ يونس أو عائلة يونس، وهي من العائلات التي توارثت الولاية على أوقاف النبي موسى، منذ عهد الظاهر بيبرس، وكانت تشرف كذلك على السماط الذي يتم في موسم النبي موسى ويقدم فيه الأرز والدبس والفلفل والحمص والملح وكذلك الخبز. ومن العائلات المقدسية القديمة، والتي ترجع إلى بدايات الفتح الإسلامي للقدس، عائلة الصحابي الجليل عبادة بن الصامت، والتي توارث أفرادها الإشراف على وقف هذا الصحابي الجليل الموجود في قرية نبالة أي القرية المعروفة اليوم ببير نبالا، شمالي القدس قرب قرية الجيب، وقرية برج عرب بظاهر القدس، على بعد بضعة كيلومترات إلى الشمال الغربي قبل قرية لفتا، وعلى الطريق المؤدي إليها "سماها اليهود روميما"، وقرية صرعى التي تقع على بعد ٣١كيلو مترا غربي القدس، كانت تقع على ضفة وادي الصرار الشمالية، وهي من القرى التي دمرها اليهود سنة ١٩٥٨م[٨٦].

وكانت المنافسة شديدة جدًا بين أبناء تلك الأسرة، والتي تم حصرها في حوالي ٥٠ أسرة من الأسر وخصوصًا العلمية منها، وقد تمثلت المنافسة في شقين: الأول وهو الإنتاج العلمي، أما الثاني، وهو الذي يهمنا هنا، فهو تولي العديد من الوظائف، من مكانة اجتماعية وجاه في المجتمع، وداخل نطاق الأسرة الواحدة، مع ما يؤدي إليه ذلك من علاقة وطيدة بالسلطة الحاكمة[٨٧].

ولم يكن هذا هو دأب أبناء الأسر الكبيرة وحسب، بل وأبناء الأسر الصغيرة والناشئة، مثال ذلك: ما تذكره لنا الوثيقة رقم ٢، المؤرخة في آخر ربيع الأول سنة ٧٨٨هـ، وهي عبارة عن مرسوم صادر من الأمير علاء الدين قفيفا الحاجب، بعزة المحروسة سابقًا. بأن يستقر "الشيخ العالم الفاضل الشيخ برهان الدين إبراهيم الناصري، أسبغ الله عليه ظلاله، على قراءة الميعاد – أي درس الوعظ والإرشاد والحث على التقوى – بالصخرة الشريفة يوم الجمعة من وقت التذكير إلى وقت آذان الظهر، ويوم الأحد بعد صلاة الصبح، وليلة الخميس بعد صلاة المغرب وله القراءة من التفاسير والأحاديث وكلام المشايخ، بالحكايات والموعظة، وله في ذلك

معلوم في كل شهر يمضي، مبلغ عشرة دراهم، وبعد وفاة المشار إليه، والعياذ بالله، يكون ولده مستمرًا على وظيفة والده من غير منازع ومعارض، إن كان أهلا بالوظيفة..."[٨٨].

ولم يتغير هذا الوضع في العصر العثماني، بل وظهر على نطاق واسع لدى أرباب الحرف بجميع طوائفهم، مع الحرص كل الحرص على توارث منصب "شيخ الطائفة"، حيث ظهر بوضوح هذا المنصب، بحيث كان لكل طائفة حرفية شيخها، فقد كان: هناك شيخ للأساكفة، وشيخ للأطباء وللجراحين والحكماء، وشيخ لطائفة البياطرة، وشيخ لطائفة بائعي الكتب، وشيخ لطائفة التجار، وشيخ لطائفة الترابين، وشيخ لطائفة الترسين، أي حمالي القمح، وشيخ لطائفة الحدادين، وشيخ لطائفة الحفارين، أي حفاري القبور، وشيخ لطائفة الحلوانية، وشيخ لطائفة حمالي الموت، وشيخ لطائفة الحمامين والحلاقين، وشيخ لطائفة الحياكين، وشيخ لطائفة الخبازين، وشيخ لطائفة الخضرية، وشيخ لطائفة الخياطين، ولطائفة الدباغين، ولطائفة الدلالين، ولطائفة الزبالين، ولطائفة السرامجية، ولطائفة السقائين، ولطائفة السكاكينية والسيوفية، ولطائفة السلاخين، ولطائفة السوقة، ولطائفة السيالجين والبيارية، ولطائفة الشعارية، ولطائفة الشماعين، ولطائفة الصباغين، ولطائفة الصياغ، كما كان التسامح الديني هو أهم ما ساد بين أبناء هذه الطوائف الحرفية. وتشير سجلات المحكمة الشرعية في القدس؛ إلى أن المسيحيين في الطائفة ربما اختاروا شيخا مسلمًا أو يهوديًا عليهم. والمسلمون كانوا يختارون شيخًا مسيحيًا أو يهوديًا، واليهود كانوا يختارون شيخا مسلمًا أو مسيحيًا عليهم، وكل ما يهمهم هو أن يكون أكثر كفاءة وخبرة ودراية بأمور حرفته، وأكثر مقدرة على سياسة أبناء طائفته الحرفية. وهناك الكثير من الإشارات عن تنافس العديد من العائلات المقدسية التي احتكرت مشيخة طائفة زمنًا طويلاً. بل نسمع أن كثيرًا من مشايخ الطوائف الحرفية يتنازلون عن ربع هذه المشيخة أو تلك، ولم نسمع أن مثل هذا التنازل قد لقي رفضًا من أبناء طائفة من الطوائف التي ذكرناها، إلا في حالة المرض الذي لا يرجى منه الشفاء، أو العجز، فقد كان أبناء الطائفة يختارون خليفة لشيخهم، وينيبون عنهم جماعة منهم لإبلاغ رغبتهم هذه إلى الطائفة يختارون خليفة لشيخهم، وينيبون عنهم جماعة منهم لإبلاغ رغبتهم هذه إلى الحاكم الشرعي وهو القاضي الحنفي، الذي يتأكد من ذلك ثم يصدر قرارًا بذلك[٨٩].

الأثاث المنزلي :

إن معلوماتنا عن الأثاث المنزلي في مدينة بيت المقدس، عصر سلاطين المماليك، تعتمد أساسًا على ما جاء في وثائق حصر الموجودات، وهي وثائق تهتم بالدرجة الأولى بحصر ممتلكات أشخاص طريحي الفراش في مرض الموت. ويبدأ

هذا النوع من الوثائق عادة بالقول : "حصل الوقوف على". ويلي ذلك تاريخ الوثيقة، ثم موقع البيت الذي حصل فيه الوقوف، واسم المريض ونسبه. وبعد ذلك يأتي ضبط الحوائج والمخلفات، وبيانات حول الديون سواء له أو عليه، وبعدئذ تحدد أسماء الورثة، ومن بينهم بيت المال في حالة ما إذا كان الشخص المريض لم ينجب، أو أنجب بناتًا لا يستغرقون الإرث كله. وفي كثير من الحالات كان حصر التركة يتم بحضور ممثل لبيت المال، والشهود العدول من قبل قاضي قضاة القدس الشافعي. هذا إلى جانب وثائق الإرث الحشري، وهي تركات من يموت ولا وارث له، أو له ورثة لا يستغرقون الإرث كله. وأهمية هذين النوعين من الوثائق أنهما حويا معلومات كثيرة عن: الملابس وأدوات الزينة والحلي، وأثاث المقاعد والمساجيد والبسط والمفارش، وأدوات المنزل اللازمة للطعام وغيرها[٩٠].

ويتضح من دراسة هذه الوثائق، التي قاربت ٤٠٠ وثيقة، أن بيوت مدينة بيت المقدس، في ذلك العصر، قد احتوت على القليل من قطع الأثاث الكبيرة الحجم، مثل المناضد (الطاولات)، والكراسي، والدواليب، والأسرة، فالدواليب لم يرد ذكرها إلا في أربع وثائق، وكانت من نوع الدواليب الخشبية، أو الدواليب المحفورة في الحوائط الحجرية. وأما الأسرّة فلم ترد إلا مرة واحدة ضمن تركة امرأة كان سريرها من نوع الخشب الصف [٩١]. ولعل السبب في ذلك راجع إلى أن الناس اعتادوا أن يفترشوا الأرض، معتمدين على المقاعد والمخدات والبسط والمساجيد والمفارش الجلدية، والطراحات، وهي عبارة عن مراتب مستطيلة أو مربعة، تفرش ويجلس عليها أثناء النهار، ويتم النوم عليها بعد وضع المخدات عليها بالليل، أو في أوقات الراحة، وعادة ما يكون لكل واحد منها وجه (غطاء) من جوخ أزرق، أو وجه جوزي، وبطانة حمراء يتم حشوها بالصوف أو القطن[٩٢].

وكانت المخطية المنازل تفرش بالبسط التي تنسج من الصوف، والتي يتم جلبها من أرمينيا ويطلق عليها اسم البسط الرومية، ذات الصوف الجيد، والقرمزية اللون، كما يتم جلب أنواع منها من التشوبك بالأردن والتي تسمى التشوبكية، ومنها ما هو كبير ومنها ما هو صغير. كما أن تلك البيوت افتنت أنواعًا من المساجيد الصوفية ذات اللون الأبيض والأخضر والعسلي، والمزينة برسومات بيضاء ومبطنة ببطانة مطرزة بأبيض، ولها شراشيب زرقاء، وأغلب السجاد الذي جاء ذكره في الوثائق تم صنعه في اليمن وحوران[٩٣].

أما المقاعد التي جاء ذكرها في الوثائق؛ فقد كانت من القطن أو الجوخ وهي زرقاء اللون، فقد ذكرت الوثيقة رقم ١٠٠ أحد المقاعد بأنه قطني صغير رومي، وآخر من الجوخ الأزرق، وقد تضاف إليه قطعة من جلد أو يبطن ببطانة زرقاء، كما أن المقعد الذي جاء ذكره في الوثيقة ١٢٦ كان أزرقًا، وبوسطه نطع

(قطعة جلد) عتيق، كما أن المقعد الذي ذكرته الوثيقة رقم ٥١٢ كان أبيض اللون ومن القطن، ولكنه ببطانة زرقاء[٩٤].

ويأتي بعد السجاد، تفرش عام، الحصر والطراريح أو الطراحات التي كانت تفرش على الأرض، ومعظم الطراريح، التي جاء ذكرها في الوثائق، تختلف ألوانها بين الأزرق والأبيض والأحمر، وقد تكون بوجه، كما سبق أن أشرنا، فقد عثرنا في الوثائق على طراحات بوجه قدسي وبطانة زرقاء، وغيرها ببطانة حمراء أو بيضاء[٩٥].

واستعملت المخدات أو الوسائد لراحة الناس عند الجلوس أو النوم، ويبدو أنها كانت مثل تلك المعروفة في زماننا، حيث تحشى وتوضع في كيس، ومن الطبيعي أن القماش المستعمل اختلف باختلاف مستويات الناس الاجتماعية. فقد كان قماشها من الحرير أو المشتهر أو القماش العادي وتحشى بالقطن أو بورق الموز أو الليف الأبيض، أما ألوانها فكانت زرقاء أو بيضاء بكيس أحمر أو زيتي حريري، ولحيانا تطرز بالحرير الأحمر أو الأبيض[٩٦].

كما استعملت الألحفة كدثار عند النوم، سواء كان للحاف بدون بطانة أو ببطانة، وقد عرف مجتمع بيت المقدس في ذلك العصر بوجه عام، وفي القرن الثامن الهجري، الرابع عشر للميلاد بوجه خاص، أنواعا مختلفة من الألحفة، منها بوجوه قمسية مربعة ببطانة زرقاء، أو بوجه جوخ أحمر وأخضر ببطانة بيضاء، وغالبا ما يوضع فوق اللحاف ملاءة لتقيه الأوساخ، وتجعله أقدر على منع البرد. هذا بالإضافة إلى أنواع الركينات، والتي غالبا ما يكون القصد منها تزيين المكان الخاص بالجلوس، أو وضعها في أركان الحجرة لتضفي جمالا على المنظر، وعادة ما تكون مطرزة بحرير أزرق أو أحمر بحاشية مزركشة، وقد كانت بعض الركينات، التي ورد ذكرها في الوثائق، بيضاء اللون مطرزة بحرير أزرق، وأخرى مطرزة بحرير أحمر[٩٧].

الأدوات المنزلية:

والوثائق تزودنا بأسماء وأنواع العديد من الأدوات المنزلية التي كانت مستعملة في ذلك العصر، وبعضها ما يزال مستعملا إلى اليوم، أو كانت مستعملة حتى الأمس القريب. فالوثيقة رقم ٩٣٥ وهي، بتاريخ ١٨ محرم سنة ٧٩٣هـ وهي وثيقة حصر موجودات رجل طريح الفرائش. يدعى الحاج حسن العجمي بالقدس بحارة المشارقة، والتي كانت تقع شمال باب حطة. جاء فيها ذكر الأدوات: دست نحاس وسلطاني، وفأس حديد بهراوة، وطشت من الفخار ضيق من الأسفل واسع من الأعلى مكسور، ومسرجة خشب، وإبريق، وقدرة فخار وقرطلين – أي سلتين من الخوص – ضمن أحدهما منجل صغير، وخمس ملاعق، ومكنسة صغيرة،

وقفة صغيرة ضمنها مكحلة، وسكينة، ومطحنة عتيقة قش، وطبق قش عتيق، ومنجل، وغربال، وخشبية برسم الدق، وسيخ حديد صغير، وعلبة ميزان ضمنها ميزانين صغار برسم الفضة خالي من الصنج، ومغرفة، وثلاث ملاعق، ومطرقة صغيرة، وأبريق زيت فارغ، وأواني من الفخار تسمى برنية، وزبدية مدهونة، وحقة نحاس صغيرة مكسورة، خابية ضمنها طحين لم يستنفع به، ومحلبة (إناء يحلب فيه)، وجرة عتيقة. أما الوثيقة رقم ٣٠١، المؤرخة في ١٤ محرم ٧٩٧هـ، وهي وثيقة حصر موجودات أيضا، من ضمن ما جاء بها : فردة صندوق من خشب، هاون نحاس كبير، ثلاث صواني، طاسة كبيرة، شربة نحاس، سطل صغير نحاس، حقة نحاس أصفر، مصفاة صغيرة، أما الوثيقة رقم ٢٠٠، وهي بتاريخ آخر ذي القعدة سنة ٧٩٥هـ، فقد كان من ضمن ما جاء بها : دست نحاس وسلطاني، وطاسه نحاس، ونحاس أصفر ثلاث طاسات صغار، زبدية نحاس صغيرة، حقة نحاس أصفر، مصفاة صغيرة، صينيتين نحاس صغار، مقلاة نحاس[٩٨].

واضح من خلال الأدوات المنزلية، التي تم ذكرها، أن الأواني المستخدمة في منازل القدس في ذلك العصر – ولعلها ظلت مستخدمة إلى وقت قريب وكما هو الحال في كثير من المدن العربية – كانت النحاس الأبيض أو الأحمر، إلى جانب بعض الآنية الفخارية، وبعض الآلات المصنوعة من الحديد، مثل السكاكين والملاعق والأسياخ، والتي ربما صنعت أيديها من الخشب. كما تم استخدام الخشب على نطاق ضيق في عمل "الخشبية التي برسم الدق"، جنبًا إلى جنب الأوعية المصنوعة من القش أو سعف النخيل، مثل القفاف والسلال وغيرها، وكلها أدوات كانت معروفة ومستخدمة إلى زمن قريب في القدس، وفي غيرها من المدن العربية الأخرى.

ولأن هذه المجموعة من الوثائق تخص البسطاء من الناس في حياتهم اليومية، فقد عكست لنا حقيقة هامة، وهي وعي هؤلاء الناس بالأحوال الاقتصادية، ولأن المعادن من ذهب وفضة ونحاس، كانت أسعارها في ارتفاع مستمر، فلم يكن أمام هؤلاء البسطاء إلا أن يقبلوا على شراء الأواني النحاسية لا بقصد استخدامها وحسب، بل لأنها كانت تمثل شكلا من أشكال تكديس الثروة حتى ولو كانت بمقدار ضئيل، والدليل على هذا: وجود الأواني النحاسية بشكل أو بآخر، في غالب وثائق حصر الموجودات، كما أن الوثيقة رقم ٦٢٢، المؤرخة في ٢٢ رمضان ٧٨٨هـ /١٧ أكتوبر ١٣٨٦م، تؤكد هذا الاتجاه بشكل لا يدع مجالا للشك. فقد جاء فيها أن: "الحاجة الجليلة المصونة شيرين بنت عبد الله، زوجة أحد رجال الصوفية، وقارئ القرآن الكريم في المسجد الأقصى، ويدعى الشيخ برهان إبراهيم بن الشيخ رزق الله بن شهاب الدين أحمد الناصري، اشترت أدوات متعددة من النحاس الأبيض في ذلك التاريخ، بمبلغ ٥٠٠ درهم. وهو مبلغ لا يستهان به بمقاييس تلك الفترة، بل هو يزيد عن ثمن منزل من المنازل التي تحدثنا عنها في الصفحات السابقة[٩٩].

الهوامش والتعليقات

(١) Donald little : "The significance of Haram Documents for the study of Medieval Islamic History in Der Islam , 57 , 1980 , pp. 189-21.

(٢) العسلي د. ز كامل جميل" : وثائق مقدسية تاريخية، جـ١، عمان، ١٩٨٣م، جـ٢، عمان، ١٩٨٥م، جـ٣، عمان، ١٩٨٩م.

(٣) صلاحية د.محمد عيسى" : حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية السادسة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

(٤) انظر: مجلة التربية، مجلة محكمة تصدر عن اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم، العدد ١٢٩، يونيو ١٩٩٩، من ١٧٨-٢١٥، العدد ١٤٠، مارس ٢٠٠٢، ص ١٩٠-٢٢٥ ، والعدد ١٤٦ سبتمبر ٢٠٠٣، ص ١٥٨.

(٥) Little : Acatalogue Of The Islamic Documents From Al – Haram Al- Sarif in Je-rusalem , Beirut 1989 p. 300.

(٦) راجع : اللويرى "شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب" نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة ١٩٢٣ - ١٩٧٦، جـ ٩، ص ١٢٢.

(٧) المصدر السابق : نفسه، جـ ٩، ص ١٢١، ١٢٤.

(٨) Little : Op. Cit. P. 302

(٩) العسلي : نفسه، ج ٣، ص ٧٣.

(١٠) المرجع السابق : نفسه، جـ ٢، ص ١١١.

(١١) Little : Op. Cit. P. 301

(١٢) العسلي : نفسه، جـ ٢، ص ١٩ - ١٢.

(١٣) Little : Op. Cit. P.303

(١٤) Little : Op. Cit. P.306

(١٥) عبد الكريم رافق: "دراسة عمرانية واجتماعية واقتصادية من خلال الوثائق الشرعية" المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام، عمان ١٩٨٣م. المجلد الثاني، ص ٩٦.

(١٦) انظر الوثيقة رقم ٣٨٢ في العسلي : نفسه، جـ١، ص ٣٥٢.

(١٧) انظر الوثيقة رقم ٣٨٩ في العسلي : نفسه، جـ٢، ص ١١٦.

(١٨) المرجع السابق: نفسه جـ٢ ص ١٤٢.

(١٩) المرجع السابق: نفسه، جـ٢، ص١٠٩.

(٢٠) Little : Op. Cit. P.154

(٢١) Ibid p. 154.

(٢٢) Ibid pp. 103-135.

(٢٣) S. D. Goitein : A Mediterranean Society, London 1978, vol . III , pp. 128-237.

(٢٤) صلاحية : نفسه، ص ١٠٤.

(٢٥) Little : Op. Cit. P. 167.

(٢٦) Ibid pp. 122 , 142 , 217 , 231 , 74.

(٢٧) Ibid pp. 92 , 107.

(٢٨) العسلي : نفسه، جـ٢، ص ٤٢.

(٢٩) المرجع السابق: نفسه.

(٣٠) Little : Op. Cit. P. 74-135.

(٣١) Ibid pp. 105-127.

(٣٢) Ibid pp. 136.

(٣٣) علي السيد علي (دكتور) القدس في العصر المملوكي، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ٢٧٤.

(٣٤) غوشة (محمد هاشم موسى) : حارة السعدية في القدس، رام الله، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص ٩٩.

(٣٥) Little : Op. Cit. P.89-106.

(٣٦) غوشة، نفسه، ص ١٤١.

(٣٧) المرجع السابق: نفسه، ص ١٤١-١٤٢.

(٣٨) المرجع السابق: نفسه، ص ١٤٢.

(٣٩) K.A.C Creswell ; short Account of Early Muslim Architecture , London , 1948 , p. 184.

(٤٠) غوشة، نفسه، ص ١٤٥-١٤٦.

(٤١) المرجع السابق: نفسه، ص ١٤٨.

(٤٢) السجل رقم ١٤٦ من سجلات المحكمة الشرعية، ص ١٧٣-١٧٤، المرجع السابق: نفسه، ص ١٤٩.

(٤٣) غوشة : نفسه، ص ١٥٢-١٥٥.

(٤٤) زياد المنى : القدس وحواها، عمان، ١٩٩٧، ص ٧٣.

(٤٥) غوشة : نفسه ص ٩٣-١٧١.

(٤٦) سجل شرعي رقم ٢٤٤.

(٤٧) غوشة : نفسه، ص ٩٣-١٨٠ - ١٨٣.

(٤٨) Amiry (M.A.) Jorusalem Arab Origin and heritage , London , 1948, p. 9.

(٤٩) العسلي (كامل جميل) : بيت المقدس في كتب الرحلات عند العرب والمسلمين، عمان، ١٩٩٢م، ص ٢٢٩-٢٣٠.

(٥٠) غوشة : نفسه، ص ١٣٨.

(٥١) العسلي : وثائق مقدسية، جـ١، ص ٢٨٠.

(٥٢) أحمد إبراهيم بك : المعاملات الشرعية المالية، القاهرة، ١٣٥٥هـ، ص ١٦ ؛ غوشة : نفسه، ص ١٨٧.

(٥٣) غوشة : نفسه، ص ٢٥٣-٢٥٤.

(٥٤) المرجع السابق: نفسه، ص ٢٥٥.

(٥٥) Little :pp. 96.

(٥٦) Ibid pp. 95-172.

(٥٧) Ibid pp. 96-183.

(٥٨) Ibid pp. 277-293.

(٥٩) العسلي : نفسه، جـ١، ص٢٢٥-٢٣١، Ibid pp.116-131

(٦٠) Ibid pp.319.

(٦١) Goitein : Op. Cit. pp. 150-153.

(٦٢) Ibid pp. 156-166.

(٦٣) Ibid pp. 341-342.

(٦٤) Ibid pp. 341.

(٦٥) Little :pp. 106-107.

(٦٦) Ibid pp. 156.
(٦٧) Ibid pp. 166-168.
(٦٨) Ibid pp. 343-344.
(٦٩) Ibid pp. 227-228.
(٧٠) Ibid pp. 227-229.

(٧١) العسلي :نفسه، جـ٢، ص ٨٣-٨٥.
(٧٢) Goitein : Op. Cit. p.240 .

(٧٣) Ibid pp. 242.
(٧٤) Ibid pp. 242.
(٧٥) Ibid pp. 201.

(٧٦) العسلي : نفسه، جـ١، ص٢١٠.
(٧٧) المرجع السابق نفسه، جـ١، ص٢١٢، ٢١٤.
(٧٨) المرجع السابق: نفسه، جـ١، ص٢١٥، ٢١٦؛ Goitein : Op. Cit.p.191.
(٧٩) العسلي : نفسه، جـ١، ص٢٥٤-٢٥٧.
(٨٠) العسلي : نفسه، جـ١، ص ١٩.
(٨١) المرجع نفسه، جـ٢، ص١١١.
(٨٢) نفسه، جـ٢، ص١١٥.
(٨٣) نفسه، جـ١، ص٢١٧.
(٨٤) المرجع نفسه، جـ١، ص٢٢١.
(٨٥) المرجع نفسه، جـ٢، ص ١٤٢.
(٨٦) السبكي "تاج الدين عبد الوهاب ت ٧٧١هـ" : معيد النعم ومبيد النقم، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٦٢.
(٨٧) العسلي : نفسه، جـ٣، ص ١٣٠-١٣٢.
(٨٨) المرجع نفسه، جـ١، ص١٩٩ - ٢٠٠.
(٨٩) عطا الله "محمود علي": وثائق الطوائف الحرفية، في القدس في القرن السابع عشر الميلادي، جامع النجاح الوطنية، مركز التوثيق والمخطوطات والنشر، ١٩٩١م، ص١٩-٢٩٩.
(٩٠) العسلي : نفسه، جـ١، ص٢٦١ - ٢٦٨ ؛ صالحية : نفسه، ص ١٩-٣٣.
(٩١) صالحية : نفسه، ص ٣٣.
(٩٢) العسلي : نفسه، جـ٢، ص٣٣.
(٩٣) صالحية : نفسه، ص ٣٣-٣٤.
(٩٤) المرجع السابق: نفسه، ص٣٣-٣٤.
(٩٥) نفسه : ص ٣٤.
(٩٦) نفسه، ص٣٤.
(٩٧) نفسه، ص٣٥.
(٩٨) مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، طبع بيروت بالأوفست، جـ٢، ص٥٤.
(٩٩) العسلي : نفسه، جـ٢، ص٣٣-٣٤ -٣٧- ٣٨- ٧٨. Little: op. Cit. p. 293.

أسرة القلقشندي
والتواصل العلمي بين مصر وبيت المقدس

د. آمال حامد زيان خاتم (*)

مقدمـــــة :

منذ أن استعاد صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس من يد الصليبيين، عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م، والاهتمام يزداد يومًا بعد يوم لما تحتويه من المقدسات، وقد أظهر صلاح الدين الأيوبي اهتمامًا كبيرًا بالمسجد الأقصى وقبة الصخرة وسائر المقدسات، حيث أعادها على حالهما الأول قبل استيلاء الصليبيين عليهم[١]. ويروي لنا العماد الأصفهاني- شاهد عيان تلك الفترة، أن صلاح الدين رتب في قبة الصخرة إمامًا من أحسن القراءة تلاوة ... وحمل إليها وإلى محراب المسجد الأقصى، مصاحف وختمات[٢]. كما أحضر من دمشق المنبر الذي صنعه نورالدين محمود، ليوضعه في المسجد الأقصى[٣].

أما أهم ما قام به صلاح الدين من عمل في المجال العلمي ببيت المقدس، فهو إنشاؤه مدرسة، حيث تحدث مع جلسائه من العلماء الأبرار، والأتقياء الأخيار، في إنشاء مدرسة للفقهاء الشافعية، ورباط للصلحاء الصوفية "، فتم اختيار مكان كنيسة قديمة، كانت معروفة باسم " صند حنه "، عند باب أسباط، حيث تم إنشاء المدرسة التي عرفت باسم المدرسة الصلاحية[٤].

أوقف صلاح الدين هذه المدرسة لتدريس المذهب الشافعي وأوقف عليها الأوقاف الكثيرة[٥]، وفوض أمر التدريس فيها إلى القاضي والمؤرخ بهاء الدين بن شداد[٦]. كما فوض إليه أيضًا أمر القضاء بالقدس الشريف والإشراف على الأوقاف[٧]. ثم تتابع بعد ذلك اهتمام ملوك بني أيوب بالحركة العلمية بالقدس الشريف[٨].

أما في عصر سلاطين المماليك فقد كان الاهتمام كبيرًا بالقدس الشريف، وقد تجلى هذا الاهتمام في مختلف النواحي، فمن الناحية الإدارية، كانت إدارة بيت المقدس أولا تتبع نائب السلطنة بدمشق[٩]، أو تابعة لنيابة غزة[١٠]، لكن لأهمية بيت المقدس

(*) مدرس بكلية الآداب جامعة القاهرة.

جعلها سلاطين المماليك نيابة مستقلة بذاتها، اعتبارًا من عام ٧٧٧هـ/١٣٧٥م، وذلك بعد أن أحس سلاطين المماليك زيادة تحركات الغرب الأوربي تجاه بيت المقدس. وما اتضح من نواياهم نحو الاستيلاء عليه[١١] وإعداد المشاريع الخاصة بذلك، لذلك سارع السلطان الأشرف شعبان (٧٦٤-٧٧٨هـ/١٣٦٣-١٣٧٧م) بأن جعل إدارة بيت المقدس في يد نائب يستقل بحكمها[١٢]، حتى يضمن قبلة بالذود عن بيت المقدس إذا تعرض لمكروه[١٣].

ومن الناحية العلمية، اهتم المماليك، سلاطين وأمراء، بإنشاء المدارس ببيت المقدس، ورعايتها والانفاق عليها، وزيادة الأوقاف بها، كما شجعوا العلماء على الإقامة ببيت المقدس[١٤].

وهنا لابد من الإشارة إلى أن الجهود التي بذلها سلاطين المماليك في تأمين بيت المقدس من العدوان الصليبي، ساعدت على انتعاش الحركة العلمية به[١٥].

وكان للمكانة الدينية لبيت المقدس أثر كبير في جذب العلماء والوفود إليه والإقامة به[١٦]. وقد أدى هذا إلى انتعاش الحركة العلمية به انتعاشًا كبيرًا، وشجع ذلك مجموعة كبيرة من كبار العلماء على الإقامة به، مما ساعد على أن يصبح بيت المقدس قبلة لكثير من العلماء، والدارسين، وطلبي العلم[١٧].

وقد أحصى مؤرخ القدس الشريف مجير الدين الحنبلي، والذي عاصر أواخر العصر المملوكي (توفي عام ٩٢٨هـ/١٥٢٢م) عدد المدارس، ودور الحديث، والزوايا، وأماكن تحفيظ القرآن ببيت المقدس، فبلغت نحو خمس وسبعين مدرسة[١٨]. كذلك أحصى الحنبلي عدد العلماء المشهورين الذين قاموا بالتدريس بمدارس بيت المقدس فبلغ أكثر من أربعمائة عالم[١٩]، ما بين مقدسي الأصل أو وفد على بيت المقدس، من مختلف بلدان العالم الإسلامي، مما يدل على مكانة بيت المقدس في نفوس الجميع، والتي جعلتهم يحرصون على الحضور إلى بيت المقدس لشرف الزيارة والإقامة به، والمشاركة في نهضته العلمية[٢٠].

وعلى الجانب الآخر كانت مصر في تلك الفترة، تعيش في ازدهار علمي كبير، حيث كانت مركزًا للحكم والسلطان، ومقرًا للخلافة العباسية[٢١]. وقد صدق قول السيوطي حينما ذكر : " إعلم أن مصر من حين صارت دار الخلافة عظم أمرها، وكثرت شعائر الإسلام فيها، وعلت فيها السنة، وعفت منها البدعة، وصارت محل سكن العلماء، ومحط رجال الفضلاء "[٢٢]. ويقرر القلقشندي هذه الحقيقة بقوله : " وحظيت من فضلاء الكتاب بما لم تحظ مملكة من الممالك، ولا قطر من الأقطار "[٢٣].

هكذا صارت مصر مركزًا علميًا نشطًا، حيث امتلأت بالعلماء الأفذاذ، مما جعلها محطًا للأنظار، وقبلة للعلماء، فقصدها الكثير من طلاب العلم، حيث وفدوا عليها للتلمذ على يد علمائها الكبار، وكان من بين من وفد عليها الكثير من أبناء بيت المقدس، ومن بينهم على سبيل المثال : الشيخ العلامة صلاح الدين أبو سعيد العلائي، شيخ المدرسة الصلاحية ببيت المقدس، الذي وفد إلى القاهرة عام ٨٤٠هـ/١٤٣٦م ومعه ابنه أبو الخير أحمد، وذلك حتى يتلمذ ابنه على يد علماء مصر[٢٤].

كما أن الشيخ برهان الدين أبو إسحق إبراهيم العجلوني الشافعي[٢٥]، الذي كان من أهل العلم ببيت المقدس، رحل إلى الديار المصرية، حيث تلقى العلم بها قبل عام ٨٨٠هـ/١٤٧٥م، ثم استوطن مدينة دمياط مدة من الزمن، عاد بعدها إلى بيت المقدس، ثم عاوده الحنين مرة أخرى للحضور إلى القاهرة، حيث استمر بها إلى حين وفاته عام ٨٨٧هـ/١٤٨٢م[٢٦].

كذلك آثر المؤرخ المقدسي مجير الدين الحنبلي أن يشد رحاله إلى مصر، فبعد أن تتلمذ على يد علماء المدرسة الصلاحية بالقدس الشريف، حضر إلى مصر حيث ظل بها عشر سنوات، من عام ٨٨٠هـ/١٤٧٥م إلى عام ٨٨٩هـ/١٤٨٤م، ينهل من علمها، وبعد ذلك عاد إلى بيت المقدس حيث تولى قضاء القدس، وقام بالتدريس بمدارس بيت المقدس.

أما الشيخ سراج الدين أبو حفص عمر بن محمد بن علي الجعبري الأصل، الخليلي الشافعي المولود عام ٨٠٦هـ/١٤٠٣م بالخليل، الذي تلقى تعليمه الأول بها، وببيت المقدس، فقد فضل بعد ذلك السفر إلى القاهرة حيث درس على يد علمائها، وخاصة ابن حجر العسقلاني[٢٧].

ومن علماء بيت المقدس المشهورين الذين وفدوا على الديار المصرية : شيخ الإسلام برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن ناصر الدين محمد بن أبي بكر بن علي بن أبي شريف المقدسي الشافعي، المولود عام ٨٣٦هـ/١٤٣٢م ببيت المقدس الشريف، حيث نشأ وتعلم به، ثم سافر إلى القاهرة وتتلمذ على يد شيوخها، وتزوج من ابنة القاضي شرف الدين يحيى المناوي قاضي الديار المصرية، وأثناء إقامته بالقاهرة قام بالتدريس في مدارسها، كما قام بالإفتاء، وكان يتردد على بيت المقدس ويقوم بالتدريس في المدرسة الصلاحية، كل ذلك يؤكد على التواصل العلمي بين مصر وبيت المقدس عصر سلاطين المماليك[٢٨].

في المقابل أخذ يفد على بيت المقدس علماء من كل أنحاء العالم الإسلامي، ومن مصر خاصة، من ذلك قيام العالم عبدالرحيم بن علي بن شيش، وهو أحد العلماء المصريين، الذي استوطن القدس الشريف أيام الدولة الأيوبية، وشارك مشاركة فعالة في الحركة العلمية ببيت المقدس[٢٩]. كذلك كان حال الوزير جمال الدين أبو الحسن

علي بن يوسف القفطي، الذي ذهب إلى بيت المقدس، بعد أن نال قسطًا من العلم في مدارس مصر، وفي بيت المقدس قضى عدة سنوات من الدراسة، حيث تولى والده النظر في بيت المقدس من قبل السلطان المعزيز عثمان بن صلاح الدين عام ٥٩١هـ/١١٩٥م، واستمر بها إلى عام ٦٠٨هـ/١٢١١م، حيث توجه إلى حلب وعمل في خدمة صاحبها الملك الظاهر غازي بن يوسف بن أيوب[٣٠].

أما عن ذلك التواصل العلمي بين بيت المقدس ومصر في عصر سلاطين المماليك، فقد وفد على بيت المقدس أعداد كبيرة من العلماء المصريين، وكونوا أسرات علمية به[٣١]. وخير مثال لذلك أسرة القلقشندي – الفرقشندي – تلك الأسرة التي عاشت في بيت المقدس ما يقرب من مئتي عام من العطاء العلمي، حيث تخرج على أيديهم العشرات من أبناء بيت المقدس.

مؤسس هذه الأسرة هو : تقي الدين أبو الفدا إسماعيل بن علي بن الحسين بن سعيد بن صالح القلقشندي – الفرقشندي – المصري الشافعي، ولد هذا الرجل عام ٧٠٢هـ/١٣٠٢م بقرية قلقشندة[٣٢]، وإليها انتسب، ونال تعليمه بالديار المصرية، وظهرت عليه علامات النبوغ والتفوق. وبعد أن بلغ الثلاثين من عمره، قرر الاستزادة من العلم، فرحل إلى دمشق، حيث قرأ على الشيخ فخر الدين المصري الذي أجازه بالفتيا، ومن دمشق توجه إلى بيت المقدس، حيث كان أشهر فقهاء المدرسة الصلاحية بها في ذلك الوقت : الفقيه الشيخ صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي بن عبدالله العلائي الدمشقي ثم المقدسي[٣٣].

أما الشيخ العلائي، فكانت شهرته العلمية واسعة فقد تتلمذ على يد مجموعة كبيرة من العلماء بلغت سبعمئة عالم، حيث درس بدمشق ومكة ومصر وبيت المقدس[٣٤]، وأخذ عن مشايخ الدنيا. وكما تذكر كتب التراجم أنه فاق أهل عصره علمًا، وتولى التدريس بدمشق، ثم انتقل إلى بيت المقدس حيث تولى التدريس بها عام ٧٣١هـ/١٣٣١م، كما أضيف إليه أيضًا تدريس الحديث النبوي بالمدرسة التنكزية بالقدس الشريف، كما تولى مشيخة دار الحديث السيفية بالقدس الشريف[٣٥].

أدرك الشيخ العلائي ما يميز تقي الدين إسماعيل القلقشندي من نبوغ ونكاء، فشمله برعايته، وجعله معيدًا معه بالمدرسة الصلاحية، وقد كان تقي الدين عند حسن ظن شيخه، فقد أخذ يزداد نبوغه العلمي، وشارك شيخه في التدريس بالمدرسة الصلاحية. كما عمل بالإفتاء، وكثر تلاميذه[٣٦]. ويشير ابن حجر العسقلاني إلى أنه فاق أستاذه العلائي، لدرجة أن العلائي نفسه كان يرجع إليه في بعض الأمور الفقهية[٣٧].

أعجب الشيخ العلائي بتقي الدين إسماعيل القلقشندي، إعجابًا شديدًا، ولذلك زوجه من ابنته أسماء، وقد نشأت هذه الابنة وتربت في بيت علم، حيث أحبت العلم

حبًا جمًا، وسمعت من أبيها، وغيره من علماء بيت المقدس، حتى نالت قدرًا كبيرًا من العلم أهلها لأن تجاز بالفتوى[٣٨].

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ما وصلت إليه المرأة ببيت المقدس من علم، جعلها لا تظل حبيسة دارها، وإنما نهلت من العلم، وتولت تدريس الحديث والإفتاء.

استمر الشيخ تقي الدين إسماعيل يمارس عمله في التدريس والإفتاء ببيت المقدس بهمة ونشاط، حيث التف حوله مجموعة كبيرة من طلاب العلم. وقد أشار الحافظ والمؤرخ ابن حجر إلى عبارة يجب التوقف عندها عندما قال : " وتصدّر نشر العلم، فدرّس وأفتى وشغل "[٣٩]. وقد رد المؤرخ مجير الدين الحنبلي مثل هذه العبارة حيث قال : " أقام بالقدس مثابرًا على نشر العلم "[٤٠]، وهذه العبارة تعني الشيء الكثير، حيث أخذ هذا الرجل على عاتقه مهمة نشر العلم بالقدس الشريف.

وهذا يؤكد دور العلماء المصريين في القيام بنشر العلم في القدس وفي غيره من بلدان العالم الإسلامي، كذلك يشير ابن العماد الحنبلي إلى دور العلمي ببيت المقدس بقوله : " واشتهر أمره، وبعد صيته بتلك البلاد، ورُحل إليه، وكثرت تلامذته "[٤١].

نتيجة تلك الجهود العلمية التي بذلها الشيخ تقي الدين إسماعيل، أراد صهره الشيخ العلائي أن يتنازل له عن مشيخة المدرسة الصلاحية، بعد أن تقدم به السن وأحس بدنو أجله، على الرغم من أنه كان قد سبق أن فوض للشيخ برهان الدين أبو إسحق بن جماعة مشيخة المدرسة الصلاحية[٤٢]. غير أنه ما إن توفي العلائي عام ٧٦١هـ/١٣٦٠م إلا وعهد ناظر الحرمين الشريفين ونائب السلطنة بالقدس الشريف[٤٣]، بمشيخة المدرسة الصلاحية إلى الشيخ برهان الدين، صارفًا النظر عما عهد به الشيخ العلائي أخيرًا لصهره تقي الدين إسماعيل القلقشندي[٤٤].

إلا أن هذه الأحداث لم تؤثر في الدور العلمي الذي قام به الشيخ تقي الدين إسماعيل، فاستمر يؤدي عمله العلمي، حيث ذاع صيته في مختلف بلدان العالم الإسلامي، ووفد عليه طلاب العلم من كل الأنحاء، واستمر في أداء عمله في التدريس، والإفتاء والخطابة بالقدس الشريف، حيث برع في كل هذه العلوم[٤٥]. وتتلمذ على يديه مجموعة كبيرة من العلماء[٤٦]، من أشهرهم : المؤرخ العماد الحنبلي، وعلاء الدين حجي وغيرهما[٤٧]، إلى أن وافاه الأجل في يوم الثلاثاء ٦ جمادي الآخرة عام ٧٧٨هـ/٢٢ أكتوبر ١٣٧٦م، حيث دفن بمدافن بيت المقدس، بالقندرية بعامله[٤٨]، بعد أن أدى دورًا كبيرًا وهامًا في التواصل العلمي بين مصر وبيت المقدس عصر سلاطين المماليك.

أنجب الشيخ إسماعيل القلقشندي ولدين الأول هو: شمس الدين أبو عبدالله محمد، الذي ولد عام ٧٤٦هـ/١٣٤٥م بالقدس الشريف، والثاني هو: برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم المولود عام ٧٤٨هـ/١٣٤٧م بالقدس الشريف أيضًا[١٩].

أما الابن الأول وهو شمس الدين أبو عبدالله محمد، فقد درس على يد والده ووالدته السيد أسماء وجده الشيخ العلائي، الذي كان يحبه كثيرًا ويثني عليه وعلى سرعة بديهته وفهمه، ويدعو له[٢٠]. كما درس على يد مجموعة كبيرة من علماء بيت المقدس أمثال : الشيخ إسماعيل الشريحي الحنفي، والضياء بن سعد القزويني[٢١]، كذلك تتلمذ على يد خاله أبي الخير أحمد بن الصلاح العلائي[٢٢].

ولم يكتف شمس الدين أبو عبدالله محمد بتلقي العلم ببيت المقدس، وإنما توجه إلى القاهرة حيث تتلمذ بها على يد العالم بهاء الدين السبكي وغيره من علماء مصر في تلك الفترة، مما يؤكد على ذلك التواصل العلمي بين بيت المقدس ومصر[٢٣].

كذلك توجه إلى بلاد الشام وهناك التقى بالشيخ التاج السبكي، وهو أخو بهاء الدين السبكي، الذي لازمه وصادقه، وكان ينام معه في فراشه وعلى وسادة واحدة[٢٤].

عاد الشيخ شمس الدين أبو عبدالله محمد القلقشندي إلى بيت المقدس بعد أن تزود بكل نفائس العلم، وأجاز له أشهر علماء عصره ببيت المقدس ومصر والشام، عاد ليشارك في مسيرة الحركة العلمية ببيت المقدس، في التدريس والإفتاء، وقد بلغت شهرته العلمية مبلغًا كبيرًا، فقصده طلاب العلم من كل البلاد، يتلقون على يديه العلم، ومنهم طلاب مصر، مما يؤكد على ذلك التواصل العلمي بين بيت المقدس ومصر في تلك الفترة. ومن بين من قصده من مصر: المؤرخ والمحدث شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني الأصل المصري المولد والنشأة[٢٥]، حيث تتلمذ على يديه[٢٦]. وقد اعترف ابن حجر بمشيخة الشيخ شمس الدين أبو عبدالله محمد له، وكان يفتخر بأنه شيخه، فيقول في ترجمة والده الشيخ إسماعيل القلقشندي: " وأنجب ولده شيخنا شمس الدين محمد، فسلك مسلكه إلى أن مات "[٢٧]. ومدحه مدحًا كثيرًا في كتابه الفريد " إنباء الغمر بأبناء العمر " بقوله : " ومهر وبهر وساد، حتى صار شيخ بيت المقدس في الفقه، وعليه مدار الفتوى "[٢٨].

ومن بين العلماء المصريين الذين وفدوا على بيت المقدس للتعلم على يد شمس الدين القلقشندي : الشيخ شمس الدين النحريري[٢٩]، الذي توجه إلى القدس عام ٧٨٣هـ/١٣٨١م حيث أقام به شهرًا ونصفًا، حيث تتلمذ على يد الشيخ شمس الدين القلقشندي وأخيه برهان الدين، مما يدل على استمرار ذلك التواصل العلمي بين بيت المقدس ومصر[٣٠].

وقد مدحه السخاوي كثيرًا، وقال عنه : إنه انتفع به العديد من الدارسين وذلك لبراعته في إيصال العلم لهم، وكان " إمامًا في المذهب مطلعًا على النصوص، عارفًا بدقائقه "، بالإضافة إلى ذلك كان دينًا خيرًا. يقول عنه السخاوي أيضًا: كان "مع التهجد، والصيام، والتلاوة، والقيام، مع الأيتام والأرامل وأرباب البيوت والشفاعة المقبولة، وتأييد أهل السنة وقمع المبتدعين، ومحبة الفقراء والصالحين وزيارتهم "[٣١].

وهكذا، كما يؤكد علماء هذه الفترة، وصل الشيخ شمس الدين أبو عبدالله محمد القلقشندي، المصري الأصل، إلى درجة متقدمة في العلم، حيث أصبح شيخ بيت المقدس في الفقه، وعليه مدار الفتوى، على حد قول ابن حجر العسقلاني[٣٢]. مما يؤكد على دور العلماء المصريين ببيت المقدس، وكيف أصبح أبناء أسرة القلقشندي هم قادة الحركة الفكرية ببيت المقدس، مما يؤكد على ذلك التواصل العلمي بين مصر وبين بيت المقدس.

أما أخوه الشيخ برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم، فقد ولد عام ٧٤٨هـ/١٣٤٧م ببيت المقدس، حيث نشأ بها وتلقى العلم على يد والده، وجده الشيخ العلائي، وعلى يد أمه السيدة أسماء. كذلك تلقى العلم على يد جماعة من علماء بيت المقدس، كما توجه إلى دمشق حيث درس على يد الشيخ التاج السبكي، وأجيز في الإفتاء والتدريس[٣٣].

تولى الشيخ برهان الدين الإفتاء بالقدس الشريف، والتدريس في بعض مدارسه، والتف حوله مجموعة كبيرة من طلاب العلم، وقال عنه مجير الدين الحنبلي إنه : " كان من عجائب الدهر حفظًا وذكاءً واستحضارًا للعلوم "[٣٤]. واستمر الشيخ برهان الدين إبراهيم يقوم بمهامه العلمية، بالقدس الشريف ببيت المقدس حتى توفي بها عام ٧٩٠هـ/١٣٨٨م[٣٥].

ومن الجدير بالذكر أنه لطول بقاء أسرة القلقشندي ببيت المقدس، أصبح يطلق عليهم المقادسة، فعلى سبيل المثال : يقول ابن حجر عن الشيخ برهان الدين إبراهيم بن إسماعيل بن علي القلقشندي المقدسي[٣٦]، وذلك لأنه مصري الأصل لكنه مقدسي المولد والنشأة والإقامة والوفاة، مما يدل على مدى ذلك الارتباط الكبير بين هؤلاء العلماء وبيت المقدس، فقد رفضوا مغادرتها، وفضلوا الإقامة بها عن الارتحال إلى غيرها من البلاد، حتى لو كانت مصر التي يعود إليها أصلهم.

أنجب الشيخ شمس الدين محمد بن إسماعيل القلقشندي ثلاثة أولاد، اشتهروا جميعًا بالعلم والصلاح، وكان أكبرهم : الشيخ عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل القلقشندي، المولود بالقدس الشريف عام ٧٦٩هـ/١٣٦٧م، نشأ وتربى ببيت المقدس، ودرس به على يد أبيه وجده الشيخ إسماعيل القلقشندي، كذلك سمع من

غيرهما من علماء بيت المقدس المشهورين، وتولى الخطابة بالمسجد الأقصى، كما تولى الإفتاء بالقدس الشريف، وقصدت إليه طلاب العلم من مختلف البلاد، وخاصة من مصر، مما يشير إلى ذلك التواصل العلمي بين البلدين، واستمر يؤدي دوره العلمي حتى وفاته ببيت المقدس في آخر عام ٨٢٠هـ/١٤١٨م[٦٧].

أما أخوه الشيخ زين الدين عبد الرحمن ابن الشيخ شمس الدين أبو عبدالله محمد فقد ولد ببيت المقدس عام ٧٨٢هـ/١٣٨٠م حيث تلقى تعليمه عن والده وغيره من علماء بيت المقدس، ورحل إلى دمشق لطلب العلم، كما حضر إلى القاهرة وتتلمذ على يد علمائها[٦٨].

وقد عاصره ابن حجر العسقلاني، وتزاملا أثناء رحلتهما ببلاد الشام، فيقول ابن حجر : " سمع معي في الرحلة إلى دمشق كثيرًا بها، وبنابلس والقدس وغيرهما"، وقد مدحه مدحًا كثيرًا حيث قال " كان حسن العقل والخط حاذقًا "[٦٩].

تمتع الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن محمد القلقشندي بشهرة علمية كبيرة، فهو من أسرة علمية، نبغ معظم أفرادها في علوم الحديث والفقه، وقد أفاض السخاوي في مدحه، وفي كونه سليل أسرة علمية هي أسرة القلقشندي، وأنه سبط الشيخ العلائي ذي الشهرة العلمية الكبيرة، وكيف أنه استفاد استفادة كبيرة من علم أسرته، حيث تتلمذ على يد والده، وخاله الشهاب بن العلائي ذي الشهرة العلمية الكبيرة ببيت المقدس[٧٠].

ازدانت الشهرة العلمية للشيخ زين الدين زيادة كبيرة، لدرجة أنه درّس وأفتى وحدّث بالمسجد الأقصى، وغيره من مدارس بيت المقدس، وقد أشار إلى ذلك السخاوي عندما قال : إنه أفتى وحدّث، وخطب بالأقصى، ودرّس بالعديد من مدارس بيت المقدس، كما أنه عمل معيدًا بالمدرسة الصلاحية، كذلك تولى الإفتاء ببيت المقدس[٧١].

وهكذا صار أحد أبناء أسرة القلقشندي، له الباع الأكبر في الحركة العلمية ببيت المقدس في النصف الأول من القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، مما يدل على ما وصل إليه ذلك التواصل العلمي بين مصر وبيت المقدس.

ومن الجدير بالذكر أنه لم تنقطع الصلة العلمية بين الشيخ زين الدين والديار المصرية، فيؤكد مجير الدين الحنبلي أنه سافر إلى القاهرة غير مرة[٧٢]، وهذا يدل على التواصل العلمي بين بيت المقدس والديار المصرية.

وقد دفع حب الدراسة بمصر والتعلم بها، أن اصطحب الشيخ زين الدين ابنه عبدالكريم، عام ٨٢٦هـ/١٤٢٣م، لكي يسمعه من كبار علماء مصر، وبالفعل أقام بها عدة أشهر، تقابل خلالها مع بعض العلماء المشهورين أمثال : الشيخ الميدومي

وغيره، ثم عاد بعد ذلك إلى بيت المقدس، غير أن الأجل وافاه عقب عودته من الديار المصرية مباشرة، فمات في أول ذي القعدة من نفس العام ٨٢٦هـ/ أكتوبر ١٤٢٣م[٧٣]، وقد تأسف على وفاته زميله في الدراسة الحافظ ابن حجر العسقلاني أسفًا شديدًا[٧٤].

أما الابن الثالث للشيخ شمس الدين محمد فهو: للشيخ تقي الدين أبو بكر عبدالله المعروف بالتقي القلقشندي، ولد بالقدس الشريف عام ٧٨٣هـ/١٣٨١م، نشأ ودرس بها على يد والده وغيره من علماء بيت المقدس، كما درس على يد خاله أبي الخير ابن العلائي[٧٥]، ولم يكتف بذلك، وإنما توجه إلى دمشق حيث درس على يد علمائها، ومنها ذهب إلى القاهرة حيث تقابل مع عدد كبير ممن كانت تزخر بهم مصر في تلك الفترة، كما توجه إلى مكة المكرمة حيث درس على يد بعض علمائها الأخيار[٧٦].

ومما يدل على مدى التواصل العلمي بين بيت المقدس ومصر في تلك الفترة: كثرة تردد الشيخ التقي القلقشندي على القاهرة، وما بلغه من قدر في نظر علمائها، فيقول السخاوي : " دخل القاهرة غير مرة، وعظّمه الأكابر "[٧٧].

ومما يؤكد أيضًا على ذلك التواصل العلمي بين التقي القلقشندي، الذي أصبح أحد العلماء المشهورين ببيت المقدس، وبين علماء مصر، تلك الصداقة التي جمعته مع معاصره الحافظ ابن حجر العسقلاني المصري، الذي يقول عنه تلميذه السخاوي إنه: " من قدماء أصحابه وممن ترافق معه في السماع بدمشق "[٧٨].

بلغ التقي القلقشندي، المصري الأصل، درجة من العلم أهلته لأن يشغل وظائف علمية كثيرة في بيت المقدس، فيقول عنه مجير الدين الحنبلي إنه " أفتى، ودرس، وناظر، وحدّث، وسمع عليه الرحالون، وساد ببيت المقدس "[٧٩]. وقد زاره في بيت المقدس المؤرخ السخاوي فأكرمه إكرامًا زائدًا، والأهم من ذلك أنه غمره السخاوي بعطف علمي كبير. وقد اعترف السخاوي بذلك بقوله : " ولما لقيته ببيت المقدس بالغ في الاحتفال بشأني، وأفادني السماع على جماعة، وكثر الانتفاع بما عنده من الكتب والأجزاء، وقرأت عليه جملة "[٨٠].

هكذا كان التواصل العلمي بين مصر وبيت المقدس، حيث وفد على بيت المقدس أحد أبناء مصر وهو : شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي في فترة تلقيه العلم، حيث تقابل مع الشيخ تقي القلقشندي، فاحتضنه وقدم له كل غال ورخيص، ووفر له جماعة من العلماء يقومون على تثقيفه وتعليمه، ولم يتأخر التقي القلقشندي عن مد يد المساعدة للسخاوي بعد انتهاء فترة تلقيه العلم ببيت المقدس، فعندما عزم السخاوي على تكملة رحلته العلمية إلى بلاد الشام، أرسل تقي الدين القلقشندي معه من يرافقه إلى نابلس، حيث كان الطريق إليها محاطًا بالمخاطر، على حد قول السخاوي نفسه، كذلك أرسل معه بعض الرسائل إلى أصدقائه العلماء الموجودين بمدينة صفد التي قصدها السخاوي حتى يزداد الاهتمام به[٨١].

لم تنقطع الصلة العلمية بين التقي القلقشندي وبين المؤرخ المشهور السخاوي بعد عودة الأخير إلى مصر واستقراره بها، فيشير السخاوي إلى أنه " استمرت رسائله – أي رسائل التقي القلقشندي – ترد عليّ بالثناء البالغ، ومزيد من الاشتياق مع الفضل أيضًا "[٨٢]. وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على ذلك التواصل العلمي بين بيت المقدس وبين مصر زمن المماليك، خاصة وأن التقي القلقشندي كانت له مكانة كبيرة عند أكابر بيت المقدس[٨٣]. مما ساعد على زيادة الروابط بين البلدين.

استمر الشيخ التقي القلقشندي يؤدي دوره ببيت المقدس، ويواصل عطاءه العلمي، ويعمل على زيادة الروابط العلمية بين بيت المقدس ومصر حتى وافاه الأجل في جمادي الآخرة عام ٨٦٧هـ/ مارس ١٤٦٣م، ببيت المقدس حيث دفن بمدافن الأسرة بعاملا[٨٤].

ويمثل الشيخ زين الدين عبدالكريم بن عبدالرحمن بن الشيخ شمس الدين أبوعبدالله محمد، المشهور بكريم الدين القلقشندي، مرحلة هامة من مراحل التواصل العلمي بين بيت المقدس ومصر، حيث كانت نشأته الأولى ببيت المقدس[٨٥]. وتلقى تعليمه الأول به، ثم توجه بعد ذلك مع والده الشيخ عبدالرحمن إلى القاهرة، عام ٨٢٦هـ/١٤٢٣م، وكان عمره آنذاك ثمان عشرة عامًا، حيث تتلمذ على يد جماعة من علماء مصر، ثم عاد إلى بيت المقدس ليكمل تعليمه بعد وفاة والده في نفس العام (٨٢٩هـ)[٨٦]. وقد بلغ الشيخ كريم الدين مبلغًا كبيرًا في حقل العلم لدرجة أن الحنبلي يقول عنه : " وله اليد الطولى في علم الحديث "[٨٧].

ارتبط الشيخ كريم الدين القلقشندي برباط علمي وثيق مع الحافظ ابن حجر العسقلاني المصري، وصارت بينهما مكاتبات علمية، يقول السخاوي: إن شيخه ابن حجر أرسل إلى كريم الدين القلقشندي بعدة أسئلة علمية التمس منه الجواب عنها، كذلك أخذ كريم الدين في مراسلة السخاوي: مثله في ذلك مثل عمه التقي، ويذكر السخاوي أيضًا أن كريم الدين " كتب إليّ في سنة خمسين (أي عام ٨٥٠هـ/١٤٤٦م) بالسلام وطيب الكلام "، واستمر الشيخ كريم الدين يؤدي دوره العلمي حتى وفاته عام ٨٥٥هـ/١٤٥١م ببيت المقدس[٨٨].

وهكذا كان التواصل العلمي بين علماء بيت المقدس وعلماء مصر زمن المماليك، ممثلاً في أسرة مصرية أقامت ببيت المقدس، ولم تقطع صلتها بموطنها الأصلي مصر، حيث توافد أعضاء هذه الأسرة على مصر للدرس والاستفادة والإفادة، وأقاموا صلات علمية مع علماء مصر، كما وفد على بيت المقدس الكثير من علماء مصر وطلابها، للتعلم والدرس على يد أبناء أسرة القلقشندي.

لم تنقطع الصلة العلمية بين سلالة أسرة القلقشندي المقيمة ببيت المقدس، وبين موطنهم الأصلي مصر، فهذا هو الشيخ أبو الحرم محمد بن الشيخ شمس الدين محمد التقي القلقشندي، المولود بالقدس عام ٨٥٤هـ/١٤٥٠م، والذي تلقى تعليمه الأول على يد والده التقي القلقشندي ببيت المقدس. ومما يذكر أن المؤرخ السخاوي

زامله أثناء تلقيه التعليم في بيت المقدس في تلك الفترة، ونشأت بينهما صداقة ومودة كبيرة، ثم حضر أبو الحرم إلى القاهرة أكثر من مرة، حيث أخذ في التزود بالعلم على يد علمائها الكرام. كما أنه شارك في الحركة العلمية بمصر مشاركة فعالة، بعد أن وصل إلى درجة متقدمة في مختلف فنون العلم. ويذكر السخاوي أن آخر مرة شاهد فيها أبا الحرم بمصر كان عام ٨٩٠هـ/١٤٨٥م[٨٩].

وهكذا كان للتواصل العلمي بين بيت المقدس ومصر ممثلاً في تلك الأسرة المصرية التي أقامت بالقدس الشريف، ولم ينقطع أفرادها عن الحضور إلى مصر والمشاركة في أنشطتها العلمية. كذلك لم ينقطع عن الحضور إلى بيت المقدس مختلف طلاب العلم المصريين لتلقي العلم على يد أفراد هذه الأسرة المصرية الأصل، المقدسية النشأة والإقامة، والتي استمرت تقريبًا إلى نهاية العصر المملوكي.

ولا يفوتنا، أثناء الحديث عن هذه الأسرة العلمية، أن نذكر أن نساء هذه الأسرة كان لهن نصيب وافر في التعليم، ووصل بعض منهن إلى مكانة كبيرة في الإفتاء والحديث، ومن الجدير بالذكر أن بعضًا من علماء مصر تتلمذ على يد بعض نسائها، كذلك فقد وجدت أوقاف كثيرة باسم كثير من النساء للإنفاق على المؤسسات العلمية ببيت المقدس[٩٠].

وقد سبقت الإشارة إلى السيدة الفاضلة أسماء بنت الصلاح العلائي شيخ المدرسة الصلاحية، الذي احتضن إسماعيل القلقشندي وزوجه منها[٩١]، لقد كانت هذه السيدة نموذجًا للمرأة المتعلمة، وهي خير ما يمثل نساء بيت المقدس، فقد نالت من العلم على يد والدها وغيره من علماء بيت المقدس ما أهلها لأن تحدث بما سمعت، وقد قامت بتعليم أولادها وأحفادها، وأجازت لهم بالفتوى[٩٢].

ومن الأهمية بمكان، أن نذكر أن السر وراء تفوق ذرية إسماعيل القلقشندي يعود في المقام الأول إلى ما وجدوه من اهتمام والدتهم السيدة أسماء بالعلم، فقد كانت هي الباعث الأول لهم في الاهتمام بالدرس والتحصيل. وماذا نتوقع من أفراد أسرة يجدون والدهم ووالدتهم من العلماء المهتمين بالعلم والدرس ؟

ومن بين نساء أسرة القلقشندي نذكر: السيدة آمنة ابنة الشيخ تقي الدين إسماعيل القلقشندي، المولودة بالقدس الشريف (بعد عام ٧٤٠هـ/١٣٣٩م) وقد تتلمذت على يد والدها ووالدتها السيدة أسماء، وجدها الصلاح العلائي، وعلى يد جماعة من علماء بيت المقدس، أجيز لها بالحديث، فحدثت بالقدس الشريف، واستمرت هي الأخرى تؤدي دورها العلمي حتى وفاتها عام ٨٠٩هـ/١٤٠٦م ببيت المقدس[٩٣].

كذلك ممن اشتهرن من سيدات هذه الأسرة، السيدة أسماء بنت شمس الدين محمد بن إسماعيل القلقشندي أم عبدالله، أخت الشيخ التقي القلقشندي، ولدت ببيت المقدس عام ٧٧٩هـ/١٣٧٧م، وقد تتلمذت على يد والدها، وعلى يد خالها أبي الخير

بن العلائي، وغيره من علماء بيت المقدس، أمثال: الخيثل العاقولي، والصدر المناوي وآخرين، وأجيز لها بالتحديث، فحدثت بما سمعت. ومن الجدير بالذكر فإن المؤرخ السخاوي، أثناء إقامته ببيت المقدس، تتلمذ على يديها، فيقول السخاوي : " قرأت عليها حديثًا بصوت مرتفع جدًا لثقل سماعها "[٩٤]. وهكذا لم يقتصر التواصل بين بيت المقدس ومصر على رجال أسرة القلقشندي، وإنما تعداهم إلى نسائها، فقد قامت نساء هذه الأسرة بتعليم أبناء مصر.

استمرت السيدة أسماء بنت شمس الدين القلقشندي تؤدي دورها العلمي والخيري إلى أن توفيت عام ٨٦٥هـ/١٤٦١م ببيت المقدس، وقد مدحها السخاوي بأنها كانت " خيِّرة فضيلة "[٩٥].

ومن بين نساء أسرة القلقشندي برزت السيدة خديجة ابنة الشيخ التقي القلقشندي، المولودة بالقدس عام ٨٣٢هـ/١٤٢٩م، تلقت تعليمها على يد جماعة كبيرة من علماء بيت المقدس رجالاً ونساءً، أمثال: السيدة فاطمة الكتابية، وعائشة الحنبلية، وعائشة ابنة الشراتحي، مما يدل على وجود مجموعة كبيرة من نساء بيت المقدس وصلن إلى مرحلة متقدمة من العلم أهلتهن للقيام بالتدريس والإجازة.

وقد قامت السيدة خديجة بدور كبير في الحركة العلمية ببيت المقدس، وقامت بالتدريس أيضًا لمجموعة من طالبي العلم المصريين، مما أكد على ذلك التواصل العلمي بين بيت المقدس ومصر، واستمرت السيدة خديجة تؤدي دورها العلمي ببيت المقدس حتى وفاتها عام ٨٩٢هـ/١٤٨٧م ببيت المقدس[٩٦].

أما نتائج هذه الدراسة فيمكن تلخيصها فيما يأتي :

أولاً : لم يقطع أفراد هذه الأسرة علاقتهم بموطنهم الأصلي مصر، وإنما أخذوا يترددون بين الحين والآخر على مصر، مما زاد من ذلك التواصل العلمي.

ثانيًا : تفرغ أفراد هذه الأسرة للعلم، فلم نسمع عن أحد منهم أنه سعى لتولي منصب أو وظيفة من وظائف الدولة عصر المماليك، ولم يزجوا بأنفسهم في السياسة، وإنما انخرطوا جميعًا في العلم، فوصلوا إلى أعلى درجاته.

ثالثًا : ارتبط أعضاء هذه الأسرة بروابط علمية قوية بمجموعة من العلماء المصريين المشهورين، مما أكد على ذلك التواصل العلمي.

رابعًا : لم يقتصر ذلك التواصل العلمي على رجال هذه الأسرة، وإنما قامت نساء هذه الأسرة العالمات، بدور كبير في ذلك التواصل العلمي، حيث قمن بالتدريس لعدد كبير من العلماء المصريين.

وهكذا كان التواصل العلمي بين مصر وبيت المقدس قائمًا، طوال عصر المماليك، ذلك التواص

ملحق
شجرة نسب أسرة القلقشندي

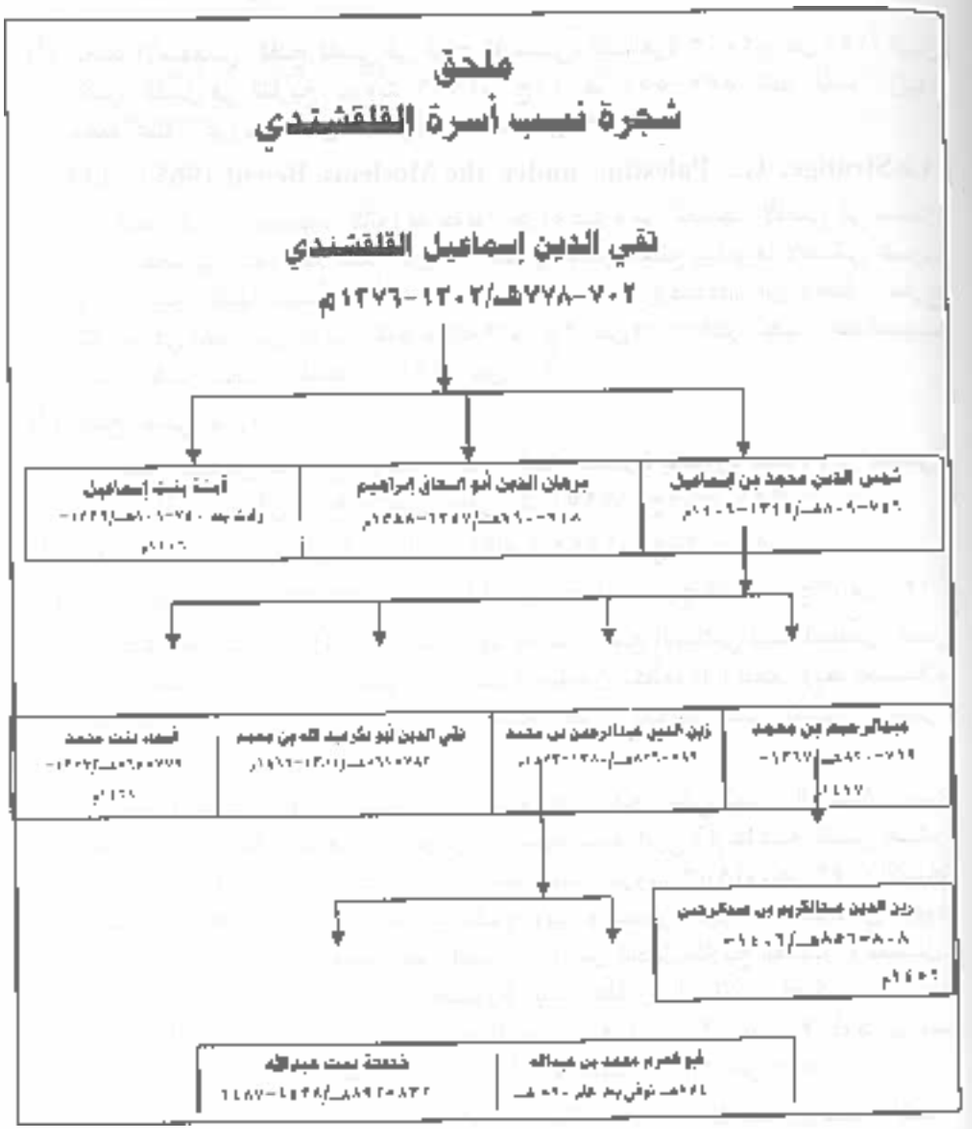

هوامش البحث

(١) عماد الأصفهاني: الفتح القسي في الفتح القدسي، القاهرة ٢٠٠٣م، ص١٤٩؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، بيروت ١٩٦٦م، ج١١، ص٥٥١-٥٥٢؛ انظر أيضًا : زبيدة محمد عطا : عروبة القدس، القاهرة ٢٠٠٧م، ص١٣١؛

Le Strange, G.: Palestine under the Moslems, Belrut 1965,p. 134.

- المعروف أن الصليبيين كانوا قد حولوا أجزاء كبيرة من المسجد الأقصى إلى مساكن واستراحات لهم، كما أنهم قطعوا من قبة الصخرة بعض القطع وباعوها لأهالي غرب أوربا، وبنوا عليها كنيسة، وستروها بالأبنية وغيروا من أوضاعها. ابن واصل : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، القاهرة ١٩٥٧م، ج٢، ص٢٢٩؛ انظر أيضًا : عبدالحميد زايد : القدس الخالدة، القاهرة ١٩٧٤م، ص٢٠٤.

(٢) الفتح القسي، ص١٤٢.

- يذكر سبط ابن الجوزي أن صلاح الدين غسل الصخرة بالماورد بيديه، وهو يبكي. انظر مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، حيدر أباد ١٩٥١م، ج١، ص٣٩٧.

(٣) النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة ١٩٩٢م، ج٢٨، ص٤٠٥.

(٤) عماد الأصفهاني : الفتح القسي، ص١٤٥؛ ابن واصل : مفرج الكروب، ج٢، ص٢٣٠.

- يذكر أبو الفدا أن هذا المكان كان يوجد به، قبل الفتح الإسلامي لبيت المقدس، قبر السيدة حنه أم السيدة مريم العذراء، ثم أقام المسلمون مكانها دارًا للعلم، وبعد استيلاء الصليبيين على بيت المقدس أقاموا بها كنيسة. انظر : المختصر في أخبار البشر، القاهرة د.ت، ج٣، ص٨٣.

- باب الأسباط : يقول الرحالة ناصر خسرو علوي أنه " على الجانب الشمالي من المسجد الأقصى بابان متجاوران عرض كل منهما سبع أذرع وارتفاعه اثنى عشر ذراعًا، ويسميان " باب الأسباط ". انظر : سفر نامة، بيروت ١٩٨٣م، ص٥٩؛ والأسباط نسبة إلى أسباط بني إسرائيل وهم: يوسف وروبيل وشمعون ويهودا. والسبط من اليهود كالقبيلة من العرب. انظر مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، القاهرة د.ت، ج٢، ص٢٨؛ ويذكر الدكتورة زبيدة عطا أن باب الأسباط هو تسمية عربية لباب السباع شرقًا. انظر: عروبة القدس، القاهرة ٢٠٠٧م، ص٣١؛ فؤاد إبراهيم عباس : موسوعة بيت المقدس، القاهرة ١٩٩٥م، مجلد ١، ج٣، ص٤-٥.

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب، ج٣، ص٨٣؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، بيروت ١٩٧٧م، ج٧، ص٨٨؛ انظر أيضًا : زبيدة محمد عطا: عروبة القدس، ص١١٥.

(٦) بهاء الدين بن شداد : هو بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع، وك بالموصل علم ٥٣٩هـ/١١٤٥م، وتوفي بحلب عام ٦٣٢هـ/١٢٣٤م، وعينه صلاح الدين قاضيًا

لعسكره والقدس الشريف، وظل في خدمة صلاح الدين إلى حين وفاة الأخير. انظر: ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٧، ص٨٤-١٠٠.

(٧) أبو الفدا : المختصر، ج٣، ص٨٣؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٧، ص٨٨.

(٨) عماد الأصفهاني : الفتح القسي، ص١٤٣-١٤٤؛ الحنبلي : الأنس الجليل، ج٢، ص٣٤٠.

(٩) شيخ الربوة : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، بيروت ١٩٨٩م، ص٢٦٨.

(١٠) يقول الصفدي: في عام ٧١١هـ/١٣١١م جهز السلطان الناصر محمد الأمير علم الدين سنجر الجاولي نائبًا على غزة، وأضاف إليه الساحل والقدس والخليل. انظر : أعيان العصر وأعوان النصر، بيروت ١٩٩٨م، ج٢، ص٧٦٣؛ انظر أيضًا : فؤاد إبراهيم عباس: موسوعة بيت المقدس، ج١، ص٢٥٦.

(١١) Aziz Syryal Atiya : The Crusade in the Later middle ages, London 1938, pp. 30–46 ;

سعيد عاشور : الحركة الصليبية، القاهرة ١٩٧١م، ج٢، ص١١٩٢-١١٩٨؛ ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، بيروت ١٩٦٩م، ج٣، ص٧١٧-٧٢٩.

(١٢) ابن حجر العسقلاني : إنباء الغمر بأبناء العمر، بيروت ١٩٨٦م، ج١، ص١٥٨؛ انظر أيضًا : رشاد الإمام : مدينة القدس في العصر الوسيط، تونس ١٩٧٦م، ص٩٤.

(١٣) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص٧٨٣؛ زبيدة محمد عطا: عروبة القدس، ص١٣٩؛ علي السيد علي : القدس في العصر المملوكي، القاهرة ١٩٨٦م، ص٣٥.

(١٤) من أمثلة الأمراء الذين اهتموا بالقدس الشريف: والأمير سنجر الجاولي الذي أنشأ المدرسة الجاولية عام ٧١١هـ/١٣١١م، والأمير سيف الدين تنكز الذي أنشأ المدرسة التنكزية عام ٧٢٧هـ/١٣٢٧م، كذلك أرغون الكاملي الذي أنشأ المدرسة الأرغونية عام ٧٥٨هـ/١٣٥٧م، والأمير سيف الدين منجك أنشأ مدرسة عام ٧٦٢هـ/١٣٦٠م. وقد أوقف هؤلاء الأوقاف الكثيرة للإنفاق منها على تلك المدارس. انظر: الصفدي : أعيان العصر، ج١، ص٥٣١-٥٤١؛ النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس، القاهرة ١٩٨٨م، ج٢، ص٦٤، ص١٢٥-١٦٢؛ انظر أيضًا : زبيدة محمد عطا: عروبة القدس، ص٧٣-٨٠. وعن الأوقاف عصر سلاطين المماليك ودورها في الحياة الاجتماعية والعلمية، انظر: كامل جميل العسلي: وثائق مقدسية تاريخية، جامعة اليرموك ١٩٨٣م، ثلاثة أجزاء؛ محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، القاهرة ١٩٨٠م؛ فؤاد عباس : موسوعة بيت المقدس، مجلد ١، ج٣، ص١٦٢.

(١٥) وعن فضائل بيت المقدس، انظر : ابن الجوزي : فضائل القدس، بيروت ١٩٨٠م، ص٨٣-١٢٤؛ الزركشي : إعلام الساجد بأحكام المساجد، القاهرة ١٩٨٢م، ص٢٨٥-٢٨٨؛ انظر أيضًا : عبدالحميد زايد : القدس الخالدة، ص٢٦٢، ٢٦٦.

(١٥) عن سبب انتعاش الحركة العلمية ببيت المقدس، انظر : علي السيد علي : القدس في العصر المملوكي، ص١٢١-١٢٣.

(١٦) حسنين محمد ربيع: القدس مدينة عربية إسلامية، معهد إعداد القادة، د.ت، ص٢١.

(١٨) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج٢، ص٣٣-٤٨.

- توفي مجير الدين الحنبلي عام ٩٢٨هـ/١٥٢٢م، أي بعد سقوط دولة المماليك بخمسة أعوام.

(١٩) الحنبلي : الأنس الجليل، ج٢، ص١٠١-٢٦٨.

(٢٠) الزركشي : إعلام الساجد بأحكام المساجد، ص٢٨٦-٢٩٨.

(٢١) عن الحياة العلمية بمصر عصر سلاطين المماليك، انظر : عبداللطيف حمزة : الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي، ج١، القاهرة ١٩٩٩م، ص١٥٦-١٥٩؛ عبدالغني محمود عبدالعاطي : التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك، القاهرة ١٩٧٧م، ص١٥١-١٥٨.

(٢٢) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، القاهرة ١٩٦٨م، ج٢، ص٩٤.

(٢٣) صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة ١٩٦٣م، ج١، ص٦.

(٢٤) للسخاوي : الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع، بيروت د.ت، ج١، ص٢٩٦. وعن للشيخ العلائي وابنه أبو ذكير، انظر بعده.

(٢٥) للعجلوني نسبة إلى عجلون، وهي إحدى القلاع بالأردن، كانت قديمًا دير لراهب يسمى عجلون، فنسبت له، بناها عز الدين أسامة بن منقذ عام ٥٨٠هـ/١١٨٤م في زمن صلاح الدين الأيوبي، انظر : القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج ، ص١٠٥.

(٢٦) الحنبلي : الأنس الجليل، ج٢، ص٢٠٢.

(٢٧) الحنبلي : الأنس الجليل، ج٢، ص٢٠٨.

(٢٨) الحنبلي : الأنس الجليل، ج٢، ص٢٠٠-٢٠١.

(٢٩) عبداللطيف حمزة : الحركة الفكرية، ص٢٥٥.

(٣٠) ياقوت الحموي : معجم الأدباء، بيروت ١٩٨٨م، ج١٥، ص١٨٨؛ الأدفوي : الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، القاهرة ١٩٦٦م، ص٤٣٦-٤٣٧.

- ولد جمال الدين القفطي، بقفط من صعيد مصر عام ٥٦٨هـ/١١٧٢م ومات بحلب عام ٦٤٦هـ/١٢٤٨م. انظر : الأدفوي : الطالع السعيد، ص٤٣٧.

- العزيز عثمان بن صلاح الدين، ولد عام ٥٦٧هـ/١١٧١م في القاهرة، وبها توفي عام ٥٩٥هـ، وتولى حكم مصر بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي. انظر : ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٥١-٢٥٣.

- الظاهر غازي بن يوسف بن أيوب، ولد بالقاهرة عام ٥٦٨هـ/١١٧٢م، وتوفي بحلب في عام ٦١٣هـ/١٢١٦م، تولى حكم حلب منذ عام ٥٨٢هـ/١١٨٦م واستمر بها حتى وفاته. انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٤، ص٦-١٠.

(٣١) عن الأسر المصرية وغير المصرية التي وجدت ببيت المقدس، انظر : علي السيد : القدس في العصر المملوكي، ص١٢٦-١٢٧.

(٣٢) قلقشندة أو قرقشندة إحدى قرى القليوبية، انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان، د.ت، ج٤، ص٣٢٧-٣٢٨؛ انظر أيضًا : محمد رمزي : القاموس الجغرافي، القاهرة ١٩٩٤م، ق٢، ج١، ص٤٦-٤٧. وقد أنجبت هذه القرية العديد من الشخصيات التي لعبت دورًا في الحضارة الإسلامية، وحمل هؤلاء اسم القلقشندي أو القرقشندي، فبالإضافة إلى صاحبنا تقي الدين إسماعيل، يذكر التاريخ اسم أبو العباس أحمد القلقشندي (٧٥٦-٨٢١هـ/١٣٥٥-١٤١٨م) صاحب كتاب صبح الأعشى، كذلك أحمد بن إسماعيل (٧٦٤-٨٤٤هـ/١٣٦٣-١٤٤٠م) الذي اشتهر بالعلم وتولى الإشراف على الحرمين الشريفين وجامع ابن طولون؛ كذلك قاضي القضاة علي بن أحمد بن إسماعيل القلقشندي (٧٨٨-٨٥٦هـ/١٣٨٦-١٤٥٢م).

(٣٣) النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس : بيروت ١٩٨٨م، ج١، ص١٤٠؛ ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، القاهرة ١٩٦٦م، ج١، ص٣٩٥؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت د.ت، ج٦، ص٢٥٦-٢٥٧.

- ولد للشيخ العلائي بدمشق عام ٦٩٤هـ/١٢٩٥م، وتوفي ببيت المقدس عام ٧٦١هـ/١٣٦٠م. انظر : ابن رافع السلامي، الوفيات، بيروت ١٩٨٣م، ج٢، ص٢٣٦.

- للشيخ فخر الدين المصري : هو فخر الدين أبو الفضائل محمد بن علي بن إبراهيم بن عبدالكريم المصري الأصل الدمشقي الإقامة، المعروف بالفخر المصري، ولد بالقاهرة عام ٦٩١هـ/١٢٩٢م وتوجه إلى دمشق وهو صغير السن، ودرس مع شيوخها، وأجيز له الإفتاء والتدريس، توفي بدمشق عام ٧٥١هـ/١٣٤٩م. انظر : النعيمي : الدارس، ج١، ص٢٤٥-٢٤٧.

(34) ابن رافع السلامي : الوفيات، ج٢، ص٢٢٦-٢٢٧؛ النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس، القاهرة ١٩٨٨م، ج١، ص٦٠-٦٣.

(٣٥) الصفدي : الوافي بالوفيات، بيروت ٢٠٠٠م، ج١٣، ص٢٥٧-٢٥٨؛ ابن حجر : الدرر الكامنة، ج٢، ص١٧٩-١٨٢؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة د.ت، ج١٠، ص٣٢٧؛ العماد الحنبلي : شذرات الذهب، ج٦، ص١٩٠، وتقابل معه الرحالة أبو البقاء خالد البلوي حيث تتلمذ على يديه، ومدحه مدحًا

كثيراً. انظر: البلوي : تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، المغرب د.ت، ص٢٥٨ وما بعدها.

- المدرسة التنكزية : أنشأها الأمير تنكز الناصري نائب الشام عام ٧٢٩هـ/١٣٢٩م بالقدس، وكانت غاية في الاتقان، وما تزال عامرة، وهي الآن مقر المحكمة الشرعية بالقدس الشريف. انظر : النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس، ج١، ص١٢٣-١٢٧؛ انظر أيضاً : محمد كرد علي : خطط الشام، دمشق ١٩٣٨م، ج٦، ص١١٨-١١٩.

- دار الحديث السيفية : تنسب هذه الدار إلى الأمير سيف الدين تنكز المتوفى عام ٧٤١هـ/١٣٤٠م، ففي عام ٧٢٨هـ/١٣٢٧م وأثناء رجوعه إلى القاهرة مارّاً بالقدس الشريف، أمر ببناء دار حديث فيها خانقاه. انظر النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس، القاهرة ١٩٨٨م، ج١، ص١٢٣.

(36) ابن حجر : الدرر، ج١، ص٣٩٥؛ انظر أيضاً: عبدالجليل حسن عبدالمهدي: المدارس في بيت المقدس، الأردن ١٩٨١م، ج١، ص٢٧٤-٢٧٥.

(37) إنباء الغمر بأبناء العمر، بيروت ١٩٨٩م، ج١، ص٢٠٥.

- يقول الصفدي إنه رافقه في الطريق من بلاد الحجاز إلى الشام، وأخذ من علمه الشيء الكثير ويقول مادحاً : " وقل أن رأيت مثله في تحقيق ما يقوله ". انظر: أعوان النصر وأعوان العصر، بيروت ١٩٩٨م، ج٢، ص٢٧٣.

(38) الحنبلي : الأنس الجليل، ج٢، ص١٦٢.

- وكانت السيدة أسماء بنت خليل بن كيكلدي عام ٧٢٥هـ/١٣٢٥م وتوفيت عام ٧٩٥هـ/١٣٩٣م ببيت المقدس. ابن حجر : الدرر الكامنة، ج١، ص٣٨٤؛ انظر أيضاً : فؤاد عباس : موسوعة بيت المقدس، مجلد ١ ، ج٣، ص٩٥.

(39) الدرر الكامنة، ج١، ص٣٩٥.

(40) الأنس الجليل، ج٢، ص١٥٩؛ انظر أيضاً : شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٦، ص٢٥٦-٢٥٧.

(41) شذرات الذهب، ج٦، ص٢٥٧.

(42) ابن كثير : البداية والنهاية، بيروت ١٩٨٥م، ج١٤، ص٢٦٧.

- الشيخ برهان الدين أبو إسحق إبراهيم بن زين الدين بنتهي نسبه إلى ابن جماعة الكناني، قاضي مصر والشام، بعد أن نال تعليمه بدمشق وبيت المقدس، انقطع للتدريس ببيت المقدس، ثم تولى مشيخة المدرسة الصلاحية، وبعد ذلك تولى القضاء بالديار المصرية، وتوفي عام ٧٩٠هـ/١٣٨٨م. انظر: ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٦، ص٣١١.

- مشيخة المدرسة الصلاحية من أجل الوظائف قدينة، وكان يشترط في القائم بها أن يكون أبرز علماء عصره. انظر : رشاد الإمام : مدينة القدس، ص١٠٦.

(43) كان نائب بيت المقدس يتولى أيضاً نظر الحرمين الشريفين، القدس والخليل. وكانت مشيخة المدرسة الصلاحية بقرر ولايتها نائب السلطان. انظر : الحنبلي، ج٢، ص٢٧٢. وكان نائب القدس في تلك الفترة الأمير قطلو بغا من قبل السلطان الناصر محمد خلال سلطنته الثانية. انظر : المقريزي : الخطط، ج٢، ص٢٢٩.

- المقصود بالحرمين الشريفين هنا : الحرم القدسي وهو المسجد الأقصى، والحرم الخليلي وهو مسجد الخليل.

- ناظر الحرمين : ويسمى أيضاً ناظر القدس والخليل. ومهامه النظر في كل ما يحتاج إليه الحرم الشريف بالقدس وحرم بلد الخليل من إصلاح ورواتب العاملين فيه، وكذلك التصرف في أوقاف هذين الحرمين. وكانت هذه المهام ضمن صلاحيات نائب القدس منذ سنة ٧٧٧هـ/١٣٧٥م. ابن حجر العسقلاني : إنباء الغمر، ج١، ص١٥٨؛ وانظر ما جاء في وثيقة إشهاد بإجارة أرض، ودور ناظر الحرمين في التصرف في الأوقاف، كامل جميل العسلي : وثائق مقدسية تاريخية، عمان ١٩٨٥م، ج٢، ص٦٢-٦٣، وما جاء في وثيقة إرث تولى النظر فيها ناظر الحرمين الشريفين. انظر: محمد عيسى صالحية : من وثائق الحرم القدسي الشريف المملوكية، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت ١٩٨٥م، ص٩٠-٩٤؛ انظر أيضاً: رشاد الإمام:مدينة القدس في العصر الوسيط، ص١٠٤، ١٠٥.

(44) الحنبلي : الأنس الجليل، ج٢، ص١٠٧-١٠٨.

- ثم يستمر برهان الدين في مشيخة الصلاحية طويلاً، ثم يليث أن تولى القضاء بالديار المصرية تاركاً للصلاحية لابنه محب الدين. انظر: الحنبلي: الأنس الجليل، ج٢، ص١٠٨.

(45) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة د.ت، ج١١، ص١٤٤.

(46) العماد الحنبلي : شذرات الذهب، ج٦، ص٢٥٧.

(47) ابن حجر العسقلاني : إنباء الغمر بأبناء العمر، ج١، ص٢٠٥.

(48) المقريزي : السلوك، ج٣، ق١، ص٢٩٨؛ الحنبلي : الأنس الجليل، ج٢، ص١٥٩.

- مقبرة ماملا، تقع بظاهر القدس من جهة الغرب، وهي أكبر مقابر بيت المقدس، ويقال أن ماملا جاء لحصله من عبارة " مما من الله "، أما القلندرية، فهي زاوية بوسط هذه المقبرة، وكلمة قلندرية فارسية بمعنى الدرويش الزاهد في الدنيا، وانتشرت الكلمة في معظم أنحاء بلاد الشام، فكان في دمشق زاويتان للصوفية تحملان هذا الاسم، القلندرية الدركزينية، والقلندرية الحيدرية. انظر : خليل شاهين الظاهري : زبدة كشف الممالك في بيان الطرق والمسالك، باريس ١٨٩٤م، ص١٢٣؛ مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل، ج٢، ص٦٤؛ انظر أيضاً : محمد كرد علي : خطط الشام، دمشق ١٩٣٨م، ج٦، ص١٤١-١٤٢؛ رشاد الإمام : مدينة القدس، ص٢٠٨. وعن الصوفية، انظر : Arberry, A.J : Sufism, London 1950, pp. 32-35

(49) السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج٤، ص١٣٧؛ الحنبلي : الأنس الجليل، ج٢، ص١٦١، ١٦٢، ١٦٦.

(50) يذكر السخاوي أن الشيخ العلائي كان يحب حفيديه أبا عبدالله محمد، وأبا إسحق إبراهيم ويقول عنهما : " هما ريحانتاي في الدنيا ". انظر : الضوء اللامع، ج٤، ص١٣٧.

(51) السخاوي : الضوء اللامع، ج٤، ص١٣٧.

- الشيخ إسماعيل الشريحي الحنفي، عُرف بكمال الدين إسماعيل، تولى مشيخة المدرسة المعظمية الحنفية بالقدس، عاش في أوائل القرن الثامن الهجري. انظر : فؤاد عباس: موسوعة بيت المقدس، مجلد ١ ، ج٣، ص٩٥-٩٦.

(52) السخاوي : الضوء اللامع، ج٤، ص١٣٦.

- أبو الخير أحمد بن الصلاح العلائي : هو أحمد بن خليل بن كيكلدي ولد عام ٧٢٣هـ/١٣٢٣م بدمشق، واعتنى به والده حيث تتلمذ على يد جماعة كبيرة من علماء دمشق والقاهرة وبيت المقدس، وصل إلى درجة متقدمة من العلم ودرس، على يد جماعة من العلماء ببيت المقدس والقاهرة ودمشق، وتوفي عام ٨٠٢هـ/١٤٠١م بالقدس الشريف. انظر السخاوي : الضوء اللامع، ج١، ص٢٩٦.

(53) السخاوي : الضوء اللامع، ج٤، ص١٣٧؛ انظر أيضًا : عبدالجليل حسن عبدالمهدي: المدارس في بيت المقدس، ج١، ص٢٧٧.

- بهاء الدين السبكي : هو بهاء الدين أبو حامد بن قاضي القضاة تقي الدين السبكي، ولد عام ٧١٩هـ/١٣١٩م، درس بمصر والشام وأجيز له بالتدريس والإفتاء، تولى التدريس بالشام، كما تولى القضاء به أيضًا، ثم عاد إلى مصر حيث تولى التدريس وبعض الوظائف، توفي عام ٧٧٣هـ/١٣٧١م بمكة المكرمة. انظر : النعيمي : الدارس، ج١، ص٣٦٦-٣٦٧.

(54) السخاوي : الضوء اللامع: ج٤، ص١٣٧.

- الشيخ التاج السبكي : هو تاج الدين أبو نصر عبدالوهاب بن شيخ الإسلام تقي الدين أبي الحسن الأنصاري الخزرجي السبكي، ولد بالقاهرة ٧٢٧هـ/١٣٢٧م تلقى تعليمه بمصر ودمشق وأجيز بالفتيا والتدريس، تولى بعض الوظائف بمصر كالقضاء، وحدثت له محن كثيرة وسجن بالقلعة لمدة ثمانين يومًا، ثم عاد للقضاء والتدريس بمصر والشام، توفي بالطاعون عام ٧٧١هـ/١٣٦٩م بدمشق. انظر : النعيمي : الدارس، ج١: ص٣٧-٣٨.

(55) ولد ابن حجر بمصر عام ٧٧٣هـ/١٣٧١م.

(56) الشوكاني : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، مصر ١٣٤٨م، ج١، ص٨٨.

(57) ابن حجر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، القاهرة د.ت، ج١، ص٣٩٥.

(58) ج٦، ص٤١-٤٢ (توفي الشيخ شمس الدين محمد أبو عبدالله محمد القلقشندي في شهر رجب عام ٨٠٩هـ/ ديسمبر ١٤٠٦م ببيت المقدس). انظر : ابن حجر : إنباء الغمر، ج١، ص٤٢؛ السخاوي : الضوء اللامع، ج٤، ص١٣٧.

(59) شمس الدين الفخريري، هو محمد بن أحمد بن عمر بن محمد بن عمر القاهري الشافعي الضرير، ويُعرف بالسعودي نسبةً إلى شخص من أقاربه كان يخدم الشيخ أبا المسعود، ولد عام ٧٥٦هـ/١٣٥٥م بالخرارية. انظر السخاوي : التبر المسبوك في ذيل السلوك، القاهرة ٢٠٠٢م، ج١، ص٢٧٥.

(60) السخاوي : التبر المسبوك، ج١، ص٢٧٥-٢٧٦.

(61) السخاوي : الضوء اللامع، ج٤، ص١٣٧.

(62) أنباء الغمر،ج٦، ص١٤٢؛ انظر أيضًا: ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٧، ص٨٦.

(63) الحنبلي : الأنس الجليل، ج٢، ص١٦١.

(64) الأنس الجليل، ج٢، ص١٦٢؛ انظر أيضًا : عبدالجليل حسن عبدالمهدي: المدارس في بيت المقدس، ج٢، ص٢٨.

(65) يذكر ابن حجر أنه توفي عام ٧٩٥هـ/١٣٩٣م. انظر الدرر الكامنة، ج١، ص١٩.

(66) ابن حجر : الدرر الكامنة، ج١، ص١٩.

(67) السخاوي : الضوء اللامع، ج٤: ص١٨٤-١٨٥.

(68) الحنبلي: الأنس الجليل،ج٢ ص١٦٨؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب: ج٧، ص١٧٤. انظر أيضًا:عبدالجليل حسن عبدالمهدي:المدارس في بيت المقدس،ج١، ص٢٧٩-٢٨٠.

(69) إنباء الغمر، ج٨، ص٣٠.

(70) السخاوي : الضوء اللامع، ج٤، ص١٢٢.

(71) السخاوي: الضوء اللامع،ج٤،ص١٢٣؛ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب،ج٧، ص١٧٤.

(72) أنباء الغمر، ج٨، ص٣٠.

(73) السخاوي: الضوء اللامع،ج٤،ص١٢٣؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب،ج٧، ص١٧٤

(74) ابن حجر العسقلاني : إنباء الغمر، ج٨، ص٣٠.

(75) ومن بين الذي تتلمذ على أيديهم السيدة غزال أم عبداللطيف، وكانت نوبية الأصل، وهي عتيقة جدة الشيخ تقي الدين إسماعيل، وسمعت عنه وعن جماعة من علماء بيت المقدس منهم الشيخ الميدومي، وسمع عليها الشيخ التقي أبو بكر وأجازت له، واستمرت السيدة غزال تؤدي دورها العلمي ببيت المقدس حتى وفاتها بالقدس الشريف عام ٨٠٩هـ/١٤٠٦م، كما تتلمذ على يديها أيضًا الحافظ ابن حجر العسقلاني. انظر : السخاوي : الضوء اللامع، ج١٢، ص٨٥؛ مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل، ج٢، ص١٦٦.

(٧٦) السخاوي : الضوء اللامع، ج١١، ص٦٩-٧٠.

(٧٧) الضوء اللامع، ج١١، ص٧٠.

(٧٨) الضوء اللامع، ج١١، ص٧١؛ انظر أيضًا : عبدالجليل حسن عبدالمهدي: المدارس في بيت المقدس، ج١، ص٢٤٨.

(٧٩) الأنس الجليل، ج٢، ص١٨٨.

ومما يذكر أن مجير الدين الحنبلي، درّس على يديه وهو في صباه، فيقول الحنبلي: "وهو أول شيخ عرضت عليه، وشرفت بالجلوس بين يديه". انظر الأنس الجليل، ج٢، ص١٩٠

(٨٠) الضوء اللامع، ج١١، ص٧٠.

- وعن السخاوي ورحلاته العلمية، انظر : العيدروسي : تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر، بيروت ١٩٨٥م، ص١٨، ١٢٣.

(٨١) السخاوي : الضوء اللامع، ج١١، ص٧٠.

(٨٢) الضوء اللامع، ج١١، ص٧٠.

(٨٣) الحنبلي : الأنس الجليل، ج٢، ص١٨٩.

(٨٤) العماد الحنبلي : شذرات الذهب، ج٧، ص٣٠٦.

(٨٥) ولد الشيخ زين الدين عبدالكريم ببيت المقدس في عام ٨٠٨هـ/١٤٠٥م.

(٨٦) السخاوي : الضوء اللامع، ج٤، ص٣١١.

(٨٧) الأنس الجليل، ج٢، ص١٨٤.

(٨٨) السخاوي : الضوء اللامع، ج١١، ص٣١٢.

(٨٩) السخاوي : الضوء اللامع، ج١١، ص١٠٣؛ انظر أيضًا : عبدالجليل حسن عبدالمهدي: المدارس في بيت المقدس، ج٢، ص٢٩.

(٩٠) زبيدة عطا : عروبة القدس، ص٨١-٨٧.

(٩١) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب، ج٦، ص٢٥٧.

(٩٢) ابن حجر : الدرر، ج١، ص٣٨٤؛ الحنبلي : الأنس الجليل، ج٢، ص١٦٢.

(٩٣) مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل، ج٢ ص١٦٦؛ انظر أيضًا: رشاد الإمام: مدينة القدس، ص٢٤٠

(٩٤) الضوء اللامع، ج١٢، ص٧.

(٩٥) الضوء اللامع، ج١٢، ص٧.

(٩٦) السخاوي : الضوء اللامع، ج١٢، ص٢٩-٢٧.

يهود القدس أواخر العصر المملوكي

في ضوء خطابات عوبديا البرتينوري (١٤٨٨- ١٤٩٠ م/٨٩٣-٨٩٦ هـ)

دراسة تاريخية

د. علي أحمد محمد السيد (*)

مقدمـــة :

يقوم هذا البحث على دراسة ثلاثة نصوص لخطابات حررها الرابي عوبديا جارا دا برتينورو Obadiah Jare Da Bertinoro ، وهو أحد اليهود الإيطاليين الذين اتخذوا من القدس وطنًا بديلاً لهم، فقد ولد في بلدة برتينورو الإيطالية في عام ١٤٥٠م، وعاش في إحدى ضواحيها بمقاطعة فلورنسا (Florence)[1]، وخرج منها عازمًا الهجرة إلى فلسطين في ٢٦ أكتوبر ١٤٨٦م./ ١٨ شوال ٨٩١هـ.، وقتهت رحلته بوصوله القدس في ٢٥ مارس ١٤٨٨م./ ٣ جمادى الآخر ٨٩٣هـ.، وبذلك استمر في ترحاله حوالى عام ونصف، واستقر به المقام هناك مستوطنًا إياها حتى توفي بها عام ١٥٠٠م./ ٩٠٥هـ.، وإما في عام ١٥١٠م./ ٩١٥ - ٩١٦هـ.[2]، وربما طال به العمر حتى عام ١٥٣٠م./ ٩٣٧هـ. هذا

(*) رئيس قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية بكلية الآداب – جامعة دمنهور

(١) وصفها بيروطلفور في النصف الأول من القرن الخامس عشر الميلادي بأنها من أعجب مدائن العالم المسيحي اتساعاً وثراءً وحكومة، ويحكمها أشخاص ينتخبون بالقرعة كل شهر، وأنها غاصة بالبيوت الجميلة والشوارع والفنادق الفخمة، والمدينة على غاية من النظافة والتنظيم، ويكثر بها الكنائس الكبرى والأثيرة والمستشفيات، وقد أنجب مجتمعها رجالاً عظامًا بارعين في العلوم والفنون، ويشهد على ذلك تماثيلها وزخارفها المبهرة. وقد تمكنت حكومة فلورنسا من الاستحواذ على الكثير من الأراضي بما فيها مدينة بيزا التي كانت تابعة لها. انظر: طافور، بيرو: رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي، ترجمة وتقديم: حسن حبشي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٣هـ. – ٢٠٠٢م.، ص٢٤٧ – ٢٤٨.

(٢) Ginzberg, Louise, BERTINORO, OBADIAH (YAREH) Ben R. ABRAHAM, an essay in Jewish Encyclopedia, 12 Vols., (ed.) by: Friedenbeirg, A. M., Richard Golthid and others, New Yourk, 1901 – 1906, vol. II, p.108, c.f. Also., Wigoder, Geoffray (ed.), the New

وقد تتلمذ عوبديا على يد جوزيف سلومون كولون Joseph b. Solomon Colon الذي علمه علومًا دينية مكنته من أن يصبح رابيًا، أو حاخامًا، في برتينورو التي التصق اسمه باسمها منسوبًا إليها[٣].وكان من يحمل لقب رابي بعد من كبار رجال الدين اليهودي الذين يوسعهم إصدار الأحكام الدينية، والإجابة عن الأسئلة الموجهة إليهم لسعة علمهم. وكان دورهم في المجتمع اليهودي يماثل دور المفتي في الدول الإسلامية، كما أن لهم نفوذًا في السلطة القضائية برغم خروجه عن نطاق الجهاز القضائي النظامي[٤].

وقد ظهرت ترجمة للخطابات العبرية الثلاثة صدرت في عام ١٩٩٢م، في القدس إلى اللغة الإنجليزية[٥] سبقتها مقدمة قصيرة، وتم تذييلها ببعض الحواشي التي لم تكن معنية إلا بتوضيح بعض الألفاظ العبرية، والأماكن والتواريخ غير الموثقة. إلا أن الباحث آثر الاعتماد على ما نشره نلسان أدلر Elkan Nathan Adler في لندن عام ١٩٣٠م[٦] من نصوص، نظرًا لأنها أكثر تدقيقًا من النصوص التي ظهرت مؤخرًا، ذلك لأنه لم يتدخل بأية إضافات في ترجمتها، في حين حرص المترجم الآخر للخطابات على تضمينها عبارات جمالية، أخلت بالنص الأصلي، بغرض وضعه في ثوب قشيب. وفي الواقع لم تكن هذه الدراسة لتكتمل إلا بمضاهاة المادة الواردة في الخطابات بالعديد من مثيلاتها في المصادر اليهودية الأخرى، سواء السابقة عليها مثل: (رحلة الرابي ميشولام بن مناحم الفولتيري) ١٤٨١م./

Standard Jewish Encyclopedia., 7vols., 7th ed., New York. Oxford, 1992, Art. Bertinore، ويذكر اسمه أحيانًا برسم مشابه آخر (عوبديا آف بارتينورا R. Ovadiah of Bartenura).

[3] Marmorstein, Rabbi Avrohom, (ed.), The Travel letters of Rabbi Ovadiah of Bartenura, written between (1488 – 1490) during his journey to The Holy land: pathway to Jerusalem, Jerusalem, 1992, pp.9 – 12.

[4] عزة عبده علي: ملف اليهود في مصر الحديثة،مكتبة مدبولي،القاهرة، ١٩٩١م.،ص٢٢٩

[5] Shulman, Yaakov, David, (trans.), The travel letters of Rabbi Ovadiah of Bartenura, written between (1488 – 1490).: pathway to Jerusalem, Jerusalem, 1992.

[6] Adler, E. N., (ed.): Jewish Travellers, London, 1930, p.209 – 253.

٨٨٦هـ.[٧] و(خطاب طالب) في عام ١٤٩٥م/ ٩٠٠هـ[٨]، فضلاً عن مقابلتها بعدد غير قليل من المصادر الإسلامية والمسيحية، المعاصرة للفترة التي دون فيها عوبديا خطاباته.

ولما كانت الخطابات تعكس علاقات إنسانية اجتماعية خاصة، مرسلة من مهاجر إلى والده وأخيه وصديقه، فمن الطبيعي أنها تتضمن، بالدرجة الأولى، مادة حضارية تميزت بالزخم الواضح، وكان صاحبها قد عرضها في شكل تقرير مطول متعدد الاتجاهات. وتتصنف على أنها من أدب الرحلة اليهودية في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي/ التاسع الهجري، ولم لا؟ وهي تسجل رحلة أحد المثقفين الدارسين اليهود من أصحاب القلم، منذ خروجه من إيطاليا مرورًا بالعديد من المحطات البحرية وجزر البحر المتوسط الشرقية، وصولاً إلى ثغر الإسكندرية ميناء الدولة المملوكية المطل على البحر. وما لبثت أن شملت الرحلة العاصمة، المعروفة بالنسبة له ولغيره، القاهرة، ثم انتقل منها وشق البراري إلى جناح هذه الدولة الشرقي حيث الشام، وبالتحديد فلسطين التي رأى فيها منتهى الطريق والموطن الأبدي الذي يجب أن يقضي فيها نحبه[٩] حيث مدينة الله، مدينة القدس.

وقد عني عوبديا، رجل الدين والمثقف، بوصف أحوال اليهود السياسية منها والدينية والاجتماعية والعلمية؛ في القدس والمدن التي كان قد مر بها، معتمدا في كثير من الأحيان على عقد المقارنات، بغرض إبراز دقائق الأمور وعناصر الاتفاق أو الاختلاف، مما شجع

---

[7] Meshullam Ben R. Menahem of voltera, Itinerary of Rabbi Meshullam Ben R. Menahem. 1481 A.D., in: J. T., ed. Adler. E. N., London, 1930, pp.156- 208.

[8] A student's letter, 1495 A.D., ed., Marmorstein Rabbi Avrohom, in: the travel letters of Rabbi Ovadiah of Bertinoro, written between (1488 – 1490), pathway to Jerusalem, Jerusalem, 1992, pp.75- 93.

ويلاحظ أن (خطاب طالب) يعد مادة مصدرية قائمة بذاتها منفصلة تمامًا عن خطابات عوبديا، وقد شكلت أهمية كبرى نظرًا لأنها أكملت وضبطت كثيرًا من الثغرات الواردة في الخطابات موضوع الدراسة. فضلاً على أن الخطاب كتب بعد خمس سنوات فقط من آخر خطابات عوبديا الثلاثة. ولم يكن الطالب مجرد تلميذ عادي إنما كان عوبديا أستاذه، وكان قد وفد من إيطاليا مثله ومعه أخوه ياكوسيل Yekasiel إلى القدس بغرض الدراسة أيضًا.

[9] يذكر ناشر الكتاب المتضمن خطابات عوبديا الثلاثة طبعة القدس عام ١٩٩٢م. أن قبر عوبديا معلوم مكانه في القدس، وأن اليهود ما زالوا يزورونه إلى اليوم، انظر:
Marmorstein, Rabbi Avrohom, (ed.), The Travel Letters of Rabbi Ovadiah of Bertinoro, p.11.

للباحث على اعتماد هذا المنهج التاريخي المقارن ما أمكن مستعينًا بالمادة الواردة في المصادر المعاصرة المتاحة الأخرى. وكان خطابه الأول قد ضم معظم المادة ذات الصلة بيهود القدس، إلا أن الخطابين الثاني والثالث بهما مادة إضافية ومكملة لها، صاغها ودرسها الباحث في نسيج واحد وبشكل متجانس. ويوضع في الاعتبار أن عوبديا قد كتب خطاباته في الفترة الأولى من اتخاذه للقدس وطنًا، وقبل أن تترسخ أقدامه فيها، الأمر الذي يظهره رجلا أجنبيًا، ومن ثم احتاجت لتقييمها الرجوع إلى مصادر معاصرة عديدة أخرى.

ولأخيرًا، وقبل الخوض في دراسة الجوانب المختلفة في رحلة عوبديا، نلحظ بداية أنها لم تخل من مادة جغرافية، قد تكون غير ذات قيمة في عصرنا الحالي، لوفرة ودقة مصادرها، إلا أنها تتضمن خط سير الرحلة[١٠] وكثيرًا من ملامح الجغرافية العامة للمجتمعات التي مر بها، كما رأتها عيناه. فعندما شرع في الرحيل من نابولي؛ كان قد نما إلى علمه أن الطريق المباشر، بين البندقية Venice والأراضي المقدسة حيث القدس، معطل. وقد لبدى عوبديا أسفه على ذلك قائلاً (إذ كان ذلك لن يجعلني أقضي مدة طويلة في هذه الرحلة[١١])، وهذه العبارة تكشف بوضوح أن القدس كانت هي الهدف من الرحلة دون غيرها، ولو توافر لدى صاحبها الوسيلة التي تبلغه إياها ما اضطر إلى سلوكه الطريق الذي طاف به المجتمعات الأخرى، حيث تنقل في رحلة الذهاب انطلاقًا من نابولي، بمدن باليرمو Palermo الواقعة في شمالي جزيرة صقلية، مرورا بمضيق ميسينا Messina شمال شرقي المدينة، فجزيرة رودس Rhodes وبرحها، إلى الأسكندرية ميناء الدولة المملوكية الأول. وما لبث أن عزم عوبديا على الرحيل إلى القاهرة في إطار رحلته إلى القدس، في رحلة ثانية، ومنها شق طريقه في صحبة إحدى القوافل إلى فلسطين، حيث مر بالخانكة وبلبيس التي ذكرها باسمها العبري جوشن Goshen، فبلدة الصالحية فبلدة قطيةQatiah على بحيرة البردويل، فالعريش (سكوت Succoth) وفقا لرسمها العبراني، فبلدة غزة فالخليل التي ذكرها باسم حبرون Hebron وخرج منها حيث بلغ هدفه المنشود القدس، في مارس ١٨٨٩م، وآثر أن يذكرها ببيتنا المقدس Our Beis Hamikdash[١٢]. وعلى أية حال، كان القدر الذي لدى عوبديا من معلومات جغرافية كافيًا لشرح خلفيات موضوعاته التي تناولها في خطاباته، ولرسل بها إلى ذويه، وهي معلومات لا يأتي بها في العادة سوى الرحالة من خلال رحلاتهم.

أما إذا انتقلنا إلى الحديث عن أبعاد الرحلة وجوانبها المختلفة، وفيما يتعلق بالبعد السياسي؛ فقد أتت خطابات عوبديا بمادة سياسية مبعثرة، ولكنها مهمة، ولما كان الدين هو

[10]) عن خط سير الرحلة انظر: الخريطة الخاصة بذلك عقب الدراسة.

[11]) Obadiah, op. cit., p.243.

[12]) Obadiah, op. cit., pp 210.215.222.223.232– 236.

القاسم المشترك في كل ما يعني اليهودي المتدين، ويعد عوبديا نموذجًا؛ فنلحظ أن العادة الخاصة بالجوانب السياسية في الخطابات ممزوجة بالدين، ومصطبغة به إلى حد كبير، إذ تتضح النزعة الاستيطانية عنده فيما اعتقد فيه، حيث ربطها بفكرة المسيح اليهودي، والاثني عشر سبطاً المشتتين في الأرض التي تقوم على أساس أنه من أجل الوصول إلى إعادة بناء مملكة الله في الأرض، أن ينادي المسيح تلك القبائل في منفاها للتجمع، بغرض التوجه إلى أورشليم، وهناك ينصبونه ملكاً على عرش الملك داود[١٣].وفي ذلك يقول: (غدا يقال: إن مجد قيهود الغابر في طريقه الآن إلى صحوة عظمى؛ كما أخذت أعدادهم في التزايد مرة أخرى من جديد). ولما كان لجبل صهيون بالقدس، Mt. Of Zion ، مغزىً دينيٌ وسياسي خاص باليهود منذ القدم؛ رأت عينا عوبديا جانباً من يهود القدس وقت وصوله إليها، فسجل أنهم حرصوا على سكنى هذا الجبل[١٤].

وحينما استقر عوبديا في مقامه بالقدس، حرص على الحديث إلى يهود هاجروا من اليمن، ونقل عنهم أساطيرًا تبدوا أنها تنتسب على الدين، ولا يمكن تصنيف ما أورده عوبديا في هذا الصدد إلا أنه من قبيل الأساطير التي زخر بها التراث اليهودي، إذ إنه أراد من خلالها الإشارة إلى الأسباط العشرة المفقودة، التي كانت تسكن مملكة يسرائيل الشمالية، التي أن لها أن تجتمع يومًا في القدس[١٥].وتنتهي دراسة تحليلية للشخصية اليهودية، وفكرها العام، إلى أن الأساطير تشكل جانباً أساسياً من البناء الأخلاقي والتركيب الفكري عند اليهود على مر تاريخهم[١٦]، ومن ثم فالأساطير التي أوردها كان لها بعدها السياسي، حيث تعكس الأصول القبلية قيهودية وشعور جماعتهم بأنهم الشعب الأثير والمصطفى والمبارك. كما

[13]) Johoson, Poul, op. cit., p.266.

[14]) Obadiah, op. cit., pp.236, 246.

[15]) إسرائيل كلمة عبرية تنطق يسرائيل وتعني (المتصارع مع الرب) وقد استخدمت للإشارة إلى النبي يعقوب عليه السلام ودولة يسرائيل القديمة.واستخدمت حديثًا للإشارة إلى دولة إسرائيل. انظر: غازي السعدي: الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٤، ص٣٢، ٢٨؛ أما السبي الآشوري لليهود فقد تم حينما توجه شلمنصر الخامس ملك آشور (٧٢٨ – ٧٢٢ق.م.) إلى السامرة، وحاصرها ثلاث سنوات حتى سقطت، ونقل يهودها إلى بلاد الرافدين، ثم أتم ابنه سرجون (٧٢٢ – ٧٠٥ ق.م.) هذا العمل، في حين دفع يهود يهوذا له الجزية ودانوا له بالولاء. انظر: بطرس عبدالملك وآخرون: قاموس لكتاب المقدس، مادتا: شلمنصر، سرجون.

[16]) Newman, E., Louis, Past Imperatives, studies in the history and theory of Jewish Ethics, State university, New York, 1998, p.101.

أكسبهم شعوراً بالتفوق وبحساساً بالتعاظم، وما جعلهم الرب شعبه المختار إلا لأنهم أولاده وأحباؤه، وهذا يضفي عليهم قداسة لعلاقتهم الوثيقة بالرب هم ومن يأتي بعدهم من نسل. وما ورد في الديانة اليهودية من تمييز لليهود كشعب له خصوصيته؛ أصبح معتقداً ينتقل من جيل إلى جيل، من خلال زعمائهم وكهنتهم[١٧] على نحو ما نقله عوبديا، مشكلاً حلقة في بناء الفكر الصوفي اليهودي المتوارث.

بذلك أكد عوبديا على وجود مهاجرين يهود تُوِّ إلى القدس متأخراً، أي قبيل وصوله إليها، مشيراً في الوقت ذاته إلى استمرار وجود جماعات عريضة منهم في اليمن، التي كان يحكمها ملك عربي نعته صاحب الخطابات بالتطف[١٨] كذلك أشار المستوطنون إلى أسرى اليهود الذين كانوا قد وقعوا في الأسر أثناء المعارك في أثيوبيا، وكانوا يباعون في القاهرة، حيث قابلهم هناك[١٩] وهو في طريقه إلى القدس. وكان عوبديا قد روى أهم الأحداث التاريخية ذات الصلة بالحرب التي شنها ملوك أثيوبيا المسيحيون بروح صليبية – وكان بادامريام (١٤٦٨ – ١٤٧٨م./ ٨٧٢ – ٨٨٣هـ.) أخطرهم – ضد اليهود الصدوقيين الذين لا يقدسون التوراة قدسية مطلقة. وينكرون التلمود[٢٠]، وهم الذين عرفوا فيما بعد باسم

---

[17]) فؤاد حسنين مزنر: أطماع قيهود، ص١١٨، ١٢٢.

[18]) Obadiah, op. cit., p.246.

كان ملك اليمن آنذاك هو السلطان المنصور عبدالوهاب بن داود الطاهري الذي توفي في ٨٩٤هـ./ ١٤٨٩م. فتولى من بعده الظاهر صلاح الدين عامر ولمعرفة المزيد عن عصرهما، راجع محمد عبدالعال أحمد: بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما (٦٢٨ – ٩٢٣هـ./ ١٢٣١ – ١٥١٧م.) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠م.، ص٢٦٨ – ٢٨٢.

[19]) Obadiah, op. cit., p.247.

[20]) الصدوقيون: فرقة رئيسية من فرق اليهود، ظهرت في العصر البطلمي، دعت إلى أن تقوم الدولة اليهودية في ذلك الوقت على التوراة مع مجاراة الواقع والظروف المحيطة، وعندما تدعو الظروف يُباح الاندماج بالأغيار، وهم لا يؤمنون ببعث ولا حساب. وقد قويت شوكتهم في عصر السيد المسيح، ولكنهم ما لبثوا أن اضمحلوا، انظر: عبدالجليل شلبي: اليهود واليهودية، الطبعة الثانية: أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٩٧، ص١٢٣، ١٢٤؛ كامل سعفان: اليهود تاريخ وعقيدة، دار الاعتصام، القاهرة ١٩٨٨م.، ص٢٠٦، ٢٠٧، أما التلمود فهناك تلمودان: أحدهما فلسطيني والآخر بابلي، وكلمة تلمود دون تحديد تشير إلى التلمود البابلي الذي يعتبر أكثر النصوص قداسة لدى اليهود والأرثوذكس. انظر: شاحاك، إسرائيل ومتسفينسكي، نورتون: الأصولية اليهودية في إسرائيل، ترجمة: ناصر عفيفي، الكتاب الذهبي، روزاليوسف، القاهرة، ٢٠٠١، ص٢١.

فلاشا[٢١]، حيث تم القضاء تقريباً على ذكرى إسرائيل في تلك الربوع، ذلك أن هناك مرسوماً استصدر ضد من بقي منهم يحظر عليهم ممارسة واجباتهم الدينية. وكانت آخر الحروب ضدهم وانهزموا فيها منذ أربع سنوات[٢٢]، مما أجبرهم إما على الهجرة أم التظاهر بالدخول في المسيحية[٢٣]، وهذه النكبات التي تعرض لها يهود أثيوبيا كانت مدعاة لاجترار عوبديا، وهو بالقدس، لذكرى الأحداث المؤلمة القديمة التي تعرض لها بنو ملته، وخاصة فيما يخص المرسوم الذي استصدره الملك السلوقي أنطيوخس الرابع Antiochus IV في عصر الحشمونيين Hasmoneans[٢٤]، (١٦٦ – ٣٨ق.م)، وربط بين الموقفين العدائيين ضدهم، مؤكداً على ثقافته التاريخية الخاصة باليهود.

أما عن القدس في فكر عوبديا الديني، فمن الواضح أن البعد الديني يشكل أهمية قصوى بالنسبة لليهود بعامة وعوبديا بخاصة، إذ يشكل الدين جزءاً عضوياً من تركيبته

---

[21]) محمد جلاء إدريس: يهود الفلاشا، ص١٦، ٢٢، ٣٤. وتخلص هذه الدراسة المتخصصة إلى أن كلمة فلاشا أي فلسين معناها الغرباء أو المهاجرون، ونعني في لغتهم "الجعزية": عبر أو هاجر. وفي العبرية تعني: غزا، اقتحم.وفي السمرونية تعني: نهب، سلب. وربما أخذت عن العربية من مادة فلس، والذي يتعامل به فلاش كناية على اشتهار اليهود بدورهم في مجال الصرافة. فهذه الأمور جميعها تتفق وطبيعة هذا الشعب. : ص٨٧، ٨٩.

[22]) Obadiah, op. cit., pp.238, 239, 247.

[23]) محمد جلاء إدريس: الفلاشا، ص٧٨ – ٨٠؛ صلاح عبداللطيف: صلاح عبداللطيف: الفلاشا، الخيانة والمحاكمة، الطبعة الأولى، مكتبة المدبولي، القاهرة، ١٩٨٦، ص٢٢، ٢٣.

[24]) Obadiah, op. cit., p.238.

أراد الملك أنطيوخس الرابع السلوقي أن تكون المعتقدات اليونانية هي ديانة كل الممالك الخاضعة لليونان بما فيها المناطق التي يعيش فيها اليهود، فشرع أغليهم، وأقاموا مذابح للآلهة اليونانية في بلادهم، بل وفي هيكل سليمان ذاته، وأحرقوا ما لديهم من أسفار التوراة، ونبذوا كل أحكام الشريعة، إلا أن طائفة منهم عرفت بالحشمونيين أو الميكابيين تمردت، وأعلنت الثورة، ونجح زعيمهم يهوذا الميكابي في الاستيلاء على أورشليم ورمم الهيكل، وأعاد بناء المذبح، وأخضع عبيداً من بلاد الفلسطينيين لسلطانه في الفترة الممتدة من عام (١٦٧ – ١٦١ ق.م.). واستقر الأمر بأن تولى الحشمونيون حكم بلادهم في ظل السيادة اليونانية. انظر ذكي شنوده: المجتمع اليهودي، ص٤٣٤ – ٤٣٦؛ ديورانت، ويل: قصة الحضارة، م٤، ترجمة: محمد بدران، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٦٨م.، جـ٣، ص١٥١.

الاجتماعية. ولذا كان من الطبيعي أن نلمس ذلك في أسطر الخطابات الثلاثة بل وبين ثناياها، بالرغم من أنها تعد من قبيل المعاملات للشخصية الأسرية، والمتوقع لها أن تنأى عن الأمور الدينية العميقة. فبادئ ذي بدء نلحظ حرصه على استخدام التاريخ بالسنة القمرية اليهودية[٢٥]، وربطه بعض الظواهر الطبيعية بالإسرائيليات[٢٦]. وتكتفي في هذا الموضع بذكر أحد نماذج العبارات الدينية التي حرص عوبديا على تضمينها خطاباته؛ فقد أورد في خطابه الثالث الموجه إلى صديقه التاجر اليهودي: (أرجو من الله أن يغمرك برحمته وبطول العمر، كما أرجو أن تنال شرف رؤية المقدسات والهيكل. آمين). وجاء في خاتمة الخطاب (ليس لدي اليوم يا سيدي جديد أخبرك به سوى أنني أفكر مليًا في قبور أسلافي المقدسة، وأصلي كل يوم في اتجاه الهيكل هذا الذي بيده السلام متطلعاً كالنهر، وبيته العادل الذي يملؤه السلام، هو الله الذي يباركنا في كل أعمالنا وفقاً لمشيئته ووفقاً لما يتمناه عباده[٢٧]). وبذلك جسد صاحب الخطابات الشخصية اليهودية التي تتصف بعمق التدين، فهو يؤدي الصلاة يوميًا مولياً وجهه شطر قبلة اليهود وداخل القدس، حيث يفضل الصلاة فيها عن أي مكان دونه في العالم[٢٨]، على أن أسلوبه هذا يعد أسلوباً معتاداً عند يهود ذلك العصر في الكتابة، إلا أن الأسلوب التعبيري عند عوبديا أكثر اصطباغاً بالدين.

نجد مناسباً الوقوف على دافع عوبديا الحقيقي نحو الهجرة إلى القدس، واتخاذها وطناً بديلاً عن فلورانسا، فقد خرج عوبديا مستهدفاً القدس، محفوفاً بعاطفة والده الجياشة، إذ كان بروز أحد الدارسين اليهود للعلوم الدينية، في أسرة ما، مدعاة للتباهي به بين أسر اليهود الأخرى[٢٩]، حيذا لو كان بروزه في مدينة القدس. ودلل عوبديا على ذلك في قوله

---

[25]) العام اليهودي علمٌ قمري يضاف إليه شهر كل أربعة أعوام حتى يتفق التقويم القمري والتقويم الشمسي. وتتحدث الأسفار عن أربعة تقاويم لبدأ بها العام: أول نيسان وهو التقويم الديني، أول أيلول، تدفع عشور الماشية، أول تشرين وهو التقويم المدني، وأول وملتصف شباط، لغرس الأشجار. وحينما يعد اليهودي شهور السنة، يبدأ بشهر نيسان أول شهور التقويم المعني. انظر: عبدالوهاب المسيري: موسوعة اليهود، جـ٥، ص٢٥٦؛ فؤاد حسنين علي: المجتمع الإسرائيلي حتى تشريده، جـ١، ص٩٢ – ٩٥.

[26]) Obadiah, op. cit., p.224.

[27]) Ibid p. 250.

[28]) حسن ظاظا: الفكر الديني الإسرائيلي – أطواره ومذاهبه، القاهرة، ١٩٧١م.، ص١٧١.

[29]) Horowitz, Elliott, Families and their Fortunes, : The Jews of Early modern Italy, in: Cultures of the Jews, 3 Parts, ed. by Biale, David, Schochen Books, (1st published U. S. A. 1999,

والده عند تركه وطنه الأصلي بالبرمو، حيث قدم وجهاؤها إليه عرضًا (لقد قرروا تقديم راتب كبير لي [مقابل البقاء فيما بينهم لإلقاء الدروس،) بيد أنني كنت أرغب فقط في الوصول إلى ما أبتغيه، تلك الأرض، أرض الميعاد (The promised land) ومن ثم يتأكد أن القدس هي الهدف الأساسي لرحلته. كذلك سبق عوبديا عبارة ذكر فيها: (غدًا يقال: إن مجد اليهود تفاخر في طريقه الآن إلى صحوة عظمى، كما أخذت أعدادهم في التزايد مرة أخرى في القدس من جديد[٣٠]) وبعد عامين من وصوله القدس أبلغ أخاه بأن (أرض الميعاد غدت مهيأة للسكنى وإعادة إعمارها). ومن ثم كان عوبديا متأثرًا بالتراث التعبدي المترسب في وجدان اليهود جيلاً بعد جيل، وعليه كان القرار الذي اتخذه بالهجرة إلى فلسطين واستيطانها، في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، قد اتخذ صبغةً سياسية، على أنه كان مبكرًا بالنسبة للفكر الصهيوني[٣١] الاستيطاني الذي لم يتبلور إلا في العصر الحديث، وليس من المستغرب أن تصطبغ دافعيته الشخصية تلك بالسياسة، إذ إنها تواكب النزعات القومية التي سادت شعوب أوروبا في هذا العصر، عصر النهضة، حيث إن نزعته تسير في خط متوازٍ مع الدافع الديني الأصيل، لارتباطه بأرض إسرائيل Eares Israel[٣٢]، فقدم عوبديا بذلك نموذجاً للفكر

Part II (pp.573 – 638), p.579; Johnson, Paul, A History of the Jews, London, 1988, p.183

[30]) Obadiah, op. cit., pp. 214, 238.

[31]) صهيون: هكذا رُسمت في المعاجم، والاسم في الأصل عبري يعني قلعة، ويطلق على قدس اليبوسيين التي استولى عليها النبي داود عليه السلام، وجعلها عاصمة مملكته. واكتسب اسم صهيون على مر العصور معنى رمزياً يجسد تطلعات اليهود في إعادة ملكهم. وللاستزادة راجع: بطرس عبدالملك وآخرون: قاموس الكتاب المقدس، الطبعة ١٢، القاهرة، ١٩٩٩م.، مادة صهيون؛ ثم تبلورت هذه الأفكار ووضعت في نظرية سياسية عرفت بالصهيونية Zionism، حيث ظهر هذا المصطلح لأول مرة في ١٨٩٣م. على يد الكاتب الألماني نثان برمبوم Nathan Brembom. انظر: صوفي أبوطالب: المجتمع العربي، القاهرة، ١٩٧٠م.، ص٢١٨.

[32]) إرتس يسرائيل أي أرض إسرائيل وهي فلسطين كما يرى اليهود الذين يقولون أيضًا بوحدة الإله والشعب والأرض وحدة مقدسة، وهي الأرض المقدسة التي تفوق في قدسيتها أي أرض أخرى لارتباطها بالشعب المختار استنادًا إلى التلمود الذي ينص على أن (الواحد القدوس تبارك اسمه قاس جميع البلدان بمقياسه، ولم يستطع العثور على أية بلاد جديرة بأن تمنح لجماعة يسرائيل سوى أرض يسرائيل) ويرى حكماؤهم أن السكنى في هذه الأرض بمنزلة الإيمان وفقاً للتلمود (لأن من يعيش داخل أرض يسرائيل يمكن اعتباره مؤمنًا، أما المقيم خارجها فهو إنسان لا إله له) وأرض يسرائيل هي أيضاً أرض الميعاد عندهم، وقد ارتبطت شعائر الديانة اليهودية بأرض الميعاد ارتباطاً كبيرًا، فهي الأرض التي

اليهودي المستنير وكان عدم عودته إلى إيطاليا دليلاً على تبلور فكرة المواطنة في القدس لديه، ومن هنا تأتي أهمية دراسة نتاجه الفكري من خلال خطاباته.

كذلك نلحظ أن معبد اليهود، سيناجوج Synagogue، يشكل ركنًا أساسيًا في اهتمامات عوبديا، وهذا يتضح في مراحل رحلته المختلفة ومنذ البداية، لما كان يقوم به المعبد اليهودي من دور محوري في حياة اليهود[٣٣]. وكان مسئولو القدس يهتم عادة بتبيان التفاصيل الخاصة بتوجه الأبنية نحو الشرق، حيث المدينة المقدسة، وبموضع تابوت العهد The Ark of Covenant[٣٤] أقدس مكونات المعبد الذي بداخله لفائف الشريعة[٣٥] – وتضم الخمسة أسفار الأولى من التوراة[٣٦] – وزخارفها، ولا يفتح التابوت إلا في المناسبات العامة، وكثيرًا ما يغطى هذا الجزء من المعبد بما يسمى باروخيت (ستارة)، وقد وُشيت ببعض الرموز الدينية، ويشعل أمام التابوت مشعل أزلي معروف عند اليهود باسم

سيعود إليها اليهود ليقيموا أمجادهم من جديد، وللوقوف على المزيد راجع: عبدالوهاب المسيري: موسوعة اليهود، جـ٥، ص٧٨ – ٨٢، انظر أيضاً:
Johnson, Poul, A History of the Jews, p.266.

[33]) Obadiah, op. cit., p.211.

[34]) يقال إنه صندوق صنعه موسى بأمر الله تعالى، طوله ذراعان ونصف، وعرضه ذراع ونصف، وارتفاعه ذراع ونصف. وكان مصنوعا من خشب السنط ومغشى بصفائح ذهب من الداخل ومن الخارج، ويحيط برأسه إكليل من ذهب فوقه غطاء من ذهب نقي. وكان المنوط بحراسته وحمله أناس من اللاويين Levites، وكان في التابوت الوعاء الذي يحتوي على المن، وعصا هارون، ولوحا العهد. وكان عليهما وصايا الله العشر، ثم وضع بجانبه كتاب التوراة. وعندما سكن داود عليه السلام أورشليم نقل التابوت إليها على خيمة من الجلال، فبقي هناك إلى أن بُني الهيكل. ثم وضع التابوت في الهيكل. إلا أن التابوت لم يكن في الهيكل الثاني. غير أنه ليس من المعلوم هل أُخذ عندما نهب البابليون أورشليم أو اختفى؟ انظر: بطرس عبدالملك وآخرون : قاموس الكتاب المقدس، مادة: تابوت العهد.

[35]) مخطوط الأسفار الخمسة الأولى من التوراة، ولابد أن يقوم بكتابته كاتب خاص وفقا لقواعد محددة على قطع من الجلد المجلف تخاط الواحدة بالأخرى لتكون لفافة طويلة، يثبت طرفي اللفافة على عمودين من الخشب، وتحفظ في تابوت الشريعة، ولا تخرج إلا للصلاة أو للمناسبات قهامة، ويحمل للخروج به إلى المصلين. انظر: غازي السعدي: الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، دار الجليل للنشر ودراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.، ص٧٠.

[36]) وهي: سفر التكوين وسفر الخروج وسفر اللاويين وسفر العدد وسفر التثنية.

(مينوراه)[٣٧]. وحرص عوبديا أيضا على سرد تفاصيل خاصة بالملصقة الخشبية تيباه The Theba، وهي التي يقف عليها المرتل الحزان[٣٨] لإدارة صلاة جماعية يوم للسبت Sabbath وفي الاحتفالات[٣٩]. ولفت للنظر أن عوبديا كان يهتم في العادة بما يميز معابد سفارد Saphards[٤٠] لما فيها ما يخالف المعابد الخاصة باليهود الأشكيناز، مما يثبت أنه كان أشكينازيا. وبالنسبة للقدس، فقد أدرك عوبديا أهميتها الدينية بالنسبة لجميع معتنقي الديانات السماوية، وقد عبر عن ذلك في خطابه الثاني لأخيه حيث قال: (وإني هنا حيث القدس يأتي الناس من مصر ودمشق وحلب، ومن بلاد أخرى ليسجدوا بين يدي الله وفي حضرته)، وهو بذلك يكاد يردد ما يذهب إليه المسلمون من أن للقدس الشريف معظم عند جميع المسلمين، واليهود، والنصارى، ومكان زيارة لهم أجمعين، وإنما اختلافهم في أماكن للزيارة منه. وفي موضع آخر ذكر عنها (إنها القدس، وبالرغم من الدمار الشديد الذي لحق بها، فإنها ما تزال تضم ....) وأخذ بعد أهم ما رآه، والذي يمثل أهم معالمها الدينية بالنسبة

---

[37]) عبدالوهاب المسيري: موسوعة اليهود، جـ٥، ص٢١٩ – ٢٢٠، ويضيف أن كلمة المينوراه تستخدم للإشارة للشمعدان الذي يوجد في كثير من المعابد اليهودية بصفة خاصة، وهو يشير إلى الشمعدان الذهبي ذي الفروع السبعة الذي كان يوجد منه داخل هيكل سليمان عشرة شمعدانات ذهبية فضلاً عن شمعدانات أخرى فضية، وللشمعدان معاني رمزية عديدة، ومنها أنه يشير إلى قدرة الله وعدد أيام خلق الأرض، ويتخذ المتصوفون من شمعدان المينوراه رمزاً لأفكار صوفية معقدة، وتتخذ دولة إسرائيل حالياً من شمعدان المينوراه ذي الأفرع السبعة شعاراً رسمياً لها. راجع أيضاً: غازي السعدي: الأعياد والمناسبات: ص٨٨.

[38]) لفظة تطلق على الموظف المكلف بإمامة اليهود في الصلاة، وعليه أيضاً الإشراف على الغناء، والوعظ والخطابة، ويشترط فيه الإلمام بأحكام التلمود. انظر: عرفة عبده علي: مالف فيهود في مصر الحديثة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١م ، ص٢٢٧.

[39]) Obadiah, op. cit., p.211 ; c.f also: Meek, H. A.,The Synagogue, p.70.

[40]) كلمة سفارد كانت تشير إلى مكان شمال فلسطين نفي إليه اليهود بعد السبي البابلي، وفي العصور الوسطى اكتسب معنى للكلمة بحيث أصبحت تدل على يهود أسبانيا والبرتغال، كما انتشر السفارد في فترات مختلفة عرقياً وفكرياً في الأراضي المنخفضة وإنجلترا وإيطاليا وفرنسا، وبصفة خاصة في البلقان و تركيا وشمال أفريقيا بعد ملسمة الاضطهادات التي تعرضوا لها على يد ميسيحي أسبانيا التي وصلت ذروتها بطردهم منها عام ١٤٩٢م.، وهم يتحدثون لهجة أسبانية محرفة تعرف بلهجة اللادينو Ladino. وللمزيد راجع: جمال حمدان: اليهود أنثربولوجيا،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ١٩٩٨م. صفحات متفرقة؛ عبدالوهاب المسيري: الأقليات اليهودية، ص٩٣.

لليهود[٤١] أولهما: ما أسماه معبد سليمان Salomonos Temple أي المسجد الأقصى، وقبة الصخرة، حيث أشار إلى أن السلطات المملوكية عادة ما تمنع اليهود من الدخول إلى محيط الحرم. وقد توهم وجود تابوت العهد أسفل القبة[٤٢] الشرقية. وقد رد د. طالب اليهودي بعضاً من كلمات عويديا هذه عن الحرم ذاكرًا أنه (ممنوع للمسلمين فقط بالدخول إليه[٤٣]). ونخلص مما أورده عويديا، والكتابات اليهودية المعاصرة له أنهم آثروا أن يروا الحرم القدسي الشريف على أنه هيكلهم الأول المباد، والذي كان قائمًا ما بين عامي (٩٦٨ - ٥٨٧ ق.م) حيث كان قبلتهم وإليه حجهم[٤٤]. وعليه فإن قدس الأقداس بعد أقدس مقدسات اليهود، وهو عبارة عن مبنى حجري بلا نوافذ، يضم تابوت العهد، وهو يرمز عند اليهود إلى كلام الله. ويعتقدون في أن روح الإله تحل في هذا التابوت، وكان يفصل قدس الأقداس عن بقية الهيكل باروخيت وسلسلة من الذهب، ولم يكن يدخله سوى كبير الكهنة في يوم الغفران ليتلوه باسم الإله (يهوه). وقد كان محرمًا عليهم أن تطأه أقدامهم، حتى لا يدوسوا على الموضع المقدم لقدس الأقداس عن طريق الخطأ[٤٥]. ولكن خرج من بينهم مؤخرًا من ادعى تحديد موقعه بدقة ومن ثم حق لليهود دخول منطقة الحرم[٤٦]. وعلى ذلك يمكننا تفسير عدم

---

[41]) Obadiah, op. cit., p.246;
العمري (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م.) شهاب الدين أبوالعباس بن فضل الله: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ج٥، دولة المماليك الأولى، تحقيق: دوروثيا كرافولسكي، الطبعة الأولى، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.، ص١٢٤.

[42]) Obadiah, op. cit., pp.235-239
وما من شك أن القبة المذكورة هي قبة مسجد الصخرة المشرفة، وهي الصخرة المشهورة عند المسلمين، ويبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب حوالي ثمانية عشر مترًا، وعرضها إلى الغرب ثلاثة عشر مترًا، أما ارتفاعها فيبلغ مترًا واحدًا، وقد يصل إلى مترين في بعض الأجزاء. وتغطيها قبة واسعة تم بناؤها في عهد الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان عام ٦٩١م./ ٧٢هـ. وهي على شكل مثمن حيث يمثل كل ضلع عشرين مترًا وارتفاعه عشرة أمتار. انظر: سيد عبدالمجيد بكر: أشهر المساجد في الإسلام - البقاع المقدسة، جدة، ١٩٨٠، ص١٢٩؛ سليمان فتوح: اليهود والقدس، دراسة تاريخية للادعاءات الصهيونية وممارستها في المدينة، زهراء الشرق، القاهرة، ١٩٩٧، ص١٧.

[43]) A Student's letter, p.92.

[44]) العمري: المصدر السابق، ص١٢٤.

[45]) غازي السعدي: المناسبك والأعياد، ص٧٩- ٨١؛ زكي شنودة: المجتمع اليهودي، ص١٧٢ - ١٨٢.

[46]) عبدالوهاب المسيري: موسوعة اليهود، جـ٤، ص١٦٥- ١٦٦.

قدرة عويديا وغيره من اليهود على الدخول إلى محيط الحرم وتخطي أسواره. وفقاً للمحاذير المعاصرة، ففي الواقع كان حظرًا يهوديًا، قبل أن يفرض عليهم من قبل المسلمين الذين يستندت تحفظاتهم على قدسية الحرم.

أما فيما يتعلق بمعبد اليهود الحقيقي بالقدس، والذي يمكن تمييزه في كتابات عويديا خلال إشارته إليه بأنه سيناجوج Synagogue، فيذكر أنه: (معبد مؤسس على أعمدة مرتفعة متقاربة ومظلمة، ولا يدخله الضوء إلا عن طريق الباب، وفي وسطه عين ماء، ويوجد في ساحة المعبد، وقريبًا جدًا منه المسجد[٤٧]). وفي الواقع لم تعثر عند المعاصرين على شيء يلقي الضوء على هذا المعبد وبمراجعة للكتب المتخصصة في الجنبة لليهود نجد فيها ما يبصرنا بهذا المعبد، إذ ورد في أحدها أنه في فترة العصور الوسطى ومنذ القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري، كان بالقدس مجمع لمعابد اليهود يضم في حقيقة الأمر أربعة منها وهي: معبد الياهو هانافي Ellahu Hanavi، ومعبد إسطنبولي Istemboli، ومعبد إمشناي Emtsai، وأخيرًا معبد يوحنان بن ذاكي Yahanon ben Zakai. ويُعد الأخير أهمهم وأكبرهم حجمًا. وكان مجمل أوصافهم يتفق مع ما ذكره عويديا عنه؛ من أنه مظلم ولا يصله الضوء إلا عن طريق الباب[٤٨] مما يوحي باستمرار بقائه حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادي. ولنا أن نلحظ في هذا الموضع أن عويديا لم يهتم بذكر التفاصيل الخاصة بهذا المعبد بالرغم من أنه المعبد الواقعي لليهود القدس فترة استيطانه لها، وآثر أن يخلط بين الحرم القدسي وهيكل سليمان الذي لا وجود له، مما يعكس فكره، علما بأنه أدرك هو ذاته تهدم الهيكل، وسجله في خطابه الأول[٤٩].

وفي القدس؛ اهتمت خطابات عويديا أيضًا بوصف مزيد من معالمها الدينية، حيث تحدث عن بوابات القدس، وخلط بينها وبين بوابات الحرم الشريف، كما اهتم أيضًا بالإشارة إلى الحائط الغربي باعتباره جزءًا- من الهيكل المزعوم، وهو الحائط الذي عرفه اليهود، فترة ما بعد عويديا بحوالي جيل، باسم حائط المبكى، وسماه اليهود بذلك لأن الصلوات حوله تأخذ شكل عويل ونواح، في حين يسميه المسلمون العرب حائط البراق، لأن الرسول محمد عليه

ولمعرفة المزيد عن فلسفة تحريم اقتراب اليهود من تابوت العهد، راجع: جورجي كنعان: تاريخ يهود، ص١٥٦- ١٥٨.

[47]) Obadiah, op. cit., pp.239, 240.

[48]) Obadiah, op. cit., pp.239, 240; Sed- Rojne, Gohielle, L'art Juif, c, L'art et les grandes civilisations, Paris, 1995, p.603.

[49]) انظر العبارة التي أرخ فيها لمعبد بن عزرا بالقاهرة ونص فيها على (أن بناءه يعود إلى ثمانية وثلاثين عاما قبل تدمير المعبد الثاني. راجع:
Obadiah, op. cit., p.231.

الصلاة والسلام، ربط دابته ليلة الإسراء عنده[٥٠]، كذلك أشار الخطاب الأول إلى معالم عمرانية حيث وصف قلعة القدس الرئيسة، برج داود David's Tower، وعين إسلوان – سلوام – Siloam) كذلك شكلت الأضرحة و القبور لليهود الأقدمين جاذبًا مهمًا من خطابات عوبديا، بيد أنه خلط أيضًا بين بعضها وبعض مقابر المسلمين السابقين، حيث بقيع القاهرة ومقابر ملا[٥١]. والملاحظ أن زيارات عوبديا لم تكن جزافية، حيث استهدفت شخصيات تجسد طموحاتهم في السيادة ومن ثم لنا أن ننظر إلى هذا الطرح من قبل عوبديا في ضوء حركة التصوف اليهودية، فيما يخص العقيدة الشعبية في الارتباط بالأولياء والصديقين، كوسيلة لربط الأمة اليهودية بطقوسها و تقاليدها في فترات الشتات اليهودي من أجل إقامة مجتمع يهودي متماسك، ومن أجل الاتصال اليهودي في شتى البلاد[٥٢]. ومن ثم فالإشارات التي اجتمعت لدى هذا المستوطن اليهودي، تؤكد على نزعته الدينية الغالب عليها حلم اليهود العام بتأسيس مملكة إسرائيل من جديد. الأمر الذي يحتم حرصه على القدوم للقدس، واتخاذها مهجرًا له يقضي به بقية حياته.

بذلك اجتمعت معالم مدينة القدس الدينية عند عوبديا، نموذجًا للفكر الديني لبني إسرائيل، والذي يتجه إلى الاعتقاد في أن الهيكل في بيت المقدس هو بيت يهوه، بمعنى مسكن الإله، وبذا صارت القدس مركزًا دينيًا لجميع القبائل العبرانية، وعبادة يسرائيل قربانية[٥٣]. ومن ثم غدت جديرة بأن توصف، من قبل عوبديا، بأنها المركز الإلهي الذي يميز قرياح في أرجاء الأرض[٥٤]، أو بالأحرى سرة الأرض. ولم تتوقف أهمية القدس بالنسبة لليهود، زمن هذا المستوطن على البعد الديني، إنما كانت المدينة بمثابة الركيزة الحضارية الوحيدة التي تجمع يهود العالم؛ ففي الوقت الذي التف فيه الكاثوليك، في الغرب الأوروبي، حول بابوية روما، والتف فيه المسلمون حول القرآن دستورًا، والكعبة مكانًا،

---

50) رشاد الأمام: مدينة القدس في العصر فوسيط، الدار التونسية للنشر، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.، ص١٨٧. يبلغ قحانط طوله ثلاثة وخمسين مترًا، أما ارتفاعه فهو تسعة عشر مترًا، كما يعرف أيضًا بالحائط الغربي.

51) Obadiah, op. cit., pp.240 – 241; فوانيمن الطيمي: الأنس الجليل، جـ٢، ص٦٢– ٦٤.

52) سوزان السعيد يوسف: المعتقدات الشعبية حول الأضرحة اليهودية، دراسة عن مولد يعقوب أبي حصيرة بمحافظة البحيرة، عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٧، ص١١١.

53) عبدالوهاب المسيري: موسوعة اليهود، جـ١، ص١٥٩.

54) Ibid, p.241.

والخلافة رمزًا، لم يجد اليهود على تشتتهم سوى ذكرى الهيكل، لتوحد هدفهم وفكرهم وأساس ترتكز عليه حضارتهم، حلقة وصل بين ماضيهم الغابر وحاضرهم الواقع.

ثمة بعد ثالث يمكن استنباطه من الخطابات، فيعد البعد الاجتماعي، عند عوبديا، أكثر الموضوعات أهمية، نظرًا لشدة اهتمامه به، ربما كان ذلك استجابة لطلب والده المباشر والواضح في رسالته التي بعث بها إلى ابنه، في نابولي، قبل مغادرته إياها إلى القدس ، حيث شمل طلبه أن يقدم له وصفًا لواقع حياة اليهود، وطبيعة علاقتهم مع الأهالي الآخرين، في كل البلاد التي سيرتحل إليها[٥٥]. ولم تكن نزعة الوالد بمنأى عن الدين، وذلك في ضوء إحدى الدراسات التي خلصت إلى أن : الديانة اليهودية تتألف أساسًا من مجموعة روابط اجتماعية تجمع قلوب أعضائها وتنظم سلوكهم، بغرض توثيق الحرى وشد الأواصر ولولها : الارتباط بالأرض[٥٦]. والمادة التاريخية في الخطابات، بصفة عامة، تصنف جماعة اليهود داخل المجتمع المملوكي في صورتين مختلفتين؛ الأولى تعتمد بشكل أساسي على العقيدة، أما الثانية فتقوم على أساس التصنيف العرقي الإثنوغرافي، بين أشكنازي (Ashkenaz) وسفاردي (Saphardim) بما فيهم المارانو (Maranos) ثم الفلاشاه. والتقسيم الذي استخدمه عوبديا له حدود دلالية واضحة، نظرًا للتداخل بين عناصره، الأمر الذي يجعل من استخدامه بشكل مدقق أمرًا صعبًا، فليس كل ما هو شرقي سفاردي، وليس كل أشكنازي بالغربي. وقد اقتصر حديث صاحب الخطابات، بشكل صريح، على هذين الصنفين من اليهود. أما الصنف الثالث وهم المارانو الذي أشار إليه أيضًا، فما هم إلا سفارد تحولوا عن يهوديتهم إلى المسيحية؛ ومن ثم فهم لا يخرجون عن إطار التقسيم الثنائي ذاته. أما حينما تطرق إلى يهود الحبشة واليمن ويهود الهند. فقد قرنهم بموطنهم في هذه البلاد. وعليه فإن صاحب الخطابات لم يلتزم بنهج واحد في الإشارة إلى يهود العالم في عصره، فتارة يشير إليهم بعنصرهم العرقي : أشكناز (اليهود الغربيين) وسفارد (اليهود الشرقيين)؛ وتارة بموطنهم : يهود القاهرة ويهود القدس ويهود الحبشة واليمن والهند.

على ذلك يميل الباحث إلى التصنيف الاجتماعي لليهود المبني على العقيدة؛ فقد اتخذ عوبديا من يهود القاهرة محورًا لحديثه عن مجتمعاتهم في الدولة المملوكية، بصفة عامة، بما فيهم يهود القدس، حيث كان طائفة الربانيين (Rabbinites)[٥٧] أو التلموديين،

---

55) Obadiah, op. cit., p.209.

56) عبدالوهاب المسيري: موسوعة اليهود، جـ١، ص٣٣٤، ٣٣٥.

57) Obadiah, op. cit., p.225.

يطلق عليهم أيضاً (الربيون) والاسم مشتق من كلمة (ربي) أو (ربني) المأخوذة عن كلمة (ربانيم) العبرية، ومعناها الأمام ، الحبر ، الفقيه، وقد وردت هذه الكلمة في القرآن

الصدارة العددية، ويليهم طائفة القرائيين (Karaites)[58] ثم طائفة السامريين (Samaritans)[59] وهم الأقل عددًا والأكثر ثراءً من بين اليهود[60]. فقد زعمت كل طائفة منهم أن المذهب الذي تعتنقه هو الأصل والأكثر اقترابًا من أصول الديانة اليهودية، ولم تحظ طائفة الربانيين بحيز وافر من الاهتمام في الخطابات من الناحية الاجتماعية، في حين استحوذ القرائون والسامريون بفقرات طويلة في الخطابات، إذ حرصت على إبراز أهم ملامح عقائدهم ومجتمعاتهم، ومن ثم النواحي الاجتماعية التي تميز اختلافاتهم عن طائفة الربانيين باعتبار أن عوبديا وذويه من الربانيين، ولذا لا حاجة إلى إلقاء الضوء عليهم. وشملت المقارنات التي عقدها كاتب الخطابات في هذا الشأن نواحي مثل: العقيدة والصلاة والصوم، ومدى قدسية يوم السبت، وتحريم الخمر، والتعامل مع الموتى والتقويم العبري. وسجل عوبديا في هذا الشأن : أن يهود القدس القرائين اختلفوا مع يهود طائفتهم القاهريين في طريقة حساب عيد رأس السنة راش هاشناه Rash Hashanah ، وأن يهود القدس نجحوا في فرض طريقتهم في التقويم على جميع القرائين في الدولة المملوكية[61]. وعليه

الكريم: سورة المائدة: آية ٤٤. والربانيون أشهر الطوائف اليهودية وأكثرها عددًا في التاريخ القديم والحديث على السواء. انظر: قاسم عبده قاسم: اليهود في مصر ، ص٤٤.

58) الكلمة مشتقة من المصدر "قرا" نظرًا لأنهم لم يأمنوا بغير (المقرا أو المقروء) وهي التوراة وشروحها التي لم يعترفوا بغيرها من كتب اليهود، ومن ثم فهم لم يتقيدوا بما جاء في التلمود، انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١٣، ص٢٥٨. وكانت طائفتهم قد انشقت عن الربانيين منذ القرن الأول الميلادي،ويتأكد هذا الانشقاق على يد عنان بن داود هاقاص في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي، وكانت لهم عناية فائقة بعلوم اللغة والفلسفة والفقة. انظر: عبدالوهاب المسيري: الأقليات اليهودية، ص٩٨؛ انظر أيضًا: عرفة عبده علي: ملف اليهود، ص٢٣٧

59) وهم أتباع السامري الذي جاء ذكره في القرآن الكريم: سورة طه: آية ٨٥ التي تفسر بأن المقصود بالسامري هو الرجل الذي صنع العجل الذي عبده بنو إسرائيل حين ذهب موسى عليه السلام لموعد ربه، وقد ترجع نشأة طائفتهم إلى ما بعد تدمير مملكة إسرائيل على يد ملك آشور (تجلت بلاصر) ٧٣٨ ق.م الذي أخلاهم من بلادهم السامرة (نابلس)، وحل محلهم قوم مفسدون. وربما يرجع أصلها إلى أيام السبي البابلي ٥٨٦ ق.م. حين بنى السامريون هيكلهم فوق جبل جرزيم في فلسطين. انظر: سيد قرج راشد: السامريون واليهود، دار المريخ، الرياض ١٤٠٧هـ. – ١٩٨٧م.، ص ١٥ – ١٧، ٢١ – ٢٥.

60) Obadiah, op. cit., pp.227, 231.

61) Obadiah, op. cit., pp.227, 231;
اللفظة هي المعنى العبري لرأس السنة الذي يجتمع اليهود على الاحتفال بها في شهر تشرين فحسب، ومع ذلك فحساب السنة يبدأ عند اليهودي بشهر نيسان أول التقويم

يكون القرائون في مصر قد خضعوا للقرائين في القدس بشكل أو بآخر، مع الأخذ في الاعتبار وجود اختلافات عديدة إضافية، بين القرائين والربانيين، في النواحي العقائدية، مما أدى إلى تباعد الفريقين بحيث امتنعوا عن الزواج بين أبناء الطائفتين، فضلا عن ما ساد من اختلافات في تحديد موعد الأعياد والمناسبات[62]. وبالرغم من هذه الاختلافات المذهبية، إلا أن الدولة تعاملت معهم جميعاً باعتبارهم يهودًا.

وهناك من يتهم السلطة المملوكية باضطهاد اليهود، ذاكرًا أنها وضعت محاذيراً عليهم كان أحدها : منعهم من العمل في الجهاز الإداري الخاص بالسلطان والأمراء[63]. وهو الأمر الذي لم نجد له صدىً في خطابات عوبديا، بل على العكس من ذلك. وفي هذا الصدد لنا أن ندرك القيمة الاجتماعية الواضحة من خلال سماح السلطات والمجتمع المملوكي لليهود، باعتبار يوم السبت عُطلة لهم لا يذهبون فيه للعمل، حتى لو كان عملاً خاصًا بهم، واحترموا قدسية هذا اليوم بالنسبة لهم على الرغم من كونهم أقلية[64]، في حين أخبر المستوطن اليهودي ولده بحالة اليهود الإجتماعية في المحطات الأوروبية التي مر بها، في صورة قاتمة تظهر فيها اليهود مطحونون مهانين وغالبيتهم من الفقراء، في حين أظهرهم في البلاد الإسلامية جزء من نسيج المجتمع المملوكي وما عزلتهم فيه إلا من قبيل رغبتهم في تمييز مجتمعهم دينيًا واجتماعيًا[65]. وبعد الوقوف على الأنماط الدينية والاجتماعية لطوائف اليهود

العدني، وبذلك فإن رأس السنة تبدأ في سابع شهورها. انظر: عبدالوهاب المسيري: موسوعة اليهود، جـ٥، ص٢٥٦ – ٢٥٩؛ يوسف عيد: موسوعة الأديان السماوية والوضعية، جـ٥، الديانة اليهودية ، الطبعة الأولى، دار الفكر اللبناني، بيروت ١٩٩٥م.، ص٨١.

62) ابن الوردي (ت ٧٥٠هـ./ ١٣٥٠م.) زين الدين عمر: تتمة المختصر في أخبار البشر، القاهرة، ١٢٨٥هـ.، ص١٠٢؛ ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ./ ١٣٥١م.) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبدالله شمس الدين: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، تقديم وتحقيق وتعليق: أحمد حجازي السقا، القاهرة، ١٣٩٩هـ./ ١٩٧٩م.، ص٢٥٧ – ٢٦٨.

63) Fargeon, Maurice, Les juifs en Egypte depuis las origines jusqu' à ce jour, le Caire, 1938, p.135.

64) Obadiah, op. cit., p.231.

65) Obadiah, Op. cit., p. 209 – 211, 215, 223.
يطلق عليهم أيضاً (الربيون) والاسم مشتق من كلمة (ربي) أو (ربانى) المأخوذة عن كلمة (ربانيم) العبرية، ومعناها الأمام ، الحبر ، الفقيه، وقد وردت هذه الكلمة في القرآن

بعامة في المجتمع المملوكي، كانت القاهرة نموذجا بما يندرج على طوائفهم في القدس أيضاً. ننتقل الدراسة إلى التفاصيل الاجتماعية الخاصة بهم فيها ، وهي المدينة التي جعل عوبديا منها مهجره ومستقره.

وفيها التقى بأحد الأشكيناز، عرفه بأنه الرايس يعقوب كولومبانو R. Jacob Colombano[٦٤] والذي كان قد تلقى تعليمه في إيطاليا، وتولى ضيافته لعدة أيام فور وصوله، وذكر عنها (القدس من أكثر المناطق المهجورة التي يعمها الخراب، وليست محتاجًا إلى أن أكرر الإشارة إلى أنها لم تكن محاطة بأية أسوار ... ومنازل القدس مبنية من الحجر وليس من خشب أو ملاط[٦٥]). ويلاحظ أن هذه الرؤية القبيحة للمدينة المقدسة تتشابه مع رؤية اليهود السابقين واللاحقين لعوبديا حين تسطير «لخطابك»[٦٦]، على عكس رؤية المؤرخ المسلم أبو اليمن العليمي، حين وصف المدينة آنذاك بأنها (مدينة عظيمة محكمة البناء بين جبال وأودية، وبعض بناء المدينة مرتفع على علو، وبعضه منخفض في وهد، وغالب الأبنية التي في الأماكن العالية مشرفة على ما دونها من الأماكن المنخفضة، وشوارع المدينة بعضها سهل و بعضها وعر، وفي غالب الأماكن يوجد أسفله أبنية قديمة، وقد بني فوقها بناء مستجد ... وهي كثيرة الآبار المعدة لخزن الماء، لأن ماءها يجمع من الأمطار[٦٧]) ومن ثم تلحظ تأثير العامل النفسي في إيجاد رؤية متناقضة لشئ بعينه، برغم أنها كانت مشاهدة عيان لأصحابها إذ حرص الرحالة اليهود على إظهار المدينة شاحبة خربة، مخالفين الواقع الذي كانت عليه المدينة في معظم عصورها.

ومما يؤكد على المعنى السابق – وهو تغلب العامل النفسي في التأثير على الكاتب – أن رأى عوبديا لأسواق القدس بوافقها عامرة بشتى أنواع السلع، وتعد أجمل ما رآه أثناء ترحاله، حيث توافقت مع رؤية معاصريه من المؤرخين المسلمين والمسيحيين، إذ وصفت بأنها تتألف من أربعة أسواق طولية وهي مقسمة إلى محلات بيع مختلفة، حيث الدكاكين الخاصة بالتجار ودكاكين الفنوانل وأسواق بيع الخضار. وفي إحدى هذه الأسواق كان المطعم

الكريم: سورة المائدة: آية ٤٤. والربانيون لشهر الطوائف اليهودية وأكثرها عدداً في التاريخ القديم والحديث على السواء. انظر: قاسم عبده قاسم: اليهود في مصر ، ص ٤١.

[٦٤] ويكتب برسم آخر: الرابي كابومانو Rabbi Capomano ، انظر:
Marmorstien, Rabbi Avrohom, (ed.), the travel letters of Rabbi Ovadiah, p.49.

[٦٥] Oabadiah, op. cit., pp.234, 236.

[٦٦] (Meshullam of Voltera, op. cit., pp.189, 194; A Student's Letter, pp.86, 91.

[٦٧]) أبواليمن العليمي: الأنس الجليل، جـ٢، ص ٥٠.

مطهيًا وكذلك بباع الخبز[٧٠]، وبصورة أكثر دقة سميت الأسواق بما تخصصت في بيعه: سوق القطانين وسوق العطارين وسوق الخضروات، وسوق القماش التي لم يوجد مثلها في كثير من البلاد[٧١]. وهكذا لم يتمكن عوبديا من أن يجد لنفسه مبررًا يفسر التناقض الذي وقع فيه في وصفه المدينة بالخراب وأسواقها بالبهاء والعمران.

أما عن أحوال اليهود الاجتماعية في المدينة، قبل وصول عوبديا، فكانوا يقدرون بثلاثمائة أسرة، ولكنهم أخذوا في التراجع تدريجيا حتى بلغوا سبعين أسرة، من بين أربعة آلاف أسرة يعيشون في حي خاص بهم، بجوار إحدى بوابات المدينة التي عرفت باسم بوابة اليهود[٧٢]. وكان ميشولام قد قدر أعدادهم – قبل سبع سنوات من وصول عوبديا إلى المدينة – بمئتين وخمسين نسمة، في حين قدر عدد الأهالي المسلمين بعشرة آلاف نسمة[٧٣]. وتتضمن الخطابات ملاحظة كاتبها وجود أعداد من الأشكيناز الغريبين فيما بينهم، مما يشير إلى وجود طائفة ربانيين بالمدينة. كما كان من اللافت للنظر أن يهود المدينة المقدسة يسكنون شوارع واسعة خاصة فوق جبل صهيون[٧٤]، وما يُضر منها أو يتهدم (لا يمكن إعادة بنائها مرة أخرى، إذ إن قانون الأراضي لا يعطي الحق لليهودي في إعادة بناء بيته الخرب دون ترخيص، وكان الحصول على تصريح بناء يكلفه في الغالب أكثر من ثمن البيت

---

[٧٠] (Obadiah, op. cit., pp.236, 237; Meshullam of Voltrea, op. cit., 191;
أبواليمن العليمي: الأنس الجليل، جـ٢، ص ٥٠.

[٧١]) أبواليمن العليمي نفسه.

[٧٢] (A student's letter, p.90.

[٧٣] (Obadiah, op. cit., p.229; Meshullam of Voltera, op. cit., p.189.

[٧٤]) وفي الواقع فإن منطقة صهيون عبارة عن هضبة نصف دائرية تقع خارج أسوار القدس جهة الجنوب، وفي كل مكان يقع في حيز هذا النطاق توجد صخور حادة وأكداس من الحصى، وتضم الهضبة كنيسة وديرًا للكاثوليك، وبها مقبرة داود عليه السلام، فضلا عن أهم جبانة لهم في الأرض المقدسة ومدافن قديمة ملكًا لليهود، انظر:
Burchard of Mount Sion, op. cit., p.67;
وقد اكتسب اسم صهيون على مر العصور معنىً رمزيًا يجسد تطلعات اليهود إلى إعادة ملكهم، انظر: بطرس عبدالملك وآخرون: قاموس الكتاب المقدس، مادة صهيون؛ الدليل الكتابي والسياحي للأرض المقدسة، ترجمة عن الإيطالية جوزيف حزيون، القدس، ١٩٩٨م.، ص٩٧، ٩٨.

نفسه[٧٥]). ولعل الفانون المشار إليه يقصد به الشروط المستجدة في القسم الثاني من الشروط العمرية. التي وضعت محظورات تمنع إعادة بناء دور العبادة أو المنازل لأهل الذمة، إذا ما تهالكت، بدون موافقة السلطات[٧٦] وكان من الطبيعي أن تتناقص أعداد بيوت اليهود كما لاحظ عوبديا، وذلك بناءً على ما ذكره سلفاً من أن أعداد اليهود تراجعت كثيرًا في المدينة حيث هجرها كثير منهم.

وكانت معاملة المماليك، على عهد سلطانهم قايتباي، لليهود بشقيها المادي والاجتماعي غير تكن مرضية لعوبديا، حيث أنظوا كاهلهم بالضرائب الباهظة، مساهمة منهم في المجهود الحربي، استعدادًا لمحاربة السلطان بايزيد العثماني[٧٧](١٤٨١ - ١٥١١م) إلا أنه هو نفسه أقر بأن ذلك جاء من خلال معاملة الشعب بصفة عامة، مسلمين ومسيحيين ويهود[٧٨]، وكانت المعاملة الأسمية لليهود بالقدس بسبب نير حكامها المحليين الظالمين، الذين فعلوا بهم فعلاً لم يسمع بمثله في الجاهلية..وبقي الناس في شدة شديدة ومحنة لم تعهد بالأرض المقدسة من قبل[٧٩]. وفضلاً عن ضمادهم احتبس المطر في عامي ١٤٦٩م و١٤٨٦م. مما أدى إلى غلاء فاحش في الأسعار، وساعد على ذلك تفشي وباء الطاعون عدة مرات ولفترات طويلة، بداية من عام ١٤٦٩م. ، وقيل إن عدد الذين كانوا يلقون حتفهم من جراء الطاعون، في اليوم الواحد، زاد على المئة. ومن ناحية ثالثة وردت أسراب كثيفة من الجراد إلى المدينة في عام ١٤٨٤م ، في موجات متتالية حيث أكل الشجر والكروم والزرع والخضراوات.وبلغ سوء الحال أشده حتى قيل في عام ١٤٨٩م. (وفيها اشتد الأمر بالقدس و الخليل وغيرهما وغلت الأسعار[٨٠]). وبذلك اجتمعت الأحوال السياسية وفساد الحكام وقسوة الطبيعة وانتشار الأوبئة عشية قدوم عوبديا القدس.

بمجرد سكوت عوبديا بين جماعة اليهود بالقدس، وضع يده على كثير من مشاكلهم في ظل المعاناة التي عاشوها في السنوات المنصرمة وسجلها، ومما لاحظه تناقص أعدادهم

---

[75]) Obadiah, op. cit., pp.232, 234, 236.

[76]) للماوردي (ت ٤٥٠هـ./ ١٠٥٨م.) : الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٣م.، ص٤٥؛ انظر أيضاً: قاسم عبده قاسم: أهل الذمة في مصر العصور الوسطى – دراسة وثائقية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧، ص٢٦- ٢٧.

[77]) أبوالمحاسن الطيمي: الأنس الجليل، جـ٢، ص٢٨٥، ٢٩٨، ٣١٨، ٣٢٤، ٣٢٩ – ٣٤٣.؛ Obadiah, op. cit., p.229.

[78]) Obadiah, op. cit., pp. 228–230.250.

[79]) أبوالمحاسن الطيمي: الأنس الجليل، جـ٢، ص٣٣٢.

[80]) أبوالمحاسن الطيمي: الأنس الجليل، جـ٢، ص٨٥، ٢٩٢ – ٣٣٢، ٣٣٩.

حيث بلغوا السبعين أسرة فقط (وكانوا من أشد الطبقات التي تعيش في القدس فقرًا)، وأرجع عوبديا ذلك إلى تفاقم الضرائب بسبب ما أسماهم الشيوخ The Elders[٨١].ونتيجة لذلك لم يبق بها سوى البؤساء من المسنين والأرامل اللاتي لاتجدن من يعولهن، وكان عدد كبير منهم من ألمانيا وأسبانيا والبرتغال وبلاد أخرى، إلى الحد الذي يبلغ إلى أن يكون عند النساء بالنسبة للرجال سبعة إلى واحد. (ونادراً ما توجد أسرة يهودية لا تعوزها الاحتياجات الأساسية).ولم تتوقف حالة اليهود في القدس عند هذا الحد من السوء الذي صوره عوبديا، حيث أسهب في الحديث عنها فيذكر (إن عديداً من اليهود ماتوا جوعًا إذ شوهدوا آخر مرة قبل يوم أو يومين من حتفهم يلتمسون الخبز الذي لم يكن في وسع أحد أن يمنحهم إياه، وفي اليوم التالي تم العثور عليهم موتى داخل بيوتهم. وعاش كثير منهم على أكل الميتة[٨٢]).

هكذا عاشت القدس محنة طالت جميع أهلها بما فيهم جماعة اليهود، بيد أن صاحب الخطابات ألقى بتبعة هذه الكوارث على شيوخهم بشكل أساسي، حيث أحدثوا فواجع من شأنها أن تسببوا في تغيرات داخل الجماعة اليهودية هناك، وخاصة فيما تمخض عن الإجراء الخاص بفرض المزيد من الضرائب، إذ أحدثت وقعًا مريرًا[٨٣]. ولم يكن عوبديا مبالغاً فيما ذهب إليه من اتهام شيوخ اليهود على هذا النحو اللاذع. وفي هذا الصدد يذكر إسرائيل شاحاك: (واليهود إن تمكنوا من سلطة مارسوا التعذيب والعنصرية حتى على أبناء

---

[81]) لقب شيخ له أصوله الدينية عند اليهود؛ فنظرًا لتضخم عدد كل من قبائلهم الاثنتي عشرة انقسمت الواحدة منها إلى عشائر يترأس كلاً منها شيخ، وتكون منهم مجلس الشيوخ ذائع الصيت بإسرائيل (الذين لعبوا دور الوسيط بين عشائرهم من ناحية وبين الحكومة الخاضعين لها من ناحية أخرى). انظر: زكي شنودة: المجتمع اليهودي، ص٢١٧؛ فؤاد حسنين علي: المجتمع الإسرائيلي، جـ١، ص١١٧.
ويلاحظ أن لفظة Presbytoroi (اليونانية) تعني شيوخ أو أحبار بني إسرائيل، في أماكن تواجدهم، عادة ما تترجم إلى لفظة Elders، فيصبح من المناسب أن يُعرفوا على أنهم شيوخ اليهود أو أحبارهم، وفي عصر المماليك لم يكن هذا اللقب مقتصراً على المسلمين إشارة إلى الرجل الطاعن في السن بل كان يطلق أيضًا على أهل الذمة من الكتاب وقصيارغة يهوداً ونصارى، انظر حسن الباشا: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، القاهرة ١٤٠٩هـ./ ١٩٨٩م.، ص٣٦٤- ٣٦٥.

[82]) Ibid, pp. 229, 234- 235, 237.

[83]) Obadiah, op. cit., p.229.

جنسهم)[٨٤]. وبذلك تتفق رؤية عوبديا مع الإصلاحيين اليهود في الفكر الإسرائيلي الحديث، وتبرزه رجلاً عقلانيًا غير متعصب.

وفي هذا الإطار سجل عوبديا عدة ظواهر اجتماعية تمخضت عن جرائم شيوخهم، فكان منها أن ترك ناجيد اليهود القدس إلى القاهرة، كما بارحها علماؤها وربيوها للنجاة بحياتهم، وكذلك اختفى عدد كبير منهم، مما أدى إلى تناقص عددهم عن ذي قبل نتيجة للهجرة بصفة عامة، بحيث لم يمكث بها سوى ربع أعدادهم تقريبًا، كما أدرك أن المشاكل أثرت بشكل أساسي على عنصر الرجال الأمر الذي أدى في المقابل إلى ارتفاع عدد ذوي الحاجة من النساء والمسنين الضعاف بعد أن ارتفعت نسبتهم إلى أن أصبحوا سبعة لعائلهم. كما بين لنا أن هذه العناصر جاءت من شبه جزيرة أيبريا بشكل أساسي، والواضح أن قرارهم بالهجرة إلى القدس أتى نتيجة للأوضاع السياسية المتردية التي سبقت سقوط غرناطة سنة ١٤٩٢م[٨٥]، وكذلك لما تمتعت به فلسطين من منزلة روحانية اجتماعية مميزة، ومكانة بارزة في الوعي اليهودي[٨٦]. وعليه يتبين مدى عمق نظرة عوبديا في الأمور، وتحليله لها بشكل يضعه في مرتبة متقدمة بين معاصريه من رحالة اليهود ، كما يتضح مما سبقه من مادة أنه يعد من أفضل الذين أرخوا لحركة اليهود الدولية وهجراتهم في حوض المتوسط، في أواخر العصور الوسطى.

ومما يسترعي الانتباه أن هناك جانبًا من الباحثين اليهود يحلو لهم تدارس ما حدث من مآسي ليهود القدس، في تلك الآونة، على أنه إجحاف من السلطات الإسلامية لجماعة اليهود التي تعيش في أقلية داخل مجتمع الإسلامي الكبير. والواضح أنهم نهجوا نهج عوبديا، فاتهموا الشيوخ والموظفين الرسميين الذين تولوا إدارة مجتمع اليهود بالقدس، بالتطرف والتحكم في كل كبيرة وصغيرة، فالفقير كان يتعرض لضريبة المسلمين التي لا ترحم، أما القادر منهم فكان يعامل بالطريقة ذاتها، ويضطر إلى ترك المدينة تحت وطأة الأعباء الثقيلة التي تلقى على كاهلهم[٨٧]. والملاحظ أن هؤلاء الباحثون قد تغافلوا عن فساد الإدارة

---

[٨٤]) شاحاك اسرائيل: التاريخ اليهودي، الديانة اليهودية وطأة ثلاثة آلاف سنة، ترجمة صالح علي سوداح، الطبعة الأولى، بيسان - بيروت، ١٩٩٥، ص١٩٣؛ زبيدة عطا: يهود العالم العربي، ص٥٥.

[٨٥]) A student's letter, p.84.

[٨٦]) أشيطبول، ميخال وآخرون: اليهود في البلدان الإسلامية (١٨٥٠ - ١٩٥٠م)، ترجمة جمال أحمد الرفاعي، مراجعة: رشاد عبدالله الشامي، عالم المعرفة، العدد ١٩٧، الكويت ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص١٢٩.

[٨٧]) Ginzberg Louise, Bertinoro, Obadiah (Yareh) B. AbraHam pp.108- 109.

وبستخراء الرشاوى، وقلة المطر وموجات الجراد وانتشار الطاعون والأوبئة، الأمر الذي أدى إلى انتشار المجاعات المتكررة في مجتمع القدس بعامة، وهو ما وضع عوبديا يده عليه وأدركه. وبالفعل تأثرت فلسطين بما تعرضت له مصر منذ مطلع القرن الخامس عشر الميلادي، لموجات متلاحقة من الأوبئة والمجاعات بلغت ست عشرة موجة[٨٨]. وكانت من أشدها موجة عام ١٤٨٧م التي شهد عوبديا مخلفاتها المدمرة في القدس حين وصوله إليها. وعليه فكان من الضروري على الباحثين المشار إليهم، أن يضعوا في الاعتبار المصادر التاريخية المختلفة التي تلقي الضوء على الأحداث في الشرق على حقيقتها، وعاشها عوبديا دون الوقوف على جميع مسبباتها. وثمة ملاحظة إضافية في هذا الشأن وهي: أن الموظفين الرسميين المشار إليهم ما كانوا إلا يهودًا من قادة المجتمع ذاته، فإذا ما كان هناك ظلم، فما هو إلا بمشاركة منهم وبصنع أيديهم.

على كل فمن تبعات الشدة التي شهدتها القدس على من بها من يهود: أن تحول معظمهم إلى متسولين، ومن شواهد ذلك أنهم حصلوا على منازلهم هبة من الأشكيناز كعمل خيري، كي تمكنها أرامل هذه الفئة. ولكن شيوخ اليهود قد حاولوا بيعها إلا أنه لم يكن في وسعهم ذلك نظرًا لأن ملكيتها تعود إلى الأشكيناز. فهم وحدهم لهم حق التصرف فيها[٨٩]. ويفهم من كلام عوبديا أن الأشكيناز الراغبين في العمل الخيري التزموا بنظام الوقف الإسلامي الذي عرفوه باسم (هقديش) شاملاً البيوت والعقارات، والذي كان يمثل مصدرًا هامًا لإيرادات الطائفة حيث يتم توجيهها إلى الفئة الفقيرة منهم. وكانت المحكمة الشرعية تتولى إدارته بصفة رسمية ملتزمة بالقواعد الإسلامية المتبعة مع الأوقاف أو الأحباس[٩٠]، وهذا يعني أن يهود القدس أفادوا من الأوقاف المقدمة من أثرياء اليهود لهم برعاية من السلطة الإسلامية[٩١]، في ضوء أن أوقاف اليهود كانت مرصدة لخدمة الأغراض الخيرية والدينية ومصالح الجماعة اليهودية، وفقًا لتعاليم التلمود بالنسبة للربانيين، ووفقًا لآراء الفقهاء عند القرائين والسامريين، وذلك انطلاقًا من المعبد، متأثرين في ذلك بدور المسجد في المجتمع الإسلامي. إذ إن المعبد هو مصدر الشرعية السياسية، ومصدر الدخل الاساسي للجماعة اليهودية، وهو في نهاية الأمر يشكل محور الهوية الاجتماعية اليهودية.

بذلك لم تكن المعابد اليهودية تستخدم للصلاة فقط، وإنما التف حولها اليهود في سكناهم، كما استخدمت في إيواء المسافرين والغرباء، بل والمعوزين أصحاب الظروف

---

[٨٨]) انظر: قاسم عبده قاسم: دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي، الملحق ص١٥٢: ١٦١ المتضمن جدولاً بسنوات المجاعات والأوبئة التي شهدتها مصر في هذه الفترة.

[٨٩]) Obadiah, op. cit., pp.235- 236; A student's letter, p.89.

[٩٠]) عرفة عبده علي: ملف اليهود، ص٢٤٦.

[٩١]) زبيدة عطا: يهود العالم العربي، ص٥٥.

الخاصة. وكانت تلك الخدمات تؤدى عن طريق عدد من الموظفين داخله، مما يعكس الطبيعة التآزرية للأقلية اليهودية، بغرض الرعاية الاجتماعية، والقيام بأعمال الخير، وافتداء الأسرى، وجمع التبرعات[٩٢]. وهذا كله يؤكد على أن المعبد لعب دورًا اجتماعيًا رئيسيًا في حياتهم اليومية فضلاً عن دوره الديني.

ولكن سرعان ما سجل عوبديا ما آلت إليه أوضاع القدس من التحسن حينما وصفها، وقد انعكس ذلك على ما يبدو إيجابًا عليه إذ ينكر (وبالنسبة لي فحقيقة ليس بداخلي أي ضغينة حيال هؤلاء الشيوخ على النقيض مما شاع عنهم، فقد أبدوا لي مزيدًا من اللطف والترحاب، وتعاملوا معي بكل حفاوة، وهذا ما أحمد الله عليه). وما لبث صاحب الخطاب أن رتب حاله في العامين التاليين بين هؤلاء الشيوخ من ناحية، وسلطات المملوكية من ناحية أخرى حتى تم تعيينه حاكمًا على اليهود من قبل النجيد[٩٣]، وهذا الإجراء كانت له دلالته، إذ كان يعني وجود منصب آخر لم يكن معروفًا منذ البداية، ألا وهو نائب النجيد – Vice Negid، ومقره القدس[٩٤]. وهذا المنصب أهل عوبديا لكي يكون طرفًا مهمًا في تأدية العمل الخيري فيما بين جماعة اليهود في القدس.

وهذا يتبين مما أبلغ به أخاه : من أن صاحوبل شاي أف كامبرينو [أحد أثرياء نابولي] قد أرسل له مبلغًا مائة دوكية بندقية، لتشغيلها، وربح هذا المبلغ، لاقتسامها بين الصرف على إنارة المعبد اليهودي والصرف على الفقراء. وعليه كان على عوبديا إدارة أموال واردة من يهود إيطاليا، نهوضًا بمجتمع اليهود في القدس، وتوزيع ما يصل من هبات عليهم. وفي هذا الشأن لنا أن نعتقد في أنه أفاد من النظام المالي المعاصر في هذا المجال، الذي يعتمد بين اليهود على الربا من خلال قروض تبلغ ربحيتها العشرة في المئة من قيمة رأس المال[٩٥]، ونجد شاهدًا على حدوث ذلك فيما ورد عبر قيام تجارة للأحذية يضطلع بها اليهود بين القدس والبندقية، في العقد الأخير من القرن الخامس عشر الميلادي[٩٦]. ومن المعتقد أن جهود

---

[92] Gotein, S. D., Jewish society, vol. II, pp.173 – 175; راجع أيضًا: قاسم عبده قاسم: اليهود في مصر ، ص٨٠، ٨١.

[93] Ibid, p.235, 247.

[94] Gotheil, Richard, Deutsch Gothard and other, p.12.

[95] Obadiah, op. cit., p.248; عبدالوهاب المسيري: الأقليات اليهودية، ص٢٧– ٢٨.

[96] Ashtor, History of the Jews in Egypt and Syria under the Rule of the Mamluks, Geniza documents, III vols., Jerusalem, 1970, (in Hebrew) Fragments from the Cairo Geniza, II, p.151; محاسن الوقاد: اليهود في مصر المملوكية، ص٢٠١.

عوبديا تلك أثرت إيجابًا على أفراد جماعته بالقدس، كما أضفت عليه مزيدًا من قوة النفوذ والتأثير عليهم.

ثمة إشارات مضيئة عن أوضاع يهود القدس، ومن ذلك أنهم ظهروا كحرفيين، إذ يذكر عوبديا وغيره من اليهود المعاصرين أنهم عملوا في حرف: صناعات الأحذية وسباكة المعادن والحياكة[٩٧] وتصفيف الشعر ودباغة الجلود وصباغتها، وإرشاد الأجانب في زيارتهم للأرض المقدسة من يهود صقلية المهاجرين[٩٨]. وما ينبغي التأكيد عليه أن التفت الحرفية اليهودية في القدس لم تكن فئات خاصة أو منعزلة، ولم يكن لهم نظامهم الخاص أو المستقل، إنما اندمجوا مع باقي أفراد الطوائف والمهن المختلفة، نتيجة أن الدولة تعاملت مع رعاياها من اليهود مثلما تعاملت مع رعاياها من المسلمين والمسيحيين، إذ تم تنظيم المجتمع المملوكي من الداخل في طوائف حرفية ومهنية تولاها النقباء، كانت مهمتهم تنظيم العلاقة بين الدولة وأبناء طوائفهم من ناحية إلى جانب تنظيم العلاقات الداخلية بين أبناء الطائفة من ناحية ثانية[٩٩]. كذلك نجد السلطان قايتباي والقضاء الإسلامي قد أنصفا اليهود القدسيين، ومنحهم قطعة أرض عند قبر داود عليه السلام، تنازعوا مع المسلمين والفرنج المقيمين في المدينة عليها في عام ١٤٨٩م، في الوقت الذي عاقبت جمهورية البندقية يهود إيطاليا بمنعهم من السفر إلى فلسطين واستخدام سفنها وموانيها[١٠٠].

والملاحظ أنه بالرغم من أن صاحب الخطابات، أثناء مروره بميناء باليرمو الإيطالي، حرص على تسجيل ملاحظاته بأن السلطات كانت تلزم اليهود وتهينهم بوضع علامة على ملابسهم، إلا أنه لم يسجل شيئًا من هذا القبيل عن يهود القدس أو اليهود في المجتمع الإسلامي بعامة، ذلك بالرغم من أن السلطات المملوكية كانت بالفعل تميز اليهود بملابس معينة في مجمل أنحاء الدولة؛ حيث فرضت عليهم اللون الأصفر لتمييز عمائمهم[١٠١]، كما تحدد اللون الأحمر للسامريين منهم، وتعين على نساء اليهود عمومًا الالتزام بالألوان نفسها، وأن تتنقل الواحدة منهن خفين من لونين متباينين، وكان ذلك لتمييزهن عن نساء

---

[97] Obadiah, op. cit., p.238.

[98] A student's letter, pp.86– 89

[99] قاسم عبده قاسم: اليهود في مصر، ص١٦٦.

[100] Obadiah, op. cit., p.243.249; Felix Fabri, op. cit., Tome III, p.745;

أبوالمحاسن الظاهري: الأنس الجليل، جـ٢، ص٣٠٠ وما بعدها.

[101] Mashullam of Voltera, op. cit., p.163; القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١٣، ص٢٦٢

المسلمين[١٠٢]. ويفهم من ذلك أن تمييز المسلمين لليهود بعلامات وملابس ليس إلا تنظيمًا للمعاملات معهم، وليس من قبيل التمييز العنصري. وعندما تطرقت الخطابات إلى معاملة دولة المماليك لليهود، كانت واضحة، حيث نصت على (في الواقع إن اليهود ليسوا مضطهدين من العرب في هذه المناطق، فقد ارتحلت [بشهادة عوبديا] داخل هذا البلد طولاً وعرضاً، ولم تر ضع في طريقي عقبة من أحد منهم، وإذا ما وجدوا عصبةً من اليهود مجتمعة لا يزعجهم هذا في شيء ومن السهل على أي رجل يهودي ذكي، متمكن من العلوم السياسية، أن يرتقي إلى أن يصبح رئيسًا سواءً لليهود أم للعرب على حد سواء[١٠٣]). كذلك أدلى تلميذه بشهادته فقال (ولعدة مرات سب المسلمون المسيحيين، لكنهم لم يتلفظوا بكلمة عن اليهود، لذلك لا أعرف لماذا لا يعيش اليهود هنا) أي في القدس وغيرها. كذلك امتدح الطلب الدليل المسلم الذي رافقه في الطريق إلى دمشق دونًا عن الأدلاء المسيحيين واليهود الآخرين. ومن ناحية أخرى، وعندما تطرق إلى ما كانت السلطات تفرضه من عقوبات على المتخلفين في دفع الأموال المقررة كضريبة (وفي هذا المقام فإن السلطة التركية تتعامل على حد سواء مع اليهود والمسيحيين والمسلمين[١٠٤]). ولكانت للنظر أن هذه الشهادات مجتمعة كانت في عصر السلطان الأشرف قايتباي، المعروف بشدة بأسه وإمساكه بيد من حديد على الحكم في البلاد.

وأخيرًا كان لعوبديا نظرته الشمولية على الأوضاع الاجتماعية ليهود القدس، وغيرها من الأقاليم المملوكية، أثناء إقامته فيها، فيذكر أنه من السهل على اليهودي أن يزداد ثراءً، كما أن حرية الحركة والشراء والتعهد مكفولة له كيفما شاء، ويضيف قوله: (وكثيرًا ما نجد أن لليهود اعتادوا أن يقدموا لأنفسهم على أنهم من الفقراء في البلاد العربية، ويبدون أنفسهم صعاليك ومتسولين، وهم ينتقلون بين العرب، في حين أنهم لا يبدون الشفقة والإحسان كل حيال الآخر[١٠٥]). ويفيد أحد المراجع، المتخصصة في دراسة المجتمع اليهودي، أنهم بالفعل يتصفون على مر تاريخهم بالجشع وعبادتهم للمال، فهم يسعون إليه بكل حيلة. كما يتصفون بقدرتهم على الرياء والنفاق، والحرص على التقرب إلى ذوي السلطان، لنيل أغراضهم ثم التآمر عليهم، ويتزلفون بالشكوى والبكاء، ويتظاهرون بالضعف والمسكنة، ليستدروا عطف الآخرين، ويخفون شرورهم. ولم يتوقف الأمر عند انتباع ذلك مع غير اليهود، إنما اعتادوا

---

[١٠٢]) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١٣، ص ٣٦٢ – ٣٦٥.

[١٠٣]) Obadiah, op. cit., p.235.

[١٠٤]) A student's letter, pp.78, 80, 90.

[١٠٥]) Obadiah, op. cit., pp 223, 228.

أيضًا أن يحيكوا المكائد بعضهم ضد البعض الآخر، ويثيروا الفتن[١٠٦] وهذا ما نجسد بالفعل لعوبديا أثناء إقامته بين يهود القدس، وعليه يفترض أن تكون رؤيته منقحة وصحيحة لحيدته المبنية على كونه غريبًا عن مجتماعتهم الشرقية، كما أنه في النهاية واحد منهم . وليس هناك ما يدعوه إلى تقديم شهادة مغلوطة أو مغالية عن مكرهم وتحايلهم.

أما عن البعد الرابع الذي يمكن تمييزه في الخطابات، فيتعلق بإدارة مجتمع اليهود بالقدس، وفيه نخلص إلى أن الشارع اليهودي يمثل وحدة اجتماعية بل وإدارية، كل سكانها من اليهود ذوي طباع خاصة، وهم يعيشون داخل مساكنهم، تحيط بهم الأسوار التي تحميهم داخل شارعهم. كما تغلق عليهم بوابة لا تفتح إلا في الصباح ولا يتنسى فيما بينهم مسلم. ويتعرض خطاب الطالب اليهودي إلى وجود حي خاص لليهود في القدس، وهم يمتلكون مفتاح البوابة المؤدية إليه. وفضلاً عن إشارة عوبديا إلى حي اليهود أو حارتهم في القدس، لم يسجل وجود حارات تخصهم إلا في ثلاث مدن إسلامية أخرى : حيث الأسكندرية والقاهرة وطليل[١٠٧]. وإذا ما كان يهود المجتمع الإسلامي قد اعتادوا سكنى حارات تخصهم، فشأنهم في ذلك هو شأن حارة النصارى وحارة الروم ودرب البرابرة بالقاهرة، تصنيفًا قائمًا على الدين أو العرق، وكذلك حارة النحاسين والمغربلين والعطارين والفحامين، انطلاقاً من أن أصحاب الحرفة الواحدة كانوا يرتبطون ببعضهم بعدة أواصر، حتى وإن اختلفت ديانتهم؛ إذ كان أرباب الحرفة الواحدة يتمركزون جغرافيًا في مكان واحد يعرف باسم الحرفة، وإن كانت الطبيعة التأثرية للأقليات قد حكمت اليهود، بحيث كانوا يشكلون جماعات صغيرة داخل المدن التي سكنوها، فإنهم لم يكونوا نسيجًا اجتماعيًا خاصًا يختلف عن النسيج الاجتماعي العام، وإنما كانوا جزءًا عضويًا من هذا النسيج الكلي[١٠٨]. ومن ثم يكون عوبديا قد رصد مظهرًا اجتماعيًا وإداريًا له مدلوله وأسسه. ألا وهو الجيتو Ghetto اليهودي في

---

[١٠٦]) وقد قدمت الدراسة المذكورة فصولاً تتشرح فيها صفات اليهود وأخلاقهم على مر العصور مبرهنة على ذلك من خلال عشرات الإشارات إلى ما ورد عنها في أسفار التوراة ذاتها مجسدة ومؤكدة لما وصلت إليه من نتائج. راجع ذلك في: زكي شنودة: المجتمع اليهودي، ص٣٢٣، ٤١١.

[١٠٧]) Obadiah, op. cit., p.p 221.249; A student's letter, p.89; قدم عوبديا هذا الوصف الذي هو أقرب ما يكون لوصف الجيتو لحي طائفة المسيحيين بمدينة الإسكندرية، ومن ثم فوصفه يندرج على جيتو اليهود.

[١٠٨]) قاسم عبده قاسم: اليهود في مصر، ص٢٤، ٢٧، ١٠٠، وقد خرصت هذه الدراسة (ص٦٣ – ٦٥) على الدليل على عدم وجود (جيتو حرفي) لليهود في مصر؛ وهذا يتبين من خلال انفتاحهم على المجتمع نتيجة تنقلهم في حرف مختلفة جنبًا إلى جنب مع المسلمين والمسيحيين.

شكله، فترة العصور الوسطى، على اعتبار أن الجيتو هو الحي المقصور على إحدى الأقليات الدينية أو القومية[١٠٩] باعتبار أن مفهوم الشارع اليهودي، أو حارتهم، تعدل مفهوم الجيتو في أوروبا. وفيه برز اليهود جماعةً وظيفيةً وسيطةً تضطلع بمهنة التجارة والربا، ذلك أنهم أجادوا فنون التجارة بحكم ما اتصفوا به من طباع وقدرة على المساومة والخداع. كذلك يذكر لهم التاريخ مهارتهم في مجال استثمار الأموال وأعمال الصيرفة والاشتغال بعمليات الرهون والقروض بالربا الفاحش، إذ كانت الشريعة اليهودية تمنع اليهود من أخذ الربا من أبناء ملتهم، بينما تبيح لهم ذلك مع الغرباء[١١٠]. ومما دعم حجة اليهود إلى شارع يضمهم : مجموعة العلاقات والتقاليد المرتبطة بالدين، ومن ناحية أخرى كانت حارتهم أو شارعهم يشكل مسألة حيوية بالنسبة لليهود أنفسهم، لا يضمن بقاءهم وحسب، إنما كفل الحفاظ على هويتهم. وعلى ذلك يمكن القول بأنه لم يكن هناك جيتو مهني خاص باليهود في القدس، بمعنى أن المجتمع لم يعزلهم ويحدد نشاطهم وعملهم في مهن أو حرف حقيرة باعتبارهم أقلية منبوذة، إذ احتل يهود المدينة المناصب الرفيعة والوظائف الحساسة المهمة، حتى إن زعماءهم حملوا لقب الشيخ توقيرًا واحترامًا لهم. وهذا كله إن دل على شئ فإنما يدل على القدر الوافر من التسامح الذي أبدته السلطات المملوكية تجاه اليهود.

وعن الجهاز الإداري لمجتمع اليهود بالقدس : يتحدث عوبديا عن رجل حمل لقب النجيد Nagid يتخذ لنفسه من القاهرة مستقرًا، ثم رئيسًا على كل اليهود الذين يخضعون تحت سيادة سلطان مصر، ويدعى الرابي ناثان هاكوهين – Nathan Ha-Cohen (1483 1502م.) وأشار إلية عوبديا مرة أخرى حاملاً لقب أمير اليهود، وامتدحه لكرمه في استقباله في القاهرة وتعيينه نائبًا له على يهود القدس، مما أهله للسكنى في مقر النجيد هناك. ومن مجمل ما ذكره المسئولون يمكن تحديد اختصاصات وظيفة النجيد أو نائبة في أنه يأتي على رأس اليهود في مجمل الدولة المملوكية، ومن ثم يقوم باستقبال اليهود الغرباء،

---

[109]) عبدالوهاب المسيري: موسوعة اليهود، جـ٤، ص٢٨٨؛ إن أكثر الاقتراحات قربًا من الواقع التي تفسر كلمة (جيتو) هو ذلك الذي يعود بالكلمة إلى كلمة بورجيتو الإيطالية التي تعني قسمًا صغيرًا من المدينة. ويعود تاريخ الجيتوات إلى الإمبراطوريتين الإغريقية والرومانية. وفي عام ١٠٨٤م. كانت تشير إلى حي اليهود الذي تحيطه الأسوار العالية، ولم يتبلور هذا المصطلح تمامًا إلا في عام ١٥١٦م. حينما أطلقت كلمة جيتو على حي اليهود في البندقية. انظر: عبدالوهاب المسيري: الأقليات اليهودية: ص٠ ٤. وهناك من يذهب إلى أن يرجع نظام الجيتو إلى عهد يوسف عليه السلام حينما اتفق أخوته على سكنى أرض جوشن (بلبيس) شرقي النيل مؤثرين العزلة هناك عن التعايش مع أهل مصر. راجع: محمود نعناعة: مرجع سابق، ص١١٨.

[110]) زكي شنودة: المجتمع اليهودي، ص٥٠٢– ٥٠٣.

كما فعل ناثان مع عوبديا وكما فعله عوبديا عندما استقبل تلميذه وأخباه بالقدس عام ١٤٩٥م[١١١]. وللنجيد كل السلطة التي للسلطان على اليهود، وبإمكانه معاقبة وسجن أولئك الذين يقدمون على مخالفة مراسيمه، وكانت وظيفته تقتضي المحافظة على ترابط الجماعة والقيام بدور الوسيط بينهم وبين السلطات المملوكية[١١٢].

ولتنظيم مجتمع يهود القدس؛ تطلب ذلك من عوبديا تشكيل فريق عمل يتألف من عدد من الموظفين، عُرفوا في التاريخ اليهودي باسم (الجاؤونيم Cohanim) (ومفردها جاؤون)، وهو لقب يشير إلى الرفعة والعظمة والاحترام، وهم يشكلون صفوة المجتمع اليهودي ويمثلوا فئاته المختلفة، وفي العادة يكونون علماء وفقهاء، وانطلاقًا من هذه المكانة أعدوهم شيوخهم أو زعماءهم الدينيين، فقد لهم سلطة الإشراف على السلوك الديني والأخلاقي لليهود، وشئون الزواج والطلاق، وتعيين أو إقالة الخطباء والحزانين والجزارين الشرعيين، ومراقبة أعمال المحاكم الشرعية وتحديد صلاحيات القضاة الشرعيين، وكانت قراراتهم في الأمور الدينية والإدارية نافذة. وكان النجيد يختار منهم وكلاء محليين يتولون الإشراف نيابة عنه، على كل ما يجري داخل طائفة اليهودية.[١١٣] وكان لكل عائلة وكيل يمثلها في مجلس الطائفة بعد موافقة السلطات المملوكية، وفي حالة وفاة أحد الشيوخ، يمكن توريث منصبه للابن[١١٤]. هذا وقد استندت سلطة هؤلاء الموظفين (الجاؤون) على عدد من الرجال لضبط الأمن، وتنفيذ الأحكام والأعمال الإجرائية[١١٥].

وعلى الرغم من أن النجيد يتعين عليه أن يكون ربانيًا؛ إلا أنه كان يمارس الإشراف على النشاط الديني لمختلف الطوائف اليهودية : من قرائين وسامريين، من خلال وكيلين عنهما. ومن اختصاصات النجيد أيضاً تعيين القاضي الخاص بكل طائفة الذي كان ينتخب من بينهم أفراد ، ويصدق النجيد على الاختيار[١١٦]. وله الحق في صياغة القوانين التي تحكم حياة طوائف اليهود في الدولة[١١٧]، وله أيضاً اختصاصات تنفيذية؛ فله الحق في توقيع العقوبات مثل الجلد والسجن ، وتحديد مستويات أعضاء الجماعة وثرواتهم لتقرير قيمة الضرائب، ويشرف على جمع التبرعات وتوزيعها على ذوي الخير المختلفة ، كما كان

---

[111]) A student's letter, p.86.

[112]) Obadiah, op. cit., p.229.

[113]) عرفة عبده علي: ملف اليهود، ص٢٣٩– ٢٤٠.

[114]) Ashtor, , op. cit., II, p.390.

[115]) Johnson, Poul, A History of the Jews, p.183.

[116]) Meshullam of Voltera, op. cit., p.172.

[117]) Obadiah, op. cit., pp.229, 242;

أنظر أيضاً: محاسن الوقاد: اليهود في مصر المملوكية، ص٢٧٣، ٢٧٦.

يقوم بالحفاظ على الأمن بشكل عام[118]. على هذا النحو يلاحظ لوجه الشبه بين وظيفة كل من رئيس يهود البرناسيم Parnasem في المجتمعات اليهودية الأوروبية، ووظيفة النجيد في مجتمعات اليهودية داخل المجتمع الإسلامي، إلا أنه من مجمل ما أورده عوبديا عن وظيفة رئيس اليهود في الحالتين، يتبين أنه ميز بين اللقبين علمياً، فلا تمنع تجيد القدس أو القاهرة بحرية أكبر حيث أطلق له السلطان المملوكي العنان، في حين ظل قرينه الأوروبي مكبلاً بالقيود الصارمة التي يضعها الحاكم.

وفيما يختص بالضرائب التي كانت تفرض على اليهود المقدسيين، فقد تناولت الخطابات ضريبة كان على الوافدين إلى القدس دفعها عند بواباتها، سواء القادمون من يافا بحراً أم القادمون من جهة مصر براً، وكانت الأولى أقل قيمة من الثانية. أما اليهود المقيمون داخلها فعليهم أن يدفعوا كل عام اثنين وثلاثين قطعة فضية، بما يعادل دوكية بندقية واحدة ونصفاً، وفقاً لتقدير الطالب اليهودي[119]. وهذه كانت بمثابة الجزية التي كانت تفرض على أهل الذمة من اليهود والنصارى، داخل المجتمع الإسلامي، سواء في القدس أم غيرها من بلاد، وكانت تعرف باسم ضريبة الرؤوس أو ضريبة الجوالي. ويتضح من خطابات اليهود أن سلطات المملوكية لم تكن تراعي التدرج في دفع الجزية عند جماعة اليهود، وفقاً لمستوياتهم المعيشية في عصر السلطان قايتباي، كما كان متبعاً في الدولة الإسلامية سابقاً، كما كان شيوخ اليهود يتعسفون في جبايتها[120] كما كان على اليهودي المقدسي أن يشارك في دفع مبلغ إجمالي خمسين دوكية سنوياً إلى نائب [السلطنة] بالقدس، بغرض الحصول على تصريح لصنع الخمر التي تعد شراباً مفيضاً عند كل العرب، ويتم تحصيلها بشكل تدرجي في مستويات ثلاثة، وفقاً للمستوى المعيشي لدى كل فرد يهودي. وفضلاً عن هذه الضرائب الأساسية هناك ضرائب قد تفرض بشكل أستثنائي أشار عوبديا إلى إحداها وكانت لصالح المجهود الحربي ضد الدولة العثمانية . وهناك من الأدلة ما يشير إلى أن عوبديا تدخل، بحكم منصبه، لدى السلطان قايتباي لأستصدار مرسوم يقضي بتخفيض الجزية التي تفرض على يهود القدس، مع جعلها ضريبة رأس وليست ضريبة إجمالية[121] هذه الرؤية اليهودية

---

[118]) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٣، ص٢٥٠.

[119]) مع بدايات العصور الوسطى كانت الخمسة وعشرون ديناراً فضياً تعدل ديناراً رومانياً ذهبياً واحداً. انظر: زكي شنودة: المجتمع اليهودي، ص٥٣٣.

[120]) Obadiah, op. cit., p.242.

[121]) Obadiah, op. cit., pp.223, 242; A student's letter, p.90.

Obadiah, op. cit., pp.224, 242, 247, 248; A student's letter, p.90.

المزعجة، لوضع يهود القدس الضرائبي، ينبغي إخضاعها للواقع العام الذي كانت عليه دولة الجراكسة، التي طالما فرضت الضرائب بأنواع عدة على مجمل المجتمع في الدولة.

وفي الفقرات الآتية : تتناول الدراسة ما أورده صاحب الخطابات فيها عن عادات يهود القدس وتقاليدهم، وكذلك أشكال الطقوس والشعائر المميزة لكل جماعة، استناداً إلى العقيدة المذهبية التي ينتمون إليها أو البيئة التي يعيشون فيها. وهذا في مجمله يضع ملامح الفكر اليهودي، مما صبغ حياتهم اليومية بما يميزهم عن غيرهم في إطار الدين، فقد رصد عوبديا عادات اليهود وتقاليدهم من خلال حياتهم اليومية، مظهراً بعض الاختلافات فيما بين مجتمعاتهم في الدولة المملوكية مقارنة مع مجتمعه الأشكينازي الغربي ،كما سجل أحياناً تشابهات فيما بين مجتمعاتهم، داخل دولة المماليك، مقارنة مع جماعاتهم في القدس ومصر. وبداية سجل ملاحظاته بشأن خصوصية يوم السبت عند يهود الشرق، بصفته العنصر الموحد الثابت الذي يلم شمل عامة اليهود، كما عرض للطقوس الجنائزية عندهم، وفيه لاحظ أن الميت كان يلف في كفن و يدفن في تابوت[122]. وبذلك يمكننا القول إن عادات الدفن السفاردية متشابهة مع عادات الدفن البسيطة عند المسلمين، وهذا أمر طبيعي نظراً لتزوج بعض هؤلاء السفارد أصلاً من مجتمع الأندلس الإسلامي. ويميز عوبديا يهود السفارد بما لهم من عادات خاصة في الاحتفال بعيد الغفران Day of Atonement[123]. وكان المعبد اليهودي هو محور الاحتفالات والأنشطة التي تميز حياة اليهود في كل نواحيها. وكان القراؤون منهم يحرصون على دخوله بدون حذاء ويجلسون داخله إما على حصير أو سجاد مخالفين الربانيين الذين كان عوبديا واحداً منهم، مما لفت انتباهه لهذه العادة فسجلها[124].

---

[122]) Obadiah, op. cit., p.218; غازي السعدي: الأعياد والمناسبات، ص٤٧ - ٤٨، ٦٤.

[123]) هو ترجمة للمسمى العبري (يوم كيبور) وهو يوم صوم، ويعد أهم الأيام المقدسة عند اليهود على الإطلاق، حيث جعلوه عيداً، ويقع في العاشر من تشرين آخر أيام الغفران العشرة التي تبدأ بعيد رأس السنة، وتنتهي بيوم الغفران، ويعرف أيضاً بيوم (سبت الأسبات) ويحتفل به بمناسبة نزول موسى عليه السلام فيه من سيناء للمرة الثانية ومعه لوحا الشريعة حيث أعلن أن الرب غفر لهم خطيئتهم في عبادتهم للعجل الذهبي. راجع:

Ben- Sasson, H. H .op. cit., p.53;

انظر أيضاً: عبدالوهاب المسيري: موسوعة اليهود، جـ٥، ص٢٦٥.

[124]) Obadiah, op. cit., p.222; Meshullam of Voltera, op. cit., pp.159, 161.

وبذلك يتشبه القرائون بالمسلمين، مما يؤكد على أن المجتمع المملوكي وحدة واحدة تشمل جميع عناصره الدينية.

اعتاد اليهود حينما يدخلون إلى القدس على شق ثيابهم؛ وترجع أصول عادة شق الثياب عند دخولهم القدس إلى أن أجدادهم كانوا كثيري الصخب في أحزانهم، ويعبرون عن ذلك بدق الصدر وشق الثياب، ويفعلون أنفسهم بالرماد، ويرتدون المسوح المصنوعة من نوع خشن غليظ من النسيج[١٢٥]. كذلك نقل صاحب الخطابات إلى ذويه وصفه لترتيب يهود القدس مائدة العشاء ليلة السبت، فهم يجلسون في حلقة فوق سجادة في ضيافة أحدهم، الذي كان عليه أن يفتتح المأدبة بذكر افتتاحية اليهود قاديش Kaddish[١٢٦]. وتفيد التفاصيل التي أتى بها عوبديا أن مراسم المأدبة ترتكن إلى تقاليد دينية متأصلة، فضلاً عن التأثر بالمجتمع الإسلامي في بعض جوانبها، حيث الجلوس على الأرض وترأس رب البيت، أو المضيف، المائدة وما إلى ذلك.

ومازال صاحب الخطابات على عهده مع والده، يطعم بعادات اليهود في الشرق، حيث يضيف: (هناك عادة أخرى تخص اليهود في البلاد العربية، ففي يوم الجمعة يذهب الرجال للاستحمام، وفي أثناء غيابهم تأتي لهم النساء بالخمر حيث يشربون حتى الثملة، ويطلقون كلمة معينة مؤذنة بأن وجبة العشاء جاهزة، وذلك في فترة بعد الظهر، على أن تكون قبل العشاء، ومن ثم فعلى الجميع أن يأتوا إلى المعبد في ثوب قشيب ونظيف[١٢٧]). وهكذا يثبت عوبديا أن الأفكار التي ذهب إليها قرايي إبراهام بن موسى بن ميمون (كان نجيد مصر في القرن الثالث عشر الميلادي) القاضية بإلزام اليهود بالاغتسال قبل دخول المعبد - قد وجدت سبيلها للتطبيق[١٢٨]، بدليل تسجيل المستوطن إياها، مع ملاحظة تشبه اليهود بالمسلمين في اغتسالهم قبل الصلوات، والذي يدعم ذلك حدوثه في يوم الجمعة، وهو اليوم الذي يتطهر فيه المسلمون بالاستحمام قبل الصلاة أيضًا. ويبلغ الأمر أن حرم على اليهود دخول المعبد دون

---

125) Obadiah, op. cit., p.234; A student's letter, p.86.

126) قديش كلمة آرامية تعني (مقدس)، وهي كلمة يذكرها اليهود في مواضع مختلفة؛ إما على طعام، وإما في الصلاة وغيرهما، وفي هذا الموضع فهي تشير إلى تقليد متبع حيث يتم ترديد القاديش قبل تناول طعام العشاء في يوم السبت، أو يترنم بها الحاخام أثناء الطقوس التي تؤدى في مساء يوم الجمعة. انظر:
Ben – Sasson, H. H., op. cit., pp.277 – 278.
هذا وقد وردت الكلمة برسم (قدوش) في دراسات أخرى متخصصة في تاريخ اليهود، انظر على سبيل المثال: عرفة عبده علي: ملف اليهود، ص٢٤٦.

127) Obadiah, op. cit., p.221.

128) Ashtor, op. cit., II, pp.373- 374.

تطهر، وكان اليهودي المخالف لذلك يتعرض لعقاب شديد[١٢٩]. وبصدد الصلاة أيضًا، تميز يهود القدس بعادة إقامة صلاة المنشا ليلاً عن غيرهم من الأوروبيين والمصريين الذين كانوا يؤدونها بعد الظهر. كما أثنى على التزامهم المتقن في أداء الخدمة اليومية من صلوات وتسبيحات، وحرصهم على أدائها مبكرًا بساعة أو ساعتين عن غيرهم من اليهود.[١٣٠]

أما عن أعياد اليهود ومناسباتهم الدينية في القدس، وغيرها من البلاد الإسلامية، فيذكر عوبديا منها : عيد البوريم Purim أو عيد الفوز، ويتحدد بالثالث عشر من شهر آذار، ويبدأ بصوم يسمى (صوم أستير) ويستمر حتى الخامس عشر من الشهر نفسه.[١٣١] كما أشار المستوطن إلى عيد شابوعوت Shabouth ويعرف أيضًا عند سائر اليهود بعيد الحصاد، ويقع في اليوم السادس من شهر سيوان الذي هو الشهر الثالث في الشهور العبرية. وقد حمل المسمى المذكور لأنه يجرى بعد الانتهاء من حصاد القمح.[١٣٢] وهناك أيضًا عيد الفصح Passover، وترجع تسمية Passover إلى عبور موسى (عليه السلام) البحر، ولها مدلولات أخرى أهمها عبور الشتاء وحلول الربيع محله، وهذا امتزجت مناسبة نجاة شعب إسرائيل من العبودية في مصر بفصل الربيع، وغدا يحتفل بها كل عام، ويبدأ هذا العيد في الخامس عشر من نيسان (إبريل - مايو) ويستمر سبعة أيام بالنسبة لليهود داخل فلسطين، وثمانية أيام خارجها[١٣٣]. كما أشار عوبديا إلى عيد رأس السنة، الذي يحتفل به اليهود في الأول والثاني من شهر تشرين من كل عام (سبتمبر - أكتوبر) ولمدة عشرة أيام، على اعتبار أنها أيام التكفير[١٣٤]. وهناك أيضًا عيد الغفران أو يوم (كيبور أو التكفرة) فهو يصادف اليوم العاشر من تشرين، ووجب صومه على الرجال والنساء والأبناء بصفته أكثر أيام اليهود قدسية.[١٣٥] ولليهود مزيد من الأعياد لم يذكرها عوبديا في خطاباته.

---

129) زكي شنودة: المجتمع اليهودي، ص٢٠١.

130) Obadiah, op. cit., pp. 221-222, 236;
وللوقوف على مزيد من تفاصيل صلوات اليهود، راجع: عبدالوهاب المسيري، موسوعة اليهود، جـ٥، ص ٢٢٧ - ٢٣٠.

131) Obadiah, op. cit., p. 224;
قاسم عبده قاسم: اليهود في مصر، ص ٧٧-٧٨.

132) زكي شنودة: المجتمع اليهودي، ص٢٧٤ - ٢٧٥.

133) Ilana Shamir, Shlomo Shavit, (eds.) A History of Jewish people, Events Eras of Jewish people, Israel, 1986, p.271; cf. Also, Ben – Sasson, H. H., A History of Jewish people, pp.325- 326

134) توفيق هارفي: عادات وتقاليد اليهود، ص٦١.

135) Obadiah, op. cit., pp. 224 -226;

وهناك بُعد أخير يُمكن تمييزه في نشاط خطابات عوبديا الثلاثة يتمثل : في التعليم والعلماء اليهود في القدس. فلعله بديهيًا أن العلوم الدينية ودراستها تأتي على رأس اهتمامات عوبديا، لاهتمامه بالدراسات التوراتية والتلمودية وغيرها. وكان المستوطن قد أشار إلى جانب من الظروف التي أحاطت بالحياة العلمية ليهود القدس، فذكر أنه كي يتجنب العلماء والربيون بحياتهم من قمع شيوخهم بالمدينة؛ بارحوها كلية بسرعة، ونعت هؤلاء الشيوخ بالمجرمين واتهمهم إبيع لفائف الشريعة مع أغلفتها والبارخيت[١٣٦] والنفائس والمقتنيات المقدسة الثمينة بالقدس إلى من هم غير يهود، الذين قاموا بتهريبها وتبديدها إلى أراض غريبة. إنهم باعوا كتبًا عديدة مثل التلمود. ومجموعات المخطوطات التي كانت قد أودعت بالقدس بواسطة اليهود الأشكيناز، حتى إنه لم يتبق شئ تو قيمة[١٣٧]). وعليه فمن المفترض أن الكتب النفيسة الخاصة بطائفة القرائين وغيرهم، التي أشارت وثائق الجنيزة إلى وجودها بالقدس[١٣٨]، قد فقدت أيضًا. وهذه الأحداث تشهد بلا شك على تردٍ واضح وفقدٍ لأساسيات قيام حياة علمية منتظمة بين يهود القدس، نظرًا لأنها جاءت لتحاكي وقعهم الاجتماعي والاقتصادي المنهار، عشية وصول عوبديا المدينة المقدسة.

وبالنسبة للتعليم في القدس، فالبرغم من هذه الحالة المتردية لحياة اليهود العلمية، إلا أنه يُستشف من الأسطر التي خطها عوبديا في هذا الصدد، أن المدينة كانت وما تزال بها بعض المظاهر الدالة على كونها مركزًا تعليميًا لليهود خرّج العلماء، فضلاً عن وجود أدلة تؤكد على استمرار وجود بعض من علماء اليهود في المدينة مع هذه الظروف القاسية. وذكر منهم رابي ألماني يُدعى شثياح Shethiah، الذي كان مرجعه فيما عَنّ له من أمور تتعلق بالعقيدة. وأشار أيضًا إلى الحاخام زكريا Zechariah الذي بلغ من السن عتيًا ثمانين عامًا، وكان قد هاجر إلى القدس من أسبانيا، وتولى تلاوة التوراة كل يوم لما يقرب من الساعة على جماعة اليهود[١٣٩].

عبدالوهاب المسيري: موسوعة اليهود ، جـ٥، ص٢٦٥ - ٢٦٦؛ كامل سعفان: اليهود تاريخ وعقيدة، ص٢٢٣ - ٢٢٤.

[136]) هي ستار من القطيفة أو من الحرير، مطرزة بفخامة بخيوط فضية أو ذهبية، عادة ما تقدم هبةً بغرض وضعها على التابوت المحتوى لأسفار التوراة داخل المعبد، وتحمل هذه القطعة عادة اسم صاحب الهبة تخليدًا لذكراه. انظر: عرفه عبده على: ملف اليهود، ص٢٢١.

[137]) Obadiah, op. cit., p.229.

[138]) Goitein, S. D., A Mediterranean society, vol. I, p.51.

[139]) Obadiah, op. cit., pp. 234, 237; A Student's Letter, p.88.

والواضح أن هذا القدر من النشاط التعليمي بالقدس لم يكن مقتصرًا لعوبديا، وهو العالم ورجل الدين القادم لإحداث تطوير ما في الأرض المقدسة، فآل على نفسه أن يُسهم في الارتقاء بالحياة العلمية في القدس، وهو الأمر الذي أكد عليه منذ خروجه من أوروبا. وحينما وصلها قال: (كنت أذهب مرتين إلى المعبد اليهودي شهريًا كي ألقي محاضرات باللغة العبرية، وقد كان غالبية الناس هنا يفهمونها. وكان صوت مواعظي يتسلل إلى آذانهم وكأنه أغنية محبوبة. فلقد امتدحوها، وأظهروا شغفًا بسماعهم إليها، لكنهم لم يكونوا على مستوى إحساسهم هذا، فلم يتفاعلوا معها. وحتى حينه لا يمكنني القول بأن أحدًا منهم فعل شيئًا يثير غضبي[١٤٠]). وقد شهد تلميذه في خطابه على جهوده تلك، فذكر أن أستاذه الخير كان يتحدث إلى جماعة اليهود بصوت جميل في نقاء وطهر، ويختار الكلمات الرقيقة والورعة عند الحديث عن الله. وأقر تلميذه أيضًا: (بأن الجميع من أصغرهم إلى أعظمهم كانوا يستمعون إليه بتركيز كبير، حتى يكاد المرء لا يسمع مجرد الصوت الخافت). ثم يقول تلميذه عن نفسه : إنه لا يمكنه أن يوفي أستاذه عوبديا حقه من كلام: (لأنه فوق كل إعجاب، وإني أقل من أن أدرك مدى عظمته، فالصمت هو مدحه[١٤١]).

هكذا تبدو محاضرات عوبديا بمثابة دروس عامة، أو خطب لم يخص بها فئة بعينها من يهود القدس، إذ دأبت جماعتهم بعد سماع خطبة كل يوم التي يشارك أحيانًا في إلقائها على الجلوس في بيت هاميدراش، لدراسة التوراة لمدة ثلاث ساعات، ثم يخرجون في جماعات صغيرة لزيارة المرضى، وربما لتفقد الفقراء لتقديم الإحسان إليهم حتى لو لم يكن لديهم إلا القليل، وهذا كله تحت إشرافه منه. وهذه الشهادة تبرهن على بروز عوبديا رائدًا تعليميًا بين جماعته المقدسية، فضلاً عن بروزه رائدًا تعليميًا بين اليهود المقدسيين، ورائدًا اجتماعيًا – وهذا ما ضربناه سلفًا. كما يُستشف من ذلك أن المعبد اليهودي كان يستغل في الأنشطة العلمية من قبيل المحاضرات العامة التي كان يلقيها.

قدمت خطابات عوبديا تفاصيل إضافية عن نشاط اليهود الدراسي في القدس إذ يذكر: (ونحن نجتمع سويًا في كل صباح ومساء لدراسة هالاخاه Halacha [لفظة عبرية تعني الشريعة]، وقد اعتاد اثنان من الطلبة السفارد، فضلاً عن اثنين آخرين من الأشكيناز من الربانيين المتواجدين معي هنا، على الانتظام في المحاضرات التي ألقيها[١٤٢])، ولما كان اليهودي الأوروبي شديد الحرص على التعليم في تلك الآونة حتى لو اضطر للهجرة إلى

---

[140]) Obadiah, op. cit., p247.

[141]) A Student's Letter, p.88 – 89.

[142]) Obadiah, op. cit., p. 208.

القدس[١٤٣]، فبعد بضع سنوات حضرت مجموعة طلاب آخرين للتتلمذ على يد عوبديا الذي استقبلهم، وتدخل لإجراء تبديل في المساكن التي استأجروها إذ إرأى أنه من الضروري لعملية التعليم أن يسكن الطلاب سوياً في مكان واحد)، ودان بتمنى لو كانت شقته الصغيرة تسعهم في الوقت الذي كانوا جميعهم مشغولين بدراسة التوراة ليل نهار[١٤٤]. ولعله من الواضح أن محاضرات عوبديا في هذه المرة لتلاميذه قد أخذت شكلاً آخر يتسم بالتخصصية الأكاديمية، الأمر الذي يجعلها مختلفة عن تلك التي كان يوجهها للعامة من اليهود.

وبالفعل تفيد الدراسات المتعمقة عن اليهود أن هناك نوعين من طلاب العلم ينتمون إلى الأكاديمية الدينية اليهودية (هيشيفا) Yeshiabah[١٤٥]: طلاب منتظمون، طلاب منتسبون وفقاً للتعبير المتداول حالياً في المؤسسات الجامعية، وكانوا يتلقون تعليماً عالياً يجعله مختلفاً عما يدرس في هامبدراش، حيث تتناول دراستهم التوراة والتلمود، وما يتعلق ببعض أمور الشريعة، وعادة ما يكون الطلاب المنتظمون مغتربين يأتون من بلاد بعيدة، أما الطلاب المنتسبون فهم يستطيعون الحضور والانتظام في الجلسات إذا رغبوا في ذلك، للاستماع إلى الدروس دون الالتزام بالانتظام فيها[١٤٦]. هذا فضلاً عن وجود تعليم أولي خاص بالصبية، وفيه يرددون بصوت عال أسفار التوراة، ويغلب عليه الغناء، متشبهين بأسلوب المسلمين في تعليم أطفالهم في الكتاتيب[١٤٧]. وعليه؛ فكان تلاميذ عوبديا -الطلاب الأجانب المذكورون- من الفئة المنتظمة في الدراسات الأكاديمية اللاهوتية العليا. والملاحظ

---

[143] Horowitz, Elliott, Families and their fortunes,: The Jews of Early modern Italy, part II, p.602; Johnson, Poul, A History of the Jews, p.183.

[144] A student's letter, p.87.

[145] في ظل السيادة الإسلامية كانت القيادة الروحية وإدارة شئون الجماعة اليهودية تتم إما في العراق أو فلسطين، حيث قامت الهيشفا فيهما بتجميع ومناقشة وسن قوانين التلمود، وتعد جماعة اليهود بالقضاة الذين يتولون الحكم داخل الجماعات اليهودية في أرجاء دار الإسلام. وكانت مصر بالذات جاذبة للمهاجرين اليهود من جهة، كما زاد معدل اعتماد المدارس اليهودية التلمودية (الهيشيفا) في العراق وفلسطين على الدعم المالي من يهود مصر من جهة أخرى، ولذا فمنذ القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري، انتقلت الهيشيفا من فلسطين إلى مصر بحكم الثقل اليهودي المتزايد فيها مقارنة بفلسطين. انظر: قاسم عبده قاسم: اليهود في مصر، ص٥٩ – ٦٠ وكذلك غازي السعدي: الأعياد والمناسبات ص٧٤ – ٧٦.

[146] عبدالرازق قنديل: الأثر الإسلامي، ص١٦٦ – ١٦٩.

[147] Johnson, Poul., A History of the Jews, p.182.

أيضاً أن عوبديا عندما تحدث عن أداله التدريسي لم يذكر مقر الدراسة، مما يفسح المجال إلى الاعتقاد في أنه لجأ في ذلك إلى استئجار إحدى المدارس[١٤٨] تحقيقاً لهدفه، مستفيداً بأموال التبرعات الواردة من أثرياء اليهود في الغرب لهذا الغرض.

والمتمعن لعبارات الخطاب في هذا الموضع يستشف بعض الحقائق ذات الصلة بمحاولة إحياء اللغة العبرية؛ فقد اعتاد اليهود في أوروبا استخدام اللغة العبرية في كتابة الأدب، مثلما استخدم المسيحيون اللغة اللاتينية في الشأن ذاته، بصفتها لغة ذات مكانة عالمية وتعليمية لاتقة[١٤٩]، وخاصة في عصر النهضة الكبرى وقت كتابة عوبديا لخطاباته. ومن ناحية أخرى كانت عبرية اليهود الشرقيين (السفارد) تختلف عن عبرية اليهود الغربيين (الأشكيناز)؛ وهذا يرجع إلى أن يهود البلاد العربية، سواء المحليين أم القادمين من الأندلس، كانوا لا يتحدثون إلا العربية، واقتصر استخدام العبرية عندهم على الأنشطة الدينية المتخصصة. وقد كان لامتزاج اليهود بالعرب أثر عميق على اللغة العبرية، فقد ازدهرت فصاحة بمجاورتها للغة العربية، التي تعد أرقى لغات المجموعة السامية كلها[١٥٠]. وترتب على هذا وذاك فيما يبدو أن أنيط التدريس باللغة العبرية إلى عوبديا، بصفته عالماً من وراء البحار، برغم وجود ربيين ذوي علم في فلسطين من قبل أشار هو نفسه إليهم؛ ولعل تفسير ذلك هو بدء سريان الشعور القومي الديني عند يهود أوروبا مواكبة للعصر، فحمل عوبديا على عاتقه مسئولية نشر استخدام اللغة العبرية، خاصة وأنه أوضح أن اللغة العبرية لم تكن متداولة بين يهود القدس، وفي حالة إلمام بعضهم بقدر منها فلم يكن بشكل متعمق، بدليل عدم فهمهم جيداً لمحاضراته التي ألقاها بالعبرية، واكتفوا فقط بالإحساس بها وتذوقها دون التفاعل معها. وبناءً على ذلك لنا أن نخلص إلى أن اللغة العبرية لم تكن متداولة بين اليهود، سواء في فلسطين أم في مصر. كما نلحظ وجود أربعة من الطلاب الأوروبيين تلاميذاً لعوبديا كدفعة أولى، منتظمين في حضور دروسه التي يلقيها باللغة العبرية، والراجح أن ذلك كان

---

[148] تشير إحدى الرسائل التي تضمنتها وثائق الجنيزة إلى أن أحد أثرياء اليهود في القدس كان يدير إحدى المدارس لحسابه، وكانت تدر عليه دخلاً وفيراً، انظر:
Goitein, S. D., op. cit.,, vol I, p.60.

[149] Roth, Cecil, The Jewish contribution to civilization, London, 1939, p.89.

[150] Obadiah, op. cit., p.221; صابر طعيمة : التاريخ اليهودي العام ،ج٢ ، ص ١٩٠–١٩١، ولمعرفة المزيد عن راشي ونتاجه العلمي راجع: عبدالرزاق قنديل: الأثر الإسلامي، ص٢٧٥ ، عبدالوهاب المسيري،موسوعة اليهود،ج٥ ص١٥٨، انظر أيضاً:
Ben Sassan, op. cit., p.502.

بغرض نشرها وتوريثها جيلا بعد جيل في مجتمع اليهود. وهذا في مجمله يدفع بشكل أقوى إلى الاعتقاد في أن قدوم عوبديا إلى القدس كان بغرض تثبيت دعائم الدين اليهودي، تدريسا وشرحا باللغة العبرية، إحياءً لتراثهم.

وهناك ما يدلل على أن الحياة العلمية في فلسطين شهدت طفرة مقرونة بجهود عوبديا فيها، إذ لم يقتصر ازدهار حياة اليهود العلمية في القدس على احتضانها لأكاديمية، إنما شهدت فلسطين أثناء إقامته بها نشوء مركز علمي يهودي آخر في صفد، يبرز من بين علمائه: برتز كولومبو Pertez Colombo ، وجوزيف كارلو Joseph Carlo الذي أقام بالمدينة عام ١٤٨٨م، وإسحاق لوريا Issac Loria المتوفى عام ١٥٣٢م[١٥١]. ولعل في إقدام الحكومة المملوكية على دعم العملية التعليمية لليهود -كما هو الحال في صفد- ما يؤكد على جهودها في محاولة الارتقاء بالتعليم حتى بين الأقليات الدينية التي تعيش فوق أرضها، في سماحة تظلل بها أهل الذمة، فعاشوا داخل المجتمع الإسلامي في وئام، في وقت كان اليهود في الأندلس يتعرضون إلى أشد أنواع التنكيل والتطرد على يد مسيحيي أسبانيا.

على كل غدا عوبديا معلمًا لأبناء الطائفة اليهودية المقدسية والطلاب، والوافدين عليهم من أوروبا، الذين برغبون في ألا يكتفوا بالمواد التعليمية الأساسية، من كتابة وقراءة، المتوفرة في أوطانهم، إلى ما هو أعلى من ذلك من دراسات في علوم الشريعة والتلمود ومؤلفات الربيين المشهورة، فضلاً عن قواعد اللغة العبرية التي وضعها النحاة اليهود، بغرض إخراج عناصر منهم تعمل في مجال القضاء والوظائف الدينية المختلفة. وفي الأسطر التالية تقدم تجربة أحد تلاميذ عوبديا التي تبين منها جانب من أسلوبه في مجال التدريس، إذ يذكر تلميذ عوبديا في خطابه: (لقد فتحت قلبي له وحدثته عن حالتي السيئة وكيف إني أشعر بالغربة، لكني سافرت إلى هنا [حيث القدس] لأتعلم التوراة. ومن أجل حب التوراة تركت عائلتي وموطني حتى يقبلني تلميذاً لديه ويعلمني التوراة. وبعد ذلك تحدث لي بكل حب ومودة كما هي عادته وقالي لي: سوف أعتني بك كأفضل أولادي ... الأمر الذي جاءني في غاية من السعادة[١٥٢]، ولم يكتف عوبديا بإبداء هذه الروح الطيبة، إنما كان يحيط تلاميذه برعايته

---

[151] Obadiah. op. cit., p.224; كان نحمانيدس قد استقر في فلسطين عام ١٢٦٧م فالتف من حوله اليهود. وتمكن من إقامة جماعة يهودية في القدس، وبعد مكوثه في القدس فترة قصيرة انتقل إلى عكا حيث ورد إليه طلاب العلم من شتى أنحاء الشرق لينهلوا من علمه. ويمكن القول بأن ابن نحمان نجح بفضل أسلوبه في الكتابة أن يسيطر على اتجاهات الفكر الديني اليهودي.

[152] عبدالرازق قنديل: الأثر الإسلامي، ص١٦٦ - ١٦٩.

حتى في مجال الإعاشة والسكن، وبذلك يتبين منهجه الذي يكمن في الاهتمام بالجيل الناشئ، مما أبرزه عالمًا إصلاحيًا وباعث نهضة بين جماعات اليهود في الشرق.

هذه الصورة، التي بدا عليها صاحب الخطابات، نراها وقد تجسدت أثناء إقامته التي ولجت بداية القرن السادس عشر الميلادي في القدس، حيث خرج منها أعداد من مبعوثي اليهود إلى الشرق، بغرض جمع التبرعات من الطوائف اليهودية هناك، لصالح المستوطنين اليهود في القدس وغيرها. كما قاموا أيضًا بدور الزعماء الروحيين، ومن بين مهام هؤلاء المبعوثين حث إخوانهم اليهود على الهجرة لفلسطين، ودعم الاستيطان اليهودي بها، والعمل في مجال التدريس، والتوجيه في أصول الشريعة والعبادات، وإثارة الرغبة لدى اليهود في الخلاص، وتقوية الروابط بين فلسطين والشتات اليهودي. وقد تعامل يهود الشرق دائمًا معهم بالتقدير والمهابة الدينية، ليس فقط لمجيئهم من الأرض المقدسة، ومن رحاب الأماكن المقترنة باليهودية في فلسطين ، وإنما لأنهم كانوا أكثر دراية منهم بالشريعة اليهودية وبكافة القضايا العالقة وخاصة فيما يتعلق بتعاليم ابن ميمون[١٥٣]، وهو الشخصية الأكثر شهرة وقوة، لإحاطتها بالشرق اليهودية فترة العصور الوسطى.

وفي الواقع فإن شخصية ابن ميمون Maimonides في التراث اليهودي، لايمكن إغفالها عند القيام بأية دراسة تاريخية أو دينية تخصهم، وفي هذا الصدد أشار عوبديا عدة مرات إليه، فهو الرابي موسى بن ميمون أبو يوسف، المعروف أيضًا باسم ابن عمران موسى بن عبيدالله القرطبي، وهو الزعيم الروحي لليهود، ولد في مدينة قرطبة ١١٣٥م، والمشتهر في الثقافات الغربية باسم (ميمونيدس) كما أورده عوبديا بالرسم ذاته[١٥٤]، نجح من خلال مؤلفاته في جمع شمل الشعب اليهودي فكريًا، وبعث عقيدته بعثًا جديد، حتى إنها ارتقت لتكون بديلة للتلمود في مجتمع يهود اليمن. فضلاً عن أعمال الرابي إسحاق الفاسي Isaac El-Fessi (1012-1103) الذي عمل قاضيًا وحاخامًا للطائفة اليهودية عام ١٠٨٩م، ويعتبر من الفقهاء المجتهدين في الشريعة اليهودية، وما يلحق بها من شروح[١٥٥]. كما تلمس تأثير فكر ابن ميمون على عوبديا نفسه وفقًا لما أقره، ومن ذلك اتفاقه معه في دخول دمشق ضمن الأراضي المقدسة[١٥٦].

---

[153] Johnson, Poul., A History of the Jews, p.182.

[154] تشير إحدى الرسائل التي تضمنتها وثائق الجنيزة إلى أن أحد أثرياء اليهود في القدس كان يدير إحدى المدارس لحسابه، وكانت تدر عليه دخلاً وفيراً، انظر:
Goltein, S. D., op. cit., vol I, p.60.

[155] Roth, Cecil, The Jewish contribution to civilization, London, 1939, p.89.

[156] Horowitz, Elliott, Families and their fortunes, in: The Jews of

تضمنت الخطابات أيضاً شذرات عن أشهر علماء العصر من اليهود بمفاهيمهم المختلفة، فكان من الربانيين: راشي Rashi وهو الاسم المختصر للرابي شلومو بن يسحق، الذي عرّفه عوبديا بأنه مترجم نقل أعمالاً إلى اللغة العربية، وقد ولد وعاش في فرنسا (١٠٤٠ – ١١٠٥م)، وهو يعد من أشهر المحللين والمفسرين على التلمود. وقد أبرز عوبديا لنا جانباً غير مألوف؛ ألا وهو اشتغاله أيضاً باللغة العربية ومشاهاتها بلغات أجنبية، مما يمكننا من إقرار وجود تأثير للأندلس القريبة من فرنسا على جماعة اليهود فيها. واهتم المستوطن أيضاً بذكر شيء عن عالم آخر دعاه نحمانيدس Nachmanids – Nahmanides، وهو موسى بن نحمان Moses Ben Nahman (1194–1270) الذي يعد أحد كبار حاخامات اليهود في أسبانيا حيث مكث ثلاثة أعوام بين قشتالة وفرنسا، واستقر به الأمر في القدس، وكان يعد لأكثر علماء اليهود اطلاعاً وثقافة في عصره. ومن أهم ما يذكر لنحمانيدس أنه أحيا جماعة اليهود في القدس، بعد الضربة التي وجهها للمغول إليهم ١٢٩٠م، حيث حرص على إعادة المخطوطات التي كانوا قد هربوا بها إلى نابلس. كما أصبح أحد الأبنية، وجعل منه معبداً لليهود، وأقام الشعائر بحضور عشرة رجال، بحيث غدا يستقبل فيهود للحجاج، كذلك أكمل تفسيره لأسفار موسى عليه السلام هناك، وبلغت مؤلفاته خمسين عملاً اتصلت بشروح التلمود وقواعد الهلاخاه والفكر الأصولي، وحينما توفي عام ١٢٧٠ تم دفنه في حيفا.

وفضلاً عن هذين العلمين الربانيين، تعرض عوبديا إلى اثنين من علماء الفرنجين: الرابي جافيت Japhet، الذي استقبل موسى بن ميمون ووالده وأخاه في عكا أثناء رحلتهم إلى فلسطين، باعتباره رئيس جماعة اليهود المقيمة بالمدينة، ويبدو أن الاتصالات كانت مستمرة بين المجتمع اليهودي في عكا، بصفته امتداداً لمجتمعهم السفاردي في الأندلس، بدليل ما وقع من تأثير لجافيت على ابن عزرا الأندلسي في كتاباته، الذي ولد في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي (١٠٩٢ أو ١٠٩٣م) في طليطلة بالأندلس، وتوفي في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي، وله مؤلفات في النحو واللغة، وعرف بين الشعراء شاعراً ووضع تفاسيره التي اشتهر بها، وأشار عوبديا إلى أنه اطلع على جانب منها، كما أشار لانتفاعه بمؤلفات العالم موسى بن يعقوب بن عزرا، المكنى بأبي هارون، الذي نشأ في بلاد الأندلس لأواخر القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني عشر الميلاديين. وله كتب في الشعر والفلسفة، كما اهتم بشرح جانب من فقه اللغة العبرية عند طائفة السامريين، لما كان لها من خصوصية في طريقة كتاباتها وأبجديتها، وبذلك اكتفى عوبديا بتلك الشذرات المقتضبة عن حياة اليهود العلمية، من خلال التعرض لأبرز علمائهم وأبنائهم. ويلاحظ أن الذين اهتم بذكرهم قد عاشوا خلال الفترة من القرن الحادي عشر حتى الثالث عشر

Early modern Italy, p.597.

الميلاديين، وكان معظمهم من أصول أندلسية، حيث نشأوا في المجتمع الإسلامي في تلك الديار أو تأثروا به، وبهؤلاء وغيرهم من المعاصرين أمدل الستار على فترة من أزهى وأجمل فترات الأدب العبري.

وأخيراً يمكن إضافة عالم آخر مقدسي الموطن لم يرد عنه ذكر فيما كتب، ذلك هو عوبديا البرتينوري نفسه؛ إذ تتفق الموسوعات المتخصصة في الدراسات اليهودية على وصفه بالعالم الشهير في علوم التوراة والمنشا، وتنسب إليه إنجاز بعض الأعمال العلمية المهمة بالنسبة لليهود، ولعله كان قد تأثر فيها بقراءاته للعلماء السابقين، وكان من أهم وأشهر مؤلفاته : تعليقه على المنشا التي حرص فيها على دمج شروح راشي Rashi مع شروح ابن ميمون، الأمر الذي جعل منه عالماً مرموقاً لقيامه بتوضيح أعمالهما، وظل مؤلفه هذا مقروناً باسمه Mishna The Bertinoro على مر الأجيال. على ذلك بدا عوبديا كأحد رواد أسرة ابن تيبون Ebn Teppon الإيطالية، التي عمل أفرادها على الجمع بين ثقافة يهود أوروبا وإخوانهم للشرقيين، حيث دأبت على ترجمة التراث العربي إلى العبرية أو اللاتينية والعكس، وقد ظل نشاطها واضحاً حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادي. ومن ثم يبرز عنصر قوة إضافي في شخصية عوبديا، حيث بدا عالماً، فضلاً عن كونه إصلاحياً دينياً اجتماعياً. ونجح بجهوده في إعادة الهيشيفا Yeshibah اليهودية من مصر والدولة العثمانية إلى القدس، التي كانت قد فقدتها في القرن الثالث عشر الميلادي. فقد كان قدومه إلى فلسطين بمثابة علامة مميزة لعهد جديد للمجتمع اليهودي هناك، بل وتشعب اليهودي في العالم بأسره. إذ كان للمجتمع اليهودي في القدس على حافة الانهيار جراء الإدارة الطاغية للموظفين الرسميين اليهود، والتي كانت تتحكم في كل كبيرة وصغيرة في حياتهم. أما حينما حل بينهم تمكن بشخصيته القوية، وسمعته الطيبة بصفته عالماً ومصلحاً دينياً واجتماعياً. أن يحوز ثقتهم وحبهم، مما أهله إلى أن يصبح زعيماً روحياً لمجتمعهم هناك. وجديراً بأن يلقبه تلاميذه بلقب قائد إسرائيل[١٥٧].

الخاتمة :

وفي وقفة تقييمية لخطابات عوبديا؛ يتأكد أن ثلاثتها احتوت على مادة أصيلة متنوعة، من الطراز الأول، تخص القدس موضوع الدراسة،وكان توجه في كتاباته يقوم على أساس من الرؤية المباشرة لما يصف والصدق فيما يقول ، في ثوب من الكتابة الأدبية التخصصية فيما يعرف بأدب الرحلة،ونجح الكاتب بثقافته العميقة في اكتساب ثقة القارىء . ولما كانت خطاباته تتناول مراحل تنقلاته من ايطاليا حتي استقر في القدس مستوطناً لها ،عبوراً بجزر شرقي المتوسط والاسكندرية ،فالقاهرة، فالقدس . فجاءت منه رحالة متميزاً، وواضعاً لدليل جغرافي يفيد اليهود المسافرين للقدس. كذلك نجد الخطابات قد تجاوزت أداء دورها

[157] A student's letter, pp.86 – 87.

الاجتماعي في التقريب بين أطرافها إلى تقديم تقرير شامل يتناول عديدا من أوجه الحياة في البلاد التي تضمنتها رحلته إلى القدس، وحينما وصلها أبدي اهتماماً خاصاً بها، فجاء ذلك في صالح إنجاز هذه الدراسة.

وقد كان على الباحث بذل جهد وافر لبلورة رؤية عوبديا الشمولية، من خلال تصنيف مادتها بوضعها في قوالب علمية، بحيث تناولت دراسة الجوانب الجغرافية والسياسية والدينية والاجتماعية، والنظم الإدارية والحياة اليومية والعلمية بين جماعات اليهود في القدس. فيما يختص بالمعلومات الجغرافية، فقد كانت محدودة نظرا لإقحام النواحي الدينية فيها حيث بدت القدس خربة طالما ليست معمورة باليهود . أما بالنسبة للبعد السياسي في الخطابات فبطبيعة الحال لم تعن كثيراً بهذا البعد، ومع ذلك استنتج لدى الباحث بعض منهاجين بين السطور، فكانت كافية لفهم الظروف السياسية العامة لجماعات اليهود، أواخر العصور الوسطى، في المدينة المقدسة وغيرها.

حرصت الدراسة أيضاً على إبراز البعد الديني في الخطابات، في ضوء أن كاتبها حبر يهودي، ولذا كان هذا البعد صابغاً لها، ومن ذلك كان المعتقد اليهودي ركيزته في الكتابة، حيث وضع يده على ما رآه عندهم ويخالف عقيدته بصفته لشكينازيا ربانياً، ومن ثم لبرز لنا أوجه المقارنة بين كل طائفة من خلال نشاطها قديني داخل المعبد. والثابت أن هذا البعد قد نجح في رصد الطباع المقدسة لليهود في المدينة المقدسة.

ومن أكثر القضايا حرجًا وأهمية عند عوبديا، تلك التي تتعلق بالنزعة الدينية التي كانت وراء أفكاره الاستيطانية، وكانت قد تملكت من صاحب الخطابات، وجعلته ينتمي فكريًا وعقائديًا لأرض المهجر في فلسطين، وإنها لظاهرة تلمسها في معظم الكتابات اليهودية، بيد أنها أكثر وضوحًا عند عوبديا مقارنةً بغيره، وترتب على ذلك اتجاهه بشكل لافت للنظر إلى التأصيل التاريخي اليهودي يربط أرض الشرق بالتراث الإسرائيلي، وبدا ذلك في مدينة الله أورشليم. ونلحظ في هذا الصدد اهتمامه بذكر الحرم القدسي على أنه الهيكل، والحائط الغربي على أنه الحائط المقدس ،. وفي هذا الإطار أيضًا عند عوبديا المقابر التي تضم شخصيات بارزة في التراث الإسرائيلي مثل مقبرة راشيل وهاجيا وهيلدا وشمعون. فضلاً عن عشرات من القبور والكهوف التي تضم زعماء اليهود على مر العصور.والزم نفسه باستخدام التقويم العبري في التأريخ للأحداث.

كذلك أهتمت الدراسة بشكل أعمق بالبعد الاجتماعي إذ قدم عوبديا كثيراً من المعلومات في هذا الاتجاه بالذات،حتى يمكن القول إنه نجح إلى حد بعيد في رسم صورة تجمع بين البساطة والعمق لجماعة يهود القدس مليئًا بذلك مطلب والده بدقة ، فاهتم بذكر أعداد اليهودفي المدينة قبل وصوله لها وأثناء إقامته . ولم يتوقف الأمر عند حد تعداد اليهود وأماكن تجمعاتهم إنما تمكنت الدراسة من بلورة المادة التي تبرز أحوال اليهود وحياتهم

اليومية فيها، و تسجل للمستوطن موضوعيته التي غلبت على معظم ما دون وعدم جنوحه للمبالغة في تقدير أعداد أو تقييم أحوال اليهود بحيث مكنتنا خطابته الثلاثة من الخروج بانطباع عام وموضوعي، ففي حين عاش اليهود في جيتوات معزولة داخل المدن الأوروبية -حتى من قبل تبلور هذا المصطلح- مهانين، عاشوا في القدس في شوارع واسعة خاصة بهم ليس بغرض عزلهم إنما بتأثير الألفة التي تجمع أبناء الدين الواحد.ولم ينغص حياتهم سوي شيوخهم من أبناء ملتهم ،كذلك تمكن الباحث من إبرازرؤية عوبديا الموضوعية لموقف السلطات المملوكية تراعي لمجتمع اليهود المقدسيين من خلال سياحهم له باستثمار أموال أثرياء اليهود الإيطاليين في مشاريع ينتفع منها أفرادهم المقدسيون، وبهذا فهو يوجه الدعوة لبني ملته للعمل واستثمار أموالهم في الشرق بهدف الثراء،كما أبرز رأى عوبديا الخاص بتكافؤ الفرص أمام من يرغب من اليهود في اعتلاء المناصب في المجتمع المقدسي و الاسلامي ، حينما ذكر أنه من السهل على أى يهودى ذكى متمكن من العلوم السياسية أن يرتقى إلى أن يصبح رئيسًا سواء لليهود أو العرب، ودلل على ذلك بنفسه إذ أصبح حاكماً للمجتمع اليهودي في القدس تالياً للنجيد رئيس اليهود في مجمل الدولة الإسلامية، وأكد أيضاً على أن السلطات لم تضع أمامه أية معوقات أثناء تحركاته في البلاد طولاً وعرضًا على الرغم من كونه أجنبيًا. هذا كله جعل من جماعات اليهود داخل المجتمع المملوكي مجرد جماعة عربية تعتنق دينًا يختلف عن دين الأغلبية، ولكنها تشاركهم في الأرض واللغة والخصائص الثقافية العامة.

تمكنت الدراسة أيضا من الإمساك بأطراف النظام الإداري التشريعي والتنفيذي لمجتمع يهود القدس ، ومن ثم لم حصر ورسم الهيكل الوظيفي المدني فيه الذي يبدأ من النجيد أو نائبه وصولاً إلى اللجنة التي تنفذ القرارات، ويتوسط هذا وذاك وكلاء الطوائف اليهودية الثلاثة ومجلس الجالاوتيين ويضم مجموعة القضاة والنخبة من الأعيان والتجار. كذلك تناولت الدراسة أنواع الضرائب التي كان على اليهود دفعها سواء التجار أو الزوار أو الأهالي، فتراوحت بين مكس يدفع أو ضريبة يعفى منها الأجنبي اليهودي أو جزية يدفعها جميع اليهود بشكل تضامني، وكانت الخطابات قد أشارت إليها بضريبة الرأس، ثم هناك الضريبة التي تدفع بغرض الحصول على ترخيص صنع الخمر فضلاً عن الضرائب الاستثنائية التي لا ترتكز على قواعد محددة، وفي الجملة كان يتم دفع الضرائب بشكل تضامني ، وقد أثبتت الدراسة أنه هو الأسلوب الذي اعتمدته السلطات مع اليهود المقدسيين فترة قدوم عوبديا.

استخلصت الدراسة أيضًا بعدًا إضافيًا من مجمل الخطابات، وهو ما يتعلق بعادات اليهود وتقاليدهم في المجتمع المملوكي، إذ ارتكنت جميعًا إلى الدين؛ فقد تبين للباحث أن عوبديا كان لشكينازيًا من خلال اهتمامه بذكر العادات السفاردية على أنها مخالفة ، كما استنتج أنه من طائفة قرائين نظرًا لأنه ذكر تقاليد القرائين مخالفة لعقيدته أيضًا، وكان

للمعبد اليهودي خير مكان تبدو فيه هذه الاختلافات بحكم أنه يمثل محور حياة اليهود اليومية، وفي الواقع تم التثبت من عدم وجود طرز معينة تميز العمارة اليهودية في بناء المعابد، أما ما يميزها فيتمثل في الاختلافات في العادات والتقاليد الخاصة بممارسة بعض الطقوس الدينية والشعائر الخاصة بتحديد بدء السنة العبرية، وفي مدى الالتزام بتأدية صلاة العشاء مؤكدًا على أن اليهود المقدسيين كانوا يؤدونها قبل العشاء منفصلة عن صلاة المنيان، في حين أن الأشكيناز يؤدون الصلاتين معًا. كما لفت نظره الاختلاف في وضع لفائف التوراة على الأرفف وارتفاع منصة المرتلين من عدمها داخل المعبد وأسلوب السفارد في دفن موتاهم وتشدد الفرقين في عدم لمس أجساد الموتى على اعتبار أنه نجس، وعلاوة على ذلك كان للمجتمع المملوكي الإسلامي بصماته الواضحة على عادات وتقاليد اليهود المقدسيين خاصةً ما يخص خلع الحذاء عند دخول المعبد والجلوس على الأرض وماندة الطعام، وفيها تتضح أيضًا تأثرات الشرقية العربية بصفة أن اليهود المقدسيين جزءً من نسيجه العام، وكانو لهم عاداتهم الخاصة ، إذ كان عليهم شق ثيابهم مرتين لحظة دخولهم القدس. ولما كانت الأعياد والمناسبات هي أكثر ما يميز مجتمع ما، فقد اهتمت الدراسة أيضًا بتسليط الضوء على ما اهتم عوبديا بالحديث عنها أو الإشارة إليها مثل عيد البوريم وعيد شابعوث.

اهتمت الدراسة في آخر محاورها بالبعد الخاص بالحياة العلمية والعلوم والعلماء اليهود بالقدس، وابرزت الدراسة حصرته على النطاط للحياة العلمية فيها، ومحاولته في تغيير هذا الوضع سلمًا وحبرًا بالقى المحاضرات والمواعظ، ، هذا وقد اقتصر التدريس بالقدس على التوراة والتلمود والمشنا وعلم الهالاخاه وعلم القبالاه فضلاً عن اللغة العبرية.بيد أن خطابات عوبديا مكننا من الوقوف على أسلوب التدريس في المدينة والنقلة التي أحدثها في هذا المضمار، وألقت بعض الضوء على كل الشخصيات والأحداث ذات الصلة بالعلوم الدينية والعلماء الذين أشار عوبديا إليهم،ومنهم ابن ميمون و يسحاق الفاسي ورشي وموسى بن نحمانيد وجلفيت وإبراهيم بن عزرا، وانتهى هذا الجزء من الدراسة بوقفة تقييمية لشخص عوبديا معلمًا وعالمًا وباعثًا لنهضة اليهود في فلسطين؛ حيث اصبح نفسة بمثل حجر الزاوية بين جماعات اليهود في الشرق في أخريات العصور الوسطى، حتى يمكننا القول بانه شكل الشخصية الأبرز بين علماء اليهود وزعمائهم في فلسطين، ومن ثم يمكن مقارنته برشي وموسى بن ميمون من السابقين، وتيودور هرتزل من اللاحقين، فأضحى جديرًا بأن يلقبه تلميذه يقائد إسرائيل العظيم. نظرًا لبروزه ليس فقط مصلحًا دينيًا وتعليميًا واجتماعيًا، وإنما تخطى ذلك إلى ظهوره زعيماً له نفوذه بين اليهود، كما كان له احترامه عند السلطات المملوكية.

ولخيرًا، وبعد نهاية الدراسة فقد تتساءل مرةً أخرى فسؤال نفسه الذي ورد في بدايات البحث عما إذا كانت نزعة استيطان عوبديا قد توقفت عند مجرد كونها فكرة معنوية، على اعتبار أن فكرة العودة إلى فلسطين محرمة من قبل اليهودية الحاخامية؛ فلقد أثبت

عوبديا على مر الدراسة أنه رجل متدين شديد التعصب ليهوديته جاء للقدس مكرسًا حياته وعلمه ونفوذه للنهوض بجماعة اليهود في فلسطين، وربما في دولة المماليك فاطبةً، وقدمت الدراسة شواهد أخرى لتؤكد على أنه تمكن من أن يوجد المناخ المناسب لهم بتعميق الدين في نفوسهم بل وفي نفسه بحيث غدا أبرز علماء اليهود في فرنسة للمشنا، فضلاً عما أحدثه من طفرة إصلاحية بالنهوض بجماعة القدس اليهودية، وجعل منهم قاعدةً يلجأ إليها يهود أسبانيا والبحر المتوسط فضلاً عن يهود الشرق في فارس وما يليها لتبدو أكثر قوةً مع بدء العصر العثماني في فلسطين،الأمر الذي جعل منها دارًا لهجرتهم.

وعليه نخلص إلى أن نزعة عوبديا الاستيطانية لم تتوقف عند مجرد كونها فكرة معنوية، بل تخطت ذلك ولو في خطوة أولى على الطريق إلى تجسيد الشعار الديني لمفهوم أرض إسرائيل إلى إرهاصات للمفهوم السياسي لها، وهو ما تصبو إليه النظرية الصهيونية في العصر الحديث، ولا غرابة في ذلك، فقد ظل اليهود يسعون إلى إقامة كيانهم المنهار طيلة الفترة الواقعة من القرن الثاني للميلادي حتى القرن العشرين، وطيلة هذه العصور أخذوا يستعدون بشتى السبل ليوم العودة إلى ما يدعونه أرض الميعاد.

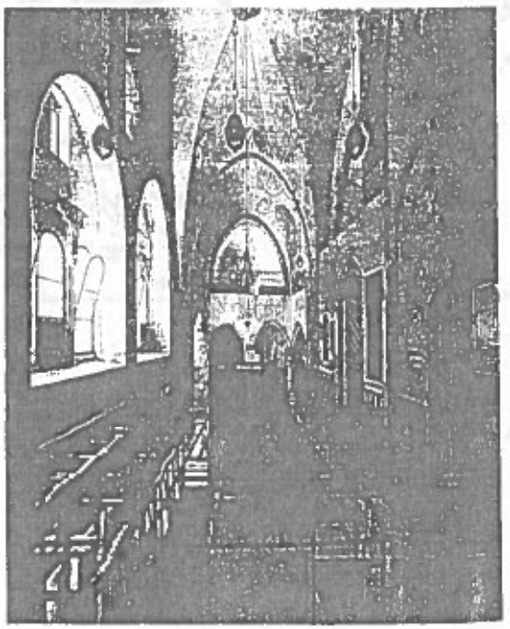

شكل رقم (١) معبد يوحنان بن ذاكي بالقدس في القرن الثالث عشر الميلادي (المنظر من الداخل). نقلاً عن: Sed – Rogna, G., L'art Juif, C., L'art et les grandes civilisations, p.602.

خط سير رحلة الذهاب عند عوبديا البرتنورى ١٤٨٨ - ١٤٨٥م

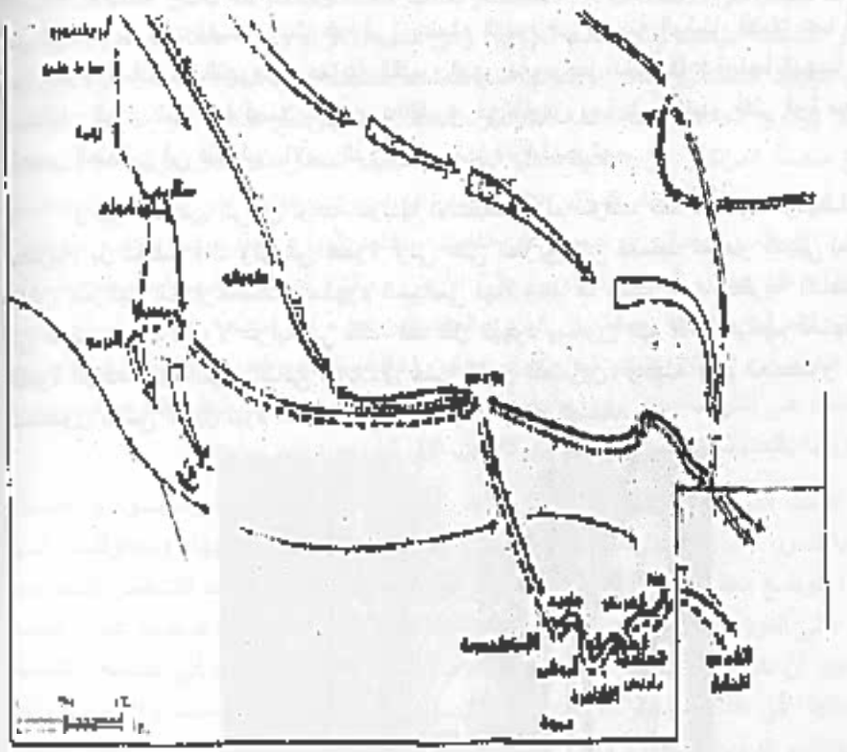

شكل رقم (٢)

خط سير رحلة الذهاب عند عوبديا البرتنورى ١٤٨٦-١٤٨٨م

بيان بالمختصرات الواردة في قائمة المصادر والمراجع

Ain- Shams University Center of Papyrological Studies and Inscriptions.

A. C. P. S. I,

Jewish Travellers.

J. T,

Palestine Exploration Fund.

P. E. F,

Palestine Pilgrims' Text Society.

P. P. T. S,

School of Oriental and African Studies.

S. O. A. S.

بيان بأهم مصادر الدراسة ومراجعها

أولاً: المصادر والكتب الوثائقية الأجنبية:

- A student's letter' written in 1495 A.D., (ed.) Marmorostein, Rabbi Avroham, in: Pathway to Jerusalem, the travel letters of Rabbi Ovadiah of Bartenura, written between 1488 and 1490, during his journey to the Holy land, translated by Shulman, Y.D., Jerusalem, 1992.
- Benjamin of Tudela, The voyages of Benjamin

وقد رجع الباحث إلى النسخة العربية، انظر: بنيامين التطيلي: (قام برحلته ما بين (٥٦٠ ـ ٥٦٩هـ)، الرابي بنيامين بن يونه التطيلي الأندلسي: رحلة بنيامين التطيلي، ترجمة: عزرا حداد، بغداد، ١٣٨٤هـ.

- Burchard of Mount Sion, A Description of the Holy land, 1232 A.D., trans. by Aubrey Stewart in: P.P.T.S., vol. XII, London, 1896, pp.1 – 111.

وقد اعتمد الباحث على النسخة العربية، انظر: بورشارد من جبل صهيون: وصف الأرض المقدسة، ترجمة: سعيد عبدالله البشاوي، مراجعة وتدقيق: مصطفى زيادة، الطبعة الأولى، عمان، ١٩٩٥م.

- Daniel the Russian, the pilgrimage of Daniel the Russian to the Holy land, 1106–1107A.D.,Trans. By Wilson,C.W., in: P.P.T.S.,vol.IV,London,1882, pp.1– 108.
- Felix Fabri, Le Voyage en Egypte, 1483 A. D., Traduit du Latin, présenté et annoté par le P. P. Jacques Masson S. J, 3 Parties, Institut Français d'Archéologie orientale, Le Caire, 1976.
- Goitein, S. D., Mediterranean society, the Jewish communities of the Arab world as portroyed in documents of the Cairo Geniza, 4 vols. University of California, press 1967 – 1978.
- Isaac Chelo, Roads From Jerusalem 1334 A.D., (ed.): Adler, N. E., in: J. T., London, 1930, pp.134 – 150.
- Jacob, R., The Messenger of R. Jechiel of Paris (1238 – 1244), in: J. T., ed. Adler, N., London, 1930, pp.115 – 129.
- John of Wurzburg, Description of the Holy land by John of Wurzburg 1160- 1170A.D.,Trans.By C.W. Wilson, in: P. P. T. S., vol. V,London,1890, pp.1– 72.
- Joos Van Ghistele, Le voyage en Egypte, 1482 - 1483 A. D., Traduction, introduction et Notes de Mme Renée, Bauwens –

vol. (16) XVI, L'Institut Francais d'Archéologie, Le Caire, pp. B – X.

ah – al – Harizi, Tachkemoni, 1216, in: J. T., ed. Adler, N., London, 1930, pp. 111 – 114.

Judah Halevi, His Pilgrimage to Zoin, 1085 – 1140 A. D., ed. Adler, N., London, 1930.

- Marmorstein, Rabbi Avrohom, (ed.), pathway to Jerusalem, the travel letters of Rabbi Ovadiah of Bartenura, written between 1488 – 1490, during his Journey to the Holy Land, translated by Shulman, Y. D., Jerusalem, 1992.
- Meshullam Ben R., Menahem of Voltera, Itinerary of Rabbi Meshullam Ben R. Menahem, 1481 A. D., in: J. T., ed. Adler, N. E., London,1930, pp.156- 208.
- Obadiah Jara Da Bertinoro, Itinerary of Obadiah 1487 – 1490, A. D., in: J. T. ed. Adler N., London, 1930, pp.209 – 251.
- Petachia of Retisbon, The Itinerary of Rabbi Petachia, 1174 – 1187 A. D., in: J. T., ed. Adler, N., London, 1930, pp.61 – 90.
- Reif, C., Stefan, Hebrew Manuscripts at Cambridge University library, A., description and introduction, first published, New York, 1997.
- Samuel Ben Samson, Itinerary of Rabbi Samuel Ben Samson, 1210 A. D., in: J. T., ed. Adler, N., London, 1930, pp.103 – 110.
- Scheiber, Alexander, Geniza Studies, Collection XVII, New York, 1981.
- Sklare, E., David, Samuel ben Hafni Gaon & his cultural world, texts and studies, New York, 1996.
- Tafur Pero, Travels and Adventures, trans. by Malkholm, L., in: Broadway travellers, 1926.

وقد رجع الباحث إلى الترجمة العربية للرحلة، انظر: طافور بيرو، رحلة طافور الأسباني في عالم القرن الخامس عشر، ترجمة: حسن حبشي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٢م.

- Theoderich, Description of the Holy places, 1172 A. D., Trans. by Aubrey Stewart, in: P. P. T. S, vol. V, London, 1884.
- William of Tyre. A History of deeds done beyond the sea. 2vols., Trans. by Babcock and Krey, New York, 1943.

ثانيا : المصادر العربية :

- ابن الأثير، (ت ٦٣٠هـ./ ١٢٣٣م.) علي بن احمد بن أبي الكرم: الكامل في التاريخ، ١٢جـ، بيروت، ١٩٦٥م.
- ابن الأخوة، (ت٧٢٩هـ./ ١٣٢٩م.) محمد بن محمد بن أحمد القرشي: معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق: محمد محمود شعبان، صديق أحمد عيسى، القاهرة، ١٩٧٦م.
- الإدريسي، (٥٦٠هـ./ ١١٦٤م.) أبوعبدالله محمد: نزهة المشتاق في ذكر الأمصار والأقطار والبلدان والجزر والمدن والآفاق، نشر: راشن موللر، ليدن، ١٨٩١م.
- الأسنوي، (ت ٧٧٢هـ/ ١٣٦٩م.) جمال الدين أبومحمد عبدالرحيم: الكلمات المهمة في مباشرة أهل الذمة، نشره موشي برلمان، بروكلين، الولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٦٩م.
- ابن أبي أصيبعة، (ت ٦٦٨هـ./ ١٢٦٩ – ١٢٧٠م.) موفق الدين أبوالعباس أحمد بن القاسم خليفة بن يونس السعدي الخزرجي: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، نشره: نزار رضا، بيروت، ١٩٦٥م.
- ابن إياس، (ت ٩٣٠هـ./ ١٥٢٤م.) أبو البركات محمد بن احمد الحنفي: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ٥جـ نشر: محمد مصطفى، القاهرة، ١٩٦٠ – ١٩٦٣.
- ابن بطوطة، (ت٧٧٩هـ./ ١٣٧٧م.) محمد بن عبدالله: الرحلة (تحفة النظار في غرائب الأمصار، وعجائب الأسفار)، القاهرة، ١٩٦٦م.
- البكري، (ت ٤٨٧هـ./ ١٠٩٤م.) أبي عبيدالله عبدالعزيز البكري الأندلسي: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ٣جـ حققه وضبطه: مصطفى السقا، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٥ – ١٩٤٩م.
- التدمري، (ت٨٣٣هـ./ ١٤٢٩م.) إسحق بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن كامل التدمري الشافعي: مثير الغرام وخلاصة الكلام في فضل سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام، مخطوط مودع في : History of The Prophets, etc. Arabic Manuscript, in: S. O. A. S., Un. Of London, No. 46353.
- ابن تغري بردي، (ت٨٧٤هـ./ ١١٤٧م.) جمال الدين أبوالمحاسن يوسف: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٦جـ، جـ١٣-١٦، القاهرة، ١٩٧٠م. – ١٩٧٢م.
- ابن جبير (ت ٦١٤هـ./ ١٢١٧م.) أبوالحسين محمد بن أحمد الأندلسي: رحلة ابن جبير المسماة تذكرة الأخبار في اتفاقيات الأسفار، تحقيق حسين نصار، القاهرة، ١٩٥٥م.
- ابن الحاج العبدري، (ت ٧٣٧هـ./ ١٣٣٧م.) أبوعبدالله محمد بن محمد العبدري الفاسي: المدخل في تنمية الأعمال بتحسين النيات، الطبعة الأولى، ٤ أجزاء في مجلدين، المطبعة المصرية بالأزهر ١٣٤٨هـ./ ١٩٢٩م.
- السخاوي، (ت٩٠٢هـ./ ١٤٩٧م.) شمس الدين محمد بن عبدالرحمن بن محمد: الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع، ١٢جـ القاهرة، ١٣٥٣ – ١٣٥٥هـ.
- السيوطي: (ت ٩١١هـ./ ١٥١٧ م.) شمس الدين السيوطي: اتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، تحقيق: أحمد رمضان أحمد، القاهرة، ١٩٨٤م.

- عبدالغني النابلسي، (ت ١١٤٣هـ./ ١٧٣٠م.) عبدالغني إسماعيل النابلسي: الحضرة الأنيسية في الرحلة القدسية، القاهرة، ١٩٠٣م.
- العمري، (ت ٧٤٩هـ./ ١٣٤٩م.) شهاب الدين أبوالعباس بن فضل الله: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، دولة المماليك الأولى، تحقيق: دروينا كرافولسكي، الطبعة الأولى، بيروت ١٤٠٧هـ./ ١٩٨٦م.
- أبوالفدا، (ت ٧٣٢هـ./ ١٣٣١م.) إسماعيل بن علي محمود: الملك المؤيد صاحب حماة: المختصر في أخبار البشر، ٤جـ في مجلدين، بيروت (د – ت).
- القلقشندي، (ت٨٢١هـ./ ١٤١٨م.) أبوالعباس أحمد بن علي بن أحمد عبدالله: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ١٤جـ، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩١٣م.
- ابن قيم الجوزية، (ت ٧٥١هـ./ ١٣٥١م.) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبوعبدالله شمس الدين: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، تقديم وتحقيق وتعليق: أحمد حجازي السقا، القاهرة، ١٣٩٩هـ./ ١٩٧٩م.
- الماوردي، (ت ٤٥٠هـ./ ١٠٥٨م.) أبوالحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٣م.
- محمد ربيع، (مدير عام الآثار المصرية): إعداد: تقرير هيئة الآثار المصرية عن معبد بن عزرا اليهودي بمصر القديمة المسجل في عداد الآثار بالقرار الوزاري رقم ٢٧٤ لسنة ١٩٨٤م.
- المقدسي البشاري، (ت ٣٨٨هـ./ ٩٩٨م.) شمس الدين أبوعبدالله: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الطبعة الثانية، ليدن، ١٩٠٣.
- المقريزي، (ت٨٤٥هـ./ ١٤٤٢م.) تقي الدين أحمد بن علي المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤ج، الجزء الأول، والثاني، نشر وتحقيق: مصطفى زيادة،القاهرة، ١٩٣٦م.، الجزء الثالث والرابع، تحقيق: سعيد عاشور، القاهرة، ١٩٧٠ – ١٩٧٤م.
- ـــــــــــ:كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، جزءان، طبعة القاهرة، (د – ت).
- ابن الوردي، (ت ٧٥٠هـ./ ١٣٥٠م.) زين الدين عمر: تتمة المختصر في أخبار البشر، القاهرة، ١٢٨٥هـ.
- أبواليمن العليمي، (ت ٩٢٨هـ./ ١٥٢٢م.) عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ٢جـ، الطبعة الأولى، النجف، العراق، ١٣٨٦هـ./ ١٩٦٦م.

ثالثاً : المراجع الأجنبية

- Ashtor, E., History of the Jews in Egypt and Syria under the Rule of the Mamluks, Geniza documents, III vols., Jerusalem, 1970, (in Hebrew) Fragments from the Cairo Geniza.
- Barnawi, Eli, A historical Atlas of the Jewish people from the time of the patriarchs to the present, London, 1992.
- Beinour, Haim, Atlas of Medieval Jewish History, New York, 1992.
- Ben- Sasson, H. H., A History of the Jewish people, Cambridge, 1976.
- Benvan, Edwyn, R., Singer Charles (ed.s), the legacy of Israel, London, 1928.
- Buxtorf Johannes patris, Synagoga judaica de judaeorum fide, Ritibus, ceremoniis. tàm publicis & Sacris, qua'm privatis in domeftica vivendiratione: Tertia Editione, Zurich, 1989.
- Clements, R. E (ed.), The world of Ancient Israel, Cambridge UK, 1991.
- Cohen, Mark, R., Under Crescent and cross: "The Jews in the middle ages", New Jersey, U. S. A, 1943.
- Conder, C. R., Cenotaphs of the Hebrew patriarchs at the cave of Machpela, in: P. E. F., Quarterly statement, London, October 1882, pp.197 – 206.
- De Long, Nicholas, Atlas of the Jewish Word, 5th printing, Spain, 1992.
- Eisenstadt, S. N., Jewish civilisation "the Jewish Historical Experience in a comparative perspective", New York, 1992.
- Eliade, Mircea, (ed.) in the Encyclopedia of Religion, 16 vols., New York, London, 1986.
- Enlart, C., Les Monuments des croises dans le Royaume de Jérusalem: Architecture Religieuse et civile, Bidl AH. 7, 8, 2vols. et 2 albums de photos, Paris, 1925- 1928.
- Fargeon, Mourice, Les Juifs en Egypte depuis les origines, Jusqu'à ce jour, Le Caire, 1938.
- Firestone Reuven, Jewish culture in the formative period of Islam, in: cultures of the Jews, III parts, ed. By Biale, David, Schocken Books, first published, U. S. A, 1999, part I, pp.267 – 294.

- Gilbert Martin, Jewish History Atlas, 4th ed., London, 1992.
- Ginzberg Louis, Jewish Encyclopedia, 12vols., ed. by: Friedenberg, A. M., Richard Gothiel and others, New York, 1901 – 1906.
- Goodman, Paul, History of the Jews, with prefatory note by the chief Rabbi, 4th ed., London, 1943.
- Gotein, S. D., The Jews under Islam, (Summarized and trans.), Geniza sources for the crusader period A survey, in: outremer, studies in the History of the crusading kingdom of Jerusalem, ed. Kedar, Z. B., Mayer, H. E., and Smail, R. C., Jerusalem, 1982, pp.308 – 321.
- Gothell, G., Richard, Deutsch Gotthard and others, Jerusalem an essay in Jewish Encyclopedia, vol. V, New York, 1901 – 1906.
- Hayward, C. T. R., The Jewish temple, A non – Biblical source book, London, 1996.
- Heschel, J., Abraham, Maimonides, the life & times of the great medieval Jewish thinker, New York, 1935.
- Horowitz, Elliotte, Families and Their fortunes,: The Jews of Early modern Italy, in: cultures of the Jews, III parts, ed. By Biale, David, Schocken Books, First published, U. S. A, 1999, part II, pp.573 – 638.
- Hana Shamir, Shlomo Shavit, (eds.), Encyclopedia of JEWISH HISTORY, Events and Eras of the Jewish people, Israel, 1986.
- Johnson, Poul, A History of the Jews, London, 1988.
- Kaplan, Yosef, Ben Judesma: The western Sephardic Diaspora in: cultures of Jews, III parts, ed., by Biale, David, Schocken Books, First published, U. S. A, 1999, part II, pp.611 – 670.
- Kelourie Elie (ed.), The Jewish world, "Revelation, Prophecy and History", London, 1979.
- Krinsky Carol Herselle, Synagogues of Europe, Architecture, History, Meaning, reprinted in New York, 1996.
- Lerman Antony and others, (eds.), The Jewish communities of the world. A contemporary Guide, 4th ed., New York., 1989.
- Meek, H. A., The Synagogue, First published, London, 1995.
- Newman, E., Louis, Past Imperatives, Studies in the histories and theory of Jewish Ethics, State university, New York, 1998.

- Roth, Cecil: (ed.), The concise Jewish Encyclopedia, First printing, London 1980, Art. Obadiah of Bertinoro (ed.), Encyclopedia Judaice, 16 volumes (Jerosalem: Keter House, 1972).
- _____, The Jewish contribution to civilization, London 1938.
- Scheindlin, Raymond, P., Merchants and intellectuals, Rabbis and poets: Judeo – Arabic culture in the golden Age of Islam in: cultures of Jews, III parts, ed. By Biale, David, Schocken Books, first Published, 1999, part II, pp.313 – 388.
- Sed- Rojna, Gohielle, L'art Juif, C, L'art et les grandes civilisations, Paris, 1995.
- Sherbok, Dan Cohen, Atlas of Jewish history, 1st published, London, Great Britain, 1994.
- Sirat Colette, A History of the Jewish Philosophy in the Middle Ages, 3rd ed., Paris, 1996.
- Vincent, L. H., Mackay E. J. H. et Abel, F. M., Hebron: Le Haram el-Khahil, Sepulture des patriarches, 2vols., texte et Album de plotos, Paris 1923.
- Wigoder, Geoffrey (Ed.), The New standard Jewish Encyclopedia. 3vols., 7th ed. New York, Oxford, 1992.

رابعا : المراجع الثانوية العربية والمعربة :

- إبراهيم الجندي: فلسطين في عيون الرحالة الأوروبيين، بحث منشور في: المجلة الفلسطينية للدراسات التاريخية تصدر عن الجمعية الفلسطينية للدراسات الفلسطينية للدراسات التاريخية – رام الله، المجلد الأول، العدد الثالث، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.، (ص١٢٤ – ١٦١).
- إبراهيم الفقي وطاهر الغمري: المسجد الأقصى والصخرة المشرفة، التاريخ، العمارة، الأثاث، الحفريات، المخطط الصهيوني، دار الشروق، الطبعة الأولى، الإصدار الأول، عمان – الأردن، ٢٠٠١م.
- أحمد دراج: الممالك والفرنج في القرن التاسع الهجري، القاهرة، ١٩٦١م.
- أحمد راتب عرموش وآخرون: موسوعة الأديان (ميسرة) الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- أحمد شلبي: اليهودية، الطبعة ١٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٧م.
- أحمد عبدالغفور عطار: اليهودية والصهيونية، الطبعة الأولى، دار الأندلس، بيروت ١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م.

- الأيطيون، ميخال، وآخرون: اليهود في البلدان الإسلامية (١٨٥٠ – ١٩٥٠م.)، ترجمة: جمال أحمد الرفاعي، ومراجعة: رشاد عبدالله الشامي، عالم المعرفة، العدد ١٥٧، الكويت ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- إمام عبدالفتاح إمام: معجم ديانات وأساطير العالم، ٣جـ، القاهرة ١٩٩٥م.
- بروكلمان، كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية: أمين فارس ومنير البعلبكي، الطبعة العاشرة، بيروت ١٩٨٤م.
- بطرس عبدالملك وآخرون: قاموس الكتاب المقدس، الطبعة الثانية عشرة، دار الثقافة بالقاهرة، ١٩٩٩م.
- جمال حمدان: اليهود أنثروبولوجيًا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م.
- جلوب، فون باجوت: السلام في الأرض المقدسة تحليل تاريخي لمشكلة فلسطين، ترجمة: رشاد الشامي، ونشره تحت عنوان: اليهود واليهودية في العصور القديمة بين وهم الكيان السياسي وأبدية الشتات، الطبعة الأولى، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ٢٠٠١م.
- جورجي كنعان: تاريخ يهود، الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م.
- حبيب غزالة: جزيرة رودس، جغرافيتها وتاريخها وآثارها، القاهرة، ١٩٢٩م.
- حسن الباشا: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، الدار الفنية، القاهرة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- حسن ظاظا: التفكير الديني الإسرائيلي، أطواره ومذاهبه ، القاهرة، ١٩٧١م.
- حسين شريف: المفهوم السياسي والاجتماعي لليهود عبر التاريخ من العهد القديم إلى مفاوضات السلام الشرق أوسطية (١٩٠٠ق.م – ١٩٩٥)، ٤جـ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥م.
- حياة ناصر حجي: بعض ملامح الأحوال الداخلية في عهد السلطان قايتباي (٨٧٢ – ٩٠١هـ/ ١٤٦٨ – ١٤٩٦م) مجلة التاريخ العربي، تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة، العدد الثلاثون، ربيع ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م، (ص١٢٧ – ١٩٧).
- ديورانت، ول: قصة الحضارة، ٨جـ، ترجمة: محمد بدران، القاهرة، ١٩٦٨م.
- رشاد الإمام: مدينة القدس في العصر الوسيط، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٦م.
- رشاد عبدالله الشامي: إشكالية الهوية في إسرائيل، سلسلة عالم المعرفة، عدد رقم ٢٢٤، الكويت، ربيع الأول ١٤١٨هـ – أغسطس ١٩٩٧م.
- زبيدة محمد عطا: يهود العالم العربي، دعاوى الاضطهاد، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠٤.
- زكي شنودة: المجتمع اليهودي، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د-ت).
- سامي محمد عبدالحميد: القدس في اليهودية والمسيحية والإسلام، الطبعة الأولى، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.
- ستيفن رنسمان: تاريخ الحروب الصليبية، ٣جـ، ترجمة: السيد الباز العريني، الطبعة الأولى، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٨.

- ستيوارت وسيزموند: القاهرة: ترجمة: يحيى حقي، تقديم: جمال حمدان، القاهرة، ١٩٩١م.
- سعيد عبدالفتاح عاشور: أوروبا العصور الوسطى، الطبعة السادسة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٥م.
- _____: المجتمع المصري في عهد سلاطين المماليك، القاهرة، ١٩٦٢م.
- سليمان محي الدين فتوح: اليهود والقدس، دراسة تاريخية للادعاءات الصهيونية وممارستها في المدينة، تقديم شوقي الجمل، زهراء الشرق، القاهرة، ١٩٩٧م.
- سمية حسن: المعبد اليهودي بمصر القديمة (بن عزرا)، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٩٢م.
- سوزان السعيد يوسف: المعتقدات الشعبية حول الأضرحة اليهودية، دراسة عن مولد يعقوب أبي حصيرة بمحافظة البحيرة، دار عين للنشر، القاهرة، ١٩٩٧.
- سيد عبدالمجيد بكر: أشهر المساجد في الإسلام والبقاع المقدسة، جدة، ١٩٨٠م.
- سيد فرج راشد: المليونيرون واليهود، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- السيد محمد عاشور: الصوم في الشريعة اليهودية، الطبعة الأولى، دار الاتحاد العربي، القاهرة ١٩٧٩.
- شلحك، إسرائيل: التاريخ اليهودي، الديانة اليهودية وطأة ثلاثة آلاف سنة، ترجمة: صالح علي سوداح، الطبعة الأولى، بيسان - بيروت ١٩٩٥.
- شلحك، اسرائيل ومتسلجنسكي، نورتون: الأصولية اليهودية في اسرائيل، ترجمة: ناصر عفيفي، الكتاب الذهبي، روز اليوسف، القاهرة ٢٠٠١.
- صابر طعيمة: فتاوى اليهودي المعلم، ٢جـ، الطبعة الثالثة، دار الجيل بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- صوفي أبوطالب: المجتمع العربي، القاهرة، ١٩٧٠م.
- عائشة راتب: الصهيونية العالمية وإسرائيل، القاهرة ١٩٧١.
- عارف باشا العارف: تاريخ القدس، القاهرة ١٩٥١م.
- عبدالجليل شلبي: اليهود والصهيونية، دار أخبار اليوم، القاهرة مارس ١٩٩٧.
- عبدالرزاق أحمد قنديل: الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي، دار الشرق بالقاهرة بالاشتراك مع مركز بحوث الشرق الأوسط ١٩٨٤م. - ١٤٠٤هـ.
- عبدالرحمن بشير: اليهود في المغرب العربي، ٢٢ - ٤٦٢هـ/ ٦٤٢ - ١٠٧م، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠١م.
- عبدالمجيد بن محمد الخريجي وناصف بن عبدالله الشرعان: الدينار عبر العصور الإسلامية، دار العلم، الرياض ١٤٢٢هـ.
- عبدالوهاب المسيري: الأقليات اليهودية بين التجارة والإدعاء القومي، دار نافع، دمنهور، القاهرة، ١٩٧٥.
- _____: من هو اليهودي؟ الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

- _____: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية: رؤية نقدية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة ١٩٧٥.
- _____: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ٨جـ، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩م.
- عثمان علي محمد عطا: الأزمات الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي وأثرها السياسي والاقتصادي والاجتماعي ٦٤٨ - ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ - ١٥١٧م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة المصريين، رقم ٢١٣، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- عرفه عبده علي: ملف اليهود في مصر الحديثة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١م.
- عطيه القوصي: صلاح الدين واليهود، بحث منشور في المجلة التاريخية المصرية، مج ٢٤، القاهرة، ١٩٧٧م، ص٣٩ - ٥٤.
- علي أحمد السيد: الخليل والحرم الإبراهيمي في عصر الحروب الصليبية ٤٩٢ - ٥٨٣هـ/ ١٠٩٩ - ١١٨٧م، الطبعة الأولى، القاهرة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- _____: وثيقة عهد البابا الكسندر الثالث بدير صهيون في القدس ١١٧٨م، عرض ودراسة وتحليل، بحث ألقي في مؤتمر تاريخ فلسطين في ضوء البرديات والنقوش ١٩٩٨م، ACPSI ، القاهرة ١٩٩٩م.
- علي السيد علي: القدس في العصر المملوكي، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٦م.
- علي عبدالواحد وافي: اليهودية واليهود، بحث في ديانة اليهود وتاريخهم ونظامهم الاجتماعي والاقتصادي، الطبعة الثانية، نهضة مصر، القاهرة، (د.ت).
- غازي السعدي: الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
- فارج فيليب ويوسف كرباج: المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي، ترجمة بشير السباعي، الطبعة الأولى، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٤م.
- فالترهنتس: المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة د. كامل العسلي، عمان، ١٩٧٠م.
- فؤاد حسنين علي: المجتمع الإسرائيلي منذ تشريده حتى اليوم، ٢جـ، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٨م.
- فؤاد حسين مزنر: أطماع اليهود وأسفارهم، دار الكتب الثقافية، بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك فتاريخ السياسي والاجتماعي، الطبعة الأولى - (عين) للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية الهرم، القاهرة، ١٩٩٨م.
- _____: اليهود في مصر من الفتح العربي حتى الغزو العثماني للطبعة الأولى - دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٧م.
- كاهن: كنود: الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة أحمد الشيخ، ط١، القاهرة ١٩٩٥م.
- كامل سعفان: اليهود تاريخ وعقيدة، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٨.
- كاميليا فيوجيل: يهود اليمن، دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين، الطبعة الأولى، دار التعبير، دمشق ١٩٩٩م.

- كولان، بول: العثمانيون في أوروبا، ترجمة: عبدالرحمن عبدالله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م.
- كيمتلر، أرثر: القبيلة الثانية عشرة ويهود اليوم، ترجمة: أحمد نجيب هاشم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١م.
- مارجوليوث، م.ل، ماركس، أ: تاريخ الشعب اليهودي، جـ١، أشرف على الترجمة والإعداد: لولاشجي، إبراهام، الطبعة الخامسة، نيويورك ١٩٦٤م.
- ماير، ل. ا: الملابس المملوكية، ترجمة: صالح الشيتي، مراجعة وتقديم: عبد الرحمن فهمي محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م.
- محمد بحر عبدالمجيد: اليهود في الأندلس، دار الكتاب العربي، العدد ٢٣٧، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٩٠م.
- محمد بديع شريف: مدخل لدراسة مطامع اليهود في فلسطين قديماً وحديثاً، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٣م.
- محمد جلاء إدريس: يهود الفلاشا أصولهم ومعتقداتهم وعلاقتهم بإسرائيل، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٣م.
- محمد خليفة حسن: تاريخ الديانة اليهودية، الطبعة الأولى، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٨م.
- محمد خليفة حسن، النبوي جبر سراج: الجنيزة والمعابد اليهودية في مصر، عدد ٩، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، إصدار مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة ١٩٩٩م.
- محمد عبدالعال أحمد: بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما (٦٢٨ – ٩٢٣هـ/ ١٢٣١ – ١٥١٧م.)، الهيئة المصرية العامة للكتاب – فرع الإسكندرية، ١٩٨٠م.
- محاسن الوقاد: اليهود في مصر المملوكية في ضوء وثائق الجنيزة (٦٤٨ – ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ – ١٥١٧م.)، الهيئة المصرية العامة للكتاب (تاريخ المصريين عدد ١٣٥)، ١٩٩٩م.
- مراد فرج: القراؤون والربانون، القاهرة، ١٩١٨م.
- لوتسك، هارفي: عادات وتقاليد اليهود، تعريب مصطفى الرز، دار سلمى للنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٤م.
- لويس، برنارد: اليهود في ظل الإسلام، ترجمة: حسن أحمد يسلم، مركز الدراسات العسكرية بدمشق ١٩٩٥م.
- يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ٢جـ، منشورات مؤسسة فيصل، استانبول، جـ١، ١٩٨٨م.
- يوسف عيد: موسوعة الأديان السماوية والوضعية، (٥) الديانة اليهودية، الطبعة الأولى، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٥.

الأوقاف المصرية على القدس في العصر العثماني

د. فايزة محمد محمد حسن ملوك (*)

مقدمة

بعد أن انتصر العثمانيون على المماليك في معركة مرج دابق سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م دخل السلطان سليم الأول (٩١٨ – ٩٢٦هـ/١٥١٢–١٥٢٠م) البلاد الشامية، وكانت مدينة القدس ضمن هذه البلدان، وقد أقام على هذه البلاد نائبًا عنه هو جان بردى الغزالي[١]، وإن لم يتم إسكان الأتراك بالقدس أو أي جزء آخر من فلسطين[٢]، فقد

(*) مدرس بقسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية كلية الآداب جامعة دمنهور.

(١) عارف باشا العارف: تاريخ القدس، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة ١٩٥١، ص١٠٣؛ يحيى الفرجان، قصة القدس، سلسلة المدن الفلسطينية، العدد (٦)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، فلسطين، بدون تاريخ، ص٢٥ * جان بردى الغزالي: من مماليك قايتباي، اشتراه، واعتقه، فعينه الأمير تغرى بردى الأستادار في وظيفة شاد (مشرف) في ضيعة بالغربية يقال لها منية غزال فنسب إليها، ثم صار جمدارًا، ثم تولى كاشف الشرقية، ورقى إلى أمير عشرة لواخر عهد قايتباي، ثم شغل وظيفة محتسب القاهرة زمن قانصوه الغوري ثم حجوبية الحجاب، فنائب حماة، وبهذه الوظيفة خان السلطان الغوري ثم طومان باى الذي تسبب في إعدام الأخير على يد سليم الأول في ١١ ربيع الأول ٩٢٣هـ/ ٢٣ أبريل ١٥١٧م وبذلك قضى بمشاركة خاير بك على دولة المماليك ودخول العثمانيين مصر (انظر: إبراهيم على طرخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة (١٣٨٢– ١٥١٧م)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٠، ص١٩٧، ٢٠٣، ٢٣٤)، وكمكافأة لخيانته أسند إليه السلطان سليم الأول ولاية دمشق في ٥ صفر ٩٢٤هـ/ ١٦ فبراير ١٥١٨م وأطلق يده في كل جنوب سورية من معرة النعمان إلى العريش وحتى نهاية عهد سليم كان جان بردى الغزالي مشغولاً على الأخص بإخضاع القبائل، إلا أنه عندما علم بوفاة سليم في عام ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م قام بالثورة وأطاح بالحكم العثماني لإقليم الشام، وعين بدلاً منه أحد العرب المحليين ثم عاد بعد ذلك إلى دمشق فحاصر القلعة التي كانت تحت قيادة ضابط عثماني، وبعد استيلائه على القلعة أعلن عصيانه للسلطان سليمان القانوني (٩٢٦– ٩٧٤هـ/ ١٥٢٠– ١٥٦٦م) ومنع ذكر اسمه في خطبة الجمعة ثم بدأ جان بردى الغزالي في

أرسل العثمانيون حكامًا (باشاوات)[٣] فقط، ومعهم موظفون مدنيون، وقوة صغيرة تمركزت في القلعة[٤]، وجعل حاكمها رتبة ميرلواء[٥] للقدس ومتسلمها[٦].

الزحف على حلب لأهميتها الإستراتيجية ولكن القوات العثمانية قتلته عند قلبون بالقرب من دمشق في ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م وعين القائد العثماني واليًا عثمانيًا جديدًا على دمشق بدلاً من المماليك واقتصر نفوذه على دمشق وما جاورها. وعين حكامًا تابعين له في غزة، وصفد، والقدس، إلا أن طرابلس رفعت إلى مرتبة الولاية وأصبحت على قدم المساواة مع حلب ودمشق، لكن ترتب على ثورة جان بردى الغزالي لإجراء تقسيم إداري جديد نسوية فاشتملت ولاية دمشق على عشرة صناجق (ألوية) أهمها القدس، ونابلس، وغزة، وتدمر، وصيدا، وبيروت، أما طرابلس فكان بها خمسة صناجق منها حمص، وحماة، وجبلة، وسلمية، وظل هذا التقسيم الإداري قائمًا حتى عام ١٠٧١هـ/ ١٦٦٠م حين أضيفت ولاية أخرى وهي ولاية صيدا لتكون مركزًا للرقابة على لبنان بعد الثورة التي قام بها الأمير فخر الدين المعني – واستمر هذا الوضع الإداري في سورية حتى قيام الحكم المصري في الشام (١٢٤٨- ١٢٥٦هـ/ ١٨٣٢ - ١٨٤٠م) لكنها عادت مرة أخرى إلى نظام الولايات الأربع (انظر: عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي (١٥١٦- ١٩٢٢)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٤، ص١٥٤، ١٥٥).

(١) هنري كتن: القدس، ترجمة إبراهيم الراهب، دار كنعان للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، دمشق، ١٩٩٧، ص٢٥

(٢) باشاوات: جمع باشا، قيل إنها من الكلمة الفارسية (بادشاه) بمعنى سلطان أو ملك، وقيل إنها من (باش) بمعنى الرأس أو الرئيس، وهذا اللقب كان يطلق في مصر على رجال الجيش إذا صاروا ألوية، وعلى أعيان المدنيين، ووكلاء الوزارات، ومحافظي الأقاليم، وكبار التجار، وملاك الأراضي، وألغي هذا اللقب سنة ١٩٥٢. (انظر: أحمد السعيد سليمان، تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩، ص٣٦).

(٣) كارين أرمسترونج: القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث، ترجمة فاطمة نصر، محمد عناني، دار الكتب المصرية، ١٩٩٨، ص٥٢٥- ٥٢٨.

(٤) ميرلواء: أو أمير اللول، حيث قسمت الدولة العثمانية في أول الأمر إلى عدد من الوحدات الإدارية الإقطاعية عرفت باسم الصناجق (الألوية) على رأس كل منها صنجق بك (أمير لواء) من قوة الفرسان الإقطاعية، وخول هذا الصنجق حق رفع علم (لواء أو صنجق) بصفته ممثلا للسلطان في المقاطعة، والتف حول علمه الجند الإقطاعي كلما نودي للقتال، ولكن عندما اتسعت الدولة، وضمت ألوية جديدة كبرى وصغرى، وأصبح من الصعب ربطها بالعاصمة عمدت الدولة إلى جمع عدد من الألوية في ولاية أو إيالة، وعينت على كل ولاية بك (أمير أمراء الألوية، أو ميرميران باللغة العربية المشتركة) برتبة باشا، وقد

استقبل أهل القدس العثمانيين بحفاوة خاصة بعد أن أهملت المدينة في أواخر عهد المماليك فتراجعت هبات الأوقاف[٧]، وكمد الاقتصاد، لكن تحسنت الأحوال في القدس بشكل كبير على أيدي العثمانيين لاسيما في عهد السلطان سليمان القانوني، لما لها من أهمية دينية عند المسلمين والمسيحيين، فقد أعاد بناء أسوار المدينة حتى أصبحت القدس محصنة لأول مرة منذ أكثر من ثلاثمائة عام[٨]، كما رمم قبة الصخرة، وأعاد تبليط المسجد الأقصى، فضلاً عن رسم جدران الحرم الشريف، وأبوابه، حتى أصبح يعرف بخادم الحرمين في القدس والخليل[٩]، وفي سنة ٩٣٦هـ/ ١٥٣٠م حول مقام النبي داود عليه السلام – بعد أن كان محطة للمشعوذين، وأهل البدع – إلى مسجد تقام فيه الصلوات الخمس[١٠]. كما أمر ببناء مسجد الطور على جبل الزيتون، إلى جانب إنشائه العديد من المنشآت المسيحية من أديرة، وبطريركية للكاثوليك، كما رمم وجدد العديد من الأسواق[١١].

اقتصرت اختصاصات أمراء الألوية على قيادة القوات العسكرية وقت الحرب (انظر: عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص٥٥).

(١) عارف باشا العارف: المفصل في تاريخ القدس، الجزء الأول، الطبعة الخامسة، مكتبة الأندلس، فلسطين، ١٩٩٩، ص٢٦٣.

(٢) الأوقاف: جمع وقف، والوقف في الشريعة الإسلامية صدقة محبّسة، لا تباع، ولا تشترى، ولا توهب، ولا تورث ويصرف ريعها إلى جهة من جهات البر، وهو ينقسم إلى قسمين، الأول: الوقف الخيري، وهو ما يصرف فيه الريع من أوله الأمر إلى جهة خيرية كالفقراء، والمساجد، والملاجئ، ونحو ذلك، والثاني: وهو الوقف الأهلي وهو ما جعل مستحقاق الريع فيه للواقف نفسه أو لغيره من الأشخاص المعينين بالذات أو الوصف سواء أكانوا أقاربهم أم من غيرهم ثم من بعد ذلك يكون لجهة خيرية. (انظر: محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر دراسة تاريخية وثائقية (٦٤٨- ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ - ١٥١٧م)، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٠، ص١١- ٣٣).

(٣) كارين أرمسترونج: المرجع السابق، ص٥٢٦.

(٤) آمال الخزامي: الأوقاف في القدس، من خلال الموقع الإليكتروني: http://www.wata.cc/,p.2 .

(١٠) خليل السمعادي: القدس في العهد العثماني، من خلال الموقع الإليكتروني: http://www.odabasham.net,p.1

(١١) عارف باشا العارف: المفصل في تاريخ القدس، ص١٢٩٧، ٣٠٣، يحيى وزيري: التطور العمراني والتراث المعماري لمدينة القدس الشريف، الكتاب الفائز بجائزة منظمة العواصم والمدن الإسلامية ضمن الموقع الإليكتروني: http://www.egyptarch.com/,p.5 .

من ناحية أخرى نالت الأوقاف بالقدس[١١] اهتمامًا كبيرًا من قبل هذا السلطان. حيث أعيد بناء أوقاف الحرم، وبعض المدارس[١٢]، كما تنازل عن حقه في رسوم دخول الحجاج لصالح تمويل تلاوة القرآن في قبة الصخرة لمدة عام، حتى أصبحت الأوقاف التي تم إصلاحها مصدر عمل ودخل لأعمال الخير. كما قامت زوجته روكسيلانة الروسية بإنشاء تكية[١٣] في القدس سنة ٩٥٩هـ/ ١٥٥١م[١٤]. واستمر الاهتمام

---

(١١) كانت أوقاف القدس تتبع أوقاف إيالة صيدا حتى عام ١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م، حيث عملت الدولة العثمانية في هذه السنة على فصلها تضبط إيراداتها، وخلال هذه الفترة كان قاضي القدس يشرف على مسئول الوقف الذي كانت مهمته جمع و إيرادات الوقف، والإنفاق منها في السبل المحددة لها بعد موافقة القاضي، وبعد هذا العام أصبحت أوقاف لواء القدس مستقلة عن ولاية صيدا حيث عين للأولى مدير للأوقاف، والتي انحصرت مهمته في تحصيل أموال الأوقاف في منطقته وإرسالها إلى الخزينة، والإشراف على إصلاح الوقف، والأماكن الموقوف عليها (انظر: تيسير أحمد حسين حسن وهلبيه، القدس في القرن التاسع عشر (١٧٩٩ - ١٨٩٨) رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، سوهاج، ١٩٨٢، ص٨).

(١٢) كان من أشهر المدارس الموجودة بالقدس في تلك الفترة : المدرسة الرصاصية التي أنشئت في سنة ٩٤٨هـ/ ١٥٤١م، على يد الأمير بابرام جاويش الذي كان متناظرًا لعمارة السور، وهي تعتبر المدرسة الوحيدة التي أعدها الأتراك لتعليم أبناء القدس تعليمهم الابتدائي. وتقع هذه المدرسة في حارة الواد داخل السور (انظر: عارف باشا العارف، المفصل في تاريخ القدس، جـ١، ص٢٦٦).

(١٣) تكية: وهي مكان لإيواء فقراء المتصوفة المحتاجين للمأوى والمأكل، والمشرب، يقدم لهم ذلك مجانًا من ريع الأوقاف، أو من صدقات المحسنين (انظر: ليلى عبد اللطيف أحمد، المجتمع المصري في العصر العثماني، دار الكتاب الجامعي، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٧، ص١٨٧) وكان لأهل التكايا مرتبات شهرية وسنوية من ديوان الأوقاف العمومية، أو من أوقاف خصوصية، ولذا سمي محل مقامهم تكية، لأن أهلها كانوا يتكئون في أرزاقهم على تلك المرتبات (انظر: علي باشا مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، الجزء السادس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨، ص١٥٥)، وقد وجدت بعض تكايا للنساء، والأرامل، والمطلقات المحتاجات، وذلك لتكون مأوىً لهم، وفي تلك التكايا كانت النساء تنزي يزي الصوف والمرفع من الثوب، وأيضًا الثياب الصوفي الخشن (انظر: ليلى عبد اللطيف، المجتمع المصري، ص١٨٧).

(١٤) عرفت هذه التكية باسم "خاصكي سلطان" وهو الاسم الآخر لهذه الزوجة، والتي كانت جارية في بلاط السلطان سليمان القانوني قبل أن يتزوجها، وهي روسية الأصل

بالمشاريع بتلك المدينة من قبل باقي السلاطين العثمانيين، وإن ولم يكن بنفس اهتمام السلطان سليمان: يرجع ذلك في الغالب إلى أن المنشآت العمرانية التي أنشئت بالقدس في عهد هذا السلطان كانت واسعة وكبيرة وأعطت المدينة جانبًا من مستلزماتها العمرانية، والحربية، والدينية، والاجتماعية، كذلك انشغال عدد من السلاطين العثمانيين في الأمور العامة والخاصة، فضلاً عن الثورات والفوضى التي مرت بها القدس لاسيما

لبولونية، كما عرفت باسم روكسيلانة وتعني الضاحكة أو المحبوبة، أطلق عليها خازن قاسوة في بلاط السلطان اسم (خرّم) توفيت في سنة ٩٩٦هـ/ ١٥٥٨م، ودفنت في جامع السليمانية في استانبول. والخاصكية فئة من المماليك السلطانية ظهرت في العصر المملوكي؛ أما عند العثمانيين فهي من حاشية السلطان المقربين. وتعتبر هذه التكية من أهم منشآت القدس على الإطلاق، وقد بدأ إنشاؤها في سنة ٩٥٩هـ/ ١٥٥١م، وهي تقع في عقبة التكية وهي الطريق الذي يشكل استمرارًا لطريق باب الناظر، بعد أن تقطع طريق الوادي وتنتهي العقبة بسوق باب خان الزيت في موضع سراي الست متشق المظفرية، المعروفة بدار الست، وقد أوقفتها في سنة ٩٦٤هـ/ ١٥٥٧م فأصبحت أكبر مؤسسة خيرية في فلسطين طول العصر العثماني. وكانت تتألف من خمس وخمسين غرفة، وساحة كبيرة، وخان، ومسجد، ومطبخ لتقديم الوجبات المجانية، وتشكلت أوقاف العمارة من جملة كبيرة من العقارات امتدت في أراضي القدس، وطرابلس، والرملة، وغزة، والخليل، وبيت لحم، وبيت جالا وغيرها، وقد خصص من ضمن ريعها : لتصرف على مرتبات أربعين وظيفة لأبناء القدس: لشهرها متولي الوقف وكاتبه، وخمسة جباة لريع الوقف، وإمام المسجد، ووكيل خرج العمارة العامرة، والمسئول عن خزن الحبوب، ومكاتب تأديب الأولاد. وقد أوقف السلطان سليمان القانوني على تلك التكية، بعد وفاة زوجته، أوقافًا إضافية ضمانًا لاستمرار دعم هذه المؤسسة الخيرية، وبمرور الوقت أصبح المطبخ الذي تقدم فيه الوجبات المجانية هو أهم جزء في تلك التكية، وهذا يعني أن مفهوم التكية باللغة التركية – وهو الرباط الذي يقيم به الدراويش والصوفية ويأكلون مجانًا – تعارض مع مفهوم التكية بلغة القدس وفلسطين حيث أصبحت تعني بالدرجة الأولى للمكان الذي تقدم فيه الأرزاق مجانًا (انظر: محمد كرد، خطط الشام، الجزء السادس، مطبعة المفيد، دمشق، ١٩٢٨، ص١٥٥؛ كامل جميل العسلي، من آثارنا في بيت المقدس، عمان، ١٩٨٢، ص٩- ٣٨؛ محمد هاشم غوشة، أوقاف القدس في العهد العثماني (٩٢٢- ١٣٣٦هـ/ ١٥١٦- ١٩١٧م)، من خلال الموقع الإليكتروني http://al-ms|d-alaqsa.com:p.4 ومع مجئ محمد علي لحكم مصر صدر هذا الوقف سنة ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م، وإن استمر تحت إشراف الدولة العثمانية بعد استردادها لبلاد الشام، ولكنها حددت وارداته هذا الوقف بمبلغ قدره ١١٥٠ ليرة عثمانية كانت تؤديها كل سنة إلى إدارة الأوقاف (انظر: تيسير أحمد حسين حسن وهلبية، المرجع السابق، ص٢١١).

بين النصارى الكاثوليك، والأرثوذكس، واللاتين[١٦]. فكان من ضمن تلك المشاريع أن أقاموا عددًا من الأسبلة[١٧]، والتكايا، والمدارس، والوقف للفقراء[١٨]، فضلاً عن مطعم لهم ونطلاب العلم[١٩] إلى أن وقعت القدس في قبضة جنود إبراهيم باشا بن محمد علي سنة ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م[٢٠].

أولاً- الأوقاف المصرية على القدس

يرتبط الوقف ارتباطًا وثيقًا بالإسلام بشكل كبير على الرغم من ظهوره بشكل أو بآخر في المجتمعات المجاورة، ونظرًا للدور الكبير الذي أخذ ينعبه في المجتمعات المسلمة، أصبح الوقف يغطي مهام الدولة الإسلامية؛ ويشمل المؤسسات الدينية كالجوامع، والأسبلة، والتكايا، بالإضافة إلى الكتاتيب، والمدارس وغير ذلك من المنشآت الخيرية – كما ذكر سابقًا – مما ساهم في نشر الثقافة وتنميتها، ونشر التعليم داخل المجتمعات[٢١].

وقد اتضح من حجج الأوقاف التي استفاد منها البحث أن دور الوقف قد ازداد في المجتمعات الإسلامية حتى وصل إلى ذروته في العصر العثماني الذي شهد ازدهارًا كبيرًا في مختلف المجالات، فكان للوقف دور أساسي في المجال الديني، والاقتصادي : من التصرف على المؤسسات الدينية وإنشاء حوانيت[٢٢] وحواصل (مخازن)، ووكالات[٢٣]،

---

(١٦) عبد الفتاح حسن أبو علية، القدس دراسة تاريخية حول المسجد الأقصى والقدس الشريف: دار المريخ، السعودية، ٢٠٠٠، ص١١٨، ١١٩.

(١٧) الأسبلة: جمع "السبيل" وهو منشأة مائية أقيمت لتزويد عابري السبيل بالمياه، وقد كان إنشاؤه عادة جارية عند كل الملل منذ القدم، إلا أنها كانت بصفة أكثر عند المسلمين في معظم مناطق الشرق العربي، ولاسيما في الجهات قليلة الماء، ومن هنا لعبت الأسبلة دورًا مهمًا في تقديم أهم خدمات الرعاية الاجتماعية إلى سكان هذه المناطق (انظر: محمود حامد الحسيني، الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة، ١٥١٧- ١٧٩٨م، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٨، ص٩).

(١٨) عارف باشا العارف: المفصل في تاريخ القدس، جـ١، ص٣٠٣- ٣٠٨.

(١٩) أ. جي . بريل: موجز دائرة المعارف الإسلامية، الجزء السادس والعشرون، المراجعة والإشراف قطمي حسن حبشي وآخرون، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الطبعة الأولى، ١٩٩٨، ص٨١٣٠.

(٢٠) عارف باشا العارف: تاريخ القدس، ص١٠٥.

(٢١) محمد محمد أمين: المرجع السابق، ص١٣٢، ١٤٨، ١٤٩، ١٧٩- ١٨١، ٢٣٣- ٢٣٥.

(٢٢) حوانيت: جمع حانوت، وهو مكان صغير مربع الشكل يبلغ ارتفاعه ستة أو سبعة أقدام، وطول ضلعه بين ثلاثة أو أربعة أقدام، ويجاوره أحيانًا مكان آخر مماثل يستخدم مخزنًا،

والسواق وغير ذلك لتكون مراكز لممارسة النشاط التجاري. كما كان للوقف دور كبير في نشأة وتطور المدن والقرى، ومع مرور الزمن ومع تنوع الوقف أصبح يبرز في المنشآت الخيرية، والمنشآت الذرية (الأهلية)، وبالتالي أصبح الواقف حريصًا على نجاح الوقف واستمراره إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وكانت أرضية الحانوت ترتفع بصفة عامة عن مستوى الشارع بمقدار قدمين أو ثلاثة وغالبًا تمتد خارج واجهة الحانوت لتكون مقعدًا مبنيًا بالحجر أو الطوب "مصطبة"، ويتم غلق الحانوت ليلاً بواسطة مصراع من الخشب، والجزء العلوي من المصراع يرفع لكي يكون سقفيه، أما المصراعان السفليان فإنهما ينحرفان ليكونا منضدة. وبصفة عامة لم يكن هناك اتصال بين الحانوت وبين الصارة التي ينتمي بها. ولم يكن التاجر يسكن عادة في السوق، فبعد انتهاء عمله اليومي يعود إلى منزله بعد غلق حانوته بالمزلاج أو بالأقفال، وهو تأمين ظاهري أكثر منه حقيقي، فضلاً عن هذا فإن الأسواق كانت تحرس ليلاً، ولم يكن التجار يضعون في حوانيتهم سوى البضائع التي هم في حاجة إلى بيعها في الحال. وكان الحانوت يضم أثاثًا متواضعًا للغاية، حصيرة، وسجادة، وبضع وسادات ويجلس التاجر عادة على المصطبة حيث يجلس أيضًا زبائنه، ويتجاذبون أطراف الحديث التي قد يطول أمدها، ويتخللها أحيانًا شرب القهوة وذلك قبل عقد الصفقات (انظر: أندريه ريمون، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، ترجمة لطيف فرج، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩١، ص١٧٩).

(٢٣) وكالات: جمع وكالة، كان الأوروبيون يطلقون على الوكالات (Oquelles) أو (Okels) وكانت هذه المنشآت تستخدم أساسًا للتجارة الكبيرة بالقاهرة، وكانت تستعمل لتخزين البضائع والمنتجات، قبل توزيعها على دكاكين البيع بالتجزئة، أو تخزين المنتجات التي كان يعاد تصديرها إلى الخارج أو إلى بقية أنحاء العالم، وكان عدد من تلك الوكالات يشكل التزامًا مطروحًا للإيجار يطلق عليه أقلام"، أيضًا كان هناك منتجات معينة يحتكر بيعها في مكان محدد بالوكالات حيث يخضع البيع لرسوم يقوم بجبايتها الملتزم. وكانت معظم الوكالات تتخصص في بيع سلعة معينة، وكانت النتيجة البديهية لهذا التخصص أن التجار الذين كانوا من أصول إقليمية واحدة، ويعملون في تجارة معينة قد أثروا التجمع معًا بصورة طبيعية داخل الوكالات نفسها. ومع أن الوكالات خصصت للتجارة إلا أنها تضمنت أنشطة حرفية متعددة. وكانت فوكالات علاوة على دورها تستعمل مأوى للتجار الأجانب أو المصريين (انظر: أندريه ريمون، الحرفيون والتجار في القاهرة في القرن الثامن عشر، الجزء الأول، ترجمة ناصر أحمد إبراهيم، باتسي جمال الدين، مراجعة وإشراف رءوف عباس، المجلس الأعلى للثقافة، العدد (٨١٨)، القاهرة، ٢٠٠٥، ص٤٢٧، ٤٢٨).

ومن ثم جاء هذا البحث ليعالج ضمن إشكالياته الأوقاف المصرية على القدس، والجهات التي تم الوقف عليها، وهي تكشف عن مدى تأصل الروح الإسلامية، ومدى حرص المسلمين على استمرار الحياة الاجتماعية عامة، والشعائر الدينية خاصة في القدس، وهو ما يؤكد فكرة التضامن الإسلامي من ناحية، وعروبة القدس من ناحية أخرى.

ويلاحظ أن الوقف على القدس دار على دربين الأول: أوقاف في مصر مرصده على القدس، والثاني أوقاف مصرية موجودة بالقدس ومحيطها. وقد تنوعت تلك الأوقاف من أراضٍ عقارية بما تحويه من حوانيت، وحواصل، ووكالات، وقيساريات[٢٥] بالإضافة إلى المنازل، والأراضي الزراعية. وإن كانت نسبة الوقف الخيري تفوق الوقف الذري (الأهلي) في القدس، وربما يرجع ذلك إلى أن العثمانيين ورثوا نظامًا غنيًا بمظاهر الوقف الخيري في تلك المدينة عن العهدين الأيوبي والمملوكي[٢٦].

أما فئات الواقفين فجاءت ممثلة في أوقاف بعض السلاطين المماليك الجراكسة السابقين[٢٧]، وتولى الإشراف عليها أحد ذرية هؤلاء، وبعض الأمراء، والعلماء،

---

(٢٥) قيساريات: جمع قيسارية، وهي عناصر تجارية مسقوفة غالبًا، ذات دكاكين تختص ببضاعة معينة أو عدة أنواع من البضائع، وكانت أبواب هذه العناصر تقفل ليلاً، ويعين لها الحراس (انظر: كامل جميل العسيلي، المرجع السابق، ص٣٩، هامش ٢). وقد أطلقت القيسارية على الخان أو الوكالة أي البناء الذي يحتوي على غرف، ومخازن للتجار، ويطوه طباق للسكنى بارتفاع دورين أو ثلاثة (انظر: سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٧٦، ص٤٣٦).

(٢٦) هند أبو الشعر: ملكية الأرض والأوقاف في القدس الشريف مع مطلع العهد العثماني (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م – ١٠٠٥هـ/ ١٥٩٦م)، ضمن الجزء الأول بعنوان القدس منذ الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العثماني: ندوة القدس بين الماضي والحاضر، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠٠٢، ص٩٨.

(٢٧) الجراكسة: أفراد هذا الأوجاق من المماليك الفرسان، وقد نظم هذا الأوجاق في عام ٩٢٢هـ/ ٢٤ – ١٥٢٥م من المماليك الذين أعلنوا ولاءهم للسلطان العثماني وتأتيه في مصر، وقد كلف هذا الأوجاق مثل بقية فرق الفرسان بخدمة حكام المقاطعات الريفية، ومقاومة قبائل البدو عند محاولتها مهاجمة الطرق، والمناطق الزراعية علاوة على مراقبة زراعة الأراضي، والمحافظة على شبكات الري، وتوزيع المياه (انظر: Shaw. S. J., Ottoman Egypt in the Age of the French Revolution Cambridge Massachusetter, 1964. p.90؛ عبد الكريم رافق، بلاد الشام

والأشراف[٢٧]، وبعض أفراد الفرق العسكرية، والتجار، علاوة على تنوع طرق الانتفاع من الوقف من شراء، وإيجار[٢٨]، وإسقاط، وحكر[٢٩]، وهو ما سنوضحه في الصفحات التالية.

ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت (١٥١٦– ١٧٩٨)، دمشق، ١٩٦٨، ص١٤٥).

(٢٧) الأشراف: كلمة أشراف تعني أولئك الأفراد الذين هم من نسل سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) سواء كان ذلك عن طريق الأب أو الأم، ولم يكن هؤلاء بالضرورة علماء، وإنما كان منهم التاجر، والصانع، والفلاح، وقد تمتع= =الأشراف باحترام كبير داخل المجتمع المصري، وشكلوا جماعة منفصلة ومتميزة (انظر: ليلى عبد اللطيف أحمد، الإدارة في مصر في العصر العثماني، مطبعة جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٧٨، ص٢٩٢).

(٢٨) فيما يتعلق بإيجار الأراضي الوقفية، تطبقًا للمذهب الحنفي – باعتباره المذهب الرسمي للدولة العثمانية – فقد تتضمن عدة شروط فيما يتطق بذلك، منها ألا تتجاوز عقود الإيجار للأراضي الوقفية الزراعية ثلاث سنوات، وعقود العقارات الوقفية السكنية والتجارية السنة الواحدة، إلا في حالات الضرورة القصوى، وقد سلوى هذا المذهب بالتعمية لعدد لمستأجار الأراضي الزراعية بين أراضي الوقف، والأراضي الأميرية، والأراضي الميتلمي. وأحيانا قد تطول مدة الإيجار إذا قام المستأجر بترميمات وإصلاحات للعقار على حسابه، ثم اقتطاع ذلك من أجرة العقار، وإذا كان مبلغ الإصلاحات يفوق قيمة الأجرة، فإن هذه الزيادة تتراكم لصالح المستأجر الذي يحتفظ بالعقار المستأجر، طالما أن الوقف ليس فيه من الواردات ما يغطي ذلك، ويعرف هذا الدين لمستأجر عقار الوقف بالمرصد (انظر: عبد الكريم رافق، استئجار الأراضي الوقفية في بلاد الشام بين المذاهب الفقهية، والظلمات الاجتماعية، مجلة المعهد الفرنسي بالقاهرة، العدد ٢٥، ٢٠٠٥، ص٨٤، ٨٥). ومن ضمن شروط الإيجار: لا يجوز لناظر الوقف أن يقوم بتأجير الوقف لنفسه، ولمن هو تحت ولايته من أولاده، لأنه يكون في هذه الحالة مؤجرًا ومستأجرًا في الوقت نفسه، كما لا يجوز له أيضًا أن يؤجر الوقف لمن لا يقبل شهادته، وهم أصوله، وفروعه، وزوجته لكونه يؤجر ما لا يملك، والأولوية في التأجير لشخص يقوم بدفع حقوق الوقف المترتبة في ذمته من غير تمييز، ولا مماطلة، ولا مقاضاة (انظر: إبراهيم محمد نعمة الله، الأراضي الوقفية في مدينة الرملة في العهد العثماني (١٢٨١– ١٣٣٣هـ/ ١٨٦٤– ١٩١٤م) من خلال سجلات المحاكم الشرعية ضمن الموقع الإلكتروني: http://www-appc.pna..p.12-13 . وقد طبق القضاة العثمانيون، إلى جانب هذا المذهب، المذهبين الشافعي، والمالكي في عقود استئجار الأراضي الوقفية في القرن السادس عشر الميلادي حين كانت سلطة الدولة قوية، وقد أعطى الحق للقاضي الحنفي في النظر في عقود المستأجرين المسيحيين، أما القاضي

فبالنسبة للأوقاف الموجودة بمصر، فقد تضمنت حججها إقبال بعض المصريين والمقدسيين عليها، مستخدمين طرق متنوعة للاستفادة منها لصالح القدس، فكان من هذه الطرق الشراء، فمن الحجج التي أشارت إلى مصريين ومقدسيين في قيامهم بشراء أوقاف متضمنة منشآت عقارية وتجارية، قيام الشريف أحمد بن أحمد بن خضر، المعروف بحشيش الحناوي، بشراء قطعة أرض بحارة المبيضة[٣٠]، بخط وكالة الصابون: والجمالية[٣١]، من خليل بن إبراهيم بن يزيد، وقد بلغت مساحتها ٣١٠

المالكي فكانت فرصته ضعيفة نظرًا لقلة المالكية في الشام بصفة عامة (انظر: عبد الكريم رافق، استئجار الأراضي الوقفية، ص٩٧).

(٢٩) الحكر: هو عقد إيجار يقصد به إبقاء الأرض الموقوفة تحت يد المستأجر (المحتكر) على أن يأذن له متولي الوقف بالبناء على هذه الأرض أو زراعتها، ويحق له بيع البناء، أو وقفه ويكون البيع منصبًا على البناء، وليس على الأرض، ويشمل الحكر جزءًا من العقار مثل السطح: والحائط في الدور، وضمن المحلات: والأراضي الزراعية بموجب صكوك شرعية، وتكي يعتبر الحكر صحيحًا يجب أن تتوافر فيه ثلاثة شروط وهي: أن يكون عقد الإجارة الذي تضمنه العقد صحيحًا وذلك بأن يكون التحكير إلى مدة معلومة: وبأجرة معلومة محددة لا تقل عن أجر المثل. على أن يتم ذلك بعد مراعاة شرط الواقف. لا يتم التحكير إلا بعد التأكد من وجود ضرورة أو مصلحة محققة للوقف، كما يجب أن يتم بإذن من المحكمة المختصة، وأن يسجل في دائرة التسجيل (انظر: إبراهيم محمد نعمة الله، المرجع السابق، ص١٣). وقد يعطي نظام التحكير حق استغلال الأراضي أو المباني لعدد طويلة قد تصل إلى ثلاثين سنة، وهو نظام لا تقره القوانين الاقتصادية، لأنه يؤدي إلى انخفاض قيمة الأراضي المحكرة، وما عليها من مبان، فتباع بأبخس الأثمان: فضلاً عن أن المستأجر في هذه الحالة يعمل على استغلال العين الموقوفة إلى أقصى حد لصالحه، دون الاهتمام برعاية الأرض أو تعمير المباني: مما أدى إلى انخفاض ما يمكن أن تطلق عليه (الدخل القومي) فضلاً عن خفض القيمة الحقيقية لهذه الثروات (انظر: محمد محمد أمين، المرجع السابق، ص٣٨٥).

(٣٠) حارة المبيضة: تقع بشارع وكالة الصابون والجمالية، على يسار، ويرأسها سبيل وقف الخانكي في نظارة الأوقاف (انظر: علي باشا مبارك، المصدر السابق، جـ٢، ص٢٠٧).

(٣١) خط وكالة الصابون والجمالية: يبدأ من باب النصر، وينتهي إلى قراقول الجمالية يأول شارع وكالة التفاح، ويأوله المدرسة الجنبلاطية، وهي بجوار باب النصر، لكن لم يتبق منها إلا باب مسدود كان يدخل إليها منه قبل الخروج من باب النصر وقد أنشأ هذه الوكالة الملك الأشرف أبو النصر جنبلاط الجركسي (انظر: علي باشا مبارك، المصدر السابق: جـ٢، ص١٩٩).

ذراعًا[٣٢]، والتي شملت عدة حوانيت تسلع مختلفة، نظير مبلغ ٨٨٠,٥ نصف فضة[٣٣] وقد خصص إيراد تلك الحوانيت لكافة أعمال الخير بالقدس[٣٤]. كما اشترى نور الدين علي المقدسي الحنفي المدرس بمسجد الإمام الحسين بمصر، ابن الشريف موسى المقدسي نقيب الأشراف بالقدس[٣٥]، من مصطفى بن عبد الرحمن الحايك، قطعة أرض بحارة بهاء الدين قراقوش بمصر[٣٦] تابعة للوقف المرصود على زاوية[٣٧]، بالمكان

---

(٣٢) الذراع: المقصود به هنا ذراع المساحة، وهو يساوي ٦٦,٥سم٢ (انظر: فالتر هنتس المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة/ كامل العسلي منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٧٠، ص٨٩).

(٣٣) نصف فضة: أو البارة الفضية، وهي نقد عثماني، وقد ضرب أولاً من الفضة بقيمة قدر أربع أقجات (أخشا) وسرعان ما اختلف مركز (الأخشا) باعتبارها الوحدة النقدية الترك الصغرى، حتى أصبحت الفضة تساوي ست عشرة فحة أي (١,١١ جرامًا) ثم انخفض وزنها أوائل القرن التاسع عشر وقل ما فيها من فضة، وقد كانت هذه العملة وسيلة لتحقيق مرونة العملية التجارية في مصر (انظر: عبد الرحمن فهمي، النقد المتداولة ليلم الجبرتي، بحث منشور ضمن كتاب درسات وبحوث عن عبد الرحمن الجبرتي، بإشراف أحمد عزت عبد الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٦، ص٥٧٣).

(٣٤) محكمة الباب العالي: س٩٧، ص٨٨، م٦٥٨ بتاريخ ١٥ ربيع أول ١٠٢٤هـ/ ١ أبريل ١٦١٥م.

(٣٥) نقيب الأشراف: كان لنقيب الأشراف في استانبول سلطة على نقباء الأشراف في الولايات، وهو الذي يعينهم، وله سلطة قضائية عليهم (انظر: محمد شفيق غربال، مع عقد مفترق الطرق (١٧٩٨- ١٨٠١م) رسالة حسين أفندي الروزنامجي: بعنوان أتربة الديار المصرية في عهد الدولة العثمانية، مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول، القاهرة المجلد الرابع، الجزء الأول، ١٩٣٦، ص٢٥). وقد اهتم نقيب الأشراف في القدس بمصالح الأشراف، وعمل على توفير الحماية لهم، وكذلك فوض صلاحية الفصل في جميع الخلافات التي تقع بينهم، وقد نظرت الدولة العثمانية له نظرة احترام وتقدير، حتى كانت المراسيم تخاطبه بعد القاضي، والمفتي مباشرة، وقبل المتسلم. ويبدو أن منصب النقيب في القدس كان وراثيًا يتناقله الأبناء عن الآباء بعد موافقة نقيب استانبول ويلاحظ أن صاحب هذا المنصب يبقى فيه مدى الحياة (انظر: تيسير أحمد حسين حمدان وهايبه، المرجع السابق، ص٣٧، ٣٨).

(٣٦) حارة بهاء الدين قراقوش: كانت هذه الحارة قديمًا خارج باب الفتوح الذي وضعه القائد جوهر عندما اختط أساس القاهرة من الطوب النيئ. وقد بقي من هذا الباب عقد بئر حارة بهاء الدين، وصارت هذه الحارة اليوم من داخل باب الفتوح الذي وضعه أمير الجيوش بدر الجمالي وهو الموجود الآن، وقد عرفت هذه الحارة باسم حارة الريحاني

نفسه، نظير مبلغ ١٠٢٢٦٢ نصف فضة، وقد خصص المشترى هذه الأرض بعد تعميرها للإنفاق على القدس الشريف[٣٨].

في حين اشترى بدر الدين المقدسي، من المدرسين بالمسجد الحسيني، من بايعيه عبد الخالق، وأخيه الشمسي محمد ابنا أحمد الرومي، حصة قدرها ثلاثة قراريط[٣٩] تحوى حوانيت وحواصل بحارة المغاربة بخط باب الفتوح[٤٠]، نظير مبلغ ١٣٦ ريالاً حجرًا أبي طاقة[٤١]، خصصت تلك الحصة على المؤسسات الدينية بالقدس[٤٢].

والوزيرية وهما طائفتان من طوائف عساكر الخلفاء الفاطميين حيث كانت مساكنهم، ودورهم، وحوانيتهم بها ثم عرفت= =بعد ذلك باسم حارة بهاء الدين قراقوش، وذلك لسكنى بهاء الدين قراقوش بها في عهد صلاح الدين: إلى أن صارت حارة مستقلة عرفت باسم حارة المغاربة (انظر: على باشا مبارك، المصدر السابق، جـ٣، ص١٢١، ١٢٢).

(٣٧) الزاوية: مأخوذة من الفعل "انزوى" بمعنى اتخذ ركنًا من أركان المسجد للاعتكاف، والتعبد، وقد أنشئت الزوايا في أول الأمر ملحقة بالمساجد، ثم تطورت إلى أبنية صغيرة للتعليم، والصلاة، والعبادة يتخذها أحد المشايخ المشهورين بالتقوى والصلاح مسكنًا له، ولمن يرد عليه من العابرين، ويقوم بالوعظ والإرشاد لمن يتردد عليه من الناس (انظر: = = سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري، في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٦٢، ص١٦٩) وقد عكف الصوفية في الزوايا لطلب العلوم الدينية، والعبادة، وينفق عليهم من ريع الأوقاف المخصصة للزوايا لطلب العلم والمعيشة (انظر: توفيق الطويل، التصوف في مصر إبان العصر العثماني، القاهرة، ١٩٤٦، ص٤٠).

(٣٨) محكمة الباب العالي: س٢٦١، ص٩١، م١٢٠ بتاريخ ٢٥ رجب ١١٧٦هـ/ ٩ فبراير ١٧٦٣م.

(٣٩) القراريط: جمع قيراط وهو يساوى اليوم ١/ ٢٤ فدان أو ١٧٥.٠٣٥ متر مربع (انظر: فالنرهنتس، المرجع السابق، ص٩٧).

(٤٠) خط باب الفتوح: يبدأ من باب الفتوح، وينتهى بضريح سيدي دويدار تجاه شارع بين السرايج، وقد سمى هذا الخط بذلك لأن به باب الفتوح وهو أحد أبواب القاهرة، وقد بناه القائد جوهر لكن لم يبق من آثاره سوى قليل (انظر: على باشا مبارك، المصدر السابق، جـ٢، ص٧٦).

(٤١) ريال حجر أبو طاقة: من ريال (Royal) بمعنى ملكي، وكان الأسبان أول من تداولوا هذا النقد في الأسواق التجارية وأطلق الريال في العالم العربي منذ القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي على نقود فضية كبيرة فرنسية، وأسبانية، وهولندية، وألمانية، ونمسوية، والريال النمساوى، والذي سمى (بقتالير) أو ريال (ماريا تريزا)

وكان من ضمن طرق الانتفاع بالوقف الحكر فعلى سبيل المثال: احتكر بدر الدين المقدسي الوكيل الشرعي عن فاطمة ابنة الشريف حجازي الوفائي المقدسية، من كل من خليل بن إبراهيم، وعيسى بن أحمد جنيدي الحريري، وشيبة ابنة حجازي، خمسة حوانيت، وحاصلين، وطاحون ضمن المنشآت المقامة على أرض محتكرة من قبل وقف أحمد بن محمد بالقاهرة، خارج خط باب الفتوح داخل خط الحمصاني[٤٣]، وإن لم تذكر الحجة قيمة المبلغ المدفوع نظير ذلك، وقد خصص إيرادات تلك المنشآت على القدس كوقف[٤٤].

كما كانت هناك بعض الأوقاف بمصر جذبت أنظار بعض المقدسيين للاستئجار منها – كإحدى طرق الانتفاع – نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: استأجر محمد أغا دار السعادة[٤٥] الناظر[٤٦] على أوقاف الحرمين الشريفين لموكله الشيخ عبدالباقي

أطلق عليه في مصر (الريال أبو طاقة) نسبة إلى الناقذة، أو الطاقة المرسومة على صدر النسر المصور على أحد وجهي الريال (انظر: عبد الرحمن فهمي، المرجع السابق، ص٢٧٨).

(٤٢) محكمة الباب العالي: س٣٠٩، ص٣٩٣، م٩٧٢ بتاريخ ٨ شوال ١٢٠١هـ/٢٤يوليو ١٧٨٧م.

(٤٣) خط الحمصاني: أوله من نهاية شارع الدهان، وآخره شارع الدورة، ومرتب الطباخ، وطوله ثمانية وثمانون مترًا، وبجهة اليمين عطفتان غير نافذتين الأولى العطفة الضيقة، والثانية عطفة الحمصاني (انظر: على باشا مبارك، المصدر السابق، جـ٣، ص١٤٦).

(٤٤) محكمة الباب العالي: س٢٩٤، ص٥، ٦، م٩ بتاريخ ٩ ربيع أول ١١٩٣هـ/ ٢٧ مارس ١٧٧٩م.

(٤٥) أغا دار السعادة: هو في التركية "دار السعادة أغاسى" وهو أكبر موظفي القصر الهمايوني، ويعرف باسم أغا البنات (قيزلر أغاسى) ولا يكون إلا أسودًا خصيًا يشرف هو ومن تحته من الأغوات السود على الحريم الهمايوني= وهو الجناح الذي تسكنه النساء، وقد شغل هذا المنصب بعض البيض في القرن الحادي عشر الهجري/ السادس عشر الميلادي. ولكن ذلك لم يدم، وأعيد المنصب إلى الأغوات السود في سنة ١٠٠٣هـ/ ١٥٩٤م، وبقى فيهم إلى أن ألغى، وكان معظم هؤلاء الأغوات السود هدايا يقدمهم ولاة مصر إلى السلطان، وكان الأغا الذي يعين في هذا المنصب يخلع عليه خلعة التنصيب في حضرة السلطان، ويعطى التعيين بخط همايوني يرسل إليه. وقد عظم نفوذ أغوات دار السعادة في بداية القرن السابع عشر إلى منتصف القرن الثامن عشر، حتى استطاع بعضهم التدخل في تعيين الصدور العظام وعزلهم، وكان لأغوات دار السعادة نظارة أوقاف الحرمين الشريفين، ابتداء من سنة ٩٩٥هـ/ ١٥٨٧م، فكان أغا دار السعادة هو المشرف على الدولاب (الاسم الذي كان يطلق على خزانة أوقاف الحرمين

بن الشيخ أبي النصر المعروف بالسكري المقدسي، من عثمان داود المغزي، حاصلين من جملة الحواصل الموجودة بوكالة الصابون[١٧] بخط باب النصر[١٨] ضمن وقف

الشريفين) والمشرف على الصرر المرسلة إلى مكة والمدينة، والقدس، وفي سنة ١٠٠٦هـ/ ١٥٩٧م صدرت أوامر بإلحاق بعض الأوقاف بنظارة أغا دار السعادة بالإضافة لأوقاف الحرمين الشريفين. وفي سنة ١١٢٨هـ/ ١٧١٦م ألحقت أوقاف السلاطين بنظارته، ثم تنظر الأغا نيابة عن السلطان نفسه على الأوقاف التي يتنظر عليها السلطان بحكم سلطنته، واحتفظ السلاطين مع هذا بتقاضي رواتبهم عن النظارة عن تلك الأوقاف، وكانت هذه الرواتب تسمى "جيب همايوني" أي نقود الجيب الهمايوني، وفي سنة ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م ألغيت مديرية أوقاف الحرمين، ثم تحولت في سنة ١٢٥٢هـ/ ١٨٣٦م إلى نظارة أوقاف الحرمين، وحلت الأخيرة محل نظارة أغا دار السعادة، وقد ألغي هذا المنصب بإلغاء السلطنة العثمانية (انظر: أحمد السعيد سليمان، المرجع السابق، ص١٨، ١٩).

(١٧) ناظر الوقف: هو بمثابة المشرف العام على الوقف، وعادة ما يكون الناظر على الوقف هو الواقف ذاته، أو أحد ذريته، أو عقبه أو أحد أقربائه الأقربين، وفي بعض الأحيان كان يقوم شيخ الإسلام بتعيين الناظر على الوقف، ويتم استدعاء نظار الأوقاف بمعرفة قاضي المدينة لطلب كتاب الوقف، والنظر في متحصلات كل وقف، ومصاريفه، ومدى مطابقة ذلك لشروط الواقف، كما ينبغي عليه أن ينفذ الأوقاف بنفسه، وأحيانًا كان صاحب الوقف يتولى نظارته بنفسه مدة حياته (انظر: محمد عفيفي، الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر في العصر العثماني، سلسلة تاريخ المصريين، العدد (٤٤)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١، ص٨٦؛ مصطفى بركات، الألقاب والوظائف العثمانية دراسة في تطور الألقاب والوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية من خلال الآثار والوثائق والمحفوظات (١٥١٧- ١٩١٤م)، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٢٢٤- ٢٢٥).

(١٨) وكالة الصابون: عرفت أيضًا بوكالة قوصون، وهي مثل الفنادق والخانات التي ينزلها التجار محملين ببضائع بلاد الشام، من زيت، وسيرج، وصابون، ودبس وغير ذلك. وهي تقع ما بين الجامع الحاكمي ودار سعيد السعداء، وهي وكالة اشتهرت بكثرة أصناف البضائع، وزدحام الناس، لكنها قلت أهميتها منذ أن سيطر تيمورلنك على الشام. وقد اشتهرت بهذا الاسم لبيع الصابون بها (انظر: علي باشا مبارك، المصدر السابق، جـ٢، ص٢١٠).

(١٩) خط باب النصر: يعرف أيضًا بشارع الجمالية يبدأ من باب النصر بحري القاهرة وينتهي إلى السكة الجديدة تجاه المشهد الحسيني، وطوله ٨٤٤ مترًا، وينقسم إلى ثلاثة أقسام تكل منها اسم بخصه، وبعد هذا الباب هو أحد أبواب القاهرة التي وضعها جوهر القائد (انظر: علي باشا مبارك، المصدر السابق، جـ، ص١٩٥).

قوصون، لمدة سبع سنوات، بمبلغ قدره ١٤ نصفًا فضة، على اعتبار الحاصل الواحد بسبعة نصف فضة سنويًا، وذلك لصالح القدس[٢٠].

وجاء من بين الانتفاع بالوقف الإسقاط، فعلى سبيل المثال: أسقط الشريف مصطفى المقدسي للتاجر بسوق السلاح[٢١]، إلى زوجته بهانه ابنة الشريف عبد الغني المقدسي، قطعة أرض بحارة القبورجية[٢٢]، وقد بلغت قيمة الإسقاط ٢٩١٢ نصفًا فضة وقد تم وقف هذه الأرض على أعمال الخير بالقدس[٢٣].

أما فيما يتعلق بالعلماء المصريين الذين رصدوا أوقافًا عقارية تجارية عنهم للقدس، فمنهم: شمس الدين بن أحمد شيخ الأزهر، يملك مساحة أرض بباب القرافة بالقاهرة[٢٤] تشمل حواصل، وحوانيت خصص إيراداتها لصالح القدس، ثم قام في الوقت نفسه بتأجير قطعة أرض أخرى بنفس المكان وقد احتوت أيضًا على حواصل وحوانيت لأحمد باشا بمدينة غزه لمدة سنة، نظير مبلغ ١٨٠ نصف فضة، بالإضافة مع وكيلها الأخير وهو الأمير عساف جاويش ناظر أوقاف القدس الشريف، وذلك بهدف وقف إيراداتها لصالح أعمال الخير بتلك المدينة، ومنها سد احتياجات فقراء القدس[٢٥]. ومن

---

(٢٠) محكمة الباب العالي: س١٣٦، ص١٥٠، م٧٢٠ بتاريخ ٥ جمادى أول ١٠٦٩هـ/ ٩ يناير ١٦٥٩م.

(٢١) سوق السلاح القديم: يقع فيما بين مدرسة الظاهر بيبرس وبين قصر بشتاك، وقد استجد فيما بعد للدولة الفاطمية في خط ما بين القصرين، وجعل لبيع القسي، والنشاب والزرديات، وغير ذلك من آلات وسلاح (انظر: شحاتة عيسى إبراهيم، القاهرة، دار الهلال، القاهرة، دت، ص١٦٧) أما شارع سوق السلاح (الآن) فيبدأ من بحري مسجد الرفاعي، وينتهي هذا السوق بشارع محمد علي، ويبلغ طوله مائتان وعشرون مترًا (انظر: علي باشا مبارك، المصدر السابق، جـ٢، ص٢٨٩).

(٢٢) حارة القبورجية: تقع على يمين سوق السلاح، ويملك من هذه الحارة إلى حارة أحمد باشا بكن، ويأولها زاوية تعرف بزاوية محمد أغا كمتبان إلى جانب سبيل من إنشاء واقفها (انظر: علي باشا مبارك، المصدر السابق، جـ٢، ص٢٩٠).

(٢٣) محكمة الباب العالي: س٣١٢، ص١٤٤، م٢٩٩ بتاريخ غرة جمادى أول ١٢٠٦هـ/ ٧ ديسمبر ١٧٩١م.

(٢٤) باب القرافة: يبدأ من نهاية شارع تحت السور، وآخره بوابة الخلاء المعروفة ببواب حجاج الخضري قبلي مسجد السيدة عاتشة، وطوله مائتان وثلاثون مترًا وهو يحد بشارعه عدد من الدروب، والزوايا، والعطف (انظر: علي باشا مبارك: المصدر السابق جـ٢: ص٢٩٨).

(٢٥) محكمة الباب العالي: س٧٧، ص٤٤٤، م٢١١٨ بتاريخ ٨ رجب ١٠١١هـ/ ١٢ ديسمبر ١٦٠٢م.

العلماء أيضًا عبد الرحمن الشهير بالقاضي، وابن أخيه الشيخ عبد القوى اللذان كانا يملكان حاصلين مجاورين بالقرب من بولاق، وقد أمرا ناظر هذا الوقف وهو محمد فقدي الكتابجي ببولاق بأن يرسل إيراد هذين الحاصلين إلى نقيب الأشراف بالقدس والتي بلغت قيمتها خمسون ريالا حجر لجي طلقة لإنفاق ذلك على بعض أوجه الخير بالقدس كوقف[٥٥].

أما عن الأراضي الزراعية بمصر والموقوفة لصالح القدس، فكان بعض الأمراء المماليك يمتلكون أراضي زراعية في بعض أقاليمها، أوقفوها على أعمال الخير بالقدس، فعلى سبيل المثال: كان الأمير المزمر بن عبد الله يملك حصة قدرها ٢٢ قيراطًا بناحية ميت بزو بالدقهلية[٥٦]، وقد عُين المرحوم عبد الفتاح بن أحمد بن محمد بن صالح - من ذرية المالك - ناظرًا على وقفه، ثم أولاده من بعده، وقد صرف مبلغًا قدره خمسون ألف نصف فضة لإصلاح مجارى للمياه بها، واستصلاح الأرض ضمانًا لاستمرار الوقف بها على القدس[٥٧].

كما أقبل بعض الأمراء المماليك من الفرق العسكرية - على حكر أراضي زراعية بهدف الوقف، منهم الأمير حسن جاويش[٥٨]

---

(٥٥) نفسه: ص٢٧٣، ص٣٤٤، ٣٤٥، م٥٣٠ بتاريخ ٢٨ شوال ١١٨٣هـ/ ٢٤ فبراير ١٧٧٠م.

(٥٦) ميت بزو: اسمها الأصلي منية بزو، وردت في كل من تحفة الإرشاد والتحفة السنية باسم منية بزوا، ثم حرف اسمها منية إلى ميت فوردت باسمها الحالي في تاريخ سنة ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م ثم أضيف إلى زمامها كفر عثمان سليم فصارتا ناحية واحدة باسم ميت بزو وكفر عثمان سليم سنة ١٩٠٣م وهي من القرى القديمة التابعة لمركز أجا، محافظة الدقهلية (انظر: محمد رمزى، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥، المجلد الثاني من القسم الثاني، جـ١، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠١٠، ص١٧٧).

(٥٧) محكمة الباب العالي: س٢٣١، ص٣٩١، ٣٩٢، م٦٧٠ بتاريخ ٢٥ ذو الحجة ١١٥٨هـ/ ٨ يناير ١٧٤٦م.

(٥٨) جاويش: من الكلمة التركية جاووش (Cavus) بجيم مشربة وواو مضمومة، وهي مشتقة من المقطع التركي جاو (Cav) الذي يدل على الصياح، والنداء، والصوت، والصيت، والجاويش منصب عسكري وجد في دولة الغزنويين، والقراخانيين، والسلاجقة، ودخلت هذه الكلمة في اللغة العربية قبل قيام الدولة العثمانية (انظر: أحمد السعيد سليمان، المرجع السابق، ص٥٩، ٦٠) وقد تكون أوجاق الجاويشية بصفة رسمية بإعلان قانون نامه مصر (٩٣١هـ/ ٢٤ ١٥٢٥م) من بعض المماليك الذين كانوا في الخدمة الشخصية للباشا، والمتخلفين عن الجيش المملوكي المهزوم والذين أعلنوا

ولاءهم للسلطان العثماني، وقد حدد قانون نامه مصر واجبات الجاويشان بخدمة الباشا والديوان العالي، وكان يحق للباشا ملئ المناصب الخالية من الجاويشان برجال من الفرق الأخرى فيما عدا فرقتي الإنكشارية والعزبان (انظر: قانون نامه مصر، الذي أصدره السلطان القانوني لحكم مصر، ترجمه وقدم له وعلق عليه أحمد فؤاد متولي، دار الهانئ للطباعة، القاهرة، ١٩٨٦، م٧، ص٢٧).

(٥٩) أوده باشي: يختلف هذا المنصب عن بقية المناصب الأخرى الموجودة في أوجاق الإنكشارية، ولكي نتفهم طبيعة هذا المنصب يجب التعرف على أهميته بالنسبة للمناصب الأخرى في هذا الأوجاق فقد كان قائد الإنكشارية يسمى= = (أغا) وقد عهد إليه مهمة رئاسة الشرطة في القاهرة، وكان يساعده في العمل الإداري في هذا الأوجاق الكخيا أو الكتخدا، والذي عرف بكتخدا الوقف، وكان متقدما على كل حاملي رتبة الكخيا بين الإنكشارية، ويأتي بعده موظف يدعى جاوويش أو جاويش (ويجب التفريق بين صاحب هذه الرتبة وبين أفراد فرقة الجاويشية) ويرأس هؤلاء الموظفين شخص برتبة باش جاويش، وإلى جانب هؤلاء الموظفين الكبار بين الإنكشارية الذين شكلوا جماعة ذات نفوذ عرفت بالاختيارية (من اختيار) ووجد موظفون أدنى رتبة مثل الأوده باشي الذي كان يرأس إحدى فرق الإنكشارية التي تقيم عادة في أوده (غرفة) وكان يرأس الأوده باشية موظف يسمى باش أوده باشي (انظر: عبد الكريم رافق، بلاد الشام ومصر، ص٢٨٤؛ ليلى عبد اللطيف، الإدارة في مصر، ص١٩١، ١٩٢، Shaw. S. J., op.cit., pp.80- 81).

(٦٠) مستحفظان: مستحفظ من حفظ العربية، جمعت جمعًا فارسيًا بالألف والنون، وينطقها الترك بكسر الفاء، وكانت اسمًا لحرس القلاع والحصون، والمدن قبل إلغاء الجيش الإنكشاري، فلما ألغي أطلقت على عساكر الريف إذا استدعوا للخدمة العسكرية، ولما كان عمل المستحفظان قبل إلغاء الإنكشارية عملاً دائمًا فقد كانوا يمنحون التيمارات ليعيشوا على غلتها ولكن المستحفظان المستدعين للخدمة وقت الحرب كانوا يتقاضون الراتب والتعيين فقط كغيرهم ممن يؤدون خدمات مؤقتة (انظر: أحمد السعيد سليمان، المرجع السابق: ص٧٧).

(٦١) رزقه: المقصود بها أراضي الرزقة بنوعيها الأحباسية (الخيرية) والجيشية (العسكرية) والرزقة الأحباسية عبارة عن أراضي ديوانية أوقفها أصحابها على الأعمال الخيرية مثل الإنفاق على الحرمين الشريفين، والمساجد، وعلى مختلف أنواع البر والتقوى، وكانت هذه الأراضي معفاة من الضرائب ما عدا ضريبة رمزية عرفت باسم "مال حملية رجال الإدارة لهذه الأراضي من الغيث أو التسلط عليها" والرزقة الجيشية (العسكرية) تخرج من ديوان الجيش، وهي عبارة عن الأطيان التي كان يمنحها سلاطين المماليك لأحد

طالت هذه المدة إلى تسعين سنة، بعدها تعهد المحتكر بإصلاح تلك الأرض على حسابه، ثم اقتطاع ذلك من أجرة احتكار الأرض، حسبما جاء في شروط الحكر. وقد خصص ريع هذه الأرض على أوقاف القدس والخليل[٦٢]

كما تم الاستفادة من بعض الأوقاف التي رصدها بعض السلاطين المماليك الجراكسة بمصر؛ في الصرف على أوجه الخير بالقدس، فكان من بينهم السلطان الأشرف برسباي[٦٣] حيث خصص جزء من ريع الأوقاف – سواء كانت منشآت عقارية

الأمراء أو الرعايا مكافأة له على خدمة أداها للحكومة، أو لمجرد الإحسان إليه. وكان صاحبها ينتفع بها طوال حياته، وبورثها لذريته من بعده كما كان له حق التصرف فيها بالبيع والشراء. وقد تم ضبط هذه الأرزاق في العصر المملوكي في سجلات عرفت باسم دفاتر الجراكسة، وقد تغير العمل بهذه الدفاتر عام ٩٢٣هـ/ ١٥٢٧م أثناء عملية ضبط الأقاليم المصرية، وقام المسئولون عن ذلك بتفحص أصل الرزقة، فإذا كانت تمسكات الرزقة (إيصالات) التي بيد المنتفعين صحيحة أبقوها على حالها وإن شابها شئ من التزوير أضيفت إلى الميري (انظر: جرجس حنين، الأطيان والضرائب في القطر المصري، القاهرة، ١٩٠٤، ص١٩٥؛ عفاف سعد السيد الصدة، دور الجامية العثمانية في تاريخ مصر (١٥٦٤– ١٦٠٩م) سلسلة تاريخ المصريين، العدد (١٧٩)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٢٥٨، هامش ٢١٣).

(٦١) صهرجت الصغرى: وردت في كل من تحفة الإرشاد، والتحفة السنية باسم صهرت قصغرى من أعمال الشرقية، وهي قرية عامرة بغلات المقسم، وأنواع الحبوب، وفي سنة ١٩٠٣م أضيف إليها ناحية كفر قسيد فصارتا ناحية واحدة باسم صهرت الصغرى وكفر قسيد، وهي من القرى التابعة لمركز أجا، محافظة الدقهلية حاليًا (انظر: محمد رمزي، المرجع السابق، مجلد ٢: ق٢، جـ١، ص١٧٣).

(٦٢) محكمة الباب العالي: من٢٥٢، ص٤٨٠، ٤٨١، م٩٣٥ بتاريخ ٤ محرم ١١٧٠هـ/ ٢٩ سبتمبر ١٧٥٦م. انظر الملحق رقم (١).

(٦٣) السلطان الأشرف برسباي: هو من المماليك الجراكسة نشأ على عدة مناصب منها كاشف أسيوط (انظر: ابن زنبل الرمال، أخبار المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، تحقيق عبد المنعم عامر، إشراف عبدا لرحمن الشيخ، سلسلة الألف كتاب الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨، ص٨٠) ولعبر أخور كبير (انظر: إبراهيم علي طرخان، المرجع السابق، ص٣٤) ثم سلطانًا لدولة المماليك الجراكسة فحكم ما يزيد على ستة عشر عامًا (٨٢٦– ٨٤٢هـ/ ١٤٢٢– ١٤٣٨م) امتازت تلك الفترة بالاستقرار، وقلة الاضطرابات على الرغم مما قاساه الناس في ذلك العهد بسبب سوء الأحوال الاقتصادية، وكثرة الاحتكارات، والضرائب، لكن استطاع أن يحقق نصرًا كبيرًا لدولة المماليك باستيلائه على قبرص سنة ٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م ثم توفي

تجارية أو زراعية – الخاصة به – بإشراف نظارها – للصرف منها على الموظفين بالقدس الشريف الذين وصلوا إلى سن التقاعد؛ فعلى سبيل المثال: رتب نجيب الكريم الفندي[٦٤] السيواسي، المتقاعد عن وظيفة قاضي القضاة[٦٥] بالقدس، مبلغًا قدرة ثلاثون نصفًا فضة يوميًا لمساعدته على معيشته[٦٦]. كما خصصت وكالة ضمن وقف هذا

في سنة ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م (انظر: سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي، ص١٦٩– ١٧٧؛ إبراهيم علي طرخان، المرجع السابق، ص٩٩– ١٠٢). وفي عهده عمرت الأوقاف بالقدس كما اشترى عدة قرى وقياريات كأوقاف للمسجد الأقصى، والصخرة الشريفة فضلاً عن إصلاح قبتها (انظر: علي فهمي علي، القدس في العصر المملوكي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٦، ص٢٨).

(٦٤) أفندي: من اليونانية أفنديس (Efendis) وكثر استعمالها في العصر العثماني كلقب لرجل يقرأ ويكتب، ولبعض كبار الموظفين، وكذلك للأمراء أولاد السلاطين، كما أطلقت على مشايخ الإسلام، ورؤساء الديانات الأخرى، وكانت تستعمل في اللغة العربية على الكاتب الموظف في الدولة، وكان المصريون يطلقون على محمد، وعلى الباشوات العثمانيين الذين تولوا الحكم قبله، لقب أفندينا، وقد ألغي لقب أفندي في تركيا في عام ١٩٣٤م، وبطل استعماله في مصر بعد سنة ١٩٥٢م (انظر: أحمد السعيد سليمان، المرجع السابق، ص٢٠– ٢٣).

(٦٥) قاضي القضاة: هو صاحب السلطة القضائية العليا في السنجق (اللواء)، متبعًا في حكمه المذهب الحنفي منذ أن تبنته الدولة العثمانية منذ عهد سليم الأول، فأصبح قاضي القضاة الحنفي أعلى سلطة قضائية بالقدس، برغم استمرار عمل قضاة المذاهب الأخرى، وقد اتسع نفوذه ليشمل نواحي القدس، برغم ارتباطه الإداري المباشر بشيخ الإسلام في استانبول، أو قاضي الأناضول. وكان يتم أحيانًا تعيين قاضي القضاة الحنفي من العثمانيين، أو المقدسيين، وكان قرار تعيينه يصدر من استانبول لمدة سنة قابلة للتجديد إذا ما أثبت كفاءته، ولا يجوز عزله قبل انتهاء مدته إلا إذ أخطأ أو قدم استقالته بملء إرادته. وقد عين له نوابًا أربعة يحكم كل منهم وفق المذاهب الأربعة، على أن ينوب عنه مباشرة أحد قضاة الحنفية إذا ما أجيز له أن يسافر إلى جهة بعيدة، أو إلى الحجاز، أو مصر، أو لقضاء حوائجه لدى الباب العالي (انظر: محمد هاشم غوشه، القضاء في القدس في العهد العثماني، نشره تراث القدس الشهرية، العدد ٢١– ٢٢؛ وزارة الأوقاف والشئون الدينية، فلسطين، رجب – شعبان – رمضان ١٤٢٤هـ/ ٢١– ٢٢ أيلول وتشرين أول ٢٠٠٣م، ص٦).

(٦٦) محكمة الباب العالي، س١٠٢، ص٥١، م٢٢١ بتاريخ ٢٢ رمضان ١٠٢٨هـ/ ٢ سبتمبر ١٦١٩م.

السلطان بخط الصليبة بالقاهرة[٦٨] لصالح القدس، وقد خصص لتعميرها – بإشراف ناظر الوقف – مبلغا وقدره ٨٣٠٦٠ نصفا فضة نظرًا لإغلاقها فترة طويلة دون استغلال، على أن ينفق من ريعها بعد تعميرها على القدس كوقف[٦٩]. كما خصص إيراد بعض نواحي القليوبية للصرف على زاوية بالقدس[٧٠].

أما عن الأوقاف المصرية الموجودة بالقدس ومحيطها: فقد تنوعت ما بين منشآت عقارية، وتجارية، وأراض زراعية، وأحيانًا قرى بأكملها. وبطبيعة الحال تسابقت فئات مختلفة على حبس مثل هذه الأوقاف على القدس، وهي لا تختلف عن الفئات السابقة، يُضاف إليهم النساء وبعض الباشوات.

فبالنسبة للسلاطين المماليك الجراكسة : ساهم بعضهم بنصيب في الصرف على أعمال الخير بالقدس عن طريق أوقافهم بها بإشراف الناظر؛ فكان خير مثال على ذلك السلطان إينال[٧١] وزوجته خوند[٧٢] زينب الخاصكية واللذان كانت أوقافهما مقصدًا لبعض الفئات المصرية والمقدسية، ابتغاء لعمل الخير لصالح القدس.

---

(٦٨) خط صليبة: يبدأ من وجهة العنشية، وينتهي أول شارع حدرة الحناء أمام حارة بئر الوطاويط، ويقع على يساره عدد من الحطف والحارات والدروب (انظر: علي باشا مبارك، المصدر السابق: جـ٢، ص٣١٣).

(٦٩) محكمة القباب العليا: س١٠٢، ص٢٢، م٨٨ بتاريخ ٢٢ رمضان ١٠٢٨هـ/ ٢ سبتمبر ١٦١٩م.

(٧٠) من وثائق القدس في الأرشيف المصري، بمناسبة الاحتفال بالقدس عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٩، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ٢٠٠٩، ص٢٥.

(٧١) السلطان إينال: هو من المماليك الجراكسة، حكم السلطنة المملوكية نحو ثماني سنوات (٨٥٧- ٨٦٦هـ/ ١٤٥٣- ١٤٦١م)، وقد عانت البلاد في عهده من اضطرابات نتيجة ثورات الجلبان أو الأجلاب، وهم الذين كان يجلبهم كل سلطان جديد، وهم كبار في السن البلوغ، مما جعل هؤلاء الجلبان لا يتشربون روح النظم والولاء لأستاذهم في طفولتهم فصاروا مصدر خطر على السلطان نفسه، حتى صار السلاطين أنفسهم أعوبة في أيديهم، حتى كان السلطان يعزل من بعد أيام قلائل من توليه الحكم (انظر: سعيد عبدالفتاح عاشور، قصر المماليكي، ص١٨٠، ١٨١) إلى جانب ذلك قام هؤلاء الجلبان بنهب الحبوب من مخازن الأمراء أنفسهم، فضلاً عن نهب الأسواق واعتدائهم على الناس، حتى عد ذلك من سيئات عهده، ومن ثم دبرت مؤامرة لخلعه اشترك فيها الخليفة حمزة سنة ٨٥٩هـ/ ١٤٥٥م، لكن ظل في حكمه إلى أن جاء ابنه أحمد الذي لم يدم حكمه سوى أربعة شهور، حيث عزله المماليك وولوا مكانه الأتابك خشقدم الرومي في سنة ٨٦٥هـ/ ١٤٦١م (انظر: إبراهيم علي طرخان، المرجع السابق، ص٣٦). وفي

فأما عن المصريين الذين أقبلوا على الاستئجار من هذه الأوقاف، فنذكر منهم على سبيل المثال: استأجر حشاد بن نصير القواس[٧٣] من أهالي ناحية بهناي[٧٤] بالمنوفية، من رابية خاتون[٧٥] ابنه الأمير أحمد الصوفي، الشهير بسيها بابنة المؤيد، للناظرة الشرعية على وقف جدها (السلطان أينال) لوالدتها فخرية خاتون، قيسارية مشتملة على عدد من الحوانيت، ووكالة قطن، إلى جانب قرية بيت فجار[٧٦]، ونصف قرية جيّوس[٧٧] حتى جبل نابلس، ونصف قرية صير[٧٨] وثلاثة

عهده تمت عمارة المسجد الأقصى، وكذلك قناة السهيل (انظر: علي السيد علي، المرجع السابق، ص٣١).

(٧٢) خوند: أو خوندة : كلمة فارسية تعني امرأة أو سيدة وجمعها خوندات، وهي جارية الملك التي ولدت منه، ويقال تولى عقد تزويج جارية السلطان أم بنته، ونساء مصر يطلقنها على زوجة الملك، فيقال صارت خوند الكبرى. والعادة القديمة أنه تكون الخوندات أربعًا: خوند الخوندات وهي خوند الكبرى، وخوند الثانية، والثالثة، والرابعة، وكذلك تطلق على أخت زوجة الملك، وتطلق على السيد الأمير (انظر: ابن زنبل الرمال، المصدر السابق، ص٢٨٣، هامش ١).

(٧٣) القواس: هي كلمة عربية الأصل مشتقة من "قوس"، وتعني صاحب القوس والرامي بها، فاستعارها الأتراك بمعنى "حارس" ثم نقلها عنهم المصريون بالنطق التركي "قواص" أو "خواص" كما كان ينطقها الأتراك أحيانًا، إذ كانوا يبدلون "القاف" غينًا في بعض الأحوال، وكان العرب يستعملون في معناها الاصطلاحي، الذي ابتدعه الأتراك، كلمة مشد (انظر: عبدالسميع سالم قهراوي، لغة الإدارة العامة في مصر القرن التاسع عشر، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، القاهرة، ١٩٦٣، ص٣١٩).

(٧٤) بهناي: اسمها الأصلي "بهنيا الغنم"، وردت في تحفة الإرشاد باسم "بهيبا الغنم"، وفي التحفة "بهناية الغنم" لكن في إحصاء سنة ١٨٩٧ حذف منها كلمة الغنم فوردت بدونها، وفي تاريخ ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م فصل من بهناي ناحية أخرى باسم منشاة بهناي: وعند ذلك زمام المنوفية سنة ١٩٠١ أضيفت هذه المنشاة إلى بهناي فصارتا ناحية واحدة باسم بهناي ومنشاتها، وهي من القرى القديمة التابعة لمركز منوف (انظر: محمد رمزي، المرجع السابق، مجلد ٣، ق٢، جـ٢، ص٢١٥.

(٧٥) خاتون: هي سيدة محترمة، وجمعها خواتين، وهي ترد في سجلات المرتبات (خواتين واجب الرعاية) أي سيدات محترمات واجبات الرعاية (انظر: ليلى عبداللطيف، الإدارة في مصر، ص٤٤٥).

(٧٦) بيت فجار: هي آخر أعمال قضاء بيت لحم من الجنوب للشرق بنحو ٣٣كم الواقع على طريق القدس الخليل، قدر مساحتها بنحو ١٨،٢٨٢ دونمًا تضم وديان وطرق، وقد اشتهرت بأشجار الفواكه المختلفة كالعنب، والتين، والتفاح إلى جانب الخضراوات،

قراريط بكفر لاقف[٧٩]، وقد حددت مدة الإيجار سنة نظير مبلغ ٤٨٠٠ نصفًا فضة سنويًا، بشهادة قاضي القضاة، والشيوخ بالقدس، وكذلك ناظر تلك الأوقاف ومتوليها[٨٠]» وهذا

والحبوب، وكان سكانها من الحجازيين من بني حميدة من بلاد الكرك (انظر: مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، الجزء الثامن، القسم الثاني، دار الهدى، فلسطين، ١٩٩١، ص٤٩٤).

(٧٧) جبّوس: أقام هذه القرية الإفرنج ودعوها باسم (الارجيوس) ثم حرفت إلى جبّوس، وهي تقع إلى الجنوب من مدينة طولكرم على بعد ٢٠كم منها ويحدها من الشرق فلقيلية، تبلغ مساحة أراضيها ١٢٦٠٠ دونم، أما مساحتها العمرانية فبلغت ٧٧٠ دونمًا وأما سكانها فيرجع أصولهم من قرية (بيتا) من أعمال نابلس وإلى مجدل صدق، وبعض العائلات يعودون بأصولهم إلى الحجاز وهي شهيرة بأشجار الفواكه (انظر: http://www.palestineremembered.co., p.1).

(٧٨) صير: هي قرية صغيرة في جنين، تعود تسميتها إلى مسمى روماني، وتعني التلة المرتفعة أو صيريوس التمون داخ، وهو زعيم روماني إقطاعي عاش على أموال الفقراء والمسلكين في تلك المنطقة، إلى درجة أن المزارعين كانوا «يبيعون مزارعهم مقابل أن يعيشوا» وقد جاءت نهايته على أيدي شرفاء من صير بعد زوال الحكم الروماني عن الأراضي الصيراوية، كان من أشهر عائلاتها عائلة آل إرشيد الذين سكنوها أكثر من ٢٩٢ عامًا. وقد اشتهرت هذه القرية بزراعة الزيتون الذي يعد المصدر الأساسي الاقتصادي لها بجانب زراعة الحبوب (انظر: http://ar.wikipedia.org.p.1).

(٧٩) كفر لاقف: هي أحدى قرى الضفة الغربية تتبع قلقيلية، وقد اختلفت الروايات حول تسميتها فمنها ما يقول إن هذه القرية مكونة من مقطعين الأول كفر" وتعني الزراعة، والثاني (لاقف) وتعني الحدث: وذلك عندما تعرض أهل تلك القرية وهم صغار العدد إلى السرقة من اللصوص وقطاع الطرق لسرقة مواشيهم، فقلصوا بلقبهم ومن ثم سميت بهذا» «الاسم، وهناك رواية أخرى تذكر أن تلك القرية كانت ملتقى للمسافرين الذين يأتون لسوق مدينة الد لشراء أو بيع دواب أو سلع غذائية فكانوا يرحبون بهؤلاء التقاة لشرهم لإحساسهم بالضعف، حتى إنهم كانوا يلقبون الضيف لقفا تعرف بهذا الاسم. كان من أشهر عائلاتها : جبر، وعساف، وشخطيب، وآل عيسى، وقدوره (انظر: http://ar.wikipedia.org.p.1-3.).

(٨٠) محكمة الباب العالي: س١٣٩، ص١٢٨، م٤٣٨ بتاريخ ١٥ محرم ١٠٧٥هـ/ ٨ اغسطس ١٦٦٤م * متولي الوقف: هو بمثابة مشرف عام على الوقف، وفي أغلب الأحوال كانت سلطات المتولي تأتي في المرتبة الأولى قبل الناظر، مع التشابه الواضح بين مهام الناظر ومهام المتولي، وقد تتطلب بعض الأوقاف أن يكون لها أكثر من متولي للوقف الواحد في مصر وخارجها، وذلك للزيادة في الإشراف والرقابة على إدارة الوقف،

يعني أن المستأجر قام بتأجير منشآت مختلفة بهذا الوقف، مثل الفيساريات، إلى جانب قرى زراعية سواء بأكملها أو نصفها، أو بعض أراضيها، سواء بالقدس أو محيطها، ذلك رغبة منه في الحصول على أكبر قدر من الإيرادات لاستغلالها في أوجه الخير لتلك المدينة.

وعلى غرار ما سبق: فمستأجر عبد الله الشهير بالقصبي من أعيان النجار جوربجي مستحفظان بمصر: من الناظرة السابقة من الوقف ذاته أراضي عقارية، وزراعية بباب القطانين[٨١]، وبيت فجار، ونصف أراضي كل من قرية صير، وحواره[٨٢] وثلاثة قراريط بكفر لاقف، وذلك لمدة ثلاث سنوات نظير مبلغ ١٣٥٠٠ نصفًا فضة، على حساب كل سنة ٤٥٠٠ نصفًا فضة[٨٣].

من ناحية أخرى لقيل بعض المقدسيين على الاستئجار من هذا الوقف، للاستفادة منه في المصرف على أعمال الخير بيلادهم، فعلى سبيل المثال: استأجر الإمام شرف الدين أبو الذكر ابن الشيخ شمس الدين محمد بن قاضي الصلط إمام المسجد الأقصى، بالوكالة عن منصور بن عبد الرحمن بن محمد الشهير بالمغربي القاطن بالقدس من

وأحيانًا قد تجمع الوثائق بين وظيفة الناظر والمتولي معًا في شخص واحد (انظر: محمد عطيفي، المرجع السابق، ص٩٠).

(٨١) باب القطانين: هو أحد أبواب المسجد الأقصى، يقع في الرواق الغربي للمسجد بين المدرسة (التربة) الخاتونية من الشمال، والرباط الزمني من الجنوب، ويعد باب قطانين أجمل أبواب هذا المسجد على الإطلاق وشاهدًا حيًا على فن العمارة المملوكية في القدس، وقد عرف أيضًا بباب الفيسارية حين أنشأه الأمير سيف الدين تنكز الناصري نائب الشام في زمن السلطان محمد بن قلاوون في سنة ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م، وذلك كما يشير نقش تأسيسي موجود في جدار الرواق الملاصق للباب، ويفضي باب القطانين إلى سوق القطانين الشهيرة (انظر: محمد هاشم غوشه، تاريخ المسجد الأقصى دليل أثري تاريخي موجز للمعالم الإسلامية في المسجد الأقصى الشريف، الطبعة الثانية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، فلسطين، ٢٠٠٥، ص١٩).

(٨٢) حواره: هي قرية من قرى الضفة الغربية، وتتبع نابلس، وكلمة حواره تعني باللغة السريانية البياض أو البقعة البيضاء، وذلك نسبة لتراب موقع القرية التي عرف بالعامية بكملة (حُوَر) اعتمد اقتصادها على الشرونين الزراعية والحيوانية (انظر: http://ar.wikipedia.org.p.1-2.).

(٨٣) محكمة الباب العالي: س١٤٣، ص٨١، م٢٣٠ بتاريخ غرة جمادي آخر ١٠٧٦هـ/ ٩ ديسمبر ١٦٦٥م انظر الملحق رقم (٢).

فخرية ابنة الأمير سليمان بك[٨٥]، سبط مؤيد الناظرة على هذا الوقف، قرية بيت فجار بكافة منافعها، ومرافقها، وزراعتها لمدة سنة، بمبلغ ١٨٠٠ نصف فضة[٨٦].

وبالوقف نفسه استأجر الشريف محمود بن محمد، الشهير بابن يونس، من الناظرة المذكورة، خمسة وثلاثين حانوتًا، ومنزلًا بسوق القطانين، إلى جانب أراضي بقرى بيت فجار، وجيّوس، وصير، لمدة سنة نظير مبلغ ٥٩٠٠ نصفًا فضة[٨٧].

كما استأجر الشريف عبد القادر ابن الشريف عبد الكريم الحسيني الوفائي شيخ الحرم القدسي، ونقيب الأشراف بالقدس، بالوقف نفسه حصة اشتملت على منزل، وخمسة وثلاثين حانوتًا، وذلك ضمن وقف خوند زينب، إلى جانب قرية بيت فجار، ونصف قريتي جيوس، وصير، وتسعة قراريط من قرية كفر لاقف، وذلك ضمن وقف السلطان إينال، وقد بلغت مدة الإيجار ثلاث سنوات، نظير مبلغ ١٧٧٠٠ نصف فضة (أي بواقع ٥٩٠٠ نصفًا فضة سنويًا) بالإضافة إلى مبلغ آخر دفعه المستأجر وقيمته ألف نصف فضة، لإصلاح تلك الأماكن المؤجرة وتعميرها[٨٨].

وبالوقف نفسه أيضًا استأجر الشريف عبد اللطيف أفندي، نقيب الأشراف بالقدس سابقًا، لصالح موكله نور الدين علي بن الشيخ شمس الدين محمد المقدسي، من الأمير حسن أغا[٨٩] من أعيان طائفة مستحفظان مصر، بصفته وكيلًا عن زوجته كريمة خاتون

---

(٨٥) نفسه: س٥٩، ص٤٥٠، م١٧٠٣ بتاريخ ١٣ ذو الحجة ١٠٠١هـ/ ١٠ سبتمبر ١٥٩٣م.

(٨٦) بك: تعني كبير، أو أمير، أو حاكم، أو رئيس، أو آمر (انظر: محمد علي الأنسي، الدراري اللامعات في منتخبات اللغات يحتوي على الكلمات التركية والألفاظ الفارسية والإفرنجية المتداولة في اللغة العثمانية، بيروت، ١٩٠٠، ص١٥٥) وكانت البكوية هي الرفيع المناصب التي يتطلع إليها أكثر المماليك طموحًا، وكان البكوات من كبار موظفي السلطان، ويقوم الباشا ممثله في مصر بتعيينهم في حفل خاص أمام الديوان، يقرأ فيه القرار الخاص بمنح هذه الرتبة، وكان عدد البكوات في مصر أربعة وعشرين (انظر: جلال يحيى، مصر الحديثة، ١٥١٧- ١٨٠٥، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٢، ص١٦٧).

(٨٧) محكمة الباب العالي: س٩٦، ص٦٧، م٤١٢ بتاريخ ٢ ربيع ثاني ١٠٢٣هـ/ ١٢ مايو ١٦١٤م.

(٨٨) نفسه: س٩٧، ص٨٨، م٦٥١ بتاريخ ٩ ربيع أول ١٠٢٤هـ/ ٨ أبريل ١٦١٥م.

(٨٩) أغا: جمعها أغاوات، معناها سيد كبير، أو أخ كبير (انظر: محمد علي الأنسي، المرجع السابق، ص٢٨) وهي تركية من المصدر التركي أغمق، ومعناها الكبر، وتقدم السن، وقيل إنها من الكلمة الفارسية (آقا) وجرى العرف على إضافة تاء إليها إذا وقعت مضافًا، وتطلق في التركية على الرئيس، والقائد، وشيخ القبيلة، وعلى الخادم الخصي

ابنة الشيخ محمد الشلمي الناظرة على هذا الوقف، وذلك جميع الخان[٩٠] المعروف بالقطانين، وما بها من حوانيت، بالإضافة إلى قرية بيت فجار، وقد حددت مدة الإيجار سنتين، نظير مبلغ ١٦٠ قرشًا[٩١] سنويًا (بواقع ٨٠ قرشًا في السنة) وقد تعهد المستأجر بإصلاح وتعمير تلك الأماكن المؤجرة، بواقع عشرين قرشًا في السنة[٩٢].

يتضح من الأمثلة السابقة : أن هذا الوقف سواء الخاص بالسلطان إينال أو زوجته، قد جذب بعض المصريين والمقدسيين على السواء، للاستفادة منه عن طريق الإيجار في فعل الخير، نظرًا لعظم حجمه بما احتواه من منشآت عقارية وتجارية.

الذي يؤذن له بدخول غرف النساء (انظر: أحمد السعيد سليمان، المرجع السابق، ص١٧).

(٩٠) الخان: هي كلمة فارسية معناها الأصلي (مخزن البضائع) ثم أصبحت تعني الفندق في داخل المدن، وقد يكون الخان أيضًا خارج المدن على خطوط المواصلات القديمة، وسواء كان الخان خارج المدن أو داخلها فهو المكان الذي ينزل فيه المسافرون للراحة أو لقضاء الأعمال، ثم تطورت وظيفته منذ القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي ليحل محل الوكالة، والفندق، والقيسارية وأصبحت أهمية المدن التجارية تقاس بعدد الخانات الموجودة فيها. أما إذا بنيت الخانات خارج المدن، فتكون على شكل قلاع ذات أبراج، لحماية المسافرين والتجار من قطاع الطرق (انظر: كامل جميل العسلي، المرجع السابق، ص٢٩).

(٩١) القرش: هو تعريب لـ Groshen الألمانية، وهي تعني (Piaster) أي النقد الأسباني الفضة الذي بدأ ضربه وتداوله في مطلع القرن السادس عشر، ثم استقر في التعامل التجاري مع بلدان الشرق العربي، فأطلق على الـ (Piaster) الفضة التركي اسم (غرش) و(قرش) وقد ضرب هذا النقد في تركيا لأول مرة في عهد السلطان سليمان الثاني (١٠٩٩- ١١٠٢هـ/ ١٦٨٧- ١٦٩٠م) وفي مصر ضربت القروش في عهد علي بك الكبير لأول مرة سنة ١١٨٣هـ/ ١٧٦٩م وكانت نوعين: مجوز، وقيمته عشرة أنصاف، والمفرد وقيمته خمسة أنصاف. وقد قام محمد بك أبو الذهب سنة ١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م بإبطال القروش التي كانت تحمل اسم علامة علي بك، ولكن الفرنسيين أثناء احتلالهم لمصر أعادوا ضرب القروش، واستمر القرش يضرب في مصر بقيمة تقدر بأربعين نصف فضة أو بارة. وفي عام ١٩١٦م حددت قيمة القرش بعشرة مليمات، وأصبح المليم هو أصغر وحدات النقود في مصر (انظر: عبدالرحمن فهمي، المرجع السابق، ص٥٧٤: ٥٧٥).

(٩٢) محكمة الباب العالي: س١٢٦، ص٣١٠، م٨٦٣ بتاريخ ٥ رمضان ١٠٩٥هـ/ ١٦ أغسطس ١٦٨٤م.

وزراعية، وإن كانت الأخيرتان لهما الغلبة على هذا الوقف. مما ساعد على ارتفاع نسبة الإيجارات به، ومن ثم كانت له الصدارة في الإسهام في أعمال الخير بالقدس.

كما وجدت أوقاف أخرى بالقدس جذبت بعض المصريين على استئجارها، وإقبال ريعها على القدس كوقف قاضي سبيل المثال: أقبل أحد العلماء والمدرسين، وهو شرف الدين الغندي قاضي المحمل الشريف المصري[٩٦]، على الاستئجار - من كل من الشيخ محمد وناصرين ابني الشيخ إبراهيم ابن الشيخ سعود، وعمتهما لطيفة ابنة الشيخ سليمان بن أحمد سعود المقدسي - ثلاث حصص، الأولى مساحتها ستة قراريط بقرية عناتا[٩٧]، والثانية مساحتها ثمانية قراريط بقرية عجور[٩٨]، والثالثة ستة قراريط اشتملت على منزل وست دكاكين بخط باب داود[٩٩]، إلى جانب منزل بباب القطانين احتوى على ثلاث دكاكين، وذلك ضمن وقف بدر الدين أبو الحسن الشهير بابن قطيبا

(٩٦) المحمل الشريف: اهتمت الدولة العثمانية اهتمامًا بالغًا بالمحمل، ولم تضن في سنة من السنوات على خروجه من مصر؛ والاحتفال به، وكان يقام للمحمل خلال العصر المملوكي دورتان: إحداهما في شهر رجب، والأخرى في شهر شوال، أما في العصر العثماني فقد قلصت الدورة الرجبية، وأصبح يخرج المحمل مرتين في شهر شوال، المرة الأولى في أول هذا الشهر كي يستعد الناس للسفر، والمرة الثانية في (٢١) من نفس الشهر، وكان يحضر يومي خروج المحمل في المرتين الباشا، وأمير الحج، والصناجق، والأمراء، والأغوات، والقاضي. وكان عند خروج المحمل يقام له احتفال مهيب، وإن دل هذا على شئ فإنما يدل على القيمة الروحية للمحمل (انظر: سميرة فهمي علي عمر، إمارة الحج في مصر العثمانية (٩٢٣- ١٢١٣هـ/ ١٥١٧- ١٧٩٨م) رسالة ماجستير غير منشورة، آداب الإسكندرية، قسم التاريخ، ١٩٨٣، ص١٣٢- ١٥٠).

(٩٧) قرية عناتا: هي قرية تقع خلف جبل الزيتون إلى الشمال الشرقي من القدس، وعلى مسيرة نحو أربعة كيلو مترات منها، وترتفع هذه القرية عن سطح البحر بنحو ٢٢٣٥ قدمًا، ويجاورها قرية العيسوية (انظر: مصطفى مراد الدباغ، المرجع السابق، جـ٨، ق٢، ص٨٢) وعناتا هي آنية الحرب عن الكنعانيين وتقوم على موقع مدينة (عنتوت الكنعانية) (انظر: http://alqooods.com.pt.1).

(٩٨) قرية عجور: تقع إلى الشمال الغربي من مدينة الخليل، وتبعد عنها بنحو ٢٤ كم٢، وترتفع بنحو ٢٧٥ مترًا عن سطح البحر ومساحتها ٥٨٠٠٠ دونم (انظر: يوسف أبو مايلة وآخرون، القرى المدمرة في فلسطين حتى عام ١٩٥٢، غزة، فلسطين، ١٩٩٨، ص١٣٢).

(٩٩) خط باب داود: هو أحد أبواب القدس، ويقع في الحائط الجنوبي لسور القدس (انظر: عبدالرحيم أغبيد، القدس في العهدين الفاطمي والأيوبي، الطبعة الأولى،عمان،٢٠٠٥، ص٣٤).

الأنصاري، وقد حددت مدة الإيجار بنحو تسعة سنوات، نظير مبلغ ٢٢٥ قرشًا (بواقع ٢٥ قرشًا في السنة) لاستغلال ريعها على القدس[١٠١].

كما أوقفت رابية خاتون، ابنة محمد أفندي القيومي، ما تحت يدها من عقارات، ومنشآت تجارية بالقدس، لصالح كافة أعمال الخير بالأخيرة، وقد استأجر تلك أحد المصريين عن طريق وكيلها يوسف بن محمود المقدسي مستحفظان قلعة القدس[١٠٢].

يضاف إلى ذلك، وجدت أماكن بالقدس أقبل على شرائها فئات من المصريين أوقفوها على فقرائها، منهم البدري حسن بن علي السكري، تاجر الحبوب، الذي اشترى من أحد المقدسيين حصة مشتملة على منزل، وحوانيت بباب القطانين[١٠٣]، وبالمكان نفسه اشترى سعد الدين بن محمد عدة حوانيت، وقيسارية من أحد المقدسيين[١٠٤]، وإن لم تذكر هاتان الوثيقتان ثمن بيعهما. أما محمد بن محمد تاجر المنسوجات، فقد اشترى من ذخور بن حنا الحائك المقدسي، حصة قدرها ستة قراريط تشمل منزلا، وقاعة حياكة، وصهريج بخط باب القلعة بالقدس، بثمن قدره ٤٥٠٠ نصفًا فضة[١٠٥]، ثم اشترى الشريف حسن بن الشريف علي الشهير بأبي النور نقيب الأشراف، وهو من أعيان تجار الين بوكالة الديتكي بحارة الجوانية[١٠٦]، من حنا بن جرجس التاجر في الدخان، حصة قدرها ثلاثة قراريط اشتملت على منزل، وصهاريج، وحانوتين بحارة النصارى[١٠٧] بالقدس، نظير مبلغ ٦٥ دينارًا ذهبًا محبوبًا[١٠٨].

(١٠٠) محكمة الباب العالي: س١٣٥ ص١١١، م٤١٣ بتاريخ ١٣ جماد آخر ١٠٦٨هـ/ ١٨ مارس ١٦٥٨م.

(١٠١) نفسه: س١٥٨، ص٢٤٢، م٨٠٠ بتاريخ ٢٤ رجب ١٠٨٥هـ/ ٢٤ أكتوبر ١٦٧٤م.

(١٠٢) نفسه: س٥٥ مكرر، ص١٤١، م٥٥١ بتاريخ ١٧ شوال ٩٩٩هـ/ ٨ أغسطس ١٥٩١م.

(١٠٣) نفسه: س٩٢، ص١٥٣، م٧٣١ بتاريخ ٢٠ رجب ١٠١٩هـ/ ٨ أكتوبر ١٦١٠م.

(١٠٤) نفسه: س٢٠٩، ص٢٢، م٦٥ بتاريخ ١٥ صفر ١١٤١هـ/ ٢٠ سبتمبر ١٧٢٨م.

(١٠٥) حارة الجوانية: هي من الحارات القديمة التي اختطها جوهر لعساكر مولاه، وكانت تعرف باسم حارة الروم الجوانية، وقد جاء اسمها هذا نسبة إلى أشراف الجوانيين الذين كانوا يقطنون بها (انظر: علي باشا مبارك، المصدر السابق، جـ٢، ص٢٠٣).

(١٠٦) حارة النصارى: كانت حدود هذا الحي عبارة عن الحد الخارجي، وهو يمتد من باب القديس ستيفن (باب العمود أو باب دمشق) في الجهة الشمالية من السور، ويمتد حتى الزاوية الشمالية الشرقية منه. وتمتد الحدود الشرقية له من هذه الزاوية وتسير جنوبًا مع الأسوار حتى باب وادي بهوشافط (باب أريحا سابقًا) الذي يقع خارج أسوار الحرم من الجهة الشمالية، أما الحد الداخلي فيبدأ من هذه البوابة الأخيرة، ويسير مع الشارع العام المسمى باسم هذه البوابة، ويتجه غربًا حتى يلتقي مع شارع الأسباط، ثم يسير

وأخيرًا اشترى نعمان بن عابدين، تاجر البن بمصر، قطعة أرض احتوت على منزل وحوانيت خصصت لتجارة هذه السلعة، من أحد المقدسيين بمبلغ خمسة وأربعون دينارًا[١٠٤].

لا شك أن تلك الأمثلة توضح أن هؤلاء التجار المصريين كانوا على قدر من الثراء مكنهم من شراء منشآت عقارية وتجارية بالقدس، خصصت إيراداتها لصالح فقراء القدس.

كما ساهم بعض باشوات مصر في تلبية احتياجات فقراء القدس، نذكر منهم على سبيل المثال: محمد باشا البيكشلي (١١٥٧- ١١٥٩هـ/ ١٧٤٤- ١٧٤٦م) الذي اشترى من أحمد بن محمد الوكيل الشرعي عن والدته، قطعة أرض بوادي الطواحين بباب الغطانين بالقدس، مساحتها ٢٣,٥ قيراطا شاملة مساكن، وحوانيت، وأسبلة، مرصودة لهذا الغرض، وذلك نظير مبلغ قدره ثلاثون دينارًا[١٠٥].

معه ويتجه نحو الشمال الغربي حتى يصل إلى باب القديس ستيفن (انظر: وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، الجزء الثاني، القاهرة، ١٩٩٢، ص٣١٨؛ مصطفى الصياري، القدس زمن الفاطميين والفرنجة، عمان، ١٩٩٤، ص٥٣).

(١٠٢) محكمة الباب العالي: س٣١، ص٢١٢، م٣٣٧ بتاريخ ١٣ شوال ١١٥٨هـ/ ٨ نوفمبر ١٧٤٥م. "الدينار المحبوب: هو نقد ذهب تركي، يزن أربعين حبة أي ٢,٦ جرام، وقد أطلق عليه في تركيا "طغرالي ألتون" أي نقش الذهب، وقد عرف باسم دينار طرابلس سنة ١١٣٢هـ/ ١٧١١م، وأحيانا عرف باسم (الجنزرلي) أو (المحبوب الجنزرلي) نسبة إلى الحافة المشرشرة لهذا النقد وهي أشبه بالإطار أو الجنزير، وقد حدد سعره بمائتي نصف فضة، لكن أصبحت التسمية لهذه العملة هي زر محبوب" وزر هي كلمة فارسية تعني الذهب أي الذهب المحبوب لارتفاع عيار ذهبه، غير أن السلطان محمود الثاني (١٢٢٣- ١٢٥٥هـ/١٨٠٨- ١٨٣٩م) انقص وزنه إلى ١,٦٢ جرام، ومع ذلك ظل يتداول إلى أن ضربت المجيدية الكبيرة سنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٣٣م فاستغل النساء الزرمحبوب في اتخاذه قلائد يزين به صدورهن وأعناقهن (انظر: عبدالرحمن فهمي، المرجع السابق، ص٥٧٥، ٥٧٦).

(١٠٣) محكمة الباب العالي: س١٣٧، ص٥١٧، م١٨٥٥ بتاريخ ١٩ ربيع أول ١٠٧١هـ/ ٢٢ نوفمبر ١٦٦٠م.

(١٠٤) نفسه: س٢٣١، ص٢٨٦، ٢٨٧، م٤٨٤ بتاريخ ١٠ ذو القعدة ١١٥٨هـ/ ٤ ديسمبر ١٧٤٥م.

أما الأشراف فكان منهم الشريف عبد الله الذي اشترى - عن طريق وكيله خالد بن عمر- قطعة أرض احتوت على منشآت تجارية بالقدس بمبلغ ستين دينارًا. رصدت لكافة أعمال الخير بالقدس[١٠٦].

أما فيما يتعلق بالأوقاف المخصصة على قراءة القرآن الكريم بالمؤسسات الدينية بالقدس، لاسيما المسجد الأقصى، فقد تعددت تلك الأوقاف بمصر لهذا الغرض، وكان من أشهرها وقف الشيخ درداش الخلوتي[١٠٧]، وطرابای ابنة عبد الله الجهركس[١٠٨]. كما تم تخصيص أموال كوقف لقراءة القرآن الكريم بالقدس والذي جمع معه غرضًا آخر وهو الإنفاق على الفقراء، وكان يتولى جمع هذه الأموال من مصر، وإرسالها لهذين الغرضين، الشيخ حجازي بن يوسف القاسمي الجنيدي الخليلي، وكيل الشيخ أبي الفتح الدجاني شيخ الفقراء بالقدس[١٠٩].

يتضح من النماذج السابقة أن القدس، نظرًا لمكانتها الدينية، حظيت بنسبة تكاد تكون كبيرة من الأوقاف المصرية، سواء بها - والتي كان معظمها مؤجرا من وقف السلطان إينال وزوجته إلى جانب إسهام هذا الوقف نفسه في ذلك - أو بمصر حيث استغلت إيراداتها في أوجه الخير المختلفة بها من مؤسسات دينية، فضلا عن العناية بالفقراء، وقراءة القرآن الكريم، إلى جانب دفع مرتبات المنقاعدين من الموظفين المقدسيين. ومن ثم تعايشت بعض فئات وطبقات المجتمع، سواء بمصر أو القدس، على حبس أوقافها، مستخدمة في ذلك طرق الانتفاع المختلفة بها - المذكورة سابقًا - ابتغاء وجه الله تعالى.

ويلاحظ أن تلك الأوقاف في معظمها كانت تشتمل على منشآت عقارية، وتجارية، وأراض زراعية، لما تدره من أرباح تساعد في زيادة نسبة إيرادات الأوقاف، كمحاولة لسد أوجه الخير.

---

(١٠٥) نفسه: س٢٣٢، ص٣٤٠، ٣٤١، م٤٦٤ بتاريخ ٢ شوال ١١٥٩هـ/ ١٨ أكتوبر ١٧٤٦م.

(١٠٧) نفسه: س٨٢، ص٢٨١، م١٣٤٤ بتاريخ ٢٨ محرم ١٠١٣هـ/ ٢٦ يونيو ١٦٠٤م؛ نفسه: س١٣٧ مكرر، ص١٠٣، ٣١٨، م٣٤٩، ٩٤٠ بتاريخ ٢٨ شوال ١٠٧١- غرة ربيع أول ١٠٧٢هـ/ ٢٦ يونيو- ٢٥ أكتوبر ١٩٩١م.

(١٠٨) نفسه: س٨٢، ص٣٩٢، م١٩٤٠ بتاريخ ٢٤ ربيع أول ١٠١٣هـ/ ٢٠ اغسطس ١٦٠٤م.

(١٠٩) نفسه: س١٣٠، ص٣٠٢، م١٢٠٧ بتاريخ ١٩ ربيع أول ١٠٦٣هـ/ ١٨ مارس ١٦٥٣م. انظر الملحق رقم(٣).

يضاف إلى ذلك: لم يقتصر فعل الخير على المصريين فقط، بل تعداه إلى المقدسيين، حيث شرع بعضهم في تأجير أو شراء أراضي وقف بمصر – إلى جانب أوقافهم ببلادهم – للانتفاع بها في هذا الأمر، وبالمثل المصريون الذين شرع بعضهم أيضًا في تأجير أو شراء أراضي وقف بالقدس لهذا الغرض: وهذا يدل على مدى تأصل الروح الإسلامية.

ثانيًا- إدارة الوقف

كان يدير الوقف في تلك الفترة جهاز إداري تألف بشكل عام من: ناظر الوقف، ومساعديه[١١٠]، حدد لكل منهم اختصاصاته على حده، وتختلف الجهة التي تتولى تعيين هؤلاء باختلاف أهمية الوقف، وحجمه، ونوعه من حيث هو خيري أو أهلي.

وإن ركز معظم الوثائق على ناظر الوقف باعتباره المسئول الأول عن الوقف، ومن ثم جاء على قمة الجهاز الإداري للوقف. لذا جاء حديثنا بالدرجة الأولى عنه.

كان ناظر الوقف أحيانًا يكون هو الواقف نفسه، أو من ذريته، أو أقربائه، وقد يكون ذكرًا أو أنثى. وفي حالة انقراض ذرية الواقف أو أن الوقف التابع لهذا الواقف كان خيريًا، كان يتم اختياره من ذوي المكانة كالأمراء، والأشراف، والشيوخ، نظرًا لمكانة الأوقاف دينيًا واجتماعيًا، واقتصاديًا.

وقد أنيط به عدة مهام منها إدارة الوقف، والإشراف على نفقاته، وإيراداته، وما يتطلبه من إصلاحات، وترميمات، كما كان هو المتحدث باسم الوقف، سواء لدى ولاة

---

(١١٠) في بعض الأحيان كانت بعض الأوقاف تحتاج في إدارتها، إلى جانب الناظر، مساعدين له تمشيًا مع حجمها الذي يحتاج إلى رقابة شديدة للحفاظ عليها، فمن هؤلاء: المتولي وهو المشرف العام على الوقف، والمباشر وهو المسئول عن تسوية حسابات الوقف شهريًا وسنويًا، ولأحيانًا كان يحل محله كاتب الوقف وكذلك الشاهد: لمراقبة أحوال الوقف وموظفيه ثم الجابي الذي اختص بتحصيل ريع الوقف، ومحاصيله، وغلاته، ومطالبة مستأجري الموقوفات بالإيجارات وتسليم ذلك إلى الناظر. وقد ارتبط بالجابي في مهامه " الشاد " باعتباره مساعدًا للجابي، والذي انحصرت وظيفته في تحصيل الأموال، ومعاقبة المتهاونين من أرباب الوظائف، كما كان هناك الصراف لمراقبة أوزان النقد وقيمة الصلة، إلى جانب أمين الكلار ومهمته حفظ مكزن غلة الوقف، إضافة إلى متعاهد كتابه للوقف الذي اختص بقراءة كتاب الوقف على مستحقيه وأرباب وظائفه سنويًا حسب شروط الواقف، وأخيرًا موقفي الصيانة الفنية (كالمرمات، والمرخم، والوقاد، وغيرهم) وحراس الوقف، والواعظ الذي اشترط فيه إجادة اللغة التركية لإمكانية التفاهم مع الحكام والجند الأتراك. لمزيد من التفاصيل (انظر: محمد عفيفي، المرجع السابق، ص٨٦-١٠٤).

الأمور من حكام وقضاة، أو لدى المستأجرين، تنفيذًا لشروط الواقف، نظير راتب يحدد له من قبل الواقف، لذا لم يكن هو الواقف نفسه. وهو ما سيتضح من خلال النماذج التي تناولت دوره في ذلك.

فبالنسبة لنظار الأوقاف المصرية بمصر، نذكر منهم على سبيل المثال: عبد الرحمن بن محمد الطيار، عُين في وظيفة النظر والتحدث على وقف بمصر عبارة عن مباني، وحوانيت خصص إيرادها للقدس[١١١]. أما الشيخ ولي بن عبد الله فكان ناظرًا على أوقاف القدس بمصر. وكذلك الزيني عبد الفتاح بن أحمد بن محمد صالح، الذي عين ناظرًا على وقف جده الأمير المرحوم بن عبد الله، بناحية ميت يزو بالدقهلية، وقد عهد هذا الناظر إلى متولي الوقف بالإشراف على إصلاح هذا الوقف[١١٢]. في حين كان الشريف ولي الرومي ناظرًا على وقف القدس، بناحية صهرجت الصغرى بولاية الشرقية[١١٣].

وأحيانًا كان يُستعان ببعض العلماء والأشراف المقدسيين المقيمين بمصر، لتولي وظيفة النظارة على بعض الأوقاف بمصر المخصصة للقدس: ولعل ذلك يرجع إلى ثقة أصحاب تلك الأوقاف في أمانتهم، وحسن إدارتهم لها، نظرًا لمكانتهم الدينية التي أهلتهم لمثل ذلك، خاصة وإن كانت ذرية الواقف قد انقرضت، ودعت الحاجة إلى تعيين ناظر تتوافر فيه شروط الأمانة، والاستقامة، والخبرة في إدارته.

فعلى سبيل المثال: كان نور الدين علي المقدسي الحنفي، المدرس بمسجد الإمام الحسين بمصر، ابن الشريف موسى المقدسي نقيب الأشراف بالقدس – ناظرًا على وقف الشيخ أبو الفضل أحمد ولي الدين بن الشيخ تقي الدين بن بدر الدين، بحارة بهاء الدين قراقوش بمصر[١١٤]، ثم انتقلت نظارته على وقف كل من: عبد الرحمن الشهير بالقاضي، وولد أخيه عبد القوي ببولاق[١١٥].

---

(١١١) محكمة الباب العالي: س٥٥ مكرر، ص١٤١، م٥٥١ بتاريخ ١٧ شوال ٩٩٩هـ/ ٨ أغسطس ١٥٩١م.

(١١٢) نفسه: س٢٣١، ص٣٩١، ٣٩٢، م٦٧٠ بتاريخ ٢٥ ذو الحجة ١١٥٨هـ/ ٢٠ يناير ١٧٤٥م.

(١١٣) نفسه: س٢٥٢، ص٤٨٠، ٤٨١، م٩٣٥ بتاريخ ٤ محرم ١١٧٠هـ/ ٢٩ سبتمبر ١٧٥٦م.

(١١٤) نفسه: س٢٦١، ص٩١، م١٢٠ بتاريخ ٢٥ رجب ١١٧٦هـ/ ٩ فبراير ١٧٦٣م.

(١١٥) نفسه: س٢٧٣، ص٣٤٤، ٣٤٥، م٥٣٠ بتاريخ ٢٨ رجب ١١٨٣هـ/ ٢٧ نوفمبر ١٧٦٩م.

أما فيما يتعلق بنظار الأوقاف المصرية بالقدس ومحيطها، فقد أضيف إلى مهامهم استلام الأموال المخصصة من الأوقاف الموجودة بمصر والمرصودة على القدس، لصرفها في أوجه الخير وقد خضع هؤلاء النظار لإشراف قضاة القدس[١١٦].

فكان من هؤلاء النظار: الأمير محمد بن قراقز، الناظر على وقف بالقدس تضمن مباني، وحواصل، وحوانيت، والذي تسلم من ناظر وقف تلك المدينة بمصر إيراد سنة ١٠٠٠هـ/ ١٥٩٢م والذي بلغ – بعد خصم مصاريف أجرة سفر الوكيل المرسل من قبل الناظر المذكور، وصيانة وترميم وقف القدس بمصر – مئة عشر دينارًا، على أن ينفق هذا المبلغ على كافة أعمال الخير بالقدس الشريف[١١٧]. كما كان الأمير عساف جاويش ناظرًا على أوقاف القدس والخليل معًا، وتتضمن حواصل وحوانيت[١١٨]. والشيخ يوسف بن الشيخ منصور الطنبشاوي، ناظرًا على وقف مصري بالقدس وهو وقف الشيخ عبد السلام الوزيري[١١٩]. أما فيض الله أغا ابن عبد الله، الفاطن بمدينة الخليل، فكان ناظرًا على أوقاف القدس والخليل، وقد وكل عنه الشمسي محمد، متولي تلك الأوقاف، في قبض الإيرادات لجهة تلك الأوقاف بمصر وتقليمها، وإرسالها إلى القدس[١٢٠].

من ناحية أخرى ساهمت المرأة بدورها في النظارة على الوقف المصري بالقدس، بحكم صلة القرابة لصاحب الوقف، منهن على سبيل المثال: فخرية ابنة الأمير سليمان بك سبط المؤيد أحمد بن السلطان إينال كانت ناظرة شرعية على وقف السلطان إينال، التي وزوجته خوند زينب الخاصكية، بسوق باب القطانين، وقرى بيت فجار، وجبوس وصير، وكفر لاقف، وحوارة، والفيسارية[١٢١]. ثم جاءت بعدها على الوقف نفسه، سنة ١٠٧٥هـ/ ١٦٦٤م، رابية خاتون ابنة الصوفي المعروفة بابنة المؤيد، والتي استكملت مهام الناظرة السابقة في التأجير لمن يرغب لصالح هذا الوقف، مع

---

(١١٦) نفسه: س٥٦، ص٦٨، م١٩٩ بتاريخ ٢٧ رجب ١٠٠٠هـ/ ٩ مايو ١٥٩٢م؛ نفسه، س ٩٨، ص١٥٢، م ١٢٣٣ بتاريخ ٣ جماد أول ١٠٢٥هـ/ ١٩ مايو ١٦١٦م.

(١١٧) نفسه: س٥٦، ص٦٨، م١٩٩ بتاريخ ٢٧ رجب ١٠٠٠هـ/ ٩ مايو ١٥٩٢م.

(١١٨) نفسه: س٧٧، ص٤٤٤، م٢١١٨ بتاريخ ٨ رجب ١٠١١هـ/ ٢٢ ديسمبر ١٦٠٢م.

(١١٩) محكمة الباب العالي: س٩٨، ص١٥٢، م١٢٣٣ بتاريخ ٣ جماد أول ١٠٢٥هـ/ ١٩ مايو ١٦١٦م.

(١٢٠) نفسه: س٢٣٤، ص٧٠، م٩١ بتاريخ ٢٥ ربيع أول ١١٦٠هـ/ ٦ أبريل ١٧٤٧م.

(١٢١) نفسه: س٥٩، ص٤٥٠، م١٧٠٣ بتاريخ ١٣ ذو الحجة ١٠٠١هـ/ ١٠ سبتمبر ١٥٩٢م؛ نفسه، س٩٦، ص٦٧، م٤١٢ بتاريخ ٢ ربيع ثاني ١٠٢٣هـ/ ١٢ مايو ١٦١٤م؛ نفسه، س٩٧، ص٨٨، م٦٥١ بتاريخ ٩ ربيع أول ١٠٢٤هـ/ ٨ أبريل ١٦١٥م.

تحديد مدة وقيمة الإيجار[١٢٢] ثم حلت محلها بعد ذلك في النظارة، كريمة خاتون ابنة الشيخ محمد الشامي، والتي عينت وكيلاً لها يتولى جمع إيرادات الأوقاف المصرية بالقدس، لصرفها على كافة أوجه الخير بالقدس[١٢٣].

كما كانت رابية خاتون، ابنة محمد أفندي الفيومي، ناظرة على أوقاف خيرية بالقدس، أجرها أحد المصريين من وكيلها وهو: يوسف بن محمود المقدسي مستحفظان قلعة القدس، على أن يتولى كافة ما يتعلق بالوقف من أجرة عقارات، ومصاريف[١٢٤].

أيًا ما كان الأمر، فقد نالت القدس اهتمامًا واضحًا فيما يتعلق بأوقافها في فترة البحث، والتي تم إدارتها وفقًا للمذهب الحنفي، باعتباره المذهب الرسمي للدولة العثمانية، وإن سمحت بعد ذلك بتطبيق المذاهب الثلاثة الأخرى في عقود استئجار الأراضي الوقفية، في القرن السادس عشر الميلادي، مع تراخي قبضة قاضي القضاة الحنفي في القرون التي تلت هذا القرن مع ازدياد ضعف الدولة العثمانية حيث لم تعد تصلح الأنظمة المتشددة التي طبقها القاضي الحنفي في عقود استئجار الأراضي الوقفية، والتي كان أهمها التقيد بمدة ثلاث سنوات في العقد، وإعادة النظر في الأجرة، وزيادتها عادة نظرًا لانخفاض قيمة العملة الفضية العثمانية. ومن ثم اقتضى عدم التقيد بهذه الشروط التحول في إقرار عقود إيجار الأراضي الوقفية، من القاضي الحنفي إلى القاضي الشافعي في معظم الحالات[١٢٥].

وبغض النظر عن ذلك، تم التعامل مع هذه الأوقاف بطرق الانتفاع المختلفة، دون وجود عوائق شرعية أو قانونية تحول دون ذلك، طالما التزم أصحابها أو مستأجروها بشروط الوقف، وذلك بإشراف كل من قاضي القضاة والنظار، وهذا دليل على حرص الدولة العثمانية على الاهتمام بشئون الأوقاف لما لها من أهمية دينية، واجتماعية، واقتصادية.

---

(١٢٢) نفسه: س١٣٩، ص١٢٨، م٤٣٨ بتاريخ ١٥ محرم ١٠٧٥هـ/ ٨ أغسطس ١٦٦٤م. انظر الملحق رقم(٤)؛ نفسه، س١٤٣، ص٨١، م٢٣٠ بتاريخ غرة جماد آخر ١٠٧٦هـ/ ٩ ديسمبر ١٦٦٥م.

(١٢٣) نفسه: س١٢٦، ص٣١٠، م٨٦٣ بتاريخ ٥ رمضان ١٠٩٥هـ/ ١٦ أغسطس ١٦٨٤م.

(١٢٤) نفسه: س١٥٨، ص٢٤٣، م٨٠٠ بتاريخ ٢٤ رجب ١٠٨٥هـ/ ٢٤ أكتوبر ١٦٧٤م.

(١٢٥) عبدالكريم رافق: استئجار الأراضي الوقفية، ص٨٤، ٨٦.

الملاحـــق

الملحق رقم (١)

المحتـــوى : أراضى بناحية صهرجت الصغرى بولاية الشرقية موقوفة على القدس

المصـــدر : محكمة الباب العالى.

رقم السجل : ٢٥٢ رقم الصفحة: ٤٨٠- ٤٨١

رقم المادة وتاريخها (٩٣٥) بتاريخ ٤ محرم ١١٧٠هـ/ ٢٩ سبتمبر ١٧٥٦م

الملحق رقم (٢)

المحتـــوى : تاجر من طائفة مستحفظان يستأجر أراضى عقاريـــة وزراعيـــة ببعض قرى القدس الواقعة في وقف السلطان إينال وزوجته.

المصـــدر: محكمة الباب العالى.

رقم السجل : ١٤٣ رقم الصفحة: ٨١

رقم المادة وتاريخها (٢٣٠) بتاريخ غرة جماد أول آخر ١٠٧٦هـ/ ٩ ديسمبر ١٦٦٥م

الملحق رقم (٣)

المحتـــوى: أموال من مصر مخصصة كوقف على قراء القرآن الكريم بالقدس وفقرائه

المصـــدر: محكمة الباب العالي.

رقم السجل : ١٣٠ رقم الصفحة: ٢٠٢

رقم المادة وتاريخها (١٢٠٧) بتاريخ ١٩ ربيع أول ١٥٦٣هـ/ ١٨ مارس ١٦٥٣م.

الملحق رقم (٤)

المحتـــوى : رابية خاتون بنت الأمير أحمد الصوفي ناظرة شرعية على وقـف لـمصالح القدس، وقامت بتأجيره لمصري المصـــدر : محكمة الباب العالي.

رقم السجل : ١٣٩ رقم الصفحة: ١٢٨

رقم المادة وتاريخها (٤٣٨) بتاريخ ١٥ محرم ١٠٧٥هـ/ ٨ أغسطس ١٦٦٤م.

المصـــادر والمراجـــع

أولاً- وثائق غير منشورة

سجلات محكمة الباب العالي

ثانياً- وثائق منشورة.

من وثائق القدس في الأرشيف المصري بمناسبة الاحتفال بالقدس عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٩، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ٢٠٠٩.

ثالثاً- القواميس:

١- محمد رمزي:

القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥، المجلد الثاني والثالث من القسم الثاني، الجزء الأول والثاني، الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة، ٢٠١٠.

٢- محمد علي الأنسي:

الدراري اللامعات في منتخبات اللغات (يحتوي على الكلمات التركية والألفاظ الفارسية والإفرنجية المتداولة في اللغة العثمانية)، بيروت، ١٩٠٠.

رابعاً- المصادر المنشورة

١- ابن وتبل الرمال:

آخره المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سنيم العثماني، تحقيق عبد المنعم عامر، إشراف عبد الرحمن الشيخ، سلسلة الألف كتاب الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨.

٢- علي باشا مبارك:

الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة: لجزاء ٢، ٣، ٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨.

خامساً- الرسائل غير المنشورة

١- نيسير أحمد حسين حسن وهايبه:

القدس في القرن التاسع عشر (١٧٩٩- ١٨٩٨) رسالة ماجستير، كلية الآداب، سوهاج، ١٩٨٢.

٢- سميرة فهمي علي عمر:

إمارة الحج في مصر العثمانية (٩٢٣- ١٢١٣هـ/ ١٥١٧- ١٧٩٨م) رسالة ماجستير، آداب الإسكندرية، قسم التاريخ، ١٩٨٣.

سادساً- المراجع العربية

١- دكتور/ إبراهيم علي طرخان:

مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة (١٣٨٢- ١٥١٧م)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٠.

٢- دكتور/ إبراهيم محمد نصة إبّه:

الأراضي الوقفية في مدينة الرملة في العهد العثماني (١٢٨١- ١٣٣٢هـ/ ١٨٦٤- ١٩١٤م) من خلال سجلات المحاكم الشرعية من خلال الموقع الاليكتروني: http://www-oppc.pna.net/

٣- دكتور/ أحمد السعيد سليمان:

تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩

٤- أ. جي . بريل:

موجز دائرة المعارف الإسلامية، الجزء السادس والعشرين، المراجعة والإشراف العلمي حسن حبشي وآخرون، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.

٥- آمال الخزامي:

الأوقاف في القدس، من خلال الموقع الاليكتروني:http://www.wata.cc

٦- أندريه ريمون:

المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، ترجمة لطيف فرج، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩١.

٧- .....:

الحرفيون والتجار في القاهرة في القرن الثامن عشر، الجزء الأول، ترجمة ناصر أحمد إبراهيم، بالتعاون جمال الدين، مراجعة وإشراف رءوف عباس، المجلس الأعلى للثقافة، العدد (٨١٨)، القاهرة، ٢٠٠٥.

٨- دكتور/ توفيق الطويل:

التصوف في مصر إبان العصر العثماني، القاهرة، ١٩٤٦.

٩- جرجس حنين:

الأطيان والضرائب في القطر المصري، القاهرة، ١٩٠٤.

١٠- دكتور/ جلال يحيى:

مصر الحديثة، ١٥١٧- ١٨٠٥، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٢.

١١- خليل الصمادي:

القدس في العهد العثماني، من خلال الموقع الاليكتروني: http://www.odabasham.net/

١٢- دكتور/ شحاتة عيسى إبراهيم:

القاهرة، دار الهلال، القاهرة، د.ت.

١٣- دكتور/ سعيد عبد الفتاح عاشور:

المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٦٢.

١٤- .....:

العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٧٦.

١٥- عارف بلشا العارف:

تاريخ القدس، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة ١٩٥١.

١٦- .....:

المفصل في تاريخ القدس، الجزء الأول، الطبعة الخامسة، مكتبة الأندلس، فلسطين ١٩٩٩.

١٧- دكتور/ عبد الرحمن فهمي:

النقود المتداولة أيام الجبرتي، بحث منشور ضمن كتاب دراسات وبحوث عن عبد الرحمن الجبرتي، إشراف أحمد عزت عبد الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦.

١٨- دكتور/ عبد الرحيم أعبيد:

القدس في العهدين الفاطمي والأيوبي، الطبعة الأولى، عمان، ٢٠٠٥.

١٩- دكتور/ عبد السميع سالم الهراوي:

لغة الإدارة العامة في مصر القرن التاسع عشر، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، القاهرة، ١٩٦٣.

٢٠- دكتور/ عبد الفتاح حسن أبو علية:

القدس دراسة تاريخية حول المسجد الأقصى والقدس الشريف، دار المريخ، السعودية، ٢٠٠٠.

٢١- دكتور/ عبد الكريم رافق:

بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت (١٥١٦-١٧٩٨)، دمشق، ١٩٦٨.

٢٢- .....:

استئجار الأراضي الوقفية في بلاد الشام بين المذاهب الفقهية، والقفلات الاجتماعية، مجلة المعهد الفرنسي بالقاهرة، العدد ٢٥، ٢٠٠٥.

٢٣- دكتورة/ عفاف مسعد السيد الصيد:

دور الحامية العثمانية في تاريخ مصر (١٥٦٤- ١٦٠٩م) سلسلة تاريخ المصريين، العدد (١٧٩)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠.

٢٤- دكتور/ عمر عبد العزيز عمر:

تاريخ المشرق العربي (١٥١٦- ١٩٢٢)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٤.

٢٥- دكتور/ علي السيد علي:

القدس في العصر المملوكي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٦.

٢٦- فالترهنتس:

المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة/ كامل العسيلي، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٧٠.

٢٧- قانون نامه مصر:

الذي أصدره السلطان القانوني لحكم مصر، ترجمه وقدم له وعلق عليه أحمد فؤاد متولي، دار الهانئ للطباعة، القاهرة، ١٩٨٦.

٢٨- كارين أرمسترونج:

القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث، ترجمة فاطمة نصر. محمد عناني، دار الكتب المصرية، ١٩٩٨.

٢٩- كامل جميل العسيلي:

من آثارنا في بيت المقدس، عمان، ١٩٨٢.

٣٠- دكتورة/ ليلى عبد اللطيف أحمد:

الإدارة في مصر في العصر العثماني، مطبعة جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٧٨.

٣١- .....:

المجتمع المصري في العصر العثماني، دار الكتاب الجامعي، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٧.

٣٢- محمد شفيق غربال:

مصر عند مفترق الطرق (١٧٩٨ - ١٨٠١م) رسالة حسين أفندي الروزنامجي بعنوان: ترتيب الديار المصرية في عهد الدولة العثمانية"، مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول، القاهرة، المجلد الرابع، الجزء الأول، ١٩٣٦

٣٣- دكتور/ محمد عفيفي:

الأوقاف والحياة الاقتصادية في العصر العثماني، سلسلة تاريخ المصريين، العدد (٤٤)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١.

٣٤- محمد كرد:

خطط الشام، الجزء السادس، مطبعة المفيد، دمشق، ١٩٢٨.

٣٥- دكتور/ محمد محمد أمين:

الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر دراسة تاريخية وثائقية (٩٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ - ١٥١٧م). دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٠.

٣٦- دكتور/ محمد هاشم غوشة:

أوقاف القدس في العهد العثماني (٩٢٢- ١٣٣٦هـ/ ١٥١٦- ١٩١٧م)، من خلال الموقع الالكتروني: http://al-msjd-alaqsa.com:

٣٧- .....:

القضاء في القدس في العهد العثماني، نشرة تراث القدس الشهرية، العدد ٢١- ٢٢ وزارة الأوقاف والشئون الدينية، فلسطين، بتاريخ رجب - شعبان - رمضان ١٤٢٤هـ/ ٢١- ٢٢ أيلول وتشرين أول ٢٠٠٣م.

٣٨- .....:

تاريخ المسجد الأقصى دليل أثري تاريخي موجز للمعالم الإسلامية في المسجد الأقصى المبارك، الطبعة الثانية، وزارة الأوقاف والشئون الدينية، فلسطين، ٢٠٠٥

٣٩- دكتور/ محمود حامد الحسيني:

الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة، ١٥١٧- ١٧٩٨م، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٨.

٤٠- دكتور/ مصطفى بركات:
الألقاب والوظائف العثمانية دراسة في تطور الألقاب والوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية من خلال الآثار والوثائق والمحفوظات (١٥١٧- ١٩١٤م)، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٠.

٤١- مصطفى الحيارى:
القدس زمن الفاطميين والفرنجة، عمان، ١٩٩٤.

٤٢- مصطفى مراد الدباغ:
بلادنا فلسطين، الجزء الثامن، القسم الثاني، دار الهدى، فلسطين، ١٩٩١.

٤٣- دكتورة/ هند أبو الشعر:
ملكية الأرض والأوقاف في القدس الشريف مع مطلع العهد العثماني (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م - ١٠٠٥هـ/ ١٥٩٦م)، ضمن الجزء الأول بعنوان القدس منذ الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العثماني، ندوة القدس بين الماضي والحاضر، جامعة الزرقاء، الأردن، ٢٠٠٢.

٤٤- هنري كتن:
القدس، ترجمة إبراهيم الراهب، دار كنعان للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، دمشق، ١٩٩٧.

٤٥- وليم الصوري:
تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، الجزء الثاني، القاهرة، ١٩٩٢.

٤٦- دكتور/ يحيى الفرحان:
قصة القدس، سلسلة المدن الفلسطينية، العدد (٦)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، فلسطين، بدون تاريخ.

٤٧- دكتور/ يحيى وزيري:
التطور العمراني والتراث المعماري لمدينة القدس الشريف، الكتاب الفائز بجائزة منظمة العواصم والمدن الإسلامية، من خلال الموقع الإليكتروني:/http://www.egypt.arch.com

٤٨- دكتور/ يوسف أبو مايلة وآخرون:
القرى المدمرة في فلسطين حتى عام ١٩٥٢، غزة، فلسطين، ١٩٩٨.

سابعاً- المراجع الأجنبية.

49- Shaw. S. J., Ottoman Egypt in the Age of the French Revolution Cambridge Massachustter. 1964.

ثامناً- المواقع الإليكترونية

50- http://alqooods.com
51- http://www.palestineremembered.com
52- http://ar.wikipedia.org

ترميمات وإصلاحات الدولة العثمانية لقنوات مياه القدس الشريف في الفترة ١١٥٥-١٢١١هـ/ ١٧٤٢-١٧٩٦م، من خلال الوثائق العثمانية

د. سعدية سعيد البيشي (*)

مقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

سعى المسلمون والمسيحيون واليهود، على الدوام، لزيارة بيت المقدس والتبرك بزيارة المقدسات هناك، وبسبب ذلك جرى التنافس بين أصحاب الديانات الثلاث على امتلاك القدس الشريف[١]، ذلك التنافس الذي بلغ حد الحرب في حروب معروفة في التاريخ[٢]. وحتى تظل القدس إسلامية ومسيحية، في بيئتها التاريخية، فإنه من الضروري تنشيط البحوث التاريخية والدراسات الحضارية، ومنها المعمارية التي كانت تقوم بها مؤسسات الدول الإسلامية عبر عصور التاريخ، ومن هذا المنطلق كان موضوع بحثي (ترميمات وإصلاحات الدولة العثمانية لقنوات مياه القدس الشريف في الفترة ١١٥٥-١٢١١هـ/١٧٤٢-١٧٩٦م، من خلال الوثائق العثمانية) لعله يكون امتدادا لتلك البحوث التاريخية والدراسات الحضارية.

دخل العثمانيون القدس في ٤ ذي الحجة ٩٢٢هـ/٢٨ ديسمبر ١٥١٦م، بعد أن انتصروا في بلاد الشام، وخرج العلماء والأتقياء لملاقاة السلطان سليم الأول[٣] وسلموه مفاتيح المسجد الأقصى وقبة الصخرة، ثم قدم السلطان الهدايا للأعيان وأعفاهم من الضرائب وثبتهم في وظائفهم بعدها قام السلطان سليم بزيارة الأماكن المقدسة[٤]، وجعل بيت المقدس صنجقية[*] تتبع بلاد دمشق، الذي كان يطلق عليه أيضا بلاد الشام. وأظهر العثمانيون في هذا الوقت المبكر تقديرا خاصا لأهمية بيت المقدس، فكان يحكمها أحيانا حاكم بلقب ميرمران أي أمير الأمراء، ويتولى حكمها أحيانا أخرى أحد الوزراء، وكانت الدولة تكتفي أحيانا بحاكم بلقب متسلم[٥] يرسله

(*) أستاذ مشارك بكلية الآداب والعلوم الإدارية جامعة أم القرى

باشا الشام. وكانت تتبع صنجقية بيت المقدس ثلاث مدن هي : أريحا[٧]،وتقع إلى الشمال الشرقي، ثم بيت لحم[٨]، والخليل[٩] وتقعان إلى الجنوب[١٠].

لقد واصل السلطان سليمان القانوني٩٢٦هـ/١٥١٩م-٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م[١١] اهتمامه الخاص بمدينة القدس وأولاها عنايته، وأقام فيها منشآت كثيرة، منها سور القدس الذي استغرق بناؤه خمس سنوات، كما بدأ التعمير في المدينة المقدسة بترميم شامل لقبة الصخرة، حيث استبدلت الزخارف الفسيفسائية بالمخرف المزخرف وكذلك قبة السلسلة، كما بنى محراب قبة النبي عليه الصلاة والسلام. كما أولى للسلطان سليمان مشكلة المياه المزمنة في مدينة القدس عناية فائقة، حيث خصصت مبالغ طائلة من الأموال لبناء المنشآت المائية وإصلاحها وصيانتها، ففي عام ٩٤٣هـ/ ١٥٣٦م أمر السلطان بإنجاز مشروع معماري هام، فتم تعمير قناة السبيل، التي كانت تزود مدينة القدس بالماء من البرك والينابيع الكائنة بين مدينتي الخليل وبيت لحم، والتي عُرفت باسم برك سليمان[١٢]، كما تم ترميم بركة السلطان [١٣]، الموجودة داخل مدينة القدس، والواقعة خارج باب الخليل، كما أنشأ عدة أسبله في الطرق المؤدية إلى الحرم[١٤]، كان الهدف منها إيصال المياه الواردة من قناة السبيل إلى مختلف حارات القدس، ليتمكن سكان المدينة من التغلب على مشكلة نقص المياه الصالحة للشرب، وذلك عبر ربط هذه الأسبلة بشبكة من القنوات الأرضية المتصلة ببرك سليمان وقناة السبيل [١٥].

كما اهتم السلطان مراد الرابع١٠٤٣هـ/١٦٣٣م-١٠٤٩هـ/ ١٦٤٠م[١٦]، بترميم الإنجازات السابقة، ففي عهده اختل الأمن، فنشط قطاع الطرق، وخربوا ينابيع المياه، مما حدا بالسلطان لإقامة قلعة سميت باسمه (قلعة مراد) عند برك سليمان على طريق الخليل، وأنشأ في داخلها مسجداً، وخمسين منزلاً للسكنى، وكان يقوم على حراستها أربعون جندياً مصلحين بالمدافع والأسلحة الكاملة [١٧].

وعلى أية حال، فلقد سار السلاطين العثمانيون على نفس النهج الذي أسسه السلطان سليمان القانوني، وذلك بالاهتمام بالشؤون العامة لمدينة القدس، وخاصة تأمين وصول المياه إليها، عبر القنوات المائية، إذ واصل العثمانيون ترميم القنوات مع العمل على نظافتها. ففي ١٦ شعبان سنة ١١٥٥هـ/١٦ أكتوبر ١٧٤٢م صدر حكم من عبده موقع رضوانه[١٨]، إلى قاضي ومتسلم القدس الشريف والمسجد الأقصى وقبة الصخرة[١٩]، وكذلك إلى ناظر أوقاف الحرمين الشريفين[٢٠] بشير أغا، يوضح فيه أن المسجد الأقصى وقبة الصخرة في القدس، قد أنشأ بها السلطان سليمان القانوني مجاري للمياه، وقامت بترميمها بعد ذلك والدة السلطان، ولأن هذه المجاري تحتاج إلى التعمير والترميم، خاصة في المنطقة الواقعة عند مبنى تكيشة السلطان قايتباي[٢١]، ومدرسة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب[٢٢]، ومقام

الخليل[٢٣]، وخانقاه البلسطية[٢٤]، ومقام موسى[٢٥] والمدرسة البرهونية[٢٦]، والأوقاف الواقعة في بيت لحم، وقرية بيت جالا[٢٧]، وقرية عين سلوان[٢٨] وقرية صور باهر [٢٩] وقرية بيت ساحور[٣٠]، ومزرعة ارطاس[٣١]، وقرية تفريره[٣٢]. وأوضح الحكم أن أهالي المناطق السابقة قد تم إعفاؤهم من الضرائب المفروضة عليهم، مقابل المحافظة على مجاري المياه العابرة بمواقعهم، ولكن مع مرور الزمن، وعدم قيام بعضهم بتنظيف المجاري والأنابيب الفخارية من الأحجار المتراكمة في المجاري، فضلاً عن تكسير الرعاة والعربان لبعض تلك الأنابيب للحصول على الماء لسقي مواشيهم، وإهمال بعض المسئولين من الأهالي في المراقبة – فإن الأمر قد تفاقم، مما استدعى إجراء تعمير وترميم تلك المجاري، وكذلك رفع الأذى والقصور في وجود المياه الواصلة إلى القدس والمواقع التي تحتاج للمياه، وبناء عليه فقد صدر الأمر بترميم وتعمير مجاري المياه في المناطق السابق ذكرها، كما صدر الأمر السلطاني بإبلاغ صنجقية القدس ونابلس[٣٣] ومتصرفيهم بذلك، لمراقبة تلك المجاري ومعاقبة من يقوم بتخريبها، والتشديد على التعاون وعدم التباطؤ في تنفيذ الأوامر السلطانية، مع التنبيه على شيوخ العشائر والعربان في الحفاظ عليها، وتنفيذ كافة الأوامر على الوجه المشروع عليها [٣٤].

استمرت اهتمامات الدولة العثمانية بمنشآت المياه في مدينة القدس، وأرادت أن تكون لها صيانة، فكلفت بذلك والي دمشق، على أن يتابع ذلك الأمر متسلم صنجقية القدس، ففي أول شهر جمادي الأولى سنة ١١٦٩هـ/٢ فبراير١٧٥٥م صدر حكم أمير الأمراء[٣٥]، إلى متسلم صنجقية القدس، حسين مكي باشا[٣٦]، بوجوب تعمير وترميم منشآت مجاري المياه بالقدس،حيث صدر الأمر الشريف إلى الشؤون المالية بإنفاذ ذلك باعتباره من أهم الأمور التي تهتم بها الدولة العثمانية، الحريصة على صيانة مجاري وقنوات المياه النظيفة، حسب النظم المعمول بها منذ القدم، من أجل ذلك صدر الأمر إلى والي ولاية الشام، أسعد باشا[٣٧]، بوجوب تعمير وترميم مجاري المياه وفق المراد، وإتمام ذلك وفق الإرادة[٣٨] الشاهانية. وتكليف متسلم القدس بالإشراف على هذه المهمة، وزيادة في الحرص على تنفيذ الأعمال على الوجه المطلوب، يرفع متسلم القدس تقريراً مفصلاً إلى والي الشام، تمهيداً للرفع إلى جناب السلطنة لإصدار التوجيهات، وشدد الحكم بعدم التهاون والتقصير في هذه المهمة، وتنفيذ التعمير والترميم على نحو قوي ومتين في أسرع وقت[٣٩].

في حقيقة الأمر، لقد ظهرت خلال القرن الثاني عشر للهجري/الثامن عشر للميلادي بوادر تصدعات خطيرة في كيان الدولة العثمانية، وأخذت تتحدر نحو تراجع وتدهور سريع، سواء على الصعيد الداخلي أو الدولي، فعلى الصعيد الداخلي ظهرت حركة عصيان ظاهر العمر[٤٠] الذي أخذ عكا[٤١] سنة ١١٥٧هـ/١٧٤٤م واتخذها عاصمة له، ثم تحول عصيانه وتمرده على السلطة العثمانية إلى حروب

رغبة، عندما تحالف مع روسيا وعلي بك حاكم مصر، في الفترة ما بين ١١٨٤-١١٨٩هـ/١٧٧٠-١٧٧٥م[١٢]. ثم قامت حركة أحمد الجزار[١٣] الذي كان يطمع في حكم جميع مناطق بلاد الشام. كما مُنيت الدولة العثمانية، على الصعيد الدولي، بسلسلة من النكسات السياسية والعسكرية، استمرت طوال القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، فدخلت الدولة العثمانية في حروب مع روسيا والبندقية والنمسا. وفي سنة ١١٥٣هـ/١٧٤٠م عقدت فرنسا مع الدولة العثمانية معاهدة للامتيازات الأجنبية، وفي هذه المعاهدة اعترف الباب العالي بحماية فرنسا للمسيحيين في بلاد الدولة العثمانية. كما عقدت الدولة العثمانية مع روسيا معاهدة كوشك قينارجه في ١١٨٨/١/٢٧هـ / ١٧٧٤/٤/١٠م، تنازلت الدولة العثمانية بموجبها على مساحات واسعة من الأراضي في منطقة البحر الأسود، كما أصبحت روسيا حامية لمصالح الكنيسة الأرثوذكسية. وفي نهاية القرن الثاني عشر الهجري /الثامن عشر الميلادي، وفي عهد السلطان سليم الثالث ١٢٠٤-١٢٢٢هـ/١٧٨٩-١٨٠٧م[١٤]، حاول الفرنسيون، بقيادة نابليون بونابرت، استغلال ضعف الدولة العثمانية بشن حملة على مصر، ثم الشام، في الفترة ما بين عامي ١٢١٣-١٢١٤هـ/١٧٩٨-١٧٩٩، وذلك لدعم وجودهم في مصر ولجعل الساحل الشامي منطقة صديقة، وذلك بعد تقديرهم بأن الإنجليز تمكنوا من توحيد قوى الشام، بقيادة أحمد الجزار في عكا[١٥].

ومع تلك المعوقات الداخلية والدولية ، فقد استمرت القدس تشكل رمزاً دينياً وسياسياً كبيراً للدولة العثمانية، إذ كان لدى السلاطين العثمانيين حماس كبير واحترام للصروح الإسلامية، فلم ينسوا دورهم في إعادة تأهيل وترميم قنوات المياه في القدس الشريف، لما تشكله من أهمية حيوية لأهالي القدس، وهذا ما توضحه إحدى مسودات الوثائق العثمانية والمحررة عام ١٢٠٠هـ/١٧٨٥م، إذ جاء فيها : أنه بمنه تعالى ما زالت الإجراءات جارية وفق الشروط المعتبرة، حسب إفادة أمين البناء والذي عاد مؤخراً من استانبول، وحصل على أمر بموجب دفتر الكشف الصادر من دائرة المحاسبة الرئيسية، وأنه لا يزال موضوع الصيانة والترميمات قيد الدراسة، تمهيداً لإصدار الأوامر السلطانية[١٦].

هذا، ولم يمض وقت طويل حتى جاء الخبر بصدور الأوامر السلطانية بالموافقة على ترميم القنوات المائية، وهذا ما أوضحته الرسالة التي بعثها السيد أحمد القاضي بالقدس الشريف[١٧] إلى والي الشام وأمير الحج حسين باشا البطال[١٨]، وذلك في ١٥ محرم عام ١٢٠١هـ/٩ نوفمبر ١٧٨٦م، إذ قال إنه لديه من جناب السلطان توجيه رفيع، يفيد بأن مدينة القدس لا تصل إليها المياه العذبة، لأن البرك الواقعة بجوار المدينة، والتي تتجمع فيها مياه الأمطار، صارت متخربة، وكذلك قنوات المياه الواصلة إلى القدس. كما أن قنوات مياه الينابيع الواقعة خارج

مدينة القدس متخربة كذلك، ومجاري المياه المؤدية إلى مقام موسى، عليه السلام، هي الأخرى متخربة، كما أن مقام الخليل وجامعه والتكية المجاورة تحتاج هي الأخرى إلى الترميم من أجل ذلك تم إشعار أمين المدينة حفي بك[١٩] بمواقع الخراب السابقة، وتأكيد ذلك عليه مراجعة المواقع المحتاجة إلى الترميم والتعمير، وتحديد المواقع وتقديم كشف لمأمور البناء، محمد أمين خليفة، والمعين من جناب السلطان.. كما تم الكشف أيضاً على مقام السعادة خليل الرحمن الواقع بجوار مدينة القدس، واتضح أن البرك الثلاثة، وكذا البرك المحيطة بالمسجد الأقصى، متخربة وتحتاج إلى بناء، فضلاً عن تقوية حوائط المجاري العذبة. وقد تم إعداد كشف بحصر ذلك، وتم إرساله إلى محمد أمين خليفة بمعرفة والي الشام، مرفقاً به محضر موقع من الأهالي، بضرورة إجراء تلك الترميمات.

كذلك تم تحرير تقرير آخر عن مجاري السيول، وانهيار ثلاث غرف في مقام موسى، عليه السلام، والذي يوجد فيه ثلاثون غرفة والجامع يحتاج إلى ترميم، وأن صهاريج جامع موسى تحتاج هي الأخرى إلى معالجة، وكذلك حال الطرق المؤدية إلى المقام المذكور، ومحيط مقام الشيخ حسن الراعي[٢٠] متخرب ويحتاج إلى ترميم.

وأن التكلفة المبدئية لتلك الإصلاحات والترميمات حوالي تسعة عشر ألف قرش[٢١]، وبعد عرض التقرير على المقام السلطاني، تمت الموافقة على إجراء تلك الترميمات، على أن يتم تحصيل الأموال لذلك المشروع من أموال ولايتي صيدا[٢٢] وطرابلس[٢٣]، وعمل كشف حصري للمنصرفات تحت إشراف مأمور البناء محمد أمين، ومباشرة العمل بكل تفان وإخلاص، وعدم التهاون، وبعد انتهاء العمل ترسل كافة الدفاتر والكشوفات إلى مقام السلطنة. وقد صدر تعيين وإعلام مأمور العمارة محمد أمين، وتكليفه بتحصيل الأموال من صيدا وطرابلس، كما تم إصدار الفرمانات اللازمة لإنفاذ ذلك، من قبل مقام السلطنة العلية[٢٤].

وعلى أية حال، فلقد تلقى الدفتر دار[٢٥] أمراً بتنفيذ واعتماد ما ورد في التقرير الخاص بترميم مجاري المياه العذبة، إذ أوضح الأمر أن خلاصة الأخبار الواردة من القدس الشريف : أن مجاري وقنوات المياه العذبة، الواقعة بين مدينة القدس الشريف والخليل، متهدمة وكذلك برك المياه، مما أدى إلى شح ورود الماء، بل وانقطاعه في أحيان كثيرة، حتى إن الأهالي وفقراء الحرم أخذوا يشربون من الخزانات في فترة الشتاء وكذلك الصيف، وذلك يسبب معاناتهم في الحصول على مياه الشرب الضرورية.

هذا، وبعد إجراء الكشف على تلك المجاري تبين مبدئياً أنها تحتاج إلى مئة ألف قرش، وذلك لترميم وتعمير تلك الأماكن، ومن ضمنها مجاري وبرك المياه

العذبة، من أجل ذلك تم تعيين أمين بناء معمار الخلفاء، محمد أمين خليفة، لتنفيذ ذلك، وقد صدر أمر تعيينه من قبل دار السعادة[٩٦]، أملاً في الحصول على دعاء فقراء وأهالي بيت المقدس، والمناطق المجاورة بسبب الأعمال السلطانية التي أمر بها.

كما أن خارج قبة الصخرة يحتاج إلى ترميم، وكذلك الكاشاني الواقع تحت القبة المذكورة، في الناحية الجنوبية والغربية، محطم تماماً، وبحاجة إلى استبداله، واستبدال الستائر المحيطة والدائرة بالقبة من الداخل، للمحافظة على ما بداخل القبة.

على أية حال، فلقد جرى إخطار أمين البناء بعمل تلك الترميمات، بكل إخلاص وأمانة وسرعة، وإشعار دار السعادة بما تم إنجازه، كما جرى إشعار قاضي القدس كتابياً بذلك في أمرين منفصلين، ملحق بهما كشف بما يجب ترميمه من مجاري المياه للصاقية العذبة إلى مدينة القدس. وكل أمر كان مختوماً ومصادقاً عليه من مرجعيته، على الوجه المشروح فيه، بجميع الأماكن التي تحتاج إلى التعمير والترميم، كما تم إشعار أمين الروملي[٩٧]، حضرة الوزير المكرم حقي باشا، للإشراف بمعرفته على تنفيذ ذلك، واختيار أرباب الحرف والمهن المتخصصين بذلك.

كما ألحق بالمشاريع السابقة : مشروع ترميم وتعمير مقام الخليل، عليه السلام، وقباب مسجد القدس ومجاري المياه بها، والغرف الموجودة تحت المسجد، وعدد ثلاثين حجرة تقع في مقام موسى، عليه السلام، وكذلك الخزانات المجاورة للمسجد، وطريق مقام موسى، ومحيط قبر الشيخ حسن الراعي، وجميع تلك الأماكن التي كانت بحاجة إلى تعمير وترميم، وذلك بتكلفة إجمالية تقدر بتسعة عشر ألف قرش (١٩٠٠٠)، وذلك حسب تقارير أهل الخبرة والتحقيق. وقد صدر الأمر السلطاني بإنفاذ ذلك، على أن يتم تغطية الصرف على تلك الأعمال من متحصلات صيدا وطرابلس، تحت إشراف محمد أمين خليفة، والذي بدوره سيقوم بإعداد دفتر مفصل لتلك الأعمال، ومقدار الصرف، حسب الإجراءات المتبعة، وإرسال الدفتر إلى دار السعادة بعد مراجعة وتصديق والي الشام حسين باشا بطال، بإتمام تلك الأعمال على الوجه المطلوب. وأن يبدأ العمل في محرم ١٢٠١هـ/أكتوبر ١٧٨٦م، بعد انقضاء الشتاء، وقد تم إشعار دائرة الأبنية لتنفيذ ذلك بدون تهاون أو تقصير، ومباشرة العمل في حينه، كما صدرت التوجيهات والتعليمات لمأمور البناء بمباشرة العمل فوراً، بشرط أن يعود إلى دار السعادة في صفر ١٢٠٢هـ/نوفمبر ١٧٨٧م، مصطحباً دفاتر القيد لتسليمها إلى دائرة المحاسبة الرئيسية[٩٨].

لقد اهتمت الدولة العثمانية اهتماماً كبيراً بمدينة القدس بصفة عامة وقنوات ومجاري المياه العذبة، فأصدرت أوامرها وتعليماتها للمسئولين، كما رصدت لها الأموال الضخمة لتنفيذ تلك الأعمال، لكن هذه الترميمات، والصيانة لتلك القنوات، لابد لها أن تستمر وبشكل دوري، لتعرضها للخراب بعد حين من الزمن لذلك فقد تقدم السيد أحمد القاضي بالقدس في ٢٣ جمادى الأولى ١٢١١هـ /٥ نوفمبر ١٧٩٦م. بعرض الحالة على مقام السلطنة، يوضح فيها أن قنوات ومجاري المياه بحاجة إلى ترميم وصيانة، وذلك لانقطاع المياه، مما أدى إلى معاناة ومضايقة الأهالي بسبب ذلك الانقطاع، وأن تكلفة تلك الترميمات والصيانة تقدر بمائة ألف قرش[٩٩]، لذلك صدرت أوامر الإدارة السنية، في غرة جمادي الثاني ١٢١١هـ/٢ديسمبر ١٧٩٦م، إلى الدفتر دار بصرف ثلاثين ألف قرش لإجراء الترميمات والصيانة، ووضع عهدة مالية قدرها خمسة آلاف قرش في حالة قصور المصروفات. حيث تخصم من عهدة مقاطعة دمياط [١٠٠] على سبيل الحوالة، وقد ستستصدر الفرامانات اللازمة لتنظيم ذلك الصرف[١٠١]. وقد صدرت الموافقة الهمايونية في ٢٦رمضان١٢١١هـ/٢٨مارس ١٧٩٦م، على إجراء تلك الترميمات والصيانة، تحت إشراف محمد أمين خليفة، والمعماري الحاج أبو بكر. وذلك لخبرتهما، كما صدر – أيضاً – الأمر السلطاني بذلك لقاضي القدس لإجراء تلك الإصلاحات بإخلاص [١٠٢].

هذا، وبموجب الإجراءات المعمول بها في الإدارة العثمانية، وحسب الأنظمة واللوائح المرعية في الدولة، فقد حرر ملخص لمنشف الترميمات والصيانة التي أجريت لقنوات ومجاري المياه في القدس الشريف ، وذلك في ٢٤رمضان ١٢١١هـ/٢٩مارس ١٧٩٦م، إذ صدر أمر للدفتردار بالنظر في ذلك الملخص والمراجعة والعمل بمقتضاه والإفادة[١٠٣]، ورد الدفتردار، في ٢٦ رمضان ١٢١١هـ/٣١ مارس ١٧٩٦م، بأنه تم إجراء كافة الإصلاحات والترميمات على الوجه المطلوب، كما جرى تسجيل كافة المكشوف في دفاتر القيد[١٠٤].

وعلى أية حال، فإنه يتضح لنا مما سبق. وبما لا يدع مجالاً للشك، أن العثمانيين بذلوا جهوداً كبيرة لتحسين المرافق العامة، وخصوصاً ترميم وصيانة قنوات ومجاري وبرك المياه في مدينة القدس، بغرض إيصال الماء إليها، وذلك للحفاظ على متطلبات تلك المدينة، وكانت تلك الترميمات قد أخذت شكلاً دورياً فكان الترميم الأول عام ١١٥٥هـ/١٧٤٢م، ثم في عام ١١٦٩هـ/١٧٥٥م، بعد ذلك دخلت الدولة في أزمات اقتصادية وسياسية – كما سبق وأن أوضحت ذلك – إلى أن الدولة العثمانية عادت وواصلت إصلاحاتها لقنوات ومجاري المياه العذبة، فقد ١٢٠١هـ/١٧٨٦م، صدرت الأوامر لأجهزة الدولة بضرورة الإسراع في ترميم تلك القنوات، ثم عادت في عام ١٢١١هـ/١٧٩٦م، وأجريت إصلاحاً للقنوات والمجار

السابقة، وكانت الدولة، وعلى رأسها السلطان، يؤكدون ويشددون على ضرورة إتقان العمل بوجه السرعة، كما عهدت الدولة تنفيذ تلك المهام إلى أعلى مسئول في ناحية القدس، وهو والي الشام، وكذلك أمين معمار القصور السلطانية محمد أمين خليفة، كل ذلك من أجل ضمان وإتقان الأعمال المعمارية، كما دبرت وسخرت الدولة أموالاً ضخمة لتنفيذ تلك المشاريع، والبرامج المنظمة لإعادة تفصيل مدينة القدس على يد السلاطين العثمانيين، والتي تعد بمثابة قاعدة جديدة لمزيد من خطوات التطوير لتصبح المدينة مركزاً حضارياً. وعطفاً على ذلك، فإن إلقاء نظرة على تلك الوثائق، والتي استخدمتها الباحثة في دراستها للموضوع، يوضح مدى عمق ودقة ترتيب النواحي الإدارية في الدولة العثمانية، وخاصةً الإحالات الموجودة في نهاية كل وثيقة، وذلك لضمان دقة العمل وسرعته، ضماناً لعدم التلاعب أو التهاون في عمل تلك الترميمات والإصلاحات للمشاريع الحيوية لمدينة القدس، وكانت تلك الوثائق بمثابة حجر الزاوية لهذه الدراسة العلمية، من حيث تلك الأوامر والأحكام السلطانية، التي كانت بمثابة المرآة التي عكست وحددت علاقة السلطان العثماني بصنجقية القدس، على مختلف الأصعدة السياسية، والإدارية، والاقتصادية.

الهوامـــش

(١) تقع القدس على خط طول ٣٥ درجة و ١٣دقيقة شرقاً، وخط عرض ٣١ درجة و٥٢ دقيقة شمالاً، وترتفع نحو ٧٥٠م عن سطح البحر المتوسط، ونحو ١١٥٠ م عن سطح البحر الميت. والقدس ذات موقع جغرافي هام، لأن نشأتها على هضبة القدس والخليل وفوق القسم الجبلية التي تمثل خط تقسيم للمياه بين وادي الأردن شرقاً والبحر المتوسط غرباً - جعلت من اليسير عليها أن تتصل بجميع الجهات، وهي حلقة في سلسلة تمتد من الشمال إلى الجنوب فوق القمم الجبلية المرتفعات الفلسطينية [أنظر الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثالث، دمشق، الطبعة الأولى ١٩٨٤م، ص٥٠٨]. وللتعرف على أسماء القدس تفصيلياً، انظر : احمد محمود صابون : "القدس: أسماؤها بين الحقائق التاريخية وتحديد الهوية العربية "، مجلة التاريخ العربي، العدد السابع عشر، الرباط، شتاء ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص٧ - ص٣٥.

(٢) شوقي شعث: "القدس عربية منذ خمسة آلاف عام في ضوء النصوص الكتابية والاكتشافية الأثرية"، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، قصبة الأوداية، الرباط، العدد السادس عشر، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص ص ٧٩،٨٧.

(٣) السلطان سليم الأول ٩١٨ -٩٢٦هـ/١٥١٢-١٥٢٠ م سمي ياوز، أي (شديد أو قاطع)، وذلك لقسوة طبعه، كان مضطراً لإقرار الأمن والوحدة في الداخل لحل قضية الفرس، فانتصر عليهم في موقعة تشالديران (جالديران) ٩٢٠هـ/١٥١٤م، ثم اتجه للشام فانتصر على المماليك في موقعة مرج دابق ٩٢٢هـ/١٥١٦م وضم مصر ٩٢٣هـ/١٥١٧م.[يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، مؤسسة الملك فيصل، استانبول، ١٩٨٨م، مجـ١، ص ٢١٣، ٢١٥، ٢٢٢، ٢٢٦].

(٤) كامل جميل العسلي : القدس في التاريخ، منشورات الجامعة الأردنية، عمادة البحث العلمي، عمّان، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص ٢٣٣، مبين أحمد محمود، تاريخ مدينة القدس، دار الأندلس، عمّان ، (د. ت)، ص ٨١.

(٥) صنجقية، أو سنجقية وهي لفظة تركية لها عدة معان : علم أو بيرق، واسم لكل ثلاث أو خمسة تقسيمات إدارية في الولاية، فالولاية تنقسم إلى عدة سناجق أو ألوية، والسنجق أو اللواء إلى عدة أقضية "جمع قضاء". [أنظر : أكمل الدين إحسان أوغلي ؛ وصالح سعداوي : الثقافة التركية في مصر، مركز الأبحاث للتاريخ، والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، ٢٠٠٢م، ص ٣٩٦].

(٦) المتسلم : مسمى وظيفة إدارية في العصر العثماني، وكذلك المتصرف، وكان والي دمشق ثم صيدا يوجه المتسلمين إلى مدينة القدس، وكان يدعى المتسلم (يسنجق بك أو أمير لواء)، ومنذ بداية الفتح العثماني كانت تتبع ايالة ثم ولاية، وهي إحدى

ثلاث ولايات تألفت منها بلاد الشام في ذلك الوقت، وقد قسمت كل ولاية إلى عدد من الصناجق (الألوية) وكان للمقدس صنجقها الخاص الذي ضم الخليل والقرى المجاورة.[انظر كامل جميل العسلي: مرجع سبق ذكره، ص١٢٣٦؛ عبلة المهتدي الزيدة: القدس تاريخ وحضارة (٣٠٠٠ق.م -١٩١٧م)، دار نعمة، بيروت، ص ٣٣٢ ؛ محمد محمد حسن شراب : موسوعة بيت المقدس والمسجد الأقصى، جـ ٢، ص ٨٧١].

(٧) أريحا : بالفتح ثم الكسر، وياء ساكنة، والحاء المهملة والقصر، لغة عبرانية، وهي مدينة الجبارين في الغور من أرض الأردن بالشام، بينها وبين بيت المقدس يوم للفارس في جبال صعبة المسالك.[انظر: ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، (د. ت)، المجلد الأول، ص ١٦٥].

(٨) بيت لحم : بالفتح، وسكون الحاء المهملة، وتقع على جبل يرتفع ٧٨٠متر عن سطح البحر في الجزء الجنوبي من سلسلة جبال القدس، وعلى مسافة تزيد قليلا على ١٠كم جنوبي مدينة القدس، وهي مكان مهد عيسى بن مريم، عليه السلام، [انظر : ياقوت الحموي:المرجع السابق، جـ١، ص ٥٢١ ؛ الموسوعة الفلسطينية، جـ١، ص ٤٥٧].

(٩) الخليل: اسم موضع وبلدة فيها حصن وعمارة وسوق بقرب بيت المقدس، فيه قبر الخليل إبراهيم، عليه السلام، في مغارة تحت الأرض، وهناك مشهد وزوار وقوام في الموضع وضيافة للزوار. وبالخليل سمي الموضع، واسمه الأصلي حبرون، وقيل حبري [انظر: ياقوت الحموي: مرجع سبق ذكره، جـ ٢، ص٣٨٧].

(١٠) أحمد نوري النعيمي: الدولة العثمانية واليهود، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٢٧هـ /٢٠٠٦، ص ٦٥-٦٦؛ تيسير جبارة : تاريخ فلسطين، دار الشروق، بيروت، ١٩٩٨م، ص ٢٢ – ٢٣.

(١١) كانت ولاية السلطان سليمان القانوني، والذي بلغت الدولة العثمانية في حكمه أعلى درجات الشرف والكمال، سنة ٩٠٠هـ/١٤٩٤م، ولما وصله خبر وفاة أبيه السلطان سليم الأول، سنة ٩٢٦هـ/١٥١٩م، سرا، لأن الوزراء وأرباب الدولة كانوا أخفوا موته لئلا يثور الانكشارية – قام مسرعا من إقليم صاروخان إلى أن دخل استانبول، وقابله أرباب الدولة والجنود على اختلاف طبقاتها بالتهليل والترحيب، ولما جرت مراسيم المقابلات، وقد عليه الأمراء والوزراء والقواد والأعيان، ولما استوى على تخت السلطنة أخذ في سن القوانين والنظم الكفيلة بتمكين بنيان الدولة، كما التفت أيضاً إلى تنظيم الجيوش وتقوية أساطيل البحرين الأسود والمتوسط، وحارب أثناء حكمه، والذي استمر حتى سنة ٩٧٤هـ/١٥٦٦م، الجيوش الأوربية وعلى رأسها الإمبراطورية الرومانية المقدسة.[انظر : اسماعيل

سرهنك: حقائق الإخبار عن دول البحار، المطبعة الأميرية، بولاق مصر المحمية، ط١، ١٣١٢هـ، جـ ١، ص ٥٣٢ .

(١٢) ليس لها معنى تاريخي، وهي ثلاث برك ويسمونها برك المرجوع وهي البركة الفوقا، مرتفع عن سطح البحر ٧٩٧م، البركة الوسطا : أعلى من سطح البحر ٧٨٣م، والبركة التحتا أعلى من سطح البحر ٧٦٨م، وأما القناة التي يسيل فيها الماء قبل وصوله إلى القدس، فإنها قناة رومانية تجلب الماء من عين العروب، وتأتي تقع على بعد أحد عشر كيلو جنوبي القدس، وقد تم بناء هذه القناة سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٧م، وقد رممت عدة مرات كان آخرها سنة ٨٨٧هـ / ١٤٨٢م في عهد الملك الأشرف قيتباي [انظر: رشاد الإمام: مدينة القدس في العصر الوسيط، ١٢٥٣-١٥١٦، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، ص ١٨٣-١٨٤؛ محمد محمد حسن شراب: القدس أسسها العرب ورفع قواعدها المسلمون، ط ١، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٦، ص ١٥٣.

(١٣) بنيت بظاهر مدينة القدس سنة ٨٠١هـ/١٣٩٩م، في عهد الملك الظاهر برقوق، وكانت سنة ٩٠٠هـ/١٤٩٤م، خراباً، وكان طولها ١٨٠م وعرضها ٨٠ سم وعمقها عشرة أمتار [انظر: محمد محمد حسن شراب: موسوعة بيت المقدس والمسجد الأقصى، ط ١، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٣م، جـ١، ص ١٦١].

(١٤) عارف باشا العارف : تاريخ القدس، دار المعارف، مصر، ١٩٥١م، ص ١٠٤؛ كامل جميل العسلي : مرجع سبق ذكره، ص ٢٣٤ ؛ عبلة المهتدي الزيدة : مرجع سبق ذكره، ص ٣٢٦.

(١٥) محمد هاشم غوشة: القدس في العهد العثماني٩٢٢هـ/١٥١٦م-٩٧٤هـ/١٥٦٦م، وزارة الثقافة، الأردن، عمان، ٢٠٠٩م، ص ٨٧.

(١٦) السلطان مراد الرابع ابن السلطان أحمد الأول ابن السلطان محمد الثالث، ولد عام ١٠١٨هـ/١٦٠٩م، ففي عهده لختل الأمن مما شجع ملك فارس على توسيع دائرة حكمه على حساب الأراضي العثمانية حتى استولوا على بغداد، كما ثار الانكشارية وقتلوا الصدر الأعظم، كما قامت عدة ثورات في الدولة. ولعل أبرزها ثورة فخر الدين. وتوفي السلطان مراد عام ١٠٤٩هـ/١٦٤٠م. [انظر : محمد أمين بك المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، ط ١، دار النفائس، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ٢٨٠- ٢٨٥].

(١٧) عارف باشا العارف : مرجع سبق ذكره، ص ١٠٥ .

(١٨) لم أجد له تعريفاً وربما كان أمير الأمراء.

(١٩) كان قاضي القدس يعين، ويأتي عادة من استانبول، لمدة سنة واحدة قابلة للتجديد، وكان يعتبر من كبار قضاة الدولة العثمانية، وكانت منطقة اختصاصه تشمل،

بالإضافة إلى القدس، مدن الخليل والرملة والكرك وجنين، أي أنها أكبر بكثير من اختصاص حاكم لواء القدس، ويتقاضى مرتبا يساوي مرتب باشا القدس (٤٠٠٠٠) قرش سنويا، وكان تحت إمرته ٢٠ ضابطا، وكانوا يعينون بفرمان سلطاني، ويشمل هؤلاء: حراس أبواب المدينة الثلاثين وصاحب الشرطة والخازن والمحتسب. [كامل جميل العسلي : مرجع سبق ذكره، ص ٢٣٦ ؛ عبلة المهتدي الزبدة : مرجع سبق ذكره، ص ٣٣٣ و ٣٣٩].

(٢٠) تعد هذه الوظيفة من الوظائف الدينية الرفيعة، وتكمن مهام ناظر الحرمين الشريفين في القدس والخليل في النظر في كل ما يحتاجه الحرم الشريف من ترميم أو أجور عاملين وغير ذلك، وقد أسندت هذه الوظيفة إلى عناصر عثمانية. [أنظر : محمد هاشم غوشة : مرجع سبق ذكره، ص ٢٠٨].

(٢١) الدشيشة لغة الجشيشة، وقيل لكنه، والجشيش والجشيشة الحب حين يدق ويكسر، وقيل حين يطبخ ويلقى عليه اللحم والتمر، لم تذكر المراجع أن السلطان قايتباي أنشاء دشيشة، وإنما أسس مدرسة كبيرة بها شيخ وصوفية وغير ذلك، وسميت المدرسة الأشرفية، وكانت توجد داخل الحرم، وأمر الملك الأشرف قايتباي ببنائها سنة ٨٨٥هـ/١٤٨٠م وفي سنة ٨٨٧هـ/١٤٨٢م تكاملت عمارة هذه المدرسة. [أنظر : عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس : النور السافر عن أخبار القرن العاشر، تحقيق أحمد حالو، ومحمود الأرناؤوط، وأكرم البوشي، ط ١، دار صادر، بيروت، ٢٠٠١، ص ٣٧- ٣٨ ؛ رشاد الإمام، مرجع سبق ذكره، ص ٢٠٢].

(٢٢) المدرسة الصلاحية تقع بالقرب من باب الأسباط، وقفها السلطان صلاح الدين الأيوبي على الشافعية سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م، وهي مبنية في مكان كنيسة كان اسمها كنيسة قبر حنة، هدمها السلطان عندما استرد مدينة القدس من الصليبيين، وأقام مدرسته هذه على أنقاضها. [أنظر: رشاد الإمام: مرجع سبق ذكره، ص ١٨٨].

(٢٣) مقام الخليل : على مسافة ٣٦كيلو، جنوب القدس، وفيها المسجد المضاف إلى إبراهيم الخليل، عليه السلام، لما قيل إنه مدفون في مغارة تحت المسجد. [انظر : محمد محمد حسن شراب : القدس أسسها العرب ورفع قواعدها المسلمون، ص ٣٧٥].

(٢٤) خانقاه البسطية : الخانقاه كلمة فارسية تطلق على المباني التي تقام لإيواء الصوفية الذين يجلون فيها للعبادة، وسميت في العهد العثماني تكايا. وكان لها مقام رسمي في الدولة، وكما كان الصوفيون يقيمون في الخوانق بصورة دائمة، ويتلقون مخصصات، وكانت الخانقاة مؤسسة للتعليم الديني أيضا، وكان على النازلين بها مراعاة الالتزامات المعينة للتعبد والدرس والذكر، وهي تقع شمالي الحرم بالقرب من باب شرف الأنبياء (باب الحمام) ويلاصق بعضها المدرسة الدوادارية من جهة الشمال الشرقي، ويشغل جزءا منها دار للسكن والجزء الآخر يؤلف مع المدرسة

الدوادارية المدرسة التنكزية الآن. [انظر : عبلة المهتدي الزبدة : مرجع سبق ذكره، ص ٢٧٠ ؛ محمد محمد حسن شراب: موسوعة بيت المقدس والمسجد الأقصى، جـ ١، ص ٣٩٠ و ٣٩١].

(٢٥) يقع مقام موسى بالقرب من القدس على الطريق إلى قرية أريحا، وقد أمر الظاهر بيبرس – عند مروره به سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٨م – بعمارة المقام. ولهذا المقام أوقاف عديدة في طرمس عيا، ومزرعة العياش، سوزباهر، وأريحا، قُلقُون، ومزرعة وادي قوكين. [انظر: شمس الدين محمد بن سحمد بن شرف الدين الخليلي : تاريخ القدس والخليل، تحقيق محمد عدنان البخيت ونوفان رجا السوارية، مؤسسة الفرقان، لندن، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ٥٤٨].

(٢٦) المدرسة البرهونية لم أجد لها تعريفا.

(٢٧) بيت جالا مدينة عربية ترجع تسميتها إلى جبل جيلو، أو ما يعرف حاليا باسم جبل الرأس، وتقع بيت جالا على بعد كيلومترين إلى الشمال الغربي من مدينة بيت لحم، وقد وضع امتداد بيت لحم نحو الجنوب، بيت جالا في الواجهة الغربية لبيت لحم. وتعد الطريق التي تصل بين مدينتي القدس والخليل الحد الفاصل بين بلدتي بيت جالا وبيت لحم وتحدها من الجنوب أراضي قرية الخضر كما تحدها من الشمال أراضي قرية شرفات، ومن الغرب أراضي قرية بتير. [انظر : الموسوعة الفلسطينية، المجلد الأول، ص ٤٤٣].

(٢٨) سلوان محلة في ربض بيت المقدس تحتها عين عذبة تسقي جناتاً عظيمة. [انظر: ياقوت الحموي : مرجع سبق ذكره، جـ ٣، ص ٢٤١].

(٢٩) صور باهر في الجنوب الشرقي على مسافة خمسة أكيال عن القدس. [انظر: محمد محمد حسن شراب : موسوعة بيت المقدس والمسجد الأقصى، جـ ١، ص ٢٩٦].

(٣٠) قرية بيت ساحور ملاصقة لمدينة بيت لحم من الشرق. [انظر: محمد محمد حسن شراب : موسوعة بيت المقدس والمسجد الأقصى، جـ ١، ص ٢٨٤].

(٣١) أرطاس بفتح أوله وسكون ثانيه وطاء وألف وسين، وهي كلمة معربة من أصل لاتيني بمعنى بستان، وهي قرية صغيرة على بعد نحو ٣ كم للجنوب من بيت لحم، تكثر بها الينابيع، منها أربعة عيون : عين عطاف، وعين الفرجة، وعين صالح، وعين البرك، وهذه العيون تلتقي بمياه برك سليمان وتسيل معها في قناة واحدة إلى أن تصل إلى بيت لحم فالقدس. [انظر : محمد محمد حسن شراب : معجم بلدان فلسطين، الطبعة الثانية، الأهلية للنشر والتوزيع، عمّان، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص ١١١].

(٣٢) كفربره : لم أجد لها تعريفا.

(٣٣) نابلس مدينة مشهورة، بأرض فلسطين بين جبلين، مستطيلة، كثيرة المياه، تأتيها الصيفة في جبل أرضها حجر، بينها وبين بيت المقدس عشرة فراسخ -حوالي ٥٠كم -. [انظر : ياقوت الحموي، مرجع سبق ذكره، جـ ٥، ص٢٤٨].

(٣٤) الأرشيف العثماني تصنيف٢٤٣١٥/٤٨١، ٧ ب.ا. نص الوثيقة وترجمتها ملحق رقم (١).

(٣٥) أمير الأمراء وتعني بكلربكي بالتركية، وهو من أعلى المناصب في الدولة العثمانية، وكان يوجد في العهود الأولى من الدولة العثمانية بكلربكي واحد، وكان مسؤولاً عن الجيش، وما يتعلق به من أمور، وكان نافذ الكلمة يأتي بعد السلطان مباشرة، ولما توسعت الدولة العثمانية في فتوحاتها، انقسم هذا المنصب إلى قسمين بكلربك الأناضول، وبكلربك الروملي، وكانوا يعينون الولاة على الأقاليم والقواد على الجيوش، وكانت لهم إقطاعات كبيرة. [أنظر: سهيل صابان : المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٢١هـ /٢٠٠٠م، ص ٦٤].

(٣٦) حسين باشا بن محمد بن محمد مكي بن فخر الدين، واشتهر نسب أسرته بالفخر الفخري، والي دمشق وأمير الحاج، كان جده أحد تجار غزة، ونشأ ولده محمد على يد العارف الشيخ حسين خليفة، إلى إن شب والتهل فاتصل بخدمة وزراء الشام، ونشأ ولده حسين في غزة معتبرا معلوما حتى عام ١١٥٥هـ/١٧٤٢م: فتوجه والده من دمشق إلى اسلامبول وأخذ غزة إقطاعا بطريق المالكنة، وأقام حسين باشا فيها، ثم أن والده قد طلبه والي دمشق، الوزير أسعد باشا وجعله نائباً له: وبقي ابنه حسين في غزة ، حيث إن الوزير أسعد باشا أقام حسين منصوباً في القدس - من طرفه - حاكماً حتى سنة ١١٦٩هـ/١٧٥٥م، فتوجهت عليه إيالة القدس بطوخين فصار أمير الأمراء، وبقي تسعة أشهر حتى عزله أسعد باشا، غير أنه دعي إلى غزة، حيث توجهت عليه صيدا وإيالتها بالوزارة، ثم صار أميراً للحج وواليا على الشام بعد عزل أسعد باشا. [أنظر : محمد خليل المرادي : سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ط ٢، مكتبة المثنى، بغداد، ١٣٠١هـ، جـ٢، ص ٦٠-٦١ ؛ ميخائيل بريك الدمشقي : تاريخ الشام، تحقيق أحمد غسان سبانو، ط٢، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٢م، ص٤٩ ؛ أحمد البديري الحلاق : حوادث دمشق اليومية ١١٥٤ - ١١٧٥ هـ/ ١٧٤١ - ١٧٦٢ م، تحقيق أحمد عزت عبد الكريم، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، ١٩٥٩م، ص١٨٨]

(٣٧) توجهت ولاية دمشق لأسعد باشا سنة ١١٥٧هـ/١٧٤٤م، وكان حاكماً عادلاً ومع ذلك تمرد الإنكشارية في عهده، إذ داسو الأحكام ونهبوا المحكمة الكبرى بدمشق، غير أنه استطاع أن يضبط المدينة بعد إن قتل قائد الإنكشارية، وفي شهر جمادي الأولى ١١٧٠هـ / ١٧٥٦م، عزل أسعد باشا من دمشق بعد أن حكم فيها أربعة عشر عاما، وعليه توجه للحجاز، حيث أدى أربع عشرة حجة، بعد أن عمر السرايا:

كما عمر قلعة المدفين، ورمم جامع بايغا، وجامع الياغوشة. [انظر : ميخائيل بريك الدمشقي، مرجع سبق ذكره، ص ٣٧-٤٩ ؛ أحمد البديري الحلاق : مرجع سبق ذكره، ص ١٨٩، صلاح الدين المنجد : ولاة دمشق في العهد العثماني، نشرها صلاح الدين المنجد، دمشق، ١٩٤٩م، ص ٧٩].

(٣٨) الإرادة : الأمر السلطاني أو المرسوم والحكم، [سهيل صابان : مرجع سبق ذكره، ص٢٧]

(٣٩) الأرشيف العثماني تصنيف رقم C.BLD 55/2750 [أنظر: الوثيقة وترجمتها الملحق رقم (٢)].

(٤٠) عمر بن صالح الملقب بالظاهر الصفدي الزيداني حاكم مدينة عكا، وشيخ شيوخ البلاد الصفدية صاحب المواقع الكبيرة الخارج عن طاعة الدولة العثمانية. لقد كان مولده بصفد ١١٠٦هـ/١٦٩٤م، وكان والده وجده وأعمامه حكاماً بصفد وعكا، ويعرفون ببني زيدان، وهم حمولة كبيرة، لكن عمر نبغ نبوغاً ما سبقه إليه أحد من عشيرته، ولقد أغتيل قبل خروجه من عكا ١١٨٩هـ/١٧٧٥م. [انظر : محمد خليل المرادي : مرجع سبق ذكره، جـ ٣، ص ١٨٤]

(٤١) عكا بفتح أوله وتشديد ثانيه، وهي اسم بلد على ساحل بحر الشام من عمل الأردن، وهي تقع إلى شمال حيفا وجنوب صور، [انظر : ياقوت الحموي : مرجع سبق ذكره، جـ٤، ص١٤٣]

(٤٢) تيسير جبارة : مرجع سبق ذكره، ص ٢٤- ٢٩.

(٤٣) أحمد الجزار قدم من بشناق (البوسنة)، إحدى الولايات العثمانية، وكان داهية ذا مطامع كبيرة وشجاعة نادرة وإقدام. تولى ولاية الشام أربع مرات، أولها في شعبان عام ١١٩٩هـ/١٧٨٤م، وعزل في محرم ١٢٠١هـ / أكتوبر ١٧٨٦م، بسبب ظلمه وعسفه، ثم أعادته الدولة في شوال ١٢٠٥هـ/يونية ١٧٩٠م، ثم عزل في نفس العام، ودخل الشام لثالث مرة عام ١٢١٣هـ/١٧٩٨م. لمدة عام ثم عزل، وأخيراً تولى الشام للمرة الرابعة ١٢١٧هـ/١٨٠٢م. [أنظر : صلاح الدين المنجد: مرجع سبق ذكره،ص ٨٥ و ٨٨ و ٩٠ ؛ سهيل زكار : بلاد الشام في القرن التاسع عشر رولايات تاريخية معاصرة لحوادث عام ١٨٦٠ ومقدماتها في سوريه ولبنان، دار حسان، دمشق، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ٦٠].

(٤٤) السلطان سليم الثالث ابن السلطان مصطفى الثالث المولود عام ١١٧٥هـ/١٧٦٢م، تولى مهام السلطنة عام ١٢٠٣هـ/١٧٨٨م، والأجواء السياسية متفجرة والحروب دائرة بلا انقطاع، فبذل جهده في تقوية الجيوش وإرسال المؤن والذخائر، لكن كان البأس قد استولى على الجنود وغادر كثير منهم مراكزهم، وفي هذه السنة اتحد القائد الروسي مع القائد النمساوي، وانتصرا على العثمانيين عام ١٢٠٤هـ/١٧٨٩م، حيث استولى الروس على معظم بلاد الأفلاق والبغدان، كما

دخل المتساويين بالقراد وضمنوا بلاد الصرب، ويعتبر سليم الثالث من ارقى السلاطين الذين أتوا بعد السلطان مراد الثالث الذي توفي ١٠٠٤هـ/١٥٩٥م من جهة الثقافة والتحصيل، ووصل إلى درجة النبوغ في الفنون الجميلة، فان ملحنا، وخطاطاً، ومنشئا بالكلمات الشرقية، مجتهدا، وطنيا، مصلحا، لم يخلف أولادا. [انظر: محمد فريد : مرجع سبق ذكره، ص ٣٦٣ ؛ يلماز أوزتونا : مرجع سبق ذكره، جـ١، ص ٦٤٣].

(٤٥) عبلة المهندي الزيد: : مرجع سبق ذكره، ص ٣٥٣ـ ٣٥٤ ؛ كامل جميل الصلبي : مرجع سبق ذكره، ص ٢٥٨.

(٤٦) الأرشيف العثماني تصنيف (C.HR.D.140/6960) . انظر : الوثيقة وترجمتها ملحق رقم (٣).

(٤٧) لم أجد له تعريفاً.

(٤٨) حسين باشا (بطال) أمير الحج ووالي دمشق من ١٢٠١ – ١٢٠٢هـ/١٧٨٦ – ١٧٨٧هـ، وكان قبل ذلك والياً على أرضروم في عام ١١٩٩هـ/١٧٨٤م، ثم عين والياً على حلب عام ١٢٠٠هـ/١٧٨٥م، وبعدما عزل عن دمشق عين والياً على طرابزون، وكان عادلا، عاقلا، أمن الحجاج في عهده. [انظر محمد ثريا : سجل عثماني يتضمن تذكرة شاهير عثمانية، دار الطباعة العامرة، استانبول، ١٣١١، جـ ٢، ص ٢١٧ ؛ محمد مطيع الحافظ ونزار أباظه : علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري ١٢٠١ – ١٣٠٦هـ/١٧٨٦ – ١٨٩١م، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، جـ١، ص ٢١].

(٤٩) لم أجد له تعريفاً.

(٥٠) لم أجد له تعريفاً.

(٥١) القرش، ويقول البعض غرش، ولكنه جائز، لأن الأصل الغاني وهو Groshen فمن الثامن من ينقل الحرف G إلى القاف ومنهم إلى الغين، وفالقرش غرشلن : قرش صاغ وغرش رائج فالقرش الصاغ يساوي أربعين بارة، والقرش الرائج يساوي ربعه أي عشر بارات. [انظر : السنّاس الرملي : النقود العربية والاسلامية وعلم المعيات، ط ٢، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٩٧]. ويذكر منشئ فلسطين للأبد، وتحت مادة القدس في عهد الخلافة العثمانية، أن (القرش الأسدي) من النقود التي سكها السلاجقة في الأناضول، وقد سمي كذلك لأن صورة الأسد كانت في البدء مطبوعة عليه، واستعمل قديما مضى أساسا للمعاملات التجارية والصرف للنقود. ثم انحصر استعماله في بيع الأشياء بالمزاد العلني فقط، وظل رائجا حتى أواخر القرن الثاني عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي، وهناك من يقول أن أول من استعمله الأتراك، وأن هؤلاء أخذوه عن العملة الأسدية الهولندية التي كانت رائجة في الولايات العثمانية، وكانت تضرب بقيمة ثمانية دراهم ونصف.

وبعد أن استعمله الأتراك العثمانيون صار يسمى (القرش التركي) ويقال له أيضا (القرش العثماني) و(القرش السلطاني)، وعلى قول أنها تتينة أو المانية (جروش)، ومهما كان أصلها فإن العرب أخذوها عن الأتراك فعربوها وقالوا قرشا، ولقد ضرب الأتراك هذا النوع من النقد لأول مرة في عهد سليمان القانوني، وهو جزء من ثمانية من الليرة التركية، وقد استعمل القرش منذ قرن ونصف تقريبا كوحدة للمعاملات المالية بقيمة اربعين بارة، فتمثلت النقود السليمانية رائجة في أسواق بيت المقدس حتى زمن السلطان سليم الثالث، فقد صدرت الإدارة السنية في عهده بضرب الأواني وجمعها وإرسالها إلى الخزينة على أن يعوض صاحبها عن كل مثقال من الذهب بستة قروش ونصف وعن كل أربعة من الفضة بقرش واحد. [انظر : منتدى فلسطين للأبد، مادة القدس في عهد الخلافة العثمانية].

(٥٢) صيدا بالفتح ثم السكون، والدال المهملة والمد، وهي مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال دمشق شرقي صور، بينها ستة فراسخ [حوالي ٣٠ كم]. وطول صيدا تسعة وخمسون درجة وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وثلثان. [انظر ياقوت الحموي : مرجع سبق ذكره، جـ٣، ص٤٣٠].

(٥٣) طرابلس بفتح أوله، وبعد الألف باء موحدة مضمومة، ولام أيضا مضمومة وسين مهملة، وهي بلدة على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط على مسافة ٨٥ كيلومتر إلى الشمال من بيروت، وهي ثاني مدن لبنان، وتسمى طرابلس الشام، وهي في الإقليم الرابع طولها سبعون درجة وخمس وثلاثون دقيقة، وعرضها أربع وثلاثون درجة. [انظر : ياقوت الحموي : مرجع سبق ذكره، جـ ٤، ص ٢٥ـ٢٦ ؛ محمد فريد بك : مرجع سبق ذكره، ص ٧٢].

(٥٤) الأرشيف العثماني تصنيف C.HR.D.140/6960 انظر : الوثيقة وترجمتها في الملحق رقم (٤)

(٥٥) دفتردار : اصطلاح عثماني فارسي الأصل، يعني الموظف الذي يمسك دفاتر الواردات والنفقات في الدولة وكانوا في الدولة أكثر من واحد، ويعني كل منهم بمنطقة معينة أو موارد معينة، أما اليوم فهو كبير موظفي الشئون المالية، وقد ورد في المعجم الوسيط على أنها كلمة تركية، وعلما على الموظف المالي المكلف تنظيم الوارد والمنصرف من اموال الحكومة.[انظر: أكمل الدين إحسان أوغلي وصالح سعداوي : الثقافة التركية في عصر جوانب من التفاعل الحضاري بين المصريين والأتراك مع معجم للألفاظ التركية في العامية المصرية، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون الإسلامية والثقافة الإسلامية (إرسيكا)، استانبول، ٢٠٠٣م، ص٣٦٨].

(٥٦) دار السعادة : اسم اطلق على دار الحكم، وقصد به استانبول. فعرفت بدار السعادة، لأنها كانت قصراً للحكم العثماني. [انظر : سهيل صابان : مرجع سبق ذكره، ص ١٠٨].

(٥٧) الرومللي الإسم العام الذي اطلق على أراضي الدولة العثمانية الواقعة في أوروبا. [انظر : سهيل صابان : مرجع سبق ذكره، ص ١٢٩].

(٥٨) الأرشيف العثماني تصنيف C.E.V.460/2325. C.BLD. 140/6960. انظر : الوثيقة وترجمتها في ملحق رقم (٥) وملحق رقم (٦)

(٥٩) الأرشيف العثماني تصنيف C.BLD. 140/6960 انظر الوثيقة وترجمتها في الملحق رقم (٧)

(٦٠) دمياط : وهي مدينة قديمة تقع في شمال مصر على البحر الأبيض المتوسط، وفي شمالها مصب النيل إلى البحر. والمعروف باسمها (فرع دمياط)، كما تعد من ثغور الإسلام، وتمتاز بهوائها الطيب، وطول دمياط ثلاث وخمسون درجة ونصف وربع، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وربع وسدس. [انظر : ياقوت الحموي : مرجع سبق ذكره، جـ ٢، ص ٤٧٢ـ٤٧٥].

(٦١) الأرشيف العثماني تصنيف C.BLD. 6960، انظر الملحق رقم (٨).

(٦٢) الأرشيف العثماني تصنيف C.BLD. 6960، انظر الملحق رقم (١٠).

(٦٣) الأرشيف العثماني تصنيف C.BLD. 6960، انظر الملحق رقم (٩).

(٦٤) الأرشيف العثماني تصنيف C.BLD. 6960، انظر الملحق رقم (١٠).

الملاحـــــق

ملحـــق رقم (١)

ترجمة ملحق رقم (١)

باسمـــــه تعالى

حالاً حكم صادر إلى قاضي ومتسلم القدس الشريف والمسجد الأقصى وقبة الصخرة ومأمور البناء محمد بك.

إلى المختار الخواص والمقربين، معتمد الملوك والسلاطين، مختار العز والتمكين في دار السعادة قشريفة الحاج بشير آغا ناظر أوقاف الحرمين الشريفين دام علوّه.

فإن المسجد الأقصى وقبة الصخرة الواقعين في القدس الشريف قد أنشأ بهما السلطان سليمان خان طاب ثراه مجاري للمياه النظيفة وقامت بترميمها بعد ذلك المرحومة والمغفور لها والدة السلطان وهذه المجاري تحتاج إلى التعمير والترميم وخاصة المنطقة الواقعة عند مبنى دمتبنة السلطان قايتباي ومدرسة الملك الناصر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، ومقام حضرة خليل الرحمن وخانقاه البسطية، ومقام النبي موسى عليه السلام والمدرسة البرهوتية. والأوقاف المجاورة لها، والأوقاف الواقعة في قرية بيت لحم، وقرية بيت جالا وقرية عين سلوان، وقرية شوربا هر وقرية بيت شاهور (بيت صاحور) ومزرعة أرطاس ــ وقرية كفر برّد، فإن أهالي المناطق المذكورة قد تم إعفائهم من الضرائب المفروضة عليهم مقابل الحفاظ على مجاري المياه المارة بمواقعهم. ولكن مع تقادم الزمن وعدم قيام بعضهم بتنظيف المجاري وخاصة الأنابيب الفخارية بطريقة السحب بالسلاسل للأحجار الصغيرة المتراكمة في المجاري، فضلاً عن تكسير بعض الرعاة والعربان لبعض تلك الأنابيب للحصول على الماء لسقي مواشيهم وتكاسل بعض المسئولين من الأهالي في مراقبة ذلك، فإن الأمر قد تفاقم مما استدعى إجراء تعمير وترميم تلك المجاري ورفع الأذى والقصور في وجود المياه الواصلة إلى القدس الشريف والمواقع المحتاجة للمياه السابق ذكرها.

وذلك صدر الأمر الشريف بترميم وتعمير مجاري المياه في المناطق السابق ذكرها، كما صدر الأمر السلطاني بإبلاغ صنجقية القدس ونابلس ومتصرفيهم ومتسلميهم بذلك مع مراقبة تلك المجاري، ومعاقبة من يقوم بتخريبها، وعدم التهاون والتباطؤ في تنفيذ الأوامر السلطانية الشديدة في إصلاح وترميم وتعمير تلك المجاري، مع التنبيه على شيوخ العشائر والعربان في الحفاظ عليها، وتنفيذ كافة الأوامر الصادرة إليكم على الوجه المشروع فيها حسب صدور الأوامر العالية الشريفة إليكم للعمل بمقتضاها.

تحريراً في ١٦ شعبان ١١٥٥هـ

حرمين (ختم)

كتبه عبده موفق علي رضوان

ملحق رقم (٢)

ترجمة ملحق رقم (٢)

بالسمه تعالى

لمر – صحيح

حكم صادر من أمير الأمراء الكرام إلى متسلّم صنجق ولاية القدس الشريف حسين الطويل دام إقباله، الذي رفع إلى مقامنا عرضاً مبنياً على ما ثبت لديه بخصوص وجوب تعمير وترميم منشآت مجاري المياه بولاية القدس الشريف، والذي صدر الأمر من جهة العالية العبني على الأمر الشريف القاضي بإرسال التوجيه اللازم بإنفاذ ذلك باعتبار أن هذا الأمر من أهم الأمور التي تهتم بها الدولة العلية التي تحرص على وقاية وصيانة مجاري المياه النظيفة للولاية حسب النظم القديمة المعمول بها على قدوام.

وذلك صدر الأمر إلى وزيري المكرم والي ولاية لشام الحاج أسعد باشا أدام الله تعالى إجلاله وملحقاً به أمر إلى أمير اللواء المذكور بوجوب تعمير وترميم مجاري المياه وفق المراد وتتميم ذلك وفق الإرادة الشاهانية، وتعيين وتنصيب متسلم القدس الشريف للإشراف على هذه المهمة، وأن يرفع نتيجة ما تم الأمر به إلى الوالي المذكور، مع التوصية والتنبيه على متابعة ما يتم انجازه تمهيداً للرفع إلى جناب السلطنة لإصدار الأوامر اللازمة لتنفيذ ذلك، وعدم التهاون والتقصير في هذه المهمة، وتنفيذ التعمير والترميم بشكل قوي ومتين وإكماله على الوجه المطلوب في أسرع وقت.

في أول شهر جمادي الأولى سنة ١١٦٩هـ

ملحق رقم (٢)

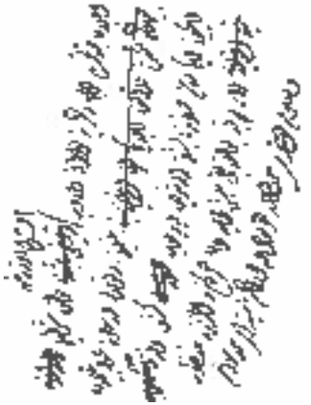

ترجمة ملحق رقم (٣)

بمنّه تعالى ما زالت الأعمال جارية وفق الشروط المعتبرة حسب إفادة أمين البناء (خليفة) والذي عاد مؤخرا من دار السعادة في شهر صفر سنة ١٢٠٠هـ، وحصل على أمر شريف حسب دفتر الكشف الصادر من دائرة المحاسبة الرئيسية. وما زال الموضوع تحت النظر كما هو معلوم لإصدار الأوامر السنية اللازمة لذلك.

ملحق رقم (٤)

ترجمة ملحق رقم (٤)

قدستور المكارم والمشير المفخم نظام العالم، مدير أمور الجمهور بالفكر الثاقب، متمم مهام الأنام بالرأي الصائب، ممهد بنيان الدولة والإقبال، مشير أركان السعادة والإجلال، المحفوف بصنوف عواطف الملك (العلام).

حالاً إلى وقتي الشام وأمير الحاج وزيري بظل سيد خسرين باشا أدام الله تعالى إجلاله، وأقضى قضاة المسلمين، أولى ولاة الموحدين، معدن الفضل واليقين، رافع أعلام الشريعة والدين، وارث علوم الأنبياء والمرسلين، المختص بمزيد عناية الملك المعين، مولانا قاضي القدس الشريف زيدت فضائله، وقدوة الأماثل والأقران المعمار الخاص من الخلفاء والمعين من جانب السلطان محمد أمين خليفة زيد قدره، الذي وصل من جناب السلطان توقيع رفيع يفيد بأن القدس الشريف لا تصل إليه المياه العذبة كما أن البرك الواقعة بجوار القدس الشريف والتي تجتمع فيها مياه الأمطار متخربة، وكذلك قنوات المياه الواصلة إلى القدس الشريف متخربة.

كما أن قنوات مياه الينابيع خارج مدينة القدس متخربة كذلك، ومجاري المياه في الطرق المؤدية إلى المقام الشريف لحضرة موسى صلوات الله على نبينا وعليه متخربة. كما أن مقام السعادة والجامع الشريف الحادي للمقام والتكية المجاورة تحتاج إلى الترميم الذي يليق بالمقام كما يليق بالسلطنة الشريفة، ولذلك تم إعلام أمين المدينة (القدس) حفي بك دام مجده بالمواد المذكورة وتعيين المحلات والمواقع المحتاجة إلى الترميم والتعمير، وتقديم كشف لمأمور البناء خليفة بك، كما تم الكشف على مقام السعادة لحضرة خليل الرحمن الواقع بجوار القدس الشريف واتضح أن البرك الثلاثة الواقعة والقائمة والبرك المحيطة بالمسجد الأقصى متخربة بالكلية وتحتاج إلى بناء فضلاً عن تقوية الجدران لمجاري المياه العذبة، وقد تم إعداد الكشف اللازم بحصر ذلك وإرساله إلى مأمور البناء بمعرفة والي الشام وقد تم تحرير مضبطة من جهة الأهالي الموثوق بكلامهم وتوقيع غالب السكان بضرورة إجراء تلك الترميمات نظراً لتضررهم من قلة المياه وإرفاق ذلك بالطلب.

كما تم تحرير تقرير آخر عن مجاري السيول، وسقوط سقوف ثلاثة حجرات في مقام حضرة موسى صلوات الله على نبينا وعليه، وبالمقام عدد ثلاثون حجرة متوسطة المساحة تحتاج إلى الترميم، كما أن الجامع الحادي للمقام يحتاج إلى ترميم جزئي. وداخل حرم الجامع ثلاثة صهاريج تحتاج إلى الترميم، وخارج الجامع أربعة صهاريج متخربة تحتاج إلى الترميم، وفي الطريق المؤدية إلى مقام حضرة موسى توجد عدة عقبات تحتاج إلى التوسيع، ودفير مقام حضرة الشيخ حسن الراعي متخرب ويحتاج إلى ترميم.

وجملة المصروفات اللازمة لتلك التعميرات والترميمات مبدئياً حوالي تسعة أو عشرة آلاف قرش بناءً على الملاحظة الميدانية لتلك المواقع، وبعد عرض التقرير على المقام السلطاني تمت الموافقة على إجراء تلك الترميمات على أن يتم تحصيل الأموال اللازمة لذلك من أموال مقاطعتي صيدا وطرابلس بمعرفة أمير الحاج المشار إليه ومعرفة مأمور البناء، وعمل الكشوفات والدفاتر اللازمة لحصر المصرف بمعرفة مأمور البناء، ومباشرة العمل بكل إخلاص وأمانة ومتانة وعدم التهاون والتكاسل، وعند ختام العمل يتم إرسال كافة الدفاتر والكشوفات إلى مقام السلطنة، وقد تم تعيين وإخبار مأمور العمارة خليفة بذلك وتكليفه بتحصيل الأموال اللازمة من مقاطعتي صيدا وطرابلس، كما تم إصدار الفرمانات اللازمة لإنفاذ ذلك من قبل مقام السلطنة العلية تحريراً في اليوم الخامس عشر من محرم سنة إحدى ومائتي وألف.

(في الحاشية اليمنى للوثيقة)

طبق أصله الخطير

نسقه الفقير إليه عز شأنه السيد أحمد القاضي

بالقدس الشريف غفر له

ختم القاضي

ملحق رقم (٥)

مسودة ملحق رقم (٥)

ترجمة ملحق رقم (٥)

صاحب العزة الدفتر دار أفندي

حالاً إجراء تعمدات المواضع والمحلات المذكورة المباركة ومجاري المياه العذبة حسب مقتضى ما ورد في التقرير المخصوص.

خلاصة الإعلام الوارد من طرف القدس الشريف أن مجاري المياه العذبة الواقعة بين مدينة القدس الشريف ومدينة خليل الرحمن (الخليل)، توجد قنوات وبرك متهدمة، مما أدى إلى قلة المياه في مدينة القدس. بل وانقطاعها في أحيان كثيرة بالكلية، وأصبح الأهالي وفقراء الحرم الشريف يشربون من الصهاريج في فترة الشتاء، وكذلك في فترة الصيف يشربون من مياه الأمطار المخزونة في تلك الصهاريج والبرك، مما سبب في معاناتهم في الحصول على مياه الشرب الضرورية.

وعند الكشف على تلك المجاري اتضح مبدئياً أنها تحتاج إلى مئة ألف قرش لترميم وتعمير تلك الأماكن ومن ضمنها مجاري وبرك المياه العذبة وتم تعيين أمين البناء معمار الخلفاء محمد أمين خليفة لتنفيذ ذلك، فقد صدر أمر تعيينه من قبل دار السعادة، أملاً في استجلاب الدعاء من فقراء، وأهالي بيت المقدس الشريف وأهالي بقية المناطق المذكورة للأعمال الخيرية السلطانية التي أمر بها.

كما أن خارج قبة الصخرة يحتاج إلى ترميم، وكذلك الكاشاني الواقع تحت قبة الصخرة في الجانب القبلي (الجنوبي)، وكاشاني الجانب الغربي منكسر تماماً ويحتاج إلى التغيير بالكلية، كما يحتاج إلى تغيير الستائر المحيطة والدائرة بالقبة من الداخل للمحافظة على ما بداخل القبة.

وقد تم إخطار أمين البناء بتلك الترميمات الواجب عملها بكل إخلاص وأمانة وسرعة، وإخطار دار السعادة بما تم عمله، كما تم إعلام قاضي القدس الشريف تحريراً بذلك في أمرين متعلق بهما كشف بما يجب ترميمه من مجاري المياه الصافية العذبة إلى مدينة القدس الشريف، وكل أمر مسهور ومصادق عليه من مرجعيته على الوجه المشروح فيه بجميع الأماكن والمحال التي تحتاج إلى التعمير والترميم. كما تم بإشعار أمين الروم إيلي حضرة الوزير المكرم حقي باشا للإشراف بمعرفته على تنفيذ ذلك، وتعيين أرباب الصناعة المتخصصين.

كما تم الإلحاق بذلك تعمير وترميم مقام خليل الرحمن عليه السلام والقبوات الواقعة تحت مسجد القدس الشريف ومجاري المياه بها والحجرات الواقعة تحت المسجد، وعدد ثلاثين حجرة الواقعة في مقام حضرة موسى عليه السلام. وداخل وخارج المسجد

الشريف، وكذلك الصهاريج المجاورة للمسجد وطريق مقام موسى عليه السلام، وكذلك العقبات الأربعة في الطريق المؤدية إلى مقام موسى، ودائر قبر الشيخ حسن الراعي (البردعي) قدس سره العزيز، فكل تلك الأماكن تحتاج إلى التعمير والترميم، ويحتاج بالجملة إلى تسعة عشر ألف قرش (١٩٠٠٠) للصرف على تلك الترميمات المذكورة حسب إفادة وإعلام أهل الاختصاص بعد التحقيق، وصدر الأمر السلطاني بإنفاذ ذلك، على أن يتم الصرف على الترميمات من متحصلات مقاطعتي صيدا وطرابلس بإشراف معمار الخلفاء حضرة محمد أمين خليفة الذي يقوم بإعداد دفتر لتلك الترميمات ومقدار المصرف كما هو معتاد وإرساله إلى دار السعادة بعد تصديق وإشراف ومراجعة والي الشام حضرة يطال حسين باشا بإتمام تلك الأعمال، وإكمالها على الوجه المطلوب وأن يبدأ العمل في محرم سنة ١٢٠١هـ بعد فترة الشتاء، وقد تم إخطار دفترة الأبنية لتنفيذ ذلك بدون تهاون أو تقصير، ومباشرة العمل في وقته، وقد صدر لمأمور البناء الأوامر الشريفة لمباشرة العمل، وتهيئة إقامته واشترط عليه أن يصل إلى دار السعادة في شهر صفر سنة ١٢٠٢هـ مصطحباً دفاتر القيد لتسليمها إلى المحاسبة الرئيسية والأمر منظور ومعلوم وصدرت الأوامر بذلك يا حضرة سلطاني صاحب الدولة والسعادة.

صح أمر للتصديق بما هو مرقوم حسب نظر المصدر بموجب الكشف المقتضي لإجراء ذلك وكيفية الصرف

١٠ شعبان ١٢٠١هـ

ملحق رقم (٦)

ترجمة ملحق رقم (٦)

في ٩ شعبان سنة ١٢٦١هـ

باسمه تعالى

خلاصة الإعلام الوارد من طرف القدس الشريف أن مجاري المياه العذبة الواقعة بين مدينة القدس الشريف ومدينة خليل الرحمن (الخليل) توجد قنوات وبرك منهدمة، مما أدى إلى قلة المياه في مدينة القدس بل وانقطاعها في أحيان كثيرة بالكلية. وأصبح الأهالي وفقراء الحرم الشريف يشربون من الصهاريج في فترة الشتاء، وكذلك في فترة الصيف يشربون من مياه الأمطار المخزونة في تلك الصهاريج والبرك، مما تسبب في معاناتهم في الحصول على مياه الشرب الضرورية.

وعند الكشف على تلك المجاري اتضح مبدئياً أنها تحتاج إلى مئة ألف قرش لترميم وتعمير تلك المجاري وبرك المياه الصافية وتم تعيين أمين البناء لتنفيذ ذلك من قبل دار السعادة أملاً في استجلاب الدعاء من فقراء وأهالي بيت المقدس الشريف وأهالي باقي المناطق المذكورة للأعمال الخيرية السلطانية التي أمر بها.

كما أن خارج قبة الصخرة يحتاج إلى ترميم، وكذلك الكاشاني الواقع تحت قبة الصخرة في الجانب القبلي (الجنوبي)، والجانب الغربي منكسر تماماً ويحتاج إلى التغيير بالكلية، كما يحتاج إلى تغيير الستائر المحيطة والدائرة بالقبة من الداخل للمحافظة على ما بداخل القبة.

وقد تم إخطار أمين البناء بتلك الترميمات الواجب عملها بكل إخلاص وأمانة وسرعة، وإخطار دار السعادة بما تم عمله، كما تم إعلام قاضي القدس الشريف تحريراً بذلك في أمرين ملحق بهما كشف بما يجب ترميمه من مجاري المياه الصافية العذبة إلى مدينة القدس الشريف، وكل أمر مشهور ومصادق عليه من مرجعيته على الوجه المشروح فيه بجميع الأماكن والمحال التي تحتاج إلى التعمير والترميم. كما تم إشعار أمين الروم ايلي حضرة الوزير المكرم حقي باشا للإشراف بمعرفته على تنفيذ ذلك، وتعيين أرباب الصناعة المتخصصين.

كما تم الإلحاق بذلك تعمير وترميم مقام خليل الرحمن عليه السلام والقنوات الواقعة تحت مسجد القدس الشريف ومجاري المياه بها والحجرات الواقعة تحت المسجد، وعدد ثلاثين حجرة الواقعة في مقام حضرة موسى عليه السلام، وداخل وخارج المسجد الشريف، وكذلك الصهاريج المجاورة للمسجد وطريق مقام موسى عليه السلام، وكذلك العقبات الأربعة في الطريق المؤدية إلى مقام موسى، ودائر قبر الشيخ حسن الراعي قدس

سيرة العزيز، فكل تلك الأماكن تحتاج إلى التعمير والترميم، ويحتاج بالجملة إلى تسعة عشر ألف قرش (١٩٠٠٠) للصرف على تلك الترميمات المذكورة حسب إفادة وإعلام أهل الاختصاص بعد التحقيق، وصدر الأمر السلطاني بإنفاذ ذلك على أن يتم الصرف على الترميمات من مخصصات مقاطعتي صيدا وطرابلس بإشراف معمار الخلفاء حضرة محمد أمين كليفة الذي يقوم بإعداد دفتر بتلك الترميمات ومقدار الصرف كما هو معتاد وإرساله إلى دار السعادة بعد تصديق وإشراف ومراجعة والي الشام حضرة يطال حسين باشا بإتمام تلك الأعمال وإكمالها على الوجه المطلوب وأن يبدأ العمل في محرم سنة ١٢٠١هـ بعد فترة الشتاء، وقد تم إخطار دائرة الأبنية لإنفاذ ذلك بدون تهاون أو تقصير، ومباشرة العمل في وقته، وسيتم إصدار الأوامر اللازمة بإنفاذ ذلك.

ملحق رقم (٧)

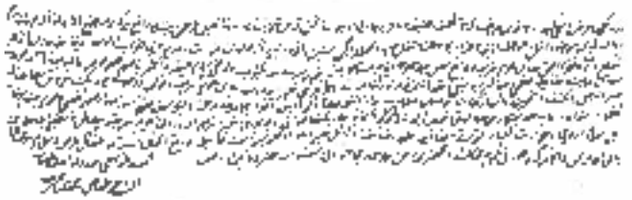

ترجمة ملحق رقم (٧)

عرض عبدكم الداعي للدولة العثمانية، في مدينة القدس الشريف قدسها الملك اللطيف تخربت بشكل كامل قنوات المياه والبرك الواقعة بين القدس الشريف ومدينة خليل الرحمن، وكانت تلك البرك تجتمع فيها المياه العذبة وتجري في المجاري إلى مدينة القدس والخليل، وهذا الخراب أدى إلى انقطاع المياه العذبة عن مدينة القدس وتسبب في مشقة كبيرة للأهالي والمجاورين والفقراء، كما أن الصهاريج الواقعة داخل الحرم الشريف قد انقطعت عنها مياه الأمطار التي تهطل في فصل الشتاء مما تسبب في مضايقة عظيمة وبلاء كبير، فضلاً عن الاحتياج الكبير للمياه العذبة في فصل الصيف.

وبعد الكشف والتبيين من الثقات الموحدين للتطلف بالأهالي والفقراء والمجاورين لقبة صخرة الله الصمد والمسجد الأقصى وحرم بيت الله وقبلة أهل الإسلام الأولى، فيحتاج من المصرف لترميم الأماكن المذكورة إلى مئة ألف قرش، حتى تبرد أكباد الفقراء وتنالون الرضى من الله تعالى وخير الدعاء، وقد حرر هذا الاستدعاء من واقع الحال حسبة لله لمتعال، وباقي الأمر لمن له الأمر.

حرر في اليوم الثالث والعشرين من شهر جمادي الأولى سنة احد عشر ومائتين وألف.

العبد الداعي للدولة العثمانية

السيد أحمد القاضي بالقدس الشريف

ملحق رقم (٨)

ترجمة ملحق رقم (٨)

صاحب العزة الدفتر دار أفندي

موطن جادة الطائر القدسي، موطن قبلة المسلمين، عرش الله الأبدي، فسلحات المسجد الأقصى التي هي معتكف الأهالي قد انقطعت عنه المياه العذبة وتخربت مجاريه الممدة له بالماء العذب، وانقطعت عنه مياه الأمطار التي كانت تخزن في مصهاريجه أعواماً عديدة، فأحدث هذا الانقطاع مشقة كبيرة للأهالي. ولما سبق للمآثر الجليلة في ترميم هذه المآثر العتيقة والآثار الجميلة للإرادة السنية الخالصة كما تشهد الأيام السابقة فقد أمرنا بصرف ثلاثين ألف قرش لإجراء الترميمات اللازمة لإصلاح هذه المواضع المباركة، ونظراً لما تم تأخيره من أعمال بسبب ظروف فصل الشتاء، فيؤخر العمل عدة أيام لانقضاء الشتاء وبدء العمل بعد ذلك في حالة اعتدال الهواء تجرى الأعمال بسرعة وإتقان، وتم وضع عهدة مالية قدرها خمسة آلاف قرش في حالة قصور للمصرف تخصم من عهدة مقاطعة دمياط على سبيل الحوالة. وسيصدر الفرمان من الإرادة السنية لتنظيم ذلك.

في غرة جمادي الثانية سنة ١٢١١هـ

لمر إلى الأبلية الشريفة والمبادرة والإفادة

ملحق رقم (٩)

ترجمة ملحق رقم (٩)

خلاصة الأخبار الواردة من طرف القدس الشريف

في ١٥ رمضان ١٢١١هـ

صح صاحب العزة الدفتر دار أفندي أمر بالنظر في هذه الخلاصة والمراجعة والعمل بمقتضاه والإفادة في ٢٤ رمضان سنة ١٢١١هـ.

إن الأهالي والفقراء والمجاورين في القدس الشريف يشربون من الماء العذب الذي يتجمع في البرك والصهاريج والذي يصل إلى مدينة القدس الشريف عبر مجاري المياه العذبة التي بنيت لذلك، والتي تقع بين مدينة القدس الشريف ومدينة خليل الرحمن، ولأن هذه البرك والصهاريج ومجاري المياه العذبة قد تخربت حتى انقطعت المياه العذبة عن مدينة القدس الشريف بالكلية، مما سبب مضايقة شديدة للأهالي والفقراء والمجاورين في مدينة القدس الشريف، لجأ الأهالي إلى برك المياه والصهاريج الصالحة مما يتجمع فيها مياه الأمطار شتاءً وصيفاً، ولكن تلك البرك والصهاريج قد تخربت أيضاً، وبعد الكشف على تلك البرك والصهاريج ومجاري المياه من قبل الثقات يستدعي صرف مبلغ مئة ألف قرش لتعمير وترميم تلك المواقع كما حرر ذلك قاضي القدس الشريف في استدعائه طالباً إجراء تلك الترميمات رحمة واستجلاباً لدعاء الأهالي والفقراء والمجاورين.

ثم تحرير كشف دفتر عن المواقع المحتاجة إلى تعمير وترميم لإيصال الماء العذب إلى مدينة القدس الشريف بمعرفة المأمور محمد أمين خليفة، معمار الخلفاء وإقامته بالشام منذ سنة ١٢٠١هـ وقد صدر أمر بذلك إلى والي الشام بطال حسين باشا وقاضي القدس الشريف وخليفة المذكور بتحرير مختوم هذا صورته قطعة

قبة الصخرة الواقعة في القدس الشريف جدرانها الخارجية مخربة من الجانب القبلي (الجنوبي) والجانب الغربي، وفي طرف ركن باب الجنة، أسطل دائر القبة المصنوع من الرصاص في الجانب الغربي تساقط الكاشاني وتكسر بالكلية، والكاشاني الموجود في نظارة الوقف لا يكفي إلا لجزء مما تحتاجه المواقع المذكورة، ويستدعي الوضع إجراء الترميم بسرعة نظراً لكثرة هطول الأمطار وكثرة الرياح التي تسببت في هذا الخراب، كما أدت الرياح الشديدة والأمطار الكثيرة وتكسر الجدران إلى خراب المستائر الداخلية في مدة وجيزة.

وقد كتب قاضي القدس الشريف استدعاءً محرراً سجل فيه المواضع التي تحتاج إلى ترميم، ورد فيه أن الكاشاني المتخرب في جهة الباب القبلي (الجنوبي) في الناحية السفلية بطول خمسة ونصف ذراع اسطنبولي وعرض ثلاثة عشر ونصف ذراع اسطنبولي. وفي الناحية العليا بطول اثنين وثلاثين ذراعاً وعرضاً ثلاثة عشر ونصف ذراع اسطنبولي.

وفي جانب الباب الغربي، في الناحية السفلية بطول اثنين وثلاثين وعرضاً ثلاثة عشر ونصف ذراع اسطنبولي، وفي الناحية العليا بطول اثنين وثلاثين وعرضاً ثلاثة عشر ونصف ذراع اسط ي وفي طرف ركن باب الجنة بطول تسعة أذرع وعرض ثلاثة عشر ونصف ذراع، ودائر ما دار تحت القبة الرصاص بطول خمسين ذراعاً وعرض اثني عشر ذراعاً.

كيفية الإفادة الواردة من المحاسبة الرئيسية

إن مجاري المياه العذب في القدس الشريف وبرك المياه التي تتجمع بها مياه الأمطار، والقنوات التي تمد قنوات الحرم الشريف كلها متخربة تماماً وتحتاج إلى الترميم، كما أن مقام حضرة موسى على نبينا وعليه السلام والطريق المؤدي إليه والمسجد المقام عليه والتكية المجاورة له تحتاج إلى التعمير والترميم، ونظراً لهذه الحالة لتلك المواقع المباركة تم إبلاغ أمين المدينة حقي بك دام مجده بحصر تلك الأماكن في كشف مستقل بشكل مفصل من مجاري المياه العذبة والبرك ومقام حضرة موسى والتكية المجاورة له، والحجرات الثلاثين المحتاجة إلى التعمير والترميم، ومقام خليل الرحمن والجامع الشريف والصهاريج الواقعة بداخله، ودائر قبر حضرة الشيخ حسن الراعي قدس سره الشريف، وقد تم تقدير قيمة اللوازم بتسعة أو عشرة آلاف قرش، وكامل تكلفة الترميم والتعمير للمواقع السابق ذكرها مئة ألف قرش، وقد تم حصر هذه التكاليف بناءً على إفادة مأمور البناء خليفة المفتي ومشاركة الوزير حضرة والي الشام وأمين مدينة القدس الشريف، وعليه تم كتابة هذا التقرير وإرساله إلى دار السعادة لإصدار الأوامر اللازمة للمذكورين وإعداد التنظيم اللازم والتوجيهات الضرورية لإنفاذ ذلك بكل أمانة وإخلاص وسرعة نظراً لمكانة تلك المواقع الشريفة المباركة وبإشعار دار السعادة بكل الأعمال المنجزة أولاً بأول من قبل أمين البناء وحضرة الوزير والي الشام.

ملحق رقم (١٠)

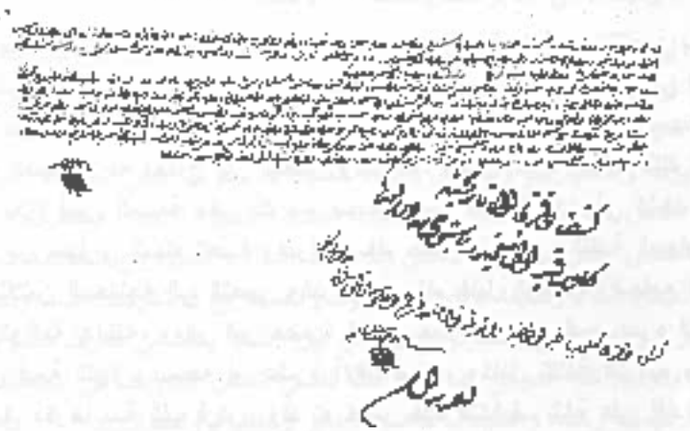

ترجمة ملحق رقم (١٠)

بعد إرسال وتلقي الجوابات اللازمة بدأت المباشرة والشروع في التعميرات والترميمات اللازمة، وفي ختام المرحلة أو الفترة الأولى ورد من أمين البناء كشف بذلك وتم إرساله إلى دار السعادة. أما الكشف الثاني الذي أرسله أمين البناء المومى إليه فيستدعي ما حواه إلى أمر شريف وتم إرساله في ٢٥ محرم سنة ١٢١١هـ وصدر حالا إلى والي الشام ولأمير الحاج بطال سيد حسين باشا ووالي القدس الشريف بتعيين معمار الخلفاء بالمهمة، وصدر إلى جنابه مرتبة وخطاب وأمر شريف بذلك.

لقد أسندت مهمة إكمال التعمير والترميم لمنشآت قنوات المياه العذبة في القدس الشريف إلى معمار الخلفاء محمد أمين خليفة في سنة ١٢٠١هـ، وقد قام بتلك المهمة حسب القواعد المرعية، وقد كان يعاونه في هذه المهمة سر معمار الحاج أبو بكر زيد مجده، ولذلك صدر من دار السعادة الموافقة على تعيين المذكور مساعداً في صفر سنة ١٢٠٢هـ، ولذلك أعيد إسناد المهمة للتعمير والترميم لكل منهما في إجراء الترميمات اللازمة في القدس الشريف لخبرتهما في ذلك، وصدر الأمر السلطاني بذلك بعناية قاضي القدس الشريف على إجراء ذلك بإخلاص.

في ٢٦ رمضان ١٢١١هـ

توقيع

الإفادة الواردة من المحاسبة الرئيسية تم تسجيلها في دفتر القيد بكشفه الوارد في تاريخه.

تم تسجيل الكشف بدفتر الوارد في دائرة القيد بعد صدور أمر صاحب السعادة والدولة

حضرة السلطان

تقرير هام

في ٢٨ رمضان سنة ١٢١١هـ

قائمة المصادر والمراجع

أولاً . الوثائق العثمانية :

١- الأرشيف العثماني تصنيف رقم E.V 481/24315.

٢- الأرشيف العثماني تصنيف رقم C.BL.d 55/2750 .

٣- الأرشيف العثماني تصنيف رقم C.BLD.140/6960.

٤- الأرشيف العثماني تصنيف رقم C.E.V.460/2325.

٥- الأرشيف العثماني تصنيف C.BLD. 6960 .

ثانياً . المصادر والمراجع :

١- احمد البديري الخلاق : حوادث دمشق اليومية ١١٥٤ - ١١٧٥ هـ/١٧٤١ - ١٧٦٢م، تحقيق أحمد عزت عبد الكريم، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، ١٩٥٩م.

٢- احمد محمود صبلون : "القدس: أسماؤها بين الحقائق التاريخية وتحديد الهوية العربية "، مجلة التاريخ العربي، العدد السابع عشر، الرباط، شتاء ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٣- أحمد نوري النعيمي : الدولة العثمانية واليهود، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٢٧هـ /٢٠٠٦

٤- أكمل الدين إحسان أوغلي وصالح سعداوي : الثقافة التركية في مصر جوانب من التفاعل الحضاري بين المصريين والأتراك مع معجم للألفاظ التركية في العامية المصرية، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون الإسلامية والثقافة الإسلامية (إرسيكا)، استانبول، ٢٠٠٣م

٥- اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار، المطبعة الأميرية، بولاق مصر المحمية، ط ١، ١٣١٢هـ، جـ ١.

٦- تيسير جبارة : تاريخ فلسطين، دار الشروق، بيروت، ١٩٩٨م.

٧- رشاد الإمام : مدينة القدس في العصر الوسيط، ١٢٥٣-١٥١٦، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٣٩٦م/١٩٧٦.

٨- شمس الدين محمد بن محمد بن شرف الدين الخليلي : تاريخ القدس والخليل، تحقيق محمد عدنان البخيت ونوفان رجا السواريه، مؤسسة قرطاس، لندن، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م

٩- سهيل صابان : المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٢١هـ /٢٠٠٠م.

١٠- سهيل زكار : بلاد الشام في القرن التاسع عشر روايات تاريخية معاصرة لحوادث عام ١٨٦٠ ومقاساتها في سوريه ولبنان، دار حسان، دمشق، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م

١١- شوقي شعث : "القدس عربية منذ خمسة آلاف عام في ضوء النصوص الكتابية والاكتشافية الأثرية"، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، قصبة الأوداية، الرباط، العدد السادس عشر، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

١٢- صلاح الدين المنجد : ولاة دمشق في العهد العثماني، نشرها صلاح الدين المنجد، دمشق، ١٩٤٩م.

١٣- عارف باشا العارف : تاريخ القدس، دار المعارف، مصر، ١٩٥١م

١٤- عبد القادر بن شيخ بن عبدالله العيدروس : قنور السافر عن أخبار القرن العاشر، تحقيق أحمد حالو، ومحمود الأرناؤوط، وأكرم البوشي، ط ١، دار صادر، بيروت، ٢٠٠١

١٥- عبلة المهتدى الزبدة : القدس تاريخ وحضارة (٣٠٠٠ق.م -١٩١٧م)، دار نهضة، بيروت.

١٦- كامل جميل العسلي : القدس في التاريخ، منشورات الجامعة الأردنية، عمادة البحث العلمي، عمان، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

١٧- محمد ثريا : سجل عثماني باخود تذكرة شاهير عثمانية، دار الطباعة العامرة، استانبول، ١٣١١، جـ ٢.

١٨- محمد خليل المرادي : سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ط ٢، مكتبة المثنى، بغداد، ١٣٠١هـ، جـ٢.

١٩- محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، ط ١، دار النفائس، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م

٢٠- محمد محمد حسن شراب : القدس أسسها العرب ورفع قواعدها المسلمون، ط ١، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٦.

٢١- محمد محمد حسن شراب : موسوعة بيت المقدس والمسجد الأقصى، ط ١، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٣م، جـ١.

٢٢- محمد محمد حسن شراب : معجم بلدان فلسطين، الطبعة الثانية، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٢٣- محمد مطيع الحافظ ونزار أباظه : علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري ١٢٠١ - ١٣٠٦هـ/١٧٨٦ - ١٧٩١م، دار الفكر المعاصر، بيروت، جـ١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

٢٤- محمد هاشم غوشة : القدس في العهد العثماني ٩٢٢هـ/١٥١٦م-٩٧٤هـ/١٥٦٦م،
وزارة الثقافة، الأردن، عمان، ٢٠٠٩م.

٢٥- معين أحمد محمود، تاريخ مدينة القدس، دار الأندلس، عمان، (د. ت).

٢٦- منتدى فلسطين للأبد، مادة القدس في عهد الخلافة العثمانية.

٢٧- الموسوعة الفلسطينية : المجلد الثالث، دمشق، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

٢٨- ميخائيل بريك الدمشقي : تاريخ الشام، تحقيق أحمد غسان سبانو، ط٢، دار قتيبة، دمشق، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢ م

٢٩- يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، مؤسسة الملك فيصل، استانبول، ١٩٨٨م، جـ١.

٣٠- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي) : معجم البلدان، دار صادر، بيروت، (د. ت).

الحقوق العربية والإسلامية وموقف المملكة العربية السعودية من القدس وفلسطين

عبد اللطيف بن دهيش (*)

المسجد الأقصى هو ثاني مسجد وضعه الله في الأرض بعد المسجد الحرام، كما ثبت في الحديث الشريف.فقد روى مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال: " سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع على الأرض قال: " المسجد الحرام، قلت: ثم أي؟ قال: "المسجد الأقصى". قلت: كم بينهما؟ قال: "أربعون عاماً".

وهذا يدل على أن للمسجد الأقصى كان موجوداً قبل سليمان وموسى وإبراهيم عليهم السلام .

وأرض المسجد الأقصى أرض مقدسة ومباركة منذ القدم قبل أن يحل بها قوم موسى. قال تعالى عن إبراهيم ولوط عليهما السلام: ﴿ ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين ﴾[1] وأن ما ورد في الأخبار اليهودية وإسناد بني إسرائيل بوجود الهيكل، وأن سليمان عليه السلام قد بناه، فهذا غير صحيح، لأن هذه الروايات غير منسوبة إلى نبي! بل كتبت بعد الأحداث فجاءت من نسج الخيال والمغالطات لتزوير التاريخ.

فكيف تكون القدس معبداً لليهود، وهي المدينة التي لم يرها موسى عليه السلام، ولم تنزل فيها توراة اليهود، وإن كانوا قد سكنوها لفترة من الزمن، فهذا لا يعني أنها موطن لهم، إن الادعاء اليهودي بوجود هيكل سليمان هو مجرد من اليهود يقوم على الأساطير الكاذبة لدعم سياستهم العدوانية المبنية على اغتصاب البلاد الإسلامية المقدسة، وتدنيس مساجد المسلمين. قال تعالى: ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾[3]. وأن ما قام به سليمان عليه السلام في بيت المقدس ليس بناء

(*) أستاذ بجامعة أم القرى.
(1) سورة الأنبياء : الآية (٧١).
(2) سورة المائدة : الآية (٨٢).
(3) سورة البقرة : الآية (٢١٧).

الهيكل، وإنما هو تجديد لبناء المسجد الأقصى المبارك، لأن المسجد الأقصى هو ثاني مسجد وضع في الأرض ولم يكن معبداً لليهود، بل هو مسجد للأمة المسلمة.

فهل يعقل أن يكون المكان الذي أسرى إليه النبي ﷺ هو الهيكل، أو حتى مكان الهيكل ! فكيف نصدق ذلك الافتراء اليهودي ! والله تعالى يقول : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾[4] . لقد ربط الله بين المسجد الأقصى والمسجد الحرام برباط روحي، وسماه مسجداً وبوابة للسماء ، فمن هذا المكان الطاهر عُرِجَ بالنبي محمد ﷺ إلى السموات العُلى بعد أن صلى فيه ركعتين.

وفي السماوات التقى النبي محمد ﷺ بالأنبياء ومنهم : آدم ويوسف وإدريس وهارون وموسى وإبراهيم عليهم السلام ، وأوحى الله إليه ما أوحى، وفرضت الصلوات الخمس في اليوم والليلة ، وقد عاد في ليلته إلى مكة المكرمة، كما رواه مسلم في صحيحه والحاكم في المستدرك ، وذلك خلال الفترة التي ظهرت فيها الدعوة الإسلامية في مكة المكرمة على يد نبينا محمد، وقبل هجرته للمدينة المنورة وتأسيسه لمسجده هناك.

وكان بيت المقدس قبل الهجرة قبله للمسلمين أثناء صلواتهم اليومية في مكة المكرمة والكعبة المشرفة بين أيديهم. وبعدما هاجر النبي محمد ﷺ إلى المدينة المنورة تحولت القبلة في السنة الثانية إلى الكعبة المشرفة، وبذلك فإن المسجد الأقصى يعتبر أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين التي تشد إليها الرحال. كما أن المسجد الأقصى فضل في مضاعفة الثواب والأجر، فالصلاة فيه ثوابها بخمسمائة صلاة.

وفي السنة الثانية من الهجرة عمل النبي ﷺ على الاهتمام بالمسجد الأقصى وتأمينه من أعداء الإسلام من الروم وأعوانهم من الكفرة ، فأرسل قوة قوامها ثلاثة آلاف مسلم بقيادة زيد بن حارثة. وفي مؤته دارت بين الجيش الإسلامي وجيوش الروم، التي وصل عدد الجند فيها إلى مائتي ألف من الروم وأعوانهم، معارك شديدة قتل فيها القائد المسلم زيد بن حارثة، ثم تولى من بعده جعفر بن أبي طالب قيادة المسلمين في بلاد الشام، لكنه قتل. ثم تسلم الراية بعده عبد الله بن رواحة حتى قتل، ثم تسلمها خالد بن الوليد.

ومع توالي المعارك تحقق الجيوش الإسلامية انتصارات كبيرة في مواقع عديدة في بلاد الشام ضد الجيوش الرومية وأعوانهم ، مما زاد في رغبة النبي ﷺ لتأمين

(4) سورة الإسراء : الآية (١).

بيت المقدس وحمايته من الأعداء، فأمر بتجهيز جيش عظيم جعل قيادته بيد أسامة بن زيد لكن النبي ﷺ توفي أثناء استعداد هذا الجيش للزحف إلى بلاد الشام.

ولما تولى أبو بكر الصديق رضي الله عنه الخلافة أمر أن يواصل الجيش الإسلامي الذي أعده النبي تقدمه إلى بلاد الشام، وأوصى هذا الجيش بوصية كانت دراساً عظيماً يمثل المنهج الإسلامي للمعاملات العسكرية الذي أمر به رسول الله ﷺ.

وفي فلسطين اجتمعت الجيوش الإسلامية وانطلقت كالقذيفة إلى أهدافها المحددة، ودخل القائد خالد بن سعيد معسكر الروم وانتصر عليهم لفترة من الزمن، مما جعل جيش الروم يتراجع عن مواقعه. وهذا جعل الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه يأمر بتجهيز قوات جديدة ودفعها إلى بلاد فلسطين لحماية بيت المقدس من الخطر الروماني.

وعندما تولى الخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر بمواصلة الاستعدادات العسكرية وإرسالها إلى فلسطين، فكانت الجيوش الإسلامية بقيادة أبي عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة، ويزيد بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص . وكان عدد الجند في كل لواء من هذه الألوية الأربعة ثلاثة آلاف، زاد عددهم فيما بعد، على إثر النجدات التي وصلت إلى معسكراتهم.

واجتمعت جيوش المسلمين في بلاد الشام، وكانوا قلة في العدد أمام جيوش الروم، إلا أنهم كانوا أقوياء بإيمانهم العظيم بالله، ورغبتهم في الاستشهاد في سبيل الله، ودفاعاً عن بيت مقدس من بيوت الله وهو بيت المقدس.

وأثناء ذلك أمدهم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بخالد بن الوليد، بعد أن أمره أن يخلف على العراق المثنى بن حارثة الشيباني، وما إن وصل خالد بن الوليد إلى بلاد الشام حتى تولى القيادة العامة للجيش الإسلامي، بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وكان هذا الجيش يضم العديد من الصحابة الأجلاء، وكلهم من أعاظم الفرسان والأبطال الشجعان، وكان هدف الخليفة عمر رضي الله عنه أن يوحد صفوف الجيش الإسلامي تحت قيادة عامة واحدة. وقد توجه هذا الجيش إلى مكان يسمى اليرموك ، وهناك بدأت الحرب، وكانت في غاية الضراوة والاستبسال، وانتهت بانتصار الإسلام والمسلمين وهزيمة الروم الساحقة، وتقدم الجيش الإسلامي إلى بيت المقدس.

وعندما وصل الأمر إلى تسليم بيت المقدس للمسلمين؛ قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه من المدينة المنورة إلى القدس، وتولى بنفسه استلام المسجد الأقصى وما حوله، وطلب منه أهلها العهد والأمان، فكانت العهدة العمرية ميثاقاً وأمناً للناس والبلد المقدس، وشملهم بعدالة الإسلام، كما أنه كف عن الصخرة المباركة ما علاها

وأمر بنظافتها وما حولها من الأتربة التي كانت تغطيها، ثم تجول الخليفة رضي الله عنه في مدينة القدس الشريف وزار أسوارها، وأمر بتنظيم أحوالها الإدارية والاجتماعية والاقتصادية، بما يتفق وشريعة الإسلام الحنيف، وعيَّن عليها قاضياً وأوصاه بالعدل بين الناس، والحكم بكتاب الله وسنة نبيه المطهرة. كما أنه فرض على الروم النصارى نادية الجزية .

كما أنه أسس عدة إدارات ومنها: إدارة الحسبة لمراقبة الموازين والمكاييل، ومنع الغش، والعناية بالنظافة العامة في كافة أرجاء القدس الشريف، وفي الوقت نفسه أمر الخليفة عمر رضي الله عنه الجند بالدفاع عن حرمة المدينة المقدسة، ونصحهم بالابتعاد عن ارتكاب المعاصي، وتقوى الله في السر والعلن. وخلال إقامته في القدس الشريف أمر ببناء مسجد في مؤخرة المسجد الأقصى محاذيا لسوره من جهة القبلة، مربع الشكل عُرف بالمسجد العمري، وكان ذلك في السنة الخامسة عشرة من الهجرة.

وقبل مغادرة الخليفة عمر رضي الله عنه للقدس الخالدة أقام على بيت المقدس يزيد ابن أبي سفيان رضي الله عنه، وأمره أن يأتمر بأوامر أبي عبيدة بن الجراح. كما انتدب للصلاة من بعده سلامة بن قيصر، وأوصى رجاله بالعمل بالعهدة العُمرية، والتي تنص بأن لا يقيم في القدس الشريف أحد من اليهود، وأن يخرج منها الروم. وبذلك تم تأمين هذه المدينة المقدسة تحت لواء الإسلام.

وقد استمرت أوضاع مدينة القدس الشريف في سلام وأمان، وكانت منطلقاً للجيوش الإسلامية الفاتحة في بلاد الشام، وغيرها من بلاد الشمال الإفريقي في العصور الإسلامية التالية :

وفي سنة ٧٢هـ/٦٩١م قام الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ببناء قبة مثمنة فوق الصخرة، تبلغ أبعادها (١٠٠×١٠٠) ذراع، وارتفاعها حوالي سبعين ذراعاً، ومحيطها (٣٦٠) ذراعاً، وهي مرفوعة على (١٦) عموداً محاطة بالبناء من جميع جهاتها، وقد غطيت بالرخام الأبيض، ولها أربعة أبواب باتجاه الشرق والغرب والشمال والجنوب، وبها (٦٥) نافذة ارتفاع كل منها ستة أذرع مغطاة بالزجاج الملون. وقد تم تصميم هذه القبة في عهد الخليفة العباسي المأمون سنة ٢١٦هـ/٨٣١م.

وأثناء حكم الخليفة العباسي جعفر المقتدر (٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٨-٩٣٢م) تم صنع أبواب جديدة للمداخل الأربعة لقبة الصخرة من خشب الصنوبر.

ويذكر ابن الأثير، في كتابه " الكامل "، أنه في سنة ٤٠٧هـ/١٠١٦م تعرضت مدينة القدس الشريف لزلزال شديد أدى إلى تصدع وتهدم في مبنى قبة الصخرة، وقد تم بعد فترة وجيزة ترميمها. ثم توالت الترميمات عليها فيما بعد.

وفي سنة ٤٩٣هـ/١٠٩٩م احتل الصليبيون بيت المقدس بعد مواجهة عنيفة من المسلمين، والتي قُتل فيها أكثر من سبعين ألف مسلم، ثم حول الصليبيون المسجد الأقصى إلى معبد لهم، وقاموا بأعمال تخريبية في معظم أرجاء المدينة المقدسة. وقد استمر احتلالهم لبيت المقدس حوالي (٨٨) عاماً. ومنذ احتلالهم لهذه المدينة الإسلامية المقدسة؛ فإنه لم يهدأ للمسلمين بال حتى استطاعوا تحريرها من الصليبيين المعتدين الغاصبين، وذلك على يد القائد الإسلامي العظيم صلاح الدين الأيوبي بعد معارك شديدة.

وكان دخول صلاح الدين للمدينة المقدسة في يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب سنة ٥٨٣هـ الموافق الثاني عشر من أكتوبر عام ١١٨٧م، بعد انتصار جيش المسلمين في معركة حطين التي بدأت في الخامس والعشرين سنة ٥٨٣هـ الموافق الرابع من يوليو سنة ١١٨٧م، ويوافق تاريخ دخوله لبيت المقدس ذكرى الإسراء والمعراج.

وقد أخذ صلاح الدين الأيوبي في إزالة أعمال التشويهات التي قام بها الصليبيون في بيت المقدس؛ فأزال التماثيل والصور التي وُضعت فوق قبة الصخرة، وأزال الحائط الذي أقامه الصليبيون حول محراب المسجد الأقصى وقام بتجديده، ثم أبدله بمحراب جديد. كما أزال الرخام الذي وضعه الصليبيون فوق الصخرة المباركة، وقام ببناء سور القدس وتحصينه. كما قام الملك الأيوبي الأشرف عيسى ببناء الرواق الشمالي للمسجد وذلك سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م. وتابع المماليك من بني أيوب اهتمامهم بالمسجد الأقصى وإبعاد الخطر الصليبي عنه بتكوين جيش مرابط دائم هناك.

وخلال الحكم المملوكي لبلاد مصر والشام تم القضاء على ما تبقى من الإمارات الصليبية في بلاد الشام. كما تولى المماليك العناية الفائقة بالمسجد الأقصى، وهو ما تشهد به آثارهم من نقوش وكتابات داخل وخارج المسجد، وما قاموا به من ترميمات وعمارة لقبة الصخرة ودكة المؤذنين بالمسجد، منذ عهد الملك الظاهر بيبرس وحتى عهد الأشرف قايتباي الذي أمر بصنع الأبواب النحاسية لمدخل المسجد الأقصى من جهة الغرب، سنة ٨٧٣هـ/١٤٦٧م، وفي الوقت نفسه تمكن المماليك من صد الغزو المغولي عن العالم الإسلامي وخاصة في معركة عين جالوت.

وبعد معركة مرج دابق سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م التي انتصر فيها العثمانيون بقيادة السلطان سليم الأول، على المماليك بقيادة السلطان قنصوة الغوري قرب حلب، تم ضم بلاد الشام بما فيها القدس الشريف للدولة العثمانية، فاهتم العثمانيون ببيت المقدس

ومن ذلك ما قام به السلطان العثماني سليمان القانوني من إعادة بناء الباب الشمالي لمسجد الصخرة المباركة. كما قام بصنع ست عشرة نافذة من الزجاج، واستبدال ثلاثة أبواب من أبواب المسجد بأبواب جديدة مصنوعة من النحاس . وأهدى السلطان أحمد في سنة (١٠٢٠هـ/١٦١١م) قنديلين علقا بسلاسل في سقف المسجد الأقصى، وتتابعت بعد ذلك أعمال الصيانة والترميم للمسجد الأقصى، وتمثل ذلك في تجديد البلاطات الرخامية داخل وخارج المسجد وإصلاح سقف قبة الصخرة، وترميم بعض النقوش والكتابات الموجودة على واجهاته الداخلية والخارجية، وإعادة عمارة ما تهدم من أبوابه، وفرشه بالسجاد الفاخر. كما فرض السلطان عبد الحميد الثاني العروض الصهيونية، ووقف في وجه مخططاتهم التهويدية لمدينة القدس، وأعلن للعالم أنه لن يفرط في أي شبر من مدينة القدس، أو يسمح لأي من كان بالمساس بحرمة بيت المقدس الشريف، فعمل الصهاينة على الإطاحة به.

وعندما قامت الحرب العالمية الأولى؛ وقعت كل من بريطانيا وفرنسا على اتفاقية (سيكس-بيكو) وذلك في شهر مايو سنة ١٩١٦م الموافق رجب ١٣٣٤هـ ، والتي بموجبها تم توزيع أملاك الدولة العثمانية في بلاد الشام والعراق بين بريطانيا وفرنسا، وتمزيق الأمة الإسلامية، وجعل القدس الشريف تحت الهيمنة الاستعمارية البريطانية، وتلا ذلك إعلان وزير خارجية بريطانيا بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وذلك في الثاني من شهر نوفمبر ١٩١٧م الموافق ١٧ محرم ١٣٣٦هـ. وعلى إثر ذلك تقدمت القوات البريطانية فاحتل قائدها (اللنبي) مدينة القدس الشريف في ٢٤ صفر ١٣٣٩هـ الموافق ٩ ديسمبر ١٩١٧م، وأكملت القوات البريطانية احتلالها لفلسطين في الشهور التالية .

وفي اليوم الرابع والعشرين من يوليه عام ١٩٢٢م، الموافق ٣٠ ذو القعدة ١٣٤٠هـ ، أقرت عصبة الأمم المشروع البريطاني الفاضي بوضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني، وجاء نص القرار بما يلي :" أن توضع فلسطين في ظروف إدارية وسياسية واقتصادية لضمان تأسيس الوطن القومي اليهودي، وأن تشجع حكومة الانتداب الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وإسكان اليهود في الأراضي الفلسطينية، وأن تعتمد الحكومة البريطانية تشكيل وكالة يهودية ترعى شئون اليهود في فلسطين".

وقد أحدث هذا القرار ردود فعل غاضبة في كافة البلاد العربية والإسلامية، وانعقدت عدة مؤتمرات عربية للتنديد بهذا القرار، وتنظيم حركات النضال المسلح ضد العصابات الصهيونية، والمطالبة بإنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين، ورفض إقامة الوطن اليهودي فيها.

ولكن بريطانيا لم تأبه بكل تحرك يقوم به الفلسطينيون، وعينت هربرت صموئيل في منصب المندوب السامي في فلسطين، وسلمت لليهود دوائر التعليم والزراعة،

وفرضت ضرائب عالية على الفلسطينيين، فإذا عجزوا عن دفعها قامت بمصادرة أملاكهم، وفي المقابل منحت اليهود المغتصبين أراضي واسعة لسكناهم وللزراعتها بأثمان زهيدة جداً، ولذلك زاد عدد اليهود في فلسطين زيادة كبيرة. وبذلك نجد أن بريطانيا كان لها دور خطير ومهم في إيجاد الكيان الصهيوني على أرض فلسطين.

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية سنة ١٣٤٨هـ/١٩٣٩م، وخلال فترة الحرب زادت الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وزاد مع ذلك الاستبداد الصهيوني وبناء المستعمرات لإسكان اليهود القادمين إلى فلسطين على أراضي مغتصبة نزعت بالقوة من الفلسطينيين أهلها الحقيقيين.

وما أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، حتى سارعت بريطانيا بالمطالبة بتقسيم فلسطين بين العرب الفلسطينيين السكان الأصليين، وبين اليهود المغتصبين، فأصدرت الجمعية العام للأمم المتحدة في سنة ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م قراراً ينص على تقسيم فلسطين، كما أرادت بريطانيا. ونتيجة لذلك أخذ اليهود الصهاينة في التوسع؛ فبينما كانت نسبة ما يضعون أيديهم عليه من الأراضي لا يتجاوز ٦%، عند صدور قرار التقسيم، نجد أن هذه النسبة تزداد تدريجياً لتصل إلى ٥٥% من الأراضي الفلسطينية، كما حددها قرار التقسيم الجائر، وكان انتزاعهم للأراضي الفلسطينية يتم عن طريق الإرهاب والمذابح، ومن أعظمها مذبحة (دير ياسين) والتي حدثت في ١٩ أبريل ١٩٤٨م الموافق ١٠ جمادى الآخر ١٣٦٧هـ ، وقتل فيها عدد كبير من الفلسطينيين العزل من السلاح.

وفي مساء يوم الجمعة الخامس من شهر رجب ١٣٦٧هـ ، الموافق ١٤ مايو ١٩٤٨م، جلت القوات البريطانية عن البلاد وسلمت المراكز الإستراتيجية فيها إلى المنظمات الصهيونية، مما سهل احتلال القسم الغربي من مدينة القدس[5]، وعلى الفور أعلنت الوكالة اليهودية إقامة دولة إسرائيل من جانب واحد، وسارعت الدول الاستعمارية للاعتراف بها، بعد أن سحبت بريطانيا قواتها من فلسطين قبل الموعد المحدد لها، وعلى أثر ذلك قامت التحركات العربية ضد اليهود الغاصبين، فأصدرت هيئة الأمم المتحدة قراراً ينص على إعلان الهدنة، وذلك في نوفمبر ١٩٤٨م الموافق لذي الحجة ١٣٦٧هـ ، في محاولة لتمكين اليهود من بسط نفوذهم على مساحات أوسع من أرض فلسطين.

وهكذا قامت على أرض فلسطين دولة يهودية صهيونية تعمل على تمزيق الأمتين العربية والإسلامية، عن طريق إثارة الحروب والمنازعات واغتصاب الأرض

---

(5) محمد عنان : السعودية هموم العرب . ص١٣٦.

العربية الفلسطينية بقوة السلاح؛ وتشريد أهلها الأصليين وإحلال اليهود المغتصبين محلهم.

ومنذ ذلك التاريخ ازداد عدد اليهود وتقلص عدد الفلسطينيين، وتأسست المنظمات اليهودية المتطرفة، وأخذت تدعو اليهود للهجرة إلى فلسطين بحجة أنها أرض الميعاد، وأنشأت المستوطنات اليهودية على الأرض الفلسطينية، بينما شرد الفلسطينيون من أراضيهم ليعيشوا في المخيمات على أرضهم وفي الدول العربية المجاورة.

وقد كان هذا التصرف الوحشي نابعا من المبادئ التي تعتمد عليها الصهيونية في الوقت الحاضر، والتي تدعو إلى احتلال اليهود للأرض الفلسطينية والعربية وقتل أهلها وتشريدهم. كما أنه من جملة القرارات التي اتخذها المؤتمر الصهيوني للعالمية الخامس والعشرين، المنعقد في ٥ ديسمبر ١٩٦٠م الموافق ١٣٨٠/٦/٧هـ ، أن كل يهودي أقام خارج إسرائيل بعد إنشائها يعتبر مخالفا لتعاليم التوراة، مما كان له أكبر الأثر في زيادة الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وإشعال نار الفتنة والحروب في المنطقة العربية، وتحولت اليهودية من دين إلى قومية.

وقد خاض العرب معارك عديدة ضد الأطماع اليهودية الصهيونية وخسروا الحرب ضد إسرائيل عام ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ولكنهم انتصروا عليها في حرب عام ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، وبهذا النصر زال الحماس والتأييد، وجاء التوفيق والفرج من الله للمجاهدين المدافعين عن المسجد الأقصى.

فكانت الانتفاضة من الشعب الفلسطيني لترسم ملامح الدولة الفلسطينية، وتعيد للفلسطينيين حقوقهم وأرضهم المسلوبة وعاصمتها القدس الشريف إن شاء الله.

موقف المملكة العربية السعودية من القدس وفلسطين :

إن موقف المملكة العربية السعودية من قضية القدس وفلسطين واضح، منذ عهد الملك عبد العزيز يرحمه الله، فلقد ساند حركات التحرر من الاستعمار البريطاني والفرنسي في بلاد الشام، وكان رأيه أن يكون للفلسطينيين دور في تحرير بلادهم، وعلى الدول العربية والإسلامية مدهم بالمال والسلاح، كما أنه أمر باختيار عشرة آلاف فدائي من أبناء المملكة لمساندة عمليات تحرير القدس، وحماية المدينة المقدسة من الخطر الصليبي والصهيوني ، إلا أن رأيه وجد معارضة شديدة ، وبالرغم من ذلك فإنه أرسل قوات نظامية حاربت بجانب القوات الفلسطينية والعربية في النقب، وأتبعها بقوة ثانية نظامية قوامها خمسة آلاف مقاتل وصلت إلى حدود المملكة الشمالية، ونزلت في الجوف استعدادا لدخول الأراضي الأردنية ومنها إلى فلسطين، ولكن إعلان

الهدنة حال دون اشتراكها في معارك إنقاذ القدس،[6] كما كان من الملك عبد العزيز إلا أن أمر بإرسال كمية كبيرة من العتاد والبنادق الجديدة تقدر بألف بندقية، وكمية كبيرة من الرصاص لمساعدة المجاهدين الفلسطينيين[7].

كما أمر الملك عبد العزيز بفتح باب التبرعات في كافة أنحاء المملكة العربية السعودية للمجاهدين الفلسطينيين، وقد كان أول المتبرعين الملك عبد العزيز والأمراء ورجال الدولة. كما تبرعت مجموعة من الأميرات بخمسة آلاف جنيه سعودي ذهب. كما تبرع تاجران في جدة بخمسة وعشرين ألف جنيه ذهب سعودي لكل منهما، وتبرع تاجر ثالث بعشرة آلاف جنيه ذهب. وقد انهالت التبرعات على اللجان المشكلة لذلك حتى بلغ مجموع التبرعات أكثر من نصف مليون جنيه ذهب[8].

وعندما تلزم الموقف أعلن الملك عبد العزيز استعداد بلاده لإلغاء امتيازات الزيت إذا دعت الضرورة إلى ذلك[9]، وهذه أول مرة تستخدم فيها المملكة العربية السعودية سلاح الزيت، كرد فعل ضد المواقف المعادية للإسلام، ولنصرة المجاهدين في فلسطين، لإنقاذ الأماكن المقدسة في القدس الشريف قبل أن تتنسمها يد الطامعين من اليهود وأعوانهم من المستعمرين، مما كان له ردود فعل عالمية[10].

استمر الملك عبد العزيز في مقاومة المخططات الاستعمارية والصهيونية في المنطقة، وقد ظهر ذلك واضحا في اللقاء التاريخي الذي جمع بين الملك عبد العزيز والرئيس الأمريكي روزفلت على ظهر الباخرة في مياه الإسماعيلية، وذلك عندما عرض روزفلت مشروع هجرة اليهود إلى فلسطين. بعد معاناتهم الكبيرة لأشكال التعذيب المتعددة على يد النازية في ألمانيا، فرد الملك عبد العزيز قائلا :" إذا أعطوهم وذريتهم أملاك الألمان الذين اضطهدوهم ". وكانت إجابة الملك عبد العزيز إجابة شديدة تدل على عدم قبوله بالهجرة اليهودية إلى فلسطين وبيت المقدس، وحرصه الشديد على سلامة وأمن الأماكن المقدسة في مدينة القدس وفلسطين، عن طريق إبطال كل المزاعم الصهيونية التي كانت ترمي إلى تهويد القدس الشريف وتشريد أهله، فعمل طوال حياته على صد تلك المزاعم اليهودية بكل الوسائل الممكنة[11].

---

(6) فهد السديري : المملكة العربية السعودية عند مفترق الطرق ، (الطبعة الأولى ، بيروت، دار الكاتب العربي ، ١٩٧٠م) ص ٨٨.

(7) F.O. 371/68366, Trott to F.O. Jedda, January 31,1948

(8) خير الدين الزركلي : شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، ص ١٢٨٨ــ ١٢٨٩.

(9) جريدة الأهرام المصرية الصادرة في ١٢ يولية ١٩٤٨م.

(10)F.O. 371/68770,Sir R. Campbell to F.O. Cairo, July14,1948

(11) بيان نويهض : القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين (١٩١٧-١٩٤٨م)، إصدار مؤسسة الدراسات الفلسطينية (الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨١م)، ص٤٤٣-

وقد صرح الرئيس الأمريكي روزفلت عقب هذا اللقاء بـــ : " أنه قد فهم من ابن سعود خلال خمس دقائق ما كان يحاول أن يفهمه خلال خمس سنوات عن القضية الفلسطينية والشرق الأوسط "[12]، مما يعتبر تغيراً كبيراً في السياسة الأمريكية نحو القضية الفلسطينية والقدس في عهد الرئيس روزفلت، الذي على ما يظهر أبدى تفهماً كبيراً للموقف العربي والإسلامي من الهجرة اليهودية وإقامة وطن لليهود في فلسطين، وأن ذلك ليس بالأمر المقبول نهائياً.

وكان موقف الملك عبد العزيز من خطر الهجرة اليهودية وإقامة وطن لليهود في فلسطين واضحاً، ومعلناً في السياسة الخارجية للمملكة باستمرار دون خوف أو تردد. فلقد ورد في التقرير السري الذي بعثه الكولونيل وليم إيديـــ سفير أمريكا في المملكة العربية السعودية إلى حكومته ما يؤكد ذلك، حيث ورد فيه بأن الملك عبد العزيز آل سعود قال – حين اجتمع بعدد من ممثلي الدول الأجنبية في جده في شهر ربيع الأول سنة ١٣٦٤هـــ الموافق فبراير ١٩٤٥م : " بأن على أمريكا وبريطانيا أن تختار بين أرض عربية يسودها السلام والهدوء ، وأرض يهودية غارقة بالدم .... " وقد أفرجت الخارجية الأمريكية عن هذا التقرير السري في ١٨ مايو ١٩٦٩م الموافق ١٢ صفر ١٣٩٠هـــ[13].

كما أرسل الملك عبد العزيز إلى الرئيس روزفلت عدة رسائل في عدة مناسبات، أوضح له فيها شرعية الحقوق التاريخية العربية في فلسطين ومكانة بيت المقدس عن المسلمين، وشدد على بطلان المخططات الاستعمارية والادعاءات اليهودية والصهيونية[14].

وأعلن الملك عبد العزيز رفض المملكة لقرار التقسيم، الذي أصدرته هيئة الأمم المتحدة في ٢٨ محرم ١٣٦٨هـ الموافق ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧م، والذي يدعو إلى تقسيم فلسطين إلى دولتين، إحداهما عربية فلسطينية، والأخرى يهودية، وعمل الملك عبد العزيز بإصرار تام على عدم المساس بأوضاع مدينة القدس، وأصدر أمره إلى وزير خارجيته بإرسال مذكرتين إحداهما للمفوضية البريطانية والأخرى للمفوضية الأمريكية، أوضح فيهما أخطار هذا القرار وما فيه من تعدٍ واضح على الحقوق

٤٤٤، ومسعود عبد العزيز الدايل: الوضع القانوني للقدس، (بحث دبلوم مقدم لمعهد الدراسات الدبلوماسية، وزارة الخارجية، الرياض، ١٤٠١هـــ)، ص٨٨.

(12) أحمد عبد الرحيم مصطفى : الولايات المتحدة والشرق العربي (الطبعة الأولى، الكويت، عالم المعرفة، ١٩٧٨م)، ص٦٥.

(13) أحمد حسين الحُقبي : أسرار لقاء الملك عبد العزيز والرئيس روزفلت (الطبعة الأولى، جدة ، ١٤٠٤هـــ/١٩٨٤م) ، ص١٣٥-١٣٦.

(14) مسعود عبد العزيز الدايل : الوضع القانوني للقدس ، ص ٨٨.

العربية والإسلامية[15]، وتوالت المطالب من جميع أنحاء المملكة معلنة رغبتها في الجهاد، من أجل إنقاذ القدس أولى القبلتين وثالث المساجد بعد الحرمين الشريفين وتنابعت البرقيات من الأمراء والعلماء ورؤساء القبائل في المملكة العربية السعودية إلى الملك عبد الـ ، مُعلنين استعدادهم لبذل نفوسهم وأرواحهم تحت لواء المملكة الذي يحمل (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وذلك للدفاع عن فلسطين والقدس، وإنقاذ المقدسات الإسلامية من اعتداءات أعداء الإسلام من اليهود وأعوانهم[16].

كما أمر الملك عبد العزيز وزير الدفاع، الأمير منصور، بإرسال قوة من الجيش السعودي قوامها (١٢٠٠) جندي نظامي، فأرسلت هذه القوة – بقيادة العقيد سعيد الكردي والمقدم عبد الله بن تامي نائباً له – إلى مصر للاشتراك مع القوات العربية لقتال الغازية في فلسطين[17].

وفي الوقت نفسه قرر الملك عبد العزيز إبقاء قضية القدس وفلسطين محوراً أساسياً، ومطلباً رئيسياً في السياسة الخارجية العامة للمملكة، والمطالبة الدائمة برفض الاحتلال الصهيوني، والعمل بتفانٍ لتخليص فلسطين والقدس، وعودتها إلى أصحابها الحقيقيين، والإشارة إلى ذلك في كل لقاء بين الملك عبد العزيز وقادة الدول الأخرى، وتضمينه كنقطة أساسية في البيانات الرسمية الصادرة في ناهية كل لقاء رسمي، مع إيضاح ذلك عبر المنابر في المحافل الدولية والمؤتمرات والندوات السياسية، على كافة المستويات العربية والإسلامية والدولية، وهذا الموقف في الواقع نابع من ريادة المملكة للدول العربية والإسلامية على جميع الأصعدة.

وفي عامي ١٣٧٦و ١٣٨٧هـــ/١٩٥٦ و ١٩٦٧م دخلت القوات السعودية الأردن مشاركة في القتال ضد العدو المغتصب، ولكن الأمر في الحالتين لم يعط للقوات السعودية فرصة القتال والدفاع عن المقدسات الإسلامية في القدس، حيث سارعت الدول المعنية بإعلان فك الاشتباك ، فعادت القوات السعودية إلى مراكزها في المملكة[18].

وفي الوقت نفسه نجد أن المملكة سباقة دائماً للمشاركة وتأييد العمل لتحرير بيت المقدس وفلسطين، سواء على الصعيد الرسمي أو الشعبي. كما أنها تتبع سياسة نشطة بكل أبعادها في إطار العمل العربي والإسلامي الموحد، من خلال هيئة الأمم

---

(15) خير الدين الزركلي : شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، ص١٢٨٤.

(16) جريدة أم القرى، العدد (١١٨٨) ، تاريخ محرم ١٣٦٧هـــ الموافق ١٢/١٢/١٩٤٧م.

(17) أحمد عبد الغفور عطار : ابن سعود وقضية فلسطين ، (الطبعة الأولى ، بيروت ، المكتبة العصرية ، ١٩٧٤م) ص٢٩٩.

(18) فهد السديري : المملكة العربية السعودية عند مفترق الطرق ، ص٨٩.

المتحدة ومنظمة المؤتمر الإسلامي، وجامعة الدول العربية، أو من خلال الاتصالات السياسية والدبلوماسية فيما بينها وبين دول العالم الأخرى، وجعل قضية تحرير القدس وفلسطين القضية الأولى، وأنها بطبيعة الحال لا يمكن أن تعترف بوضع غير عروبة القدس وعودتها للسيادة الفلسطينية[19].

وبجانب التأييد المعنوي لقضية تحرير القدس وفلسطين، فإن المملكة قدمت الدعم المادي لهذه القضية المقدسة، بما يزيد على أي دعم مادي قدمته أية دولة عربية أو إسلامية أخرى، دون أي منة أو كلل. كما أنها فتحت أبوابها على مصراعيه في وجه الفلسطينيين بعد كارثتهم الأولى منذ عام ١٩٤٨م فعاشوا أعزة كراماً، ويعلموا أبناءهم مجاناً، ويعملوا في كل الأعمال، وينتقلوا في أي مكان من المملكة بحرية تامة، ولم يكن ذلك قاصراً على الفلسطينيين الموجودين داخل المملكة، بل إن المملكة سارعت إلى إنشاء المؤسسات الخيرية والتعليمية في لبنان لتعليم ورعاية أبناء الفلسطينيين هناك.

وقد حذى أبناء الملك عبد العزيز حذو أبيهم في الاهتمام بالقضايا العربية والإسلامية وفي مقدمتها قضية القدس. فلقد عبر عن ذلك الملك فيصل في عدة مناسبات، وذلك لتوضيح الحق العربي والإسلامي الثابت في المدينة المقدسة، وعدم القبول بأي شكل من أشكال التضليل الصهيوني لطمس الحقيقة التاريخية.

كما أن الملك فيصل لم يترك مناسبة إلا وتحدث فيها عن قضية القدس وفلسطين التي كانت تعيش في وجدانه وضميره، فكان يعمل لها بصمت المؤمن وإخلاص المجاهد واستماتة الفدائي المناضل، دفاعاً عن القضايا العربية والإسلامية وفي مقدمتها قضية القدس الشريف.

ففي ذي القعدة ١٣٨٤هـ ، الموافق أبريل (نيسان) ١٩٦٥م، تحدث الملك فيصل في الدورة الثانية لمؤتمر العالم الإسلامي، التي عقدت في مقر رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة فقال :

" أيها الأخوة الكرام : في هذا المقام لا يمكنني التغافل أو التجاهل لقضية هي قضيتكم، وإنني لا أبحثها من الناحية الوضعية أو الخاصة أو السياسية، ولكنني أعرضها كقضية إسلامية تهم كل مسلم في أنحاء الأرض. هذه القضية هي قضية فلسطين الصليبية، وهي ليست قضية سياسية وليست قضية اقتصادية، ولكنها قضية إنسانية إسلامية: قضية شعب اعتدي عليه في وطنه وشرد من بيوته ونفي في أقطار الأرض، لا لشيء إلا لأن هناك زمرة من شذاذ الأرض أرادوا أن يكون لهم مركز فاختاروا فلسطين، وساعدهم على هذا الاختيار والتأييد دول العالم الكبرى أجمع. إن

(19) سعود الدابل : الوضع القانوني للقدس ، ص٨٩.

فلسطين تحتوي على الحرم الثالث، وتحتوي على تاريخ المسلمين والعرب قبل آلاف السنين. ونحن لسنا من المتعصبين للجنس أو للعنصر، ولكننا في نفس الوقت لا نرضى أن تكون ضحية لعنصر من العناصر أو نفنة من الفئات، فهذه قضيتكم بين أيديكم وتحليلها إلى ضمائركم، بأن تفعلوا ما يحقق آمال المسلمين والعرب في قضية تعتبر الأولى أو النادرة من نوعها في العالم كله منذ خلق الله البشر "[20].

وفي صفر ١٣٨٥هـ ، الموافق مايو (أيار) من عام ١٩٦٥م، عقد الملك فيصل مؤتمراً صحفياً تحدث فيه عن هذه القضية فقال :

" في اعتقادي أنه قبل أن نفكر في الحلول، يجب أن نفكر بأنفسنا. فهل نحن حقيقة عازمون وجادون في أن نخلص فلسطين ونسترجع فلسطين؟ فإذا كان هذا صحيحاً فأعتقد أن الوسائل يمكن بحثها في الدرجة الثانية. أما بالكلام والتصريح والوعد والوعيد فلا يمكن لقضية أو لحق أن يستعاد أو يسترجع ".

وأضاف : " لقد سبق لي وقلت : إذا كان العرب مخلصين وجادين وعازمين حقيقة على أن يخلصوا وطنهم السليب، فلينفضوا وليثيرها صيحة واحدة، وستكونون أنتم أي السعوديون أول من يذهب إلى فلسطين، ونحن لسنا ممن يديرون المعارك من وراء المكاتب وأجهزة التليفون.. فإذا حلت الساعة ودق جرس الحرب والنضال فسترونني أنا بنفسي وأخوتي وأبنائي أمامكم. وإنني لا أقول هذا رياءً ولكنني أقوله عن عقيدة ثابتة، لأنه إذا لم ندافع بدمائنا وكياننا وبكل ما نملك عن قضايانا، فلن نكون أصحاب شأن، ولن تقوم لنا قائمة إذا اقتصرنا فقط على الخطب والتصريحات والوعود، وهذا ليس من شأننا ".

وأضاف : " ونحن حينما نصارح بسياستنا لا يهمنا أن يزعل الغرب أو الشرق، لأن الغرب والشرق اتفقا على هضم حقوق العرب وسلبهم أراضيهم المقدسة "[21].

وبعد حرب عام ١٩٦٧م، تم ضم القدس للكيان اليهودي، فوجه الملك فيصل نداءً إلى جميع رؤساء الدول الإسلامية يناشدهم فيه العمل مجتمعين لإنقاذ الأماكن الإسلامية المقدسة من السيطرة الإسرائيلية. وجاء في هذا النداء :

" إنني أعتبر من واجبي، دعوة جميع رؤساء الدول الإسلامية في العالم ليوحدوا جهودهم وليبعثوا وسائلهم لإنقاذ المسجد الأقصى في القدس، وسائر الأماكن

(20) محمد عنان : السعودية وهموم العرب (الطبعة الأولى ، بيروت ، المكتب العالمي)، ص١١٨.

(21) محمد عنان : السعودية وهموم العرب ، ص ١١٩.

المقدسة الإسلامية، من أيدي الصهيونية التي دنست الأماكن المقدسة. وليس الدفاع عن فلسطين واجب العرب وحدهم، ولكنه واجب مقدس على جميع المسلمين والمؤمنين، وهم مسؤولون عنه تجاه الله. فعلى جميع المسلمين والمؤمنين أن يؤازروا أخوانهم العرب في معركة المصير المشترك "[22].

وانطلق الملك فيصل عبارته الشهيرة : (لابد أن أصلي في القدس)، ليحقق رغبته الأكيدة كما في رغبة كل مسلم في الصلاة في المسجد الأقصى، ثاني القبلتين وثالث مسجد بعد الحرمين الشريفين، حيث إنه من المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال وتضاعف فيه الدرجات. كما أنه أراد بذلك إثارة حمية المسلمين للجهاد في سبيل تحرير المسجد الأقصى من براثن أعداء الإسلام والإنسانية، وتنبيه العالم بأسره إلى خطر الاحتلال اليهودي الصهيوني للأرض العربية والمقدسات الإسلامية في القدس الشريف[23].

وبذل الملك فيصل جهوداً كبيرة في إيضاح حقيقة قضية القدس وفلسطين لرؤساء الدول الأوربية، وعلى رأسهم الرئيس ديجول رئيس فرنسا، كما قام بزيارات عديدة في القارة الإفريقية للتعريف بهذه القضية، فوجد هناك قناعة كبيرة من رؤساء الدول الإفريقية لتأييد الحق العربي والإسلامي في القدس وفلسطين، مما جعل معظم الدول الإفريقية تقطع علاقاتها مباشرة مع الدولة العبرية[24].

كما زار الملك فيصل كلا من إيران وتركيا وماليزيا وإندونيسيا وأفغانستان، خلال الأعوام ١٣٨٥-١٣٨٧هـ الموافق ١٩٦٥-١٩٦٧م، وذلك لتأييد الحق العربي والإسلامي في القدس، والعمل على كسب تأييد تلك الدول للحق الفلسطيني على أرضه، وإقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس[25].

وعلى الصعيد العالمي قام الملك فيصل برحلات متعددة، وتحركات نشيطة، إلى معظم أقطار الدول الصديقة، كالصين الوطنية واليابان والولايات المتحدة الأمريكية، وذلك لشرح الموقف السعودي والإسلامي من التسلط الصهيوني على المقدسات الإسلامية، وإيقاف أي اعتداء من جانب الصهاينة على الأرض الفلسطينية وتشريد شعبها الشقيق[26].

---

(22) المصدر السابق ، ص ١١٩.

(23) محمد عنان : السعودية وهموم العرب ، ص١٣٧.

(24) سعود الدليل : الوضع القانوني للقدس ، ص٨٩.

(25) السيد عبد الحافظ عبد ربه : فيصل في قمة التاريخ (الطبعة الأولى ، القاهرة ، دار الكتاب المصري ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) ، ص٢٣٩.

(26) المصدر السابق ،ص ٢٣٩ - ٢٤٠.

وبالإضافة إلى تلك الزيارات، قام الملك فيصل بزيارات لجميع الدول العربية، ولاسيما دول المواجهة (مصر وسوريا والأردن) التي تقف بالمرصاد في مواجهة العدو الصهيوني الغادر، وذلك لمؤازرتها وتبادل المشورة مع قادتها، وتحديد المواقف فيما بينهم، والوقوف إلى جانب الشعب الفلسطيني إلى أن يستعيد حقوقه المغتصبة، وتحرير أرضه، وعلى رأسها القدس الشريف، من العدو الصهيوني، الذي انتهك حرمات المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث مسجد بعد الحرمين الشريفين تشد إليه الرحال، مما يدعو للجميع عربا ومسلمين إلى جمع الصف وتوحيد الكلمة، والاستعداد الكامل لمواجهة هذا الخطر الكبير. وفي جميع هذه اللقاءات التي تمت بين الملك فيصل وملوك ورؤساء وزعماء وشيوخ العالمين العربي والإسلامي، كانت تصدر بيانات تحمل في طياتها الدعوة إلى التضامن ودعم صمود الشعب الفلسطيني، وتقوية خطوط الهجوم والدفاع على جبهة المواجهة المباشرة مع العدو، وجاءت المشاعر العربية من خلال تلك البيانات لتعبر عن رفضها لاغتصاب أو أي انتزاع يقوم به اليهود لأية حبة رمل من ترابنا الطاهر، من الأرض العربية في فلسطين والقدس، وأن ذلك يعتبر عدواناً صارخاً ومهانة لا يغسلها إلا الدم، ولا تمحوها إلا الحرب، مما يتوجب على المجتمع الدولي وهيئة الأمم المتحدة التدخل السريع والجاد ردع المعتدي، والحيلولة دون تمادية في غشمه وصلفه، وذلك لحقن الدم العربي في منطقة الصراع، ومناصرة أصحاب الحق من الفلسطينيين[27].

وعندما وقعت الحرب بين العرب واليهود، في عام ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، وتم احتلال المدينة المقدسة بواسطة اليهود وأعوانهم، سارع الملك فيصل وأعلن في برقية بعثها إلى الشيخ محمد سرور الصبان الأمين العام للمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، جاء فيها : " إننا سنعمل كل ما في وسعنا لإنقاذ فلسطين وتحرير المقدسات الإسلامية، ومقاومة كل ما يستهدف تهويد القدس أو تدويلها، والوقوف بقوة وحزم أمام جميع المؤامرات التي ترمي لتصفية القضية الفلسطينية "[28].

ولما وقع حريق المسجد الأقصى، في ٨ جمادى الآخرة ١٣٨٩هـ الموافق ٢١ أغسطس ١٩٦٩م، كان صوت المملكة عاليا في الدفاع عن المقدسات الإسلامية؛ فلقد دعا الملك فيصل جميع الملوك ورؤساء ووجهاء العالم الإسلامي للاجتماع في مؤتمر للقمة عقد في الرباط في الحادي عشر من رجب سنة ١٣٨٩هـ الموافق الثاني والعشرين من سبتمبر سنة ١٩٦٩م، تعبيرا عن غضب الأمتين العربية والإسلامية لما أقدمت عليه الصهيونية من عمل عدواني على المقدسات الإسلامية في فلسطين. وقد

---

(27) السيد عبد الحافظ عبد ربه : فيصل في قمة التاريخ ، ص ٢٤٠ - ٢٤١.

(28) السيد عليوة : الملك فيصل والقضية الفلسطينية (الطبعة الأولى ، الرياض ، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز رقم (٢٤) لعام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ، ص ٤٠.

تمخض هذا المؤتمر عن توصيات إيجابية وقرارات مهمة؛ كانت دعما ونصرا عظيما للقضية الفلسطينية والقدس الشريف، كان منها :

١- إدانة الاعتداءات الصهيونية المتكررة على الأمة العربية .

٢- تأكيد حق الشعب الفلسطيني في الكفاح من أجل تحرير وطنه واستعادة حقوقه.

٣- دعوة الدول الأعضاء لمساعدة شعب فلسطين ومساندته ـ في كفاحه ـ سياسيا، ماديا، ومعنويا،وتيسير إقامة تمثيل شرعي لحركة التحرير الفلسطينية في البلاد الإسلامية.

٤- اعتبار ٢١ أغسطس من كل عام ـ يوم حريق المسجد الأقصى ـ يوم التضامن مع كفاح الشعب الفلسطيني .

٥- دعوة الدول المشتركة في المؤتمر للقيام بنشاط على الصعيد الدولي، لفائدة القضية الفلسطينية ودعم شعب فلسطين في نضاله العادل ـ الذي يقوم به ـ من أجل تحرير وطنه المغتصب، وتطهير أماكنه المقدسة، وتخليص قدسه الشريف من عبث اليهود وتعسف الصهيونية.

٦- استنكار الحركة الصهيونية باعتبارها حركة عنصرية عدوانية توسعية، تشكل خطرا جسيما على السلام العالمي[29].

وقد تحدث الملك فيصل أمام مؤتمر وزراء خارجية المؤتمر الإسلامي، الذي عقد في جدة بتاريخ العاشر من صفر ١٣٩٢هـ الموافق الخامس والعشرين من مارس ١٩٧٣م، فقال عن مؤتمر القمة الإسلامي في الرباط ما يلي :

" لاشك أن ما اتخذ في مؤتمر الرباط من مقررات كان يهدف أولا وقبل كل شيء إلى ربط الأمة الإسلامية، وتعاون أبنائها جميعا لما فيه صالحهم، لرفع الضيم عنهم، ونزد العدوان الذي تعرضت له الأمة الإسلامية، من أعداء الإسلام، وأعداء الحق، وأعداء العدل والإنصاف، ولقد تعرضت له الأمة الإسلامية، ولقد تعرضت الأمة الإسلامية، وتحملت، لما لم تتعرض له، ولم تتحمله أية أمة من الأمم على آماد التاريخ وامتداده، من الاستهانة بكرامتها، وامتهان مقدساتها، وحرق دور العبادة فيها، والاستهتار بها، واغتصاب أراضيها وانتقاص أطرافها يوما بعد يوم، ولست في حاجة إلى أن أشرح لكم ـ أيها الأخوة ـ ما نحن فيه اليوم معشر المسلمين، فالكل يعلم ذلك ، والكل يشعر بالنكبة، والكل يرى بعينيه ويسمع بأذنيه، ويلمس بيديه ويسمع بأذنيه، ويلمس بيديه ما تتعرض له الأمة من عدوان فظيع لم تجربه أية أمة في التاريخ، ولم

(29) للسيد عبد الحافظ عبد ربه : فيصل في قمة التاريخ ، ص٢٤٣.

يعانيه أي شعب في عصر داره، وطرد من أرضه ومن بيته، ومزق شر ممزق، كما لم نسمع ـ كذلك ـ أن اعتدي على ديانة وعقيدة، بمثل ما اعتدي على شعب الإسلام ودين الإسلام.

إن الانتهاك الذي أصاب المقدسات الإسلامية ـ على مرأى ومسمع من العالم ـ ليس بالهدم والتخريب والإحراق والحفر تحت الجدران والقواعد فقط، ولكن في الامتهان القذر والأساليب الخسيسة، والأعمال المخزية التي تمارسها الصهيونية وتفاخر بافتعالها وارتكابها، " حتى نقد اتخذ هؤلاء المجرمون من حرم القدس الشريف مكانا لإتيان الفواحش، وممارسة التحلل الخلقي، والتسيب الديني، واجتراح جميع الموبقات والمنكرات"[30].

هذا .. إلى جانب الدور الكبير والمجهود الخطير الذي قام به الملك فيصل، في إعداده الرأي العام، وتهيئته للوقوف دائما بجانب القضية الفلسطينية، والعمل على إنقاذ القدس، وذلك عندما هيأ جلالته المناخ المتاح، والجو المناسب للعلاج لعقد مؤتمر قمة إسلامي في لاهور بالباكستان، حيث جسد ـ رحمة الله ـ الموقف الفلسطيني في الصورة التي يجب أن يكون فيها حقيقة وواقعا، والذي انتهى ـ بإجماع المؤتمرين ـ إلى ضرورة الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية، كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني، وفقا لما جاء في قرارات مؤتمري القمة العربي في الجزائر، وفي لاهور، وفي الأمم المتحدة، وذلك عندما وقفت جميع الدول الإسلامية مع الدول العربية في الجمعية العامة الدولية لتحيي رئيس منظمة التحرير الفلسطينية. أضف إلى ذلك ما قام به الملك فيصل من الفاعلية المؤثرة الكبيرة في محيط الدعوة إلى العمل الفلسطيني الناجح ، فلقد لمح العالم أجمع ضخامة الجهد المكثف الذي بذله الفيصل، في إخراج قرارات وتوصيات فعالة للمؤتمر الأول للمنظمات الإسلامية العالمية، والذي عقد في مكة المكرمة بمقر رابطة العالم الإسلامي في ٢٣ ربيع الأول ١٣٩٤هـ الموافق الخامس عشر من أبريل ١٩٧٤م[31].

ولم يتردد الملك فيصل في إعلان موقف المملكة بصراحة، عندما وقف أما الرئيس الأمريكي نيكسون خلال مأدبة العشاء التي أقامها تكريما للرئيس الأمريكي بمناسبة زيارته للمملكة، في ١٣٩٤/٥/٢٤هـ الموافق ١٤ يونيه ١٩٧٤م، حيث قال : " إن ما لحق الشعب العربي الفلسطيني من ظلم وعدوان لا مثيل له في التاريخ

(30) للسيد عبد الحافظ عبد ربه : فيصل في قمة التاريخ ، ص٢٤٣ - ٢٤٤.
(31) للسيد عبد الحافظ عبد ربه : فيصل في قمة التاريخ ، ص٢٤٥.

حتى في العهود المظلمة، فلقد شُرد شعب كامل من أرضه ووطنه لإحلال شعب آخر مكانه، ولقد ناشدت الأمة العربية الضمير العالمي زهاء ربع قرن، لإحقاق الحق ورفع الظلم عنها، ولكن لم يلتفت لتوسلاتها، مما اضطرها لحمل السلاح دفاعاً عن حقها وأرضها ومقدساتها.

وفي اعتقادي أنه لن يكون هناك سلام حقيقي ودائم في المنطقة إذا لم تتحرر القدس وتعود للسيادة العربية، وتحرر جميع الأرض المحتلة، ويسترد الشعب العربي الفلسطيني حقه في العودة إلى وطنه وتقرير مصيره "[32].

وعندما تولى الملك خالد الحكم في المملكة بعد استشهاد الملك فيصل، عام ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، سار على نفس منهج والده الملك عبد العزيز وإخوانه في الدفاع عن قضية القدس وفلسطين، وشهد عصره فصلاً جديداً من الصراع بين اللبنانيين من جهة، وبين الصهاينة اليهود من جهة أخرى، والذي شهد انهيار خط المواجهة اللبناني مع إسرائيل، مما عرض لبنان لحرب أهلية مدمرة، ونجحت سياسة المملكة في إيقاف نزيف هذه الحرب بانفاق الطائف، الذي وضع حداً للحرب الأهلية في لبنان، وأجبر الصهاينة في النهاية على الانسحاب من جنوب لبنان دون أي شروط.

وقد كان موقف الملك خالد من القضية الفلسطينية والقدس موقفاً حازماً، حيث كانت من أهم نتائج مباحثاته مع الرئيس الأمريكي كارتر: المطالبة بجلاء اليهود عن الضفة الغربية، وقطاع غزة، والجزء الشرقي من القدس، وإقامة الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس الشريف، بالإضافة إلى المطالبة بانسحاب كامل وغير مشروط من الأراضي العربية المحتلة في مصر وسوريا ولبنان والأردن، وكان دائما يقول: " إذا كان أصدقاؤنا لا يستطيعون إقناع إسرائيل بقبول الحق العربي، فإننا نتوقع من أصدقائنا ألا يحاولوا إقناعنا بقبول الباطل الإسرائيلي"[33].

مبادرة الملك فهد :

تعتبر مبادرة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، ذات الثمان نقاط، من أبرز القرارات التي اتخذتها المملكة العربية السعودية لحل المشكلة الفلسطينية، بتأسيس دولة فلسطينية مستقلة تكون القدس عاصمة لها، وهي أول مبادرة عربية إسلامية جادة وشاملة لتحقيق السلام العادل والشامل في المنطقة، وتم

(32) جريدة البلاد الصادرة في ٢٥ جمادى الأولى ١٣٩٤هـ/١٥ يونيه ١٩٧٤م.
والسيد عليوة : الملك فيصل والقضية الفلسطينية ، ص٧٧.
(33) محمد عنان : السعودية وهموم العرب ، ص ١٢٢.

تقديمها إلى مؤتمر القمة العربي الثاني عشر الذي عقد في مدينة فاس بالمملكة المغربية عام ١٤٠٢هـ/١٩٨١م. وقد أقر المؤتمر هذه المبادرة والتي تحتوي على النقاط التالية :

١- انسحاب القوات الإسرائيلية من كافة الأراضي المحتلة عام ١٣٨٧هـ (١٩٦٧م) بما فيها القدس.

٢- إزالة جميع المستوطنات التي أنشأتها إسرائيل في الأراضي العربية المحتلة منذ ١٣٨٧هـ(١٩٦٧م).

٣- ضمان حرية العبادة لجميع الأديان والمذاهب في الأماكن المقدسة.

٤- إعادة التأكيد على حقوق الفلسطينيين في تقرير المصير، وفي ممارسة حقوقهم الثابتة بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ممثلهم الشرعي الوحيد، وفي حق التعويض لكل فلسطيني لا يرغب في العودة إلى الوطن.

٥- تخضع الضفة الغربية وقطاع غزة لفترة انتقالية بإشراف هيئة الأمم المتحدة لا تتجاوز بضعة شهور.

٦- تأسيس دولة فلسطينية مستقلة تكون القدس عاصمة لها.

٧- يضمن مجلس الأمن الدولي تنفيذ هذه المبادئ[34].

لقد كانت هذه المبادرة بمثابة المحطة الأولى لعملية السلام العادل والشامل والكامل، تتابعت بعدها الجهود العربية والدولية لإتمام ما أرسته من مبادئ، وما وفرته من أسس موضوعية للعملية السلمية، بعيداً عن المزايدات والمراهنات والطروحات غير الجادة.

وجاء مؤتمر مدريد في (٢٣ ربيع الآخر ١٤١٢هـ الموافق ٣٠ أكتوبر ١٩٩١م) ليمثل المحطة الثانية للجادة والإيجابية في إنجاز تقدم حقيقي في عملية السلام الجادة، بإسهام ومشاركة فعالة من المملكة، حيث تمخضت عنها سلسلة من الاتصالات والمشاورات واللقاءات الثنائية أو المتعددة الأطراف.

أما المحطة الثالثة التي وضعت معظم بنود المبادرة السعودية موضع التنفيذ، فقد اقترنت بالتوقيع على اتفاقية (غزة وأريحا أولاً)، ثم باستلام السلطة الفلسطينية للأراضي المحتلة فيها عملياً، وتشكيل أو حكومة فلسطينية برئاسة الرئيس الفلسطيني

(34) عبد الله الأشعل : المملكة العربية السعودية وقضايا الصراع العربي الإسرائيلي (الطبعة الأولى ، جدة ، دار الأصفهاني ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) ، ص١٥٤-١٥٥.
وناصر إبراهيم الرشيد : الملك فهد ومسيرة الإنجازات الحضارية ، ص١٨٩-١٩٠.

يلسر عرفات[35]. مما جعل الفلسطينيين يبدأون في العودة إلى أراضيهم المحتلة ممن شردتهم الحروب، وأخذوا في بناء الدولة الفلسطينية على الأرض الفلسطينية، والعمل على طرد المعتدين من الصهاينة واليهود عنها.

إصلاحات قبة الصخرة ومسجدها على نفقة المملكة :

في السادس والعشرين من شهر شوال عام ١٤١٢هـ، الموافق ٢٨ أبريل ١٩٩٢م، تلقى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز رسالة من السيد فيديريكو مايور ــ مدير عام منظمة اليونسكو، فيما يلي نصها :

" خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز :

خادم الحرمين الشريفين لقب اخترتموه وعملتم بموجبه، إذ إن للحرم المكي والحرم المدني عرفا معكم عمرانا واتساعا وازدهارا فريدا.

ملك الثواب سيشكركم لأنكم سهلتم عليه إتمام شعائر دينه، وباحث التاريخ سيذكركم ويجعل التاريخ يذكركم.

خدام الحرمين الشريفين :

هناك الحرم الثالث ينتظر عونكم وهو في حالة من التداعي تثير القلق على مجرد بقائه.

كنتم في الماضي قد تكرمتم وتبرعتم لليونسكو بمبلغ نصف مليون دولار مساهمة منكم في حملة التبرعات والتي قامت بها منظمة اليونسكو لجمع الأموال اللازمة في ذلك الحين لوضع مسح علمي كامل عن حالة المسجد الأقصى وما حوله.

وضعت الدراسة في حينه وكانت تضاف إليها المعلومات تدريجياً كي تطابق الوضع الزمني للأضرار.

إلا أن الزمن كان يوسع الأضرار ولا يوسع الأموال، وعن هذه المحنة الملحة، وقد اكتمل مشروعنا لترميم هذا " التراث " العربي الإسلامي قررنا النداء إلى العالم ، وهانحن نلجأ إلى من كان سباقاً وجواداً وشجعنا في الماضي كي نعيد معا بناء هذا الصرح والرمز.

---

(35) هاشم عبده هاشم : صناعة القرار في المملكة العربية السعودية (الطبعة الأولى، جدة، مطابع القنون ، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م) ، ص١١٣- ١١٤.

وفي هذه المناسبة يسرنا أن نُعلم خادم الحرمين الشريفين عن انبثاق لجنة جديدة من منظمة اليونسكو إختصاصها الحفاظ على التراث العربي والثقافة العربية والإسلامية من رعاية معالمها ومساجدها التاريخية إلى إصلاح ما اندثر منها إلى تطوير عمارتها.

لقد أطلق على هذه اللجنة اسم " أرابيا " لتوحيد لفظها عالمياً، المقيمون عليها عرب وأجانب من أهل العلم المتخصصين في مختلف نواحي الثقافة العربية.

وقررت لجنة أرابيا عند أول اجتماع لها أن تكون باكورة إنجازاتها ترميم المسجد الأقصى وصيانته.

ومنظم اليونسكو التي جعلت دأبها الابتعاد عن السياسة والترفع عن المشاحنات المعوقة ليتقدم العلم والهداية معا سيسجله التاريخ لكم، تأخذ على نفسها تأمين أسلم طرق للترميم العلمية الحديثة لما لها من دراية ومراس في هذا المضمار، والأهم من هذا تأمين سلامة سير الأعمال، وهي القادرة لكونها منظمة دولية تابعة لهيئة الأمم المتحدة على مراقبة صرف الأموال في موضعها الصحيح.

باسم منظم اليونسكو ولجنة أرابيا، أتقدم يا خادم الحرمين الشريفين برفع شكرنا الحار جميعا لتشجيعكم في الماضي، ومساعدتكم في المستقبل إن شاء الله، ودمتم مع فائق احترامي."[36].

وعندما تلقى خادم الحرمين الشريفين، الملك فهد بن عبد العزيز، هذه الرسالة سارع بكل سرور وإيمان صادق لخدمة بيوت الله، إلى الإعلان عن ترحيبه بالقيام بالإصلاحات والترميمات المطلوبة في المسجد الأقصى، ومسجد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكذلك أمر بصيانة مساكن الأئمة والخطباء والمؤذنين والقائمين على خدمتها. وعلى الفور تم تشكيل وفد من الخبراء والمهندسين السعوديين المتخصصين في العمارة والنقوش الإسلامية، للوقوف ومعاينة الوضع بالتعاون والتنسيق مع خبراء اليونسكو، وصدر في العاشر من شهر ذي القعدة ١٤١٢هـ، الموافق ١١/٥/١٩٩٢م، بيان رسمي يؤكد ذلك، ويعلن التزام المملكة التام بتحمل جميع النفقات اللازمة والمترتبة على إنقاذ هذا المشروع الإسلامي، سائلاً الله أن يكتب أجر هذا العمل الإسلامي الجليل في سجل بادرات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، الذي وهب نفسه وكل غال ونفيس في سبيل إعمار بيوت الله وخدمة الإسلام والمسلمين، طلبا للأجر والثواب من الله.

---

(36) هاشم عبده هاشم : صناعة القرار في المملكة العربية السعودية ، ص١٢٢.

وما أن أعلن ذلك، حتى قام الرئيس حسني مبارك ـ رئيس جمهورية مصر العربية ـ بإبلاغ خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ـ شفهياً ـ استعداد مصر لتقديم ما تحتاجه المملكة العربية السعودية من خبرات فنية وهندسية لإنقاذ هذا المشروع الإسلامي[37].

على أثر ذلك، تلقى خادم الحرمين الشريفين يوم الثلاثاء ١٠ ذي القعدة ١٤١٢هـ، الموافق ١٢ مايو (أيار) ١٩٩٢م، رسالة الشكر التالي نصها من مدير عام اليونسكو.

إلى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز :

خدمتم الحرمين الشريفين في مكة والمدينة فأجدتم الخدمة، إذ عرفا معكم عمراناً واتساعاً وصيانة فريدة، واليوم وأنتم تضعون أنفسكم في خدمة الحرم الثالث نقول نحن: طوبى له أن تشبه يمن سبق، لأن بنيان الحرم الشريف، وخاصة بنيان مسجد قبة الصخرة، بات بحالة من التداعي تثير القلق على مجرد بقائه. وكيف تضيع هذه التحفة الفنية المعمارية الإسلامية، هذا الرمز لعشرات الملايين من البشر، هذا المسجد الذي خصه الله بالذكر في كتابه الحكيم بقوله :﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير** ﴾[38]

مخاوف المجموعة الدولية عليه ليست بجديدة. وتلبيتكم لندائها ليست بجديدة أيضاً، إذ إنكم كنتم أول من تبرع لمنظمة اليونسكو من المال الذي مكّن هذه المنظمة من وضع مسح علمي كامل عن حالة وطبيعة المسجد الأقصى. ولقد اكتملت الدراسة وحان بدء الأعمال، فكررنا النداء إلى العالم، فكنتم سباقين إلى تلبية النداء اليوم، كما في الأمس، كرماء دائماً.

وها نحن بتشهيركم الدائم، سنعيد معاً متشابكي الأيدي، لترميم المسجد الأقصى هذا الصرح والرمز الإسلامي الخالد.

وهكذا يضع التاريخ اسمكم إلى جانب الخليفة عبد الملك بن مروان، الذي بنى مسجد قبة الصخرة .

ومنظمة اليونسكو التي جعلت دأبها الابتعاد عن السياسة والترفع عن المشاحنات المعيقة لتقدم العلم والهداية مما سيسجله التاريخ لكم، تأخذ على نفسها تأمين أسلم طرق الترميم العلمية الحديثة لما لها من دراية ومراس في هذا المضمار.

---

(37) هاشم عبده هاشم : المصدر السابق ، ص١٢٣.

(38) سورة الإسراء : الآية ١.

والأهم من هذا تأمين سلامة سير الأعمال، وهي العادة لكونها منظمة دولية تابعة لهيئة الأمم المتحدة.

وباسم لجنة "أرابيا" والدول الأعضاء في منظمة اليونسكو، أتقدم يا خادم الحرمين الشريفين برفع شكرنا الحار جميعاً، لمشاركتكم في إعادة زهو التاريخ إلى هذا القصرح الإسلامي التاريخي الخالد. ودمتم. مع فائق احترامي[39].

وقد تبرعت المملكة العربية السعودية، بتوجيه من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد، لمنظمة اليونسكو العالمية بمبلغ عشرة ملايين دولار أمريكي، وذلك لترميم المسجد الأقصى والمنشآت المحيطة به.

كما قدمت المملكة تبرعاً آخر بمبلغ ثلاثين مليون دولار أمريكي لتنفق في مشاريع البناء والإسكان والترميمات العمرانية الأخرى في القدس، تحت إشراف البنك الإسلامي للتنمية، من أجل دعم صمود الأهالي في بيت المقدس. وفي نفس الوقت تم تقديم منحة مالية أخرى من المملكة لصندوق القدس، التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، بمبلغ عشرة ملايين دولار أمريكي، وذلك لمساعدة الأهالي وسكان القدس.

ومساهمةً من مركز تلفزيون الشرق الأوسط بلندن في هذه الحملة الموجهة لإنقاذ المسجد الأقصى وسكانه، فقد خصص اليوم الرابع من ذي الحجة سنة ١٤١٧هـ، الموافق الحادي عشر من أبريل عام ١٩٩٧م، لحملة لجمع التبرعات لمدينة القدس وسكانها سماها (نداء القدس)، فجمع خلال ذلك اليوم فقط مبلغ ثمانية ملايين دولار أمريكي، ساهم فيه أهل الخير معظمهم من السعوديين بما جاد به سخاؤهم، فقدم خادم الحرمين الشريفين تبرعاً آخر لهذا النداء بمبلغ مليون دولار أمريكي، كما تبرعت حرمه بمبلغ نصف مليون ريال، وابنه صاحب السمو الملكي الأمير عبد العزيز بن فهد بمبلغ نصف مليون دولار[40]. كما تبرع لهذا النداء عدد كبير من الأمراء السعوديين، والبنوك والتجار، وجعل الله ذلك في موازين حسناتهم.

لكن الكيان الصهيوني ما زال يقوم بالقتل والتشريد ومحاصرة وتجويع للشعب الفلسطيني الأعزل، بل إنه سعى إلى تقسيم الشعب الفلسطيني إلى قسمين هما: الضفة الغربية والتي بها القدس الشريف، وقطاع غزة، ولقاموا الحواجز العسكرية والعراقيل لمنع اتصالهما، ومنع الشباب الفلسطيني من الصلاة في المسجد الأقصى، وجعل دخول

---

(39) جريدة الندوة ، العدد(١٠١٤٥) بتاريخ ١٤١٢/١١/١١هـ الموافق ١٩٩٢/٥/١٢م ؛ وهاشم عبده هاشم : صناعة القرار في المملكة العربية السعودية ، ص ١٢٥.

(40) عبد الفتاح أبو علية : القدس، (الطبعة الأولى، الرياض، دار المريخ للنشر، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) ، ص١٧٥، عن إحصائيات اللجنة الشعبية لمساعدة مجاهدي فلسطين بالرياض.

المسجد الأقصى والصلاة فيه بموجب تصاريح صادرة منه لكبار السن من الرجال والنساء فقط.

إن الكيان الصهيوني يمتلك الآن قدرات نووية كبيرة، ولديه عدة مفاعلات نووية في صحراء النقب، وتقوم عصابته، والمتمثلة في الموساد الصهيوني، بأعمال إجرامية في حق الشعب والحكومة الفلسطينية، وسارع إلى بناء جدار عازل بينه وبين المدن والقرى الفلسطينية، مما أدى إلى عزل الشعب الفلسطيني والحد من تحركاته وتنقلاته، ولقد سارعت الدول الكبرى، والدول العربية والإسلامية، لإيجاد حلول كثيرة لإنهاء القضية الفلسطينية من عقد مؤتمرات وندوات دولية.

وما تزال المملكة العربية السعودية تسعى بكل جهد من أجل عودة كامل فلسطين والقدس، وإقامة الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس الشريف، حتى يعم السلام الدائم والشامل والعادل في المنطقة. عملاً بالآية الكريمة : قال تعالى :﴿ **يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ﴾ محمد . ٧

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : الوثائق :

- F.O. 371/68366, Trott to F.O. Jedda, January 31,1948
- F.O. 371/68770,Sir R. Campbell to F.O. Cairo , July 14,1948

ثانياً : الكتب المطبوعة :

١- ابن الأثير: (علي) الكامل في التاريخ ، الجزء الثاني ، الطبعة الثانية، بيروت .

٢- أبو خليل : (شوقي) اليرموك بقيادة خالد بن الوليد ، الطبعة الثالثة ، دمشق ، دار الفكر، ١٩٧٩م .

٣- أبو عنبة : (عبد الفتاح) القدس، دارسة تاريخية حول المسجد والقدس الشريف، الطبعة الأولى، الرياض، دار المريخ للنشر، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م .

٤- الأشعل : (عبد الله) المملكة العربية السعودية وقضايا الصراع العربي الإسرائيلي، (الطبعة الأولى ، الرياض ، دار المريخ للنشر ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) .

٥- بكر : (سيد عبد المجيد) صلاح الدين بطل فلسطين ، الطبعة الأولى ، جدة ، مطابع سحر، ١٤٠٠هـ .

٦- حمزة : (عبد اللطيف) صلاح الدين بطل فلسطين ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٥٨م.

٧- الدايل : (سعود بن عبد العزيز) الوضع القانوني للقدس ، بحث دبلوم مقدم للمعهد الدبلوماسي ، وزارة الخارجية ، الرياض ، ١٤٠١هـ .

٨- الدباغ : (مصطفى مراد) بلادنا فلسطين ، الطبعة الأولى : بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٦٥م .

٩- الرشيد : (ناصر إبراهيم) الملك فهد ومسيرة الإنجازات الحضارية .

١٠- زايد : (عبد الحميد) القدس الخالدة ، الطبعة الأولى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٣٩٤هـ .

١١- الزركلي : (خير الدين) شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز . أربعة أجزاء ، الطبعة الثانية، بيروت ، دار العلم ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

١٢- السديري : (فهد) المملكة العربية السعودية عند مفترق الطرق . الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٧٠م .

١٣- سوسة : (أحمد) العرب واليهود في التاريخ ، الطبعة الخامسة ، بغداد ، دار الرشيد، ١٩٨١م .

١٤- صفوة : (نجدت فتحي) ، اليهود والصهيونية ، الطبعة الأولى ، بغداد ، ١٩٦٧م .

١٥- الطنطاوي : (محمد) المسجد الأقصى عبر القرون ، مقال في مجلة العرب ، عدد ١٢٣ ديسمبر ١٩٦٩م ، ص ١٣٠-١٣٧ .

١٦- فلافلا: (حسن) القدس، مطبوعات جامعة الاسكندرية ، ١٩٧٠م .
١٧- عابد: (محمد صبري) مطامع اليهود والصهيونية في الاستيلاء على المسجد الأقصى، الطبعة الأولى ، القدس ، ١٩٤٦م .
١٨- العابدي : (محمود) مأساة بيت المقدس، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالأردن، عمان ، ١٣٨٩هـ .
١٩- العارف : (عارف باشا) تاريخ القدس ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، دار المعارف، ١٩٥١م .
٢٠- العلمي: (محمد أديب) القدس العربية، الطبعة الأولى، عمان ١٩٧١م .
٢١- عطار : (أحمد عبد الغفور) ابن سعود وقضية فلسطين ، الطبعة الأولى ، بيروت ، المكتبة العصرية ، ١٩٧٤م .
٢٢- عطار : (أحمد عبد الغفور) عروبة فلسطين والقدس ، الطبعة الأولى ، بيروت ، المطبعة العصرية ، ١٩٧٤م .
٢٣- الطيب : (أحمد حسين) أمبراطور لقاء الملك عبد العزيز وروزفلت ، الطبعة الأولى ، جدة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
٢٤- عنان : (محمد) السعودية والعروبة العرب ، الطبعة الأولى ، بيروت ، المكتب العالمي .
٢٥- الكيالي : (عبد الرحمن) تاريخ فلسطين الحديث ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٧٠م .
٢٦- مصطفى : (أحمد عبد الرحيم) الولايات المتحدة والشرق العربي، الطبعة الأولى، الكويت ، عالم المعرفة ، ١٩٧٨م .
٢٧- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، حول بيت المقدس (الكتاب ٥٥) ، لجنة التعريف بالإسلام بالقاهرة ،١٩٦٩م .
٢٨- مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر ، القاهرة ، بيت المقدس في الإسلام، الكتاب الخامس،١٩٦٩م .
٢٩- الواقدي : (محمد) فتوح الشام ، الجزء الأول، القاهرة ، دار العلم للجميع .
٣٠- مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيان نويهض ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٨١م .

ثالثاً . الصحف :

١- جريدة أم القرى . العدد (١١٨٨) ، تاريخ محرم ١٣٩٧هـ الموافق ١٢/١٢/١٩٤٧م .
٢- جريدة أم القرى . العدد(١٢١٦) ، في ١٨/ شعبان ١٣٩٨هـ/٢٥ يوليه ١٩٤٨م .
٣- جريدة الأهرام المصرية . الصادرة في ١٢ يوليه ١٩٤٨م .
٤- جريدة البلاد الصادرة في ٢٥ جمادى الأولى ١٣٩٤هـ/١٥ يونيه ١٩٧٤م .

التعليم في القدس
في القرن السادس عشر الميلادي/ العاشر الهجري

د. صلاح أحمد هريدي علي (*)

كانت المؤسسات التعليمية في مدينة القدس، في العصر المملوكي، أكثر من أربعين مدرسة وأكثر من عشرين زاوية، بالإضافة إلى مكاتب الأطفال والمساجد والمشاهد والقرب، اتخذت كمؤسسات تعليمية. حيث رتب بها منشوها المدرسين والطلبة. ويمكن إلحاق تلك المؤسسات التعليمية : مجالس العلماء ورجال الأدب، الذين اعتادوا أن يعقدوها في منازلهم أو منازل الحكام، أو في أي مكان آخر، وتأثير هذه المجالس في تزويد المترددين عليها بأنواع العلوم والمعارف، لا يقل عن تأثير المؤسسات التعليمية. وقد كثرت هذه المجالس في عصر سلاطين المماليك حتى قيل إن كل أمير اعتاد أن يختار محدثاً يذيع للناس الأحاديث النبوية في منزله. أما مجالس الأمراء فأكثر من أن تحصى[1].

وقد وجدت تلك المؤسسات التعليمية في نظام الأوقاف خير دعامة تشد أزرها، وتمكنها من البقاء والاستمرار في أداء رسالتها أو بعبارة أخرى، فإن حياة كل من المدرسة والزاوية والمكتب والقربة والمسجد، لم تكن رهنا بحياة مؤسسها، حيث كان يوقف عليها من الأوقاف ما يضمن لها الاستمرار في أداء رسالتها عقب وفاته، وهذه الأوقاف قد تكون أرضا زراعية أو عقارات أو أسواق. وحوانيت وحمامات تدر إيرادا ثابتا، ينفق منه على صيانتها، ودفع مرتبات العاملين بها، ومخصصات النازلين فيها[2]. وحافظ العثمانيون على نفس السياسة، حيث اهتم السلطان سليمان القانوني بإعادة بناء أوقاف الحرم وبعض المدارس، كما قامت زوجته روكسلانه بإنشاء تكية في القدس عام ١٥٥١م، ومجمع كبير يشمل مسجد ورباطا ومدرسة وخانا ومطبخا، بما يمد الطلبة والمتصوفين والفقراء بوجبات مجانية، وأصبحت التكية التي وهب لها

(*) أستاذ التاريخ الحديث بكلية الآداب جامعة دمنهور.
(1) علي السيد علي، القدس في العصر المملوكي، دار الكرز للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٦، ص١٥٢.
(2) نفسه، ص١٥٢، ١٥٣.

أوقافًا كبيرة، تشمل قرى عديدة ومزارع في منطقة رام الله، أهم مؤسسة خيرية في فلسطين[٣].

أما أنواع التعليم فيبدأ بالكتّاب، حيث كان تعليم الفرد المسلم، وفي جميع أنحاء العالم الإسلامي، يبدأ في سن مبكرة على يد "شيخ" يحضره رب الأسرة لابنه أو ابنته، أو على يد رب الأسرة نفسه، إذا كان عالمًا أو متعلمًا. أو أنه كان يجري فيما كان يُسمى بـ"الكتاب" أو المكتب أو "المسيد". وكان الطفل في هذه المرحلة الأولية يُعلَّم القرآن الكريم تلاوة وحفظًا عن ظهر قلب. وكان يُعلَّم أيضًا القراءة بصفة عامة، والكتابة، وبعض مبادئ الحساب، وقليلا من المعارف الدينية واللغة العربية.

وكان يطلق على المعلِّم في "الكُتّاب" لقب "الشيخ" أو المؤدب، أو المطوّع [في شرقي الجزيرة العربية]. وكان هناك بعض الكتاتيب للبنات، ويطلق على الشيخة المعلِّمة لقب "الخوجة"، وكان التعليم في "الكتّاب" مجانيًا إذ كان قد أسسه بعض الأثرياء أو بعض رجال الدولة من قضاة وولاة وغيرهم، إذ يكون قد خصص بأوقاف معينة تصرف منها أجور الشيخ، وأحيانًا ما يلزم تلاميذه من نفقات غذاء ولباس، ولاسيما منهم الأيتام والفقراء. أما إذا كان منشئ "الكتّاب" هو الشيخ نفسه، فإنه كان يتقاضى من كل طفل أجرة زهيدة، تعرف بـ"الخميسية" لأن الشيخ كان يتسلمها كل خميس من الأسبوع. وقد تقدم في القرى على شكل هدايا نوعية. وكانت هذه الكتاتيب تقام عادة بالقرب من المساجد، أو في المساجد نفسها، أو في الزوايا، والخوانق، والترب، أو في منزل الشيخ نفسه، أو في أي بيت أو غرفة صالحين لهذا الغرض. وكانت منتشرة في أنحاء كل ولاية[٤].

وكان لهذه الكتاتيب - على الرغم من عدم توافر شروط التعليم الملائمة فيها بصورة عامة - دور مهم في حياة المجتمع الإسلامي العربي في كل ولاية، إذ كانت عاملا أساسيًا في محو الأمية، وترسيخ اللغة العربية على ألسنة الأطفال، عن طريق تحفيظهم القرآن الكريم، ومنحهم ولو رصيدًا محدودًا من المعرفة الميدانية، يمكنهم من فهم ما يمكن أن يقدمه لهم الشيوخ النيار. إذا ما تابعوا تعليمهم، كما يؤهلهم للاستفادة منه في مهنهم المختلفة التي ينخرطون فيها، ويعدهم لإكمال ثقافتهم في زوايا الطرق الصوفية، التي كانت طوائفهم الحرفية مرتبطة بها عادة. ولم تكن الدولة

---

(٣) كارين أرمسترنج، القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث، ص٥٢٧، ٥٢٨؛ ليلى الصباغ، معالم الحياة الفكرية في الولايات العربية في العصر العثماني؛ الدولة العثمانية، تاريخ وحضارة، إشراف وتقديم أكمل الدين إحسان أوغلو. نقله إلى العربية، صالح سعداوي، استانبول، ١٩٩٩، جـ٢، ص٣٠٩.

(٤) ليلى قصباغ، معالم الحياة الفكرية في الولايات العربية في العصر العثماني، ص٣٠٩.

العثمانية لتتدخل سلبًا أو إيجابًا في تلك الكتاتيب، إلا أنها كانت تشرف على أوقافها عبر قاضيها الحنفي، إذ كان لها أوقاف[٥].

وتعليم آداب الدين : كذلك كان على الأطفال أن يتعلموا في سن مبكرة، قواعد الوضوء وأركان الإسلام الخمس، كذلك يحفظون بعض الحكم والأمثال وبعض أبيات من الشعر، عن طريق التكرار مع زملائهم، وبطريقة غنائية خشية النسيان. كما كان الخط العربي من المواد الأساسية التي تدرس للأطفال في مكاتبهم، وكان المؤدب يقوم بهذه المهمة بنفسه غالبًا، وأحيانًا كان يعهد بذلك إلى "مكتب" يعلّم الخط ولعله كان يصرف لهؤلاء الأطفال في المكتب الأقلام والمداد والألواح والدوى التي كانت تشترى من ريع الوقف، ولعله وجد في كل مكتب من هذه المكاتب ما يسمى بالعريف، وهو الذي يتولى وظيفة الحراقة، وهو الموجه بعشرة أنفار غالبًا، وكان العريف مساعدًا للمؤدب، فهو من جملة الأطفال بالمكتب ويستمر فيه ولو كان بالغًا. وكان يساعد المؤدب في عمله بالمكتب، ويقوم مقامه أثناء غيبته، ويساعده في تعليم الأطفال[٦].

أما عن سن الالتحاق بهذه المكاتب، فقد كان يلتحق بها الأطفال من سن الرابعة وحتى العاشرة[٧]، واختلف الأمر في القرى عن المدن، من حيث أن سكان القرى كانوا يرسلون أبناءهم إلى الكتاتيب في سن متأخرة، فابن الريف لا يذهب إلى الكتاب إلا في السابعة أو الثامنة من عمره، ويتوقف التدريس في فصل الصيف والربيع، ويترك التلميذ الكتاب ليعمل مع والده في الحقل حتى آخر الصيف، وبعد ثلاث أو أربع سنوات يطن شيخ الكتاب انتهاء التلميذ من هذه المرحلة[٨].

أما عن أيام الدراسة في المكتب فإنها غير محدودة، ويجب أن تكون هناك أيام للراحة، أما عدد الأيام هذه فيبدو أنه كان متروكا لرأي المؤدب صاحب المكتب، حيث كانت استراحتهم يومين في الجمعة، وكذلك انصرافهم قبل العيد بيومين أو ثلاثة، وذلك مستحب لقوله عليه الصلاة والسلام : "روحوا القلوب ساعة بعد ساعة"، فإذا استراحوا يومين في الجمعة نشطوا لباقيها. وأيضًا الأيام التي يكثر بها المطر، كانت ضمن الأيام التي تعطل فيها المكاتب، مثل المرض أو الجمع والمواسم والأعياد[٩].

---

(٥) نفسه، ص٣٠١.

(٦) علي السيد علي، القدس في العصر المملوكي، ص١٥٨، ١٥٩.

(٧) نفسه، ص١٥٨.

(٨) تيسير أحمد حسين وهابية، القدس في القرن التاسع عشر (١٧٩٩ - ١٨٩٨م) رسالة ماجستير غير منشورة، من قسم التاريخ - كلية الآداب بسوهاج، جامعة أسيوط، ١٩٨٢، ص٢٨٧، ٢٨٨.

(٩) علي السيد علي، القدس في العصر المملوكي، ص١٦.

وبشأن التعليم بين البنات، فلم يتعد في بادئ الأمر مرحلة الكتاتيب التي كانت تتعلم المرأة فيها مبادئ القراءة والكتابة، وبعد انتشار مدارس الإرساليات أخذ قسم من الفتيات، وخاصة النصارى، يلتحقن بهذه المدارس، وقد تخرّج عدة معلمات عملن في التدريس. وفي المدارس الألمانية أخذت الفتيات يتعلمن الأشغال المنزلية والخياطة. وكان ابتعاد المرأة عن التعليم يعود إلى نقص في الموارد الخاصة بالمدارس وقلة وعي المرأة بالتعليم وفوائده في تلك الفترة، بالإضافة إلى سلطة الرجل عليها وقناعته الخاصة أن مكانها المناسب هو البيت، ولا يجوز خروجها والتعامل مع الرجال، وكان ضغط الحكومة العثمانية على الناس وعدم مساعدتهم على إنشاء المشاغل والمعامل الحرفية[١٠].

أما عن التعليم الأولي الابتدائي عند الطوائف المسيحية، فلم يختلف في جوهره عن التعليم عن المسلمين؛ أي أنه كان تعليمًا دينيًا، ويتم في كتاتيب، أو في الأديرة والكنائس، وكان يضاف إليه تعلم "اللغة السريانية" التي كانت لا تزال، في القرن السادس عشر الميلادي، هي لغة الطقوس الدينية لدى بعض الطوائف النصرانية الشامية بصفة خاصة. وقد أخذ يحل محلها في القرن السابع عشر الميلادي، اللغة العربية، التي ستصبح هي لغة تلك الطوائف منذ ذلك القرن. وكانوا يعلمون أيضًا أصول "الفضائل المسيحية" وخدمة القداس وبعض مبادئ الحساب. وكان يقوم بالتعليم القساوسة[١١].

أما عن تعليم الأطفال عند اليهود، فمن المرجح أنه كانت لديهم أيضًا مكاتب لتعليم الأطفال، حيث كانت التعاليم الدينية لديهم تحتم عليهم إرسال أطفالهم ليتعلموا من سن الخامسة أو السابعة، وحتى سن الثانية عشرة والثالثة عشر. وفي تلك المكاتب كان يتم تعليم الأطفال القراءة والكتابة، وفهم وحفظ قوانين التوراة شفهيًا تمهيدًا لدراسة التوراة، وكان التعليم في هذه المكاتب يتم مقابل – دفع الأهالي أجور المؤدبين الذين يقومون بتعليم أطفالهم، أما بالنسبة لأبناء الفقراء فكانت جماعة اليهود كلها تشارك في دفع تكاليف تعليمهم. ويبدو أن مكاتب الأطفال هذه لم تكن تختلف كثيرًا عن مكاتب الأطفال عند المسلمين إلا من حيث مواد الدراسة، فقد كان يجلس الأطفال على الأرض حول معلمهم، حيث يقوم بتعليمهم القراءة أولًا، عن طريق تعلم شكل الحروف وتكرار الأصوات التي يمثلها تكرار الكلمات. كذلك اهتموا في تعليمهم بتدريس كثير من الأقوال المأثورة لرجال دينهم، وذلك لتخليد هؤلاء الرجال ولتخليد أقوالهم أيضًا، هذا بالإضافة إلى جانب تدريسهم لكثير من الحكم، إلى جانب

(١٠) تيسير وهابية، القدس في القرن التاسع عشر، ص٢٩٥.

(١١) ليلى الصباغ، معالم الحياة الفكرية في الولايات العربية في العصر العثماني، ص٣١٠، ٣١١.

الاهتمام بمبادئ العقيدة اليهودية والعبادات الخاصة بها. وكانت مكاتب الأطفال هذه ملحقة بالكنيس الخاص بهم، وكانت التعاليم الدينية لديهم تحتم على الأب أن يتكفل بتعليم أطفاله حتى ينتهوا من تلك المرحلة، أي بوصولهم إلى سن الثانية عشرة، وبعد ذلك يمكن للأب أن يستعين بأبنائه في حرفته. أما عن اللغة المستخدمة في ذلك التعليم فقد كانت هي اللغة العربية، وأحيانًا يكتبونها بحروف عبرية[١٢].

ويلي مرحلة التعليم الأولي تلك في الولايات العربية، ما يمكن أن يطلق عليه اسم "التعليم العالي"، ولقد كان يسير هو الآخر، وفي جميع الولايات العربية، على نسق واحد، وكما كان عليه في المرحلة السابقة لحكم الدولة العثمانية، وكان يجري في الجوامع، والمساجد، والمدارس، والزوايا، والخوانق، والربط المنتشرة انتشارًا واسعًا في كل ولاية عربية، وكانت كل مؤسسة من تلك المؤسسات التعليمية تختلف عن الأخرى، في حجمها ومعلميها، وعدد طلابها ومناهج تعليمها، ويرتبط هذا بصفة خاصة بالأوقاف المخصصة لها من الهيئة التي أنشأتها، وبمستوى مدرسيها من العلم والمعرفة، وبطرائق تدريسهم التي يجذبون بها طلاب العلم بل والعلماء إليهم، لا من الإقليم الذي تقع فيه فقط، وإنما من الأقاليم الإسلامية الأخرى أيضًا[١٣].

ولم تخضع الدولة العثمانية المؤسسات التعليمية العربية، بل أبقت لها تقاليدها، وقد كان في مركز كل ولاية عربية، بل في كل مدينة رئيسية، مسجد جامع، وأحيانًا أكثر من واحد، يستقطب كبار العلماء والمدرسين والطلبة، لا من أنحاء الولاية فحسب، وإنما من الولايات العربية الأخرى، ومن أنحاء العالم الإسلامي، وقد قامت الدولة العثمانية بحصر تلك المؤسسات وأوقافها، والعامل منها والمتوقف عن العمل، ولم تكتف بالسعي للحفاظ على المؤسسات التعليمية المختلفة التي كانت في الولايات قبل مقدمها، بل عملت عبر سلاطينها وولاتها وكبار إداريها، وحتى في مرحلة ضعفها، على تشييد مؤسسات دينية تعليمية جديدة وترميم الخرب منها، ولا يزال عدد غير قليل من تلك المؤسسات قائمًا إلى الآن[١٤].

وكانت المدارس الموجودة قبل عهد العثمانيين خمس وأربعون مدرسة[١٥]، وأقدمها هي المدرسة الصلاحية، حيث كانت تعرف بصندحنه – أي القديمة حنة – مدرسة للشافعية، وأوقف عليها صلاح الدين كثيرًا من الأملاك، وكان ذلك في عام

(١٢) علي السيد علي، القدس في العصر المملوكي، ص١٦٠، ١٦١.

(١٣) ليلى الصباغ، معالم الحياة الفكرية في الولايات العربية في العصر العثماني، ص٣١١.

(١٤) نفسه، ص٣١٤.

(١٥) محمد كرد علي، خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق، الطبعة الثامنة، ١٩٨٣، جـ٦، ص١٢٣.

١١٩٢م وسميت بالصلاحية، وتولى التدريس فيها نخبة من العلماء المسلمين طوال العصرين المملوكي والعثماني[١٦].

ومن الملاحظ أن الذي أنشأ هذه المدارس الملوك والأمراء المسلمين، احتسابًا لوجه الله تعالى، تمامًا كما كان الأمر بالنسبة لإنشاء الجوامع والتكايا والزوايا، وكانت تتفق الأموال على هذه المدارس من الأوقاف أو الحبوس المخصصة لها، وكانت هذه المدارس في العصر العثماني تستفيد من الأوقاف العامة الموجودة في مختلف الولايات. وكان شيخ الحرم في مدينة القدس يجمع هذه الأوقاف بنفسه، أو يرسل من ينوب عنه في جمعها، واهتم العثمانيون بالمدارس الموجودة بالقدس، وقاموا بعمل الصيانات الخاصة بها، كما قام القضاة بتعيين شيوخ لهذه المدارس، وقد روعي فيهم الأمانة والتدين والأهلية[١٧].

أما عن التعليم، فقد كان على الطالب أن يتلقى علومه على أيدي أحد المدرسين، إما في المسجد الأقصى أو غيره، حيث يقوم بالتدريس العلوم الدينية من فقه وحديث وأصول وقراءات ووعظ، بالإضافة إلى العلوم اللغوية من لغة عربية ونحو وصرف. وكانت الدراسة في المسجد الأقصى على هيئة ما يمكن أن يطلق عليه نظام المحاضرات، حيث يجتمع الطلبة حول أحد الأساتذة، مكونين نصف دائرة أو حلقة، حيث يملي مادته أو يشرحها بطريقته الخاصة، ويدوّن الطلبة ملاحظاتهم ويسألون الأسئلة، ويجيب عليها بنفسه أو من ينوب عنه عقب انتهاء الدرس، وقد تزداد أعداد الطلبة أو تقل بحسب شهرة المدرس أو تمكنه من المادة التي يقوم بتدريسها، وكانت هناك علاقات وطيدة بين المدرس وطلابه، وللطالب حرية اختيار الموضوع الذي يريد دراسته، وحرية التنقل من مدرسة لأخرى لجمع المعلومات على أكبر عدد من العلماء[١٨].

ووجد نوع آخر من التعليم وعرف بطريقة الملازمة، حيث يعيش الطالب ملازمًا لمدة طويلة لأستاذه حيث يكتسب فيها معظم تعليم أستاذه، وأحيانًا كان الطالب يدفع لاستاذه مبلغًا من المال نظير عمله، وأحيانًا يكون بمثابة تابع له يقوم بتنفيذ كل ما يطلب منه : من نسخ بعض المخطوطات، أو مساعدته في بعض شئونه، حتى يصبح هو نفسه عالمًا، وأحيانًا يقضي معظم عمره مع هذا الأستاذ، وقد يتزوج ابنته ويصبح خليفته، وكان في استطاعته أن يدرس على عديد من المدرسين، يتعلم اللغة من واحد، وحفظ القرآن الكريم من آخر، والحديث من ثالث. وبذلك لم يكن الطالب يخصص

(١٦) عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٥، ص٣٧٠، ٣٧١.

(١٧) تيسير وهابة، القدس في القرن التاسع عشر، ص٢٩٦.

(١٨) علي السيد علي، القدس في العصر المملوكي، ص١٦١.

نفسه لعلم واحد أو لفرع واحد من فروع المعرفة. ووجد أيضًا التخصص في بعض العلوم، أو قد تجذبه شخصية من الشخصيات، أو دراسة بعض الكتب، ومن الممكن له الحصول على عدة إجازات، والتي كانت تسمح له التدريس أو الإفتاء، أو تولي إحدى الوظائف الخاصة بأرباب الأقلام[١٩].

ولم تقتصر وظيفة المدرسة على الوظائف التعليمية فقط، بل أقيمت بها الشعائر الدينية فاتخذت كمساجد تقام فيها الصلوات المفروضة. وصلاة الجمعة والعيدين، واستخدمت كمساكن للطلبة والمدرسين، وقد جرت العادة أن يكون بها مدفن واقفها، حتى لو توفي بمدينة غير مدينته بيت المقدس، حتى يحظى بثواب قراءة القرآن والفاتحة على روحه من الطلبة والصوفية وكان ينص على ذلك في شرط الوقف.

أما المقررات الدراسية، فكان تدريس للفقه على المذهب التي أنشئت من أجله المدرسة، وتدريس الحديث النبوي الشريف، وتستمر الدراسة بصفة مستمرة، ويستثنى من ذلك العطلات الرسمية كالأعياد والمناسبات مثل السفر للحج.

واتصالاً بالتعليم، كان وجود المكتبات (الكُتبيات والخزائن) شائعًا في مدينة القدس، وهناك مكتبات كبيرة قد أوقفت على مدرسة معينة، أو على إحدى الزوايا، ومنهم من أوقفها على الذرية، على أن لا يتم التصرف بها إلا على حسب شروط الواقف، في محاولة للمحافظة عليها من الاندثار واستمرار النفع بها، وعادة ما تؤول هذه المكتبات إلى النفع العام، مثال ذلك: أوقف الشيخ محمد خليفة بن إبراهيم سنة ١٥٥١م مكتبة على نفسه وعلى أولاده، وتؤول كتبها بعد انقراض الذرية إلى المدرسة الأرغونية[٢٠]. والشيخ شهاب الدين أحمد بن مزيد، فقد وقف كتبه على نفسه ومن بعده على أولاده يقرأونها وينتفعون بها، وإذا انقرض الأولاد توقف على طلبة العلم بالقدس الشريف، ويكون مقرّها إذ ذاك خزانة الكتب للكائنة بالصخرة المشرفة، تحت يد الأمين عليها. ووقف القاضي طه بن صالح بن يحيى، قاضي القدس

(١٩) علي السيد علي، القدس في العصر المملوكي، ص١٦٣- ١٦٥.

(٢٠) المدرسة الأرغونية: من المدارس الحنفية بالقدس، تقع في باب الحديد مجاورة للمدرسة الخانونية، أوقفها الأشرف السيف أرغون الكاملي (ت ١٣٥٦م) ودفن بها واكتملت عمارتها بعد وفاته، وهي من المدارس التي استمرت في أداء دورها في العصر العثماني، وكانت أوقافها موجودة في طرابلس الشام، ويعرف مبنى المدرسة في الوقت الحاضر باسم دار الطفيلي، وهم يسكنون جزءا منها، أما إيوان المدرسة الشرقي فيضم ضريح الملك الحسين بن علي (انظر: شمس الدين محمد بن محمد بن شرف الدين الخليلي، تاريخ القدس والخليل عليه السلام، حققه وكتب مقدمته وحواشيه، ووضع فهارسه : محمد عدنان البخيت، نوفان رجالا، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن عام ٢٠٠٤، ص١٥٠).

والده، كتبه التي حصل بعضها بخطة والبعض الآخر بالشراء، ولوقفها على نفسه ثم ابنه فتح الله ثم على أولاده، واستثنى منهم من ليس لهم علاقة بالعلم، وإذا انقرض نسله تكون وقفًا على علماء المسلمين، سواء كانوا من أهل بيت المقدس أو من غيرهم لينتفعوا بها[٢١].

ومما يسترعي الانتباه أن الشيخ محمد امين أفندي، وقد أورث مكتبته لمعالمين للشيخ سليمان، والشيخ داود والدي الشيخ أبي الهدى الداوودي، على نفسه مدة حياته، ثم على ولديه ومن سيحدث من ولديه، ثم على أولاد أولادهم[٢٢]. وهناك المزيد من هذه المكتبات.

وتعتبر مكتبة الشيخ محمد بن محمد بن شرف الدين الخليلي، من أوائل المكتبات الكبيرة التي تم وقفها على طلبة العلم، ولمن يرغب في الإفادة منها. ويذكر المحققان محمد عدنان البخيت، نوفان رجا السوارنة : أنه مما يلفت الانتباه في هذه الوقفية، إنها بينت أمورًا جمة ذات دلالات حضارية، تاريخية وعلمية واقتصادية واجتماعية[٢٣]، ويبلغ عدد الكتب الموقوفة في مكتبة الشيخ محمد الخليلي ما يقرب من ٦٥٠ كتابًا : منها مصاحف شريفة، كتب التفسير، كتب الحديث الشريف، وكتب الفقه، وكتب الأصول، وكتب التوحيد والتصوف والقراءات، الفرائض وغير ذلك من العلوم الأخرى. وبما أن مكتبة الشيخ الخليلي قد تم وقفها على طلبة العلم، فقد حفز ذلك بعض العلماء، أو مقتني المخطوطات في فترات لاحقة، على إيداع ما لديهم أو ما يحوزونه من الكتب في هذه المكتبة، على شكل وقف أو هبة، حيث وقف مفتي الحنفية بالقدس الشريف محمد التلاقاني (ت١٧٧٨م) في ١٨ إبريل ١٧٧٢م، كتاب الغيث الهامع في شرح جمع الجوامع، أوقفه على طلبة العلم[٢٤].

وهناك أيضًا مكتبات تخص بعض العائلات الإسلامية، ومنها المكتبة الفخرية، ويملكها آل أبي السعود الذين قطنوا القدس منذ أكثر من سبعة قرون. ومكتبة آل البربري، ومكتبة آل المؤقت، أسسها الشيخ أحمد بن محمد الشهير بالمحدث، وهو مغربي الأصل من مراكش[٢٥].

وبعد أن تم التعرّض للمؤسسات التعليمية في القدس بمراحلها المختلفة، يجب الإشارة إلى الدور الأساسي الذي قامت به الأوقاف في هذا المجال، حتى استطاعت

---

(٢١) شمس الدين محمد بن محمد بن شرف الدين الخليلي، المرجع السابق، ص٣٠، ٣١.
(٢٢) محمد الخليلي، تاريخ القدس والخليل عليه السلام، ص٣٠، ٣١.
(٢٣) نفسه، ص٣٥- ٣٧؛ نيسير وقاية، المرجع السابق، ص٣٠٥.
(٢٤) محمد الخليلي، تاريخ القدس والخليل عليه السلام، ص٣٨، ٣٩.
(٢٥) محمد الخليلي، المرجع السابق، ص٣١.

تلك المؤسسات القيام بالحركة التعليمية والفكرية في مدينة القدس. إضافة إلى تأثيرها المباشر في الحياة الاجتماعية، وذلك من خلال اتفاقها على الهيئة التدريسية وطلبة العلم فيها، وعلى عدد من الأيتام والفقراء والمجاورين والعبّاد، لا سيما أن وظائفها المختلفة كان يشغلها أناس من أهل المدينة.

وقد قام السلطان صلاح الدين الأيوبي بعد فتحه مدينة القدس (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م)، بإجراءات هدف منها إلى تعزيز الهوية الإسلامية لمدينة القدس، وإعادة الهوية الدينية إليها لتستعيد مكانتها في قلوب المسلمين، ومن هنا كان إنشاؤه عددًا من المصالح الخيرية والعلمية التي استقطبت، مع مرور الزمن، مختلف الناس للقدوم إلى المدينة والإقامة فيها والمجاورة، نظرًا لما فيها من الأماكن المقدسة، وكان من بين هؤلاء القادمين نفر غير قليل من طلبة العلم، والعلماء والفقهاء ورجال الصوفية، وحث صلاح الدين على الإكثار من إنشاء هذه المؤسسات وتحبيس الأوقاف عليها، لتستمر في أداء المهام المطلوبة منها، وتبعه في ذلك سلاطين بني أيوب وأمراؤهم، وسلاطين دولة المماليك وأمراؤها فيما بعد.

وكان هناك ٦٢ وقفًا خيريًا وذريًا، أهليا حبس عدد غير قليل منها على المؤسسات ذات النفع العام كالمدارس والزوايا والربط والخانقاوات، التي أنشئت جميعها في الفترتين الأيوبية والمملوكية، واستمرت تلك المؤسسات بأداء دورها إلى أن خضعت المنطقة بأكملها للعثمانيين، الذين اهتموا بهذه الأوقاف وأولوها العناية الفائقة، وخاصة بعد أن قاموا من جديد بتحرير الأوقاف المحبوسة لها، وتسجيلها في دفاتر خاصة بالأوقاف. ويذكر كل من محمد البخيت، ونوفان السوارنة دفتر [T. D. 31] خير دليل على هذه المدارس، وبلغ عددها في مدينة القدس ٢١ مدرسة، يضاف إليها خانقاه واحدة وزاوية واحدة ورباط واحد، كان لها دور مكمل لما قامت به المدارس، هذا مع العلم أن عدد المدارس التي كانت تذكر في المصادر المعاصرة كسجلات محكمة القدس الشرعية، أكثر من ذلك بكثير[٢٦].

ويأتي الإنفاق على المدارس والزوايا والأربطة والخانقاوات، من خلال ريع الأوقاف التي حبست عليها، سواء كانت قرى بكاملها أو حصصاً منها، أو مزارع، أو قطع أراض، أو عقارات. وانتشرت أوقاف بعضها في مناطق واسعة، لذا اختلف الإنفاق من مؤسسة لأخرى حسب دخل جهات الوقف المرصودة عليها، وعلى مقدار الريع المتحصل منها، أو على حسب ميزانية كل مؤسسة. وبطبيعة الحال عكس هذا الانفاق وضع المدرسة أو الزاوية أو الرباط، من حيث إدامة عينها بالإعمار والترميم المستمر لها، والإنفاق على كافة الوظائف والخدمات التي تقدمها المدرسة. وكان

---

(٢٦) محمد عدنان البخيت، نوفان رجا السوارنة : لواء القدس الشريف، من دفتر تحرير [T. D] (٩٣٢/ ١٥٢٥م- ٩٣٨هـ/ ١٥٣١- ١٥٣٢م).

يقابل أثر المدرسة أو الزاوية أو الرباط بقدر ما تحدثه خدماتها من نفقه نوعيه فـي المجتمع من خلال وظائفها المتعددة.

والمدقق فى وقف المدارس يلاحظ أن الخدمات التى تقدمها هـذه المؤسسات كانت متنوعة، واستقطبت أعدادًا لا بأس بها من أهالى القدس، وأن الـذى يـتحكم باتساع تلك الوظائف أو تقليصها هو دخل المدرسة، واختلفت تبعًـا لـذلك المرواتـب المدفوعة لنفس الوظيفة من مدرسة لأخرى.

ويوضح الجدول الآتى المقارنة بين رواتب وظائف متـشابهة فـى عـدد مـن المدارس[٢٧]:

الوظيفة	مدرسة الحكيمة	مدرسة الطيبونية	مدرسة الفارسية	مدرسة الدكدرية	مدرسة مرهرية	مدرسة منجكية	مدرسة صلاحية	مدرسة قيمازية
المشيخة			٩٨٠	٢٤٠	٢٠٠	١٥٠		٥٠٠
المدرس	ريع المحصل						٣٦٧٤٠	
الناظر	ريع المحاصل				٣٢٠	٥٠٠		٣٠٠٠
المقرئ		٢١٠	١٩٥			٢١٠٤٠		٢٢٥
البواب		٦٠	١٨٠	١٩٠	١٥٠	١٠،١٢٠ رطل خبز	٣٦٥	
الفراش		١٠			١٠٠	١٥٠٠خبز وفراش	٢٥	
الخطا		٦٠		٢١٠		٢١٠		١٠٠
الإمام				٣٩٠		٢٢٠	١٠٠	٢٢٥
المؤذن							١٢٠٠	
السواق				١٩٠	٧٠			
نظر								

وكانت ميزانيات بعض المدارس تتعرض إلى العجز، نتيجة الإنفاق المفرط على وظائفها وخدماتها، ولا تتوافر المعلومات عن كيفية تعامل المدارس مع هـذا العجـز. وكان بعض المتولين أو النظار، على هذه المدارس وعلى أوقافهـا، قـد يتجـاوزون أحيانًا الشروط التى حددها الواقف فى وقفه، وخاصة عندما تتعـرض بعـض جهـات

(٢٧) محمد عدنان البخيت، نوفان رجالا السوارنة : لواء القدس الشريف، جـ٢، ص١١٩.

الوقف إلى الخراب، وتكون بحاجة إلى إعمار، أو أن يكون حاصل قرية ما قـد تـأثر بفعل العوامل الطبيعية من الجفاف أو غزوات الجراد وما إلى ذلك، أو بسبب الفوضـى واضطراب الأمن، فعلى سبيل المثال : كانت العقارات الواقعة فى وقف ربـاط عـلاء الدين البصير سبعة بيوت، بيتان منها كانا فى حالة خراب، إضـافة إلى خـراب الخـان الواقع فى محلة باب النظر، وكذلك الحانوت الواقع بجوار الخان والحويض فى محلـة باب النظر، ومع ذلك فإن المطالع لمداخيل هذه المؤسسات يجد أن معظمهـا، عـلاوة على ما أنفقته كان يحقق بعض الوفر.

وقد نبه عدد من أصحاب الوقفيات، فى وقفياتهم، إلى حدوث النقص والزيـادة فى ريع الوقف، فدعوا ناظر الوقف أو متوليه إلى مراعاة ذلك عند الإنفاق من ميزانية الوقف. فعلى سبيل المثال : شرط واقف المدرسة الصلاحية بأن يراعى الشخص الذى يتولى نظارتها الزيادة والنقصان عند الصرف حسب حاصل الوقف. وجاء عند صـرف مرتبات الفقهاء الشرط الآتى: "يدفع لهم حسب شرط الواقف على ضوء ريع الوقـف"، ومثل هذا الشرط جاء فى مصرف المدرسة الفنارية[٢٨]، حيث شرط الواقـف أن يـتم الانفاق على ضوء دخل المدرسة.

والجدول التالى يبين ميزانية المؤسسات الوقفية والإنفاق منها مع بيان الـوفر أو العجز[٢٩].

والهدف الأساسى من إنشاء المدارس فى مدينة القدس هـو : إعـادة الهويـة العربية الإسلامية إليها وتعزيز مكانتها فى قلوب المسلمين، وإحداث نوع من النـشاط العلمى والثقافى يسمح للقدس بأن تصبح مركز استقطاب للعلماء ولطلبة العلـم، مـن مختلف أرجاء العالم الإسلامى. ومن البديهى أن يكون الاهتمام منصبًا بالدرجة الأولى فى هذه المدارس على إحياء الوعى الدينى، نظرًا لطبيعة المرحلة التـى مـرت بهـا القدس أثناء احتلال الفرنجة لها. وجاءت معظم المـدارس متـشابهة فـى مناهجهـا التعليمية، وهو غلبة الطابع الدينى عليها، وهذا خير تعبير عن مناهجها فى العهـدين الأيوبى والمملوكى، وشمل المنهاج تدريس للعلوم الدينية مثل: قراءة القرآن الكـريم وتدريسه، والحديث الشريف قراءة وتدريسًا، وتعليم الفقه علـى المـذاهب الأربعـة،

(٢٨) المدرسة الفنارية: وقفها محمد شاه بن الفنرى، ونسبت إليه ونسبت الفنرية، وكانـت هذه المدرسة قائمة فى أوائل السيطرة العثمانيـة (١٥٢٩) (القطـر، عـارف العـارف، المفصل فى تاريخ القدس، ص٣٩٥).

(٢٩) محمد عدنان البخيت، نوفان رجالا السوارنة : لواء القدس الشريف، جـ٢، ص ١٢٠، ١٢١.

والتصوف، واللغة العربية وعلومها، ولم تحظ باقي العلوم بالاهتمام اللازم. واحصرت علوم القرآن الكريم (المصحف) في المدارس التالية :

المدرسة	الميزانية	الإنفاق	الفائض (العوز)	العجز	ملاحظات
العظيمة	٦٤٠٠	٦٤٠٠			وجدت عقارات لم يدوّن ريعها
شاه خاتون	؟	؟	؟		
الخاتونية	٢٠٠	٥٠	١٥٠		
الطيلونية	٨٥٠	٥٧٠	٢٧٠		الفائض لعمارة المدرسة
المزهرية	٧٥٠	١٥٠٠		٧٥٠	فقط الإيراد من قرية بيت سلحور (١٢ط).
الحسينية	١٢٥٥٧	٤١٠			حصة المدرسة من قرية خصيرة/ نابلس لم تحدد الباقي يخصص بشكل عيني (خبز وزيت).
المنجكية	٧٣٨٢	١٠٢٥٠		٢٨٦٠	لم يدون ريع حمام سقط (١٩ط. تربعة الحمامين من ط.
التنكزية	٤٣٠٦	١٢٤٦٠		١٥٤	إضافة إلى المخصصات العينية من الخبز والصابون
الصلاحية	٢٢٨٥٥	١٢٤٩٠	١٠٦٤٥		
البلسطية	٨٠٠	؟	؟		
القناوية					
الزاوية القناوية	٣٥٠				
الشيخونية	٣٠٠٠				
الزمنية	٦٠٦١.٥				
وقف ابن مزهر	١٤٠٠			٣٠٦	
العيمونية				٢٣٤٠	

المالكية	٥٠٠			٦٤٦	
الفينيانية	١٢٤٦٠	٢٩١١.٥	١٠١٢٠		في الشهر الواحد

للمدرسة الطيلونية[٣٠]، ويها [٦] مقرئين راتب الواحد منهم في السنة ٣٦٠ أقجة[٣١] سنويًا. والمدرسة الفخرية[٣٢]، كان بها من يقرأ آية الكرسي وكان مرتبه ٢٤٠ أقجة سنويًا. وكان يقام في المدرسة الحسينية حلقات لتعليم القرآن الكريم، وكان في المدرسة المنجكية[٣٣] ٣ أنفار يقرأون القرآن الكريم، بلغت مرتباتهم السنوية ٣١٢٠ أقجة. أما المدرسة الفينيانية في مدينة القدس، وكان بها من يقرأ القرآن الكريم ومرتبه ٣٢,٥ أقجة في الشهر إضافة إلى مقرئي أجزاء القرآن الكريم الذين يتقاضى الواحد منهم ١٠ أقجات شهريًا، وفي المدرسة الفارسية[٣٤] وجد ٩

---

(٣٠) المدرسة الطيلونية: أنشأها شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد الطولوني في زمن الملك الظاهر برقوق على يد مملوكه (أقبغا عام ١٣٩٧م). (انظر عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص٣٩٣، ٣٩٤.) محمد عدنان البخيت، توفا رجالا للسوارنة، المرجع السابق، جـ٢، ص١٢٢.

(٣١) الأقجة: [أقشا] كلمة تركية معناها الضارب أو الضاربة إلى البياض، وهي نقد صغير تركي عرف في مصر وكذلك في العراق، وبلاد اليونانية أسبرون Aspron وبالفرنسية أسبر Aspre، وكان سعرها عند ظهورها نحوا من ٢٢ سنتيما، ثم هبط إلى أدنى من ذلك بكثير. وبدأ ضرب هذا النقد في عهد أورخان. (انظر: الأب انستاس الكرملي. النقود العربية والإسلامية وعلم النميات، مكتبة الثقافة الدينية الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٨٧، ص٢٠٦، ٢٠٧).

(٣٢) المدرسة الفخرية: وقفها القاضي فخر الدين أبو عبدالله بن فضل الله ناظر الجيوش الإسلامية (ت ١٣٣١م) كانت في القرن العاشر الهجري مدرسة. وتقع المدرسة الفخرية (الخانقاه) بجانب باب المغاربة (انظر، عارف العارف. المفصل في تاريخ القدس، ص٣٨١).

(٣٣) المدرسة المنجكية: تقع في باب النظر، أنشأها الأمير سيف الدين منجك عام ٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م. وسميت باسمه. وكان بها أملاك موقوفه (انظر عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس ص٣٨٩). وقد تهدم ضلع كبير من هذه المدرسة في أواخر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي وفي سنة ١٥٥٠م تم ترميمها بكلفة بلغت ١٦٧٦ أقجة (انظر، محمد عدنان البخيت، توفان رجالا للسوارنة، لواء القدس الشريف، جـ١، ص٣٠٦).

(٣٤) المدرسة الفارسية: بين الأمينية من الشرق والمنجكية من الغرب. وأوقفها الأمير فارس البكي بن الأمير قطلو ملك بن عبدالله نائب السلطنة والجبلية ونائب غزة. جانبا

انفار يقرأون القرآن الكريم، بلغت مرتباتهم السنوية ١٣٢٠ أقجة، وكان وقف ابن مزهر يبلغ ربعة ١٤٠٠ أقجة، وقفه على قراءة القرآن العظيم في كل يوم بعد صلاتي الظهر والمغرب. ولا تنسى الدور الكبير الذي أداه المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة في هذا المجال، حيث كانت تعقد حلقات الدرس والذكر في المسجدين، فعلى سبيل المثال : بلغ عدد قراء القرآن الكريم في المسجد الأقصى، سنة ١٠١٠هـ/ ١٦٠١م، ٧٣ مقرئا، وبلغ عدد قارئات المحبسة للقراء ١٥ ربعة. وكان يشرف على القراء شيخهم الذي يعينه قاضي القدس الشريف مقابل أقجتين يوميا وغرارة من الحنطة سنويا. وكان مدرسو الحديث الشريف من أبناء بيت المقدس من العناصر المقدسية والرومية، وتولى العلماء المقادسة تدريس الفقه على المذاهب الأربعة، وكان المدرسون يعينون بأوامر سلطانية.

وكان التركيز منصبا على قراءة القرآن الكريم، ولم ترد إشارة إلى تعليم القرآن الكريم، إلا في وقف واحد هو وقف المدرسة الحسينية، ولكن يفترض تعليمه وتعلمه، لأن ذلك أحد الوظائف الأساسية لهذه المدارس، وهناك وظائف ارتبطت بقراءة القرآن الكريم أبرزتها هذه الوقفيات مثل: شيخ المصحف، مقرئ آية الكرسي، وموزع الأجزاء.

أما قراءة الحديث النبوي الشريف وتدريسه، فانحصرا تدريسا وقراءة في المدرسة التنكزية التي كانت تضم : مشيخة للحديث وعددا من شيوخه ومقرئين للحديث كان من بينهم مقرئة، وكانت مرتباتهم نقدية وعينية. وكانت تتم في المدرسة القيتباية قراءة الحديث النبوي، وكان مرتب المقرئ الشهري ٣٢,٥ أقجة.

واقتصرت المدارس التي كانت تدرس الفقه على مدرستين هما: المدرسة التنكزية[٣٥] والمدرسة الصلاحية، ولكن دون إعطاء تفصيلات حول عدد المدرسين وعدد الطلاب، وكانت المدرسة التنكزية تقوم بتدريس الفقه لطلبتها حسب تدرجهم في طلبه، أي على ثلاث مراحل، ويبين الجدول التالي مراحل تدريس الفقه في المدرسة التنكزية، والوظائف التعليمية الأخرى في المدرسة، ومقدار الإنفاق عليها نقدا وعينا على الوجه التالي[٣٦]:-

---

من قرية طولكرم - عام ١٣٥٤م (انظر، عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص٣٨٥).

(٣٥) المدرسة التنكزية: أنشأها الأمير تنكز الناصري، والذي كان نائب السلطنة المصرية بالشام ١٣٢٨م، وتقع عند باب الحرم المعروف بباب السلسلة وموقوفة باسمه (انظر، عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص٣٨٢، ٣٨٣).

(٣٦) محمد عدنان البخيت، نوفان رجا الصوارنة، المرجع السابق، جـ٢، ص١٢٣.

المدرس	٦٠ درهما فضيا كل شهر	و(١) رطل خبز كل يوم
المعيد	٣٠ درهما فضيا كل شهر	و(٢) رطل خبز كل يوم
الفقيه المنتهي (في السنة النهائية)	٢٠ درهما فضيا كل شهر	و(٢/ ٣) رطل خبز كل يوم
الفقيه المتوسط	١٥ درهما فضيا كل شهر	و(٠,٠٠٥) رطل خبز كل يوم
الفقيه المبتدئ	١٠ دراهم فضة كل شهر	و(٠,٠٠٥) رطل خبز كل يوم
شيخ المحدثين	٤٠ درهما فضيا كل شهر	و(١) رطل خبز كل يوم
قارئ الحديث	٢٠ درهما فضيا كل شهر	و(٠,٠٠٥) رطل خبز كل يوم
المحدث	٧,٥ درهم فضيا كل شهر	و(٠,٠٠٥) رطل خبز كل يوم
شيخ الصوفية	٦٠ درهما فضيا كل شهر	$\frac{1}{3}$ رطل زيت $\frac{1}{3}$ ورطل صابون ورطل خبز
الصوفي	١٠ دراهم فضية كل شهر	$\frac{1}{6}$ رطل زيت وسدس رطل صابون وكل صوفي من الصوفية رطل خبز يوميا

واهتمت بعض المدارس بتعليم الطلبة، وبخاصة الأيتام والمساكين منهم، ووفرت لهم الرعاية اللازمة، وأحضرت من يقوم على تعليمهم، كما في المدرسة العظمية الحنفية التي كانت تنفق نصف دخلها السنوي على الطلبة والمباشرين، والمدرسة الحسونية التي سكنها عدد من الفقراء ووفرت لكل منهم ٤٠ رطل خبز في السنة، وخصصت لكل يتيم من أيتام القدس ربع رطل خبز، ونقدية مقدارها ٧ أقجات في الشهر. وكان المؤذن يحصل في السنة على ٣٠ رطل خبز. أما الأيتام والمساكين في المدرسة المنجكية فقدرت مخصصاتهم السنوية بـ ٧٢٠ أقجة.

وتبين وقفيات المدارس أن حركة التصوف كانت نشطة في بيت المقدس، وهي استمرار للنشاط الصوفي الذي بدأ مع تحرير صلاح الدين للمدينة، وكان هذا من ضمن الإجراءات التي قام بها صلاح الدين، التي هدف منها إلى تشجيع هذه الفئة من الناس للرحيل إلى مدينة القدس والإقامة بها، خاصة بعد أن أقام عدة منشآت خصصها

لأصحاب الطرق الصوفية، وأوقف وحبس عليها العديد من الأوقاف لتوفير سبل الراحة لهم، وإفساح المجال أمامهم لممارسة شعائرهم الدينية المختلفة، وتشجيع غيرهم على القدوم إلى القدس والإقامة فيها.

وفيما يلي جدول بالجماعات الصوفية والجماعات الأخرى التي أوت إلى المقدس ومقدار ما كان ينفق عليها حسب ما أوردته وقفيات المدارس[٣٧].

المدرسة	الصوفية/ عدد	المصروف السنوي
المدرسة الفخرية	١٥	٢٤٠٠ نقدًا
رباط علاء الدين	فقراء ومجاورين وغرباء	٣٠٤٠
المزهرية	١٠	٧٠٠
الحسينية	١٥ + فقراء ومسلكين	٦٠ ٤٠ رطل خبز
الفتكزية	عُبّاد شيخ الصوفية ١٥	٢٦٠ ٦٠ ٧٢٠ ٩٠٠ ١٨٠٠ ٣٠٠ رطل خبز ٣ أرطال صابون
	مشيخات للصوفيات (١٠) صوفيات زوجات القراء العشر معلمية	٢٠٠ نقدًا ١٦٠ رطل خبز ربع ثلث رطل في اليوم ٩٠٠ ١٢٠٠ رطل خبز ١٢٠ ١٨٠ رطل خبز
القيتبانية	٣	١٠٠٠

وقد وفرت أوقاف المدارس وغيرها من الأوقاف الكثير من الوظائف: دينية، وعلمية وإدارية ومالية، إضافة إلى وظائف خدمية أخرى، ومن الوظائف الإدارية والمالية والدينية[٣٨]، وهي على النحو التالي:-

١- شيخ المدرسة :

(٣٧) محمد عدنان البخيت، نوفان رجالا السوارنة، لواء القدس الشريف، ص١٢٤، ١٢٥.

(٣٨) نفسه، من دفتر تحرير [T. O. 131] (٩٢٣- ١٥٢٥م/ ٩٣٨هـ/ ١٥٣١ - ١٥٣٢م)، دراسة تحليلية للنص العثماني وترجمته إلى العربية، مع الشروحات الإيضاحية، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، عمان ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، جـ٢، ص١٢٥، ١٢٦.

يعتبر الشيخ صاحب أكبر رتبة علمية في المدرسة، والأستاذ في تخصصه ويحق لشيخ المدرسة أن يدرس في أكثر من مدرسة، مما أدى إلى شراء بعضهم وأحيانا تقترن وظيفة المشيخة، مع النظارة (نظارة وقف المدرسة)، كما في الخانقاه الصلاحية، وكان مرتب وظيفة المشيخة في الخانقاه الصلاحية ٣٢٠٠ أقجة في السنة[٣٩]. وكان مرتبها في المدرسة الفارسية ٩٨٠ أقجة في السنة، أما في حالة المدرسة الفخرية، فكان مرتب المشيخة ٧٢٠٠ أقجة سنويًا وكان راتب المشيخة في المدرسة المزهرية ٣٠٠ أقجة في السنة[٤٠].

وجمعت الإمامة أحيانًا إلى وظيفة المشيخة كما في المدرسة الحسينية[٤١]، وبلغ مرتب هذه الوظيفة ١٨٠ أقجة في السنة[٤٢]. وكان في المدرسة التنكزية ثلاثة شيوخ أحدهم شيخ الحديث، والآخر شيخ الصوفية، والثالث مشيخة النساء، وكانت مخصصات هذه الوظيفة على التوالي ١٨٠٠ نقدًا و ٣٣٠٠ رطل خبز في السنة الأولى و ٧٢٠ أقجة، ٩٠٠ رطل خبز في السنة الثانية، و ٢٠٠ أقجة و ١٦٠ رطل خبز[٤٣]، ولا يعرف سبب لانخفاض المرتبات النقدية والعينية وربما يرجع ذلك لوصية الواقف.

٢- المدرس :

ويلي المدرس الشيخ في الرتبة ويقوم بالتدريس، وكان يدقق في اختيار المدرس الذي سيقوم بالتدريس، لأنه يعتبر أستاذ المادة، ويفوق مركز المدرسة، ولأن الطلاب كانوا يرتحلون إليه بالذات لبتما حل، ويحصلون منه على الإجازات العلمية، وبشترط أن يكون أفقه الفقهاء في مذهبه. وقد يكون نفسه هو الناظر على المدرسة، وحددت اختصاصاته في الإشراف على المدرسة والأوقاف المحبوسة عليها وعلى حساباتها، وعليه تنفيذ وصية الواقف، ويعاونه المعيد حيث كان يكلف بإعادة الشرح للطلبة، لكي يزدادوا فهمًا، ويحسن الشرح لهم، ويحضّر الدروس التي يكلفه بها المدرس ليقرأها على الطلبة أثناء الدرس، وكان بعض المعيدين على درجة كبيرة من

(٣٩) محمد عدنان البخيت، نوفان رجالا السوارنة، لواء القدس الشريف، جـ٢، ص١٢٦.

(٤٠) محمد عدنان البخيت، نوفان رجالا السوارنة، لواء القدس الشريف، جـ٢، ص١٢٥.

(٤١) المدرسة الحسينية: على يلب الأسباط، وهي آخر المدارس هناك، ويقال إنها وقف شاهين الحسيني (انظر، عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص٣٨٩.

(٤٢) محمد عدنان البخيت، نوفان رجالا السوارنة، لواء القدس الشريف، جـ٢، ص١٢٦.

(٤٣) نفسه، ، ص٢٥

والرطل: هو اثنا عشرة أوقية، كل أوقية ١٢ درهمًا = ١٤٤ درهمًا = ٤٥٠ جم، وكان يدعى بالرطل اللطفي – وكانت توزن به التوابل والبضائع الثمينة على وجه الخصوص (انظر، فالترهنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمه عن الألمانية كامل العسيلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان ١٩٧٠، ص٣٢.

العلم [٤٤]. وكان يتقاضى راتبًا سنويًا مقداره ٢٤٠ أقجة ، كما في المدرسة الفارسية[٤٥].

٣- الإمام :

كما هو معروف وظيفة الإمامة في الصلاة، وكان راتبه في الخانقاه الصلاحية ٧٤٠ أقجة في السنة، وفي المدرسة الفخرية كان راتبه ٣٦٠ أقجة في السنة وفي المدرسة المنجكية كان راتبه ٢٢٠ أقجة في السنة، وفي المدرسة الصلاحية كان راتبه ٦٠٠ أقجة في السنة وغالبا ما يكون الأئمة من أبناء القدس[٤٦].

٤- المؤذن :

وجد في المدرسة الصلاحية مؤذنون بلغ مجمل الراتب السنوي ٥٠٠ أقجة، لكل منهم بينما بلغ راتب المؤذن في الخانقاه الصلاحية ٩٠٠ أقجة في السنة[٤٧].

٥- ناظر وقف المدرسة :

وهو المشرف العام على الوقف، ومهمته كمهمة المتولي الإشراف على الوقف، والإنفاق منه على الوظائف المختلفة، ومراقبة وضع الأبنية وصيانتها. وكان على الناظر أن يعد كشفًا (دفترا) سنويًا بحسابات الوقف ومصروفاته، ومراقبة عمل الموظفين. وكان راتب الناظر في وقف المدرسة المعظمية الحنفية[٤٨]، ربع المتحصل في السنة، وكان راتب ناظر وقف المدرسة الخاتونية[٤٩] ٥٠ أقجة في السنة، وراتب الناظر في وقف المدرسة الفخرية ٣٢٠ أقجة في السنة، وراتب الناظر في وقف رباط

---

(٤٤) علي السيد علي، القدس في العصر المملوكي، ص١٦٥.
(٤٥) محمد عدنان البخيت، نوفان رجالا السوارنة، لواء القدس الشريف، جـ٢، ص١٢٤.
(٤٦) محمد عدنان البخيت، نوفان رجالا السوارنة، لواء القدس، جـ٢، ص١٢٦.
(٤٧) نفسه، جـ٢، ص١٢٦.
(٤٨) مدرسة المعظمية: وقف الملك المعظم شمس الدين عيسى بن أبي بكر بن أيوب شاذي (ت ١٢٢٦م)، وهي مقابل باب شرف الأنبياء، المعروف بباب الدويدارية، تاريخ وقفها سنة ١٢٦١م: وقد حبست عليها جهات كثيرة، وكان اختصاص المدرسة بالفقه الحنفي (انظر، محمد عدنان البخيت، نوفان رجالا السوارنة، لواء القدس الشريف، جـ١، ص٢٧٠).
(٤٩) المدرسة الخاتونية: بباب الحديد غربي الحرم، وإلى الشمال من باب القطانين، وقفية قبلي المدرسة الأرغوتية وأوقفتها : أخل خاتون بنت شمس الدين محمد بن سيف الدين الفزاقية البغدادية وكان ذلك في ٢٩ إبريل ١٣٥٤م. ووقفت عليها مزرعة ظهر الجمل. (انظر، عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص٣٩١).

علاء الدين ١٠٠٠ أقجة في السنة، بينما بلغ راتب الناظر في المدرسة المنجكية ٥٠٠ أقجة في السنة[٥٠].

٦- المتولي :

يقوم أحيانًا مقام الناظر في الإشراف على شئون الوقف وتأتي سلطات المتولي في المرتبة الأولى كالناظر مع التشابه الواضح بين مهام الاثنين ومن واجبات المتولي إعمار الوقف واستثمار فائض أمواله ومتابعة قضايا الوقف وإعداد الحسابات السنوية[٥١].

٧- المباشر :

وكانت مهمته ضبط أصول الوقف وعمارته ووجوه الإنفاق. وكان راتب المباشر في وقف السلطان قايتباي على مدرسته بالقدس ٢٤٠ أقجة سنويًا[٥٢].

٨- الشاهد :

وظيفته رقابية، وهي أن يكون الشاهد رقيبًا على أحوال الوقف وموظفيه، وكانت وظيفة شاهد الحساب من الوظائف المعروفة في الأوقاف، وكان راتبه في السنة ١٥٠ أقجة. وهناك شهود مراقبون على وقف الخانقاه الصلاحية، وكان مرتب هذه الوظيفة في السنة ٢٨٠ أقجة سنويًا، ووجدوا كذلك في وقف المدرسة الفخرية، وكان راتب الوظيفة السنوي ٥٤٠ أقجة، ومنها شهود البوابة وراتب الواحد منهم ٢٤٦ أقجة سنويًا، كما وجدت وظيفة شهود المرمات في وقف رباط علاء الدين البصير، ووظيفتهم مراقبة الترميم الذي يجريه العمال والمعمار لبناء الرباط، وكان راتب الوظيفة ١٢٠ أقجة سنويًا. وجاءت هذه الوظيفة في وقف المدرسة الحسينية، وكان راتب صاحبها ١٥ رطل خبز في كل شهر، ومثل هذه الوظيفة كانت في وقف المدرسة المنجكية، وكان راتب شاغلها السنوي ١٤٤٠ أقجة[٥٣].

٩- الجابي (الجباية) :

وكان صاحبها يتقاضى ١٥٠ أقجة في السنة في المدرسة المنجكية، وكان الجابي في وقف المدرسة الصلاحية يتقاضى مرتبًا شهريًا قدره ١٠٠ أقجة شهريا أي في السنة ١٢٠٠ أقجة. وقد يكون في الوقف الواحد، إذا كان واسع الانتشار، أكثر من

---

(٥٠) محمد عدنان البخيت، نوفان رجالا السوارنة، لواء القدس الشريف، جـ٢، ص١٢٦.
(٥١) محمد عدنان البخيت، نوفان رجالا السوارنة، لواء القدس الشريف، جـ٢، ص١٢٦.
(٥٢) نفسه، ص١٢٧.
(٥٣) نفسه، ص١٢٧.

جاب، وتعتبر وظيفة الجابي من أهم وظائف المهام المالية للموقف، وهو يختص بتحصيل ريع الوقف ومحاصيله وغلاله.

وكان هناك موظف آخر يسمى المستوفي، كانت مهمته تدقيق جميع العمليات الحسابية الخاصة بوقف الخانقاه الصلاحية، وكان راتبه السنوي ٢٠٠ أقجة[٩٤].

١٠- المشد :

ويذكر أحيانًا باسم المشد وهو المفتش، ومن صفات صاحبها الشدة والحزم، ويرتبط صاحب هذه الوظيفة ارتباطًا وثيقًا بالجابي، إذ يعتبر مساعدًا للجابي، ويسافر نيابة عنه في الكشف على مصالح الوقف وتحصيل حاصلاته. ولم تقتصر مهام المشد على النواحي المالية فحسب بل أسندت إليه مهام رقابية أخرى. وهناك وظيفة مشد العمار في المدرسة الفخرية، وكان الراتب السنوي لمن يشغلها ١٢٠ أقجة، ووظيفة أخرى يقوم بها المشد وهي الإشراف على إنتاج الخبز وتوزيعه، وهي وظيفة مشد الخبز، ومن مهامه أيضًا مراقبة حمالي الخبز. وكان مرتب مشد الخبز ١٨٠ أقجة في السنة[٩٥].

١١- أمين المخزن (الجرابة، المؤونة) :

يُفترض وجود هذه الوظيفة في أكثر من مؤسسة وقفية في لواء القدس؛ لأن عددًا من الأوقاف يحتفظ بحصة من ريع أوقافها في صورة مواد عينية، أي على شكل غلال وحبوب وزيت وصابون، سواء لتقديمها في صورة جراية (أي راتب عيني) للعاملين فيها، أو تذهب على شكل خدمات أخرى للوقف، وذلك يتطلب من ناظر الوقف، أو المتولي، أن يحفظه في مخازن خاصة بالوقف، وأطلق على من يتولى تخزين هذه المواد في المخزن اسم أمين المخزن، ومهمته المحافظة على مخزن الغلة (أنبار دار) ويضبط ما يحمل إليه من الحبوب وآلات الطعام، ويخرج ذلك في أوقات إخراجه للاستعمال.

ومع تعدد مؤسسات الوقف، كالمساجد والمدارس والزوايا والتكايا والأسبلة وغيرها، وما كان يحبس عليها كالعقارات والدكاكين والبيوت والحمامات وغيرها - كان لابد لها من ترميم وتعمير وصيانة فنية بعد الكشف عليها؛ لذا لابد من وجود جهاز فني يشرف على ذلك، ووجد عدد من العمال الفنيين الذين كانت لهم علاقة بذلك، كمشد للعمار، والمعمار (المهندس) وشهود العمارة، والمرمماتي والوقاد

---

(٩٤) محمد عدنان البخيت، نوفان رجا العوارنة، لواء القدس الشريف، جـ٢، ص١٢٧.
(٩٥) نفسه، ص١٢٧، ١٢٨.

(القنديلجي، الشعال) وغيرهم ممن كانوا يتناولون مرتباتهم من ريع الوقف. وكان وجود الفواسين (الخضراء) لحماية مقتنيات الوقف، ويبدو أن هذه الوظيفة كانت معروفة، وكان مرتب هذه الوظيفة مرتفعًا، هذا ما ظهر من راتب الفواس، وقد يكون هذا الراتب لأكثر من فواس، إذ إن الراتب السنوي المخصص لهم كان ٣٨٤٠٠ أقجة سنويًا، ويتقاضى الفواس رطلين من الخبز عن كل يوم[٩٦].

١٢- المؤقت (الميقاتي) :

هو الذي يحدد وقت الصلاة، وصاحب هذه الوظيفة كان يتقاضى راتبًا سنويًا مقداره ١٢٠ أقجة[٩٧].

١٣- القيم (الفراش) :

وظيفته فرش المدرسة والمسجد بالحصر والبسط، وتنظيف ذلك جميعه وكنسه، وإيقاد المصابيح وإطفاؤها، وينوب على باب المدرسة، ومن مهامه غسل المطهرة وتنظيفها، ويتولى أحيانًا إحضار الربعة الشريفة. ويختلف راتب الفراش بين مدرسة وأخرى، ففي حين بلغ راتب هذه الوظيفة في المدرسة الصلاحية ٧٥ أقجة في السنة، بلغ في وقف المدرسة القيتبائية في القدس ٦٠ أقجة شهريًا[٩٨].

١٤- مفرق الأجزاء :

يقوم بتفريق أجزاء القرآن الكريم على جماعة القراء ثم يقوم برفعها، وجدت مثل هذه الوظيفة في المدرسة القيتبائية، وكان راتب شاغلها ١٠ أقجات شهريًا[٩٩].

١٥- البواب :

وظيفته موجودة في معظم أوقاف المدارس، وكان على البواب ملازمة الباب ليل نهار، ويفتحه ويغلقه في الأوقات التي جرت العادة بها، وكان راتب البواب في رباط علاء الدين البصير ٢٩٠ أقجة في السنة، بينما كان راتب هذه الوظيفة في وقف المدرسة المزهرية ١٥٠ أقجة في السنة، وبلغ راتب البواب في المدرسة العثمانية ٢٦٠ أقجة في السنة[١٠٠].

---

(٩٦) محمد عدنان البخيت، نوفان رجا العوارنة، لواء القدس الشريف، جـ٢، ص١٢٨، ١٢٩.
(٩٧) نفسه، ص١٢٩.
(٩٨) نفسه، ص١٢٩.
(٩٩) نفسه، ص١٢٩.
(١٠٠) نفسه، ص١٢٩.

١٦- السقا:

كان الماء ولازال عنصرًا مهمًا في المدارس والمساجد؛ من أجل الشرب والوضوء وغسل المكان. وترد الإشارة إلى السقاية في عدد من المدارس، ومهمة السقا جلب الماء من الصهاريج في مدينة القدس إلى المدارس والزوايا. وكان السقا في وقف المدرسة القيتبلاية يتقاضى راتبًا قدره ١٦٠ أقجة، وفي المدرسة المنجكية كانت مخصصات السقا السنوية ١٨٠ أقجة، وارتفعت مخصصات هذه الوظيفة في المدرسة الفخرية حيث تقاضى السقا راتبًا سنويًا قدره ٣٦٠ أقجة.

وكان اهتمام الواقف منصبًا على توفير الماء لمدرسته، وبخاصة ضمان وصوله للحمامات المجاورة للمدرسة، ولبيت الطهارة الملحق بمسجد المدرسة، وكذلك إيصال الماء إلى البركة التي تتوسط المدرسة [٦٠].

وقد تضافرت جهود مجموعة من الوظائف على توفير الخدمات الأساسية للمدرسة وجوارها، وذلك عن طريق وجود خدام للمدارس وللمتوضأ، ومجرى للماء في حمام المدرسة الفخرية، وفرش المدارس والمسجد الملحق بها بالحصر، وإنارة المدارس، وذلك بإشعال القناديل، وتوفير مادة الزيت اللازمة لذلك.

من هنا يستطيع الباحث أن يتبين الدور الكبير الذي أدته هذه المدارس، في المجالات الدينية والاجتماعية والاقتصادية، بمدينة بيت المقدس وجوارها[٦١].

هكذا ألقت الدراسة الضوء على المؤسسات التعليمية بكافة مراحلها، بدءًا من التعليم الابتدائي حتى التعليم العالي، في عهد الأتراك العثمانيين. واستمر هذا الوضع حتى خضعت الشام (١٨٣١- ١٨٤٠م) للحكم المصري وشهدت تطورًا ثقافيًا وفكريًا سريعًا، بفضل المدارس الابتدائية التي أنشأها المصريون في معظم أحياء البلاد، وكذلك المدارس الثانوية التي أنشئت في معظم المدن الشامية، وكان الدافع إلى انتشار تلك المدارس في عهد محمد علي، يعود إلى حاجته إلى من يتولى الأمور الإدارية في هذه البلاد من أبنائها الحاصلين على قسط من التعليم.

أما بخصوص المدارس العالية، التي أنشأها محمد علي باشا، والتي تخرّج منها بعض أبناء سوريا، بالإضافة إلى المدارس العالية التي أقامتها الدولة العثمانية في

---

(٦٠) محمد عدنان البخيت، نوفان رجالا السوارنة، لواء القدس الشريف، جـ٢، ص١٢٩، ١٣٠.

(٦١) نفسه، ص ١٣٠.

إستانبول، والتي التحق بها بعض أبناء الأغنياء من الشام، وتلقوا العلم فيها، فكان لهذه المدارس أثر في ازدياد عدد المتعلمين في ولاية سورية[٦٢].

وقد أسس إبراهيم باشا المدارس في بلاد الشام على النسق المصري، واتصلت هذه المدارس بالانضباط الشديد. فقد فرض على الطلاب لبس البذلة العسكرية، كما قدمت لهم الأطعمة مجانًا. وكان التعليم في هذه المدارس يقوم على أخذ الطلبة من بيوتهم، وحجزهم في المدارس لفترة طويلة، حيث لا يسمح لهم بالرجوع إلى أهلهم إلا بإذن الحكومة، التي تقوم برعاية شئونهم من لباس وطعام وتعليم وتربية، حتى إذا أنهى الواحد منهم تعليمه، توفر له الحكومة الشغل وتدفع له المرتب. وبرغم ذلك فقد نفر الناس ولم يشجعوا أبناءهم على الالتحاق بالمدارس، خوفًا عليهم من الجندية، والواقع أن محمد علي كان يلقى من الناس في أول عملهم بالمدارس، إعراضًا. ذلك لأن فكرة التعليم اختلطت في أذهانهم بالجندية، إذ كانوا يرون عمال الحكومة يجمعون أطفالهم كما يجمعون شبانهم سواء بسواء، ويذهبون بهم إلى حيث لا يعودون إلا بعد وقت طويل، ثم هم يرون المدارس يحرسها الجند وأبناءهم يحيون فيها حياة أقرب إلى حياة الجندية وقد ينتهي عهدهم بالمدارس إلى الانخراط فعلاً في سلك الجيش، إما جنودًا أو ضباطًا[٦٣].

ثبت بالمصادر والمراجع :

- الأب أنستاس الكرملي:

النقود العربية والإسلامية وعلم النميات، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٨٧.

- تيسير أحمد حسين وهابية:

القدس في القرن التاسع عشر (١٧٩٩- ١٨٩٨م) رسالة ماجستير غير منشورة من قسم التاريخ – كلية الآداب بسوهاج، جامعة أسيوط، ١٩٨٢.

- شمس الدين محمد بن محمد بن شرف الدين الخليلي:

تاريخ القدس والخليل، حققه وكتب مقدمته وحواشيه ووضع فهارسه محمد عدنان البخيت، نوفان رجالا السوارنة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن عام ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

---

(٦٢) تيسير أحمد حسين وهابية، المرجع السابق، ص٢٨٩.

(٦٣) نفسه، ص٢٨٨، ٢٨٩

- علي السيد علي:

القدس في العصر المملوكي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٦.

- فالترهنتس:

المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمه عن الألمانية كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، الطبعة الأولى، ١٩٧٠.

- كارين أرمسترونج:

القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث، ترجمة فاطمة نصر، محمد عناني، سطور، القاهرة، ١٩٩٨.

- ليلى الصباغ:

معالم الحياة الفكرية في الولايات العربية في العصر العثماني، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، إشراف وتقديم أكمل الدين إحسان اوغلي، ترجمة صالح سعداوي، استانبول، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون الإسلامية، استانبول، ١٩٩٩.

- محمد عدنان البخيت، نوفان رجا العوارنة:

لواء القدس الشريف من دفتر مفصل لواء صفد والغزة (غزة) والقدس الشريف من دفتر تحرير [T. D. 427] (٩٣٢- ١٥٢٥- ١٥٢٦م- ٩٣٤هـ/ ١٥٢٧- ١٥٢٨م) دراسة تحليلية للنص العثماني وترجمته إلى العربية من الشروحات الإيضاحية، عمان ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي لندن، جـ١.

- محمد عدنان البخيت، نوفان رجا العوارنة:

لواء القدس الشريف من دفتر مفصل لواء صفد والغزة (غزة) والقدس الشريف من دفتر تحرير [T. D 131] _٩٣٢- ١٥٢٥م/ ٩٣٨ - ١٥٣١ - ١٥٣٢م، دراسة تحليلية للنص العثماني وترجمته إلى العربية مع الشروحات الإيضاحية، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، عمان ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، الجزء الثاني.

- محمد كرد علي:

خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق ١٩٨٣، الجزء السادس.

الممارسات الإسرائيلية لتهويد القدس والصمود الفلسطيني

د. صلاح حسن يوسف عاور (*)

مقدمة

مدينة بيت المقدس تُعتبر من أهم مدن فلسطين، فهي بمثابة من للجسد، وهي أهم المدن الفلسطينية وقراها، وهي من أقدم مدن العالم، وقد أطلق عليها أسماء عديدة معظمها عربية الأصول، ولا يوجد بينها اسم عبري واحد، وقد كرّم الإسلام هذه المدينة فتعلّقت بها قلوب المسلمين عبر الأزمان.

وقد وجّه الرسول صلى الله عليه وسلم نظر المسلمين إلى تحرير بيت المقدس، فكانت غزوة مؤتة وتبوك، ثم اليرموك وأجنادين، إلى أن حاصر المسلمون المدينة، فاشترط أهلها أن يسلموها إلى الخليفة عمر بن الخطاب، فجاء وكتب لهم عهد أمان، وأذن بلال ولأول مرة، في المدينة المقدسة، بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم.

مكانة وفضائل بيت المقدس عند المسلمين:

للقدس مكانة كبيرة عند المسلمين، وللأقصى فضائل وضّحها الله سبحانه وتعالى حينما أسرى بالرسول الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى المبارك. حيث قال جلّ شأنه:﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1]

وسُمّي بالمسجد الأقصى المبارك لبعد ما بينه وبين المسجد الحرام، وكان أبعد مسجد عن أهل مكة المكرمة في الأرض يعظّم بالزيارة. والمراد بالبركة المذكورة في الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿ الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ للبركة الحسّية والمعنوية ، فأما الحسية: " فهي ما أنعم الله به على تلك البقاع من الثمار ، والزروع والأنهار "، وأما المعنوية: "

وفلسطين هي مَهاجر إبراهيم ولوط عليهما السلام: ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ [2].

(*) أستاذ التاريخ بجامعة القدس المفتوحة.

والمسجد الأقصى المبارك هو أحد المساجد الثلاثة التي تشدّ إليها الرحال، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تُشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى).[1]

ومعنى هذا الحديث: أنه لا يُسافر أحد لمسجد للصلاة فيه إلاّ لهذه المساجد الثلاثة. لا أنه لا يُسافر أصلاً إلاّ لها. وقد بُني المسجد الأقصى بعد المسجد الحرام بأربعين سنة، فهو ثاني مسجد بُني بعد المسجد الحرام ، كما جاء في الحديث الصحيح عن أبي ذرّ رضي الله تعالى عنه قال: (قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي ؟ قال: المسجد الأقصى، قلت كم بينهما ؟ قال: أربعون سنة، وأينما أدركت الصلاة فصلّ فهو مسجد).[2]

ومما يدلّ على فضل بيت المقدس ومكانته، أنه أرض المحشر والمنشر. عن ميمونة مولاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالت: (قلت: يا رسول الله افتنا في بيت المقدس؟ قال: أرض المحشر والمنشر، ائتوه فصلوا فيه، فإن الصلاة فيه كألف صلاة في غيره).[3]

وفي مدينة القدس الشريف دُفن عدد كبير من الصحابة والتابعين ، منهم الصحابي الجليل عُبادة بن الصامت، وشداد بن أوس، فهي مهد النبوات والشرائع والرسل الذين وجدوا هناك في هذا العصر، ولقد كان المسجد الأقصى المبارك قبله لهم، وهذا كله بمثل البركة الدينية التي أحاطت به، ولما البركة الدنيوية فكثرة الأشجار والأنهار وطيب الأرض، وهذا ما يراد بقوله تعالى: ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾.

وللمسجد الأقصى المبارك ارتباط وثيق بعقيدتنا، وله ذكريات عزيزة وغالية على الإسلام والمسلمين، فهو مقرّ للعبادة، ومهبط للوحي ومنتهى رحلة الإسراء وبداية رحلة المعراج.

وقد مرّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، في رحلته إلى المسجد الأقصى المبارك، بالبقعة المباركة التي كلم الله فيه موسى – عليه السلام – وهي طور سيناء فصلى بها ركعتين.

ومرّ بالبقعة المباركة التي وُلد فيها عيسى – عليه السلام – وهي بيت لحم فصلّى بها ركعتين ، ثم وصل إلى بيت المقدس، فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى في من جمع الأنبياء والرسل ، فصلى بهم جميعا – عليهم السلام – ثم عُرج به إلى السماء فرأى من آيات ربه الكبرى.

ولما عاد رسول الله صلى الله عليه وآله السلام من هذه الرحلة المباركة وأخبر قومه، كان منهم من صدّق، ومنهم من كذّب، وذهب بعضهم إلى أبي بكر الصديق –

رضي الله تعالى عنه – وأخبروه، فما كان جوابه لهم: " والله لئن كان قاله لقد صدق قالوا: تصدّقه على ذلك؟ قال: إني أصدّقه على أبعد من ذلك،أصدّقه على خبر السماء".

وقد تمادى القوم في لجاجهم وحوارهم ، يسألون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في نعت عن بيت المقدس، ومنهم من كان قد رآه، وظنوا أنهم بهذه الأسئلة سيوقعون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حرج، ولكنه وهو المؤيّد من ربه وصف لهم بيت المقدس وصفا كاملا في غاية الدقة ، وأخبرهم عن آياته ويقول الرسول صلى الله عليه وآله سلم: (فجعلت أخبرهم عن آياته، فالتبس علي بعض الشيء ، فجلى الله تعالى لي بيت المقدس، ثم جعلت أنظر إليه دون دار عقيل وأنعته لهم، فقالوا: أما النعت فقد أصاب،[4] وكان أبو بكر الصديق – رضي الله عنه - كلما وصف لهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وصفاً يقول: صدقت أشهد أنك رسول الله ، ثم أخبرهم عن عيرهم ، وعن أحمالها، وعن دقائق الملابسات ووصفها أكمل وصف، وقال لهم تقدم يسوم كذا مع طلوع الشمس ، وفيها فلان وفلان، يقدمها جمل أورق عليه غرارتان محيطتان، ومع وضوح الأدلة فقد لج القوم في عنادهم ولم يصدقوا تلك المعجزة الواضحة ، فقد طمس الله على إبصارهم وبصائرهم: (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور)[7].

وفي رحلة الإسراء والمعراج فرض الله سبحانه وتعالى الصلاة، وهي الصلة القوية بين العبد وربه، وكانت القبلة آنذاك هي صخرة بيت المقدس، حيث أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم باستقبالها، وكان بمكة يصلي بين الركنين، فتكون بين يديه الكعبة وهو مستقبل صخرة بيت المقدس، فلما هاجر الرسول عليه الصلاة والسلام إلى المدينة، تعذر عليه أن يجمع بينهما، عندئذ أمره الله تعالى أن يتوجه إلى بيت المقدس، واستمر على ذلك نحو ستة عشر شهراً.

وكان يدعو ربه ويبتهل إليه أن تكون وجهته إلى الكعبة قبله إبراهيم – عليه السلام – فأجيب له ذلك، وأمر بالتوجه إلى البيت الحرام، فخطب الناس وأعلمهم بذلك، وكانت أول صلاة هي صلاة العصر، وفي هذا يقول رب العزة: ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [8].

وعن البراء – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلى متجهاً إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَل البيت، وأنه صلى صلاة العصر وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن كان صلى معه فمر على أهل المسجد وهم راكعون قال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم قِبَل مكة، فداروا كما هم قِبَل البيت، وكان الذي مات على

القبلة، قبل أن تحول قبل البيت رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [9].

وقد اختارت الإرادة الإلهية أن يكون الإسراء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المسجد الأقصى المبارك، وصلا للحاضر بالماضي ، وتقديرا لمنزلة هذه البقعة المباركة التي عاشت عمرا كبيراً تنتشر على ظهرها الهداية، وتستقبل في رحابها النبوات، وظل بيت المقدس مهبط الوحي الإلهي سنين عديدة. [10]

ولقد جمع الله تعالى لرسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم ، الرسل السابقين فاستقبلوه وصلى بهم إماما، وطبق الله تعالى، في ليلة الإسراء والمعراج وفي رحاب المسجد الأقصى، ذلك العهد والميثاق الذي أبرمه منذ القدم مع الأنبياء أن يصدق بعضهم بعضاً ويمهد بعضهم لبعض ، وأن يؤمنوا بمن سيرسله وأن ينصروه.

إنّ حادث الإسراء والمعراج ليضع في أعناق المسلمين في كل الأرض أمانة القدس الشريف، وإن التفريط فيه تفريط في دين الله، وسيسأل الله تعالى المسلمين عن هذه الأمانة إن فرطوا في حقها أو تقاعسوا عن نصرتها، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (وإنما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه، فنحن نرجو أن يكون الله عز وجل قد أعطاه إياها) [11].

والأقصى في آخر الزمان سيأوي إليه المهدي المنتظر محمد بن عبد الله – رضي الله تعالى عنه – وذلك بسبب الفتن والملاحم والفرار من الدجال، وحول الأقصى تختبئ جماعة من جنود الدجال وأتباعه من اليهود خلف الحجر والشجر، (فيقول الحجر والشجر ، يا مسلم يا عبد الله ، هذا يهودي خلفي تعال فاقتله، إلا شجر الغرقد فإنه من شجر اليهود)[12].

وتعدّ القدس ظاهرة حضارية فذّة تنفرد فيها دون سواها من مدن العالم، ولابد أن يكون لمثل هذه الظاهرة الحضارية الفذّة أسباب ومبررات، هي سر خلودها واستمرارها آلاف السنين، برغم كل ما حل بها من نكبات وحروب، أتت إلى هدم المدينة وإعادة بنائها لعشر عشرة مرة في التاريخ، وقد كانت تخرج من كل محنة أعظم وأكبر من سابقاتها، وكأنها تنمو وتزدهر، وتزداد رسوخاً وأصالة، كلما عظم مصابها وتفاقمت محنتها.

ولعل ذلك دليلاً على إصرار المدينة المقدسة على البقاء والاستمرارية، وهو إصرار لم يسبق له مثيل، فللقدس قيمة حضارية تسطع على صفحة المشهد الطبيعي والحضاري للأرض، ولا نظير لها في المعمورة، فهي مركز للعالم. [13]

كان الصراع العربي الصهيوني منذ بدايته صراعا على الأرض والسكان – وما يزال – الهدف الأساس للحركة الصهيونية أولاً ، وإسرائيل لاحقاً: الاستيلاء على أكبر مساحة ممكنة من أرض فلسطين، واستعمارها بأكبر عدد ممكن من المستوطنين اليهود القادمين في موجات متلاحقة من المهاجرين ، بل إن المقياس الأهم لرصد مدى نجاح الصهيونية في مشروعها الاستعماري ، في فلسطين، يتلخص في نسبة الأراضي التي استولت عليها منذ بداية نشاطها ، ومدى قدرتها على اجتذاب المهاجرين اليهود ونجاحها في استيعابهم وتوطينهم، وعلى هذا الأساس فإن العامل الجغرافي " الأرض " يبقى له الكلمة الأخيرة في الصراع الذي تخوضه الصهيونية في فلسطين، مسلحة بالعاملين الأخيرين السكان والمال[14].

وتستهدف هذه الغزوة فلسطين، وبشكل خاص مدينة القدس، بشعبها وأرضها ومقدساتها وتاريخها وحضارتها وآثارها ومستقبلها، ويتم ذلك وفقاً لمخطط مرسوم يجري تطبيقه على مراحل، من خلال تجاهل الحقوق السياسية للسكان الأصليين من الفلسطينيين، وتجاهل الحقوق الروحية والدينية لأتباع الديانتين المسيحية والإسلامية

الاستيطان الصهيوني:

شكل الاستيطان اليهودي في فلسطين الأداة الرئيسة للحركة الصهيونية، في تحقيق برنامجها بإقامة دولة يهودية على أرض فلسطين، وقد اكتسبت خلال الفترة الماضية الكثير من الخبرات والأساليب في هذا المجال، أخذت تضعها حيز كلما سنحت الفرصة لذلك.

وبوقوع بقية الأراضي الفلسطينية ومن ضمنها القدس ، وأجزاء من أراضي الدول العربية المجاورة، نتيجة حرب ١٩٦٧م ، تهيأت للدولة الصهيونية فرصة أخرى لاستخدام خبراتها في احتواء وإلحاقها بها، جنباً إلى جنب مع تهويدها التدريجي، سيادة واقتصاداً وأرضاً وثقافة.

فقبل أن تسكت مدافع حرب الأيام الستة ، بدأت ترتفع الأصوات المطالبة بتوطين المناطق المحتلة باليهود خلال تلك الحرب ، وبشكل خاص القدس، لما لها من أهمية سياسية وإستراتيجية للكيان الصهيوني، وكان من أوائل المنادين بذلك رئيس الوزراء الأسبق دافيد بن غوريون ، الذي قال في خطاب له أمام سكرتارية حزبه " رافي " ، يوم الثامن من حزيران " يونيو " ١٩٦٧م: (إن أبناء هذا الجيل الذين كانوا من سكان القدس القديمة والخليل منطقة عتسيون، يجب أن يكونوا من بين أولئك العائدين إلى تلك المناطق لتجسيد الاستمرارية الاستيطانية فيها، قبل أن تبدأ الضغوط السياسية لإجبار إسرائيل على الانسحاب منها)[15].

وفي اليوم نفسه قام ممثلون عن بلدية القدس بزيارة رئيس الوزراء ليفي أشكول، لإبلاغه رغبة عدد من سكان اليهود السكن في البلدة القديمة، في حين بدأ عدد من هؤلاء باحتلال البيوت التي رافت لهم، والتي غادرها أصحابها أثناء القتال، وبدأت البلدية تسجيل طلبات الإسكان في القدس القديمة ، بينما أصدرت الحزب الديني القومي " المفدال " نداء إلى أعضاء الحزب بالانتقال والسكن هناك، وأيدت عدة مؤسسات إسرائيلية، من بينهما منظمة هداسا الطبية، والجامعة العبرية، رغبتها في الانتقال إلى القدس الشرقية، ففي ١٤ حزيران " يونيو " ١٩٦٧م أعلن رئيس الجامعة عن النية في نقل من كليات العلوم الإنسانية إلى هضبة سكوبس. ولم يكف بن غوريون عن ممارسة ضغوطه على خصمه أشكول، فصرّح في اجتماع عقد في بيت رئيس بلدية القدس تيدي كوليك، حضره عدد من الوزراء من بينهم دايان ، شامير، بيغن، وتعبر، أنه يجب أن نستغل اليهود إلى القدس الشرقية بأي ثمن ، ينبغي توطين عشرات الآلاف خلال وقت قصير ولو في الأكواخ، لا يجوز الانتظار إلى حين بناء أحياء منظمة، المهم أن يتواجد اليهود هناك.

وفي الوقت نفسه بدأت الأجهزة الإسرائيلية الرسمية المختلفة تتنافس فيما بينها لتخطيط القدس وتوطينها باليهود، وهي المنافسة التي لم تخل من السعي لتحقيق مكاسب سياسية داخلية حزبية أو شخصية، وشارك في هذه المباراة معظم الهيئات والسلطات الرسمية الخاصة، فقد وضعت وزارة الأديان يدها على الأماكن المقدسة، وبسطت شعبة الآثار سلطتها على المواقع الأثرية، ووضعت بلدية القدس الإسرائيلية يدها على ممتلكات البلدية العربية، وبدأت وحدة إسكان القدس، التي أقيمت بعد الحرب، بالتخطيط لإقامة أحياء جديدة، واعتبرت هذه الأجهزة والسلطات القدس مجالاً لتحقيق أهدافها المختلفة، وكان من بينها وزارات السياحة والمواصلات والبناء والإسكان وإدارة عقارات إسرائيل. واعتبرت سلطات أخرى نفسها مسؤولية عن تخطيط مقاطع مختلفة من المدينة، ففامت وزارة الداخلية بفصل ممسؤولية تخطيط المدينة القديمة وضواحيها عن بلدية القدس، في حين احتفظت هذه البلدية بصلاحيات التخطيط والتطوير في الجزء الغربي من المدينة ، بينما تولت وزارة الإسكان مسؤولية تخطيط القدس الشرقية، وكلف فريق خاص بإعداد خطة هيكلية للبلدة القديمة وضواحيها، وكلف فريق آخر مخطط رئيسي للمدينة بكاملها، وكلفت وحدة أخرى بتخطيط مركز تجاري لها، ووحدة إضافية بتخطيط شبكة الطرق المؤدية إليها، وكان مدى التنسيق بين هذه المخططات محدوداً جداً، مما أسهم في تشويه صورة المدينة، وشكل خطراً على طابعها التاريخي. [١١٤]

إلى جانب هذه الدعوات كان الاندفاع الاستيطاني الجنوني مستمراً في القدس، بمساعدة الحكومة وبتشجيع منها ، ففي أول جلسة لها بكامل هيئتها، بعد الحرب بيوم ١١ حزيران " يونيو " ١٩٦٧م، وقبل قرار ضم المدينة العربية إلى إسرائيل، اتخذت

الحكومة الإسرائيلية قراراً بالبدء باستيطان المدينة العربية، وطلب رئيس الحكومة من وزير المالية تخصيص عشرة ملايين ليرة إسرائيلية على الفور لهذا الغرض، وفي بداية تموز " يوليو " ١٩٦٧م، عين رئيس الحكومة أشكول يهودا تمير نائب المدير العام لوزارة الإسكان، مسئولا عن توطين القدس الشريفة ، وطلب منه وضع خطة تهدف إلى نقل أكبر عدد من اليهود إليها بأقصى سرعة ممكنة. وفي ١٨ آب " أغسطس " من نفس العام اتخذت الحكومة قراراً آخراً يفوّض رئيس الحكومة تسريع عمليات البناء والإسكان في القدس الكبرى ، وكان من بين ما يهدف إليه أشكول من استصدار هذه القرارات ، الإثبات بأنه لا يقل حماسة في مجال توطين القدس عن منافسيه السياسيين، وعلى رأسهم بن غوريون. [١١٧]

وشكّل رئيس وزراء إسرائيل أشكول هيئة تنظيمية برئاسة تمير لوضع خارطة هيكلية للقدس، وتحديد مواقع الأحياء الجديدة المزمع إقامتها في القدس الشرقية، وكانت الخارطة الهيكلية قد أخذت بالحسبان توحيد شطري المدينة، وقدم تمير خطته إلى رئيس الوزراء بعد أسبوعين تقريباً من تكليفه بهذه المهمة، فأقرّها على الفور، ثم أصبحت هذه الوثيقة بمثابة المرشد أو الدليل لسياسة البناء الإسرائيلية في القدس الشرقية، وقد أحيطت تفاصيل الخطة بسرية تامة في البلدية، لكن رئيس الوزراء ما لبث أن كشف عن الكثير من تفاصيلها إزاء الهجمات المتكررة من جانب خصومه السياسيين، واتهامهم له بالتباطؤ في توطين القدس الشرقية باليهود.

ولقد تضمنت الخطوط الرئيسية للخطة امتداد التطويق الإسرائيلي باتجاه القدس الشرقية، عن طريق خلق التحام في المرحلة الأولى بين شطري المدينة من الشمال والجنوب، ففي الشمال تقرر إقامة الأحياء الأولى على التلة الفرنسية، والامتداد بالبناء حتى شارع النبي صموئيل، وهو الشارع الواقع بمحاذاة خط الهدنة. وباتجاه بوابة نابلس. وفي الجنوب تهدف الخطة الامتداد بالبناء باتجاه قصر المندوب السامي وقرية صور باهر، وقضت الخطة بإقامة سبعة آلاف وحدة سكنية شمالي القدس، وعدد غير محدد من الوحدات السكنية في الجنوب، ومضاعفة عدد مباني الجامعة العبرية على جبل سكوبس " وهي المنطقة التي بقيت كجيب إسرائيلي داخل القدس الشرقية، في أعقاب اتفاقات الهدنة لسنة ١٩٤٩م " ، وإقامة مكاتب حكومية ومراكز تجارية في ذلك الجزء من المدينة. [١١٨]

وتشكلت هيئة لتوطين اليهود في القدس باسم " شركة ترميم الحيّ اليهودي وتطوير البلدة القديمة في القدس محدودة الضمان "، وتألف مجلس إدارة هذه الشركة من عدد من وزراء الحكومة، وهي التي لا تزال تشرف على النشاطات الاستيطانية في هذا القطاع من المدينة. وفي مرحلة لاحقة، في سنة ١٩٧٤م، بدأت الصحف

الإسرائيلية تكشف عن ملامح من المخططات الاستيطانية الجديدة، وتقضي هذه المخططات بإجلاء العرب عن القدس القديمة، وإسكانهم خارج حدود البلدية.[١٩]

إن المخططات الاستيطانية الإسرائيلية تستهدف المدينة بكاملها، وأجزاء واسعة من الأراضي المحيطة بها، وفي ضوء ما نُفذ من مشاريع استيطانية، حتى الآن، يمكن ملاحظة أن مخططات هذه المشاريع تهدف إلى تشكيل ثلاثة أطواق حول المدينة: يحاصر أولها البلدة القديمة وضواحيها، ويطوق الثاني المدينة العربية الواقعة خارج الأسوار، ويُتيح السيطرة على الأحياء العربية فيها، ويحول دون أي تواصل مستقبلي بالتجمعات العربية المحاذية للقدس. أما الطوق الثالث وهو الأبعد مدى، والذي سيصبح جزءاً من القدس الكبرى، فيتألف من عدد من المستوطنات التي تشكل نقاط تدعيم استيطانية للمدينة، ويهدف بشكل أساسي إلى خنق التجمعات السكانية العربية المحيطة بالقدس، وتحويل القدس بشطريها، والتي بلغت مساحتها بعد الضم ١٠٨ آلاف دونم، إلى مدينة واحدة ذات أغلبية يهودية مطلقة. وقد وزع المخطط هذه المساحة وفقاً للغرض من استعمالها، بحيث جرى تخصيص ٤١ ألف دونم للسكن، و٣٨ ألف دونم للغابات و١١ ألف دونم مناطق مفتوحة ، و ٦٣٠٠ دونم للحدائق العامة، و ٤٦٠٠ للتجارة والصناعة. وأما المساحة المتبقية وهي ٧١٠٠ دونم، فلم تُحدد أغراض استخدامها. ويشير المخطط إلى أنه بعد استغلال كافة المساحة المخصصة للسكن، وهي ٤١ ألف دونم، فإن عدد الوحدات السكنية سيتجاوز ١٨٠ ألف وحدة عام ٢٠٠٠م ، بحيث يزداد عدد السكان في المدينة ليصبح ٦٥٠ ألفاً في تلك السنة، و٨٩٠ ألفاً سنة ٢٠١٠م.[٢٠]

وواجه المخطط الإسرائيلي، إلى جانب المعارضة الشديدة من جانب سكان المدينة العرب، انتقادات واسعة على الصعيدين المحلي والعالمي، وفي محاولة لتخفيف حدة المعارضة والانتقادات، قامت السلطات الإسرائيلية بتشكيل ما سمّي بـ" لجنة القدس" التي تألفت من عدد كبير من الخبراء العالميين في حقول تخطيط المدن، واللاهوت والغربية وتاريخ الفن، بهدف دراسة الطبيعة الجغرافية والتاريخية للمدينة المقدسة، ثم تقديم التوصيات بشأن المخطط الرئيسي، وذلك في محاولة خبيثة لإضفاء طابع من الموضوعية والشرعية الزائفة على مخططاتها، وإعطاء هذه المخططات صبغة عالمية، على الرغم من أن تشكيل هذا اللجنة لم يكن بناء على توصية دولية، وعلى الرغم من أن أعضاءها لا ينتمون إلى مؤسسات هندسية أو فنية مستقلة، وكان مسئولون إسرائيليون قد صرّحوا سلفاً بأن توصيات هذه اللجنة لن تلزم لجنة التخطيط الإسرائيلية بإتباعها.[٢١]

وأصبح كل مشروع، أو خطة استيطانية، يناقش على حدة ويُؤخذ القرار بشأنه بصورة مستقلة عن أية خطة مرسومة، ونتيجة لذلك أصبح المبدأ الرئيسي الموجه لسياسة البناء في المدينة هو: زيادة الوجود اليهودي في القدس الشرقية.[٢٢]

الإجراءات الاستيطانية:

قررت الحكومة في اجتماعها يوم ٢٧ كانون الأول " ديسمبر " ١٩٦٧م، تكليف وزارة الإسكان بإقامة ألف وحدة سكنية خلال عام ١٩٦٨م ، وفي أيلول " سبتمبر " ١٩٦٩م بعد أكثر من سنة من بدء العمل هناك، انتقلت العائلات الأولى إلى الحي الجديد في القدس الشرقية " راموت أشكول " – نسبة إلى رئيس الوزراء المتوفى – وفي الوقت نفسه، بدأ البناء على التلة الفرنسية والطرف الشمالي الغربي لجبل سكوبكس، وإلى الشرق من الجبل، بدأت الجامعة العبرية بإقامة بنايات حجرية لإسكان الطلبة شبيهة بعلب الكبريت، يُفترض أن تتسع لعشرة آلاف طالب، في ذلك الوقت كانت هناك ٢٥٠٠ وحدة سكنية قد أنجزت، أو قيد الإنجاز، في القدس الشرقية.

وفي نهاية عام ١٩٩٩م أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية عن مشروع روجرز لتسوية النزاع العربي الإسرائيلي، وقد لقي هذا المشروع معارضة شديدة من جانب إسرائيل، عبرت عن نفسها بصورة عملية في اللجوء إلى الدواء الصهيوني الذي ثبتت فاعليته بالتجربة، وهو الاستيطان، فبادرت إلى عدد من الخطوات الدراماتيكية في هذا المجال نفذ معظمها في القدس، فأعلنت أولاً عن إزالة جميع القيود في الميزانية على البناء في القدس، ووضعت برنامج طوارئ للاستيطان فيها، يقضي بتقليص الفترة المخصصة لتنفيذ المخططات الاستيطانية إلى النصف، واتخذت الحكومة الإسرائيلية قرار بإقامة ٢٥ ألف شقة سكنية بمعدل ٦-٨ آلاف شقة سنوياً، وفي ١٥ أيلول " سبتمبر " ١٩٧٠م أعلنت وزارة الإسكان عن البدء بالبناء في أربعة مواقع معاً، بما يشبه عملية عسكرية، تهدف إلى تحقيق سيطرة إستراتيجية على التلال المحيطة بالمدينة، وأحيطت مخططات البناء بستار شديد من السرية.[٢٣]

وتبيّن فيما بعد أن هذه المواقع هي: شمالي شرقي القدس، النبي صموئيل " شمالي غربي القدس، غيلو – بيت صفافا" جنوب القدس، و" تلبيوت مزراح – الطلبية الشرقية " جنوبي شرقي القدس.[٢٤]

وفي آذار " مارس " ١٩٧٣م بدأ إسكان الأحياء الجديدة التي أقيمت شرقي المدينة وكان عدد المستوطنين في القدس الشرقية، حتى ذلك الوقت، قد وصل إلى ثلاثة آلاف عائلة، في حين كانت هناك ثلاثون ألف وحدة سكنية في مراحل الإسكان أو البناء أو التخطيط، يُفترض أن تستوعب في النهاية ما يقارب من ١٢٢ ألف مستوطن، بناءً على ما أعلنه وزير الإسكان الإسرائيلي في مؤتمر صحافي، يوم ١٥ شباط "فبراير" ١٩٧١م.[٢٥]

وبحلول عام ١٩٧٧م كان تنفيذ المخططات المذكورة قد شارف على الانتهاء، فاتخذت وزارة الإسكان قراراً آخراً بإقامة ١٨ ألف وحدة سكنية جديدة، لتعزيز الأحياء اليهودية في القدس الشرقية، وإقامة أحياء أخرى غيرها تهدف إلى إحكام التطويق للمدينة العربية، والمحافظة على زيادة سنوية في عدد السكان اليهود بنسبة ٣,٧%، المحافظة على الميزان الديمغرافي في المدينة، بحيث يشكل اليهود ثلاثة أرباع السكان. وفي الإطار نفسه، صادقت بلدية القدس، في أيلول " سبتمبر " ١٩٨٠م، على إقامة ١٣٠ عمارة سكنية تضم ما يقارب ٢٠٠٠ وحدة سكنية في غفعات شاؤول ب.[٢٦]

وفي نهاية العام اتخذت اللجنة الوزارية لشؤون القدس قراراً بإقامة حي جديد يضم ٩٠٠٠ شقة، في المنطقة المصادرة شماليّ القدس، والتي تمتد من التلة الفرنسية إلى حي النبي يعقوب [٢٧] وقامت بإخلاء السكان العرب الذين بلغ عددهم حينئذ ٦٥٠٠ شخص في الحيّ اليهودي، بعد الإعلان عن بيوت الحي كأماكن مقدسة، وقامت السلطات الإسرائيلية قد أخلت ٣٥٠٠ شخص من السكان العرب المقيمين في هذه الأحياء[٢٨]، وبحلول عام ١٩٧٧م لم يتبقّ من السكان العرب في هذه الأحياء سوى ٢٠-٢٥ عائلة، لتمّت السلطات الإسرائيلية إخلاءها بحلول سنة ١٩٨٠م.

ولجأت السلطات الإسرائيلية إلى مبررات وأعذار واهية لإخلاء السكان العرب من هذه الأحياء. منها: أن الإخلاء تمّ بموجب قرار المحاكم، وأن بعض العقارات التي صودرت تعود ملكيتها لأشخاص يهود، وأن العرب يحصلون على تعويضات ملائمة، وأن الإجلاء يتم بسبب ظروف السكن غير الإنسانية. إلا أن الحقائق تدحض كافة هذه الادعاءات، وتثبت أن الدوافع الحقيقية للسلطة الإسرائيلية هي: طرد السكان العرب من مدينتهم وإحلال اليهود مكانهم، مع كل ما يترتب على ذلك من تغيير معالم المدينة، ومواقعها الأثرية والدينية والتاريخية والحضارية. علاوة على التذكير لأبسط الحقوق الإنسانية لسكانها الفلسطينيين وتعقيدها، فللحصول على رخصة بناء تستغرق أكثر من خمس سنوات، وبكلفة تصل بحد أدنى إلى عشرين ألف دولار.

الإغراءات الإسرائيلية لتشجيع الاستيطان في القدس:

ويهدف اجتذاب اليهود للسكن في القدس ، أعلنت وزارة الإسكان عن تقديم تسهيلات وإغراءات لليهود الذين يقطنون خارج القدس، من بينها: اعتبار كل شخص خدم في الجيش، وكان يقيم لمدة عامين متواصلين خارج القدس، بمثابة " قادم جديد " إلى القدس، وبالتالي يتمتع بمزايا برنامج المساعدات الذي أعدته وزارة الإسكان لهذا الغرض.

ومن المساعدات التي تمنحها الحكومة:

١- الإعفاء من ١٧% من الضريبة.

٢- تسيير الدوريات الأمنية والحراسة ومرافقة حافلات الأولاد.

٣- تصفيح السيارات وإضافة وسائل حماية أخرى وتعويضات تأمين.

٤- إنارة حدود المستوطنة والمفارق والشوارع وأجهزة إنذار وبيوت أمنية.

٥- توظيف حراس على البوابات والحدود من نفس المستوطنين بشكل خاص.

٦- تخفيض التأمين الصحي.

٧- شق وتعبيد شوارع للمستوطنات.

٨- منح لمستوطنات الأولوية في تسويق إنتاجها الزراعي (داخلياً وخارجياً).

٩- منح المستوطنين قروضاً ميسرة جداً عند الحاجة. في المقابل انتهجت السلطات الإسرائيلية سياسة إسكانية معاكسة تجاه السكان العرب في المدينة، تتلخص بالامتناع عن منح تراخيص البناء، وهدم المنازل التي تقام بدون تراخيص، مع فرض غرامات باهظة على السكان، إضافة إلى الإعلان عن المناطق العربية المكشوفة، والصالحة للبناء، كمناطق خضراء محظور البناء عليها. وهذه السياسة واضحة الأهداف، وتعتبر جزءاً من مخطط يستهدف مضايقة السكان العرب في القدس، وإجبارهم على الهجرة، أو بيع أراضيهم التي يدفعون ضرائب باهظة عنها، دون أن يتمكنوا من الاستفادة منها. [٢٩]

كما أنها لم تسمح بعودة الفلسطينيين الذين أجبروا على مغادرة المدينة إثر حرب عام ١٩٦٧م، وقد بلغ عددهم أكثر من ثلاثين ألف مواطن، وعملت على محاصرة المدينة بأكثر من ١٨ مستوطنة يسكن فيها أكثر من ربع مليون مستوطن، وعزلت المدينة عن محيطها الفلسطيني بعدم السماح للفلسطينيين، من باقي المناطق، من الوصول إليها إلا بتصاريح خاصة. [٣٠]

مرّت السياسة الاستيطانية، خلال العقد الأول من احتلالها الأراضي العربية، بمراحل عدة هدفت من ورائها تحديد حدودها الجديدة، مثلما حدثت مستعمرات حقبة ما قبل حرب ١٩٤٨م تخوم السياسة اليهودية، لذلك أعلنت جولدا مائير رئيسة الوزراء الإسرائيلية عام ١٩٧٢م أن الحدود هي حيث يقيم اليهود، لا حيث يوجد خط على الخريطة، وهذا دفع " نتنياهو " إلى التصريح، بتاريخ ١٩٩٦/٦/١٥م، بأن السياسة الاستيطانية تستند إلى أفكار التسوية النهائية، وهي وسيلة هامة لتحديد حدود إسرائيل والحفاظ على أمنها.

أثر المستوطنات في تغيير المعالم الإسلامية في القدس:

بعد حرب عام ١٩٦٧م واحتلال إسرائيل شرقيّ القدس، بدأت خطوات تهويد المدينة واتفقت الحكومة "عمل أو ليكود" على هذه السياسة، ووضعت البرامج الاستراتيجية والتكتيكية لبلوغ هذا الهدف، فبعد الإعلان عن توسيع حدود بلدية القدس وتوحيدها، بتاريخ ١٩٦٧/٦/٢٨م ، بدأت الخطوة العملية لتنفيذ هذا المخطط، بالإعلان عن مصادرة ١١٦ دونما، للمصلحة العامة، من أحياء البلدة القديمة من القدس، لإقامة الحي اليهودي الجديد، وهدم الحيّ العربيّ " حارة الشرف، المغاربة " وتهجير السكان العرب من تلك الأحياء إلى خارجها، ووسّعت رقعة الحي اليهودي من ٥ دونمات إلى ١٣٠ دونما.

وبدأ الحيّ الجديد في الظهور بنمط معماري يمزج ما بين القديم والحديث، ثم توافدت إلى الحي أفواج المستوطنين، ليصل عدد سكانه إلى ٢٣٠٠ نسمة، بإنفاق ملايين الدولارات في إعادة إعماره وترميمه. وفي شتاء عام ١٩٦٨م بدأت الخطوة التالية، وهي خارج الأسوار، فبدأ حلقة جديدة من الاستيطان، وفي ذلك العام تمّ مصادرة ٣٣٤٥ دونما من أراضي الشيخ جرّاح، ووادي الجوز ، وأرض المستر، لتقام عليها أحياء استيطانية إسرائيلية بدأت تتغلغل في الأقطين الشمالي والغربي، وقد نُفذ ذلك في إطار ما يمكن اعتباره، من وجهة نظر إسرائيلية، تصحيحاً للتشوية الذي نتج عن حرب عام ١٩٤٨م، عندما سقط الحي اليهودي وعُزل جبل المشارقة " سكوبكس ". (٣١)

كانت مساحة القدس قبل عام ١٩٦٧م تبلغ ٦,٥ كيلومتر مربع، وبعد عام ١٩٦٧م بلغت ٧٠,٥ كيلو متر مربع، وبهذا الأسلوب استطاعت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة أن تخلق واقعاً جغرافياً وسكانياً في القدس الشرقية، وأخذ الصراع العربي – الإسرائيلي على منطقة القدس مظهراً ديمغرافياً، فقفز عدد سكان اليهود عام ١٩٦٧م من صفر إلى ١٢٠ ألفاً، شكلوا لأول مرة أغلبية في الشطر الشرقي من القدس المحتلة، وقد أقيمت ١٥ مستعمرة على هذه الأراضي، وتمّ بناء ٣٠ ألف وحدة سكنية لليهود مقابل ٥٥٥ وحدة للعرب. (٣٢)

أقرّ مجلس الوزراء الإسرائيلي خطة القدس الكبرى، الهادفة إلى تهويد القدس، بإنشاء عدد كبير من المستوطنات وهي: (٣٣)

١- النبي يعقوب: أنشئت هذه المستوطنة عام ١٩٧٠م، وتضمّ بداخلها ٣٨٥٠ وحدة سكنية،على مساحة١٠٧٠ دونماً، ويُقدر عدد السكان فيها بحوالي١٩٣٠٠ نسمة

٢- رامون: أنشئت في ١٩٧٠/٨/٣٠م، ضمن أكبر مصادرة جرت في مدينة القدس، تمّ الاستيلاء فيها على ٤٨٤٠ دونما من أراضي قرى بيت إكسا، وبقايا أراضي لفتا وشعفاط، وقد نشر الاستملاك للمصلحة العامة، وتقع مستعمرة رامون شمال غربي مدينة القدس على ارتفاع يتراوح ما بين ٧٦٩ و ٨٥٠م بين إحداثي خطيّ طول ١٦٨ – ١٧٠، وخطيّ عرض ١٣٥ – ١٣٧. ويُقدر عدد السكان فيها بحوالي ٣٧٢٠٠ نسمة، موزعين على ٨٠٠٠ وحدة سكنية، وجرى توسيع حدودها مرة أخرى حاملة اسماً آخراً هو "رامون٠٦"، والذي يقضي بإقامة ٢٠٠٠ وحدة سكنية جديدة.

٣- جيلو: تم إنشاؤها عام ١٩٧١م على مساحة ٢٧٤٣ دونما، ويُقدر عدد السكان فيها بحوالي ٣٠٢٠٠ نسمة، موزعين على ٩٠٠٠ وحدة سكنية، وتُعتبر هذه المستوطنة من أكبر المستوطنات التي تقع في الجزء الجنوبي والغربي، حيث تسيطر على الأراضي والمناطق العليا المشرفة على بيت جالا وبيت لحم، وكذلك على مدينة القدس، وقد شقّ شارع عريض يصل بين مركز المدينة والمستعمرات " شارع يلت – جيلو "، وقسّم بالتالي بيت صفافا إلى شطرين ، ويجري الآن توسيع المستعمرة باتجاه الغرب لتصل إلى الخط الأخضر.

٤- تل بيوت الشرقية: تمت مصادرة أراض مساحتها الإجمالية ٢٢٤٠ دونماً، بموجب قرار مصادرة وقعه وزير المالية للمصلحة العامة، بتاريخ ١٩٧٠/٨/٣٠م، تقع المستعمرة جنوب شرقي القدس على ارتفاع يتراوح بين ٧٥٠ و ٧٩٥م، وبين إحداثي خطيّ عرض ١٢٨ – ١٢٩، على أراضي صودرت من: قرية باهر " وادي عمرون "، صوانات قطعة نبور، بن السباع، حولكير الهويش، وادي الزيتون، المزوايا، رأس عطرش، جورة الحجة، الراس الغربي، أبو حشيش ، العديسة ". وتشكل هذه المستعمرة، مع مستعمرة جيلو، الحزام الجنوبي الشرقي من أحزمة الطوق حول القدس، ويقع جزء كبير من هذه المستعمرة على الأراضي الحرام التي كانت تفصل بين الأردن وإسرائيل، وتشرف عليها قوات مراقبة الهدنة، وبعد حرب عام ١٩٦٧م وقعت إسرائيل اتفاقاً مع الأمم المتحدة تنازلت الأخيرة بموجبه عن ٢٠٨٤ دونماً، واحتفظت بحوالي ٧١٦ دونماً.

٥- الحي اليهودي: بتاريخ ١٤ نيسان " مايو " ١٩٦٨م تمت مصادرة ١١٦ دونماً داخل أسوار القدس القديمة، في المنطقة التي كانت تعرف باسم حي الشرف، وكذلك باسم " الحي اليهودي "، وكان قائماً على هذه المساحة المصادرة قرابة ٥٩٥ بناية تضم: ١٠٤٨ دكاناً ومتجراً وخمسة مساجد وأربعة مدارس وسوقاً عربية تاريخية هي " سوق الشابورة " وشارعا تجاريا هو جزء من شارع باب

السلسلة، ويقع على طول هذا الشارع عدد من العمارات التاريخية، يعود بناؤها إلى العصر المملوكي، وكان يعيش في هذه المنطقة نحو ستة آلاف عربي في ثلاثة أحياء هي: حي المغاربة الذي دُمر كلياً بعد الحرب مباشرة، وجزء من حي السريان، وحي الشرف، وتشكل هذه المساحة حوالي ٢٠% من مساحة البلدة القديمة من القدس، وقد بذلت السلطات جهوداً مكثفة ووظفت استثمارات مالية هائلة لإعادة بناء الحي. ليس بصورة موسعة فقط، بل وبدرجة عالية من التعمير الحديث الذي يستلزم إمكانيات مالية مضاعفة، وذلك بهدف المزج بين الطراز التقليدي المتميز، لمباني البلدة القديمة، مع الطابع العصري في هذه المباني، لجعل هذا الحي معلماً سياحياً وحضارياً من معالم المدينة، بالإضافة إلى الشروط المربحة للاستيطان.

٦- معلوت دفنا: تم إنشاؤها عام ١٩٦٨م على مساحة ٣٨٩ دونماً، بعدد سكان يقدر بحوالي ٤٧٠٠ نسمة، موزعين على ١١٨٤ وحدة سكنية، حيث أنشئت في المناطق الحرام السابقة التي كانت تفصل القدس الشرقية والغربية، وقد شق شارع رقم ١١ بالقرب منها. وتعتبر من مستعمرات أحزمة القلب، حيث أقيم بجوارها المبنى الضخم لمقر حرس الحدود.

٧- الجامعة العبرية: أقيمت المباني الأولى للجامعة العبرية على أراضي قرية العيسوية عام ١٩٢٤م بالإضافة إلى مشفى، وظلت كذلك حتى عام ١٩٤٨م حيث بقيت الجامعة ضمن المنطقة الخاضعة لإشراف الأمم المتحدة المنزوعة السلاح، وكانت القوافل في العهد الأردني تصل كل أسبوعين من القدس الغربية إليها، تحت حراسة الأمم المتحدة وإشرافها، وبعد عام ١٩٦٧م -- وبعد مصادرة مساحات واسعة من أراضي قرية لفتا وأراضي السمار وأراضي العيسوية -- جرى توسيع الجامعة العبرية التي تقع على ارتفاع ٨٥٠م عن سطح البحر، بين إحداثي خطي طول ١٧٣ - ١٧٤ وخطي عرض ١٣٤ - ١٣٥، وذلك على حساب المناطق الحرام والمناطق المنزوعة السلاح التي كانت تفصل بين الأردن وإسرائيل. وكذلك وصلت الجامعة بالقدس الغربية عن طريق الأحياء السكنية التي أقيمت على مقربة منها: التلة الفرنسية، جبعات همفتار، رامات أشكول". وللجامعة العبرية مكانة إستراتيجية من الناحيتين الأمنية والسياسية، حيث تسيطر على شمال القدس وتشرف على مجموعة قرى حولها ، بالإضافة إلى إشرافها على وادي الأردن وجبال الأردن الغربية " جبال السلط ".

٨- ريخس شعفاط " جبعات هاشعفاط ": تم إنشاؤها عام ١٩٩٠م على مساحة ١١٩٨ دونماً، وتضمّ ١١٩٥ وحدة سكنية، وجرى وصلها بالمستوطنات الواقعة إلى الشمال الشرقي: " النبي يعقوب، بجسات زئيف، بسجات عومر، "

بشارع يحمل رقم ١٢ ليصل شارع رقم ٩ داخل إسرائيل، ليوصل بين المستوطنات الشرقية والغربية، وفصل القرى العربية عن بعضها: " بيت حنينا وشعفاط ".

٩- رامات أشكول: تعتبر هذه المستعمرة من أوائل المستعمرات التي أسست حول مدينة القدس، حيث شكلت مع المستعمرات الأخرى واحداً من الأحزمة الاستيطانية الأولى حول المدينة، وحلقة ربط بين الأحياء في القدس الغربية والقدس الشرقية، تم إنشاؤها عام ١٩٦٨م على مساحة ٩٤٠ دونماً، وعدد سكانه يقدر بحوالي ٦٦٠٠ نسمة موزعين على ٢٢٠٠ وحدة سكنية، وتعتبر هذه المستوطنة، مع جبعات همفتار، الجزء الغربي من الأحياء الاستيطانية التي تم إنشاؤها لمراقبة الشارع العام الواصل بين القدس ورام الله، بالإضافة إلى تطويق مدينة القدس.

١٠- التلة الفرنسية: تم إنشاؤها في عام ١٩٦٨م على مساحة ٨٢٢ دونماً، ويبلغ عدد سكانها بحوالي ٦٥٠٠ نسمة موزعين على ٥٠٠٠ وحدة سكنية، وتعتبر من أول المستعمرات التي أقيمت القدس لاستكمال حلقة الطوق حول المدينة، وهي من أكبر الأحياء السكنية في الحزام الاستيطاني الأول.

١١- عطروت: وهي عبارة عن مستوطنة صناعية تم إنشاؤها في عام ١٩٧٠، على مساحة ١٢٠٠ دونماً، ويوجد بها صناعات الأثاث والصناعات المعدنية وتم نقل كثير من المصانع من القدس الغربية إلى هذه المنطقة، ونتيجة لقرب من المطار، فقد تم الإعداد لمشروع يهدف إلى توسيع مدرج المطار والمنشآ الخاصة به، لنقل البضائع للعالم الخارجي.

١٢- بسجات زئيف وبسجات عومر: تم إنشاء هاتين المستوطنتين عام ١٩٨٥م على مساحة ٣٨٠٠ دونم، وتضم بداخلها حوالي ١٤٠٠٠ وحدة سكنية، بها سكان إجمالي يقدر بحوالي ٣٠٠٠٠ نسمة، وأقيمتا على أراضي قرى: " بيت حنينا ، شعفاط ، حزما وعناتا ". وتعتبران من أكبر المستوطنات في الجز الشمالي الشرقي من مدينة القدس، وتكونان الحزام الاستيطاني الثاني بـ الحزام الأول.

١٣- جبعات همتوس: تم إنشاؤها عام ١٩٩١م، وأقيمت هذه المستعمرة عل أراضي تعود ملكيتها إلى قريتي بيت صافا وبيت جالا، بالإضافة إلى أراض يملكها دير الروم الأرثوذكس ، وتبلغ مساحتها ١٧٠ دونماً، تمت مصادرة بذريعة أنها أملاك حكومية. تقع هذه المستعمرة على ارتفاع ٨٠٠م عن سط البحر، بين إحداثيّ خطيّ طول ١٦٩ - ١٧٠ وخطيّ عرض ١٢٧ - ١٢٨ على مقربة من خربة طبالية الأثرية، وبدأ تأسيسها عام ١٩٩١م بوضع بض

منات من الكرافانات، وإنشاء للبنية التحتية، وفتح الطرق لوصلها بالشارع الرئيسي رقم ١ ، وهي من المستعمرات الواقعة ضمن حدود بلدية القدس، وتعتبر هذه المستوطنة، مع مستوطنة جيلو، الحزام الجنوبي الغربي الذي يُبنى حول القدس من أجل منع الامتداد العربي، ومحاصرة القرى العربية التي تقع داخل حدود بلدية القدس، وفصلها عن مدن الضفة الغربية.

١٤- هار هوماه (جبل أبو غنيم): تمت مصادرة أراضي في بيت ساحور، وصور باهر لبناء هذه المستوطنة عام ١٩٩٠م، حيث تمت مصادرة ١٨٥٠ دونما من أجل إنشاء ٦٥٠٠ وحدة سكنية، وتعتبر هذه المستوطنة الآن محمية طبيعية.

١٥- مشروع ماميلا (قرية داود): تقع غربيّ باب الخليل في حي الشماعة، في عام ١٩٧٠م أعلن عن استملاك القطع رقم ٣٠٠٢٠ : ٣٠٠٣١ ، ٣٠٠٣٢، وتعتبر هذه المنطقة التي كانت منطقة حراما، جزءاً من مخطط عام يهدف إلى دمج القدس الشرقية بالغربية، وإعادة تشكيل هاتين المنطقتين. وقد كانت المنطقة المصادرة جزءاً من الأملاك العربية، بالإضافة إلى أملاك الكنيسة، ويتم البناء في القرية الجديدة على طراز ونمط معين، بهدف تجاري وسياحي ، وتعتبر هذه المنطقة جزءاً من مخطط عام يهدف إلى دمج القدس الشرقية بالقدس الغربية.

١٦- معاليه أدوميم: أقيمت هذه المستعمرة عام ١٩٧٥م على أراضي صودرت من فريتي للهيزرية وأبو ديس عام ١٩٧٠م، بذريعة أنها أملاك حكومية، وتقع على ارتفاع ٦٢٢م عن سطح البحر، بين إحداثي خطي طول ١٧٨ - ١٧٩وخطي عرض ١٣١ - ١٣٢، وتوسيع هذه المستعمرة يجري في اتجاهين شرقاً وغربا ، فقد أقيم حي جديد على الجزء الغربي من الشارع العام، لبناء ٢٠٠٠ وحدة سكنية تحت أسم (بسكات أدوميم)، وقد بلغ عدد سكان المستعمرة ، في أيلول " سبتمبر " عام ١٩٩٢م: ٣٥٠٠ عائلة، وتعتبر أول مستعمرة يعلن عنها كمدينة في الضفة الغربية بعد أن كانت موشافا، إن مستعمرة معاليه أدوميم - مع التوسعات الجارية فيها باتجاه الشمال لإحكام الطوق حول مدينة القدس من الناحية الشرقية - تعتبر من أخطر المستعمرات المحيطة بالقدس، فقد شكلت بموقعها شرقي القدس، مع المستعمرات الغربية والجنوبية الغربية، حاجزاً استيطانياً قسم الضفة إلى قسمين آخرين: جنوبي الخليل وشمالي رام الله ، وقد يمتد التوسع في هذه المستعمرة باتجاه الشرق حتى يتوقف عند ضفة نهر الأردن الغربية، هذا فضلاً عن إشرافها وسيطرتها على الشارع الرئيسي بين القدس وأريحا، وهنالك مخطط لإنشاء شارع جديد، بحيث يصبح الشارع الحالي شارعا داخليا في مستعمرة معاليه أدوميم. وتبلغ مساحة البناء ٧٥٠٠ دونم

من أصل ٣٧ ألف دونم مخصصة لهذه المستعمرة. وتجري الآن عمليات توسيع جديدة جنوبي المستعمرة، في منطقة خربة الصوانة لإقامة ١٨٥٠ وحدة سكنية.

١٧- كفار أدوميم: أنشئت هذه المستعمرة في أيلول ١٩٧٩م ، وأقيمت على أراضٍ صودرت من قرية عناتا، وتقع على ارتفاع ٢٦٧م عن سطح البحر: بين إحداثي خطي طول ١٨٢ - ١٨٣ وخطي عرض ١٣٧ - ١٣٨، تقع المستعمرة في المنطقة شبه الصحراوية، على مشارف وادي صوانيت والمستعمرة موشاف، أنشئت بالقرب منها مزارع للورد، كما تربى فيها الخيول وجميع أبنيتها دائمة، وهناك على بعد ٣ كم منها أقيمت مستعمرة جديدة عام ١٩٩٢م تحت إسم (كفار أدوميم ب) التي أقيمت على عجل فوق تلة أقيمت مؤقتة، تحوي ٣٦ كرفانا.

١٨- مشور أدوميم: (المنطقة الصناعية): أقيمت ١٩٧٤م على أراضي قرية أبو ديس، وتعتبر المنطقة الصناعية للمستعمرات الشرقية، وتقع على ارتفاع يتراوح ما بين ٢٥٢ و ٢٣٢م عن سطح البحر، بين إحداثي خطي طول ٨١ - ١٨٣ وخطي عرض ١٣٣ - ١٣٤، تبعد هذه المنطقة الصناعية ١٠ كم عن القدس، وتعتبر من أهم المناطق الصناعية في شرق القدس، حيث يعمل في سكان المستعمرات المجاورة.

١٩- جفعون: أقيمت عام ١٩٧٨م على أراضي قرية الجيب مكان معسكر للجيش الأردني. وتحولت إلى مستعمرة ويشطر الشارع الواصل بين مستوطنة النبي صموئيل وجبعات زئيف هذه المستعمرة إلى قسمين: شرقي يدعى جفعون شرق، وغربي يدعى جفعون غرب.

٢٠- جفعات حدشاه: أقيمت عام ١٩٨٠م على أراضي قرية بيت أجزا، وقد توسيع هذه المستعمرة بإقامة وحدات سكنية دائمة، ويوجد في المستعمرة مشغل خياطة ومختبر كيميائي.

٢١- جبعات زئيف: أقيمت عام ١٩٧٧م، وأصبحت كمستوطنة دائمة عام ١٩٨٣، أقيمت على أراضي قرى بتونيا، وبيت دقو والجيب، ترتفع عن سطح البحر ٧٩٠م، بين إحداثي خطي طول ١٩٥ - ١٦٧ وخطي عرض ١٤٠ - ١٤٢، بلغ عدد سكانها، في كانون الأول ١٩٩٠م، ١٣٠٠ عائلة، وفي أيلول ١٩٩٢م، ١٩٠٠ عائلة، وسيبلغ عدد العائلات حسب المخطط ٦٠٠٠ عائلة وتعتبر جبعات زئيف من كبرى المستعمرات الإسرائيلية خارج حدود القدس ضمن مجموعة مستعمرات رئيسية تشكل - مع مجموعة المستعمرات المقامة على أراضي بدو - الحزام الثاني حول القدس، علماً بأن هذه المجموعة تا

على شارع رقم ٤٥٦ المارّ شمال جبعات زئيف، " قادماً من شمال غرب رام الله "، والشارع رقم ٤٥ الواصل إلى منطقة اللطرون، الأمر الذي يوضح أهمية هذه المجموعة كضاحية من ضواحي القدس وهناك عدد كبير من مستوطني جبعات زئيف، التي لا تبعد سوى ١٠ دقائق عن مركز القدس، لديهم أعمال ومشاريع في المدينة، كذلك فإن ارتباطها بمستعمرة راموت جعلها أكثر اقتراباً من المركز، ويلاحظ أن هذه المجموعة آخذة في الاتساع.

٢٢- جبعات بنيامين آدم: أقيمت عام ١٩٨٣م على أراضي قرى: جبع " قطع الحدمة، بدء الخيل، قطاع الغزلان، الكويع الشمالي، الكويع الجنوبي، الرجمان، العقد، الملف "، وقد صودرت بين عامي ١٩٨٠م - ١٩٨٤م، حيث بلغت مساحة الأراضي المصادرة ٣٨٣٦ دونماً، وترتفع عن سطح البحر ٦٩٠م، بين إحداثي خطي طول ١٧٩ - ١٨٠ وخطي عرض ١٤٢ - ١٤٣، تعتبر هذه المستعمرة من كبرى المستعمرات الثمانية الشرقية خارج حدود القدس، وتعتبر نقطة اللقاء بين مستعمرات شمال شرق رام الله.

٢٣- هارادار: أقيمت عام ١٩٨٥م، وتقع على ارتفاع ٧٠٠م عن سطح البحر، وأقيمت على أراضي قريتي بيت سوريك وبدو، وتعتبر هذه المستعمرة من مستعمرات الخط الأخضر، حيث إنها تقع داخل الضفة الغربية، لكنها تلتقي مع مستعمرة معاليه خمشاه " بالقرب من قرية أبو غوش "، كما تعتبر من مستعمرات الربط، ذلك لأن وجودها في هذه المنطقة أدى إلى توسيع حدود إسرائيل ودفعها باتجاه الشمال، وأدى إلى محاصرة قرى المنطقة " بدو، بيت سوريك "، حيث تم توسيع مستعمرة مبسرييت تصيون " داخل إسرائيل " باتجاه جنوب بيت سوريك، بعد مصادرة أراضي الشيخ عبد العزيز، حيث أصبحت عملية ربط المستعمرات، على جانبي الخط الأخضر، أمراً واردا.

٢٤- علمون: أقيمت عام ١٩٨٣م على أراضي صودرت من قرية عناتا، في بداية تأسيسها كانت الأبنية مؤقتة، تقع على ارتفاع ٥٢٠م عن سطح البحر، وعلى مقربة منها إلى الغرب تقع خربة قديمة " خربة علميت "، على ارتفاع ٦٣٨م، التي كانت تقوم على بقعتها بلدة " علمون " الكنعانية، وتشاهد في الخربة جدران مهدمة وأحواض منقورة في الصخر، وإلى الشرق من المستعمرة تقع عين القوّار التي تضم بركة، أساسات كنيسة مع أرضية مرصوفة بالفسيفساء، قناة، مساكن في الكهوف، بالإضافة إلى ينابيع المياه، وقد بدئ في بناء المستعمرة الجديدة على بعد بضع مئات من الأمتار من المستعمرة القديمة. بإقامة فيلات وحسب برنامج (ابن بيتك بنفسك) على مساحة ٥٠٠ دونم، صودرت باعتبارها أملاك دولة. و يعمل سكانها في القدس وتربية الخيول

واستغلال المنطقة سياحياً، حيث تطل على وادي صوانيت الذي أعلن عنه محمية طبيعية، والأحواض التي تحت مصادرتها من أراضي عناتا لصالح هذه المستعمرة هي: " قارة والمشامين ".

٢٥- تاحل عناتون: أقيمت على أراضي قرية عناتا في أحواض " خلايل أبو جميع ".

٢٦- ألون: أقيمت عام ١٩٩٠م فوق وادي القلط، على أراضي صودرت من قرية عناتا، توسعت المستعمرة باتجاه الشرق والجنوب، وتقع على الشارع العام الواصل بين شارع القدس وأريحا، وشارع معاليه أفرايم " خط ألون "، ولا تبعد عن مستعمرة كفار أدوميم باتجاه الشرق سوي ٢ كم، تشرف على منطقة سياحية وطبيعية جميلة: وادي القلط، والقوار، ومناطق المحميات الطبيعية في وادي صوانيت " الأمر الذي يعني أن مستقبل هذه المستعمرة سوف يعتمد على السياحة، ولا يُعترف بها كمستوطنة مستقلة بل كحي لكفار أدوميم.

٢٧- مستوطنة نوكديم " الأفيد ": عبارة عن مستوطنتين متجاورتين على بعد ٨ كم جنوب شرق مدينة بيت لحم، وتحدها قرى خربة النواورة في الجنوب الغربي وأم الضيوف في الشمال.

٢٨- تفواع: تقع على بعد ٧ كم جنوبي شرق مدينة بيت لحم، وتحيط بها قرى خربة الدير جهة الغرب، وتفوع في الجنوب الغربي، وخربة النواورة في الجنوب ، ومستوطنة نوكديم في الشرق، وحرملة في الشمال.

٢٩- أفرات: وتقع إلى الغرب مباشرة من طريق القدس - الخليل، ومحاطة بقرى رجم الناقة في الجنوب، وادي النيص في الشرق، وادي رحال في الشمال الشرقي، وتقع ألوية الخضر على بعد ٤,٥ كم إلى الشمال من المستوطنة.

٣٠- مجدال عوز: تقع إلى الغرب من طريق القدس - الخليل جنوب مستوطنة أفرات، تحيط بها قرى رجم الناقة في الشمال، ومخيم العروب في الجنوب وخربة أم سلمونة في الشرق وتقع على بعد " ١٧ كم جنوب غرب مدينة القدس ".

٣١- مسوات يتسحاق: تقع إلى الشرق مباشرة من طرفي القدس الخليل: على بعد ٨ كم إلى الشرق من الخط الأخضر.

٣٢- كفار عتسيون: تقع على بعد ٦ كم إلى الشرق من الخط الأخضر، وإلى الغرب من طريق القدس - الخليل. وتجاورها بعض القرى العربية من جهة الغرب وخاصة خربة صافا وخربة الجنان، وتقع على بعد ١٦ كم جنوب غرب مدينة القدس.

٣٣- آلون شيفوت: تقع إلى الشمال من مستوطنة كفار عتسيون، وتبعد حوالي ٥ كم إلى الشرق من الخط الأخضر، وغربي طريق القدس – الخليل، وإلى الجنوب من خربة بيت سكاريا.

٣٤- الميعازر: تقع إلى الغرب مباشرة من طريق القدس الخليل، على بعد ٧ كم شرقي الخط الأخضر؛ وإلى الشرق من خربة بيت سكاريا. وتقع على بعد ١٥ كم جنوب غرب مدينة القدس.

٣٥- روش تسوريم: تقع على بعد ٤ كم إلى الشرق من الخط الأخضر، وإلى الجنوب من قرية نحالين.

٣٦- بيت عين " تسوريف ": تقع على بعد ٤ كم إلى الشرق من الخط الأخضر، ويفصلها عن الخط الأخضر قرية جبعة، وتقع على بعد ١٧ كم جنوب غرب القدس.

٣٧- تيفي دانيال: تقع إلى الغرب مباشرة من طريق القدس- الخليل، على بعد ٥ كم إلى الشرق من الخط الأخضر، ويفصلها عن قرية نحالين على بعد ١٣ كم جنوب مدينة القدس.

٣٨- بيتار: تقع على بعد ٢ كم إلى الشرق من الخط الأخضر، وتحيط بها قرى حوسان في الشمال، ونحالين في الجنوب، وتبعد حوالي ١٢ كم جنوب مدينة القدس.

٣٩- بيتار عليت: تقع إلى الشرق مباشرة من الخط الأخضر بحوالي ١ كم ، ولكن تفصلها عنه قرية وادي فوكين، وتجاورها قرية حوسان من جهة الشرق، أما في الجنوب فتقع مستوطنة بيتار.

٤٠- هارجيلو: تبعد حوالي ٢ كم جنوب الخط الأخضر. حيث يقع ممر القدس إلى الشمال من الخط، وتحيط بها قرية الولجة الجديدة جهة الغرب، ومدينة بيت جالا جهة الشرق.

٤١- موفو جورون: أقيمت على أراضي قرية بالو – عمواس وبيت نوبا، وتحتل موقعا وسط تقريبا في ممر اللطرون إلى الغرب من قرية مرج عصيرة. وتبعد حوالي ١٨ كم إلى الغرب من مدينة القدس.

٤٢- كدار: عبارة عن مستوطنتين متجاورتين، على بعد ٥ كم إلى الشرق من مدينة القدس، وتقع إلى الشمال من قرية ظهرة المغرة.

الإجراءات الصهيونية لهدم المسجد الأقصى:

اتخذ الصهاينة إجراءات عديدة لطمس معالم القدس الحضارية العر
والإسلامية، والعمل الدءوب المخطط لهدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل الثا
المزعوم مكانه، ومن هذه الإجراءات:

- هدم البيوت ومصادرة الأراضي: ففي يوم ١٩٦٧/٦/١١م هُدمت حارة المغار
بكل مبانيها ومساجدها الأثرية، لتوسيع ساحة البراق التي يُصلّون فيها ؛ وهذه
أيضاً حارة الشرف بكاملها في ١٩٦٨/٤/١٨م، وأقيم مكانها حيي لليهو
وواصلت السلطات الإسرائيلية محاولاتها لإحداث خلل ديمغرافي فيها لصا
اليهود.

- بنا جدار الفصل العنصري لعزل القدس عن المدن والتجمعات للسكا
الفلسطينية، ومنع المصلين من الوصول إلى المسجد الأقصى.

- شق نفق يربط بين حائط البراق " ساحة المبكي " وبين منطقة باب الأسبا
والذي يمر من تحت المسجد الأقصى، والعمل على توسيع مساحة ساحة حـ
البراق من الجهتين الشمالية والجنوبية الشرقية.

- العمل على توسيع الاستيطان اليهودي في بلدة سلوان المجاورة للقدس القدي
وذلك بهدف إعادة ما وُصف بالوجود اليهودي في مدينة داود، على أن يتم ذ
في المرحلة الأولى عن طريق استعادة الملكية اليهودية لجميع البيوت الواقعة
منطقتي وادي الحلوة، وما يسمى بحارة يهود اليمن في بلدة سلوان. [١٣١]

- أقدم السائح اليهودي الأسترالي " مايكل دينيس روهان " في ١٩٦٩/٨/٢١،
على إحراق منبر صلاح الدين وجزء كبير من المسجد الأقصى، وقد أتى حر
المسجد الأقصى عام ١٩٦٩م في إطار المحاولات اليهودية لهدمه، وإقامة هـ
سليمان المزعوم مكانه، ففي يوم ١٩٦٩/٨/٢١م قطعت سلطات الاحت
الإسرائيلية المياه عن منطقة الحرم، ومنعت المواطنين العرب من الاقتراب
ساحاته، في الوقت الذي حاول فيه أحد المتطرفين اليهود إحراق المسجد الأقص
وقد اندلعت النيران بالفعل، وكادت تأتي على قبة المسجد، لولا استماتة المصل
والمسيحيين في عمليات الإطفاء التي تمت رغماً عن السلطات الإسرائيلية، وا
بعدما أتى الحريق على منبر صلاح الدين، واشتعلت النيران في سطح الصـ
الجنوبي وسقف ثلاثة أروقة؛ ادعت إسرائيل أن الحريق تم بفعل ماس كهربا
وبعدما أثبت المهندسون العرب أنه تم بفعل فاعل، عادت إسرائيل وادعت أن
أسترالياً هو المسئول عن الحريق، وأنها ستقدمه للمحاكمة؛ ولم يمض وقت ط

حتى أذاعت بأن هذا الشاب معتوه ثم أطلقت سراحه، واستنكرت معظم دول العالم هذا الحريق، واجتمع مجلس الأمن وأصدر قراره رقم ٢٧١ لسنة ١٩٦٩م - بأغلبية أحد عشر صوتاً وامتناع أربع دول عن التصويت، من بينهما الولايات المتحدة الأمريكية - والذي أدان إسرائيل ودعاها إلى إلغاء جميع التدابير التي من شأنها تغيير وضع القدس، وجاء في القرار: " إن مجلس الأمن يعبّر عن حزنه للضرر البالغ الذي ألحقه الحريق بالمسجد الأقصى يوم ١٩٦٩/٨/٢١م تحت الاحتلال العسكري الإسرائيلي، ويدرك الخسارة التي لحقت بالثقافة الإنسانية نتيجة هذا الضرر "، وذكر بيان مجلس الأمن الدولي بقرارات الجمعية العام للأمم المتحدة الخاصة ببطلان إجراءات إسرائيل التي تؤثر في وضع مدينة القدس، وبتأكيد مبدأ عدم قبول الاستيلاء على الأراضي بالغزو العسكري، ونص على أن: " أي تدمير أو تدنيس للأماكن المقدسة أو المباني أو المواقع الدينية في القدس، أو أي تشجيع أو توافق للقيام بعمل كهذا يمكن أن يهدد بشدة الأمن والسلام الدوليين "[٣٠].

نقض ودحض المزاعم الصهيونية حول الهيكل المزعوم:

الهيكل في نظر اليهود هو بيت الإله ومكان العبادة المقدّس، وطوال الفترة من عهد النبي موسى إلى عهد النبي سليمان عليهما السلام، لم يكن لليهود مكان عبادة مقدس ثابت، كانت الوصايا توضع في تابوت أطلق عليه تابوت العهد، وخصّصت له خيمة أطلق عليها خيمة الاجتماع ينقلونها معهم أينما ذهبوا: كان سيدنا سليمان عليه السلام قد بنى الهيكل ثمّ هُدم، ثمّ أعيد بناؤه عندما استولى الفرس على فلسطين وأعاد كورش اليهود من بابل إلى القدس، ثم قام الرومان بهدمه ولا يوجد له أي أثر في القدس الآن، ومزاعم اليهود وبحثهم عن هذا الهيكل كلها تناقض الواقع والحقيقة وذلك لما يلي:

١- أخرجت الصهيونية قصة الهيكل من طيات التاريخ القديم، واستغلتها كذريعة لاحتلال فلسطين، في حين أن الحقائق التاريخية تثبت أن اليهود لم يكن لهم كيان سياسي إلا لمدة ٧٢ سنة، وهي المدة التي تولى فيها نبيّا الله داود وسليمان الحكم (١٠٠٠ ق.م - ٩٢٨ ق.م)، وهذه الفترة القصيرة لا تعطيهم سنداً تاريخياً للمطالبة بفلسطين، كما أن هذه الفترة لم تكن خالصة لهم، فالسكان خليط من الكنعانيين والفلسطينيين واليهود. ومما يجدر ذكره أن الحروب الصليبية استمرت ٢٠٠ سنة، ولم يدّعوا ما ادّعى اليهود، بل جاءت وفودهم المثقفة تعتذر عن هذه الحروب.

٢- يدّعي الصهاينة أن المسجد الأقصى بني فوق الهيكل، وهذا الزعم غير صحيح لـ:

أ- أن الهيكل دُمر تماماً سنة ٧٠م على يد القائد الروماني تيتوس.

ب- أن المسجد الأقصى بُني قبل ظهور نبي الله سليمان باني الهيكل بأكثر من ألف عام وبقي حتى اليوم.

ج- أن الذي بنى المسجد الأقصى أساساً هو نبي من أنبياء الله سواء كان آدم أو إبراهيم، وأن الذي بنى الهيكل هو نبي الله سليمان، ولا يصح عقلاً أن يَهدم أيّ نبيّ مسجداً بناه نبي قبله، ليشيّد على أنقاضه هيكلاً.

د- من المؤكد تاريخياً بناء الهيكل وهدمه عدة مرات، ولكن لم ترد أي إشارة واحدة إلى هدم الأقصى، مما يؤكد أن مكان الهيكل ليس محل المسجد الأقصى.

هـ- قامت إسرائيل بالحفر في مناطق متعددة أسفل المسجد الأقصى، ولم تجد أي أثر للهيكل المزعوم.

و- للتناقض في المصادر التاريخية اليهودية، فبعضها يقول إن الهيكل بُني خارج ساحات المسجد الأقصى، وبعضها يقول إنه تحت قبة الصخرة، وبعضها يدّعي أنه تحت المسجد الأقصى، وقد اختلفت أحجام وأشكال النماذج التي صمموها للهيكل تبعاً لهذا، مما يدحض تلك الروايات جميعاً.

الحفريات حول وتحت المسجد الأقصى:

لعلّ من أخطر الاعتداءات على المسجد الأقصى؛ تلك السلسلة من الحفريات التي قام بها الإسرائيليون منذ عام ١٩٦٧م وحتى يومنا هذا، وبرغم القرارات الدولية المناهضة لهذه الأعمال؛ تقوم إسرائيل بحفرياتها بحجّة البحث عن هيكل سليمان، فحفرت نفقاً عميقاً وطويلاً تحت المسجد الأقصى أدخلت إليه أسفار التوراة، وأنشأت بداخله كنيساً يهودياً.

وفي حفل افتتاح هذا الكنيس قال كبير الحاخامات اليهود: إننا نحتفل اليوم بافتتاح هذا الكنيس، وقد أقمناه هنا تحت الحرم مؤقتاً، وغداً سنحتفل بهدم هذا الحرم وقيام كنيسنا الكبير وبناء هيكلنا على أرضه، وهي أرضنا، ولن يبقى أحد من هؤلاء العرب الغرباء في بلادنا.

لقيت هذه الحفريات استنكاراً دولياً من خلال مجموعة من قرارات من الجمعية العامة ومجلس الأمن، لكن إسرائيل استمرت في حفرياتها وعبثها.

إن المنظمات اليهودية المتطرفة، التي تسعى إلى هدم الحرم وبناء الهيكل، انقسمت من حيث الوسائل إلى أربعة أقسام:

١- الأعمدة العشر: بناء عشرة أعمدة " بعدد الوصايا العشر " قرب الحائط الغربي من المسجد الأقصى، بحيث تكون الأعمدة على ارتفاع ساحة المسجد حالياً،

ومن ثم يقام عليها الهيكل، ويُربط هذا المبنى بما يعتقدون بأنه عمود مقدّس يوجد في ساحة قبة الصخرة المشرفة.

٢- الشكل العامودي: إقامة الهيكل قرب الحائط الغربي من المسجد الأقصى بشكل عمودي، بحيث يصبح الهيكل أعلى من المسجد الأقصى، ويُربط تلقائياً مع ساحة المسجد من الداخل.

٣- الترانسفير للعمراني: حفر مقطع للنفاقي حول مسجد قبة الصخرة، بعمق كبير جداً، وتقل المسجد كما هو خارج القدس، وإقامة الهيكل.

٤- الهدم الكامل: هدم المسجد الأقصى برمته وإنشاء الهيكل على أنقاضه، وأهم الجماعات التي تنادي بهذا جماعة أمناء الهيكل، حيث تقوم بتصميم نماذج للهيكل، ولأفرادها من اليهود والمسيحيين الأصوليين الذين يعتبرون قيام إسرائيل تأكيداً لنبوءات التوراة حول نهاية العالم بمجيء المسيح، ويوجد عدة ملايين منهم الأغنياء جداً في العالم يدعمون هذا الرأي.

أنشأت جماعة أمناء الهيكل مدرستين تلموديتين بالقرب من حائط البراق، لتدريب مائتي طالب على الشعائر الخاصة بالهيكل، وأسّست مزرعة لتربية الأبقار الحمراء التي كان يُضحى بها في الهيكل، وفي ٢٠٠١/٧/٢٩ قاموا بمحاولة وضع حجر الأساس لهذا الهيكل بشكل رمزي.

لم تتوقف الإجراءات الإسرائيلية ضد المدينة المقدسة أرضاً وشعباً وبيوتاً ومؤسسات، ومضايقات وانتهاكات ومصادرات وممارسات لا شرعية ولا قانونية.

إن الفهم الواعي لقضية القدس يقتضي إدراك الصلة الوثيقة بين ثلاثة عناصر فيها تمثل كلاً واحداً، وهذه العناصر هي: مدينة القدس، وشعب فلسطين، وفلسطين، إذ لا يمكن النظر إلى القدس بمعزل عن شعبها، وبمعزل عن فلسطين بمجموعها، فالقدس هي القلب في جسم فلسطين، وشعب فلسطين هو دم الحياة يتدفق فيهما، لابد أيضاً من وربط هذا الكل الواحد بالمنطقة الذي هو بدوره جزء منها، وما فلسطين إلا جزء من الوطن العربي والعالم الإسلامي.[٧٩]

هوامش البحث

(١) سورة الإسراء: آية ١.
(٢) سورة الأنبياء: آية ٧١.
(٣) صحيح البخاري: كتاب الجمعة رقم ١١٣٩.
(٤) المرجع السابق: رقم ٣٢٤٢.
(٥) رواه ابن ماجة في سننه.
(٦) مسند أحمد ابن حنبل: رقم ٩٧٤.
(٧) سورة النور: آية ٤٠.
(٨) سورة البقرة: آية ١٤٤.
(٩) سورة البقرة: آية ١٣٣.
(١٠) القدس مدينة السلام: مرجع سابق، ص١٩.
(١١) أخرجه النسائي: وابن ماجة.
(١٢) صحيح مسلم: كتاب الفتن.
(١٣) مكانة بيت المقدس في الإسلام: صلاح العاوور، مجلة الجامعة الإسلامية بغزة، المجلد الثامن، العدد الأول، رمضان ١٤٢٠ هجري / يناير ٢٠٠٠م، ص ١٣٣.
(١٤) الصراع على الأرض والسكان في فلسطين: مها البسطامي، مجلة شؤون فلسطينية، مارس ١٩٩٠م ، ص١١٤.
(١٥) جريدة دافار: ١٩٦٧/٦/٩م.
(١٦) القدس مدينة بلا أسوار: عوزي بنزيمان: القدس شوكن، سنة ١٩٧٣م ، ص ٢٦٩.
(١٧) القدس: سمير جرجس، مؤسسة فدرامات الفلسطينية، بيروت ط ١ سنة ١٩٨١م، ص١١٨.
(١٨) المرجع السابق: ص١١٩.
(١٩) جريدة معاريف: ١٩٧٥/١٠/٢٠م.
(٢٠) جريدة الفجر: ١٩٨٠/٩/١٨م.
(٢١) القدس مدينة بلا أسوار: مرجع سابق، ص ٢٧٠.
(٢٢) المرجع السابق: ص ٢٧٢.
(٢٣) المرجع السابق: ص ١٢٩.
(٢٤) جريدة الفجر: ١٩٧٧/٨/٣م.
(٢٥) جريدة معاريف: ١٩٧١/٢/١٦م.
(٢٦) جريدة هآرتس: ١٩٨٠/٩/١٤م.
(٢٧) جريدة معاريف: ١٩٨٠/١٢/٤م.
(٢٨) جريدة عال همشمار: ١٩٧١/٤/٧م.

(٢٩) جريدة القدس: ١٩٧٥/١١/٩م.

(٣٠) تاريخ القدس " جغرافية القدس ": أحمد رفعت غضبية، منشورات جامعة القدس المفتوحة، سنة ٢٠٠٩م، ص٢٢.

(٣١) الاستيطان وخطط التوسع والمصادرة في الأراضي الفلسطينية: إصدار دائرة للمعلومات في المخابرات الفلسطينية – قسم الشؤون الإسرائيلية، يوليو ١٩٩٦م ، ص ٨.

(٣٢) المرجع السابق: ص٩.

(٣٣) المستعمرات الإسرائيلية في الضفة الغربية: خليل التفكجي، جمعية الدراسات العربية، المركز الجغرافي الفلسطيني، تموز ١٩٩٤م، ص ٢٨ – ٤٣.

ولنظر الاستيطان تطوراته ومخططاته: مركز التخطيط لمكتب الرئيس، منظمة التحرير الفلسطينية، سلسلة دراسات وتقارير، حزيران ١٩٩٥م ، ص ٦١ – ٦٥.

(٣٤) الاستيطان وخطط التوسع والمصادرة: مرجع سابق، ص ٢٨.

(٣٥) هيكل سليمان " البحث عن السراب ": محمد عبد العاطي، ص٢.

(٣٦) وثيقة القدس: منظمة المؤتمر الإسلامي – لجنة القدس – سنة ١٩٨٤م، ص ١٧.

القدس في الآثار والكتابات
(المصرية والكنعانية والآرامية)

د. محمد بهجت قبيسي (*)

مقدمة:

للشيء الهام في هذا البحث أن نشير إلى الحقائق التالية:

١ – أنّ اسم القدس القديم هو القدس وليس أورشليم.

٢ – أنّ أورشليم خلاف القدس، وقد كانت أورشليم ترى من القدس حسب مقولات يوسوفيوس اليهودي في القرن الأول الميلادي.

٣ – أنّ مَنْ عيّنَ أنّ الهيكل مكان المسجد الأقصى هو «إسحق نيوتن» صاحب نظ الجاذبية الأرضية عام /١٧٢٥ ميلادية/ وليس عام /١٧٢٥ ق.م/.

وفي الموضوع:

١ – يدّعي اليهود بأنّ إبراهيم عليه السلام كان في القرن التاسع عشر (٠٠ ق.م).

٢ – وأنّ موسى كان في القرن الثالث عشر (١٣٠٠ ق.م).

٣ – وأنّ داوود كان في بداية القرن العاشر (١٠٠٠ ق.م).

٤ – كما يدّعي اليهود أنّ سليمان كان في (٩٦٠ ق.م) وقد بَنَى الهيكل في ع بمدينة القدس (أورشليم) حسب ادعائهم[٢].

<u>كلّ ذلك لم نجد له أثراً في الكتابات المصرية والأكادية والكنعانية والآرامية.</u>

هذا عن الأنبياء والملوك. أما عن مدينة القدس فيقولون: أنّ مدينة القدس (و يدّعون أنّ اسمها أورشليم) يمتد تاريخها إلى نهايات الألف الثالث أو بدايات الأل الثانية ق.م. ومصادرهم في ذلك:

١ – أنّها وردت في الكتابات المصرية القديمة بالخط [الهيروغليفي][٣]. ويدّعون اسم أورشليم ورد في [نصوص اللعن] في القرن التاسع عشر قبل المي سنأتي إلى تفصيل ذلك ونقده .

(*) أستاذ محاضر في جامعات حلب وتشرين والقاهرة سابقاً. وهذه محاضرة أُلقيت في المع العام للآثاريين العرب في قاعة اجتماعات فيجامعة العربية سنة ٢٠٠٣. لكنها مختصرة ومزيدة ومنقحة.

٢- وردت في كتابات تل العمارنة في القرن الرابع عشر قبل الميلاد زمن «إخناتون-أمين حوتب الرابع (١٣٦٧-١٣٥٠ ق.م)» ووالده أمين «حوتب الثالث (١٤٠٥-١٣٦٧ ق.م)».

٣- كما ادّعوا ورود اسم إسرائيل في نقش «مرنبتاح» الشهير المحفوظ بالمتحف المصري بالقاهرة في نهايات القرن الثالث عشر قبل الميلاد (١٢٢٤-١٢١٤ ق.م). ومنبيّن زيف ذلك .

٤- كما ادّعوا أنّ نقشاً كنعانياً يحمل اسم «أحيرام» ولأنّ هذا الأخير أرسل خشباً لبناء الهيكل وكان معاصراً لـ«سليمان».

٥- وأنّ نقشاً عبرياً آخر نُقش في نفق الماء لعين سلوان في القدس كان زمن النبي «حزقيال»[٣].

٦- كما ادّعوا أنّ الاسم القديم للقدس هو أورشليم، وأنّ اسم القدس هو اسم عربي / عثماني متأخر جاء بعد تحرير صلاح الدين الأيوبي لها. ودليلهم أنّ عمر بن الخطاب في وثيقته المسماة [العهدة العمرية] سماها «إيلياء» ولم يسمّها القدس.

كل ذلك من الأضاليل والزيف الذي دخل علينا من الفكر الصهيوني لقراءة التاريخ القديم .

نقد هذه المقولات:

لقد نشرت مقالة في مجلة [بيبليكال أركيولوجي ريفيو] بقلم الباحثة المدققة: مارغريت شتاينر، محققة الأبحاث الأثرية التي قامت بها لستانتها كاثلين، بعنوان:

[قدس داوود - حقيقة أم خيال ؟][٤]

وذلك في عدد تموز (يوليو) / آب (أغسطس) ١٩٩٨.

وملخص هذا البحث المكون من أحد عشر صفحة أنّ لا وجود لمدينة القدس قبل القرن السابع قبل الميلاد، [لا وجود لمدينة للقدس قبل القرن السابع قبل الميلاد كمدينة مأهولة تدب بها الحياة].

فكيف يتماشى هذا مع قراءاتهم المغرضة والمزيفة أنّ اسم أورشليم ورد في القرن التاسع عشر قبل الميلاد في نصوص اللعن المصرية القديمة؟.

نقول مع مارغريت شتاينر في نهاية بحثها بالنص:

« في القرن السابع قبل الميلاد تغيرت الحال تغيراً كلياً ففي هذه الفترة [أي في القرن السابع قبل الميلاد] نمت القدس ببطء .... وعندئذ فقط [أي بالقرن السابع قبل الميلاد] أصبحت القدس تشكل موقعاً مركزياً »[٥].

وتستطرد لتقول: « فإذا لم تتواجد أية مدينة أو بلدة في العصر الحديدي الأول (١٢٠٠ ق.م - ١٠٠٠ ق.م) فهذا يعني أنّ مدينة القرن العاشر أو التاسع قبل الميلاد والتي ذكرت آنفاً[٦] (حسب الادّعاء التوراتي السابق) قد بُنيت حديثاً »[٧].

والآن ما قصة هذه النقوش:

أولاً: اسم أورشليم الذي ادّعوا وروده في نصوص اللعن المصرية في القرن الثا عشر قبل الميلاد. فبعد قراءة الاسم وجدنا أنّ الاسم ليس «أورشليم» كما بيّنا، بل « «أشام[٨]»، وتعني الشام نفسها ممنوعة (مثل التنوين). وإليكم النقش:

أ و ش ا م م (مخصص أرض واسعة)[٩]

وتقـــــــــــرأ:

أ- أ شام [وم] (تمويم (مثل التنوين))[١٠] - شامٌ.

حيث [أ] سابقة تفيد التنبيه، حيث أقول: [أمهيبة] بمعنى [مهيبة] (اسم عل نقوش أجاريت). وتقول [أجاريت] لتعني [جريت = جربة = قرية = مدينة] (ا أجاريت).

فإذا كانت أورشليم فأين الراء وأين اللام.

ب- ثم إنّ المخصص الدالّ على الكلمة هو لأرض واسعة (الشام)، ولو كان د محددة لوضع مخصص المدينة.

ثانياً: قالوا أيضاً أنّ هناك نقشاً كنعانياً المعروف باسم الملك «أحيرام» (أخي رام ولأنّ هذا الأخير أرسل خشباً إلى «سليمان» لبناء الهيكل في «أورشليم» وقدروا تا في القرن العاشر ق.م أي نحو ٩٦٠ ق.م .

ونقش أحيرام يقول ما يلي: [هذا التابوت صنعه آية بعل بن أخي رام ملك جبيل أخي رام، لما سجّاه إلى الأبد، لكن إن جاء ملك من الملوك أو حاكم من الحكام أو جيش وزحف إلى جبيل وأزاح أو فتح هذا التابوت فسوف تكسر عصا سلطته و كرسي عرشه ويزول السلام عن جبيل وسوف يمحى نقشه بحد السيف[١١]]. الخشب؟، وأين الهيكل؟، وأين أورشليم؟، وأين سليمان؟.

هذا كلام توراتي بحت، وبالرجوع إلى قاموس الكتاب المقدس مادة [أحيرام][١٢]: ن هذه الأخبار توراتية وليست أثرية إنما ذهب البعض وبعد اكتشاف تابوت «أ الكنعاني» من «جبيل». بعد هذا الاكتشاف، ربطوا وقالوا أنّ «أحيرام الكنعاني الج هو نفسه الذي أرسل خشباً لبناء الهيكل كما ورد في التوراة، ولم يَرِدْ ذلك بتا النقش أن أحيرام أرسل خشباً كما هو واضح من النقش أعلاه[١٣].

ثالثاً: قالوا أيضاً أنّ اسم أورشليم ورد بالكتابات المسمارية الأكادية في تل الع بالقرن الرابع عشر ق.م. وقد ورد لدى بعض الباحثين أنّه جاء في هذه الرسائل ما

١) قالوا أنّ اسم «أورشليم» قد ورد أيضاً في هذه الرسائل.

٢) ذكروا ورود اسم «خابيرو» لتعني «عابيرو» [أي العبريين] كما يدّعون.

فلنناقش كل على حدة:

١- نشك في ورود اسم «أورشليم» ومع ذلك هذا يستدعي منا الرجوع إلى النص الأصلية وليس إلى ما كتبه بعض المؤرخين الغربيين، وفي هذه الحالة فإننا لا ولا نرفض رغم ورود أنباء أنّ النقش مهشم.

٢- ولأنّ كلمة (أور) لتعني مدينة فهي كلمة أكادية لم يعرفها الحيّز الجغرافي (الكنعاني / الآرامي)، بل عرفت فيما بين النهرين فقط، فإن وردت، فقد وردت بعد دخول الفرس للمنطقة (٥٣٩ ق.م) ومعهم ثلة من اليهود وبنوا جانب القدس - كما سنرى - بناءً ملحقاً بالقدس سموه أورشليم. ولا ننسى أنّ هناك شمال حلب على نهر الفرات مدينة تسمى (أور شمّو).

٣- اسم «خابيرو» لتعني «عابيرو»، نقول ليس لدينا في فقه اللهجات العربيات من الأكادية والكنعانية وحتى السبئية والعدنانية (أي الفصحى)، ليس لدينا إبدالاً لغويا بين الخاء والعين[١١].

لذلك فإننا نظن أنّ الاسم من «خبر» نسبة لمنطقة نهر الخابور، ومما يعزّز ويرجّح هذه المقولة، أنّهم قالوا أنّ «الخابيرو» كانوا جماعة من المقاتلين المرتزقة. وهنا لنا وقفة، لقد ظهر في النصوص الأكادية المكتوبة في كل من أرشيف مدينة «ماري» وكذلك في كشوفات «تل ليلان» على الخابور في منطقة القامشلي القريبة من الحدود التركية الحالية، أنّ هناك (على نهر الخابور) جماعة مقاتلة من المرتزقة تسمى «خبلطوم» أي الخابطين من جنر [خبط] أي ضرب[١٢]. فعسى أنّ يكون «الخابيرو» المرتزقة هم هؤلاء الـ [خبطوم] من منطقة الخابور. ونود أنّ نكرّر أنّه ليس لدينا لغويا إبدال ما بين [الخاء والعين] في كافة اللهجات العربيات من الأكادية وحتى السبئية[١٣].

رابعا: قالوا أنّ اسم إسرائيل ورد في نقش الفرعون «مرنبتاح» (١٢٢٤ - ١٢١٤ ق.م) الشهير الموجود في المتحف المصري بالقاهرة[١٤]. وعند إعادة قراءتنا للنقش وجدنا ما يلي:
يقول النقش أنّ «مرنبتاح» سيطر على التسعة أقواس التالية [ويعني بالأقواس (منطق أو شعوب) وهذا التعبير مستعمل في أكثر النقوش المصرية]. ثمّ بعدّ هذه الأقواس فوجدناها ثمانية وليس تسعة:

١- التحنو [أي شعب ليبيا]. ٢- حاتي [أي الحطيون / الحثيون]. ٣- با كنعان. ٤- يسقراني [أي عسقلان]. ٥- جزر. ٦- بنعم. ٧- بازير- يار [أي إسرائيل حسب ادّعائهم]. ٨- خال [أي جرار] أيضاً حسب ادّعائهم. ثم يأتي بعد ذلك كلمة [فكت] لتعني فتك بهم «مرنبتاح».

١- فإذا بدأنا النقش بتسعة أقواس، فإننا باسم إسرائيل للمزعوم نجدها ثمانية أقواس فقط وليس تسعة. ومن المتعارف عليه أنّ العدد يجب أن يكون /٩/ حتماً، ويُسمح أن يكون أكثر مراعاةً لتقليعة التأسوع المصري، ولكن لا يمكن أن يكون أقل.

٢- إن الاسم ليس بإسرائيل، فقراءته هي: بازير يار، أو: ياسيل يال، وليس إسرائيل.

٣- لو قسّمنا الكلمة بكلمتين، فيصبح لدينا: [يازير + يار] فيصبح العدد /٩/ تماماً وهذا ما يحقق التأسوع المصري الشهير ويحقق مقولات النقش.

[يازير يار] أو [ياسيل يال]: فهل هذا يعني إسرائيل ؟؟؟؟؟

الورد حسب قراءتهم	العدد حسب قراءتنا	
١	١	تحنو [الشعب في ليبيا]
٢	٢	هاطي أو خاتي [الحثيين]
٣	٣	كنعان [سوريا]
٤	٤	يسقراني [يقولون عسقلان]
٥	٥	جزر
٦	٦	بنعم
٧ يقولون بازير يار تعني إسرائيل	٧	بازير = يازور [فلسطين]
٨	٨	يار = يارين [لبنان]
٩	٩	خال [يقولون جرار][١٥]

إذن ما هي «يازير» وما هي «يار». نجد في الخريطة المرفقة موقعين شهيرين:

١- [يازور] فهي قطعاً [يازير]، وقد وردت في بعض الكتابات باسم [هازور] أي

٢- [يار] هي [يارين] في جنوب لبنان الآن، وهي من المدن التي حرّرتها المـ اللبنانية سنة ٢٠٠٠ من الاحتلال الصهيوني.

وأما كتابة (يارين) بـ (يار) فهذا أسلوب الكتابة والكتّاب المصريين ، يلجأون إلى ترخيم (قطع) الأسماء، فاسم (عموريين) كتبوه (عمّو). و (حثيين) كتبوه [حط، (حت)، حت] مرخماً أيضاً، (أي مقطوعاً). واسم (عز يعني مدير إقليم كتبوه: [عز][١٦].

٣- أما اسم إسرائيل، فهو غير وارد في هذا النقش، كما أنّه لم يرد البتّة في أي نصوص أخرى قبل نقش «مرنبتاح» هذا، ولا بعده في النقوش المصرية. أي أنّ اسم إسرائيل لم يأتِ نهائيًا في النقوش المصريّة[٢٠].

خامسًا: نشر «إسرائيل ولفنسون» في كتابه اللغات السامية [اللهجات العروبية][٢١] نقشًا يسمّى نقش «سلوان»، يدّعي عبريّته ويهوديّته[٢٢]. وقد كُشف عنه بالقرب من بيت المقدس سنة ١٨٨٠م في قرية سلوان، حيث وُجد في داخل مغارة ينبع منها الماء تسمّى عين سلوان، وأنّ اسم حزقيال دخل في هذا النقش.

أعدنا قراءة النقش فلم نجد اسم حزقيال ولا حزقيا، بل وجدناه نصًا عربيًا كنعانيًا وليس عبريًا.

إليكم السطر الثاني منه لبيان لغته. ومن المهام أن نشير أنّ الحفر بالنقش بدأ من جهتين مختلفتين، وحين الالتقاء كان هذا النص[٢٣]:

السطر الثاني: <u>ها حرز أسال رع و بغور سلاس أمات له إك...] سمع قول إبنق</u>[٢٤]

اللفظ المقترح: وها جرزٌ (جرز=قطع) نسل (الإله) رع و بعمق ثلاث قامات (أمات)[أي بقامة ثلاث أشخاص] له سمع قول: إسق

التفسير: وبهذا القطع أسال الإله رع، وبغور (أو بعمق ثلاث قامات) له، سمع قول: إسق (من السقاية)[٢٥]

<u>اسم القدس القديم (هيروديوت والقديس)</u>[٢٦]:

لكن المهام هو أنّ تثبت أنّ اسم القدس ورد في كتابات هيروديوت في القرن الخامس قبل الميلاد (٤٨٤-٤٢٥ ق.م) فهو لم يذكر في تاريخه المشهور اسم [أورشليم] ولكنه ذكر مدينة كبيرة في الجزء (الفلسطيني من الشام) وسماها [قاديتس] مرتين في الجزء الثاني والثالث من تاريخه[٢٧].

وللأمانة العلمية، إن من أشار إلى ذلك قبلنا هو الأستاذ الجليل الدكتور حسن ظاظا في مؤلفه [القدس: مدينة الله أم مدينة داوود]، وكذلك الصديق الأستاذ الدكتور سهيل زكار. ويستطرد الأستاذ ظاظا ليقول: [ويقول المستشرق اليهودي الفرنسي (سالومون مونك في كتابه فلسطين: أنّ هذا الاسم على الأرجح هو القدس ....) وحتى اليهود في الكتاب المقدس قد أطلقوا عليها أحيانًا اسم (مدينة القدس) (أشعيا ٤٨/٢، نحميا ١١/١، وجبل القدس أشعيا ١٣/٢٧)][٢٨].

الكتاب الخامس ١٨٣

ثلاث عشائر الواحدة بجانب الأخرى - وإلى الذي إلاها يأتي من البحر الذي يدعى اليوم يوناني بالقرب من الجبل وعلى الترعة تأتي إلى البحر الذي به تعبر بالقوس من بلاد العرب

ترجعوا مخترقًا في ذلك القسم من نيل مصر الذي هو إلى جهة بلاد العرب والجبل الذي يمتد إلى جهة سنب والذي فوق الخلائج هو فوق هذا النيل بمقدار هذه الترعة المذكورة يكون أولاً عند حضيض الجبل وتجد أولاً في مسافة ساعة ونصف - العرب إلى الشرق ثم تمر خلفه في هذا الجبل وتتجه جنوبًا إلى خليج العرب

ولكي يمشي الإنسان من البحر المحيط [البحر المتوسط] إلى البحر الخليج [البحر الأحمر] الذي أمرنا نخو [نخاو] ملك مصر بأن يحفر من جبل الملوس الفاصل بين مصر وسوريا - هذا الغرب الخارج - ومن الجبل المذكور إلى خليج الملوس ثمانمائة ألف استادة ولكن الترعة المنزول من ذلك بمقدار ما تكثر العلامات - وفي أيام الملك نخو هلك في حفرها مائة وعشرون ألف - ونزل أوقف الملك الحفر بناء على جواب من كهانة إذ أنه كان يمتثل للبرابرة الذين يحسبون برابرة كل الأمم التي لا تتكلم بلغتهم

١٥٩ ﴿ والترك نخو النيل إلى الترعة حوّل المكان إلى الشرق شطر في البحر الجنوبي وخليج العرب وبحر الروم وإلى الآن بالية القسمات التي استخلص فيها الملح وعلى الملح عندما في وقت الحاجة وتجارب تجريها

جيش الدوريين قرب عجلون وبعد ما انتصر استولى على قاديس [قاديتس] عاصمة في سورية ووقف الأسلون الخاب التي كان قد أسرها في غزة وأرسلها إلى البرنجة في بلاد الليبيين، ومات بعد ذلك بعد أن ملك ست عشرة سنة وفي كل مدة ملكه وخلفه في الملك ابنه بسامتيس

١٦٠ ﴿ وفي عهد هذا الملك انزل حنون - الذي من قبل الليبيين - وكانت مدة الأمة تختار بها ستة في الأمات الأولية أعدل الأولين وأحسنهم

أي أنّ اسم القدس هو اسم عربي كنعاني قديم، وإذا كان نشوء القدس في القرن الـ الميلادي كما نشير إلى ذلك مرغريت شتاينر، وأنّ هيروديوت وثقها في القرن الخـا فهيذا لا يقلّ دليلا على التفاء تسميتها بالقدس منذ تأسيسها[٢٩].

بعد هذا التقديم وهذا النقد لقراءة بعض النقوش الهامة من الناحية العلم واللغوية والأثرية، وبيان زيفها وتضليلها. فإن هذا البحث يقف لبنة في العقو الشاسعة: أنّ التاريخ القديم كتب حسب الفكر التوراتي والفكر الإغريقي.

ومع ذلك، هل بنفينا العلمي هذا ننفي وجود إبراهيم وموسى وداوود وسلـ عليهم السلام؟، وهل ننفي التوراة من جذورها ؟. نقول: لا. بل لنبحث عن سلّم تمـ آخر عسانا أن نصل لضالتنا، ولنبحث عن مكان آخر للعثور على مكان أورشليم.

أسماء القدس:

من أسماء القدس:

١ – القدس: وقد ناقشنا ذلك بأنه الاسم الأول للقدس، و[قدس] اسمٌ عربي (كنعاني / آرامي) قديم نجده في القاموس الكنعاني.

٢ – أورشليم: تزييف، وأورشليم اسم لمدينة أخرى كانت تُرى من القدس (حسب يوسيفيوس)، ونظنّ أنّ هذا الاسم قد أُطلق على مكان قريب من القدس بعد دخول الفرس الإخمينيين لبابل ٥٣٩ ق.م مع ثلة من اليهود حيث نقول: لنبحث عن «أورشليم» في مكان آخر سوى القدس، حيث يقول «يوسيفيوس» اليهودي في القرن الأول الميلادي لمّا كنّا نرى «أورشليم» من «القدس». ممّا يعني أنّ «أورشليم» خلاف «القدس»، وفيما يلي أول ذكر لـ«أورشليم» من «يوسيفيوس» حوالي (٧٠ م) والذي نضع نصّه كاملاً على لسان يوسيفيوس اليهودي:

[كان قد ظهر على القدس قبل مجيء وسبسيانوس (فسباسيان) كوكب عظيم له نور قوي شديد وكان القدس يضيء بذلك فكوكب كضوء النهار تقريباً فأقام كذلك مدة سبعة أيام عيد الفصح ثم غاب فقرح به أعوام الناس وجهلاؤهم واغتم أهل العلم وأهل الفضل والمعرفة وكانوا قد أحضروا في القدس في ذلك العيد بقرة ليُقرّبوا بها فلما طرحوها لينبحوها ولدت خروفاً فاستشنعه الناس وأنكروه ومن ذلك أن باب القدس الشرقي كان باباً عظيماً ثقيلاً ولم يكن يغلقه ويفتحه إلا جماعة من الرجال فلما كان في تلك الأيام كانوا يجدونه كل يوم مفتوحاً فكان الجهال يفرحون بذلك وأهل العلم والمعرفة يقتمون له وظهر بعد ذلك على بيت القدس في الهواء صورة وجه إنسان شديد الحسن عظيم الجمال والبهاء ساطع النور والضياء وظهر في الجو أيضاً في تلك الأيام صور ركبان من نار على خيل من نار يطيرون في الهواء قريباً من الأرض وكان ذلك يُرى على أورشليم وعلى جميع أرض اليهود][٣٠].

ورد اسم القدس وبيت المقدس خمس مرات ثم وردت أورشليم، حيث يتّضح من نص يوسيفيوس أن القدس ليست أورشليم، وأن أورشليم ليست القدس، حيث كان يرى من القدس أورشليم. ولمّا، حيث أن القدس تقع على هضبة عالية مشرفة على ما جاورها. فإن صحّ وجود أورشليم، فهي بجوار القدس. وليس لأورشليم علاقةٌ بالقدس بتاتاً.

وسبب ضياع اليهود عن الموقع (أن القدس خلاف أورشليم) كان غيابهم عن المكان حقبة تنوف عن أربعة عشر قرناً كحدّ أدنى منذ عصر «هادريان» (١١٧ – ١٣٨ م) وحتى عصر «سليمان القانوني» (١٥٢٠ – ١٥٦٦ م).

نعم، القدس مدينة وأورشليم (إن صحت: فهي مدينة أخرى)، قد تكـ
مجاورة للقدس حسب نص «يوسيفيوس» اليهودي (القرن الأول الميلادي).
ونستطيع أن نشبّه أورشليم آنذاك [كبيوت الصفيح] جانب مدينة القدـ
والشاهد الآخر أنّ الإمبراطور هدريان حين دمرها وجعلها كالصحراء (كه
سنرى في بحث إيلياء) أعطى اسمه للقدس إيلياء، وإلا كيف يعطي اسمه لمد
قد دمرها؟!.

٣– إيلياء: على اسم الإمبراطور [إيليوس هادريانوس] (١١٧ – ١٣٨ م) ذو
الكنعانية من (قادس) والذي دخل القدس ثم أورشليم. وتقول المراجع
إيليوس هادريانوس دخلها عام (١٣٢ – ١٣٥ م) وطرد اليهود ودمر أورشـ
[وجعلها كالصحراء][٣١] ثم أعطى اسمه للقدس وسميت [إيليا]. وهنا الموضـ
وأهي جداً يجب الانتباه إليه وهو أنّ اسم إيليا خاص بالقدس وليس بأورشـ
(وإلا فكيف يعطي اسمه إلى بلدةٍ دمرها وجعلها كالصحراء).

ومن المهم أن نشير أنّ هدريان كان محبوباً من الكنعانيين والآراميين، فقـ
منحوا اسمه إلى القدس [إيليا] واسمه الثاني إلى تدمر وسميت:

هدريانا تدمر

هـ د ر ي ن ا ت د م ر

هـادريـانـا تـدمـر

نسبة لـ إيليوس هدريانوس

ومن الهام الإشارة أنّ تيتوس بن فسباسيان، وقبل أن يخلف أبيه، كان قد أخـ
أورشليم (وليس القدس) وقتل أهلها[٣٢].

راجع كتابنا: (الكنعانيون والآراميون العرب في الإمبراطورية الرومانية).

الهيكل:

نود أن نشير أنّ من حدّد مكان الهيكل بأنه مكان المسجد الأقصى هو «إسحـ
نيوتن» صاحب نظريّة الجاذبيّة الأرضيّة، وكان ذلك عام ١٧٢٥ م وليس قبل ذلك[
ولم نجد ذلك في الأدبيات اليهوديّة والتاريخية حتى القرن الأول الميلادي تحديداً. وم
التزوير أن يوضع الهيكل مكان المسجد الأقصى كما ورّطنا بذلك «اسحق نيوتن»[٣٣].

أمّا الآثار التي حول المسجد الأقصى، فهي آثار رومانيّة إسلاميّة، أي مـا بـ
عام ٦٤ ق.م. وأنّ اتجاه الحائط الجنوبي باتجاه مكّة (القبلة) وكذلك مسار الحـ
الشرقي للقبلة، فهل كان اليهود بهيكلهم وصلاتهم يتّجهون إلى مكة؟!.

– انسلم التاريخي لليهود في منطقة القدس، وليس القدس كمدينة والبادي لنبا حـ
الإستقراء الأثري والتاريخي: أي لا وجود لليهود في القدس. وكان وجودهم فـ
أورشليم بفترات منقطعة انتهت عام ١٣٥ م وحتى عام ١٩٦٧م.

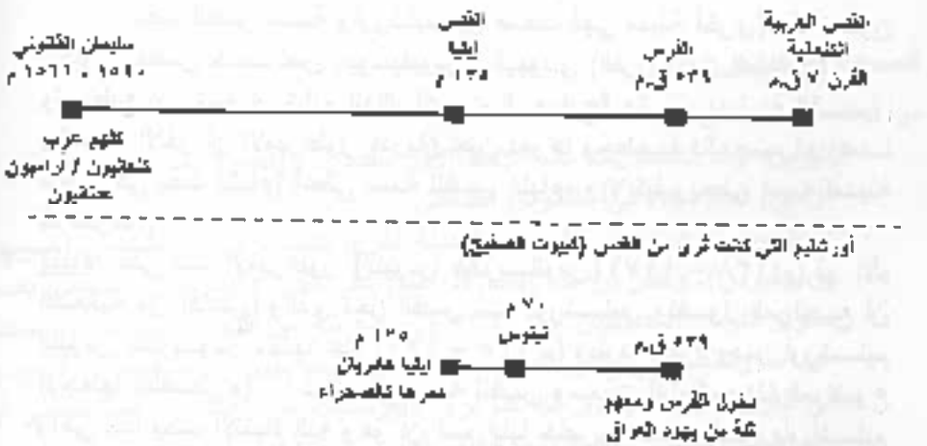

الخلاصـــة:

ولأخيراً نقول:

١ - أنّ القدس هي عربية كنعانية في إنشائها.

٢ - وأنّ القدس هي عربية كنعانية / آرامية في لغتها.

٣ - وأنّ القدس هي عربية كنعانية في تسميتها.

٤ - وأنّ أورشليم هي خلاف القدس.

الهوامـــش

(1) كافة المراجع التي تحدد تاريخ الأنبياء نحدد التـاريخ المشار إليها والبعض يزيدها، فـ
تمثل «روجيه جارودي» في كتابه: [فلسطين أرض الرسالات السماوية: دار طلاس،
١٩٨٨، ط ١٠]، يشير في (ص ٧٣) أنّ داوود كان في ١٠٠٠ ق.م. وفي مرجع
«إسحاق موسى الحسيني» في كتابه: [مدينة القدس، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٠٠
في ص ١٢٣ يضع داوود في ١٠٤٨ ق.م وسليمان أتم الهيكل في ٩٠٧ ق.م. وفي
مصادر تاريخ القدس، جامعة القاهرة، ١٩٩٨، محاضرة لـ د. سيد أحمد علي الناصري
«المصادر الآثارية والأدبية لأورشليم القديمة منذ تأسيسها حتى طرد الرومان لليهود
١٣٥م»، ص ص ١١ - ١٣] نجد داوود ١٠٠٠ - ٩٦١ ق.م، وسليمان ٩٦١ - ٩٢
وكذلك المرفق لـ «مارغريت شتاينر» حيث نصرّح بأنّ ١٠٠٠ ق.م تاريخ الما
كل هذه التقديرات هي تقديرات توراتية لا علاقة لها بعلم الآثار، وهي من الإسرائيليات.

(2) كلمة هيرو غليفي ليست مصرية بل هي يونانية متأخرة، وتعني الكتابة المقدسة.

(3) المعروف [حزقيا] لكنه ورد لدى شيخ اليهود (إسرائيل ولفنسون) باسم [حزقيال]
(تاريخ اللغات السامية).

(4) AL ARCHAEOLOGY REVIEW. JULY/AUGUST 1998. P.P. 25 - 33

(5) المرجع السابق ص ٣٤.

(6) حسب إدعاء التوراتيين.

(7) المرجع السابق، ص ٣٤.

(8) مؤتمر القدس، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم التاريخ. ومركز بحوث
التاريخية ٢١/٣ - ٢٣/٣/١٩٩٨، محاضرة لـ د. فايزة محمود صقر: مدينة ا
النصوص المصرية القديمة، ص ١٥٦.

(9) قيسي محمد بهجت، ملامح في فقه اللهجات العربيات من الأكادية والكنعا
السبئية والعدنانية: دمشق، دار شمال، ١٩٩٩، ص ٣٢٥. والتنوين معروفا
والكنعانية مثل التنوين بالعدنانية.

(10) أخيرام = أخي الكبير.

(11) حامدة أحمد، المدخل إلى اللغة الكنعانية الفينيقية، جامعة دمشق، ١٩٩٤ - ١٩٩٥، ص

(12) بطرس عبد الملك وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، مادة [الحيرام]، ص ٣٠، ومادة
ص ٣٣٠. قالوا: أنّ «لحيرام» تعني: أخي الرفيع. وردت في الأكادية «أخي» وليس
و«حرام» في العدنانية هي البركة المنخفضة، و«حرام» في الكنعانية والآرامية
وبين العدنانية والكنعانية نجد التضاد في اللغة، كلّ لستي الأعمى بصير، وفي الآ
بمعنى بغض، ومن شروط التضاد أن يكون المعنى عكسي (١٨٠ درجة).

(13) نستطيع لفظ «أخي رام» بالخاء المعجمة لأن حرف الحاء [ ] يمكن قراءته حاء مبهمة وخاء معجمة، تماماً كما في حرف الجزم العدناني قبل التنقيط [ح = حاء = خاء]. راجع كتابنا (ملامح في فقه اللهجات العربيات من الأكادية والكنعانية وحتى السبئية والعدنانية، دار شمأل، ١٩٩٩، ص ٣٧٥).

(14) قيمي محمد بهجت، ملامح في فقه اللهجات العربيات من الأكادية والكنعانية وحتى السبئية والعدنانية، ص ص ١٩٨-٢٣١، هناك (٦٦) حالة إبدال لا نجد نهائياً إبدالاً بين الخاء والعين.

(15) «مرجليون» رئيس البعثة الفرنسية في ماري الأثرية على الفرات، عندما لفظ اسم «خباتوم» وشرحها بفرنسيته لتعني الضرب ضج الحاضرون وقالوا له: ليست «خباتوم» بل «خباطوم» وبالمناسبة فإن المقطع المسماري للتاء يلفظ طاءً أيضاً، والعكس بالعكس.

(16) قيمي محمد بهجت، ملامح في فقه اللهجات العربيات من الأكادية والكنعانية وحتى السبئية والعدنانية، ص ص ١٩٨-٢٣١، هناك (٦٦) حالة إبدال لا نجد نهائياً إبدالاً بين الخاء والعين.

(17) لقد أصبح هذا النقش محجاً لبعض السوّاح اليهود، حيث أصبح الاسم المزعوم [إسرائيل] أكثر لمعاناً من كثرة اللمس.

(18) تجد النص الهيروغليفي كاملاً على موقعنا الإلكتروني، مع كافة التعليقات عليه.

(19) Ahmad Badawi & Hermann Kees, Handwoerterbuch Der Aegyptischen Sprache, Kairo, Staatsdruckerei, 1958, P. 44.

(20) هناك دراسة مستفيضة لنقض هذه القراءة والإجابة عليها تجدها في مجلد المقالات المنشورة للاتحاد العام للآثاريين العرب سنة ٢٠١٠، والتي ينتهي البحث فيها: [أن قراءة الصهاينة لاسم إسرائيل أصبح مدعاة للابتسام].

(21) اللهجات العربيات هو البديل المقترح عن اللغات السامية، راجع كتابنا: ملامح في فقه اللهجات العربيات المشار إليه سابقاً، وقرار علماء العربيات في طرابلس ليبيا في ٢٠٠٥/٥/٥، صورة من التوصية تجدها في كتابنا: حضارة واحدة أم حضارات في الوطن العربي القديم، ط٢، ص ١٨٠.

(22) ولفنسون إسرائيل، تاريخ اللغات السامية، دار القلم، لبنان، ١٩٨٠، ص ٨٢ + ٨٣.

(23) تجد قراءة النقش كاملاً على موقعنا الإلكتروني، مع كافة التعليقات عليه.

(24) يصرّف الفعل في الكنعانية والآرامية كما يصرّف بالعدنانية. لاحظ فعل [أسأل]: فعل ماضي، [سمع]: فعل ماضي، [إسق]: فعل أمر.

(25) نلاحظ تصريف الفعل في الكنعانية فهو يماثل العدنانية (الفصحى): أسأل (فعل ماضي)، سمع (فعل ماضي)، إسق (فعل أمر).

(26) النص بالترجمة الإنجليزية عليه لهيرودوت تجده على موقعنا الإلكتروني.

(27) هيرودوت، التواريخ، الكتاب الثاني، ترجمة الخوري قسطوم حبيب أفندي بسترس، بيروت، مطبعة القديس جاورجيوس، ١٨٨٧، ص ١٨٢، وفي النسخة الإنكليزية ص ١٦٦.

(28) حسن ظاظا، القدس: مدينة الله أم مدينة داوود، دار القلم دمشق، الدار الشامية، بيروت، سلسلة كتب قيمة، رقم ٢٠، طبعة أولى، ١٩٩٨، من ص ٤٤- ٤٥.

(29) هناك بحوث تقول أنّ أورشليم وهيكل داوود في مكان آخر غير القدس حيث لم يجد الآن آثاراً للهيكل رغم حفرياتهم أسفل المسجد الأقصى.

(30) تاريخ يوسيفيوس الفيهودي، بيروت، ١٨٧٢، ص ٣٠٨.

(31) البستاني بطرس، دائرة المعارف، دار المعرفة، بيروت، ج ١، ص ٩٦٩، و ج٦، ص ١٢

(32) المرجع نفسه، البستاني، ج٦، ص ٢٩٢.

(33) العكش منير، تلمود العم سام، دار الريس، ٢٠٠٤، لندن، ص ٩٥، عن: مكلاكلان كتابه: Sir Isaac Newton, The Logical Manuscript (مخطوطات السيد نيوتن اللاهوتية). اسحق نيوتن (١٦٤٢ - ١٧٢٧ م).

(34) ما نرجوه مَن جمعية كتاس الشرق الأوسط الانتباه إلى ذلك وإزالة خريطة الموجودة في الطبعات الجديدة للكتاب المقدس لأنها محض تزوير وافتراء.

رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٠١١/١٧٧٨٩